مجلة الأزهر

٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٧٩

المجلد الثاني والستون ـ القسم الأول

السنة ١٤١٠هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف
١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣/٩٠٥٥٠٦

المحرم ١٤١٠ هـ
اغسطس ١٩٨٩ م
الجزء الأول
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

بالهجرة قامت أمة

وتأسست دولة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

جميل أن يحتفل المسلمون بالأيام الخالدة فى تاريخهم ، وأن يستعيدوا ما كان لتلك الأيام من مآثر فى الإسلام .

وجميل ايضاً ان يقف المسلمون فى إجلال وإعجاب أمام يوم اتخذوه مبدأ لتأريخهم ، وذلك هو يوم هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة إلى يثرب ، هذه الهجرة التى غيرت مجرى التاريخ لأمة الإسلام وكانت فاصلا بين عهدين ، عهد المسالمة والترقب والقلة المعذبة المطاردة ، وعهد المنعة والكثرة والسلطان والمباداة كان ذلك يوما من أيام شهر ربيع الأول ، كما كان مولده ﷺ فى ذات الشهر ، ولكن الرجال الذين ارخوا للمسلمين وللإسلام بالهجرة احتسبوا بدء التاريخ بالمحرم الذى هو أول العام على المشهور عند العرب وكان ذلك من أولئك الأبرار الأحرار ذوى القلوب التى صقلها الإسلام يرون الأثر الأكبر للهجرة ، ميلاد امة الحق والتوحيد ويأخذون من هذا الحدث عزما وعزيمة على السير قدماً نحو عزة الإسلام والاعتزاز به ، ويحتفون بذكرى الهجرة لا فى غرة المحرم من كل عام فحسب ثم ينسون أو يتجاهلون هذا التاريخ

كحال الأمة ـ الإسلامية اليوم ، وإنما كانوا دائمى الذكر للهجرة وصاحبها محمد رسول الله ﷺ خاتم الرسل والانبياء ، رسول الله بالإسلام وبالسلام إلى الناس كافة .

ذلك لأن واقعاتها وآثارها قد وقرت فى انفسهم منذ أن كانت تحولا بالإسلام من أرض أجدبت ورغبت عن استقبال الغيث الذى أنزل عليها إلى أرض استقبلت الإسلام عقيدة ، وشريعة وأدبا وعلما ، ونما فيها الغراس الطيب وأثمر وانتشر ، وتخطى الحدود والسدود لأنه غيث الحياة لبنى الإنسان ونعمة الرحيم الرحمن .

ولم كان التأريخ بالهجرة ؟ ..

يروى شيخ المؤرخين الطبرى أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بأنه تأتينا منك خطابات ليس لها تاريخ ، فجمع عمر القوم للتشاور فقال بعضهم نؤرخ لمبعث رسول الله وقال آخرون نؤرخ لهجرته ، فقال عمر : بل نؤرخ لهجرته لأنها فرقت بين الحق والباطل .

وهناك روايات أخرى رواها الطبرى وأبو الفداء فى تأريخهما وغيرهما ، وكلها تشير إلى أن الحاجة دعت إلى اتخاذ تاريخ لدولة الإسلام فكانت المشورة والحوار بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأصحابه ، وكانت الهجرة هى العلم البارز والحدث المؤثر وأحسب أنهم استظهروا أن للهجرة معالم ينبغى أن تتذاكرها الأمة الإسلامية فى مستقبل حياتها ، وتستنبط منها الدروس والعبر والأحكام والحكم .

ولعل من أبرز ما أرتآه مجلس هذه المشورة أنهم بحثوا عن حدث انفرد به الإسلام ورسول الإسلام ﷺ تعرف به الأمة ، ولا تكون تبعاً لغيرها فكانت الهجرة تاريخا يذِّكر المسلمين بأن عقبات الحياة ومعوقات نجاح أية دعوة ، وبالتالى أى عمل لا تواجه باليأس والاستسلام ، أو بالارتجال فى المواجهة دون تفكير وتدبير وتنظيم ، وإنما يكون التغلب على تلك العقبات والمعوقات بالمشورة بين أصحاب الفطنة والرأى الذين صقلتهم التجارب حتى لا يكون الرأى خطيراً صادراً عن رعونة وغرور ، وبعد الاستقرار على الرأى السديد يأتى دور التخطيط والتنفيذ ووسائله وتبعاته ، وأعبائه .

وحين يؤرخ كل مسلم بالتاريخ الهجرى الذى نحتفى به اليوم يستفيد من الهجرة ـ ذلك الدرس الرشيد ، فيفكر قبل أن يقدم ويخطط لما فكر ، ويتدبر آثار وتبعات وأعباء هذا العمل الذى استقر أن يبدأ به ، ويتجاوز أية عقبات أو معوقات تصرفه عما فكر ودبر ثم يكل الأمر لله ويستعين به ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وعملاً بذلك القول الكريم ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ صاحب الهجرة (اعقلها وتوكل) .

لقد أجدبت مكة فلم تثمر فيها الدعوة إلى الإسلام ، ووقف أكابرها مستكبرين قائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فكان لابد وأن تتحول الدعوة إلى أرض مثمرة مغدقة .

ومن هنا لم تكن الهجرة النبوية أمرا أوحت به المصادفة أو تقرر فجأة ، ولكن تمت الهجرة بعد تدبير وتخطيط سليم أمد الله به رسوله ﷺ فكانت له لقاءات ممهدات لهذه الهجرة مع حجاج البيت من قبائل العرب ، وكان ممن التقى بهم وعرض عليهم دعوته وفود الحج من الأوس والخزرج بيثرب ، فالتقى أول مرة بستة منهم ، أصغوا إليه وهو يتلو عليهم بعض آيات القرآن الكريم الذى أنزل عليه وبه نزلت السكينة على قلوبهم وقالوا : والله إنه النبى الذى تهددنا به اليهود وسوف لا نتركهم يسبقوننا إليه وقالوا للنبى ﷺ : « إنا تركنا قومنا الأوس والخزرج وبينهم من العداوة ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وإنا مقدمون عليهم وداعوهم إلى أمرك ـ وعارضون عليهم الذى أجبناك إليه من هذا

الدين » ، وفى موسم الحج التالى تضاعف العدد من هؤلاء القوم ودخل الإسلام اثنا عشر رجلا من الأوس والخزرج ، ثم كانت البيعة الثانية فى الموسم التالى حيث بايع النبى ﷺ ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من أهل يثرب .

بهذا بدأ التخطيط للهجرة عمليا ، ومن ثم لم تكن أمراً مفاجئاً ، وإنما كان بذل الجهد فى التخطيط والتمهيد باعتبار أن الهجرة إصرار على النضال وتصعيد للجهاد وكانت الهجرة بعد إذ نجحت دعوته لأهل يثرب واستوثق ممن اتبعوه وبايعوه منهم .

ولقد درج المسلمون فى هذا العصر على الاحتفاء بالأيام الغر فى تاريخ المسلمين بما لا يفيد جديداً ، فمازال الكثير من كتابنا وخطبائنا يرددون خط سير الهجرة وواقعاتها يعيدون ويزيدون وينقصون ، دون أن يسبروا غور هذا الحدث الأغر ، وينفذوا به إلى توجيهات الإسلام وتعميق مدلولاتها ، والوصول بها إلى أكبر عدد من الناس ، كل الناس فى كل موطن ، ومهما اختلفت الألسنة والمدارك والنوازع ، باعتبار أن حدث الهجرة النبوية كان فى سبيل الحق والعقيدة ، وقد أصلت كثيراً من المبادىء التى برزت واستقرت فى العصر الحديث ، قواعد دستورية وحقوقاً للإنسان بمعيار الثقافة الغربية المبهرة الآن .

ولاشك أن توجه الكتاب والعلماء المسلمين إلى استظهار ما يحتويه حدث الهجرة وسيرة المهاجر ﷺ من فضائل ومناقب ، ومن تفرد عقلى ونفسى وما فيها من اللمسات الاجتماعية والإنسانية يضيف إشعاعات جديدة من نور الوعى بالدعوة الإسلامية أو بالداعى الأول مبلغ الرسالة ﷺ ، بلغة هذا العصر ومنطقه ، وأساليبه ..

وحبذا لو تتبع كتابنا وعلماؤنا وخطباؤنا أوزار وسيئات المستشرقين وغيرهم ، وعقبوا عليها بما يظهر زيفها وتزويرها من واقع هذه الأحداث الإسلامية الغراء والتى لم تستظهر ولم تدرس ـ بعد ـ من العلماء كل من زاوية تخصصه ، ومن ثم تصبح لدى الشباب المسلم بل لدى الأمة الإسلامية دراسات إسلامية متكاملة مصدرها القرآن الكريم وسيرة وسنة رسول الله ﷺ ، موائمة لما استحدث فى العصر الحالى من ميادين للعلم أفردت بنوعيات مجددة كعلم الاجتماع وعلم التربية وعلم الإدارة ومشتقاته من التخطيط والتنظيم والعلاقات الإنسانية .

ولا نغفل فى هذا المجال أن كتابات قد سبقت فى هذه المجالات يذكر أصحابها بكل التقدير ، ولكن المتون تحتاج دائما إلى شروح وتحقيق وهذه تحتاج إلى تعليق ، إذ الهجرة النبوية حدث تاريخى ونموذج حى متجدد وبهذا الاعتبار تكون الهجرة النبوية منبعاً للإلهام بأعظم الأعمال وأروع القيم والمثل وأحكم التدابير التى تكفل نجاح من يلتزمها ذلك لأنها كانت تخطيط وتنظيم النبى ﷺ وضعه بوحى من الله سبحانه ، فنجحت الخطة ، وبلغ الرسول محمد ﷺ مأمنه ، وخاب ظن أعدائه وصدق الله وعده لرسوله ﷺ ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

لنأخذ من الهجرة التوجيه إلى الإصرار على الانتصار على أنفسنا وعلى أعدائنا وعلى مصاعبنا ومتاعبنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ولكن بعد أن ندرس هذه المصاعب ونصل إلى جذورها وبمعنى آخر أن نحدد الداء ثم نصف الدواء .

ولنأخذ من لقاء الرسول ﷺ بوفود الحجيج العرب إبلاغاً لدعوته ، أن نتحرك لنتخلص من العقبات ، وأن نستوثق ممن يعرض العون مع بعد النظرة ووئيد الخطوة ، ومع أخذ أسباب الحيطة والحزم والكياسة وحسن السياسة كما فعل رسول الله ﷺ مع الوفود التى تبعته وبايعته من الأوس والخزرج ،

فلم يتعجل ولم يهن ، واستوثق لدينه ولنفسه ، واطمأن إلى رسوخ الإسلام فى قلوبهم وإلى صدق وعدهم بأن يمنعوه مما يمنعـون منه أولادهم ونساءهم ونحن نستشرف هذه الأيام عودة الوعى الرشيد إلى الأمة الإسلامية شعوباً وحكاماً وحكومات فى التلاقى والتعاضد والتساند والتعاون على البر والتقوى والتكامل فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية والخدمية نأمل أن يتم الله نعمته على أمة الإسلام جميعا على اختلاف ألسنتها وألوانها ومواقعها بوحدة الكلمة وقوتها ، وعزمتها على أن تجمع صفوفها وتتساند أمام الأحداث الجارية ، والموجة العارمة التى تتغيا النيل من الإسلام ومن المسلمين ، وأول أسباب القوة إنهاء آثار الحرب الإيرانية العراقية وإطلاق سراح الأسرى جميعاً وإتمام الصلح ، وإنهاء الحرب الأهلية فى لبنان وإعادة الاستقرار إليه وعودة أموره إلى أبنائه واستمرار التأييد بحزم للمجاهدين فى أفغانستان وللانتفاضة فى فلسطين ، ومساندة الأقليات الإسلامية المضطهدة حفاظا على حقوق الإنسان التى تتنادى بها ديمقراطيات هذا الزمان ، والتى يحلونها مرة ويحرمونها مرات فقد فارقوا بين جرأة إسرائيل على القتل والطرد والتشريد وهدم المساكن والمساجد وتعديها على المسجد الأقصى فى القدس ومنع أهله من إقامة شعائر الإسلام فيه ، فلم يعترضوا ولم ينتفضوا ولم تتحرك العواطف الإنسانية ، وفقط تحركت واجتمعت جموعهم حين دب الخلاف فى منطقة أخرى ليست عربية ولا إسلامية ، خلاف داخلى بين شعب وحكومته ، وليس بين دولة محتلة الأرض ومغتصبة العرض ومهددة لكافة حقوق الإنسان تلك هى إسرائيل وما تحدثه على أرض فلسطين وبأهل فلسطين بل وبالجيران المسالمين ، اللهم لا عدل إلا عدل الإسلام .

لكن صاحب الهجرة محمد ﷺ قد أعلن حقوق الإنسان منذ بعثته فى مكة وإلى أن أدى حجة الوداع وقد احتوى هذه الحقوق القرآن الكريم وكان مما قال ﷺ (الناس سواسية كأسنان المشط ..) حقوق لكل الناس دون نظر إلى نسب أو جنس أو لون ، تميط الأذى عن كل الناس وتحمى كرامة كل إنسان حتى ولو كان من غير المسلمين .

فى هذه المناسبة العظيمة يوم الهجرة النبوية يحيى الأزهر الشريف كافة شعوب الأمة الإسلامية وأصحاب الجلالة والفخامة وأمراء العرب والمسلمين ، ويسأل الله أن يجعل هذا العام عام يسر ورخاء وصفاء ونقاء لأمة الإسلام .

وصلى الله وسلم على صاحب الهجرة ورضى الله عمن به اهتدوا واقتدوا وفكروا وقدروا حين أرخوا للمسلمين بالهجرة النبوية حدثاً فريداً فى تاريخ الإنسانية به قامت أمة ونشأت دولة ، وحتى يكون هذا التاريخ حافزا لأمة المسلمين حكاماً ومحكومين أن يلتزموا به وتذكرة وحافزاً إلى الإفادة والاستزادة من مغزى نظام المؤاخاة الذى أقامه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار إثر هجرته إلى المدينة على نحو لم يسبق فى المجتمعات الإنسانية وكانت منة الله على المسلمين فى سورة الأنفال ﴿ .. هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

المال
حلاله وحرامه

د. علي أحمد الخطيب

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (البقرة - ١٨٨)
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (النساء - ٢٩)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

« الا لا تَظلِمُوا ، الا لا تظلموا ، الا لا تظلموا ، إنه لا يَحِلُّ مالُ امرىء إلا بطيب نفس منه » .

رواه أحمد ٥/٧٢ الميمنية

١ - هاتان الآيتان الكريمتان والحديث الشريف يشيران إلى مال مصدرُهُ طيِّب ، وإلى مال مصدره خبيث ، فاما ما كان من مال طيب فله حُرْمَة ؛ لان صاحبه امتلكه عن كسب مشروع من عمل في تجارة أو مشاركة فيها ، أو « راتب » من عمل شرعى ، ومثله مال يُرْزَقُهُ المرءُ من ميراث ، أو من حيث لا يَحْتَسِبُ كهدية ، أو هبة ، أو منحة سيقت إليه على وجه من المحبة الخالصة ، أو لجهد مشكور ، ولم تدفع إليه استمالة له إلى عمل غير مشروع .

وخير ذلك كله ما اكتسبه المرء من عمل يده ، ولقد كان نبي الله داود - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - يأكل من عمل يده .

٢ - وحرمة هذا المال الطيب تتمثل في اثنتين :

أولاهما : أنه له حق الصيانة من العدوان عليه ، فمالكه يصونه ، ومؤسسات الدولة المختصة

←

تصونه ، وتمنع من العدوان عليه بسرقة أو غصب أو غيرهما من ألوان أكل أموال الناس : مسلمين أو غير مسلمين ـ بالباطل الذي تشير إليه الكلمات القرآنية العزيزة ، وما « الباطل » إلا « السبب الحرام » الذي يتخذ ذريعة لأخذ أموال الناس في غير « مقابل شرعي » من نهب وغش وغَرَر ، وما إلى ذلك من مكاسب غير مشروعة تظهر ـ في بعض الأحيان ـ في صور صنوف الحيل التي يقول عنها الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه :

« وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا » حتى قال ابن جرير : حدثنى ابن المثنى ، حدثنا عبدالوهاب ، حدثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ في الرجل يشترى من الرجل الثوب فيقول : إن رضيتَهُ أخذتَهُ ، وإلا رددتَ معه درهما قال : هو الذي قال الله ـ عز وجل فيه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾
وفي الآية الأولى عن علقمة عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ قال :
« إنها محكمة ما نُسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة » أ.هـ

وكتب ابن كثير ـ عن الرجل يتخذ حكم القضاء سببا في أكل أموال الناس ، وذلك حين يأخذ المال من إنسان ولا توجد بينة تدل على أخذه له ... « فيجحده ، ويخاصم إلى الحكام ـ وهو يعرف أن الحق عليه ، وهو يعلم أنه آثم آكل للحرام » فيتخذ القضاء ذريعة لإسقاط حق صاحبه ، قال : وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« إنما أنا بشر ، وإنما يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هى قطعة من نار فليحملها أو ليذرها » كذا رواه ابن كثير .

أي أن حكم الحاكم لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً ، وليس يُحِلُّ حراما أبدا ، أو يحرم حلالاً ، قال : وإنما هو ملزم في الظاهر ، فإن طابق في نفس الأمر فذاك ، وإلا فللحاكم أجره ، وعلى المحتال وزره ...

ثانياً : أن يصرف منه في مباح بغير تبذير ولا مَخِيلَة ؛ فليس لصاحب المال أن يعمل فيه ما شاء كما شاء ، فينبغى أن يصونه عن إسراف بتبذير فيما هو حلال ، إذ فى ذلك شروع لإنفاقه في حرام ، و يحوطه عن المخيلة فلا يصرفه فيما هو حب للظهور المؤدى إلى الكِبْر أى المخيلة . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

كُلْ ما شئت ، واشرب ما شئت ، والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان : سَرَفٌ ومخيلة .
وواضح بيّن أنه لا يجوز أن يصرف المال في حرام ، فلا تُطلَب ـ بواسطته ـ رِشْوة ، أو شهادة زور ، أو يُسْعَى به للذة حرام ، ومالها من ضروب شتى ، أو كسباً لحرام كأن يقرضه بـ « ربا » أو يشتري به أوراق « اليانصيب » أو في «رهان »حرام .. إلخ

وله أن يبذل منه في معروف من صدقة ، وهبة ، وهدية ، فذلك من مكارم الأخلاق التي هي عماد الدين .

** ** **

ثم في هذا المال حق :

حدَّث به الكتاب العزيز ، وتكلم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأجمعت عليه الأمة .

ذلك الحق هو الزكاة ، فزكاة المال حق الله عز وجل ، نَوَّه به الكتاب العزيز في أكثر من آية ، فقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (البقرة ـ ٤٣)

وروى ابن ماجه ـ بسنده ـ قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إذا أديتَ زكاة مالك فقد قضيت ما عليك .

وعلى ذلك إجماع الأمة ، والقَدْرُ من المال الذي يتمثل فيه هذا الحق هو لله ـ عز وجل ـ وليس ملكاً لصاحب الأصل ، فإنكاره ـ بضمه إلى أصل المال ـ يعتبر من الكسب الحرام ، إذ فيه عدوان على حق الله ، لذا كان منع أدائه دون ضرورة جريمة لها حكمها المعروف بكتب الفقه والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

د. علي أحمد الخطيب

الاحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاة الإمام الطبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ..

وبعد :

فإنه لأمر محمود أن تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، متعاونة مع الشعبة القومية لليونسكو بمصر ، بالدعوة إلى ندوة علمية فى ذكرى مرور أحد عشر قرنا على وفاة الإمام الطبرى*.

إن الاحتفاء بأئمة المسلمين ، وكبار علمائهم والكشف عن تاريخهم والتنويه بشأنهم ومكانتهم ، تعريفاً بآثارهم الباهرة فى تاريخ الإنسانية ، وحفظاً لتراثهم وعلمهم ، وهو تراث عزيز علينا ، يصلح به شأن هذه الأمة ـ إن شاء الله ـ ويبرز معالم حضارتها وثقافتها وقدرتها على ارتياد مناحى العلم المتنوعة .

إن الإمام الذى نحتفى به اليوم هو : ابو جعفر محمد بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى ، من أهل « آمل » بطبرستان ، توفى سنة ٣١٠ هـ وكان إماماً جليلاً ، ومجتهداً مطلقاً .

قال عنه السبكى[١] : « هو أحد أئمة الدنيا علماً وديناً » ..

وقال الخطيب البغدادى[٢] : « كان ابن جرير أحد الأئمة ، يحكم بقوله ، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، فكان حافظاً لكتاب الله ، بصيراً بالمعانى ، فقيهاً فى أحكام القرآن ، عالماً بالسنن وطرقها ، صحيحها وسقيمها وناسخها

(١) الإمام تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ . و طبقات الشافعية الكبرى جـ٣ ص ١٢٠ ط الحلبى .

(٢) الحافظ ابو بكر ، أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٣٩٢هـ صاحب تاريخ بغداد ـ انظر تاريخ بغداد ١٦٣/٢ وطبقات الشافعية الكبرى ١٢٢/٣ .

* الندوة من ٢٥ حتى ٢٨ يوليو ٨٩

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين فى الأحكام ومسائل الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور فى « تاريخ الأمم والملوك » وكتاب فى التفسير لم يُصَنِّف أحد مثله ، وكتاب سماه « تهذيب الآثار » لم أر سواه فى معناه ، إلا أنه لم يتمه ، وله فى أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة ، واختيار من الأقاويل للفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه » .

قال عنه الإمام الذهبى(٣) : « هو الإمام الجليل أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة ـ عالم العصر ـ من كبار أئمة الإسلام ـ مات فى شوال سنة عشر وثلاثمائة ، وله ست وثمانون سنة ، رحمة الله عليه » (٤) .

هذا ماعرف به كبار علماء الرجال هذا « العالم الجليل » المحتفى بذكراه ، والذى لم يسلم من الأذى والابتلاء ، بسبب الاشتراك فى الاسم واللقب ، مع رجل آخر عاصره ، هو : محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبرى ـ الشيعى المتهم بالرفض ـ فالتبس الأمر ، ولحق الإمام الطبرى : صاحب الذكرى أذى شديد من جراء هذا اللبس ، وقد نبّه الإمام الذهبى فى ـ ميزان الاعتدال ـ إلى هذه الواقعة .

لقد ترك الإمام الطبرى تراثاً مشهوراً ضخماً ، نبهت إليه كتب التراجم والرجال ، ثم ضاع شيء من هذا التراث ، وبقى منه شيء آخر ، يستوجب منا أن نهتم به فنجمعه ونوفر الرعاية له .ومن هذا الذى بقى من تراث الطبرى :

أولاً : كتاب « أخبار الرسل والملوك » وهو كتاب معروف ذائع الصيت ، وقد صدر مع التحقيق والتعليق عليه من المستشرقين ومن فضلاء المحققين المسلمين .

لكنا نجد لهذا الكتاب توابع وضعها أصحابها ، على سبيل الصلة له والتكملة فى التاريخ بعد .

ومن هذه التكملات تكملة له من كتابه : عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغانى المتوفى سنة ٣٦٢هـ ـ تلميذ الطبرى وصاحبه .

وتكملة ثابت بن سنان بن ثابت الصابى المتوفى سنة ٣٦٣هـ ..

وتكملة هلال بن المحسن الصابى المتوفى سنة ٤٤٨هـ .. وما أضافه ولده محمد بن هلال بن المُحسِّن المتوفى سنة ٤٨٠هـ .

ثم تكملة تاريخ الطبرى حتى ٤٨٧ لمحمد بن عبد الملك الهمدانى المتوفى سنة ٥٢١ هـ .

وغير هذه التكميلات والتوابع ..

ثانياً : كتاب ـ جامع البيان عن تأويل القرآن ـ وهو الكتاب الذى قال عنه السيوطى : « فإن قلت : فأى التفاسير ترشد إليه ، وتأمر الناظر ان يعول عليه ؟ قلت : تفسير الإمام ابى جعفر بن جرير الطبرى ، الذى أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف فى التفسير مثله .. قال النووى فى تهذيبه كتاب ابن جرير فى التفسير لم

(٣) الحافظ محمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ .

(٤) ميزان الاعتدال ٤٩٩/٣ وكتاب دول الإسلام صفحة ١٨٧ .

← الاحتفال

يصنف أحد مثله[٥] ولهذا التفسير مختصرات وترجمات بين أيدينا ، وهى فى حاجة إلى التحقيق ، والإصدار .

ثالثاً : كتاب « تهذيب الآثار وتفصيل معانى الثابت من الأخبار » وهو مرتب على نظام المسانيد لصحابة النبى - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته رضوان الله عليهم أجمعين ، ويمتاز هذا الكتاب بأنه كتابة مبتكرة فى علوم الرواية والأسناد وعلل الحديث

رابعاً : كتاب - الجامع فى القراءات من المشهور والشواذ - وقد أورد فيه أسماء القراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ومصر ، وذكر فيه القراءات من المشهور والشواذ ووجه كل قراءة ، واختياره منها ، ولم يخرج بها عن المشهور .

هذا الكتاب موجود بمكتبة الأزهر ١/٧٤ قراءات ١١٧٨ وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ، وياقوت فى معجم الأدباء ، والذهبى فى طبقات القراء ، وابن الجوزى فى الطبقات أيضاً ، مما ينفى عنه شبهة الشك فى صحة نسبته إلى الإمام الطبرى .

خامساً : كتاب - اختلاف الفقهاء - وهو كتاب يكشف عن اختيارات الطبرى الفقهية ، وقد أخرج المستشرقون ماعثروا عليه من أوراق هذا الكتاب ، ولا يزال فى حاجة إلى الجمع والتحقيق .

* إن تكريم الإمام الطبرى .. والاحتفاء بذكراه ، إنما يكون بنشر هذه النفائس التى أورثنا إياها .

* وحبذا لو أعانت على هذا العمل وأسهمت فيه : المنظمات والمؤسسات الإسلامية ، بل والمنظمات العالمية التى تهتم بثقافة الإنسان ، وتراث الشعوب .

* وإذا كان كثير من العلماء يصفون الإمام الطبرى بأنه : مجتهد مطلق .. بمعنى أنه صاحب مذهب مستقل فى الفقه ، وقد اكتملت له الأداة من الحفظ للحديث والمعرفة برجاله ، وعلله ورواته ، ومن الدراية باللغة وأسرارها ، وفنون التعبير بها ، ومن الفهم لكتاب الله ، وإدراك المقاصد القرآنية ، ومن العلم بأصول العقائد والأحكام ..

* إذا كان كثير من العلماء يصفونه بالاجتهاد المطلق ، فهو جدير بهذه الصفة .. وإذا رأى آخرون من العلماء أنه مجتهد فى المذهب ، وله اختيارات لا تتقيد بمذهب معين ، فإنه حرى بهذا الوصف أيضاً .. ولا يغض من شأنه فى شىء أنه مجتهد فى المذهب .

* إن الحاجة إلى التأصيل الفقهى داعية إلى جمع تراثه المنثور فى كتبه المتداولة وفى غيرها مما نقله العلماء رواية عنه ، حتى تتضح معالم مذهبه الفقهى ، ويُنتفع بتراثه الثرى فى هذا المجال ، إماما من أئمة الفقهاء المسلمين أصحاب المذاهب التى انتشرت أو تلك التى توارت سطوره فى بطون الكتب ..

* وبذلك : نحفظ له مكانه ، وتتجلى مكانته البارزة فى التحصيل والتأليف والاجتهاد فى فنون العلم المتنوعة .

* هذه المهمة تنتظر جهود المنظمات الإسلامية وترتقب همماً عالية بصيرة بالفقه خاصة وبسائر مدوناته المتنوعة ..

* وعلى الله قصد السبيل ، والله ولى التوفيق .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

(٥) الإتقان جـ٢ ص ١٩٠ ط ٣ مصطفى الحلبى .

أمثال من الكتاب العزيز

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

قال الله تعالى عن المنافقين : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . .

لما تحدثت الآيات السابقة عن صفات المنافقين ، ضرب الله لهم مثلين : نارى ومائى ، وذلك لإبراز المعقول فى صورة المحس ، والمتخيل فى صورة المتيقن ، وضرب الأمثال عموماً لإيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى على أبلغ حال ، ولتثبيت العبرة لمن يعتبر . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ . .

والمثلان النارى والمائى أراهما وكأن المنافقين صنفان رئيسيان تحتهما صور عديدة :

الصنف الأول : منافق أقبل على الإيمان ، ثم ارتد ولم يعلن ردته ، وهؤلاء قال الله فيهم : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ . الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ .

والصنف الثانى دخل الإسلام ظاهرا ، وأبطن الكفر ، وظل على ذلك وهؤلاء قال الله فيهم : ﴿ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ . .

والفريق الأول فيما أرى مثلهم نارى ، والفريق الثانى مثلهم مائى . شبه الله حال الصنف الأول وصفتهم وقصتهم بحال من استوقد ناراً لينتفع بها ، فلما أضاءت تلك النار ذهب الله بمنفعتها وترك أصحابها لا ينالهم إلا ما يصيبهم من أضرارها .

←

← مثالان من الكتاب العزيز

فإن قلت : كيف يشبه الجماعة بالواحد الذى استوقد ناراً ؟ قلتُ : ذلك من تشبيه قصة بقصة والذى استوقد ناراً فى معنى الذين استوقدوا ناراً لأنه وإن كان مفرداً فى لفظه ، فإنه فى قوة الجمع فى معناه ، والموصول قد يراد به الجنس ، فيفيد المجموع ، والمثل هو القصة ، و « الكاف » للتشبيه ، فقد شبه قصة بقصة و « الذى » اسم موصول يؤتى به لزيادة معرفته بالصلة . و « الهمزة » و « السين » و « التاء » للطلب . والتنكير فى قوله « ناراً » للتنويع .

والمنافقون كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله .

ويمكن أن تكون النار فى قلب المنافق مثلاً لما يدعيه من إيمان ، فالنار بما تحتويه تطهر النجس وتمحو الخبائث كما يمحو الإيمان ما يعلق فى القلب منها ، وكان هؤلاء يمكنهم أن ينتفعوا بالإيمان الذى لم يتغلغل فى نفوسهم إلا أنهم لم يكونوا أهلاً لذلك .

و « الفاء » هنا للتفسير ،

و « لما » حرف وجود لوجود . وانظر إلى قوله ﴿ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ فهى لم تضىء صاحبها ، بل أضاءت ما حوله من أماكن كالشمعة تضىء ما حولها وتحرق نفسها ، ويحتمل فى « أضاء » أن تكون متعدية ، أضاءت المكان ويحتمل أن تكون لازمة ، فالضوء لم يتعد المكان .

فالإيمان ضياء ، وهو أقوى من النور ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ لأن الذهاب بالقليل ، والإزالة له ، ذهاب وإزالة للأكثر ، ولو قال : (ذهب الله بضيائهم) لأمكن أن يُدّعى أن الذاهب هو الكمال ، والباقى نور ، وفرق كبير بين (اذهب) الذى معناه (أزال) ، وبين (ذهب بنوره) أى (صحبه معه) إذ الإيمان نعمة من الله ، وهو يستلبه بسوء اختيار صاحبه . والحالة بعد الذهاب بالإيمان أنه أبقاهم وصيرهم إلى ظلمات لا إلى ظلمة واحدة ، فإنها ظلمات بعضها فوق بعض .

(لا يبصرون) أىْ شيئاً ، فالمفعول محذوف لعمومه أو هو متروك أصلاً ، وكأنهم فاقدوا البصر ، فبعض الناس ينظر ولا يبصر كما قال : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، وبعضهم لا ينظر أصلاً ، وقد أفصح عن حالهم بقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ جُرّد هؤلاء المنافقون من سماع ما ينتفعون به ، ومن كلام يعبرون به عما يجول فى صدورهم ، ومن بصر يمتع أعينهم ، وهم لا يرجعون إلى الصواب لعنادهم ، فهم فى حيرة يتخبطون ولا يدرون إلى أين يتجهون .

والوجهة السليمة من خصائص الإيمان ، فالأمة المؤمنة تتحد فى المبدأ والسلوك والغاية ، إذ هى بنية حية تقوم العلاقات بين آحادها على التجاوب والتفاعل ، وتجرى وظائفها على التضامن والتكافل ..

أما المثل الثانى فهو المائى ، وهو أبلغ من المثل الأول ، فقد تدرج سبحانه من البليغ إلى الأبلغ ، و « أو » هنا ليست للشك من المتكلم ، بل هى بمعنى « بل » ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ .

و (الصيِّب) مشترك بين المطر والسحاب ، وجاء هذا المطر من جهة السماء ، وهى ما علاك ، وإن كان أصله بخار تصاعد من الأرض ثم تكثف كما هو معروف ، فإذا قال القرآن (من السماء) فقد أراد الجهة ، وإذا قال (السموات) فقد أراد الصفات . ونحن نؤمن كما قال الله

﴿ والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ وإنها فى اللغة كل ما علاك .

ونكرَّ لفظ (صيِّب) لأنه نوع مخصوص ومطر ضار ، ووصفه بالجار والمجرور لأنه متساقط من كل الجهات . (فيه ظلمات) ظلمة المطر بكثافته وظلمة السحاب بغمامه وظلمة الليل بسكونه ، والرعد هو ما يُرعد الأجسام بصوته المزعج وأفرده لأنه أراد المصدر أى فيه إرعاد يزلزل القلوب ، وفيه إبراق يخطف الأبصار ، وهم من هول ما هم فيه ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ .

والمراد من الأصابع الأنامل ، فأطلق الكل وأراد الجزء كأنهم يريدون إدخالها بالكلية لهول ما يسمعون ، و « من » للتعليل ، والصواعق جمع صاعقة وهى كقذيفة النار ترسل فيدرك من أرسلت عليه الموت فيحذره ويخافه .

ومعنى إحاطة الله بالكافر : علمه به ، فقد أحاط بكل شىء علماً وهو قادر عليه ، فهو محيط من ورائه .

ومنه قول يعقوب ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ والله سبحانه بكل شىء محيط ، وخص الكافر هنا لإرهابه ، وأما إحاطته - سبحانه - بالمؤمنين فلتثبيتهم ، وتأمل رهبة البرق فى قوله : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ فهو لم يكن للإضاءة المنتفع بها .

وكذا حيرة المنافق يمشى فى صفوف المؤمنين كلما أضاء له الإيمان ويقف إذا حُرم وانكشف أمره ، وقد استعمل « كلما » لأمل ما يتوقعون من أنهم سينتفعون بما هم عليه وتصادمهم الحقيقة .

﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ اى وقفوا ، وكأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم ، وحرف « لو » للتلازم بين شيئين : مشيئة الله وذهاب السمع والبصر .

لكنه سبحانه لم يشأ أن يسلب وسائل الإدراك إذ لو سلبها لكان لصاحبها عذر ، فأعطاهم سمعاً وبصراً قد أبطلوه بسوء اختيارهم ، فهو سبحانه قادر لا يعجز كل تحت قدرته ، لو أجبر الناس على الخير لم يكن فى استطاعتهم أن يكونوا أشراراً ، ولو أجبرهم على الشر ، لم يكن فى استطاعتهم أن يكونوا أخياراً . وأجل ما يتميز به الإنسان ما وهبه الله من اختيار وإرادة وقدرة وعقل حتى يصادف التكليف من هو أهل له .

وإذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب .

القرآن العظيم يستدعى التأمل والنظر وهكذا يجب على المتدبرين أن يتدبروا كلامه ، وقد أُنزل لتكون لكل نفس سامية نسخة من معانيه ، فهو كتاب ، ولكنه مجموع العوالم النفسية كلها . وإن كل ما يرويه الناس عن الناس باسم التاريخ ليس إلا (رُغْوَة) متطايرة فوق بحر الحياة الإنسانية .

وقد استدفأ المنافقون فراش الشهوات وهو بارد ، واستنعموا لحاف الملذات وفيه مناخس .

وقد طالت حياة النفاق فى الدنيا لأنها لهو ولعب وويل لمن يصافح الموت بيد ملوثة بالآثام ، مغلولة بالشهوات فإذا يد الموت أبرد من الجليد وأقسى من الحديد .

والمؤمنون لا يضللون العقول ، والمنافقون لا يعرفون معنى التضليل إذا كانوا يعبرون عن حقائق الحيلة بلغة واحدة لا تقبل التنويع ، فيكذبون إذا حدثوا ، ويخونون إذا ائتمنوا ، ويفجرون إذا خاصموا ، ويغدرون إذا عاهدوا . ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وما أحفل الكلمات القليلة بالأسرار حينما ترتلها القلوب ، وفى الصلاة التى يكسل عنها المنافقون ، إذا قاموا إليها يراؤن الناس ، عليهم أن يعلموا أن قلباً فى الصلاة بلا كلام خير من كلام فيها بلا قلب ، إذ الكلام مقيد بالفكر ، والفكر لا ينطلق من كل القيود . والله أعلم .

فوائد القروض والبنوك حرام بيِّن فكيف يطرح للمناقشة !

في جريدة الاهرام يوم الخميس ٢٧ من شوال ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩/٦/١م كتب الدكتور عبد المنعم النمر - وزير الأوقاف الاسبق - كلمة تحت عنوان : حول تحديد ربح القرض والوديعة الاستثمارية .

وبعد مقدمة استغرقت ثلاثة أرباع الكلمة طرح موضوعا للرأى . والمقدمة تتصل بالاجتهاد ولا نريد أن نناقشها هنا ، وإنما نقف عند الموضوع الذى طرحه .

وحتى نوجز إيجازاً شديداً أحدد النقاط الرئيسة التى أناقشها ، وهى :

أولا : الموضوع الذى طرحه لإبداء الرأى .

ثانيا : سبب التحريم : ويرى أن مرده إلى تحديد الفوائد ، وأن الدائن هو الذى يحدد وأن المقترض قد يعجز ولا يحقق ربحاً من القرض فيقع عليه الظلم من المقرض .

ثالثا : سبب التحريم لا ينطبق على البنوك .

وأبدأ المناقشة مستعينا بالله عز وجل .

النقطة الأولى :

الموضوع الذى طرحه فضيلة الدكتور النمر ليس جديداً ، فحكم فوائد القروض استقر منذ أربعة عشر قرناً ، وفوائد البنوك استقر حكمها أيضا ولكن منذ ربع قرن فقط .

ففوائد القروض محرمة بالكتاب والسنة والإجماع .

فأى زيادة على رأس المال يحرمها قوله تعالى : ﴿ وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ ، وهذا خاص بالمدين الموسر ، أما المدين المعسر فيبين حكمه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

وعند قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . .

روى الطبرى عن السدى قال : « نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب ورجل من بنى المغيرة ، كانا شريكين فى الجاهلية ، يسلفان فى الربا إلى أناس من ثقيف » . « انظر تفسيره جـ ٦ ص ٧ .

وقال الجصاص فى أحكام القرآن (٤٦٥/١) :

« الربا الذى كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على مايتراضون به » .

وقال فى موضع آخر (٤٦٧/١) :

« معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضاً

لفضيلة الأستاذ الدكتور

علي السالوس

مؤجلاً بزيادة مشروطة ، فكانت الزيادة بدلا من الأجل فأبطله الله تعالى وحرمه » .

وقال الفخر الرازى فى تفسيره (٩٢/٤) :

« ربا النسيئة هو الأمر الذى كان مشهوراً متعارفاً فى الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ، ويكون رأس المال ، ثم إذا حل الدين طالبوا المدين برأس المال » .

والسنة المطهرة بينت أن « من زاد أو استزاد فقد أربى » ونهت عن قرض جر منفعة .

وأما الإجماع فهو ثابت ، قال ابن قدامة فى المغنى (٣٦٠/٤) :

« كل قرض شرط فيه أن يزيده فهو حرام بغير خلاف . قال ابن المنذر : أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستسلف زيادة أو هدية فأسلف على ذلك أن أخذ الزيادة على ذلك ربا » .

وقال القرطبى فى تفسيره (٢٤١/٣) :

« أجمع المسلمون نقلا عن نبيهم ﷺ أن اشتراط الزيادة فى السلف ربا ولو كان قبضة من علف . كما قال ابن مسعود أو حبة واحدة » .

فتحريم فوائد القروض يعتبر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، فكيف يكون عنواناً لموضوع يطرحه لأخذ الرأى ؟ وقد قال ربنا عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ .

وأما فوائد البنوك فكان الاختلاف حول حكمها قبل ربع قرن ، حيث لم يدرك بعض الفقهاء طبيعة عمل البنوك : حدثنى فضيلة الشيخ سيد سابق موضحا موقفهم ، فقال : إنهم بنوا فتواهم على أساس أن البنك يستثمر بطريقة دقيقة محسوبة أمكن معها حساب نصيب صاحب رأس المال ، ولم يدركوا أن البنك لا يستثمر ، وإنما يقرض بربا ، وأنه من الممكن أن يتحول إلى منهج إسلامى يتفق مع شروط المضاربة .

وفى سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م كان المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية ، وشارك فيه كبار علماء من خمس وثلاثين دولة إسلامية ، وضم المؤتمر الفقهاء والاقتصاديين ، فاتضحت الرؤية ، بالإجماع ، نعم بالإجماع ، صدرت الفتوى بأن فوائد البنوك من الربا المحرم .

وتلاه مؤتمرات كثيرة انتهت إلى الفتوى ذاتها ، وبعض هذه المؤتمرات غلب عليه طابع الفقه ودعى إليه رجال الاقتصاد وبعضها غلب عليه طابع الاقتصاد ودعى إليه رجال الفقه وأذكر من هذه المؤتمرات على سبيل المثال : المؤتمرات العالمية للاقتصاد الإسلامى ، ومجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامى . ومجمع الفقه المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى ، وذكرت نص فتاوى هذه المؤتمرات فى الطبعة الثانية من كتابى « المعاملات المالية المعاصرة فى ميزان الفقه الإسلامى » « طبع دار الاعتصام » .

إذن : الموضوع ليس جديداً ، فقد بحث وحسم خلال ربع القرن الأخير ، فلماذا يثار من جديد وهو يتعلق بأكبر الكبائر من السبع الموبقات ؟

وكيف يلقى المسلم ربه إذا ترك فتاوى هذه المؤتمرات والهيئات مجتمعة وأخذ برأى فرد كائناً من كان ؟

←

فوائد القروض والبنوك

النقطة الثانية :

قال فضيلته : إن علماءنا جميعاً متفقون على تحريم هذه المعاملة بسبب تحديد ربحها ويقولون إن التحديد جعلها رباً محرماً .

قلت : من الذين أجمعوا واتفقوا ؟ إن سبب التحريم هو مجرد الزيادة أو المنفعة المشروطة فى عقد القرض سواء أكانت الزيادة محددة أو غير محددة ، وكلام الجصاص يبين هذا . وماذكره ابن قدامة وابن المنذر والقرطبى واضح كل الوضوح فى تحريم أى زيادة ، أو هدية ، ولو قبضة من علف أو حبة واحدة ، فضلا عن ٩٪ أو ١٠٪ وما الربا المحرم إذن لو كانت هذه النسبة زيادة على القرض فى مقابل الزمن حلالا غير حرام ؟

وابن قدامة بعد أن ذكر إجماع الأمة بغير خلاف قال :

« إن شرط أن يؤجره داره بأقل من أجرتها ، أو على أن يستأجر دار المقرض بأكثر من أجرتها ، أو على أن يهدى له هدية ، أو يعمل له عملاً ، كان أبلغ فى التحريم » . أ هـ

وقال فضيلته أيضا : إن التحديد هو الذى فرضه الدائن على المدين ، لينتهى بعد هذا إلى أن التحديد لو كان من المدين فهو حلال ؟

قلت : عندما بقى شىء من الربا على القبائل لا الأفراد ، وحرمه الله تعالى على لسان رسوله ﷺ : أفكان الرسول يسأل أولا : من الذى حدد الفائدة ؟ فإن كان المقرض حرمها ، وإن كان المقترض أحلها ؟ تفرقة عجيبة لم يقل بها أحد من قبل ، وإنما كما قال الجصاص آنفا « .. على ما يتراضون به » . فالمقرض قد يحدد ويرضى المقترض،والمقترض قد يبدأ هو بالتحديد فيرضى المقرض ، وكل منهما يرضى بما يراه محققا لمصلحته ، ومع هذا يأذن كل منهما بحرب من الله ورسوله .

ويبقى هنا ماقاله فضيلته من أن التحديد الذى فرضه الدائنون قد يظلم المدينين ويقصم ظهورهم ، وينتهى بعد هذا إلى أن علة التحريم هى الضرر ، ومتى انتفى الضرر فلا تحريم .

قلت : العلة وصف ظاهر منضبط ، وهى هنا الزيادة المشروطة التى سبق بيانها ، أما الضرر فلا يصلح علة البتة لتحريم الربا ، فالضرر حرام وإن لم يكن من الربا « لاضرر ولا ضرار » ..

« والربا محرم وإن لم يؤد إلى الضرر . وكثير من ربا الجاهلية المحرم كان لا يؤدى إلى ضرر بالمقترض فمعظم القروض كان يستخدم فى التجارة الدولية بالمفهوم الحديث ، حيث كان التجار الكبار الذين يذهبون إلى الشام واليمن يتوسعون فى تجارتهم عن طريق القروض إن لم يرغبوا فى القراض ، أى شركة المضاربة ، وعلى هذا قد نجد صاحب الملايين يقترض من صاحب المئات وقد يكسب أضعاف أضعاف الفوائد الربوية . كما أن هذا التعليل يتنافى مع فقه النصوص فلو كان الأمر هكذا فكيف تلحق اللعنة المقترض ويستوى مع المقرض ؟

حيث لعن الرسول ﷺ : آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه وقال : هم سواء » .

كما جاء فى الحديث الصحيح المشهور وفى حديث صحيح آخر : « فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، الآخذ والمعطى فيه سواء » .

النقطة الأخيرة :

قال فضيلته : إن التحديد الذى اعتبرناه علة لتحريم التعامل مع الأفراد لا يصلح أساساً لتحريم التعامل مع المصارف لعدم وجود أى ضرر عليها منه .

ومادامت علة التحريم فى التعامل مع الأفراد ـ وهى الضرر ـ غير موجودة فى التعامل مع

المصارف فيكون الإيداع فى المصارف وأشباهها من المؤسسات وتقدير ربح منها ، محدد مقدماً حلالاً غير حرام ، مادامت تستثمر الأموال فى أعمال جائزة شرعا .

قلت : بينت من قبل علة التحريم وليست هى التحديد ولا الضرر .

ولكن نقف هنا عند ختام حديثه : فبكل المقاييس والشروط والعلل التى ذكرها هو نفسه تعتبر الفوائد التى يحددها البنك فى حالة الإقراض ، ويأخذها من الأفراد المقترضين ، من الربا المحرم شرعا . والبنك كما عرفه الاقتصاديون : هو المنشأة التى تتاجر فى الديون ، فهو يقترض بفائدة حددها ، ليقرض بفائدة أكبر حددها البنك أيضا ، وليس المقترض من الأفراد .

ولولا الفائدة التى يأخذها لما استطاع أن يحدد الفائدة التى يعطيها .

والمقترض إن لم يربح يطالبه البنك بالدين والفوائد ، وإذا تأخر عن موعد الأداء يطبق عليه القاعدة الجاهلية المشهورة : إما إن تقضى وإما أن تربى ، وإذا اقترض الأفراد للاستهلاك الضرورى لا للتجارة يلزمون بالقرض وفوائده .

وإذا نظرنا إلى الميزانية الختامية لأى بنك نجد أن دخله أساسا من الفرق بين فوائد القروض التى يأخذها والفوائد التى يعطيها ، بل نجد البنوك بعد أن وصلت إلى مايعرف بمرحلة خلق النقود ، تقرض مالا تملك ، وما لاوجود له ، وتأخذ فوائد عليه ، فهى تقرض أكثر مما لديها من ودائع ، وهذا أمر يعرفه رجال الاقتصاد ، ولذلك فإن الفوائد التى تأخذها البنوك أسوأ من ربا الجاهلية بكثير .

والذى أقرض البنك بفائدة ١٠٪ أقرض البنك أمواله بفائدة ١٥٪ مثلا ، فالبنك إذاً وسيط ربوى بين المقرض والمقترض ، والإقراض فى الواقع للمقترض الأخير ، والبنك هو الذى يحدد كلا من الفائدتين . فالمودع والبنك شريكان فى إقراض الأفراد بالربا ، فكيف يقول فضيلته بأن البنوك تستثمر الأموال فى أعمال جائزة شرعاً ؟ .. إن هذا ينطبق على البنوك الإسلامية فقط ، ولا يستطيع أى بنك إسلامى أن يحدد الأرباح لأنه لا يعلم الغيب ، ولايعرف ما سيحققه من الأرباح ، ولا ماسيصيبه من الخسائر .

نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً ، وأن يجنبنا الحرام .

التأييد بغير الحق :

بعد نشر موضوع الدكتور النمر بأربعة أيام فقط نشر الأهرام كلمة تحت عنوان : « حكم الشرع فى فوائد القروض والودائع المصرفية » لكاتب يدعى : الدكتور جمال مرسى بدر ، قيل إنه أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة نيويورك .

وقال الكاتب : « إنى اتفق مع فضيلته كل الاتفاق فى الرأى الذى قال به ، وإن كنت أقترح تبريراً آخر للوصول إلى النتيجة نفسها .

ثم قال الكاتب بعد هذا : أرى أن هناك منهجا آخر أقرب منالاً وأقوى حجية للوصول إلى الرأى نفسه ، ذلك أن القاعدة فى الفقه الإسلامى أن الأحكام المانعة التى تقضى بالتحريم لا يتوسع فى تفسيرها ولا يجوز سحبها على مالم يرد به النص ومن ثم فإن الحديث الشريف الذى يحرم أى زيادة فى تبادل الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة لا يجوز أن نعتبره منطبقاً على نقود من غير هذين المعدنين » أهـ ..

قلت فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ النص على تحريم قول كلمة اف للوالدين ، أفيقف الحكم عندها ؟ ولا يجوز سحبها على الضرب الذى لم يرد به النص ؟ أو أى لون من ألوان الإيذاء ؟ فمن أين جاء الكاتب إذن بهذه القاعدة ؟

أما الحديث الشريف الذى أشار إليه فهو حديث الأصناف الستة المشهور : روى مسلم فى صحيحه عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه ، عن الرسول ـ ﷺ ، أنه قال : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد . فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » .

قال ابن رشد فى بداية المجتهد (٢/ ١٢٩) : « اختلفوا فيما سوى هذه الستة المنصوص عليها ، فقال قوم منهم أهل الظاهر : إنما يمتنع التفاضل فى صنف من هذه الأصناف الستة .

فهؤلاء جعلوا النهى المتعلق بأعيان هذه الستة من باب الخاص أريد به الخاص ، وأما الجمهور من فقهاء الأمصار فإنهم اتفقوا على أنه من باب الخاص أريد به العام .. الخ .

وجمهور الفقهاء إذن لا يجعلون حكم التحريم يقف عند الأصناف الستة ، وإن اختلفوا فيما يلحق بها ..

وهنا أمر هام وضرورى وهو أن الاختلاف هنا إنما هو فى البيع لا فى القرض ، أما القرض فله حكم آخر أجمعت عليه الأمة ، وبيناه من قبل ، وسيأتى مرة أخرى ، ونذكر رأى أهل الظاهر الذين خالفوا الجمهور فى حكم البيع .

ولو أمكنا التوسع هنا لتحدثنا عن المنطوق والمفهوم ، وبينا المراد بمفهوم الموافقة ، ومفهوم المخالفة ، وأيهما ينطبق على النقود الورقية . وهذا الموضوع تناولته بالتفصيل فى كتابى « النقود واستبدال العملات دراسة وحوار » وأثبت بالأدلة المختلفة أن أحكام النقود لا تقف عند نقود عصر التشريع ، بل هى باقية ما بقيت النقود . بعد أن قدم الكاتب هذه القاعدة غير الصحيحة انتقل إلى ماهو أبعد من هذا ، حيث قال : « ولهذا فرق الفقهاء بين النقود بالخلقة ، وهى الذهب والفضة فقط ، وبين النقود بالاصطلاح ، وهى ماعدا ذلك . ولما ظهرت فى بلاد الإسلام العملات المسكوكة من المعادن الخسيسة كالنحاس أو البرونز أجمع الفقهاء على أن حكم الربا لا يسرى عليها فأجازوا مثلا أن يقرض زيد عمرا ألف قطعة نقدية من النحاس مشترطا عليه أن يردها ألفا ومائتى قطعة ولم يقل أحد من الفقهاء القدامى من مختلف المذاهب أن المائتى قطعة الزائدة تعتبر من قبيل الربا . ولما كانت النقود الورقية هى المثل البارز للنقود بالاصطلاح ، فإن القاعدة التى طبقها القدامى على غيرها من النقود بالاصطلاح تنطبق على النقود الورقية من باب أولى وأحرى ، ولذلك لا تكون الفوائد فى عصرنا هذا من قبيل الربا المحرم » أ هـ ..

قلت : هذا هو المنهج الذى رأى الكاتب أنه أقرب منالاً وأقوى حجية للوصول إلى أن الفوائد ليست من الربا المحرم ، وللأسف الشديد أن هذا منهج لا يعتمد على أصل صحيح أو قول صادق .

انظر مثلا إلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما الدرهم والدينار فما يعرف له حد طبعى ولا شرعى ، بل مرجعه إلى العادة والاصطلاح ، وذلك لأنه فى الأصل لا يتعلق المقصود به ، بل الغرض أن يكون معياراً لما يتعاملون به . والدراهم والدنانير لا تقصد بنفسها ، بل هى وسيلة إلى التعامل بها ، ولهذا كانت أثماناً .. والوسيلة المحضة التى لا يتعلق بها غرض لا بمادتها ولا بصورتها يحصل بها المقصود كيفما كانت » (انظر مجموع الفتاوى جـ ٢٩ ص ٢٥١) .

واقرأ معى ماجاء فى المدونة الكبرى للإمام مالك (٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) :

(قلت) : أرأيت إن اشتريت فلوسا بدرهم فافترقنا قبل أن يقبض كل واحد منا ؟ (قال) لا يصلح هذا فى قول مالك ، وهذا فاسد . قال لى مالك فى الفلوس . لا خير فيها نظرة بالذهب وبالورق ولو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نظرة .

(قلت) : أرأيت إن اشتريت خاتم فضة أو خاتم ذهب أو تبر ذهب بفلوس فافترقنا قبل أن نتقابض أيجوز هذا فى قول مالك ؟ (قال) لا يجوز هذا فى قول مالك : لإن مالكا قال : لا يجوز فلس بفلسين ولا تجوز الفلوس بالذهب والفضة ولا بالدنانير نظرة . (ابن وهب) عن يونس بن يزيد عن ربيعة بن ابى عبد الرحمن أنه قال : الفلوس بالفلوس بينهما فضل فهو لا يصلح فى عاجل لآجل ولاعاجل بعاجل ، ولا يصلح بعض ذلك ببعض ، إلا هاء وهات . (ابن وهب)

قال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد وربيعة أنهما كرها الفلوس بالفلوس بينهما فضل أو نظرة ، وقالا : إنها صارت سكة مثل سكة الدنانير والدراهم (ابن وهب) عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن أبى حبيب وعبيد الله بن أبى جعفر قال :

« وشيوخنا كلهم إنهم كانوا يكرهون صرف الفلوس بالدنانير والدراهم إلا يدا بيد (قال ابن وهب) قال يحيى بن أيوب ، قال يحيى بن سعيد : إذا صرفت درهما فلوسا فلا تفارقه حتى تأخذها كلها » أهـ ..

ومع هذا نأتى مثلا إلى الحنفية القائلين بخلقة النقدين ، فنراهم فى الفلوس الرائجة وهى العملة النحاسية ـ يحرمون بيع فلس بفلسين ويقولون : « لأن الفلوس الرائجة أمثال متساوية قطعا لاصطلاح الناس على إهدار قيمة الجودة منها ، فيكون أحد الفلسين فضلاً خالياً عن العوض مشروطا فى العقد وهو الربا » (انظر شرح العناية على الهداية ومثله فى شرح فتح القدير ٦/١٦٢) .

ومن الفقهاء من أجاز بيع الفلس بالفلسين إذا كانت الفلوس غير رائجة ، أى تباع باعتبارها قطعاً من النحاس وليست نقوداً . ولا نريد أن نقف هنا لأن الخلاف فى حكم البيع وليس هذا موضوع البحث ، وإنما البحث يتعلق بالقرض ، وهو موضع إجماع بلاخلاف كما سنبين لاكما ذكر الكاتب .

وماذكره الكاتب من أن الفقهاء أجمعوا على جواز اشتراط المقرض على المقترض أن يرد مقداراً زائداً على القرض مادام هذا من النقود غير الذهبية أو الفضية ، وأن الفقهاء القدامى من مختلف المذاهب لم يقل أحد منهم أن هذه الزيادة المشروطة تعتبر من قبيل الربا هذا القول بعيد كل البعد عن الفقه ويكفى لنقضه ما نقلته آنفا من المدونة الكبرى وفتح القدير ، وقد نص الحنفية على أن الزيادة من الربا ، ويزيد هذا تأكيد النصوص التالية :

قال الإمام مالك فى المدونة (٤/ ٢٥) : « كل شىء أعطيته إلى أجل فرد إليك مثله وزيادة فهو ربا » .

وقال الدردير فى الشرح الصغير مع بلغة السالك (٢/٢٣) : وإن بطلت معاملة من دنانير أو دراهم أو فلوس ترتبت لشخص على غيره من قرض أو بيع ، وتغير التعامل بها بزيادة أو نقص ، فالواجب قضاء المثل على من ترتبت فى ذمته إن كانت موجودة فى بلد المعاملة .

وقال أيضا (٢/١٠٦) : « ورد المقترض مثله قدراً وصفة أو رد عينه إذا لم يتغير فى ذاته عنده » .

وقال ابن رشد الجد فى مقدماته (ص٥٠٧) : « وأما الربا فى النسيئة فيكون فى الصنف الواحد

فوائد القروض والبنوك

وفى الصنفين . أما فى الصنف الواحد . فهو فى كل شيء من جميع الأشياء ، لا يجوز واحد باثنين من صنفه إلى أجل من جميع الأشياء » .

وقال الإمام الشافعى فى كتاب الأم (٣/٢٨) : « ومن سلف فلوسا أو دراهم أو باع بها ثم أبطلها السلطان فليس له إلا مثل فلوسه أو دراهمه التى اسلف أو باع بها » ..

وقال الشيرازى فى المهذب : ويجب على المستقرض رد المثل فيما له مثل لأن مقتضى القرض رد المثل (المجموع شرح المهذب ١٢/١٨٥) .

وقال النووى فى روضة الطالبين (٤/٣٧) : « ولو أقرضه نقداً فأبطل السلطان المعاملة به فليس له إلا النقد الذى أقرضه » .

وقال ابن قدامة فى المغنى (٤/٣٦٤) : « المستقرض يرد المثل فى المثليات سواء رخص سعره أو غلا أو كان بحاله » .

وفى مجلة الأحكام الشرعية وهى فى الفقه الحنبلى جاء فى المادة (٧٥٠) : إذا كان القرض فلوسا أو دراهم مكسرة أو أوراقا نقدية فغلت أو رخصت أو كسدت ولم تحرم المعاملة بها وجب رد مثلها .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لايجب فى القرض إلا رد المثل بلا زيادة » .

وقال : « وليس له أن يشترط الزيادة عليه فى جميع الأموال باتفاق العلماء ، والمقرض يستحق مثل قرضه فى صفته » .

مجموع الفتاوى (٢٩/٥٣٥) .

وأهل الظاهر الذين وقفوا عند الأصناف الستة فى البيع لم يخرجوا على الإجماع فى القرض .

قال ابن حزم فى المحلى (٨/٤٦٢) : ولايجوز فى القرض إلا رد مثل مااقترض لا من سوى نوعه أصلا .

وقال فى موضع آخر (٩/٥٠٩) : والربا لا يجوز فى البيع والسلم إلا فى ستة أشياء فقط فى التمر والقمح والشعير والملح والذهب والفضة .

وهو فى القرض فى كل شيء فلا يحل إقراض شيء ليرد إليك أقل ولا أكثر ولا من نوع آخر أصلا لكن مثل ما أقرضت فى نوعه ومقداره على ماذكرنا فى كتاب القرض من ديواننا هذا ، فأغنى عن إعادته وهذا إجماع مقطوع به . هذا كلام الفقهاء السابقين ، وهذا إجماعهم الذى يحكيه ابن تيمية وابن حزم : فالزيادة المشروطة محرمة فى القرض فى كل شيء ، أى لا يشترط أن يكون من الأصناف الستة أو مايلحق بها .

وفي مناقشاتى السابقة للدكتور النمر بينت أن الزيادة المشروطة علي القرض محرمة بالكتاب والسنة والإجماع ، وأن هذا من المعلوم من الدين بالضرورة ، فكيف يأتى هذا الكاتب لينسب للفقهاء خلاف ما ثبت عنهم ويقول بأنهم أجمعوا على حل ما علم تحريمه من الدين بالضرورة ؟

وينتقل الكاتب من تقوله على الفقهاء ما سبق ليقول بأن ماطبقوه على النقود الاصطلاحية ينطبق على النقود الورقية ، ولذلك لاتكون الفوائد فى عصرنا هذا من قبيل الربا المحرم ..

وقد رأينا إجماعهم على أن الزيادة المشروطة فى القرض فى النقود من غير الذهب والفضة بل فى كل شيء تعتبر من الربا المحرم والنتيجة تكون حتما عكس ماانتهى إليه هذا الكاتب .

وأضيف إلى إجماع السابقين ماانتهت إليه كل المجامع الفقهية من أن النقود الورقية نقد قائم بذاته له ما للذهب والفضة من الأحكام .

وما جاء بأقوال هذا الكاتب من أن القرض يرد بقيمته الحقيقية لا بقيمته العددية ، وأن الدنانير الذهبية والدراهم الفضية فى القرض كانت ترد بالوزن لا بالعدد نتيجة التآكل أو نقص

الوزن فيمكن أن يقرض مائة ويأخذ مائة وخمسين ، ولم يقل أحد من الفقهاء السابقين أن الخمسين الزائدة تعتبر من الربا المحرم .

قلت : يكفى للرد ذكر بعض ماجاء فى كتب الفقة حسبما سبقت الإشارة إليها .

وقد ذكرت من قبل قول الدردير : « ورد المقترض على المقرض مثله قدراً وصفة » .

وقال الصاوى فى شرحه لقول الدردير : « فالواجب قضاء المثل ، أى لو كان مائة بدرهم ثم الفا بدرهم أو بالعكس ، وكذا لو كان الريال حين العقد بتسعين ثم صار بمائة وسبعين وبالعكس ، وكذا إذا كان المحبوب بمائة وعشرية ثم صار بمائتين أو بالعكس وهكذا » (بلغة السالك٢/٢٣) .

وجاء فى المدونة (٨/٥٣) :

قلت : أرايت إن أتيت إلى رجل فقلت له سلفنى درهم فلوس ففعل ، وفلوس يومئذ مائة فلس بدرهم ، ثم حالت الفلوس ورخصت حتى صارت مائتا فلس بدرهم ؟ قال أى الإمام : إنما يرد مثل ما أخذ ولا يلتفت إلى الزيادة وقال ابن قدامة فى المغنى (٤/٣٥٦) ؛ وإن كانت الدراهم يتعامل بها عدداًفاستقرض عددا رد عدداً ، وإن استقرض وزنا رد وزنا .

وقال فى موضع آخر (٤/٣٦٤ ـ ٣٦٥) : « ولو أقرضه تسعين دينارا بمائة عددا والوزن واحد ، وكانت لا تنفق فى مكان إلا بالوزن جاز ، وإن كانت تنفق برءوسها فلا ، وذلك لأنها إذا كانت تنفق فى مكان برءوسها كان ذلك زيادة ، لأن التسعين من المائة تقوم مقام التسعين التى اقرضه إياها ويستفضل عشرة ، ولا يجوز اشتراط الزيادة ، وإذا كانت لاتنفق إلا بالوزن فلا زيادة فيها وإن كثر عددها » .

ثم قال بعد هذا : المستقرض يرد المثل من المثليات سواء رخص سعره أو غلا أو كان بحاله ... وأما رخص السعر فلا يمنع ردها سواء كان كثيراً مثل إن كانت عشرة بدانق فصارت عشرين بدانق أو قليلا لأنه لم يحدث فيها شيء إنما تغير السعر فأشبه الحنطة إن رخصت أو غلت : فى هذا وماسبقه الكفاية وهل الكاتب أراد من هذه الدعوى أن يصل إلى موضوع مثار منذ سنوات وهو أن الفوائد عوض عن التضخم ومعلوم أن الفائدة فى مقابل الزمن ، وليس التضخم ، والمرابون يأكلون الربا حتى لو زادت قيمة العملة المقترضة ، ولو كانت مرتبطة بالتضخم لوجب رد الأقل من القرض وليس الأكثر عند ارتفاع قيمتها ولوجب النص على أن الزيادة أو النقصان يرتبط بقيمة النقود من حيث الارتفاع أو الانخفاض ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، بل إن القوانين الوضعية التى تحكم أعمال البنوك الربوية تبين أن الفوائد مرتبطة بالزمن ، وأن القرض يرد بمثله عدداً لا بقيمته ومن نصوصها :

« إذا كان محل الالتزام نقودا التزم المدين بقدر عددها المذكور فى العقد دون أن يكون الارتفاع قيمة هذه النقود أو لانخفاضها وقت الوفاء أى أثر » .

(انظر الوسيط للسنهورى ١/٣٨٧ ، وانظر شرح هذه المادة من القانون المدنى ، ومايتصل بها) ومن المعلوم أن خلق البنوك للنقود ساعد على التضخم .

وإن تعجب فعجب ختام كلمة هذا الكاتب حيث يقول :

فليتق الله الذين يريدون إلغاء الفوائد بدعوى أنها من الربا المحرم هكذا ينهى كلمته الباطلة وهو وأمثاله قد قالوا من قبل . إن ودائع البنوك تدخل فى شركة المضاربة الإسلامية ، والفوائد أرباح حلال غير حرام .

فلما سفه رأيهم ، وظهر خطؤهم واضحاً

←

فوائد القروض والبنوك

جلياً ، وثبت جليا من واقع عمل البنوك وقوانينها أن ودائع البنوك عقد قرض شرعا وقانونا ، اعترفوا بأن الفوائد فوائد قرض لا مضاربة وكان عليهم أن يرجعوا إلى الله عز وجل مستغفرين تائبين ، بعد أن أحلوا إحدى الكبائر الموبقات ، والتحريم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، ومن المعلوم من الدين بالضرورة ولكنهم تمادوا فى خطئهم ، فخطوا خطوة أقبح من الأولى ، وأحلوا الحرام البين .

ثم يأتى هذا الكاتب فى جرأة نادرة فيعتبر تحليل هذا الحرام البين من تقوى الله .. ويدعو المجامع الفقهية وخيرة العلماء الذين بينوا حرمة الفوائد كما حرمها الله عز وجل إلى تقوى الله بالتوقف عن الدعوة إلى إلغاء الفوائد ..

وأحب أن أذكر الكاتب بأن الإمام البخارى ذكر فى كتاب الإيمان من صحيحه حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه » .. الخ .

وجعله البخارى تحت باب فضل من استبرأ لدينه .

قال الحافظ بن حجر : قوله باب فضل من استبرأ لدينه :

كأنه أراد أن يبين أن الورع من مكملات الإيمان ، فلهذا أورد حديث الباب فى أبواب الإيمان . فإذا كانت فتوى تحريم الفوائد قد استقرت كما بينا ، أفتكون التقوى بارتكاب هذا الحرام البين أم باجتنابه ؟ ولو سلمنا جدلا بأن هذا ليس من الحرام البين ، أفيمكن أن يقول أى فقيه بأنه ليس من الشبهات ؟

وعندئذ تكون التقوى الأخذ بقول الرسول ﷺ : « فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه » ، وليست التقوى الاجتراء على الشبهات فضلا عن الحرام .

كما أحب أن أذكر بقول الرسول ﷺ فيما رواه الدارمى فى سننه : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » .

ثم ذكر هذا الكاتب أن رأيه يؤيده فتوى صدرت من فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر وقت أن كان مفتياً للجمهورية وذكر رقم الفتوى وتاريخها .

وبالبحث عن هذه الفتوى فيما نشرته دار الإفتاء (الفتاوى الإسلامية) تبين أن هذه الفتوى واردة فى المجلد العاشر رقم ١٢٩٧ ـ ص ٣٥٥٢ من مجموع الفتاوى الإسلامية التى أصدرتها دار الإفتاء المصرية ونشرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، وقد انتهت الفتوى إلى أن مبادلة الذهب بالذهب يقتضى التساوى فى القدر أى الوزن دون نظر إلى العدد فى الموزون لعلة الثمنية .

ولم تتعرض هذه الفتوى لما تقوله السيد الدكتور الكاتب فيمانشرته له الأهرام فى الكلمة المشار إليها آنفا ، ولاتفصح الفتوى تصريحاً أو تلميحاً إلى تناقص القيمة الحقيقية للنقود فى هذا العصر ، أو مايسمى بتآكل الدنانير والدراهم .

ثم الحديث عن موضوع التضخم والاستعاضة عنه بالفوائد وماجاء بهذه الفتوى مؤيد بأقوال الفقهاء التالية والسابق ذكرها .

قال ابن قدامة من قبل : « وإن كانت الدراهم يتعامل بها عددا فاستقرض عددا رد عددا وإن استقرض وزنا رد وزنا » .

وما ذكره أيضا فى موضع آخر : « ولو أقرضه تسعين ديناراً بمائة عدداً والوزن واحد ، وكانت لا تنفق فى مكان إلا بالوزن جاز . وإن كانت تنفق برءوسها ـ أى بالعدد ـ فلا ، وذلك » .. الخ .

ومعلوم بداهة أن النقود الورقية يتعامل بها

عددا لاوزنا ، وأماالقيمة من حيث الرخص والغلاء فقد سبق قول الفقهاء : « المستقرض يرد المثل من المثليات سواء رخص سعره أو غلا أو كان بحاله » ..

هذا ويبدو أن فضيلة الدكتور الشيخ النمر مازال مصرا على استمرار العرض فقد عاد إلى طرح الموضوع بجريدة (أخبار اليوم) الصادرة فى ١٥/٧/١٩٨٩ الذى أضاف فيه إلى ماسبق نشره بالأهرام (حسبما جاء فى مقدمة هذا المقال) . إن مجمع البحوث أخذ برأيه ، أن شهادات الاستثمار ليس فيها استغلال فليس فيها ربا .

وواقعة الحال كما هى ثابتة فى محاضر لجنة البحوث الفقهية ولدى الإدارة المختصة بالبنك الأهلى - شهادات الاستثمار - حسبما أخبرنى عدد من السادة أعضاء تلك اللجنة قد بحثوا تصحيح التعاقد فى هذه الشهادات الوارد فى القرارات الوزارية المنظمة لإصدارها وتوقف الأمر من جانب مندوبى البنك الأهلى حيث لم يقبلوا التصحيح الذى عرضته اللجنة .

ومن ثم فإن ماجاء بالمقال الأخير من أن المجمع وافق على رأى فضيلة الدكتور بشرعية فوائد هذه الشهادات خلاف الواقع ، وأنها ماتزال محل البحث ، أو على الأقل التوقف من جانب البنك الذى يريد أن يلوى العلماء النصوص الفقهية المشار إليها وأسانيدها الشرعية لتجرى مع مايريد دون أن يفكر رجال البنك فى النزول عند حكم الشرع .

ثم أعاد فضيلة الدكتور النمر فى ذات المقال الأخير موضوع تحديد ربح القرض والوديعة الاستثمارية وردد موضوع خلو التعامل مع البنك من الاستغلال ، وكأن عليه ربا الزيادة هو الاستغلال مع أن هذا غير صحيح إذ الاستغلال ليس علة منصوصة ولا مستنبطة تدخل فى نطاق العلة المنضبطة حسبما سبق تحديد معنى العلة التى تجرى مع الحكم الشرعى وجودا وعدما .

وما ألمح فضيلته من أن الحكمة قد يبنى عليها الحكم ، وما ذهب إليه في كتابه الاجتهاد ترجيحا لهذا الفهمْ لا يتسع المقام لبيان مخالفته للقواعد المتفق عليها للاجتهاد وأصوله .

وقد عجبت من تبرير عمل المصارف والتوجيه إلى أنها تستثمر أموال الإيداع التى لديها فى أعمال مشروعة وإنتاجية ، وأعتقد أن المعلومات التى قدمت لفضيلة الدكتور عن عمل البنوك التجارية قد شابها الكثير من التدليس ، إذ أن عمل هذه البنوك هو الاتجار والوساطة فى الإقراض والإقتراض فهى تعمل على توليد النقود نقوداً مع أنها عقيم لا تلد لو أغلقت عليها الخزائن ، وإنما ولادتها الشرعية تكون بالاستثمار المباشر فى أعمال إنتاجية ، زراعية وصناعية وتجارية .

أما التوليد العقيم غير المشروع فهو هذه الفوائد التى تأخذها من الإقراض ثم تعطى القليل منه للمقرض - أصحاب الودائع . -

ومن عجب مرة أخرى أن يقول فضيلة الدكتور النمر أن البنك لم يطلب من الناس أن يقرضوه فهلا قرأ إعلأنات الإغراء الصادرة عن البنوك المختلفة بالدعوة إلى الإيداع لديها بفوائد منشورة - ومحددة ، أليس هذا طلباً ودعوة إلى المزيد من التعامل بالربا ؟ والتى تمتلىء بها الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والجوائز التى رصدها ..

وماذكره فضيلته فى ختام مقال أخبار اليوم من أن هيئة كبار العلماء (فى أى جهة لم يقل) قد

فوائد القروض والبنوك

وافقت على جواز الإيداع لدى شركات الكهرباء والنقل الجماعى لحاجتها إلى السيولة المالية وجعلت ربحاً مقدماً لمن يودع مقداره ١٥٪ ولم يقولوا إنها ربا ، وفات فضيلة الدكتور - إن كان هذا واقعا - أن شركات الكهرباء والنقل الجماعى شركات إنتاجية ذات عمل وليست بنوك توليد نقود بالإقراض بالفائدة .

وأعتقد أن هيئة كبار العلماء التى أشار إليها لابد أن تكون قد وضعت أو أقرت مواصفات عقد الإيداع لدى هذه الجهات حتى لايقع فيها شرط لم يرد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ﷺ .

ولاشك أن هناك فارقاً كبيراً بين هذه الصورة التى أشار إليها عن شركات الكهرباء وشركات النقل الجماعى وبين ودائع البنوك والاقتراض والإقراض المتبادل بينها هو الفارق بين الحلال والحرام .. وفيما تقدم من نصوص الفقهاء التى لايرضى عنها فضيلة الدكتور - كما هو باد فى مقاله الأخير - مايقطع بذلك - ويؤكد الفرق الكبير من البون الشاسع بين الحلال وبين الحرام .. أما ماعرضه فضيلته واختتم به المقال وهو :

ماذا يكون الحكم والموقف لو كتب المصرف وقال ١٠٪ تحت الربح والخسارة ، ماحكم العلماء ورجال المصارف ؟

وليأذن لى فضيلة الأستاذ الدكتور النمر :
إذا كان عمل البنوك التجارية هو التجارة فى النقود بالفوائد المحددة سلفاً ، والتى تدخل تحت ربا الزيادة ، فهل تكون هذه الفوائد من المال الحلال أو أنها الربا المحرم ؟ لأن هذه البنوك لا تتداول المال ولا تستثمره بطرق مشروعة وإنما تتداوله بالربا المحرم بنص القرآن والسنة وإجماع الأمة ، ومن ثم كان هذا السؤال المطروح فى ختام المقال مردوداً لأنه فى الربا الموضوع بنص خطبة الرسول ﷺ فى حجة الوداع ..

وأسترعى نظر القراء الأفاضل إلى أقوال العلماء فى القرض والوفاء به التى سقناها فى الصفحات السابقة وأتلو عليهم قول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَذَرُوا مَابَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَاتَظْلِمُونَ وَلَاتُظْلَمُونَ ﴾ . .

يعلم الناس جميعا أننا تلقينا نظام البنوك السائد من الغرب وهم يستحلون الربا ويصدرونه إلى الناس ، وفى الإسلام أن استحلال الحرام خروج من الإسلام ، وخير للمسلمين أن يصححوا معاملاتهم إسلامياً فيما بينهم دون أن يتأولوا النصوص على غير وجهها ..

والأمل ألا نكون ممن قال الله فيهم فى سورة البقرة : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَاعَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

أسأل الله لنا جميعا أن يعلمنا ماينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يجنبنا الزلل فى القول والعمل .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

الائتمان في البنوك التجارية
وآثاره الربوية

بقلم : أ.ح
د. فوزي محمد طايل

أشرنا في مقال الشهر الماضي عن الفوائد الربوية في البنوك التجارية وَثَمَّةَ ظاهرة أخرى تنشأ عن عمليات الإقراض (البنكية) تسمى «خلق الائتمان» DEPOSIT CREATION وهي عملية مالية اقتصادية معقدة بعض الشيء : فعلى الرغم من ادعاء كل بنك تجاري على حدة أنه لا يستطيع أن يقرض سوى جزء مما يحوزه من ودائع ، فإن الحقيقة تخالف ذلك ، فأي «نظام مصرفي» في العالم يتعامل بالإقراض «بفائدة» يمكنه - عملا - أن يوسع من نطاق القروض التي يمنحها بما يعادل «أضعاف الودائع الأصلية» (الحقيقية) التي تودع في ذلك النظام المصرفي .

ولتبسيط الأمر وتوضيحه نفترض أن البنك (أ) تلقى وديعة قدرها ١٠٠٠ جنيه ، وأن القانون يفرض أن تُودع البنوك التجارية ١٠٪ من الودائع التي تصلها في البنك المركزي كاحتياطي قانوني ، فإن البنك (أ) المذكور سوف يستطيع أن يقرض ٩٠٪ من الوديعة (الحقيقية) ، أي : يقرض ٩٠٠ جنيه بوضع هذا المبلغ تحت تصرف المقترض .

قد يقوم المقترض بسحب هذا المبلغ فيودعه بنكا آخر «ب» إلى حين استخدامه في الغرض الذي اقترض من أجله .. وهنا يقوم البنك (ب) بإرسال ١٠٪ من مبلغ الـ ٩٠٠ جنيه هذا إلى البنك المركزي كاحتياطي قانوني ويقرض الـ ٩٠٪ أي ٨١٠ جنيهات إلى شخص ثالث .

قد يقوم المقترض الجديد بسحب مبلغه (٨١٠ جنيهات) التي اقترضها ليودعها بنكا ثالثا (هـ) .. وهذا الأخير يفعل مثل سابقيه .. وهكذا .

وقد لاحظ علماء الاقتصاد (الربويون) هذا الأمر فوضعوا له «قانونا» مؤداه أنه بدخول وديعة (حقيقية) إلى الجهاز المصرفي المذكور فإنه يمكن إجراء سلسلة من القروض (الربوية) المتوالية تبلغ قيمتها (عشرة أضعاف) الوديعة

(الحقيقية) فى مثالنا هذا ، وهذا القانون كما يلى :

$$١٠٠٠ \times \left(\frac{١}{١ - \frac{٩}{١٠}} \right) = \frac{١ \times ١٠٠٠}{\frac{١}{١٠}}$$

$$= ١٠ \times ١٠٠٠$$

$$= ١٠٠٠٠ \text{ جنيه .}$$

هذه المبالغ التى تم خلقها من الهواء «Out of thin air» يعتمد النظام المصرفى فى خلقها على مجرد اطمئنان الأفراد على ودائعهم ، وعلى ثقتهم فى الجهاز المصرفى !

فالبنوك التجارية وهى تتلقى الودائع ، وتمنح القروض ، وتخصم الأوراق التجارية (الأسهم والسندات) ، وتسعى إلى تحقيق أكبر ربح ممكن ، إنما تقوم «بخلق الائتمان» بطريقة تلقائية ، يحكمها القانون المذكور ؛ فالوديعة المبدئية (الحقيقية) ينشأ عن تداولها بتلكم الكيفية مجموعة من (الودائع المشتقة) ، وفى نفس الوقت يزداد الاحتياطى القانونى لدى البنك المركزى بمناسبة كل عملية إيداع .

وإذا كانت هذه هى الفكرة الرئيسية فإن الأمر يحتاج إلى مزيد من البسط والإيضاح :

١ ـ من المنطقى أن كل مقترض لن يقوم بإيداع كل ما اقترضه فى الجهاز المصرفى وإنما قد يستخدم جزءا منه فى غرض استثمارى أو استهلاكى ، وهذا القدر يطلقون عليه «تَسَرُّباً» Leakage ، وهذا قد يقلل من القدرة على خلق الائتمان فتصبح فى مثالنا تسعة أضعاف أو أكثر قليلا أو أقل قليلا .

٢ ـ عادة ما يحتفظ كل بنك تجارى بسيولة نقدية لمقابلة الطلبات العادية للسحب اليومى تكون فى حدود ٢٪ أو أقل قليلاً فى حالة ارتفاع سعر (الفائدة) ، وزيادة ثقة الأفراد فى النظام المصرفى .

٣ ـ قد يفرض البنك المركزى (وهو بنك الحكومة) احتياطياً كبيراً يودع لديه قد يصل إلى ٢٥٪ من الودائع فى حالات عدم الاستقرار الاقتصادى .. فإذا طبقنا القانون سالف الذكر فإن «خلق الائتمان» سوف يكون مساويا :

$$١٠٠٠ \left(\frac{١}{١ - \frac{٧٥}{١٠٠}} \right) = ٤٠٠٠$$

جنيه أى أربعة أضعاف الوديعة (الحقيقية) .

ومع أخذ الظروف المذكورة فى الاعتبار ، وغيرها مما هو أكثر تعقيداً فإن اى جهاز مصرفى (ربوى) يستطيع «خلق ائتمان» لا يقل عن أربعة اضعاف قيمة الودائع (الحقيقية) .

والآن نتساءل : ماذا لو أقبل المودعون على سحب ودائعهم بشكل مفاجىء ؟

لقد وقع مثل هذا الافتراض فى الفترة السابقة على إنشاء البنوك المركزية ـ فلم يكن هناك احتياطى قانونى ـ وكانت النتيجة إفلاس البنوك التى واجهت هذا الموقف ، إذ لم تستطع أن تدفع للمودعين قيمة ودائعهم !! وعلى سبيل المثال فقد فشل (٦٥٩ بنكا) أمريكيا فى رد الودائع المستحقة لديهم عند طلبها عام ١٩٢٩ م .

أما بعد إنشاء البنوك المركزية فقد أصبحت تمتلك من الوسائل ما يمكنها من تقليل فرص حدوث مثل هذا الانهيار عند «الطلب الجزئى» ، وإن كان حدوث مثل هذا الأمر مازال «غير مستحيل» not an impossible خاصة فى «الدول النامية» ، وبخصوصية أكثر فى مجال

«العملات الحرة» ، إذ لا يستطيع البنك المركزى أن يوفى بها كلها دفعة واحدة ، كما لا يمكنه إصدار «عملات حرة» كما يفعل فى مثل هذه الظروف إذا كان الطلب على العملات المحلية .

والبنك المركزى ما هو إلا بنك يتعامل فى «الائتمان» شأنه شأن البنوك التجارية ، لكنه مملوك للحكومة ، أو على الأقل تمتلك الحكومة جزءاً كبيراً من رأسماله للسيطرة عليه وتوجيه عملياته ، وضمان تنفيذه لسياستها ، كما أن له وظائف أخرى ، يهمنا منها الآن دوره (كبنك) يتحكم فى «الائتمان» تحكما «كمِيّاً» من خلال تحديده لنسبة الاحتياطى القانونى الواجب أن تودعها البنوك التجارية لديه ، والحد الأدنى من السيولة التى يجب على البنك التجارى الاحتفاظ بها لمواجهة الطلبات اليومية ، كما يحدد سعر إعادة خصم الأوراق التجارية ، ويتعامل فيها ، ويصدر العملات المحلية . وكلها عمليات تتحكم فى «القدرات الائتمانية» للبنوك التجارية ، وتعالج الاضطرابات الاقتصادية التى تنشأ من جراء المعاملات «الربوية» يقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة/ ٢٧٥) .

لئن كان هذا النظام قد لاقى نجاحاً ظاهرياً ـ حتى الآن ـ فى «الدول الصناعية المتقدمة» ، فإنه قد لاقى فشلاً ذريعاً فى «الدول النامية» ، التى تعانى من التضخم المقرون بضعف الإنتاج وقلة حجم الصادرات ، وتعانى غالبيتها من ظاهرة «الركود التضخمى» ويرجع هذا إلى عدة أسباب لعل أهمها :

١ ـ نجحت الدول «الإمبريالية»[1] منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادى فى ربط عملات الدول التى كانت تسيطر عليها (والتى تسمى الآن بالدول النامية) بعملاتها تدريجيا ، بحيث أصبحت العملات الأجنبية هى غطاء عملات الدول النامية (عوضا عن الذهب) ، وأطلق على الأولى ـ العملات الأجنبية ـ لذلك وصف (العمـلات الحرة أو العمـلات الصعبة) ، فأصبحت هى المستودع الحقيقى للقيمة ، وصارت العملات المحلية للدول النامية خاضعة ـ بشكل غير مباشر ـ لقرارات البنوك المركزية للدول «الإمبريالية» ، فصارت «الأجهزة المصرفية» فى الدول النامية تدعم الأجهزة المصرفية للدول الصناعية الكبرى من حيث لا تدرى .

٢ ـ نظراً لضعف القدرات الاستثمارية للدول النامية فإنها تلجأ إلى إيداع قدر كبير من أرصدتها (الحرة) لدى البنوك الأجنبية فى الخارج ، فتدعم هذه الأخيرة وتزيد من قدراتها على «خلق الائتمان» وبالتالى على الإقراض ، والاستثمار ، بل وعلى منح المعونات «المشروطة» .

٣ ـ إن القروض التى تمنحها الدول الصناعية الكبرى للدول النامية هى فى حقيقتها قروض وهمية إذ تحتسب عليها الفوائد من يوم توقيع عقودها ، ثم تحتجز فى البنوك الأجنبية ، ربما لسنوات قبل أن يفرج عنها ، فيعاد إقراضها (بنظام خلق الائتمان) إلى دولة ثانية ، وثالثة ورابعة .

هذا فضلاً عن استهلاك قدر كبير من هذه

←

(١) آثرنا إطلاق هذا الوصف على ما يسمى خطأ (بالدول الاستعمارية) ، لأن اللفظ الأخير لا يدل على حقيقة تلك الدول التى تعمل على استغلال الشعوب ونهب ثرواتها وإذلالها ، واللفظ المستخدم مشتق من كلمة (امبراطورية) بمعنى قهر الشعوب وضمها بالقوة .

الائتمان فى البنوك التجارية

القروض فى تقديم خبرات أجنبية إجبارية غالبا مالا تكون الدولة المقترضة فى حاجة إليها ، ويستخدم ما يتبقى من القرض فى بيع سلع بعينها من خلال «عقود إذعان» تُغْلب فيها الدولة المقترضة على أمرها .. وتلزم الدولة الدائنة - غالبا - الدولة المدينة باستخدام وسائل نقل تابعة للأولى لنقل السلع المباعة ، فلا تكاد الدولة المقترضة تحصل على شىء من أصل الدين .

ولا ينتهى الأمر عند هذا الحد ، بل يتم استيفاء القروض وفوائدها الباهظة فى فترة لاحقة تكون فيها العملة المحلية قد تراجعت بشدة أمام العملة الأجنبية ، وأسعار خامات الدولة النامية انخفضت .. وعند التأخر عن موعد سداد الديون تعاد جدولتها فتضاف الفوائد إلى أصل الدين ، ويصبح الربا أضعافاً مضاعفة .

وبعد .. فهذه إشارة سريعة لنظام «خلق الائتمان» وآثاره . ولنا كلمة أخيرة فإن الله تعالى قد أنزل على رسوله شرعاً متكاملاً ومنهاجاً يحتوى على أسس ودعائم اقتصاد إسلامى صالح لكل زمان ومكان . قال تعالى : ﴿ ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (المائدة/ ٤٨) .. فمن اتبع هدى الله فقد اهتدى ، ومن تنكب الطريق السوى فقد ضل وغوى ، وعلينا أن نذكره بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾ (طه/ ١٢٤) .

إن علماء الاقتصاد المسلمين المؤمنين لمكلفون ببيان المنهاج الاقتصادى الإسلامى والدعوة له ، وترسيخ قيمه فى نفوس الأمة ، حتى لا نضل فنشقى . ولنتذكر جميعاً قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ٢٨١) .

طموحات روحية

تثيرها الهجرة

للأستاذ : عبد الحفيظ فرغلى القرنى

تتجدد ذكرى الهجرة المباركة كل عام وتتجدد معها معانٍ روحية ، تثير فى نفوس المؤمنين إشراقات نحو عالم افضل ، وطموحات لآمال عظمى ، ويودون لو عاد الزمن القهقرى حيث كانت هذه الإشراقات فى متناول الأيدى ، وحيث كانت هذه الطموحات واقعاً يعيشه المسلمون ، يحيون فى ظله ، ويتنفسون عبيره النقى وأريجه الزكى .

عالم اليوم :

فنحن الآن فى عالم متطاحن يموج بالآلام ، ويزخر بالاضطرابات ، وهذه هى الصراعات الدامية فى كل مكان ، وهذا هو المجتمع الذى نعيش فيه قد أصبح مجتمعاً مادياً ، لا يعنى أصحابه إلا بالدرهم والدينار ، ولا يقاس فيه الناس إلا بمقياس الثروة والجاه والترف والاقتناء ، ولا سؤال لهم عن أحد إلا : كم يكسب ؟ وكم يملك ؟ وما منصبه ؟ وما هوايته ؟ إلى غير ذلك من المقاييس المادية التى لا قيمة لها فى نظر الإسلام الذى يقيس الناس بالتقوى والعمل الصالح ، والتى لا تغنى عن صاحبها شيئاً غداً يوم العرض على الله .

مجتمع المدينة المنورة بعد الهجرة :

هذا المجتمع الذى نعيش فيه اليوم لم يكن له وجود يوم هاجر المسلمون مع نبيهم ﷺ إلى المدينة المنورة .

كان المسلمون يعيشون فى ظل وحدة كريمة شعارها الإيثار والوفاء ، واهتماماتهم تدور حول الإسلام ومبادئه وتطبيقه ، ونلتقط من هذه المبادىء مبدأ الإيثار مثلاً ، لنرى كيف طبقه المسلمون فى حياتهم الأولى ، وعاشوا فى ظله الوارف أسعد حياة وأكرمها ، وكيف كانوا جميعاً إخوة أوفياء بررة .

النبى يؤاخى بين أصحابه :

ومنذ هاجر النبى ﷺ إلى المدينة عقد ميثاق الأخوة الصادقة بين المهاجرين والأنصار قائلاً لهم : تآخوا فى الله اثنين اثنين . ثم اتسعت دائرة الأخوة حتى شملتهم جميعاً .

←

طموحات روحية

قال السهيلي ـ في الروض الأنف : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام ، واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله ـ سبحانه ـ ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ـ الأنفال ٧٥ ـ أعنى الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة ، يعنى في التواد وشمول الدعوة .

وقال ابن اسحاق ـ فيما يرويه ابن هشام في سيرته ـ : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال ـ فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل ـ : تآخوا في الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب ، فقال : هذا أخى ، فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلى بن أبى طالب أخوين ..

وكان حمزة أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين ـ وإليه أوصى حمزة يوم أحد ، حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت .

وكان أبو بكر الصديق وخارجة بن يزيد الخزرجى أخوين ، وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجى أخوين .

وكان أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين ..

وهكذا كانت الأخوة على مبدأ الإسلام الذى نسى المسلمون جميعاً في ظله العنصر والأصل والجنس والحسب ..

ماترتب على هذه الأخوة :

وترتب على هذه الأخوة أن كان الأخ يؤثر أخاه على نفسه ، ويقدمه على خاصة أهله وولده وذوى قرباه .

وضرب الأنصار المثل الأعلى في ذلك حتى نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ـ الحشر ٩ ـ .

قال القرطبى في سبب نزول هذه الآية : كان المهاجرون في دور الأنصار فلما غنم ﷺ أموال بنى النضير دعا الأنصار ، وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم وإشراكهم في أموالهم ، ثم قال : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله علىَّ من بنى النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ماهم فيه من السكنى في مساكنكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فقال سعد بن عبادة وسعد ابن معاذ : بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا . وقالت الأنصار : رضينا وسلمنا يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار » . وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً سوى ثلاثة منهم كانوا في حاجة .

هذا المثل من الإيثار الكريم هو الذى يعز وجوده في مجتمع المادة الذى يلفحنا الآن هجيره ويحرقنا لظاه .

إنه مظهر الرحمة والإيمان والحب في الله الذى تهون في سبيله التضحية وتهون الدنيا بأسرها .

ومازالت الذكرى تحفظ لنا من قصص الإيثار مايطمئن النفوس إلى جلال عالم المثل الذى عاشه المسلمون الأوائل ـ رضوان الله عليهم ـ

روى الترمذى عن أبى هريرة ـ والقصة يذكرها القرطبى في تفسيره ـ : أن رجلاً بات به ضيف ، فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه ، فقال لامرأته : نومى الصبية وأطفئى السراج

وقربى للضيف ماعندك .. فنزلت هذه الآية ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . قال الترمذى : هذا حديث صحيح حسن ، وخرجه مسلم أيضا .

وروى هذه القصة ابن كثير أيضا فى تفسيره بأسلوب آخر جاء فيه : حين أصبح هذا الرجل غدا على رسول الله ﷺ ـ فقال له الرسول : لقد عجب الله عز وجل ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانة .

وكذا رواه البخارى والنسائى من طرق عن فضيل بن غزوان .

وقيل :إن هذا الأنصارى الذى ضاف الرجل هو أبو طلحة ، وقيل :إن هذا الضيف كان ضيف رسول الله ﷺ ـ ولم يكن عند النبى ما يقريه به ، فأخذه أبو طلحة وقراه وآثره على نفسه وزوجه وولده .

الإيثار مظهر الوفاء :

ويتصل بالإيثار الوفاء فهما إلفان لا يتخاصمان ، وما الإيثار إلا مظهر الوفاء وإن شئت فقل : هما وجهان لحقيقة واحدة هى الإسلام .

وقد أصبح الوفاء فى عالمنا هذا أندر من الكبريت الأحمر .

ويلتقى مع الوفاء التناصح والتناصر وعدم الغش . فكل هذه المناقب من معين واحد هو معين الإسلام الصافى الذى لا تنضب مكارمه ولا تنتهى مآثره ، وقد جاء ليطهر النفوس ، ويحيى الأرواح وينقى القلوب .

ومن القصص التى تروى فى ذلك ، وهى تثير الغيرة فى النفوس ما يقصه ابن كثير فى تفسيره ، ويرويه الإمام أحمد فى مسنده .

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » .

فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه ، قد تعلق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان فى اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضاً ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى .

فلما قام رسول الله ﷺ ، تبع عبد الله بن عمرو بن العاص الرجل فقال : إنى لاحيت أبى فاقسمت الا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت .

قال : نعم . قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئاً ، غير أنه إذا تَعَارَّ وتقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر .

قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أحتقر عمله ، قلت : ياعبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرار : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة . فطلعت أنت الثلاث مرار .

فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به ، فلم أرك تعمل كثير عمل . فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟

قال : ماهو إلا مارأيت .

فلما وليت دعانى فقال : ماهو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله .

قال عبد الله : هذه التى بلغت بك ، وهى التى لا تطاق .. ورواه النسائى « فى اليوم والليلة » .

إن ما حدَّث به هذا الصحابى الجليل عن نفسه كان صورة صادقة لمجتمع المدينة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها ..

وهو ما نفتقده فى عالمنا اليوم الذى يغص بالغش والخداع والغيرة المذمومة والحسد والحقد والدس والتآمر .

طموحات روحية

المسلمون إخوة فيما بينهم يد على من سواهم :

حقاً كان المجتمع لا يخلو من صراع ، ولكنه لم يكن صراعاً بين المسلمين انفسهم ، ولكنه كان صراعاً بينهم وبين طوائف ثلاث هم أعداء لهم .

فالمنافقون من جانب ، وهم الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر ، وهؤلاء لا يحسبون على المسلمين ، ولكنهم يحسبون على انفسهم ، لأنهم يمثلون قطاعاً كان ومايزال ينخر فى جسم أى مجتمع فى أى مكان وزمان .

والمشركون من جانب آخر ، وهم الأعداء التقليديون الذين أَمَرَ النبى ﷺ صحبه بمفارقتهم إلى المدينة . ولم تنطفىء نار الحقد والكفر والعداوة فى نفوسهم بهجرة المسلمين ، بل ازدادت ضراوة وحدة ، ونشبت معارك ضارية بين المسلمين وبينهم ، ولم تنته إلا بفتح مكة الذى قضى على الكفر نهائياً فى الجزيرة العربية .

واليهود من جانب ثالث ، وقد حسدوا النبى ﷺ - على ما آتاه الله من فضله ، وغذوا الطائفتين الآخريين بالتآمر والأحقاد ..

أما المسلمون فيما بينهم فكانوا مُثلا صادقة كاملة فى الحب والمودة والرحمة والإيمان وقوة العقيدة وبذل الروح والمال فى سخاء وسماحة وأريحية فى سبيل الله .

وقد كان استقبال الأنصار للنبى ﷺ - فى المدينة صورة نادرة للحب ، تعلمنا كيف تكون العلاقة بين المسلمين وقائدهم الأعلى ، وكيف تكون صورة القائد الأعلى كذلك .

ولقد صنع حب المسلمين لنبيهم وفيما بينهم الأعاجيب ، وصنع للإسلام مستقبله المشرق الزاهر .

ماذا يجب علينا ؟

إننا ننظر الآن من خلال خمسة عشر قرنا خلت إلى الهجرة ، ومابذل المسلمون فيها من تضحيات جسام ، فنأسى لما نحن فيه من تواكل وتعادٍ وتقاطع وتصارع فى كل مكان . حتى لا يكاد البيت الواحد الذى تربط أفراده أصرة الرحم يخلو من ذلك الداء الوبيل ، داء الشقاق والنزاع والأثرة والأنانية . وماتزال الصحف اليومية تطالعنا كل صباح بأخبار محزنة عن هذا الصراع .

وماذلك إلا لأن المسلمين بعدوا عن مثلهم ، ونأوا عن موضع العبرة فى تاريخهم ، واستخفوا بما فى تاريخهم من قيم ومبادىء ، وسرت إليهم عدوى المادة من الشرق والغرب ، فصبغت نفوسهم بصبغة قاتمة ، وحولت طريقهم عن منهج الإسلام الواضح صاحب المبادىء الكريمة إلى طريق وعر متعسف ملىء بالأشواك والعقبات ..

فلنقرأ تاريخنا .. ولنستهد أحداثنا مثلها ، ولنُعِر لأخبارنا الأولى آذانا واعية لعلنا نتذكر والذكرى تنفع المؤمنين .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

حكمة التشريع القرآنى

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد أنيس عبادة

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ ﴾ الآية التحريم ٥ .

الموضوع الذى نزلت فى شأنه الآية هو بيان علاقة النبى صلى الله عليه وسلم بأزواجه أمهات المؤمنين وذلك أن عمر رضى الله تعالى عنه اتفق مع جار له من الأنصار على أن يتناوب كل منهما الحضور عند النبى صلى الله عليه وسلم فعمر يحضر يوما وفى اليوم التالى يحضر جاره على أن يلم كل منهما بأخبار اليوم وما ينزل من الوحى على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتشريع والهداية التى يمتلىء بها مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يفوت أحدهما شىء من الأخبار وما يكون من الشئون وجاء الأنصارى - يوما - إلى عمر بطرقات شديدة وكثيرة على باب داره فأفزعته فنهض ليلقى صاحبه فوجده مكفهر الوجه وهاله منظره فابتدره بالسؤال : هل أغارت قبائل غسان من الشام على المدينة غازين وتذكر مع هذا الخاطر أن فرصة جديدة للجهاد فى سبيل الله قد اتيحت وقاطعه جارة ليقول له : إن أمرا أعظم من ذلك كان ، ثم قال : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه[1] وردد عمر فى نفسه أن هذا الأمر كان يبدو وقوعه وأن أول ماكان يلام فى نظره هو ابنته حفصة وهى إحداهن ، وكان يملك أن يمنعها من هذه الفاجعة فأسرع بمصاحبة جاره إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حديث بينه وبين ابنته حفصة فى هذا الأمر منذ أيام قد وقع لعمر بسبب عادى يحصل كثيراً بين الأزواج فقد لطم زوجته وراجعته القول فهم أن يكرر ما وقع فرفعت صوتها قائلة له : لماذا تنكر أن تراجعك زوجتك ووالله إن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم يراجعنه ، وأن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ما تكلمه،وكان عمر يحب النبى صلى الله عليه وسلم فوق حبه لنفسه ، لأنه حب عقل وهو أعظم الحب وما كان يود أن يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حزين وكان عمر كثير الملاحظة لأمهات المؤمنين لتكون كل واحدة منهن موئل راحة ورضا وبعداً عما يكدره ويغير خاطره

(١) راجع القرطبى ٦/٤٤ - ٥٢ ط الشعب .

حكمة التشريع القرآنى

وبذلك كانت موافقاته الوحى أن قال للنبى – صلى الله عليه وسلم مُرْ نساءك يحتجبن فإنه يدخل عليهن البار والفاجر فنزلت الآية راجع البخارى كتاب الاستئذان باب آية الحجاب « ثم خرجت سودة لبعض شأنها فنادى :عرفناك ياسودة وكانت أطولهن » ويقصد بقوله :عرفناك ياسودة أن يكون الحجاب أكثر مما كان عليهن حتى استكثرت ذلك السيدة زينب بنت جحش فقالت ! وإنك علينا يابن الخطاب والوحى ينزل علينا فى بيوتنا .

ثم قال عمر : بعد سماع نبأ صاحبه : قد خاب من فعل ذلك منهن ، وجمع ثيابه عليه ودخل على ابنته حفصة وسألها ! أَتُغْضِبُ إحداكن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى يوم إلى الليل فقالت : نعم فقال عمر : خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله،لا تراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء،ولا تهجرينه وسليني مابدا لك،ولا يغرك أن كانت جارتك هى أَرْضَا منك وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد أهمه أن تطالب ابنته كغيرها ببعض متع الحياة وزينتها،وهذه هى نظرة عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خاتم النبيين ، وهو فى هذا المقام تعلو مكانته وتسمو مهمته فوق كل شىء من زينة الحياة وفتنتها ، ذلك شأن رسول الله ومقامه عند مولاه يقضى بألا ينشغل عن مهمته بهذه الصغائر،وهذا خصوص موقعه من هداية البشرية والصعود بها أعلى الدرجات من طاعة الله،وطلب ما عنده من نعيم لم يخطر على قلب بشر لم تَرَهُ عين ولم تسمعه أذن ولكن أولئك الأمهات-وإن تشرفن بزوجيته لهن-فهن بشر وبحكم البشرية لهن تطلع إلى ما فى الحياة من متع

ولذلك فإنه – صلى الله عليه وسلم – كان يتحمل ما يظهر منهن من ضعف البشر ويغفر لهن ذلك .

وماذا كان ليلة شاع فى المدينة أن الرسول طلق نساءه دون استثناء،وكان عمر فى المسجد مصليا خلف النبى-صلى الله عليه وسلم-فجر اليوم ولم ينتظر الرسول بعد الصلاة بل بادر بعد الصلاة إلى مشربته الخاصة يعتزل فيها،وعاد عمر إلى ابنته فوجدها تبكى بكاءً مراً،وسألها: ما يبكيك يابنتى؟ولحظة رؤيته لها باكية تجمعت على نفسه عوامل الحزن والألم،وهى عوامل لا تكاد تحتمل فى قلبه صاحب رسول الله الذى أحبه حب عقل فإنه أحبه لنفسه وحب أب لابنته التى نالت شرف زوجيتها لخاتم الرسل وخير الأزواج وأعظم الرجال ، وقد نال عمر من هذا الشرف أنه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شاعر بأن ابنته خسرت وخابت لأنهامع الباقيات فى هذه الخسارة مهددات بغضب الله لغضب رسوله أو أوشكن على هلاك .

وقد شعر عمر بالألم يغزو قلبه ويقتحم نفسه من نافذتين : الكبرى ألمُهُ لوحدة النبى صلى الله عليه وسلم،والأخرى:لطلاق ابنته من أكرم زوج ثم حديث بينه وبين ابنته : ألم أكن حذرتك فى ذلك،وكرر الأب السؤال المحزن : طلقكن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وقالت الابنة،التى كادت تخسر أمومتها للمؤمنين،قالت :لا أدرى ماأقول وكأنها تحيل الأب على مكان الرسول ليقف على الخبر،أو ليدلى بدلوه فى إصلاح الأمر ، وجلس عمر يفكر ولكنه عاد إلى المسجد فوجد الكثير من المسلمين باكين قد غلبهم الحزن الطاحن لما حدث لأن ماحدث يهم جماعة المسلمين لأنهم جماعة المسلمين . لأنهم جميعا تهمهم راحة الرسو- وهدوء حياته ليتفرغ للمهمة العظمى وهى الدعوة

إلى الله وأمهات المؤمنين رَبَطْنَ كبار الصحابه برسول الله،وفى الصدارة الشيخان،وهما وزيراه وكان تصور انقطاع السيدتين عائشة وحفصة من بيت النبوة تصوراً يمس أمل الشيخين ويحرم كل منهما شرف الارتباط به صلى الله عليه وسلم .

وسبب هذه المحنة كثرة الأحاديث التى جاءت بهذا الحادث من أوله فرواية تحكى أن النبى صلى الله عليه وسلم أهديت إليه فوزعها على زوجاته فرفضت السيدة زينب نصيبها من الهدية فزادها مثله فرفضت فقالت عائشة : لقد أقْمَأَتْ وجهَك؛ أى أزلته . أن ترد عليه الهدية فقال-صلى الله عليه وسلم : « لأنتن أهون على الله من أن تقمئنى»وكانت العبارة الخطيرة:لا أدخل عليكن شهراً،ثم اعتزلهن فى مشربته . القرطبى حـ ٨ ص ٦٦٦٩ ط الشعب .

التحقيق فى المسالة :

الواقع أن محمدا-عليه الصلاة والسلام-نبى ورسول يوحى إليه،وذلك مقام يرفع الأمهات فوق مستوى البشر المجرد من شرف المصاهرة ، ولكن ملازمة كل واحدة منهن فى صحبة الرسول فى الغزوات أطلعهن على ما يرفل فيه النساء من متاع وحطام فيما يلبسن ويأكلن،وقد أثار فى أنفسهن التطلع إلى ما فى حياة الآخرين،وهن تحت أعظم الرجال ، وأين الملوك والحكام مهما بلغن من مكانة؟ فإنهم دون سيد المرسلين فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن نبياً بالثروة ولم يبعث رسولاً إلى العالمين بالقصور والذهب وإنماهى المكانة التى أعدها الله له فى الجنة ، ففى الجنة نعيم دائم وهو صلى الله عليه وسلم اختار أن يكون نبياً عبداً لا نبيا ملكاً . لقد رفض الجبال من ذهب لعلمه بما هو أولى وأبقى وأعظم ، لقد نسى الأمهات فى لحظة ما أعد لهن معه،ولابد من درس يصلح هذه الغفلة لتبقى لهن المكانة التى أعدت لهن ولم يكن هناك أعظم من الحرمان من الأنس برسول الله-صلى الله عليه وسلم-والسماحة معه واللطف فى المعاشرة لا فى يوم أو أيام فكان الدرس:لا أدخل عليكن شهراً ليوقظ فيهن المثل الأعلى والقدوة الحسنة والكمال اللائق بمقامه ومقامهن معه فطلب عمر أن يستغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال عمر:إن كنت كرهت شيئاً من حفصة فطلقها فأنت والله أحب إلىَّ من أهلى ومالى . فقال الرسول : ياعمر لايؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه « متفق عليه » ، ويتضح هذا عندما رحب عمر للنبى صلى الله عليه وسلم حتى آثر حبه للرسول على نفسه؛ لأن نفس العبد تدعوه دائماً إلى مالا ينفعه ونبى الله يدعوه إلى ماينفعه ، وانصرف عمر من عند النبى-صلى الله عليه وسلم وفى نفسه انه لا يقدر مخلوق على مراجعة النبى ومخالفته فما الظن بمن تهجره اليوم كله إلى الليل لا تكلمه ويتحامل عمر على أمهات المؤمنين من اجل حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ورغبته الدائمة فى أن يكون هادىء البال طيب الخاطر ساكن القلب منشرح النفس بالسكن فى المودة والرحمة،وكان يقترح ويتحمل ما يقال له ويعترض به عليه وربما شعر فى نفسه بالآلام على تدخله فى أمور نساء الرسول-صلى الله عليه وسلم-ويغفر له هذا القصد أنه يريد تخليص حياة النبى المنزلية من شوائب الكدر ومن شبهات الخلاف والنزاع .

وقد شاهده يعتزلهن شهراً ووحدته فى هذا الشهر تعز على عمر وتشغل باله وتكدر صفو من احبه فوق حبه لنفسه التى بين جنبيه فأخذت الأيام تمضى يوماً بعد يوم والحجرات خالية من النور محرومات من لطف العشرة ومشاهدة أنوار

←

حكمة التشريع القرآنى

الرسول وبركات التنزيل ونفحات جبريل بالوحى وغاب عنهن حديثه وبره وحنانه فى طوافه عليهن كل يوم حتى يستقر عند من لها ليلتها وشغفهن جميعاً اللقاء من جديد،وفى الأنفس كم مضى وكم بقى حتى يشرق النور عليهن من جديد ونزلت الآية : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا. وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب (٢٩) .

وأخذ-صلى الله عليه وسلم-فى التخيير فبدأ بالسيدة عائشة،وأفسح لها الاختيار لتستشير أباها،وجاء الجواب بدون أن تستأذن أباها:أريد الله ورسوله والدار الآخرة .. البخارى فى التفسير حـ ٨ ص ٣٧٩ . ثم يمضى النبى الكريم إلى حفصة ويخيرها كما خير عائشة وتسأل ماذا قالت عائشة فاختارت كما اختارت عائشة،ثم إلى بقية الأمهات يخيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة،وتلألأت الأنوار فى الحجرات من جديد ولم تخل العودة الحميدة من ملاحظة وتدلل فلقد كان النطق الكريم لا أدخل عليكن شهراً وقد عاد بعد تسعة وعشرين يوماً،فقالت عائشة : ألم تكن أقسمت على شهر فقد قال : لا أدخل عليكن شهراً وقد أصبحت على تسعة وعشرين يوماً .

قالت انها تعدها عداً ومن التى تمضى عليها نيران الهجر وهجر من .. هجر محمد صلى الله عليه وسلم كريم الأخلاق،المعلم الذى يلقى على الدنيا دروس الإسلام . إن الأمر بمحمد يحمل كل معالم الدين والرحمة صاحب الشفاعة العظمى وإن السعيدات بالزواج هن المعلمات عنه بحقوق الزوجةوواجبات الزوجية وهن اللائى نقلن عنه المبادىء التى سادت الأسرة بما أعطى الله للزوجات من حقوق ، ولقد طبق الله شريعته مع أكمل الرجال وأسعد الزوجات فذقن بذلك الحادث ليعلم بنات جنسها قدر الزوج وفضله . وقال مطمئنا لعائشة: الشهر تسع وعشرون والشهر أيضا ثلاثون !!

ومن حسن الحظ أن شهر الفراق كان تسعا وعشرين،واستقبلت الزوجات الأمهات طلعة البهاء والأنوار فعادت لهن الفرحة التى لا تعوضها زينة الحياة خالية عن عشرة الرسول ولطف حديثه وبركات مكارمه،فكيف هى مع ابتسامة النبوة وإشراق وجهه وانشراح صدره وطيب خاطره عليه صلاة الله وسلامه يا خير خلق الله ولك من الأمهات الحب الكامل:حب العقل والقلب وكل الولاء ولاؤهن بزوجيتك وولاء النبوة الهادية بالشوق الذى أشعله نور وجهك مرحبا يا نبى الإسلام بسماحتك وأهلا بك فى الحجرات التى بذت قصور الملك بالفضل والبركات فيها وعلى الرحب والسعة وفى النفس ما تحمله لك الأمهات السعيدات بعشرتك الموقرات بالانتساب إليك عند الله وعند الناس بأقصى ما ينال مؤمن فى جماعته وقد خففت عنهن فراقك جوارك وأنستهم فى غيابك عن المضاجع سماعهن صوتك تتلو كتاب الله مصليا وداعيا وهاديا فكان صوتك فى آذانهم نغمة شدت أوتارها إلى القلوب الواجفة فاطمأنت وإلى النفوس المضطربة فسكنت وإلى العيون الشاخصة فأزكاها نورك وإلى الوجوه الشاحبة فتوردت آية آية من كتاب الله يتحرك بها لسان الهادى البشير كانت لهن وللمسلمين الغذاء والدواء ..

محمد أنيس عبادة

الفُتُوَّة في القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ:
أحمد عزت محمد البرادعي*

« الفتوة» كلمة يختلف معناها باختلاف المستعملين لها، فهي عند اصحاب التربية البدنية والرياضة الجسمية صلابة اعضاء، وقوة اطراف.

وهي عند رجال « الكشافة » مروءة وإيثار، ومعاونة للغير وخدمة للمجموع.

وهي عند أهل «الفروسية» طائفة من خصال البطولة والسماحة والرقة في المعاملة.

وهي عند « الصوفية » مجموعة من خلال البر والخير، مثل إسقاط الجاه والزهد والرضا ومحاربة النفس والعفو عن زلات الناس ... الخ.

وقد تحدث الأستاذ عمر الدسوقي في كتابه: « الفتوة عند العرب » حديثاً مبسوطاً في الموضوع، مما جعله مرجعاً مهما في هذا المجال.

ومن الخير ـ قبل التعرض لحديث الفتوة في القرآن الكريم ـ أن نتعرف إلى المعنى اللغوي لكلمة الفتوة عن طريق المعاجم.

فنجد القاموس المحيط يقول: « الفَتَاءُ كسماء: الشباب، والفتى الشاب والسخى والكريم ... والفتوة الكرم ».

وفي مفردات القرآن للأصفهاني: « الفتى: الطرى من الشباب، والأنثى فتاة، والمصدر فتاء ».

وفي أساس البلاغة للزمخشري: هذا فتى بين الفتوة، وهى الحرية والكرم. قال عبدالرحمن بن حسان:

إن الفتى لَفَتَى المكارم والعلى
ليس الفتى بمفلّج[1] الفتيان

وقال آخر:

يا عز هل لك في شيخ فتى أبدا
وقد يكون شبابٌ غير فتيان

وتقول العرب: « فتى من صفته كيت كيت، من غير تمييز بين الشيخ والشاب».

ولدلالة مادة (الفتوة) على معنى القوة والثقة والمضاء، اشتق العرب منها كلمة (الفتوى)

←

* الكاتب: مفتش بالأزهر الشريف.

(١) المفلج: الذي لا يثبت على حال.

الفتوة في القرآن الكريم

ومن هنا جاءت هذه العبارة في تفسير المنار : «والاستفتاء في اللغة : السؤال عن المشكل المجهول ، والفتوى جوابه سواء أكان نبأ أم حكماً ، وقد غلب [يعنى اللفظ] في الاستعمال الشرعي في السؤال عن الأحكام الشرعية ، ومن الشواهد على عمومه : ﴿ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ ﴾ وهى مشتقة من الفتوة الدالة على معنى القوة والمضاء والثقة ».

ومن النصوص اللغوية السابقة وأمثالها ندرك أن الفتوة توحى بالقوة ؛ لأن الفتوة هي الشباب ، والشباب عنوان النشاط والاشتداد ، كما ندرك أن الفتوة في أصلها تعني قوة الجسم والبدن ، ثم انتقل معناها إلى بعض الصفات المعنوية ، كحب الخير والأريحية والسخاء ، ثم انتقل معناها عند أهل التصويف إلى حالة نفسية فيها مزاج من صفات سلبية وصفات إيجابية ، ولعل الصوفية هم أكثر الناس حديثاً عن « الفتوة » وعناية بأمرها ، ما بين مقتصد منهم ومسرف ، وقد يكون من الاستئناس نحو البحث أن نعرف جانباً من آرائهم في « الفتوة » وتصويرهم لها:

فابن عربي يحدد عمر « الفتى »ويصف أخلاقه ، فيقول : « الفتى ما بين الثامنة عشرة والأربعين من العمر ، ويتصف بالقوة والأخلاق الحميدة ، ويستخدم قوته في خدمة الله ونصرة الضعيف ، وليس له عدوٌ ، ولكن له حسادٌ ومنافسون[٢] »، ويتوسع في تصويره شعراً فيقول من أبيات له :

إن الفتوة ما ينفك صاحبها
مقدماً عند رب الناس والناس
إن الفتى لـه الإيثار تحلية
فحيث كان فمحمول على الراس
ما إن تزلزله الأهْوَا[٣] بقوتها
لكونه ثابتاً كالراسـخ الراسي
لا حزن يحكمه ، لا خوف يشغلهُ
عن المكارم حال الحرب والباس

ويقول القشيري : « أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره ».

ويقول الكرخى : « للفتيان علامات ثلاث : وفاء بلا خلف ، ومدح بلا جود ، وعطاء بلا سؤال ».

ويقول الوراق : « أصل الفتوة خمس خصال : أولها الحفاظ ، والثاني الوفاء ، والثالث الشكر ، والرابع الصبر ، والخامس الرضا ».

وسئل أبو حفص النيسابورى : هل للفتى علامات؟ فقال : نعم ، من يرى الفتيان ولا يستحى منهم في شمائله وأفعاله فهو فتى .

وسئل البلخى : ما الفتوة فأجاب : حفظ السر مع الله على الموافقة ، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة ، واستعمال الخلق .

ويقول الشبهى : الفتوة حسن الخلق ، وبذل المعروف .

وسئل البوشنجى عن الفتوة فقال : حسن المراعاه ودوام المراقبة ، وأن لا ترى من نفسك ظاهراً يخالفه باطنك .

(٢) طبقات الصوفية.
(٣) أي الأهواء ، حذف الهمز لضرورة الوزن والأبيات من البسيط .. مجلة الأزهر.

وقال البيروني : «حُدَّتِ الفتوة بأنها بِشْرٌ مَقْبول ، ونائل مبذول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف ».

وقال المحاسبى : الفتوة أن تُنصِفَ ولا تُنْصَف.

وسأل مشايخُ بغدادَ أبا حفص النيسابوري عن الفتوة؟ فقال : تكلموا أنتم فلكم العبارة واللسان فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية ، وترك النسبة . فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندي: أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف ، فقال الجنيد : قوموا يا أصحابنا ، وبين أيدينا من أمثال هذه التعريفات عشرات وعشرات ، جمعناها من هنا ومن هناك ، وهي مما يضيق به المقام .

والإسلام يحب الفتوة بمختلف معانيها الطيبة المقبولة ، فهو يحب الفتوة في البدن ، لأنه دين القوة حِسًّا ومعنى ، ويحبها في الخُلُق ، لأنه دين مكارم الأخلاق ، ويحبها في معاونة الناس ، بل يحب أن تكون المعونة من ذى الفتوة معونة قوية موصولة . ومن هنا جاء الحديث في الأضحية يقول : « جذعة أحب إلى الله من هرمة ، الله أحق بالفتاء والكرم » ، والجذعة : الفتية . والهرمة : العجوز . والفتاء : الشباب . والكرم: الحسن[4].

***

وقد تتبعت المواطن التي وردت فيها مادة « الفتوة » في القرآن الكريم ، فوجدتها عشرة مواطن ، ولا حظت أن هذه المادة تذكر في القرآن المجيد بالخير وفي مواضع الخير . وكأن القرآن يرمز بهذا إلى أن شأن الفتيان أن يكونوا دائماً في مواطن الحمد وأماكن الثناء ، وفي ذلك ما فيه من توجيه وتقويم .

يقول القرآن الكريم على لسان قوم إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[5]. والفتى المراد هنا ـ كما هو واضح ـ هو خليل الرحمن وأبو الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام . وقد عقد صاحب « الفتوة عند العرب » فصلا بعنوان « سيد الفتيان ». ثم قال معلقاً على ذلك العنوان : « هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس في وصفنا له عليه الصلاة والسلام بسيد الفتيان تطاول على مقام النبوة الكريم ، فقد قال تعالى في سيدنا إبراهيم : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ .

ويقول التنزيل المجيد عن أهل الكهف : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾[6].

وأنت ترى أن الفِتْيَةَ هنا مؤمنون قد اعتزوا بربهم ، واتجهوا إليه ، واعتمدوا عليه . يقول عنهم القرطبي : « وكان بها ـ أي مدينة افسوس ـ سبعة أحداث يعبدون الله سراً ، فرفع خبرهم إلى الملك ، وخافوه فهربوا ليلاً ». ويقول أيضاً : « فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس ، فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله[7] ، ويوالى القرآن الحكيم قص أمرهم بما يزيده علوا وتكريماً ، فيقول: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

(٤) النهاية لابن الأثير جـ ٢ ص ١٨٣ .

(٥) سورة الانبياء اية ٦٠.

(٦) سورة الكهف آية ١٠.

(٧) تفسير القرطبي جـ ١ ص ٣٥٩.

الفتوة في القرآن الكريم

نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً . هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً . وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً ﴾(8).

وحينما تعرض القرطبي لتفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ . . . ﴾ قال : « أي شباب أحداث ، حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة ، كذلك قال أهل اللسان : رأس الفتوة الإيمان . وقال الجنيد : الفتوة بذل الندى ، وكف الأذى ، وترك الشكوى . وقيل: الفتوة اجتناب المحارم ، واستعجال المكارم . وقيل غير هذا . وهذا القول حسن جداً ، لأنه يعم معنى جميع ما قيل في الفتوة ».

ولما بلغ قوله تعالى : ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ قال : « أي يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع إلى الله تعالى ، ومباعدة الناس ، والزهد في الدنيا ، وهذه زيادة على الإيمان .

ولما بلغ قوله : ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾. قال : « هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته ، وشكروه* لما أولاهم من نعمه ونعمته ، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم ، خائفين من قومهم ، وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء ....»(9)

وهذه عبارات ناطقة بفضل الفتوة ومجد الفتيان ، وشاهدة بتعطير ذكرهم في خير البيان وهو القرآن الكريم :

يقول الله تبارك وتعالى في التنزيل الحميد : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾(10) .

وفي هذه الآية تكريم لهؤلاء الفتيات المؤمنات وترغيب فيهن ، وقد أشار إلى ذلك السيد رشيد رضا ـ عليه الرحمة والرضوان ـ حيث تحدث عن وصف الإماء هنا بالفتيات فقال : « وفي التعبير عنهن بهذا اللقب إرشاد إلى تكريمهن ، فإن الفتاة تطلق على الشابة ، وعلى الكريمة السخية ، كأنه يقول : لا تعبروا عن عبيدكم وإمائكم بالألفاظ الدالة على المِلْك ، بل بلفظ الفتى والفتاة المشعر بالتكريم ، ومن هنا أخذ مُبَلِّغُ القرآن ومُبَيِّنُهُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : (ليقل أحدكم عبدي وأمتى ، ولا يقل المملوك : ربي . ليقل المالك : فتاى وفتاتي ، وليقل المملوك : سيدى وسيدتي ، فإنكم المملوكون ، والرب هو الله عز وجل . رواه الشيخان ».

ويقول القرآن الكريم : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ﴾(11) وقد قيل : إن الفتى هو (يوشع بن نون) ، وإنما قيل له : فتى ؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه ، وقيل : كان يأخذ منه العلم ، وهما

(8) سورة الكهف آية ١٣ ـ ١٦ .

* مجلة الأزهر

(9) تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦.

(10) سورة النساء آية ٢٥ .

(11) الكهف آية ٦٠ .

أمران يشرفان ؛ لأن خدمة النبي عمل كريم ؛ ولأن طلب العلم مقصد عظيم ، وقيل : إن الفتى هو (يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم السلام)، فهو إذن من سلسلة النبوة ، وأكْرِمْ بالفتوة إذا تحدرت من هذا النبع الطهور .

وإذا كان فتى موسى قد نسي الحوت ، وقال عن نفسه : ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَه﴾ فإن البيضاوى يعلل هذا النسيان تعليلاً مشرفا »، فيقول : « ولعله نَسِيَ ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره[١٢] ، إلى الجانب القدسي بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة ، وإنما نسبه إلى الشيطان هضما لنفسه ؛ أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها ».

ومع هذا أدى نسيان (يوشع) إلى خير مطلوب . ألم يقل القرآن عن موسى عليه السلام :

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ الكهف(٦٤).

ويقول القرآن : ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور (٣٣).

وقد نزلت هذه الآية في عبدالله بن أُبَيّ رأس النفاق ، لأنه أكره جوارى له على البغاء ، وضرب عليهن ضرائب ، فذهبت اثنتان منهن وشكتا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا شك أن هذا التحصن واللجوء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طلبه مما يحمد عليه أهلوه .

هذا حديث الفتوة في القرآن الكريم لا يرد إلا في مجال محمود .. نسوقه إلى شبابنا أملا في الخير وطلباً للحمد .. والله من وراء القصد.

(١٢) شراشره : لفظه الجمع ومعناه الواحد وهو :النفس . جاء في اللسان : الشراشر : النفس والمحبة جميعاً .. وألقى عليه شراشره ، وهو أن يحبه حتى يستهلك في حبه .

النبى عربى صلى الله عليه وسلم

زارنى فى مكتبى بالسفارة ذات يوم على غير موعد كهل وقور يرتدى الملابس الوطنية ، وهى (الجراند بوبو) والطاقية وفى يده عصا يتوكأ عليها ، وقال : إن اسمه (ألفا إيدا حسن مايجا) وأنه يعمل فى المركز النيجرى لأبحاث العلوم الإنسانية ، وأضاف أنه يحفظ القرآن الكريم ، ويقرأ العربية بالإضافة إلى الفرنسية وهو يريد أن أطلعه على بعض كتب الفقه شريطة أن تكون على مذهب الإمام مالك ـ رضى الله عنه .

ورحبت بالضيف كعادتى مع زوارى الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم ، وأعطيته كتاباً أخذه ومضى به إلى أريكة فى ركن الحجرة ليقرأ فيه على مهل ، وطلبت له الشاى وانصرفت لعملى . وبعد لحظات رفع صوته مستفسراً عن كلمة فى الكتاب ، ورفعت بصرى إليه فإذا به قد خلع نعليه ، وتربع على الأريكة فى جلسة مريحة ، وراح يرتشف الشاى وهو فى غاية (الانسجام) ، فابتسمت لمظهره هذا البسيط وأجبته إلى مطلبه ، ومضت ساعة انصرف الضيف بعدها شاكراً واستأذن فى العودة لزيارتى مرة أخرى ...

وبعد أسبوع عاد الأخ مايجا وطلب منى نفس الكتاب أو كتابا آخر لا أذكر ، وصار هذا دأبه معى لعدة أسابيع ، حتى أصبحت زياراته عادة عندى قبل أن تكون عادة عنده هو لذا فقد افتقدته حين انقطع فترة عن زيارتى فقد كان رجلا ، بسيطاً ، وقد أحببته فى الله ... ورحت أسأل عنه ، وإذا بى أكتشف أنه رجل هام جدا ، وأنه المترجم الخاص والصديق الصدوق للرئيس بوبوهاما !! ...

وكنت أعلم أن بوبوهاما من كبار المفكرين ، وقد رأيت عنده يوم زرته فى مكتبه بالبرلمان مكتبة عربية تضم آلاف الكتب القديمة النادرة والتى جمعها من المكتبات القديمة ومن الأهالى الذين كانوا يخفونها من الفرنسيين خشية إحراقها . وقد تمنيت على حكومتى وقتها إيفاد من يستطيع أن يطلع عليها للاستفادة مما فيها من كنوز مجهولة ، وتحدثت بذلك بالفعل مع الدكتور مختار العبادى مستشارنا الثقافى فى مدريد ومدير المعهد الاسلامى هناك ، وكان بوبوهاما عنده نهم للقراءة والاطلاع ، وكان يطمع أن يكون فيلسوف أفريقيا السوداء مثل ليوبولد سنجور رئيس السنغال ، فكتب عن الشخصية الإفريقية وعن الإسلام وعن الاستعمار ، وكان يحضر مؤتمرات الفكر الإسلامى ويناقش فيها آراءه وفلسفته ..

ويوم عاد بوبوهاما من ندوة للفكر الإسلامى فى الجزائر راح يقول لى : إن العلماء العرب هم المسئولون عن تصحيح الفكر الإسلامى ونشر مناهجه لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عربى والقرآن نزل بلغة العرب ، وقال : إن الدول الإسلامية العربية هى القدوة ، وهى المثل الأعلى الذى ترنو إليه الدول الإسلامية غير العربية وتهتدى به .

وأضاف بوبوهاما : أنه يحيى السفارة المصرية « التى ضربت المثل الذى يحتذى فى السلوك الإسلامى الصحيح » ، وقال لى : إن

للسفير جمال الدين محمود أبو العيون

مهمتنا فى افريقيا سهلة وميسرة بإذن الله ، فلدى هذه الشعوب من الشوق إلى الإسلام وإلى اللغة العربية مايجعل التلاقى بيننا وبينهم حميماً وبلا حدود ... يكفى أنهم يشعرون أن الإسلام هو الدين الذى لا يفرق بين الأبيض والأسود ، ولا بين الغنى والفقير ... ويكفى أن بلالا مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام كان منهم ، وأن أسماءهم أسماء عربية سليمة ، وإن كانت محرفة لتناسب لهجاتهم ، وعلى سبيل المثال فإن سومايلا عندهم وهو (إسماعيل » وهاما فى (عبد الرحمن) والزوما (جمعة) والفا (الفقيه) وايدى (إدريس) ولاسانيتى (حسنين) وفاتى (فاطمة) وديجا (خديجة) وهكذا ... وكانوا ينطقون اسم زوجتى أمينتا (أمينة) .

وأحسست بالحسرة الشديدة حين تذكرت أن وزارة الخارجية فى بلد إسلامى كبير مثل مصر تحرص على تلقين الجدد من دبلوماسييها كل شىء عن السياسة والاقتصاد واللغات الأجنبية والسلوك ... وتهمل أهم شىء .. اللغة العربية والشخصية الإسلامية... إن الأفارقة ـ مسلمين أو غير مسلمين ـ يحترموننا مادام الإسلام فينا . قد يسمحون لأنفسهم بالتجاوز فى بعض الفرائض الدينية ولكنهم لا يسمحون بذلك قطعاً للمصرى لأنه مصرى ، والمصرى عربى ، والعربى مسلم ... وقد قال لى أحد الأفارقة ـ ذات ليلة ـ وفى يده الكأس : أنا أشرب ... إذن فأنا مذنب .. وأنا أعترف بذلك .. ولكن أن يشرب السفير (فلان) وهو عربى مسلم فليس هذا من حقه ... إننا ننظر إليكم كمثل أعلى ، فإذا تحطم المثل الأعلى فبمن نهتدى ؟ ..

وتحضرنى هنا واقعة حكاها لى زميل فاضل كان يعمل سفيراً بالخارج ، وحل شهر رمضان فنوى الصيام ، وتصادف أن دعى للعشاء فى سفارة أجنبية . ولما كان العشاء فى الثامنة تماماً ، والمغرب بعد الثامنة بدقائق ، فقد جلس معهم على المائدة وأمامه طبق الحساء ، وظل ـ كما يقول ـ يتشاغل بالحديث إلى جاره وهو محرج حتى مرت الدقائق وصار المغرب فمد يده وبدأ تناول الطعام دون أن يشعر الحاضرون بأنه كان صائماً ... هكذا اعتبر زميلى تصرفه قمة فى الكياسة والدبلوماسية ... وأتساءل وأنا فى دهشة شديدة فيم الحرج ؟ ... يستطيع صديقى أن يطلب من الداعى تأخير العشاء بضع دقائق حين يحين موعد إفطاره ... وسوف يلبى رغبته مسروراً وبدون أى حرج .... ففى الخارج يحترمون جدا الشخصية الملتزمة .... أنا شخصيا لا أوجه دعوات ولا أقبل دعوات فى رمضان وأنا بالخارج إلا أن تكون دعوة إلى مأدبة إفطار ... وأذكر هنا بمزيد من الفخر مسلك كثير من دبلوماسيينا بالخارج الذين يحترمون إسلامهم ويوقرونه ، وأن عدداً من ابناء المشايخ قد وصلوا إلى مراكز السفراء وتقلدوا مراكز مرموقة فى السلك الدبلوماسى ، وفى مقدمتهم أيضا المشايخ حسونة والمراغى وأبو العيون والظواهرى وعبد الرازق واللبان ومخلوف ودراز وعيسى وغيرهم كثيرون ...

وهذا نداء أوجهه من فوق هذا المنبر إلى وزارة الخارجية ، ليس فى مصر فقط ، بل فى سائر الدول العربية والإسلامية ... أن اتقوا الله فى إسلامكم ... وانظروا مافعلته دولة مثل الهند ، وهى دولة غير إسلامية ، من تحريم الخمر فى مآدبها الرسمية ، واذكروا قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . . .

الفتاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فإنه إجابة لما ورد إلى مشيخة الأزهر من استفسارات عما نشر من جواز قتل مريض نقص المناعة الطبيعية « الإيدز » أو عزله عزلاً تاماً حتى يموت - دفعا للضرر - على حد تعبير تلك الاستفسارات .

نقول ، وبالله التوفيق :

إن الله تعالى حرم قتل النفس بغير حق : ثبت هذا بالكتاب ، والسنة الصحيحة ، وإجماع أئمة المسلمين وعلمائهم ، سلفا وخلفا .

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَن لاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ ، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الآية ١٥١ من سورة الأنعام) .

ويقول عز وجلّ : ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً ﴾ (الآية ٣٣ من سورة الإسراء) .

ويقول - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الشيخان : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وعلى هذا فدم الإنسان أى إنسان معصوم لا يجوز إهداره إلا بحق ، كأن يرتكب مايستوجب القصاص أو الحد .

ولم يُبِحِ الإسلام دم المريض إنهاء لحياته فهو معصوم الدم عصمة كاملة ، لا تمس .

ولا يأس من رحْمة الله ، ولا يُستبعد شفاء هذا المريض ، فقد جاء فى الحديث الشريف الصحيح عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : « ياعباد الله تداووا فإن الذى خلق الداء خلق الدواء » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « لكل داء دواء إلا الهرم ، فإذا أصاب الدواء الداء برىء بإذن الله » .

ومن هنا فلا يصح القطع بعدم البرء ، فإن البرء أمر وارد دائماً ، والله قدير ، والأمل فى رحمته سبحانه لا ينتهى ، وقد نهينا عن اليأس يقول الله سبحانه : ﴿ وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

هذا : ويجب أن تتخذ أسباب الوقاية من العدوى ، فقد ورد فى الصحيح :

« فر من المجذوم فرارك من الأسد » لكن لا يصح أن تكون الدعوة إلى الوقاية ، أو يكون الخوف من العدوى سبباً لإهمال المريض أو إيذائه ، أو التقصير فى رعايته ، على مايشير إليه قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « لا عدوى ، ولا طيرة » والمعنى : لا عدوى ، ولا تشاؤم .

إعداد: على حامد عبد الرحيم

والحديثان يدعوان فى الجملة إلى أن تتخذ الاحتياطات المناسبة لمنع العدوى ، ولكن لا يجوز التشاؤم ، أو الفزع من المريض ، مما يؤدى إلى تركه دون خدمته أو معالجة ، اعتذارا بالخوف من العدوى .

ذلك أن المرض قد يصيب الإنسان وإن لم يخالط مريضاً ، وقد يهب الله المرء حصانة مع المخالطة ، كما يدعوان إلى الإيمان بأن الإيمان بأن المرض والشفاء من الله سبحانه .

وبناء على هذا : فإنه من حق المريض أى مريض أن يعالج مع اتخاذ الأسباب المعهودة طبيا للوقاية من العدوى .

ولا يجوز شرعاً عزل المريض عزلاً تاما دون علاج كاف أو رعاية كافية حتى يموت فإن هذا يعنى قصد القتل ، وهو جناية .

وقد نقل الإمام القرافى الإجماع على تحريم قتل المريض مما يسمى اليوم بالقتل يأسا من الشفاء أو يسمى بقتل الرحمة ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ،

شيخ الأزهــــر
(جاد الحق على جاد الحق)

فى الزكاة

س ١ : ما الحكم فى زكاة الأموال المجمدة فى بعض الجهات وقد مضى عليها أكثر من عام .

ع . ى الجيزة

جـ ١ : هذه الأموال المجمدة تعتبر ديونا على الجهة التى جمدتها ، وفى هذه الحالة فإن زكاتها يجب إخراجها على صاحب المال عند زوال التجميد .

وتزكى عن العام الأخير فقط عند الإمام مالك .

النبح للمسكن الجديد

س ٢ : إذا سكن إنسان فى سكن جديد : فكثيراً مانسمع انه يجب عليه أن يذبح ذبيحة . فما الحكم فى ذلك .

سيد مرسى
ـ أبو حماد ـ

جـ ٢ : لم يرد نص صريح بوجوب الذبح لمثل هذه الحالة فليس بواجب على الإنسان أن يذبح ذبيحة عند دخوله مسكنا جديداً .

ولكن إذا كان مستطيعا ، وأراد أن يقوم بواجب الشكر لله المنعم على ما أنعم . وَذَبَحَ وقدم للفقراء فهذا عمل صالح ، نسأل الله قبوله ـ فلا مانع من الذبح ـ مع عدم تلطيخ الجدران بالدم كما يفعل بعض الناس .

من أعلام الأزهر

الشيخ عبد العزيز جاويش

فى نضاله مع المستشرقين

ومع الدارسين فى جامعة اكسفورد

■ **الشيخ جاويش يواجه شبه الدارسين فى بلاد الانجليز :**

أشرنا فى مقالنا السابق إلى أن الشيخ عبد العزيز جاويش سافر إلى انجلترا للمرة الثانية أستاذاً للغة العربية بجامعة اكسفورد حيث شاهد الطلاب هناك نموذجاً حياً للمدرس البحاثة المستنير ، وعز عليهم كما صور لهم تفكيرهم المتأثر بموروثات الصليبيين المضللين أن يكون هذا النابغة الموهوب مسلماً يدين بدين الخرافات والأساطير كما يلقنون فأخذوا يتحلقون حوله فى أوقات الفراغ ويناقشونه فيما يعتقد من الآراء فإذا اتجه الحديث إلى الإسلام أسهبوا فيما يأخذونه عليه من مآخذ فهو فى رأيهم : دين الاسترقاق والعبودية والقتال والسيف وتعدد الزوجات والطلاق ، وأن المسلمين يعبدون محمداً كما يعبد النصارى المسيح ابن مريم ، والمجامل منهم من يرى أنه لا يصلح إلا للقبائل الصحراوية والأمم البدائية فى أزمنة ماقبل العصور الوسطى دون أن يحمل عناصر الرقى للقرن العشرين ومايليه .

■ **إجابات الشيخ جاويش تكشف أباطيل ماكتبه أعداء الإسلام :**

كان الشيخ عبد العزيز جاويش يستمع إلى أراجيف الدارسين وطلبته فى تلك الجامعة الانجليزية ثم يجيب عنها بما يكشف ظلمات الباطل حتى سطعت شمس الإسلام على يده فى عقول الكثير من تلاميذه ولم يكد ينتهى من دحض تلك الأراجيف حتى انطلق أحدهم قائلاً : يخيل إلىّ ، أيها الشيخ ، أن هذا الدين لا ينافى الفطرة فى شىء ، فأجابه الشيخ جاويش بما تذكره من حديث رسول الله ﷺ : إذ يقول : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه **كما تنتج البهيمة بهيمة جماء هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا تجدعونها » وترجمت لهم ذلك الحديث (١) .**

---

(١) أورده الإمام المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الربيع الشيبانى الزبيدى الشافعى فى كتابه تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول فى الفصل الثالث من الباب الثانى من الجزء الأول صفحة ٢٤ ونصه « مامن مولود إلا يولد على الفطرة ، ثم يقول اقرءوا ﴿ فِطْرَةَ اللهِ التى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ فأبواه يهودانه **أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ،** أخرجه الستة إلا النسائى وهذا لفظ الشيخين وللباقين بنحوه ـ طبع فى المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٦ هـ .

وقد جمع الشيخ عبد العزيز جاويش هذه الشبه والرد عليها فى بحث سماه « الإسلام دين الفطرة » تلاه فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد بمدينة الجزائر سنة ١٩٠٥(٣) ، ولا بأس أن نلقى بعض الضوء ولو بصفة موجزة على بعض ماتضمنه من عناصر بما يناسب المقام .

■ **الفطرة والتوحيد** :

يقول الشيخ جاويش : كل إنسان يشعر بفطرته أن ثمة واحداً قد نظم هذا العالم ودبره لا يمكن أن يشابه الممكنات فى شىء من صفاتها فليس بجسم ولا عرض ولا محدود ولا متحيز ولا يستطاع إدراكه إلا بآثاره الشاخصة وهو غير قابل للحلول ولا للصعود ولا للنزول ، إلى ذلك اهتدى الأعرابى بفطرته فقال : البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج كيف لا تدلان على اللطيف الخبير .

فجاء الإسلام مصدقاً لما اقتضته الفطرة السليمة ولم يزد فى الاستدلال شيئاً سوى أن أيقظ العقول ونبهها إلى النظر فى آثار الله تعالى فما عليك إلا أن تتصفح القرآن الكريم فتجد ذلك فى أكثر من آية من آياته ، كما وأن الإسلام فى وصفه الحق وإثباته جاء بما يطابق مقتضى الفطرة والعقل تمام المطابقة أفلاتدبرت قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ

الشيخ عبد العزيز جاويش

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ البقرة ـ ٢٥٥ ، ولقد جمعتنى المصادفة برجل مسلم من الانجليز لم يَرْجُ من إسلامه شيئاً من حطام الدنيا ولا أن ينال جاها يتخذه عدة لنيل شىء من الرغائب السياسية فقال لى : إن فى القرآن الكريم آية لا أمل تكرارها ولا من ترديد النظر فيها ، جاءت فى وصف الله تعالى بما ليس فى استطاعة أحد من أئمة الأديان الأخرى أن يأتوا بها ، ثم تلا تلك الآية الكريمة آية الكرسى .

ويذكر الشيخ جاويش تتميماً لموضوع التوحيد كلمات عثر عليها « للورد ماكولى » وذلك قوله : (إن السواد الأعظم من العامة معظم أفكارهم وقضاياهم إما خيالية أو وهمية أو

←

(٣) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش ـ كتاب الهلال ذو الحجة ١٣٧١ هـ سبتمبر ١٩٥٢ م .

شعرية فلا يكادون يبنون شيئا من مذاهبهم ومعتقداتهم على نظر صحيح وفكر سليم ، ومن هنا نشأت كما يظهر الأديان الوثنية فى كل أمة وفى كل جيل وفى كل زمن فاختلفت لذلك صور الآلهة باختلاف ما صوره خيال معتقديها ، ولطالما أذن فينا التاريخ ببيان ما أدخل اليهود قديماً فى دينهم من البدع مستمسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والإجلال (٣)

■ **القرآن الكريم والفطرة البشرية :**

نزل القرآن الكريم على النبى محمد ﷺ معجزة خالدة أبدية ليؤدى ما قصد منه حسب الفطرة البشرية والسنة الإلهية للهداية من الضلالة والشفاء من الجهالة ، ومازال القرآن إماما يتبع وفيصلاً يحكم فى النوازل ينادى أرباب العقول بتدبر آياته ، ولقد عاش نبى الإسلام ماعاش ثم مضى السلف الصالح من بعده فما سمع أن أحداً منهم فهم من القرآن إلا مايدل عليه من حيث هو كتاب عربى مبين مما يقتضى من المفسرين ألا يكلفوه من التأويل ما يخرجه عن الهدف الذى أنزل لأجله قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٤) .

■ **هل أسس الإسلام على القتال والسيف :**

لهج معظم الأوروبيين بدعوى أن الإسلام لم ينتشر ولم ترسخ قدمه فى عالم الوجود إلا لأنه سعى ، والسيوف أمامه تمهد له السبيل وتذل بين يديه العظماء ، وتلجىء المستضعفين إلى اعتناقه حقنا لدمائهم وصيانة لأملاكهم ، ونسى هؤلاء أن نبى الإسلام لما بعث بالهدى ودين الحق كان يُبَشِّرُ بدعوته إلى من يثق بتوقد فكره وتمكن الإنصاف من قلبه ، فلم يَسُلَّ لتأييد رسالته إلا كلمة الهدى والحجة الفاصلة فدخل فى الإسلام لفيف من أهل مكة غير مهددين ولا ملجئين ولكن طائعين منصفين مدركين الفرق بين ما كانوا عليه من الضلال ، وما أتاهم به هذا الدين الحنيف « من الهدى » ، ولما جهر رسول الله ﷺ بالدعوة سخر منه المعاندون والكافرون ولقى هو والمسلمون أذى ومناوأة واعتسافا فأشار إليهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة ، واستمر هو **ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دعوته ، حتى آمن** بها نفر من قبائل الأوس والخزرج أهل المدينة ، ثم أخذ الإسلام يفشو سريعاً بينهم ، فأجمع المشركون وأتباعهم أمرهم على قتل نبى الإسلام فأذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة فخرج هو وصاحبه أبو بكر الصديق إلى المدينة لينزل فيمن عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، ومن هذا العرض يتبين أنه من بداية دعوة الإسلام حتى تمت الهجرة إلى المدينة وقد بلغت هذه الفترة ثلاثة عشر عاماً لم يشرع فيها قتال أو يمتشق فيها السيف ، ثم شرع القتال دفاعاً بلا عدوان ، قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾(٥) فلما تمالأ على المسلمين غيرهم من قبائل العرب أباح الله لرسوله ﷺ أن يقاتل كل معتد عليه فقال : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾(٦) وقال جل شأنه : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾(٧) وهذا

---

(٣) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش نقلا عن The essay on Milton

(٤) سورة فصلت ٣ ، ٤ .

(٥) سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ .

(٦) سورة التوبة ٣٦ .

(٧) سورة الأنفال ٥٨ .

مايسمى فى زماننا المعاصر بقتال المدافعة عن النفس ، ومع كل ذلك فلقد نهى الله المسلمين عن الاعتداء ولم يبح لهم إلا مقاتلة الظالمين البادئين بمقاتلتهم وهذا مايشير إليه قول الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(٨)

وخلاصة القول أن البصير بالتاريخ يشهد بأن رسول الإسلام لم يسل فى حياته سيفاً لإرغام أحد من الناس على الدخول فى دينه ولكن الهدى هدى الله يهدى به من يشاء من عباده .

■ تعدد الزوجات فى الإسلام وإباحة الطلاق :

حشا الأوروبيون كتبهم طعنا فى الإسلام متمسكين بما قررته شريعته من إباحة التزوج بأكثر من واحدة ، ولو كانوا يعرفون اللغة العربية ويفقهون كتاب الله وقواعده ماستطاعوا أن يلصقوا بالإسلام ماليس من شيمه .

حقيقة جاء القرآن وأباح أن يتزوج المسلم مثنى وثلاث ورباع ولكن الله تعالى شرط لإباحة التعدد وجوب العدل وذلك فى قوله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾(٩) والحكمة فى أن القرآن الكريم لم يصرح بتحريم تعدد الزوجات . أن الله أرسل رسوله للناس كافة بشيراً ونذيراً ولا ريب أن ثمة أحوالاً يحسن أو يجب فيها تعدد الزوجات ولا يمكن لأحد الفرار من الاعتراف بوجود كثير من الأحوال التى تقتضى(١٠) ذلك كإصابة الزوجة بالعقم أو بمرض مزمن وماشابه ذلك ، فتعدد الزوجات أسلم عاقبة من إتيان الفاحشة ، وماجاء به محمد ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل فإن يعقوب وداود عليهما السلام تزوجا كثيراً من النساء وهما الرسولان اللذان لايسع يهودي ولا نصراني إنكار نبوتهما .

وأما عن إباحة الطلاق فبسبب ما قد تدعو إليه الضرورة إلى الفرقة فإذا لم تكن ثمة ضرورة فهو أبغض الحلال إلى الله يقول رسول الله ﷺ : « ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق » وفى رواية أخرى : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »(١١) وهو ، وإن كان حقاً من حقوق الرجل ، إلا أن الإسلام مع ذلك لا يجيز له أن يسىء استعماله فعليه ألا يوقعه إلا حيث يراه الشرع حسنا صالحاً مع تفصيلات كثيرة مبسوطة فى كتب الفقه الإسلامى .

لأنه يعرف أن الإنسان مفطور على البحث عن علل ما تدركه حواسه من الأحداث والكائنات فزاد تلك الغريزة تنشيطاً وإنعاشاً قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١٢) ويقول جل شأنه : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(١٣) فكيف يزعم الزاعمون أنه لا يحمل عناصر الرقى والتقدم ؟ إن القرآن ما انفك يقرع الجامدين على المنقولات المحصورين فى مضايق التقليد فلا يكاد يخلو له مقام من دعوة إلى تدبر وتفكير يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(١٤) .

---

(٨) سورة البقرة ١٩٠ .
(٩) سورة النساء ٣ .
(١٠) أباحت الكنيسة تعدد الزوجات فى أفريقيا .
(١١) أخرجه أبو داود كما جاء فى كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول فى الفصل السابع من الجزء الثالث صفحة ١٦٦ طبع المطبعة السلفية ١٣٤٦ هـ تأليف المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الربيع الشيبانى .
(١٢) سورة البقرة ١٦٤ .
(١٣) سورة الذاريات ٢١ .
(١٤) سورة البقرة ١٧٠ .

■ **الإسلام والرق الحضارى :**

لما كان الإسلام دين الفطرة لذلك نجد القرآن الكريم يسير بالعقل البشرى فى سبيل حرية الفكر ولما كان عقل الإنسان معرضاً للإفلاس والزلل فى معالجة النواحى التشريعية والأدبية والعلمية لذلك جاء وحى الله العليم جامعاً مافيه صلاح شأن البشر وإسعاد حياتهم ، والفطر السليمة فى قبولها له يكون دافعها الطمأنينة إليه والاعتقاد بأنه يسلك بها سبل السلامة والرفعة والرقى .

■ **شريعة الإسلام والرق :**

عندما ظهر الإسلام كان الرق نظاماً معترفاً به بين أمم الأرض فهو من الأوضاع البشرية التى تضرب إلى رواسب الأزمان السحيقة وقت أن كان محض إرادة القوى وسلطانه هو القانون السارى بتسخير غيره من الضعفاء يستخدمه ويستمتع بقواه الجسمية بلا أجر ، فلما كان الإسلام عمل ما وسعه على تحرير الرقيق بوسائل عدة منها .

أولاً : سَوَّى الإسلام بين شعوب الأمم من غير اعتبار لاختلاف أصنافها وألوانها وأجناسها فسوى بين الأبيض والأسود والبدوى والمتحضر والرعايا والمرعيين والرجال والنساء قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١٥) .

ثانياً : لم يبح الإسلام أن يسترق مسلم أصلاً .

ثالثاً : كما وأنه لا يبيح بعد ذلك إلا استرقاق أسرى « حرب شرعية » ، لم تقم إلا لإعلاء كلمة الله تعالى مراعى فيها أن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين على المسلمين .

رابعاً : وقد كرم الإسلام الأسرى فشرع أن كل من أسلم من الأسرى عصم نفسه وماله .

خامساً : جعل الإسلام العتق كفارة لبعض الخطايا ، والحنث فى بعض الإيمان .

سادساً : إن مكاتبة الرقيق مستحبة بالإجماع بين فقهاء الإسلام ، بل إن الإمام أحمد يرى فى بعض مروياته أنها واجبة متى دعا الرقيق سيده إليها .

سابعاً : اتفق الأئمة على أنه لو كان فى يد إنسان غلام بالغ عاقل وادعى عليه أنه عبده فكذبه الغلام ، فالقول قول المكذب مع يمينه أنه حر ، وفى هذه الصورة نرى أن قاعدة « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » قد خولفت مراعاة لحالة الرقيق فجعل الشرع القول للمنكر بيمينه ، ولا يخفى مايدل عليه هذا من شدة حرص المشرع الإسلامى على تحرير الرقاب ما وجد لذلك سبيلاً .

ثامناً : جعل المشرع الإسلامى من مصارف الزكاة العون على عتق الرقاب فيعطى للرقيق المكاتب مايستعين به على فك رقبته وللحاكم أن يشترى العبيد المملوكين ويعتقهم .

سابعاً : لو جاءت امرأة من الرقيق بأولاد من سيدها اعتبرها المشرع الإسلامى أم ولد لا يجوز له أن يبيعها ، وبموت سيدها تصبح حرة(١٦) .

عاشراً : لقد استوصى النبى ﷺ بالأرقاء خيراً فجعل حقوق العبد على سيده كحقوق المترافقين والمتجاورين والمسافرين فلا يجوز للسيد أن يكلف رقيقه مالا يطيق من العمل أو أن يدعوه بألقاب الازدراء والتحقير .

فأين هذا مما كانت عليه حال الأرقاء فى الأمم السابقة على الإسلام كأمة الرومان وشعب اليهود وغيرهم حيث كان الرقيق كسقط المتاع للسادة

البقيـة ص ٨٤

---

(١٥) سورة الحجرات ١٠ .

(١٦) وكثير من الفقهاء يرى أن حمل الأمة يمهد لحريتها ، وكذلك لو أسقطت .

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

عبرة الهجرة

الرسول المهاجر

عبرة الهجرة

ترك الرسول وراءه أمَّ القُرى … لما رأى فيها الضلال مسيطرا
والبطش بالضعفاء سُنَّة حكمها … وسراتها فى الجهل قد بلغوا الذُرا
ورأى أساطين الضلالة سادَةً … لم يتركوا للحق فيها مظهرا
لا يدفعون بغير سيف قالةً … والحرب متجرهم .. وساءتْ متجرا
وسيوفهم فى الصدر تغمد غيلةً … أما السهام .. فتصرع المستدبرا
ورأي قوارينَ التجارة دأبهم … مص الدماء من الفقير إذا اشترى
والناس تنحت ربَّها من صخرةٍ … لا تسمع الداعين منهم أو ترى
والبعض يصنع ربَّه من عجوةٍ … إن جاع يأكله .. ويصنع آخرا
وعبادة الأوثان ديناً سائداً … وعبادة الرحمن أمراً منكرا
والرأي .. رأي الحاكمين .. وغيره … مهما يكن .. رَأْىٌ كريه مزدرى
رفضوا النبى المصطفى .. وهو الذى … كان البشير لهم وكان المنذرا

•••

قد راح ينشر دينه من يثرب … حتى يقوم كما أراد ودبرا
درس بليغ للذى ضاقت به … أرض .. ولم يجد السبيل ميسرا
لابد يهجرها .. لأرض غيرها … ليذيع منها مايشاء وينشرا

•••

وبيثربٍ .. ألفى النبى حفاوةً … بقدومه مع صحبه فاستبشرا
وعلى الوجوه وضاءة من نوره … وعلى الثغور سرى النشيد معبراً :
ياأيها المبعوث .. أنت نبينا … أنت المطاع .. فَعُدَّ مِنَّا العسكرا
إنا .. لك الأنصارُ .. آمَنَّا بما … أوحى إليك الله .. ياخير الورى

•••

فَأَعَدَّ جيشاً لاجباً مُتمرساً … ضم النصير ومن أتى مستنصراً
الكل بالإسلام صاروا اخوةً … وإخاؤهم فى الدين من أقوى العُرَى

شعر: أحمد فهمي خطاب

حمل النصير مع المهاجر رايةً   في ظلها سار الخميسُ مُكَبِّراً :
الله أكبر .. حان يا أم القرى   عود الرسول إلى الجهاد مؤزراً

●●●

عاد المهاجر آزراً ومُؤَزراً   ومضى لمكة فاتحاً ومُحَرِّرا
وأتاه نصر الله والفتح الذى   قد كان حُلماً .. صار صبحاً مُسْفِرا
عاد النبى محرراً لا غازياً   عَوْدَ الحبيب إلى الحبيب مُظَفَّرا
وسعى إلى البيت الحرام مسبحاً   و(مُحَمْدِلاً) و (مُحَوْقِلاً) مستغفرا
من حوله الأخيار .. قد حفوا به   مثل النجوم .. تحوط بدراً نَيِّرا
الله أكبر .. أعلنوا إسلامهم   والله يهدى للحقيقة من يَرى
ووراء خير الخلق .. ساروا جحفلاً   ملأ البطاح .. كأنهم أسْد الشَّرَىٰ

●●●

سَوَّىٰ النبى صفوفهم وأعَدَّهمْ   للسلم أو للحرب جيشاً كاسرا
إن القتال – إلى السلام – وسيلةٌ   إن لم يكن بدٌّ .. وكان المعبرا
ومحمدٌ .. وهو الرءوف بقومه ..   من رحمةٍ .. رَغِبَ السلام وآثرا
فأصار مكة للسلام مثابةً   لم يُبق فيها للصِّدام مُعَسْكرا
نشر السلام على الربوع جميعها   ودعا الأنام إلى الوئام وبشَّرا
وأقر للإنسان أمْناً سابغاً   من بعد خوفٍ قد نفى عنه الكرىٰ
واستنقذ الأنثى التى قد أكثروا   من دَسِّها – من غير ذنبٍ – فى الثرىٰ
وأعاد للأغماد أسياف الرَّدى   ومضىٰ يُفيض من المحبة كوثرا
وعن اللئام عفا .. فلم يقتل ولم   يأسِرْ .. ولم يشهر عليهم خِنجرا
ودعاهم الطلقاء .. إذ قال : اذهبوا   وأراهمُ عفوَ القدير وحَذَّرا

●●●

ودعا إلى الإسلام دعوةَ قادر   وأقام حُجَّته على من أنكرا
لم يدع للإسلام إلا بالحجا   والسيف يدفع عن حماه من اجترا
تلك الحقيقة لامِراء ..وغيرها   محض افتراءاتٍ .. وخابَ من افترى

الرسول المهاجر
صلى الله عليه وسلم

شعر : أحمد المنشاوى الوردانى

ابدر سرى ؟ أم ذا رسول مهاجر ؟ ... بركب يجوب الليلَ والليلُ ساتر
ومن حول هذا الركب قامت ملائك ... تصاحبه فى سيره وتُساير
اجل : أذِن الرحمن ان يترك الحمى ... رسولُ الهدى لا عَنْ قِلىً ويُهاجرُ
ليفتح آفاقاً لِنشر رسالةٍ ... بها ضاق مافونٌ ووغْدٌ وفاجرُ
فيالك من هادٍ تألّبَ قومُهُ ... عليه ، وراموا قتله وهو صابرُ
لقد جئتهم بالحق لكن تمردوا ... وقالوا : امجنون يُطاع وساحرٌ ؟!!
ومانت إلا من سلالة معشر ... تدين لها - فيما تقولُ - العشائرُ
ويرتجف الصديق حين يرى العِدَا ... وقد عظمتْ فى مقلتيه المخاطِرُ
فقال له المعصوم - قولةَ واثق : ... الا ايها الصديق مِمَّ تحاذرُ ؟
على جنبات الغار قامت عناكبٌ ... ومن فتحات الغارِ مُدّت ستائرُ
تحدى كبارَ المشركين نسيجُها ... كأن المنايا من سَداه فواغرُ
وفى كل خيط فى الخيوط صواعق ... وسيقانها منها سيوف بواترُ
إلى يثربٍ حيثُ الصدورُ رحائبٌ ... لأكرم هادٍ والقلوبُ طواهرُ
على كل ثغرٍ فى الوجوه بشاشةٌ ... وفى كل دَربٍ فى الدروب بشائر
يودون لو تُطوى الطريق ليلتقوا ... بأفضل من ترعى خُطاه المقادرُ
وهلَّ إمام المرسلين عليهمُ ... فدوّتْ هُتافاتٌ وغنّتْ حناجرُ
وطافت به الأنصار بيضاً وجوههمُ ... كما طاف بالبدر النجومُ الزواهرُ
لقد خرجوا يَشْدُون ماسَطَر الهوى ... صغارهمُ فى فرحةٍ والاكابرُ
هنالك ارسى للحنيف منارة ... بأنوارها ياتمّ بادٍ وحاضرُ

حرارة الجو

إلى أين ؟

أ. د. أحمد فؤاد باشا

كلما زاد إحساس الناس بحرارة الصيف أو برودة الشتاء تساءلوا عن السبب العلمى لتلك التغيرات الدورية أو الطارئة التى تحدث فى مناخ الأرض .. ويذهب العلماء فى تفسيرها كل مذهب ، فمنهم من يعزى السبب إلى ظواهر النشاط الشمسى ، ومنهم من يشير بأصابع الاتهام إلى تأثيرات النشاط الإنسانى ومصادر التلوث البيئى ، ومنهم من يلجأ إلى افتراض حدوث تغيرات دورية فى هندسة المدار الأرضى أو إلى تفسير طبيعى فى ضوء التاريخ الحرارى للكون .

وسوف نتناول فى هذا المقال ظاهرة الحرارة من حيث مصدرها وطبيعتها واحتمالات ارتفاعها أو انخفاضها فى طبقات الغلاف الجوى ، حسبما تصورها لنا بعض النظريات العلمية الحديثة والمعاصرة .

الشمس مصدر الحرارة :

الشمس نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على خلقه ، هيأها وسخرها لعباده لكى تكون من أهم مقومات حياتهم وقوتهم ، فهى التى تمدنا بالطاقة والدفء والضياء ، وبدونها تنتهى كل مظاهر الحياة على الأرض .. لهذا كان طبيعياً أن تشغل اهتمام الإنسان منذ قديم الزمان .. ويحدثنا التاريخ أن العالم الإغريقى « أرشميدس » استخدم أشعة الشمس فى إحراق بعض سفن العدو وذلك باستخدام دروع الجنود فيما يشبه المرايا الحارقة لتركيز أشعة الشمس على صوارى السفن .. وفى عصر الحضارة الإسلامية درس الفلكيون كلف الشمس الذى تطور فيما بعد إلى علم البقع الشمسية « Solar Spot » كما اهتموا ببحث الظواهر الجوية المختلفة ودراسة أحوالها وتأثيراتها فى أماكن متفرقة من الأرض ، وتوصلوا إلى أن الغلاف الجوى يحيط بالأرض من جميع الجهات إلى ارتفاع يقرب من طول قطر الأرض .

وجاء فى رسائل إخوان الصفا أن توزيع الإشعاع الشمسى على سطح الأرض يتوقف على الموقع

←

حرارة الجو

النسبى للشمس بالنسبة لأجزاء الأرض فى الفصول المختلفة . وفى عصر النهضة الأوروبية الحديثة تمكن العالم الفرنسى « لا فوازيه » من الحصول على درجات حرارة عالية تكفى لصهر الحديد والبلاتين ، وذلك بتركيز أشعة الشمس من خلال جهاز يتكون من عدد كبير من العدسات . ثم توالى بعد ذلك كشف الكثير من المعلومات التفصيلية عن الشمس وحرارتها والظواهر المتعلقة بها . كما ساعد التقدم العلمى « والتقنى » على الارتقاء كثيرا بأجهزة الرصد وطرق القياس والحساب .

والشمس عبارة عن نجم هائل يزيد قطره على المليون وثلث مليون كيلو متر ، وتنشأ الحرارة فى باطنها من الطاقة المتولدة من التفاعلات النووية التى تحدث عند درجات حرارة مرتفعة ارتفاعا كافيا ، حيث تأخذ هذه الطاقة طريقها إلى سطح الشمس ، ثم تنطلق بلا انقطاع إلى الفضاء فى جميع الاتجاهات . ويعترض سطح الأرض قدراً ضئيلا جداً لايزيد على جزء من ألفى مليون جزء من الطاقة الكلية التى تشعها الشمس فى الفضاء ، وذلك لصغر حجم الأرض وبعدها الكبير عن الشمس .

ولكى نتصور المدى الهائل لدرجات الحرارة الموجودة فى الكون يكفى أن نعلم أن درجة حرارة الشمس عند السطح تبلغ ٦٠٠٠ م° ، أى أشد حرارة ستين مرة من الماء المغلى ، بينما تصل درجة حرارتها عند المركز إلى حوالى ١٥ مليون درجة مئوية . وهناك فى الكون نجوم أخرى أسخن من ذلك بكثير ، ويبدو أنه لا حدود لمدى السخونة الممكن حدوثها .

من ناحية أخرى ، توجد مناطق فى الفضاء الكونى بين الكواكب والأجرام السماوية تقترب درجة حرارتها من الصفر المطلق[(١)] . وتشير البيانات التجريبية المتاحة حاليا إلى أن متوسط درجة حرارة الكون بأجمعه ، على أنه يشبه باطن فرن هائل ، يقترب من ثلاث درجات مطلقة .

انتقال الحرارة من الشمس إلى الأرض :

من المعروف أن الفراغ الهائل بين الشمس والأرض لا يحتوى تقريبا على أى جزئيات مادية ، ولذا فإن الحرارة التى تصل إلينا من الشمس لا تنتقل بالتوصيل أو الحمل اللذين يتطلبان وجود وسط مادى ، ولكنها تنتقل خلال الفراغ الكونى عن طريق الإشعاع . فحين يصير جسم ما ساخنا فإن ذراته وجزئياته المتحركة تبعث الطاقة الحرارية على هيئة موجات غير مرئية تسبب الإحساس بالحرارة وتسمى بالأشعة تحت الحمراء Infra - red radiation ويتكون الإشعاع الشمسى الذى يصل إلى الغلاف الجوى من أشعة الضوء المرئى التى نستطيع بواسطتها

---

(١) الصفر المطلق يقل عن الصفر المئوى بمقدار ٢٧٣,١٦°م ، وأى درجة حرارة على التدريج المطلق تزيد نفس المقدار عن نظيرتها على التدريج المئوى . فإذا كانت درجة حرارة الغرفة ، على سبيل المثال ، هى ٢٧°م فإنها تساوى ٣٠٠ درجة مطلقة تقريبا . ومن الناحية العملية ، يستحيل الوصول إلى درجة الصفر المطلق التى تنعدم عندها طاقة الحركة لذرات المادة وجزئياتها ، إلا أن وسائل « التقنية » الحديثة قد مكنت العلماء من إجراء تجارب هامة لاستقصاء سلوك المادة عند درجات حرارة قريبة جدا من الصفر المطلق .

رؤية الأشياء وألوانها بالعين المجردة ، بالإضافة إلى أشعة الضوء غير المرئى المتمثلة فى الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء . ويمكن تحليل أشعة الضوء المرئى خلال منشور زجاجى إلى ألوان « قوس قزح » السبعة وهى : الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلى والبنفسجى . وعندما حاول العلماء معرفة المزيد عن طيف الضوء المرئى بوضع (ترمومتر) عند كل لون يخرج من المنشور الزجاجى وجدوا أن درجة الحرارة ترتفع ارتفاعاً طفيفاً حين يتحرك الترمومتر من الطرف البنفسجى إلى الطرف الأحمر ، ثم تأخذ درجة الحرارة فى الارتفاع بصورة ملحوظة حين يوضع الترمومتر تحت اللون الأحمر مباشرة حيث توجد الأشعة الحرارية غير المرئية (تحت الحمراء) ..

ويحتل الإشعاع الشمسى الحرارى جزءاً صغيراً من المدى الكامل للطيف الكهرومغناطيسى Electromagnetic spectrum الذى تنتشر جميع موجاته بسرعة ثابتة تساوى سرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر فى الثانية) . ولا تختلف مكونات هذا الطيف الكهرومغناطيسى فيما بينها إلا فى أطوالها الموجية ، ويتركز مايقرب من ٩٣٪ من الطاقة الحرارية للإشعاع الشمسى فى نطاق الأطوال الموجية من ٠,٤ إلى ٤٠ ميكرون[٢] . وتجدر الإشارة إلى أن طيف الضوء المرئى يشغل حيزاً ضئيلاً من طيف الإشعاع الحرارى فى المدى من ٠,٤ إلى ٠,٧٥ ميكرون ، لكنه يحتوى على حوالى نصف الطاقة الحرارية الكلية للطيف الكهرومغناطيسى القادم من الشمس .

←

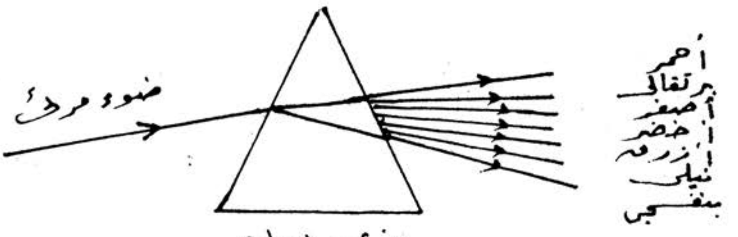

(٩)

(٢) الميكرون يساوى جزءاً من المليون من المتر ، اى ١٠$^{-6}$ متر .

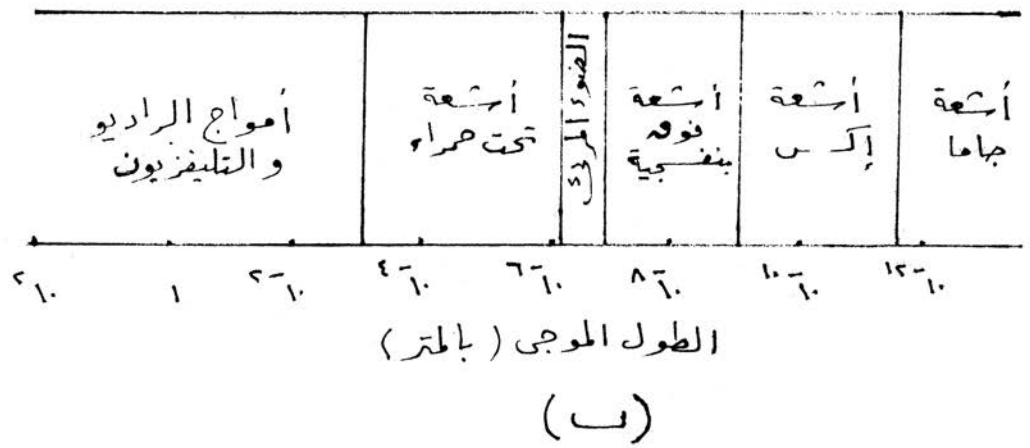

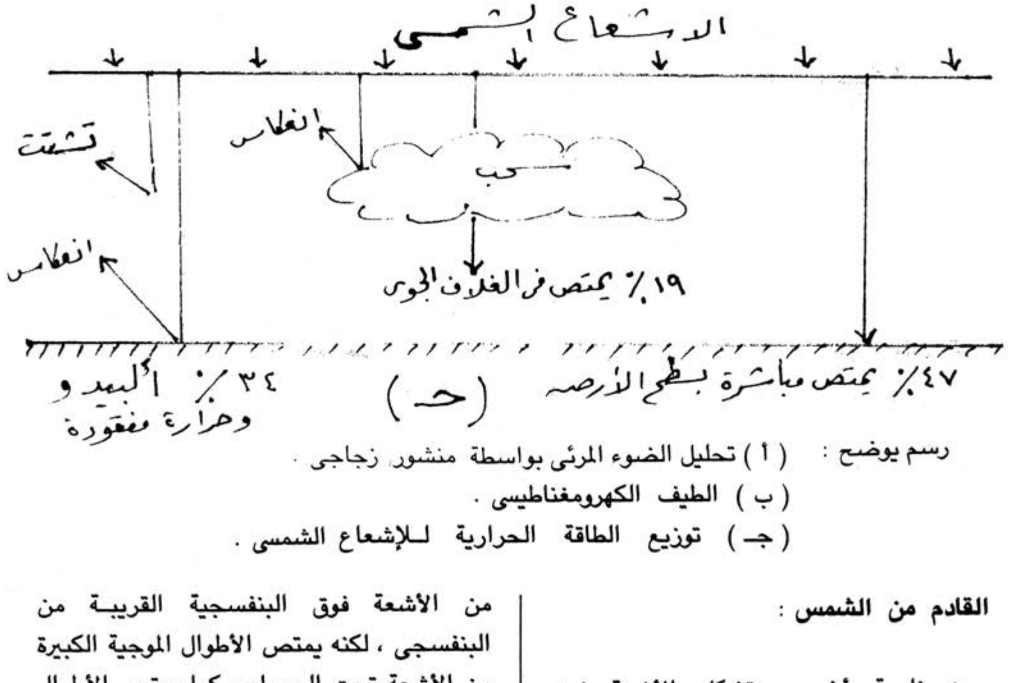

رسم يوضح : (أ) تحليل الضوء المرئى بواسطة منشور زجاجى .
(ب) الطيف الكهرومغناطيسى .
(جـ) توزيع الطاقة الحرارية للإشعاع الشمسى .

القادم من الشمس :

من ناحية أخرى ، تشكل الأشعة فوق البنفسجية ذات الطول الموجى فى المدى من ٠,١٧ إلى ٠,٤ ميكرون نسبة ٧٪ تقريبا من طيف الشمس الحرارى . ويسمح الغلاف الهوائى للأرض بنفاذ ضوء الشمس المرئى وقليل من الأشعة دون الحمراء القريبة من الأحمر وقليل من الأشعة فوق البنفسجية القريبة من البنفسجى ، لكنه يمتص الأطوال الموجية الكبيرة من الأشعة تحت الحمراء ، كما يمتص الأطوال الموجية القصيرة من الأشعة فوق البنفسجية .

وقد أمكن الاستدلال على أن الأشعة فوق البنفسجية القصيرة تسهم فى تسخين الجو على ارتفاع ما بين ٢٠ و ٥٠ كيلومتراً بسبب وجود

جزيئات غاز الأوزون (ورمزه الكيميائى أ٣) الذى يمتص هذه الأشعة ويحرر قدراً من الطاقة الحرارية بعد أن يتفكك إلى مركبتيه : الأكسچين الجزيئى العادى (أ٢) والأكسچين الذرى النشط (أ) ، حسب المعادلة الكيميائية :

أ٣ + أشعة فوق بنفسجية ← أ٢ + أ + حرارة .

ومن فضل الله على عباده أن هذا التفاعل من شأنه أن يسمح فقط بنفاذ الأشعة فوق البنفسجية اللازمة لاستمرار الحياة على الأرض ، بالإضافة إلى أن الطاقة الحرارية المتولدة من التفاعل لازمة لتعويض الفاقد بواسطة الإشعاع الحرارى فى تلك الطبقة من الغلاف الجوى[٣] .

وبصورة عامة ، أوضحت القياسات التى أجراها العلماء أن حوالى ١٩٪ من الإشعاع الكلى القادم من الشمس إلى الأرض يمتص مباشرة بواسطة مكونات الجو والسحب ، وأن سطح الأرض يستقبل حوالى ٤٧٪ من هذا الإشعاع . أما النسبة المتبقية ، وهى حوالى ٣٤٪ ، فتنعكس أو تتشتت بواسطة الجو والسحب وأسطح البحار واليابسة ، ويطلق عليها الفلكيون اسم « القدرة العاكسة » ، وهى تختلف باختلاف طبيعة السطح العاكس وظروفه[٤] .

وتعتمد كمية الإشعاع الشمسى التى تصل إلى مكان ما على عدة عوامل مثل زاوية ميل أشعة الشمس والثابت الشمسى[٥] وطول النهار وغطاء السحب والشوائب العالقة فى الجو وكميات « الألبيدو » المنعكسة أو المشتتة من مناطق مختلفة . لهذا نرى أن هناك تبايناً واضحاً فى مدى درجات الحرارة على سطح الأرض ، حيث تبلغ درجة حرارة أبرد الأماكن حوالى ٨٨°م تحت الصفر المئوى ، بينما تصل درجة الحرارة فى أشد المناطق حرارة على سطح الأرض إلى حوالى ٥٧,٧°م . ولولا وجود الغلاف الجوى للأرض لما حدثت دورة الحرارة المتولدة من الشمس بهذه الصورة الرائعة التى تفى باحتياجات الحياة وتنسجم مع نواميس الكون ،

فتبارك العلى القدير الذى خلق كل شىء بقدر معلوم ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾[٦] صدق الله العظيم .

ولازال للموضوع بقية بإذن الله

أ . د . احمد فؤاد باشا

---

(٣) لمعرفة المزيد عن خصائص الأشعة فوق البنفسجية وأثرها على غاز الأوزون فى طبقة « الأوزونوسفير » ، راجع مقالنا فى مجلة الأزهر ، عدد شوال ١٤٠٩ هـ ـ مايو ١٩٨٩ م .

(٤) يستعمل الفلكيون اصطلاح « القدرة العاكسة Albedo» للدلالة على معدل انعكاس الضوء من سطح ما بالنسبة للضوء الساقط عليه ، وتقاس بأجهزة تسمى الألبيدومترات Albedometers .

(٥) الثابت الشمسى من الثوابت الفيزيائية الهامة ، وخاصة فى موضوع الطاقة الشمسية ، ويعرف بأنه كمية الطاقة الحرارية التى تسقط من الشمس عموديا على وحدة المساحات من سطح الأرض فى وحدة الزمن . وبديهى أن قيمته تتوقف على المكان الذى يقاس عنده ، وأيضا على العوامل الخارجية المؤثرة . وقد وجد أن القيمة المتوسطة لهذا الثابت هى ١٤٠٠ واط لكل متر مربع ، كما امكن بواسطته تقدير درجة حرارة سطح الشمس بحوالى ٦٠٠٠°م .

(٦) سورة إبراهيم « الاية ٣٣ » .

طرائف

« خير الأمور أوسطها »

يروى أن الصديق ـ رضى الله عنه ـ كان يخافت فى صلاته بالليل . ولا يرفع صوته بالقراءة ، وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ يجهر بها ، فسأل رسول الله ـ ﷺ ـ أبا بكر عن فعله ، فقال : من أناجيه يسمع كلامى ، وسأل عمر فقــال : أوقظ الوسنــان [النائم] واطــرد الشيطان ، وأرضى الرحمن ، فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ أبا بكر برفع صوته قليلا ، وأمر عمر بخفضه قليلا .

« رعاية حرمة الصديق »

نزل بعض الخوارج على بعض إخوانه مستتراً من الحجاج ، فشخص المضيف لبعض حاجاته وقال لزوجته : أوصيك بضيفى خيراً !!

وكانت المرأة من أجمل النساء .

فلما عاد بعد شهر ، قال لها : كيف كان ضيفك ؟

قالت : ما أشغله بالعمى عن كل شىء !

ولم يكن الضيف أعمى ، ولكنه أطبق جفنيه ، فلم ينظر إلى المرأة ، ولا إلى منزلها حتى عاد زوجها !!

« الرفق بالحيوان »

من روائع حضارتنا الإسلامية ، هذه الروح الرحيمة التى استظل بظلها الإنسان والحيوان .

● روى أن أبا الدرداء الصحابى الجليل ـ رضى الله عنه ـ كان له بعير ، فلما حضرته الوفاة ، قال يخاطبه : ياأيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك ، فإنى لم أحملك فوق طاقتك .

وكان الإمام إسماعيل الشيرازى يمشى فى الطريق ، ومعه بعض أصحابه ، فعرض له كلب فزجره صاحبه ، فنهاه الشيخ ، وقال له : أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه !

« طرائف لغوية »

لاحظ علماء اللغة ، مابين الحروف والمعنى من مناسبة ، ومما لاحظوه ، أن « الحاء » إذا أتت فى آخر الكلمة دلت على الاتساع والانتشار مثل « ساح » ، « باح » « صاح » ، « شرح » ، « مرح » .

وأن الكلمة المبدوءة بحرف « الشين » تدل على التشتت والتفرق مثل : « شطر » ، « شتت » ، « شعث » ، « شبح » .

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

وأن الكلمة المبدوءة « بالغين » تدل على الغموض مثل : « أغمض » ، « غابت الشمس » ، « غار الماء » ، « غطى الشيء » .

« حب الدنيا »

قال الإمام مالك : حب الدنيا يخرج حلاوة الإيمان من القلب .

وقيل لبعضهم : إن فلاناً كان عابداً زاهداً ثم رجع إلى الدنيا .

فقال له : لا تعجب ممن رجع ، واعجب ممن يستقيم .

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه : الدنيا عدوة أولياء الله ، وعدوة أعداء الله ، أما أولياء الله فأهمتهم ! وأما أعداء الله فغرتهم .

« العائد والمريض »

مرض صديق لحامد بن العباس ، فأراد أن ينفذ إليه ابنه ليعوده ، فأوصاه ، وقال : إذا دخلت فاجلس فى أرفع الموضع ، وقل للمريض : ماتشكو ؟ فإذا قال : كذا وكذا فقل : سليم إن شاء الله ، وقل له : من يجيئك من الأطباء ؟ فإذا قال : فلان ، فقل : مبارك ميمون ، وقل له : ماغذاؤك ؟ فإذا قال : كذا وكذا ، فقل طعام محمود .

فذهب الابن فدخل على العليل ، وكانت بين يديه منارة فجلس عليها لارتفاعها ، فسقطت على صدر العليل فأوجعته ، ثم جلس ، وقال للعليل ، ماتشكو ؟

فقال بضجرة : أشكو علة الموت ، فقال سليم : إن شاء الله ، قال : فمن يجيئك من الأطباء ؟ قال : ملك الموت ، قال : مبارك ميمون .

قال : فما غذاؤك ؟ قال : سم الموت ، قال : طعام طيب محمود .

« أين هو الآن ؟ »

لا شك أن الحياة رحلة تحتاج إلى رفيق ، أو صديق شفيق ، وما أجمل قول الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فى هذا المعنى :

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها
صديق صدوق صادق الوعد منصفا

وقالوا قديما :

تمسك إن ظفرت بذيل حر
فإن الحر فى الدنيا قليل

« دعاء »

اللهم بك توسلت ، ومنك سألت ، وفيك لا فى سواك رغبت ، لا أسأل منك سواك ، ولا أطلب منك إلا إياك .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

سيد الأنبياء

فى شعر: أمير الشعراء

إن حب سيد الأنبياء « محمد صلى الله عليه وسلم » والإشادة بالدين الذى جاء به فطرة فى النفس الشاعرة إذا كانت تَنْتَتِح عن عقيدة سليمة وخلق قويم .

وأمير الشعراء واحد من أعلام الناس الذين يقدرون عظمة الممدوح حق قدرها لعلمهم بقيمتها الفذة فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم هو إلى جانب ذلك يضع نفسه فى منزلتها أمام جاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتفيض شاعريته بتصوير عظمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيمتها الفريدة ، ثم يعرج إلى نفسه فيلتمس لها الرضا والغفران .

يعالج الموضوع أيضاً أستاذ عظيم هو فضيلة الدكتور عبدالحميد عنتر أحد أساتذة كلية اللغة العربية فى الخمسينات ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ يقول : ـ

أعتقد أنه لم يحفل شاعر من شعراء النهضة الحديثة ، فى مصر أو فى الشرق العربى ، بمدح رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلما حفَل بذلك أمير الشعراء أحمد شوقى بك . هنأ الله روحه ، وأمطر جدثه شآبيب رحمته ، وأفاض عليه من سجال رضوانه !

كما أعتقد أن هذه الحفاوة البالغة بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شاعر مُلهَم مجيد ، أثر من آثار محبة هذا الشاعر للممدوح ، ولما جاء به من شريعة مُحكمة ، جمعت إلى التوحيد محاسن الخصال ، ومكارم الأخلاق ، ونظاماً كاملاً للحياة الإنسانية الهنيئة السعيدة !

وقد ظهرت هذه المعانى واضحة جلية فى شعره الذى سنعرض لذكر أبيات منه عند المناسبة . ولئن تأثر شاعرنا فى هذا الغرض الشعرى بشعر مادح رسول الله فى عصر المماليك ، الإمام المحب للحضرة النبوية ، الشاعر الذائع الصيت ، سيدى محمد البوصيرى ، فإن لشعر أمير الشعراء ديباجة شعرية خاصة ، ومعانى خيالية مُلهمة ، وأساليب من السهل الممتنع ،تكاد تضارع أساليب الشعر فى العصر العباسى الأول ! وحسبى أن أورد على دعواى هذه دليلين من أدلة كثيرة أضرب عنها صفحاً لطول الكلام :

أ ـ قال البوصيرى فى مطلع همزيته :

كيف ترقى رُقيك الأنبياءُ
يا سماءً ما طاولتها سماءُ ؟!

وقال شوقى فى افتتاح همزيته النبوية :

وُلد الهُدى فالكائنات ضياءُ
وفُم الزمان تبسمٌ وثناء !

فالقارىء الأديب يحس الفارق الكبير بين

لفضيلة الشيخ :
عبد الحميد عنتر
إعداد وتقديم :
عبد الفتاح حسين الزيات

المعنيين ، ويدرك بوضوح تجلى الروح الشاعرية الفتية فى بيت شاعرنا ، وظهور الحقيقة الواقعية المتسمة ببعض الخيال فى بيت الإمام .

ب ـ قال البوصيرى فى مطلع البرءة ، أو البردة :

أمِن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعاً جرى من مُقلة بدم ؟!

وقال شوقى فى مطلع نهج البردة :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم(١)

المعنى فى بيت البردة مطروق بين الشعراء القدامى والمحدثين ، وهو فى بيت النهج مبتكر جديد ، أودع فى ثوب من جوهر اللفظ قشيب . ومع هذا فإليك ما يقوله أمير الشعراء تواضعاً منه وتأدباً مع الإمام البوصيرى :

يا أحمد الخير لى جاهٌ بتسميتى
وكيف لا يتسامى بالرسول سمى(٢) ؟!
المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم(٣)
مديحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم
وإنما أنا بعض الغابطين ومن
يغبط وليّك لا يُذمم ولا يُلم

وبعد ، فليس هذا المقام مقام موازنة أدبية بين البوصيرى وشوقى ، وإنما هو مقام تجلية المدائح النبوية فى شعر من شهد له شعراء المشرقين بالزعامة والإمارة على جميع شعراء هذا العصر . فلنسر فى هذا الطريق فنقول :

تجلى مدح شوقى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أربع قصائد من قصائده الغر ، جاءت كل قطعة منها صورة فنية رائعة ، تمثل المعانى التى تضمنتها أبدع تمثيل ، وتسمو بقارئها وسامعها من التخييل إلى التحقيق ، حتى كأنه يلمس المعنى من اللفظ بدون كدّ أو عناء !

١ ـ اختير أمير الشعراء ممثلاً للحكومة المصرية فى المؤتمر الشرقى الدولى ، الذى عقد فى مدينة جنيف بسويسرة عام ١٨٩٤ م فأنشد قصيدته الهمزية العصماء ، التى عنوانها : « كبار الحوادث فى وادى النيل » .

وهى تُربى على ثلاثمائة بيت من حُر الشعر وخالص القريض : طرق فيها موضوعات شتى ، ثم أفاض فى مولد المسيح عيسى عليه السلام . وفى هرم دولة القياصرة ، وانتشار الظلم والضلال

←

---

(١) الريم بالياء : أصله الرئم بالهمز ، وهو ولد الظبى ، والقاع : لأرض المستوية . والبان : شجر . والعلم : الجبل .
(٢) من أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام أحمد ، واسم شوقى أحمد ، فهو سمى الرسول ، ويتسامى : يتعالى .
(٣) أى التقدم والمنزلة .

والفساد فى أنحاء العالم شرقاً وغرباً ، وانغماس أكثر الناس فى عبادة الأوثان ، واستيلاء الجهل على النفوس ، حتى أظلم الشرق والغرب ، وعمت الفوضى ، وتطلعت القلوب إلى السماء متضرعة أن تنقذها من تلك الفوضى العاتية ، وأن تبدد عنها ذلك الظلام الحالك ، ثم قال عفا الله عنه :

أشرق النور فى العوالم لما ... بشرتها بأحمد الأنباءُ
باليتيم الأمى والبشر المو ... حى إليه العلوم والأسماء
قوة الله إن تولت ضعيفاً ... تعبت فى مراسه الأقوياء
أشرف المرسلين آيته النطـ ... ـق مبيناً وقومه الفصحاء
جاء للناس والسرائر فوضى ... لم يؤلف شتاتهن لواء
وحمى الله مستباح وشرع الله ... والحق والصواب وراء
فلجبريل جيئة ورواح ... وهبوط إلى الثرى وارتقاء
يحسب الأفق فى جناحيه نورا ... سلبته النجوم والجوزاء
تلك آى الفرقان أرسلها الله ... ضياء يهدى بها من يشاء
نسخت سنة النبيين والرسل ... كما ينسخ الضياءُ الضياءُ

وهاك ماقاله فى إنصاف عمرو بن العاص الذى تولى فتح مصر ، فجلب لأهلها العدل والنصفة ، وجلب للإسلام بها الخير والبركة ؛ وقد أشاد الشاعر بالنيل العظيم ، وأبان بأن من يستولى عليه فقد استولى على قارة أفريقية ، وأن أفريقية يعلو شأنها ، ويستقيم أمرها إذا حرر وادى النيل من منبعه إلى مصبه ، بجلاء الأعداء عن أراضيه ، وأن فى استرقاق النيل رق هذا القسم من اليابسة ؛ وذلك إزراء شائن ، وعيب فاضح !
قال :

فابك عَمْراً إن كنت منصفَ عَمرو ... إن عَمراً لنيّر وضّاء
جاد للمسلمين بالنيل والنيل ... لمن يقتنيه أفريقاء
فهى تعلو شأناً إذا حرر النيل ... وفى رقّهِ لها إزراء

رحم الله أمير الشعراء ! لقد كان وطنيا مخلصاً لوطنه ، قبل أن يكون شاعرا خياليا مجيداً لشعره !

٢ ـ تنقل معى أيها القارىء إلى روضة أخرى من رياض شوقى فى مدح فخر الكائنات ، لترى كيف يكون التفنن فى القول ، ولتعرف مقدرة هذا الشاعر على إبراز شاعريته وإبداع تفننه فى مقام واحد ، بأساليب شتى ، وأفانين مختلفة .

قال من قصيدته فى ذكرى المولد النبوى :

تجلى مولد الهادى وعمت ... بشائره البوادى والقصابا(٤)
وأسدت للبرية بنتُ وهب ... يداً بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجاً منيراً ... كما تلد السموات الشهابا
فقام على سماء البيت نوراً ... يضىء جبال مكة والنقابا(٥)
وضاعت يثرب الفيحاء مسكاً ... وفاح القاع أرجاء وطابا(٦)

(٤) المدن الكبيرة ، ومفردها قصبة .
(٥) جمع نقب وهو الطريق فى الجبل .
(٦) ضاعت رائحة المسك : تحركت ، ويثرب مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأرجاء النواحى مفردها رجا بوزن سبب .

ثم قال مخاطباً الرسول عليه الصلاة والسلام ، يذكر تفرق المسلمين ، وينعى عليهم تضييع سنة الرسول وطريقته المثلى ، وهجرهم أخلاقه وأخلاق أصحابه التى سادوا بها الأمم :

وما للمسلمين سـواك حصن
إذا ما الضُّر مسهم ونابا !
ولو حفظوا سبيلك كان نوراً
وكان من النحوس لهم حجاباً
بنيت لهم من الأخلاق ركناً
فخانوا الركن فانهدم اضطرابا !
وكان جنابهم فيها مهيباً
وللأخلاق أجدر أن تهابا !
فلولاها لساوى الليث ذئباً
وساوى الصارم الماضى قرابا[7]

أظنك أيها القارىء ترى معى أن هذا الشعر غنى بوضوحه عن الشرح والبيان ، وأنه جمع إلى جمال الأسلوب الشعرى فى المديح نصاعة الحكم والنصائح الغالية ، وتدرك منه تجلى روح الشاعر لإبراز محبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومحبة شرعه المحكم وما اشتمل عليه من أخلاق فاضلة !

٣ ـ وهذا نوع آخر من الافتنان السحرى ، والفيض الشعرى الذى يبهرك نوره ، ويفوح من بين ثناياه عبيره ! يحيى به النبى عليه الصلاة والسلام ، ويمتدح شريعته وأصحابه ، قال من همزيته النبوية :

يا خير من جاء الوجود تحيةً
من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
بيت النبيين الذى لا يلتقى
إلا الحنائف فيه والحنفاء[8]
خير الأبوة حازهم لك آدم
دون الأنام وأحرزت حواء
هم أدركوا عز النبوة وانتهت
فيها إليك العزة القعساء[9]
خُلقت لبيتك وهو مخلوق لها
إن العظائم كفؤها العظماء
بك بشر الله السماء فزينت
وتضوعت مسكاً بك الغبراء[10]
وبدا محياك الذى قسماته
حق وغرته هدى وحياء[11]
وعليه من نور النبوة رونق
ومن الخليل وهديه سيماء
أثنى المسيح عليه خلف سمائه
وتهللت واهتزت العذراء[12]
يوم يتيه على الزمان صباحه
ومساؤه بمحمد وضاء !
ذعرت عروش الظالمين فزلزلت
وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب بينهم
خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآى تترى والخوارق جمة
جبريل رواح بها غداء
نعم اليتيم بدت مخايل فضله
واليتم رزق بعضه وذكاء
فى المهد يستسقى الحيا برجائه
وبقصده تستدفع البؤساء

لعلك أيها القارىء ، وقد وصلت إلى هنا ، تحس باستنشاق نسمات معطرة بريا مدح محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى صغره ، وأن الله

←

(٧) الصارم : السيف الماضى القاطع ، وقراب السيف : غمده .
(٨) الحنائف : الطاهرات ، والحنفاء : الذين هم على ملة إبراهيم عليه السلام .
(٩) الحصينة : الثابتة .
(١٠) الأرض .
(١١) ما بين الوجنتين والأنف .
(١٢) مريم أم المسيح عليه السلام .

اختاره من أشرف الرجال وأطهر الأمهات ، وأن أمارات النبوة قد بدت عليه وهو طفل يتيم ، إلى غير هذا مما تبينته فى نفحات أمير الشعراء العطرة !

وهذا روض آخر من الشعر يتعطر الكون كله بشذاه ، وتتسمع الدنيا كلها نغماته الساحرة ، التى تهتز لها أوتار القلوب ، وتحن إلى سماعها النفوس . قال يصف أخلاقه عليه الصلاة والسلام :

بسوى الأمانة فى الصبا والصدق لم
يعرفه أهل الصدق والأمناء
يا من له الأخلاق ما تهوى العُلا
منها وما يتعشق الكبراء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل
يغرى بهن ويُولع الكرماء
أما الجمال فأنت شمس سمائه
وملاحة الصديق منك أياء
والحسن من كرم الوجوه ، وخيره
وما أوتى القواد والزعماء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى
وفعلت مالا تفعل الأنواء(١٣)
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً
لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا غضبت فإنما هى غضبة
فى الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك فى مرضاته
ورضى الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هزةٌ
تعرو النَّدِىّ وللقلوب بكاء !
وتمد حلمك للسفيه مُدارياً
حتى يضيق بعرضك السفهاء

ثم انتقل ـ عفا الله عنه ـ يصف منزلته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العلم ، ويذكر معجزته الخالدة ، وشريعته الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة ، فقال :

يـاأيـها الأمىُّ حَسْبُكَ رتبةً
فى العلم أن دانت بك العلماء
الذكر آية ربك الكبرى التى
فيها لباغى المعجزات غناءُ
نُسخت به التوراة وهى وضيئة
وتخلف الإنجيل وهو ذُكاء
بك يا ابن عبد الله قامت سمحة
بالحق من ملل الهُدى غراءُ
بُنيت على التوحيد وهو حقيقة
نادى بها سُقراط والقدماءُ
ومشى على وجه الزمان بنورها
كُهان وادى النيل والعُرفاء !
لما دعوت الناس لبّى عاقلٌ
وأصم منك الجاهلين نداءُ
أبوا الخروج إليك من أوهامهم
والناس فى أوهامهم سُجناء !
ومن العقول جداول وجلامدُ
ومن النفوس حرائر وإماء !

ثم وجه شاعرنا الخطاب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متخلصاً إلى وصف حال المسلمين ، فقال :

أدعوك عن قومى الضعاف لأزمة
فى مثلها يُلقى عليك رجاء
أدّرى رسول الله أن نفوسهم
ركبت هواها والقلوب هواء ؟!

البقية ص ٧٤

(١٣) الأنواء جمع نوء ، وهو النجم الساقط أو الطالع ، وكانت العرب تزعم أن الأمطار والرياح والحر والبرد من فعلها ! .

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

زينب رضي الله عنها

كتاب الوحوش

لأبى سعيد عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعى
١٢٢ - ٢١٦ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى اله وصحبه اجمعين ، وبعد :

فمنذ صنف الاصمعى كتاب « الوحوش » ، وتوفى عنه تاركا إياه ضمن ثروة فكرية ضخمة ، والكتاب ينتقل من ورّاقٍ إلى آخر ، ومن خزانة كتب فى الشرق إلى اخرى فى الغرب . يجوب الآفاق شرقا وغربا محطماً حواجز الزمان والمكان ، متحدياً كل عوامل الفناء التى التهمت رُكَاماً هائلاً من تراثنا القديم ... حتى تلقفه المستشرق الألمانى رودلف جاير «RuDolf Geyer» ذاك الرجل الشغوف بعلوم العرب فعكف عليه ، ثم قام بنشره فى مجلة «SBWA» العدد ١١٥ ، لعام ١٨٨٨م نشراً يعكس اهتماما منقطع النظير ، وجهداً مشكوراً بذله الرجل .

وبعد فترة تتجاوز القرن من الزمان ، خلالها ظل الكتاب غريب الموطن ، غربى الثياب ، تتحلقه الأعين الخضر والزرق ، وتحتضنه خزائن الكتب بأوروبا ، رأيت أن أعيده إلى موطنه الأصلى ، وأن أنزع عنه تلك القُبَّعَةَ الغربية وذاك الهندام ، وأوشحه بالإزار العربى والسِّرْوَال .

إن ثمة دوافع كثيرة ، دفعتنى إلى تحقيق هذا الكتاب ، والإصرار على إخراجه ، نذكر منها :

ــ أن نشرات المستشرقين لأمهات كتبنا كانت قليلة العدد ، ضيقة الانتشار ، يقتصر تبادلها على علماء الغرب ممن لهم اهتمام شديد بالشرق وعلومه ، ومراكز الاستشراق المتناثرة هنا وهناك بين أصقاع أوروبا ، ومايصاقبها من بلدان وأقطار .

ــ وأن مقدمة « جاير » وتعليقاته صيغتا باللغة الألمانية التى لا عهد لكثير من الباحثين العرب بها .

ــ يضاف إلى هذا وذاك أن « جاير » ـ على سعة علمه ـ وقع فى شىء غير قليل من التصحيف والتحريف والسقط ، وأخطاء الضبط ، وأوهام القراءة ، وسوف نشير إلى هذه الأخطاء فى هوامشنا كلما سنح ذلك .

وبَيْنَا أنا مشغول بالبحث عن نسخ الكتاب الخطية واستجلابها ، وتخريج روايات شواهده

تحقيق الأستاذ
أيمن محمد ميدان*

الشعرية وتحقيقها ، ومناقشة الآراء التى يثيرها الأصمعى وتوثيقها ، أثارت انتباهى إشارةٌ للمستشرق « كارل بروكلمان » فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » تفيد أن نسخة خطية للكتاب فى باريس ، لم يطلع عليها « جاير » ومن ثَمَّ لم يستفد بها فى نشرته .

وعلى الفور سارعت بالكتابة إلى الزميل الأستاذ : عبد الباقى محمد حسين ، المدرس المساعد بقسم الدراسات الأدبية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ والمبعوث إلى جامعة السربون ؛ لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب ، استحثه ضرورة استجلاب مصورة لهذه النسخة الخطية . والله أشهد أن الرجل لم يتردد لحظة ، ولم يتوان برهة .

وماهى إلا بضعة أشهر توالت ، بعدها ثوت المصورة ـ فى رضى ـ بين أصابع يدى ، وراحت عيناى تنقراها بشغف المُحِبِّ ، وتحلق المشوق .. ولَحْظَتها .. ابتسَمتْ فى أعماقى سنوات ثلاث قضيتها أجمع جذاذات هذا الكتاب ، وأحبر بطاقاته ، تارة تنتابنى حالة من التردد حيال إتمامه ، والشك فى جدوى نشره ، وتارة تهيمن علىّ حالة من التفاؤل تدفعنى إلى نفض الغبار عن قصاصاته ، والعكوف عليه مرة ثانية .. إذ ثبت لدى صدق ماذهب إليه « كارل بروكلمان » ، فقد افتقرت نشرة « جاير » إلى فوائد كثيرة وردت فى النسخة الخطية بباريس ، ولم ترد فى نسخته .. يضاف إلى هذا أن نسخة باريس الخطية ـ والتى اعتمدت أصلاً فى نشرتنا ـ تعد أقدم نسخة خطية وصلتنا للكتاب .

وفى النهاية .. فإنِّى لم أضن على هذا الكتاب بوقت أو جهد ، فإن أكن قد وفقت إلى بعض ماصبت النفس إليه ، فذاك فضل من الله وحده ، وإن كان المسعى قد انقطع بى دون إدراك غاية الطريق ، فحسبى أنى أخلصت النِّيَّة ، وبذلت غاية جهدى .

وصف نسخ الكتاب

اعتمدنا فى نشر كتاب « الوحوش » للأصمعى على النسخ الآتية

١ ـ (الأصل) : مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ٣١٣١ وهى عبارة عن ١٩ ورقة ضمن مجموع ، تشغل فيه الأوراق من ١٢١ ـ ١٣٩ ومسطرتها ١٣ سطراً ، فى كل سطر منها نحو ٨ كلمات فى المتوسط ، كتبت بخط النسخ المضبوط ضبطاً كاملاً ، ولا تحمل المخطوطة تاريخاً للنسخ أو اسماً للناسخ .

٢ ـ (نسخة ت) : مخطوطة محفوظة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٣١ لغة تيمور ، مقاسها ٢٤ × ١٧ ، وتقع فى ١٥ ورقة من ٧٥ إلى صفحة ١٠٥ ضمن مجموع يقع فى ٢١٢ صفحة ، ويتضمن الكتب التالية :

١ ـ الشاء ، للأصمعى ص ١ .
٢ ـ الإبل ، للأصمعى ص ١٧ .
٣ ـ الخيل ، للأصمعى ص ٤٣ .
٤ ـ أسماء الوحوش ، للأصمعى ص ٧٥
٥ ـ ماخالف فيه الإنسان البهيمة فى أسماء

(*) المحقق : معيد بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .

كتاب الوحوش

الوحوش وصفاتها لقطرب ص ١٠٦ .

٦ ـ الفرق ، للأصمعى ص ١٢١ .

٧ ـ النبات والشجر ، للأصمعى ص ١٣٩

٨ ـ الدارات ، للأصمعى ص ١٦٧ .

٩ ـ اللِّبَأ واللبن ، لأبى زيد سعيد بن أوس ص ١٧٣ .

١٠ ـ البئر ، لابن الأعرابى ص ١٨١ .

١١ ـ أَيْمان العرب ، لأبى اسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمى ص ١٩٧ .

وهذا المجموع خطه نسخى غير مضبوط بالشكل ، فيما عدا الرسالة الأولى (كتاب الشاء للأصمعى) فهى بخط الرقعة ، وبآخرها : « كتبه الفقير أحمد تيمور فى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٩ هـ وبأول المجموع صفحة للفهرس كتب فى اعلاها : (كتبت سنة ١٣١٩هـ) .

وفى أول الكتاب كتب : « هذا كتاب أسماء الوحوش وصفاتها .. » وبآخره كُتِبَ : « تَمَّ كتاب الوحوش عن الأصمعى .. تَمَ .. تَمَ .. تَمَّ » .

٣ ـ (نسخة ج) : نشرة المستشرق الألمانى «R. Geyer» ونشرت فى مجلة «SBW»بليدن ١٨٨٨ فى العدد ١١٥ الصفحات ٣٥٣ ـ ٤٢٠ وهى نشرة جيدة إلا أن «R. Geyer» اغفل الاعتماد على النسخة الخطية الكائنة بالمكتبة الوطنية بباريس ، ففات نَشْرَتَهُ شئ غير قليل من نص الكتاب ومابها من فروق مهمة للروايات ، كما ان الناشر وقع فى شىء غير قليل من التصحيف والتحريف والسقط ، وأخطاء الضبط وأوهام القراءة ، والتى سنشير إلى بعض منها فى هوامش نشرتنا .

منهج التحقيق

١ ـ اتخذت من النسخة الخطية بباريس أصْلاً فى التحقيق كما اشرت فى حديثى عن أصول الكتاب ، واستأنست إلى جانبها بنسخة تيمور الخطية ، ومطبوعة « جاير » ، وقمت بمقابلة هاتين النسختين بالأصل ، مُشِيرًا إلى مابينها من اختلاف ، من حيث التقديم والتأخير ، والزيادة والنقصان .

فما ورد فى الأصل وسقط من ت ، ج ، أو إحداهما وُضِعَ بين قَوْسَيْن ، وما ورد فى ت ، ج ولم يرد فى الأصل وُضِعَ بين معقوفتين . كما كنت اثبتُ كُلَّ زيادةٍ يَسْتَدْعيها السِّيَاقُ وتتفق كُلُّ النسخِ على ضرورة إثباتها ، واضعها بين معقوفتين .

٢ ـ حرصتُ على إخراج نَصِّ الكتاب صحيحا متكاملاً مبرأ من الخطأ والتحريف والتصحيف ، وقمت بضبط النص ضبطا كاملاً على ضوء ماجاء فى الأصل ، مع تصحيح ماوقع فيها من خطأ فى التشكيل وغيره .

٣ ـ نسبت كثيرا من شواهد الرجز والشعر التى جاءت مجهولة النسبة ، وحققت ما تعددت الأقوال حول نسبته .

٤ ـ عمدت إلى تفسير بعض الألفاظ التى تبدو غريبةً ، مُظَلَّلَةً بمِظَلَّةٍ من الضبابية والغموض ، وفى سبيل ذلك كنت أعود مرة بعد أخرى إلى كتب الاختيارات والشروح ودواوين الشعراء والرُّجَّاز .. انتقى منها ما أراه ضرورياً لاستجلاء آفاق الشاهد ، وتوضيح غامضه ، مع عزو كُلِّ عبارة إلى المصدر الذى انتقيت منه .

وعندما تَصْمُت المصادر حيال تفسير الفاظ شاهدٍ ما ، كنت أتولى مهمة شرح مفرداته ، مستعيناً بالمعاجم اللغوية . وإذا ما استشعرت انَّ ثَمَّةَ غموضا لازال يوشح الشاهد رغم تفسير كلماته ، رُحْتُ اشرحه شرحاً موجزاً وَمُبَسَّطاً .

٥ ـ قمت بتوثيق الآراء اللغوية التى وردت فى حنايا الكتاب .

٦ ـ ترجمت للأعلام ، شعراء ، وعلماء لغة .. ترجمة موجزة ، مزيلة ببعض مصادر الترجمة ..

زينب رضي الله عنها والقلادة

للأستاذ: السيد حسن قرون

خطب أبو العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس زينب بنت محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان كما يقول ابن هشام من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد ، وكانت خديجة خالته ، فسألت خديجة رسول الله أن يزوجه وكان رسول الله لا يخالفها ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي فزوجه ، وكانت خالته خديجة تعده بمنزلة ولدها ، فلما أكرم الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، فصدقنه وشهدن أن ما جاء به الحق ودِنَّ بدينه وبقي أبو العاص على شركه .

وكان رسول الله قد زوج ابنتيه رقية وأم كلثوم لابني عمه : عتبة بن أبي لهب وعتيبة بن أبي لهب ولم يدخلا بهما ، فلما دعا قريشاً إلى الإسلام وبين فساد اعتقادهم مكروا مكراً جسيماً ، فقالوا : إنكم قد فرغتم محمداً من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن ، فماذا فَعَلوا ؟ مشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش ، وكان رسول الله يثنى عليه في صهره خيراً ومن كلام الرسول عنه : « ماذممنا صهر أبي العاص ». قال أبو العاص لرجالات قريش : لا والله إني لا أفارق صاحبتي ، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش .

كان أبو العاص يحب زينب حباً كبيراً ، وكانت تبادله الحب والمودة ، ومن قوله فيها حين غاب عنها في بعض أسفاره :

ذكرتُ زينبَ لما وَرَّكَتْ إرما
فقلت: سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة
وكل بَعْلٍ سيثنى بالذي علما

والأمين لقب رسول الله في قريش قبل أن يعلن النبوة ، وقد ذكر زينب وهي بين أهلها في قبيلتها .

ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب فقالوا له : طلِّق بنت محمد ونحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت ، فقال : إن زوجتموني بنت سعيد ابن العاص فارقتها . فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ، وكذلك فعل عتيبة وأساء إلى

←

زينب رضى الله عنها

أبيها رسول الله ، فدعا عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأجيبت دعوته وافترسه أسد من بين أصحابه وهم نيام حوله في رحلة لهم .

ولكن رقية خطبها عثمان بن عفان وهاجر بها إلى الحبشة ، وهاجرت أم كلثوم مع أبيها ثم كانت لعثمان بعد وفاة رقية .

لم تخرج زينب من دار زوجها ، وثبتت على إسلامها ، وبقى هو على شركه ولم يفرق النبي بينهما ، وجاءت الهجرة فجمعت الهجرة بين النبي وبين بناته في المدينة ما عدا زينب فكانت مع ابن خالتها وزوجها في مكة .. وتطورت الأحداث ، وطفح الكيل ، وأخذت قريش أموال المهاجرين وديارهم ، وأتت تستثير أبناء جحش في حليفهم أبي سفيان بن حرب لأنه استولى على ديارهم وباعها .

وكانت غزوة بدر فشارك فيها أبو العاص بن الربيع ضالعاً مع كفار قريش ، وانتهت المعركة بأسره مع من أُسِرَ من قريش ، وكانت مشورة أخذ فيها رسول الله بالفداء ، وكان فداء الرجل أربعة آلاف درهم ، فلما بعث أهل مكة في فداء أَسَاراهم قدم في فداء أبى العاص أخوه عمرو بن الربيع ، وبعثت معه زينب بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي يومئذ بمكة ـ بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار ، وظفار جبل باليمن ، وكانت خديجة قد أهدتها لابنتها يوم زفت إلى أبي العاص ، فبعثت بها في فداء زوجها أبى العاص . فلما رأى رسول الله « القلادة » عرفها ورقّ لها وذكر خديجة وترحم عليها . وقال لأصحابه : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم . قالوا : نعم يارسول الله فأطلقوا أبا العاص بن الربيع ، وردوا على زينب قلادتها . وأخذ النبي على أبى العاص عهدا أن يخلى سبيل زينب ويردها إليه ، ووعده ذلك وَفَعَل .

فماذا حان ؟ بعث رسول الله زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار وقال لهما كونا ببطن « يأجج » حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيانى بها ، والاتفاق مع أبي العاص على هذا ان يبلغ بها مكان زيد وصاحبه من يأجج ـ كان ذلك بعد موقعة بدر بشهر أو قريب منه . وأخذت زينب تتجهز للرحيل من مكة إلى المدينة ..

تقول زينب ـ رضى الله عنها ـ : بينما أنا اتجهز بمكة للحوق بأبي لقيتني هند بنت عتبة (وهند زوج أبي سفيان ، وأبوها عتبة رأس الكفر قتل ببدر) فقالت أي هند : يابنت محمد ، الم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت : ما اردت ذلك . فقالت : أي ابنة عمي لا تفعلي ، إن كانت لك حاجة بمتاع بما يرفق في سفرك ، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك فلا تستحي مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال ، تقول زينب : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكن خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك وتجهزت .

وحقيقة الأمر أن ما بين هند وبين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يوجب عدم الاطمئنان لها ، فقد قتل ابوها عتبة وعمها شيبة وأخوها الوليد بن عتبة في بدر ، والمعركة لم يمض عليها إلا شهر أو أكثر بأيام .

وأن لزينب ان ترحل او بمعنى أدق أن تهاجر إلى المدينة حيث أبوها ورجاله فخرجت مع أخى زوجها واسمه كنانة بن الربيع في عدة من سلاحه نهاراً يقود جملها وهي في هودج لها ، وأثار خروجها نهاراً ثائرة قريش ، وتحدثت الأندية ، وغلت الصدور بالحقد والغيظ ، وأسلموا أنفسهم للغضب ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها « بذى طوى »، فكان أول من سبق إليها هبار بن

الأسود بن أسد بن عبدالعزى وهو من أسرة أمها خديجة ومعه آخر فروَّعها هبَّارُ بالرمح وهي في هودجها - وكانت حاملا - فلما ريعت أسقطت جنينها .. وحمى كنانة بن الربيع الذي يصحبها ، فبرك على الأرض ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهما ، فخاف القوم وتقهقروا ..

وأتى أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال : أيها الرجل ، كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه . ثم قال : إنك لم تُصِبْ ، خرجت بالمرأة على رءوس الناس ، علانية وقد عرفتَ مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رءوس الناس ومن بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا .. وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ومالنا في ذلك أرب من ثار . ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات ، وتحدث الناس أنْ قد رددناها فسلها سراً ، وألحقها بأهلها وأبيها .. ووافق كنانة أبا سفيان (كنانة وأبو سفيان يجتمعان في عبدشمس) رجع كنانة بها إلى مكة فأقامت ليالى حتى إذا هدأت النفوس خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وفي خروج زينب من مكة وما جرى في شأنها قيلت أشعار من أهل المدينة ومن شعراء مكة ، من ذلك سخرية هند بنت عتبة بمن خرجوا لإيذاء زينب ومنعها من الهجرة إلى أبيها تقول لمن لقيته منهم :

أفى السلم أعيار جفاء وغلظةً
وفي الحرب أشباه النساء العوارك

والأعيار الحمير ، والعوارك الحيض من النساء . وقال كنانة بن الربيع أخو أبى العاص يعبر عن موقفه ومبادئه :

عجبتُ لهبار وأوباش قومه
يرِيدون إخفارى ببنت محمد
ولست أبالى ما حييت عديدهم
وما استجمعت فيضا يدى بالمهند

والرجل يومئذ على كفره لم يدخل الإسلام . وقد كان الرسول بعد ذلك يتربص بهبار وصاحبه الدوائر ، ويبعث في طلبهما الرجال ليثأر منهما .

إسلام أبى العاص زوج زينب :

يقول الرواة : إن أبا العاص أقام بمكة ، وأقامت زينب بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام ، وكان أبو العاص رجلا من قريشٌ له اهتماماته وطموحه ، ومنذ أن كانت لقريش رحلتان فأبناء قريش في تجارة رابحة أنزل الله فيهما سورة من القرآن الكريم « سورة قريش » فخرج إلى الشام في تجارة لقريش أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وباع واشترى أقبل راجعاً يريد مكة فلقيته سرية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هارباً ، فلما رجعت السرية بماله إلى المدينة لم ييئس أبو العاص فيعود إلى مكة وإنما تسلل ليلاً إلى زينب بنت رسول الله فاستجار بها فأجارته .

تقول الرواية : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج لصلاة الصبح فلما كبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، فلما سلم رسول الله من الصلاة أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعت . إنه يجير على المسلمين أدناهم ويروي في ذلك الموقف أن الرسول قال : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » ولكن كتب السيرة تقتصر على « يسعى

زينب رضى الله عنها

بذمتهم أدناهم » ثم انصرف رسول الله فدخل على ابنته فقال : أي بنية ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، فقد بعث الرسول إلى السرية التي أصابت مال أبى العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فَيْءُ الله الذي افاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا : يارسول الله بل نرده عليه . فردوه عليه لم يضنوا على شيء منه ، ثم احتمله إلى مكة ، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله . ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ؛ فقد وجدناك وفياً كريماً . قال : فأنا أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . والله ما منعنى من الإسلام عنده **إلا تخوفى أن تظنوا اني أردت أن آكل اموالكم ،** فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت ، ثم خرج يريد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى قدم عليه . كان ذلك سنة سبع من الهجرة ، فرد الرسول عليه زينب بذلك النكاح الأول ، وكان لقاء جديد بين الزوجين لم يدم لهما أكثر من عام . توفيت زينب أول سنة ثمان من الهجرة – رضى الله عنها – فقد كانت امرأة مسلمة لها مكانتها .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر ـ بقية

متفككــون فمــا تضم نفــوسهــم
ثقــة ولا جمع القلــوب صفــاءُ !
رقــدوا وغــرهــم نعيم بــاطــل
ونعيم قــوم فى القيــود بــلاء !
ظلمــوا شريعتك التى نلنــا بهــا
مــا لم تنــل فى رومــة الفقهــاء
مشت الحضارة فى سناها واهتدى
فى الدين والدنيــا بها السعــداءُ
صلى عليك الله ماصحب الدُّجى
حــاد وحنت بــالفــلا وجنــاءُ(١٤)

هذه قطع من همزية أمير الشعراء فى مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهى ترينا ما يكنه صدر هذا الشاعر من حب سيد الأنبياء . والإشادة بالدين الذى جاء به . والقطعة الأخيرة تنعى على الأمة الإسلامية موقفها من الشريعة ، وتُهيب بها أن تتنبه بعد الخمول ، وأن تستيقظ بعد طول الرقاد .

فهل آن للمسلمين والعرب أن يستجيبوا لداعى الوطنية ، فيتحللوا من قيود الاستعباد ، ومن قيود الأهواء ؟! لعل هذا يكون قريباً : ولا سيما أنهم قد رأوا بأعينهم ، وسمعوا بآذانهم ما حل بفلسطين « المجاهدة » ولا أقول « الشهيدة » لأنها تجاهد الآن وتستبسل فى سبيل حريتها ، وستنتصر على جميع أعدائها بإذن الله ؛ والله مع الصابرين !

أيها القارىء الكريم ! أرى أن أقتصر فى هذه المناسبة على ما سقته إليك من شعر شوقى فى مديح المصطفى ؛ وهو قطرة من بحر مما جادت به قريحته الوقادة فى هذا المقام . وسأعود إلى إتمام الحديث فى فرصة أخرى ، إن شاء الله ..

(١٤) الوجناء : الناقة الفتية .

دراسة فى كتاب

المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا

تأليف: د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم

عرض بقلم: أحمد تقى الدين

وجد أبناء القارة الأفريقية أنهم هدف تلك الغزوة الاستعمارية الأوروبية التى جاءت لاحتلال أراضيهم واستعمار أوطانهم وتدمير حضارتهم، وتركزت هذه الحملة الاستعمارية فى المقام الأول على المسلمين مما أعطى حركات التوسع الاستعمارى صبغة صليبية من أجل القضاء على الإسلام.

ومن ثم كان لابد من التصدى لهذه الغزوة دفاعاً عن شرف الإسلام وكلمة التوحيد، وصار الجهاد أمراً حتمياً ومطلباً فرضه الله على المسلمين الذين أحسوا ما يرمى إليه الغزاة من احتلال ديارهم وتحطيم مقدساتهم وتدنيس حضارتهم الزاهية عبر العصور.

من هنا شهدت مختلف مناطق القارة الأفريقية ملاحم بطولية حقق المسلمون فيها انتصارات باهرة على جيوش المعتدين الأوروبيين المدججين بأحدث الأسلحة وفنون الحرب الحديثة.

وأغفل الأوروبيون وهم يسجلون تاريخ استعمار القارة هذه البطولات وأشاروا إليها فى ثنايا مؤلفاتهم باعتبارها حدثاً عارضاً لا قيمة له، بل أنكروا على هذه البطولات تلك الانتصارات ووصل الأمر بهم إلى حد اتهام القيادات الإسلامية بالجنون، وركزوا على وسائل القضاء على هذه الزعامات الإسلامية، فجاءت كتاباتهم تتويجاً لبطولات أبنائهم من القادة العسكريين، واتسمت أعمالهم بالتحيز والبعد عن الموضوعية.

ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب الذى صدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ضمن سلسلة «عالم المعرفة» لمؤلفه الدكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم الأستاذ المساعد بجامعة قطر.

يقع الكتاب فى «٢٨٨» صفحة من القطع المتوسط تضم مقدمة، وتمهيداً، وستة فصول، وخاتمة.

فى المقدمة يحلل المؤلف أهداف الاستعمار الأوروبى للقارة الأفريقية فيؤكد على أن القارة الأفريقية قد شهدت مع إشراقة العصور الحديثة

المسلمون والاستعمار الأوروبي

موجة من الصراع الاستعماري بعد خروج المسلمين من الأندلس وسقوط آخر معقل لهم فى غرناطة عام ١٤٩٢ م ، وكان الهدف من هذه الحركة الاستعمارية هو تعقب المسلمين القادمين من الأندلس والقضاء على آخر معاقلهم بالساحل الإفريقى ، ثم إجهاض أى محاولة للتفكير فى العودة إلى هذه البلاد ، وترتب على هذه الغزوة الاستعمارية محاولة تطويق المسلمين وذلك بالاتصال بالمملكة المسيحية فى بلاد الحبشة بزعامة برسترجون « Prester John » وأدت هذه الحركة إلى قيام الكشوف الجغرافية التى انتهت بالدوران حول أفريقيا والوصول إلى شاطئها الشرقى ودخلت فى صراع دموى مع الإمارات والممالك الإسلامية سواء فى شمال القارة أو فى شرقها أو غربها .

واتخذت هذه الموجه صبغة صليبية ذلك لأن البابوية باركت هذا العمل العدائى ضد المسلمين ، واعتبرت كل من يستشهد فى سبيل تحقيق هذا الهدف من شهداء الكنيسة ، وبالتالى أيد الملوك والأمراء فى كل من أسبانيا والبرتغال هذا العمل ، ورصدوا مبالغ ضخمة للإنفاق منها على الحملات التى توجه ضد المسلمين . فكانت موجات الغزو الأوروبى تحت هذا الستار الصليبى عاملاً كبيراً فى تقويض جزء من الحضارة الإسلامية فى القارة الأفريقية .

وشهد البحر المتوسط والدول الإسلامية المطلة عليه ذلك الصراع الاستعمارى الذى لم يشهده تاريخ المنطقة من قبل ، فلم يحدث فى التاريخ أن استمرت موجة استعمارية مثل ما حدث فى القارة الأفريقية ولم يحدث أن استنزفت موارد قارة بشرية وطبيعية لصالح أوروبا مثل ما حدث لأفريقيا ، كما لم يحدثنا التاريخ من قبل عن قارة قسمت لإشلاء ودويلات قِزْمية بأيدى الأوروبيين مثل ماحدث فى أفريقيا .

وتحت عنوان « الاستعمار الأوروبى للقارة الأفريقية » جاء الفصل التمهيدى وفيه تناول الباحث بالدراسة أحوال القارة الأفريقية قبل الغزو والتفاعلات السياسية فى القارة الأوروبية التى واكبت هذا الغزو فيقول : شهدت منطقة أفريقيا جنوب الصحراء فى أوائل القرن التاسع عشر عدة حركات إصلاحية هدفها الأساسى الرجوع بالدين الإسلامى إلى بساطته الأولى ونشره بين السكان الوثنيين فى غرب القارة ، ولقد استهل هذه الحركات الإصلاحية الشيخ « عثمان ابن فودى » فى شمال نيجيريا حيث أنشأ فى سوكوتو خلافة إسلامية استمرت قرناً من الزمان طبق المسلمون فيها الشريعة الغراء وأقاموا نظاماً إسلامياً قوياً ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وامتد أثر نشاط هذا الداعية المسلم إلى مناطق أخرى من غرب القارة حيث تأثرت به كل حركات الإصلاح .

من ابرز هذه الحركات حركة المجاهد الحاج عمر الفوتى التكرورى الذى عاش فترة فى سوكوتو ، ثم انتقل إلى بلاد « فوتاتور » لتأسيس دولة إسلامية فى منطقة بلاد السنغال ، وقد ساعد هذا على نشر الدين الإسلامى وتشجيع المجاهدين على القيام بحركات إصلاحية جديدة فى تلك المناطق الشاسعة ، فظهر « الحاج محمد الأمين » و« الإمام ساموری توری » الذى بذل كل مافى وسعة لبناء دولة إسلامية .

وساعدت هذه الحركات على إحياء مجد الخلافة الإسلامية فى تلك المناطق من القارة الأفريقية ، وامتد النشاط الإسلامى إلى قلب

القارة حيث منطقة تشاد التى كانت منذ زمن مركزاً للدين الإسلامى فظهر زعيم آخر هو « رابح فضل الله » الذى حاول بناء دولة إسلامية .

ولم يتوقف المد الإسلامى عند هذا الحد بل ظهرت الحركة المهدية فى السودان ونجحت فى تأسيس دولة إسلامية قوية فيها . وفى شرق القارة ظهر الزعيم والمجاهد « السيد محمد عبد الله حسن » الذى نجح فى تأسيس مجتمع إسلامى فى هذه المنطقة .

ولسوء حظ هذه الحركات أنها تزامنت فى قيامها مع الموجة الاستعمارية التى اجتاحت القارة الأفريقية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ففى ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ عقد المؤتمر الدولى فى « مدينة برلين » واستمر انعقاده إلى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ وحضره مندوبو أربع عشرة دولة هى : النمسا ، المجر ، وألمانيا ، وبلجيكا ، وإيطاليا ، وهولندا ، والبرتغال ، وروسيا ، وأسبانيا ، والسويد ، وتركيا ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا، وفرنسا .

ونتج عن هذا المؤتمر تقسيم القارة الأفريقية بشكل يتلاءم مع مواقف الدول الأوروبية حيث بدأت الدول بعد المؤتمر فى التكالب على القارة بشكل سريع وهذا التكالب يعنى بالضرورة الاحتكاك بالقوى الوطنية الأفريقية التى كانت هى الأخرى تسعى لتوحيد الكلمة حول حركات إصلاحية إسلامية ، فشهدت أفريقيا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر تلك السلسلة المستمرة من الحروب بين القوى الإسلامية والدول الأوروبية التى سعت من أجل الاحتلال الفعلى لأقاليم القارة على نحو ما ذهبت إليه قرارات مؤتمر برلين .

وكان الالتحام أمراً محتماً ، وكان الصدام بين المسلمين والصليبيين ظاهرة بارزة فى تاريخ أفريقيا فى أواخر القرن التاسع عشر ولم يتوقف الصدام حتى قيام الحرب العالمية الأولى ، ومن هنا تظهر قيمة الكفاح الأفريقى المسلح وتتضح الجهود التى بذلها قادة الجهاد الإسلامى فى مقاومة هذه الهجمة الاستعمارية على كل أرجاء القارة .

وجاء الفصل الأول بعنوان : « المسلمون والغزو الأوروبى لا مبراطورية الفولانى » فنتيجة لقرارات مؤتمر برلين وما أصدر من قرارات لتقسيم القارة الأفريقية وتطبيق مبدأ الاحتلال الفعلى قبل إعلان السيادة على أى إقليم وضعت مناطق نيجيريا الجنوبية والشمالية حسب قرارات المؤتمر ضمن مناطق النفوذ البريطانى بعد أن نجحت شركة النيجر الملكية ـ وهى شركة بريطانية ـ فى بسط نفوذها على هذه المناطق ابتداء من عام ١٨٨٦ م . وحصولها على براءة ملكية لممارسة التجارة فى هذه المناطق من جنوب نيجيريا وظل الأمر كذلك حتى ألغت الحكومة البريطانية مرسوم الشركة وأنشأت قوات حدود غرب أفريقيا لبسط النفوذ البريطانى على كل مناطق المسلمين ، ويعنى ذلك بسط السيطرة البريطانية على دولة الخلافة فى سوكوتو والقضاء على زعماء المسلمين فى هذه الجهات ، وتوالت سلسلة من الحروب المستمرة والمناورات العسكرية والدبلوماسية التى استخدمت فيها بريطانيا كل الوسائل المتاحة شرعية أم غير شرعية وفى المقابل تصدى الخلفاء المسلمون من سلالة الشيخ عثمان بن فودى لتلك الموجة الاستعمارية ودارت المعارك طاحنة كان للمسلمين فيها نماذج مشرفة من الكفاح والنضال والفداء حتى استشهد الخليفة « محمد الطاهر الأول » الذى رفض الاستجابة لكل ماعرضته عليه بريطانيا من

←

← المسلمون والاستعمار الأوروبي

إغراءات وكان إصراره على المقاومة حتى الشهادة مثلا لكل من آمن بالله تمام الإيمان .

ولم يكن سقوط دولة الخلافة فى سوكوتو نتيجة تقاعس المجاهدين المسلمين فى الدفاع عن بلادهم وعن الإسلام فلقد بذلوا كل مافى وسعهم وحاربوا عن كل شبر من أراضيهم حتى ضج بهم البريطانيون وأشعلوا النار فى كل مقدسات المسلمين للتنكيل بهم وإجبارهم على الاستسلام لكنهم صمدوا وانتصروا فى معارك قليلة وظلوا حتى النهاية رجالا مخلصين أمناء على العقيدة .

ويأتى الفصل الثانى (المسلمون) والغزو الأوروبى لـ « امبرطورية التوكولور » ليعرض سيرة رجل صلب لا يلين هو « الحاج عمر بن سعيد التكرورى » الذى كانت لديه آمال عراض لبناء امبراطورية تتخذ من الشريعة الإسلامية أساسا لها ومنهاجا ، وما كان يدرى أن الطريق ملىء بالأشواك .

فى البداية بدأ الحاج عمر جهاده ضد الوثنيين فى السودان الغربى واستطاع فى خلال عشر سنوات أن يسيطر على كل السودان الغربى من حدود مدينة « تمبكت » حتى حدود السنغال الفرنسية وكانت منطقة تكتظ بالمشكلات الداخلية فضلا عن الصراع الأوروبى طمعاً فيها ، ولذا فقد كان على « الحاج عمر » أن يعمل بشكل مستمر على استتباب الجبهة الداخلية ومواصلة الجهاد ضد الوثنيين وفى الوقت نفسه مقاومة أطماع فرنسا التى كانت تتطلع إلى السيطرة على غرب القارة الأفريقية .

ومن هنا طال أمد النضال الشديد وعانى الحاج عمر من القبائل الإسلامية التى لم يتضح الهدف تماما لتخلص له فتحالفت مع القبائل الوثنية حيث اعتبروه غازيا وهو فى أمس الحاجة للمعاونة وحاصروه فى « حمد الله » وهو يناضل ضد الفرنسيين ، وسقط هذا الزعيم شهيدا برصاص المسلمين يوم الجمعة الثالث من رمضان عام ١٢٨٠ هـ عن عمر ناهز السبعين عاما حاول خلالها مقاومة التوسع الفرنسى بكل ما أوتى من قوة .

وما لبث الخلاف أن دب بين أبناء الحاج عمر الذى كان قد أوصى بأن يتولى ابنه « الشيخ أحمدو » الحكم من بعده إلا أن بقية أبناء الحاج عمر اعتبروا « أحمدو » أقل منهم شأنا وحاولوا إقصاءه من الحكم ، إلا أن أحمدو نجح فى إنقاذ الامبراطورية من هذا الصراع واستطاع القضاء على مؤامرات إخوانه الثائرين .

توسعت القوات الفرنسية فى منطقة غرب القارة ودخلت فى صراع مع قادة الجهاد الإسلامى فى تلك المنطقة من أمثال « سامورى تورى » و« محمد الأمين » فى أعالى السنغال ، وقام الفرنسيون بحملات تأديبية ضد « جيوديماكا » التى اعتبرها « الشيخ أحمدو » جزءاً من امبراطوريته فكان رد فعله عنيفاً إذ قام بمهاجمة القوافل الفرنسية فاشتعلت الحرب ، واستمر القتال قرابة نصف قرن من الزمان أرهق فيها المسلمون الفرنسيين فاضطروا إلى تغيير القيادة أكثر من مرة ، وتحملت الميزانية الفرنسية نفقات كثيرة ، وتكبدت القوات الفرنسية أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى غير أن السلاح الحديث قام بدوره فى هذه المعارك وحسم الموقف لصالح الفرنسيين الذين نجحوا فى اقتحام « باندياجارا » عاصمة « الشيخ أحمدو » الذى شق طريقه إلى منطقة النيجر حيث وجد الملجأ الأخير فى « دولة الفولانى » و« سوكوتو » ومات هناك فى سكون عام ١٨٩٥ م .

يتبع بالجزء الأخير فى العدد القادم إن شاء الله .

من خير ما نشر

تقديم : عادل رفاعى خفاجة

عيد الأضحى

عيد الصفاء والنقاء

بقلم :

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ /

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

يوم الأضحى يوم من أيام الله التى اختارها الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عيداً للمسلمين ، فهو يوم سلام وبشر وسرور ، ويوم وفاء وإخاء يوم للزينة بالثياب الجديدة أو النظيفة ، إشعاراً بأن الناس فى هذا اليوم جددوا إنسانيتهم ، فذهبت الأنانية ، وانزوى الجشع والحسد وحل بين الناس الرفق والتراحم ، والصفاء والنقاء ، فكان التزاور وسرت المودة كلمات مبشرة بالخير المرتقب ، وهدايا وصلات ومبرات تأسر القلوب ، وتجلو ما ران عليها من مآسى الحرمان ، وفقد المسرات ، وشيوع النكران للمآثر والمعروف .

يوم عيد الأضحى يوم جديد تعم الناس فيه كلمات الدعاء و التهانى تنطلق بقوة من القلوب والأفواه حتى تعلو بل وتطمس منازعات الحياة .

هذا يوم ينبغى أن ينظر الإنسان ـ لاسيما المسلم الذى هو عيده إلى نفسه نظرة تلفها السعادة بطاعته لربه ، واجتهاده فيما قبل بأداء واجباته ، كما ينظر فيه إلى أهله نظرة تبصر بالإعزاز والتقدير ، وإلى داره أيا كانت هذه الدار نظرة تدرك ما فيها من جمال أعلاه نعمة الله عليها بالقرار ، وأن ينظر إلى الناس نظرة تفيض مودة ومحبة وصداقة .

بهذا كله فى يوم الأضحى تتكامل النظرة إلى الحياة وإلى العالم فتزداد النفس بهجة وإقبالاً على الحياة السوية وحرصاً على سلام الأسرة والمجتمع .

فى هذا العيد نرى بهجته بادية على الأطفال والشباب ، وهم قرة العيون يسعى الكبار ويجدون من أجل إسعاد حياتهم .

وما أشد حاجة المسلمين إلى أن يفقهوا الأعياد التى شرعها الله ، حتى يستقبلوها بما يجعلها

←

من خير مانشر

أيام سعادة ومسرة ، فتجدد النفوس بمعانيها ، إذ العيد إنما هو المعنى الذى يكون فى اليوم ، وليس اليوم نفسه .

وقد كان العيد المشروع فى الإسلام هو عيد الفكرة العابدة ، وليس عيد الفكرة الغائبة .

وكان العيد أن تثبت الأمة وجودها وذاتها بشعائر ومراسم الإسلام فى أجمل آدابه ومعانيه ، وليس إثبات وجودها الحيوانى فى أبرز معانيه كان يوم المبدأ فانقلب إلى يوم المادة .

ليكن العيد إشعاراً للأمة المسلمة بأن فيها قوة التغيير ، إنه يوم تعرض فيه الأمة جمال نظامها الاجتماعى ، فتتوحد فيه المشاعر فى نفوس الجميع ، وتتعلم الأمة كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يصبح البلد الكبير وكأنه لأهله دار واحدة وسيعة يتحقق فيها الإخاء بالمعنى العملى ، وتظهر فضيلة الإخلاص سمة للجميع ، ويتبادل الناس هدايا القلوب المخلصة الودودة المحبة .

وليكن العيد مبرزاً القوة الاجتماعية للأمة ذات السمات المميزة تعيش من عمل وجهد أبنائها ، معتزة باستقلالها الذاتى فى إنتاج حاجتها من الزراعة والصناعة ، مستمدة جهادها فى سبيل ذلك من قوة إيمانها ، مقبلة على غدها تاركة سلبيات أمسها .

ما أحلى هذا العيد وأهناه إذا أخذناه نموذجا لثوبة المجدين والمجددين فى العلم والتعليم ، فى تشخيص المذاهب التى ارتادت حياتنا ، ورانت على بصائرنا قبل أبصارنا فشغلتنا بتوافه الأمور عن عظائمها ، وصرفتنا عن النظر فى إنقاذ أنفسنا وبلادنا من الغرق فى ذل الحاجة التى نعانيها ، وجرفتنا إلى طرق متشعبة ملتوية ضلت فيها أقدامنا ، وغابت الهداية عن قلوبنا ، بعد إذ ذهبنا نطوع نصوص الإسلام الجلية الواضحة لتساند أهواءنا أو إلى ما يسوقنا إليه أعداؤنا طلبا للمباعدة بيننا وبين الأصلين الكريمين العظيمين اللذين قال عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدى ما إن تمسكتم بهما أبدا كتاب الله وسنتى) .

إن هذا العيد ـ عيد الأضحى ـ يذكرنا بأننا يجب أن نضحى بالشهوات والأهواء وحب الذات ، لتعود أمتنا الإسلامية إلى ذاتيتها مستظلة بالإسلام عقيدة وشريعة ، دينا ودنيا ونظام حياة .

هاهو عيد الأضحى يهل على الأمة وهى فى سبيل تجاوز خطاياها وأخطائها .

وإن الأزهر الشريف إذ يقدم أخلص التهانى وأجملها إلى شعوب الأمة الإسلامية وإلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء بهذا العيد ليدعو الله أن يجمع قلوب الجميع على مافيه العلاج والإصلاح للأمة فى كل شئونها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى تكتمل أو تتكامل وحدتها .

والأزهر الشريف إذ يحيى جهاد وجهود الانتفاضة الفلسطينية ليحث أطفالها ورجالها ونساءها على استدامة وحدة الصف والهدف والتعاون حتى يتحرر المسجد الأقصى وسائر المساجد فى فلسطين وذلك قدرهم ويدعو كل المسلمين لمساندتهم ودعمهم .

والأمل الذى يراود المسلمين جميعا أن تنزل إيران حكومة وشعباً عند حكم الإسلام فتطلق

سراح الأسرى بالتبادل مع العراق ، فإنه لا فائدة ترجى من احتجاز الأسرى وحرمانهم من العودة إلى ذويهم وقد وضعت الحرب أوزارها ولعل إيران وقد أدركت ثقل تبعة الحرب التى دمرت وشردت تسارع إلى إبرام الصلح النهائى ، ولها فى الحروب العالمية السابقة عبرة وتذكرة فها هى دول أوروبا شرقية وغربية تتبادل المصالح والإعمار فى بلادها ، بعد ماكان بينهما من حربين عالميتين لم تنته كل منهما إلا بالتدمير والتخريب لكل تلك البلاد ، ومع هذا فها هى تتزامل فى السعى لإسعاد شعوبها و عمار بلادها واستثمار كنوزها وخيراتها لصالح شعـوبها ، ونحن المسلمين أولى بهذا وأجدر .

والأزهر الشريف إذ يذكر المسلمين جميعا بالتعاون على البر والتقوى يأمل أن يذكر المسلمون المجاهدون فى كل مكان دفاعاً عن بلادهم ودينهم وعرضهم ، وأنهم فى حاجة إلى المزيد من الإمدادات التى تعينهم على الصبر والمثابرة .

والله نسأل أن يؤيد بنصره المسلمين المجاهدين فى أفغانستان وفى فلسطين وفى كل مكان وأن يجمع كلمة أولى الأمر ، حتى تكون كلمة الله هى العليا ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُه إنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

شيخ الأزهــر
(جاد الحق على جاد الحق)

إسرائيل دفعت ثمنا كبيرا للانتفاضة وستدفع أكثر

للأستاذ : على الدجانى

فشلت جميع الآراء والتوقعات الإسرائيلية بأن الانتفاضة كانت تقترب من نهايتها وأن وقودها أوشك أن ينفذ ولم يعد بين الإسرائيليين المسئولين سياسيا أو إداريا أو عسكريا من يجاسر برأى بأن الانتفاضة أوشكت أو توشك أن تنتهى أو تنطفىء جذوتها . ففى أكثر من صحيفة إسرائيلية يبرز سؤال كبير مآله : هل انتهت الانتفاضة ؟

ومن متابعة ما نشر فى الصحف الإسرائيلية تتفق الآراء الإسرائيلية على أن الانتفاضة مستمرة وأن عنفوانها فى شهر نيسان « أبريل » الماضى دليل على قوة اندفاعها وزخم قدرات أبنائها .

ولقد ظفرت الانتفاضة بتثبيت الهـوية الفلسطينية فلم يعد الفلسطينيون كما دأب القادة الإسرائيليون يصفونهم بـ « السكان الذين يقيمون على أرض فلسطين » بل « شعب فلسطين » وما كان هذا الظفر ليتحقق لولا الانتفاضة وكماتها وحماتها .

وفى صحيفة « البوست » الإسرائيلية بتاريخ ١٩٨٩/٥/٢٢ مقال للكاتب اليهودى الأمريكى الجنسية مارك هيللر يقول فيه : « إن إسرائيل تدفع ثمنا باهظا للانتفاضة ليس فحسب من ناحية الإصابات فى الإسرائيليين بل وأيضا فى المجالين الدبلوماسى والاقتصادى .. فالحياة اليومية قد اضطربت، وزادت الأعباء على جيش إسرائيل وتخلخل الإحساس بالطمأنينة الفردية والعامة .. وتعرضت النواحى المعنوية فى الحياة لضغوط لا يوجد معيار مادى لقياس مداها أو حجمها .

إن الانتفاضة آمنت بأن كلمة الله هى العليا فكان الجهاد بالنفس والنفيس .

والله تعالى ناصرهم فى جهادهم يصبرون ويصابرون ويناضلون بوحى عقيدتهم السماوية السمحاء وما تعلموه ويتعلمونه من تاريخ أمتهم المجيدة عن الشرق الأوسط .

أنباء وآراء

بيان من الأزهر الشريف

قد وردت الأنباء بحدوث انفجارات بساحة الحرم المكى الشريف وبالقرب منه ، مما تسبب فى حدوث إصابات بين حجاج بيت الله الحرام .

والأزهر الشريف يأسى لهذا الذى حدث ، ويراه اعتداء على قدسية البيت العتيق وصَدًّا عن سبيل الله والمسجد الحرام ، يقول الله سبحانه : ﴿ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

لقد جعل الله تعالى هذا البيت الحرام مثابة للناس وأمنا ، يقول سبحانه : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ فلا يسمح لكائن من كان أن يروع أمن الآمنين فى رحاب بيت الله ، أو يعتدى على حرمته .

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾ .

وانه مع ثقة الأزهر الشريف فى أن المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين : الملك فهد بن عبد العزيز قادرة بعون الله سبحانه على صون وضمان أمن البيت الحرام ، وحرمة دماء الحجاج والطائفين والركع السجود فى رحابه . ليهيب بالمسلمين جميعا حكومات وشعوباً أن يحرصوا على صون قدسية وأمن الحرم الشريف ، وعلى الحجاج وزوار البيت المقدس ، وأن يعملوا على استتباب الأمن به ، فتلك فريضة على كل مسلم ، وليحذر هؤلاء الذين غلبتهم شقوتهم فارتكبوا هذا الإثم العظيم أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ .

شيخ الازهر

الإمام الأكبر يستقبل مرشح الرياسة الأمريكية السابق والوفد المرافق له

استقبل فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يوم الأحد ٦ من ذى الحجة ١٤٠٩هـ الموافق ٩ يوليو ١٩٨٩م القس جيسى جاكسون مرشح الرئاسة الأمريكية السابق وقطب الحزب الديمقراطى الأمريكى والوفد المرافق لسيادته .

وقد جرى الحديث حول مبادىء الإسلام فى الإخاء الإنسانى العام ، وفى المساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، كما جرى الحديث حول وجوب احترام حقوق الإنسان ، والسعى لإقرار حق الشعب الفلسطينى فى وطنه ، وإنهاء حرب لبنان ، ونصرة الشعوب والأقليات المضطهدة ، وأن يعم احترام حقوق الإنسان كل بنى الإنسان على اختلاف الألسنة والألوان والوقوف ضد سياسة التمييز العنصرى فى بعض مناطق العالم .

إعداد: عبد المنعم فودة

وقد أبان الضيف عن رغبته فى زيارة بعض الجرحى من أطفال الحجارة فى فلسطين فطلب إليه فضيلة الإمام الأكبر أن ينقل للشعب الأمريكى صورة هؤلاء الأطفال الجرحى والمصابين العزل الذين كانوا ضحية الاعتداءات الآثمة للقوات والمستوطنين الإسرائيليين على أرض فلسطين ، فقد يتحرك الضمير الإنسانى فيعمل على إيقاف هذا العدوان .

وقد أجاب الضيف بأنه ذاهب بهذا القصد وسينقل ما يراه من أحوال الشعب الفلسطينى .....

اللغة العربية فى أندونيسيا

عقدت فى العاصمة الأندونيسية (جاكرتا) ندوة لتطوير تعليم اللغة العربية فى المعاهد الإسلامية بأندونيسيا وذلك لربط المسلمين بلغة القرآن الكريم .

المسلمون ومساجدهم فى بريطانيا

ذكر الكتاب السنوى الرسمى البريطانى أن هناك أكثر من ألف مسجد ومركز للعبادة خاص بالمسلمين فى مختلف أنحاء بريطانيا بما فى ذلك المركز الثقافى الإسلامى الرئيسى الواقع فى وسط لندن .

ويعتبر أهم مركز إسلامى فى العالم الغربى كما وصفه الكتاب . وقد ذكر الكتاب أن عدد المسلمين فى بريطانيا أكثر من مليون ونصف المليون مسلم وأن عدد المسلمين المولودين فى بريطانيا يتزايد كل عام بالإضافة إلى تزايد أعداد البريطانيين الذين يعتنقون الإسلام .

والحمد لله رب العالمين

المسلمون فى بولندا

يفتتح مع بداية العام القادم عام ١٩٩٠م مسجداً جديداً بشمال بولندا يسمى مسجد جرانسك ، ويعد المسجد أحد ثلاثة مساجد فقط فى بولندا .

كما وضعت مشاريع أخرى لبناء مساجد فى العاصمة وارسو (بيالستوك) حيث تقيم غالبية المسلمين .

● لا تتخذ بولندا دينا رسميا للدولة .

خبير أمريكى للبترول يشهر إسلامه

أعلن أحمد بريان خبير المضخات البترولية بولاية أكلاهوما بأمريكا إسلامه فى الأزهر الشريف . وقد جاء إلى القاهرة خصيصا من بلاده لإشهار إسلامه . وقال أحمد بريان: إنه اعتنق الإسلام بعد أن قرأ عن مبادئه وتعاليمه السمحة التى تجعل من المسلم إنسانا سويا فى هذا العالم الذى تتحكم فيه الماديات .

« حكومة إسرائيل تزيل ٣٠٠ أثر إسلامي »

صرح الدكتور عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف الأردنى بأن إسرائيل أزالت ٣٠٠ أثر إسلامي بسبب الحفريات الإسرائيلية فى منطقة المسجد الأقصى .

←

وقال : إن إسرائيل قامت مؤخراً بعمل حفر على عمق أربعة عشر مترا لاستكمال نفق كانت قد حفرته تحت المسجد الأقصى للدخول إليه من باب المغاربة وباب الغوانمة .

محاولة لهدم مسجد أجوكو بارك :

بدأت السلطات البلدية فى سنغافورة أعمال الحفر الخاصة بهدم مسجد (أجوكو بارك) وهو أحد أكبر المساجد التاريخية الهامة فى سنغافورة .

وقد أبرق عشرات المسلمين من أبناء سنغافورة المقيمين بها إلى المنظمات الإسلامية للتدخل لإيقاف عملية الهدم . وناشد الحاج أشعرى عضو الجمعية الإسلامية فى سنغافورة المجلس العالمى للمساجد ومنظمة المؤتمر الإسلامى أن يسعيا لدى الحكومة السنغافورية للحيلولة دون هدم المسجد الواقع فى الحى التجارى بقلب العاصمة التى تريد الحكومة السنغافورية أن تنشىء مكانه موقفاً للسيارات .

التعليم العربى الاسلامى فى السنغال

صدر مؤخراً كتاب بعنوان (التعليم العربى الإسلامى فى السنغال) من إعداد ممادو ندياى من خريجى الأزهر الشريف .

يتناول الكتاب تحليلاً عميقا مفصلاً لعملية إدخال التعليم العربى الإسلامى إلى السنغال ويعطى صورة واضحة للصراع بين هذا النوع من التعليم والتعليم الذى دخل السنغال على يد الاستعمار الغربى .

من أعلام الأزهر ـ بقية

حق التصرف فيهم كما يشاءون حتى وصل الأمر إلى قتلهم دون أدنى مسئولية على سادتهم فضلاً عن تسخيرهم ومعاملتهم أقبح من معاملة الحيوانات العجم وتحقيرهم وامتهانهم وازدرائهم(١٧) .

وبعد ..

فنكتفى بما قدمنا من أمثال كشف فيها الشيخ عبد العزيز جاويش ببيانه الواضح عما فى الإسلام من سمو ورفعة ، وما فى أحكامه من علم وحكمة ، وما فى روحه من مثل عليا ومعانٍ إنسانية رفيعة ، فرحم الله ذلك الشيخ المجاهد فقد ظهر فى آفاق الحياة المصرية ثم قضى كما يظهر الشهاب فى ظلمات الليل البهيم يبرق وميضه لحظات ثم يتوارى سريعاً ، لكن يكفيه فخراً أنه كان شامخاً بعقيدته صلباً بإيمانه ، شديداً فى وطنيته وكفاحه ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(١٨) .

---

(١٧) بتصرف واختصار عن كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش .

(١٨) سورة القمر الآية ٥٥ .

الفهـــرس

- كلمة الهجرة لفضيلة الإمام الأكبر ١
- المال .. حلاله .. وحرامه
  د. على أحمد الخطيب ٥
- الاحتفـــــال
  للإمام الأكبر شيخ الأزهر ٨
- مثالان من الكتاب العزيز
  د . محمد عبدالمنعم القيعى ١١
- فوائد القروض والبنوك حرام بين
  د . على السالوس ١٤
- الائتمان فى البنوك
  لواء أ.ح فوزى محمد طايل ٢٥
- طموحات روحية تثيرها الهجرة
  للأستاذ عبدالحفيظ فرغلى القرنى ٢٩
- كلمة التشريع القرآنى
  د . محمد أنيس عبادة ٣٣
- الفتوة فى القرآن الكريم
  للأستاذ أحمد عزت البرادعى ٣٧
- النبى صلى الله عليه وسلم عربى
  للسفير جمال الدين محمود أبو العيون ٤٢
- الفتـــاوى
  للأستاذ على حامد عبدالرحيم ٤٤
- مـــن اعـــلام الأزهـــر
  للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٤٦

الشعـر والشعـراء

إشراف د. حسن جاد

- عبـــرة الهجـــرة
  شعر : أحمد فهمى خطاب ٥٢
- الرسول المهاجر ﷺ
  شعر : أحمد المنشاوى الوردانى ٥٤
- من العلوم الكونية «حرارة الجو إلى اين»
  د . أحمد فؤاد باشا ٥٥
- طرائـــف ومواقـــف
  أ . عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٦٠
- من روائع الماضى بمجلة الازهر
  إعداد عبدالفتاح حسين الزيات ٦٢
- كتاب الوحوش لابى سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعى
  تحقيق : أيمن محمد ميدان ٦٨
- زينب رضى الله عنها والقلادة
  للأستاذ السيد حسن قرون ٧١
- المسلمون والاستعمار الأوروبى لأفريقيا
  عرض : أحمد تقى الدين ٧٥
- مـــن خيـــر ما نشـــر
  عادل رفاعى خفاجة ٧٩
- انبـــاء وآراء
  عبدالمنعم فودة ٨٢

القســم الانجليــزى

اشراف د. أنس النجار

- المقالة الثانية
  للأستاذ فتحى محمود يوسف ٩٠
- المقالة الاولى
  د . أنس النجار ٩٤

justice to the articles of Faith and Belief, to obey its tenets and doctrines, to give them the proper place in our lives.

The inherent potentials of Faith make Islam the brightest path to human salvation, its illustrious doctrinal teachings are noble and enlighting. The brilliant precepts reveal the Reality and Truth, into light, and expose the depths of dark ignorance in the mind of mankind. Islam is the Divine Science of human creation, life and death. No knowledge is gained except by learning with genuine honest effort to know. We entreat and beseech the human race to study and learn the real genuine undefiled articles and doctrines of Islamic Faith, then with rational honest unprejudiced thinking choose the path to seek and follow in life.

→

Through these processes of belief and the attainment of values, there comes a state of self enlightment, mental levels of perception and differentiation between virtue and vice, between right and wrong, between harm and benefit. The more knowledge and practice of Quranic teachings, and the adoption of Prophetic traditions, the individual will adhere and optmize his conduct and behaviour in compliance with the requirements of Islamic teachings. One of the basic elements of Islamic Theism is human equality regardless of colour, race, origin, wealth, sex or social status. This equality is fully manifested in all rituals of Islamic worship, and in all aspects of Islamic doctrines. This sense of equality brings about a state of communal respect and cohesion of love as individual components of structural unity. It also achieves a paradigm of ecumenical universality, and establishes self integrity and confidence.

There is no equality without justice and therefore justice is another basic element of Islamic Theism. One of the attributes of Allah is The "Just"; and the Muslim individual upholds justice with the most heightened respect bearing true witness of Allah, even if it is detrimental to his own interests. Justice in Islamic conceptualization searches out the innermost depths of the self, and challenges their most intimate motives. It is the sword of the naked soul which extorts for itself reverence and obedience before whom all greedy apetites of the self become paralysed and dumb. In every action of ritual worships in Islam, and in every injunction of Islamic teachings, humble modesty, equality and justice, prevail as dominant characters in the culture of every Muslim. Social justice and welfare is also optimized in Islamic Theism by the institution of Zakah; a fully quantized social fiscal system, which guarantees warranty of economic sufficiency to all ranks of the population. This pillar of Islam comes about as a Divine command.

Imam Ali ibn Abi Talib describes Islam as the religion founded on Reality and Truth, the fountainhead of knowledge, the source of learning and wisdom, the Light that guides mankind to virtue, health and righteousness. Islam is a set of doctrines and beliefs that lead to the sublime path of the highest order of worship and obedience of the Creator. Islam features the most noble precepts, exalted principles, rational arguments, unchallengeable supremacy, and deep wisdom. It grants to its adherents eminence in equality, confidence in justice, dignity in modesty, potentials in faith, tranquility in belief. It is upto mankind thoughout the ages and generations to study and seek the knowledge, granted by Allah The Creator of universe and man, to do

are to Allah; the totality of human life and existance are essentially to Allah. From this state of mind and belief, the whole human creation, life, work, death are from Allah and to Allah. The completeness and integrated harmony of such faith is the origin of the latent energy in mankind. This energy and power are exponential with the intensity of true faith in the mind, heart and spirit of the individual. When mankind becomes totally liberated from fear of any kind, because of his direct link and bond to Allah; the inherent potency of faith and power in belief becomes the dominant manifestation characterizing that individual. These are the true elements of freedom; the liberation from all fears, anxiety, stress, tension; because the bondage link, and self subjection is only to Allah. Within the Will and Knowledge of Allah are the precise times of individual life and death, fortunes, the visions seen, the sounds heard, the syllables uttered, paces trodden. Every individual action of mankind is very accurately quantized by Divine Will. In fact, every minute event occuring in the whole cosmic creation is recorded with utmost precision, equilibrum and harmony. In the Holy Quran, it is stated "With Him are the Keys of the Unseen, the treasures that none knoweth but He. He knoweth, also, whatever there is on the earth and in the sea. Not a leaf doth fall but with His knowledge: There is not a grain in the darkness (or depths) of the earth, nor anything damp or dry (green or withered), but is inscribed in an exact Record. (Surat Al-Anaam, VI, 59).

With this maxim of understanding, the purpose of human life is to worship and obey in faith and comprehensive understanding the Will of Allah. With this, the inherent potentials of mankind will be energized in order that mankind will deserve his place and purpose in creation to be the vicegerent of Allah on Earth. The elements of Islamic teachings and doctrinal culture are all justified and optmized into an effort on the path to the attainment of that purpose. Allah endowed mankind with knowledge, and granted him the ability to utilize, innovate, and promote that knowledge for the prosperity of human life. Mankind was also given the mind to think rationally; through thought, he would choose to believe or to disbelief. Rational thinking will certainly lead to belief. This is the first phase of human mental justification and rationality. The second phase must follow, which is the phase of implementation and practice of the Divine ordinances to the best of one's ability; there must be an effort spent (Jihad) for continuous self betterment on the path of Allah, the establishment of steadfast belief, and more solid faith.

Muslims to Allah, most humbly submitting with absolution of conviction to the Oness of the Deity.

The Revelation of the Holy Quran as the Message to the Prophet Mohammad was the delivery of the final and last Divine Message to Mankind. It contained the details, the components, the ingredients, the composite structure and elemental constituents of the final Divine Message to be delivered to Mankind for their guidance in life, and for their redemption in the Hereafter - on the Day of Judgement. No Divine Message is known to constitute such a consort association of cohesive doctrinal teachings, as does the Message of the Holy Quran carried by the Prophet Mohammad to expound and deliver to mankind at large throughout the ages. The Islamic Theism provides in its teachings a pattern example, a model prototype, a Quranic or Prophetic precedent, an ideal representation of every specific aspect of human life. There is no particularity or instance in the life and performance of mankind which is left out from identification and exemplary modelling in the Holy Quran.

The Canon Laws of Islamic Shariah are the specific codes of practice which formulate the basic legislative and Administrative constitution in governmental judicial and tribunal matters in an Islamic community. Human rights, social justice, family integrity, sovereignty of property, royalty of human respect, and all matters dealing with individual and social functions are the basic elements of Islamic Shariah. The sources of Islamic Shariah are the Holy Quran as the Divine Message, and the Prophetic practices and Traditions of the Prophet Muhammad. The Muslim nation is not in need to derive or adopt man - made laws of legislative ordenance, they have their own divine doctrines to implement and practice as their life style. These divine doctrines are certainly the inherent potency of faith in Islam. They lead mankind to confidence, self respect, spiritual clarity, physical strength, mental stability, freedom, potentials of performance, selective determination, and refusal of submission and humility to none other than Allah. The gain of these qualities will promote the inherent potencies of mankind. These potencies are beyond recognition without the attainment of the attributes derived from true faith. These potencies are the hidden powers of human physical, mental and spiritual faculties.

The fundamental axiom of this status of belief is that all power is from Allah; all love is to Allah; all fear and submission are to Allah; all actions, deeds, conduct, behaviour, work, activity, deovtion, sincerity, truth, values

THE INHERENT POTENCY OF FAITH

By : Fathy Mahmoud Yousef

The Islamic faith is basically structured on values that are elemental to the promotion and elevation of the spiritual decorum and mental elegance of mankind. The attributes of truthfulness, chastity, virtue, justice, freedom, social rights, sincerety, love, discretion and sagacity are examples of islamic cultural teachings. These attributes are fundamental qualities for education and life conduct of the individual and society in an Islamic community.

The implementation of the Canon Laws of Islamic Shariah necessitate that such laws become the basic code of practice for the governmental administration and legistation in an Islamic state. Since Islam in its overall patterns of concept is essentially an individual and social performance in life; it becomes imperative and prescriptive for every Muslim to become educated, trained and cultured to understand the fundamental injunctions of Islamic Theism and to practice them with all ability of optimization.

The nucleus and most energizing basic elemental criterion in Islamic faith is the absolute belief in the Oness of the Diety - the belief in Allah. This belief must be with total conviction and perfect impeccable submission to the transcendant omnipotent will and divine knowledge and wisdom of the Creator - Allah. From this infinite source of power belief (Al-Yaqqin) springs and radiates all the energy required to energize human potency of excellence and maximal efficiency in every performance. The basic teachigns of Judaism and Christianity at the times of the Prophet Moses, and the Prophet Jesus Christ, were the doctrines of true belief in the Oness of the Creator; and to that belief, they submitted with conviction and genuine submission. Islam is the arabic syntax for the word "submission", and with this understanding, the Prophets Ibrahim, Moses, Jesus were all

to the more intelligent teachings of faith; not because of his love or firm belif in paganism, but because of his great fear that communal group system of the tribal life of the Quraysh and other clans would fracture and collapse. This strict blindly conservative attitude on the part of Omar remained to master his thoughts for sometime. His main concern was that those individuals who turned their backs to paganism and looked ahead for more realistic trends of belief were the cream of the Arab intelligentsia and mentally illuminated elite. Among them were Omar's own cousin Zayed ibn Amre ibn Al-Khattab, Waraqa ibn Nofal, Osman ibn Al-Huwayrith, Abdullah ibn Jahesh and several others. Omar feared that these individuals would propagate their thoughts and beliefs among others of the Quraysh; and based on these fears Omar and those that shared his ideas and thoughts stood firm against everything that was contrary to the social system of the tribal life of Macca. They made sure that the new trends of thought remained only in the minds of the very few, who carried their thoughts only to themselves. Omar was very cruel to those individuals and treated them with extreme enmity. The preservation of the social system of the Meccan pagan community was the principle issue occupying the optimal importance in the mind of Omar ibn Al-Khattab.

Inspite of his knowledge, learning, wisdom and sagacity of mind, Omar's thoughts remained for sometime absolutely determined that the most vital objective in his thinking was the stability of the tribal structure of the Quryash and the integrity of its social system. He did not analyze the absurdly stupid pagan system of worship, he did not adhere to it nor did he practice it with belief. He was only concerned that the Quraysh would remain the most opulent Arab tribe with undisputed supremacy in wealth and man power. This could not be maintained except through the stability of its social system, and the integrity of its tribal structure.

The tribe of the Quraysh remained with their minds in the pitch darkness of Jahiliyah of paganism. Omar ibn Al-Khattab fiercely challenged with emphatic stubborness every trend of thought that was contrary to the tribal patterns and life style of the Quraysh. However, alone and in the silence of his educated rational mind, he revised the issues that were perturbing his innermost self. What was the Reality and Truth. The tide of time that was to carry to all humanity the enlighting light of the renaissance of true belief was yet to come.

society of Macca. He was also well known among the other tribes of the Arab Peninsula, and also in the markets of the neighbouring trade centres. The basic features of his character and personality were well known to all who knew him. He was strong in physique, tall in stature, sharp in temper, candid in opinion, prompt in decision, scupulous in action, simple, trustrowthy, dependable, and bluntly straight forward. The integrity of these characteristics were manifested in an unyeilding stubborn self respect, confidence of opinion and an intense capacity of patience and persevering challenge.

The beliefs and practices of the pagan society of the Quraysh in Macca did not hold a major portion of the interests of Omar. He accepted them as facts of communal practices associated with the structural built up of that tribal society. He did not think it was necessary or important to put that issue into analytical thought and rationale reasoning. His most paramount concern was the perpetual unity and integrity of the Quraysh as the opulent Maccan society with the undisputed supremacy of wealth and man power, amidst all the other tribes inhabiting the Arab Peninsula from the Syrian borders north, to the Indian Ocean south; and from the Arab Gulf east, to the Red Sea west.

The pagon beliefs of the Quraysh and other Arab tribes were not the only creedal practices in the Arab Peninsula. Judaism and Christianity were established forms of faith among some tribal groups resident at Al-Madinah, Khaybar, and in Negran; and in the Roman occupied territories north of the Peninsula in Syria and Palestine. These tribal groups believed in more rational comprehensive prophetic doctrines of faith. They refuted paganism and totally rejected its practices, and considered it degrading to the human mind. They achieved an intellectual civilization which they related to the doctrines of their faith, which the Arab pagan tribes failed to accomplish in their Jahiliyah of paganism and darkness of mind. Some Arabs who came in contact with Christianity succumbed to the influence of Christian missionary activities, believed in Divinity and rejected pagan practices and beliefs. They developed a much more intelligent and more logical system of belief. Omar ibn Al-Khattab was very antagonistic to this trend, and refused to reconcile with any understanding in this direction. He flatly considered such trend as a breech of tribal unity and group integrity. The issue at hand was the perpetual conflict between individual freedom, and communal group system. The individual cannot live without freedom and the society cannot survive without a cohesive system and pattern of life. Omar ibn Al Khattab was against those who diverted from paganism

of his age. He walked with a rapid stamping stride. His skin was white with a shade of redness. He developed great skills in physical activities, wrestling, and horsemanship. He excelled in speech dialogue, rational thought and decision making. For such qualities, he was deputized by the Quraysh to settle differences with other clans, and his embassy was well respected. Omar had a natural talent for poetry and literary sciences which he could compose with elegant fluency and gifted talent. Like most men of the Quraysh, Omar indulged in drink was fond of frequenting places where drink was liberally served. He was also pleasure seeking and pursued the satisfaction of his carnal desires by developing promiscuous relations with unchaste women.

Omar was always an eminent popular figure in all the tribal and communal gatherings and ceremonies of the Quraysh and other Arab clans. These profligate wanton actions were not particular to Omar ibn Al-Khattab; they were part of the prevelant life style of the very greater majority of the masculine elements of the Quraysh in these days of (Jahiliyah).

Omar inherited the stiffness of character and hard personality of his father Al-Khattab. For those characteristics, Omar was well reputed as a distinctive part of his personality. Like all other young men of the Quraysh, Omar took part in the trade activities of his tribe. He joined the trade convoys north to Syria in summer, and south to Yemen in winter. He also participated in trade convoys to Persia and parts of the Roman Empire. These travels of Omar did not increase his wealth as much as they increased his cultural faculties and abilities. His knowledge to read and write and his command of rational reasoning, argument and dialogue were assets that made him gain more sagacity and wisdom. Through these various foreign contacts and interactions, Omar developed a wider focus of understanding, and his mind grew more intellectually comprehensive, intelligent and ecumenical. Omar pursued the channels of knowledge and learning with perspicuous insistence and constant endurance. His mental faculty helped him to absorb, rationalize, differentiate, and finally construe a structural understanding of a paradigm of integrated discretion and candidness. The impact of such mental growth and maturity of Omar ibn Al - Khattab was optmized by the very basic inherent characteristics of the man. He became more desiring for perceptive wisdom, and less wanting for worldly lavish prodigality.

At the age of twenty five, Omar became an outstanding figure of the Quraysh and in the pagan idol-worshipping

OMAR IBN EL-KHATTAB

THE EARLY YEARS

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

Omar ibn Al-Khattab descends from the tribe of Adii ibn Kaab, one of the tribes of the Quraysh. However, the tribe of Adii did not enjoy the same social class nor the standard of wealth and opulance that the other tribes of the Quraysh possessed. This made the tribe of Adii seek knowledge and learning. The knowledge and wisdom they attained made them hold the function of envoys for the Quraysh, and as judges in disputes between the tribes of the Quraysh, and between the Quraysh and other clans. They were masters of speech and oration, skillful at discources. Their wisdom induced some of them to shun and avoid the practice of idol worship and paganism.

The father of Omar was Al-Khattab ibn Nufayl ibn Abd Al-Uzza ibn Rabah ibn Abd Allah ibn Qurt ibn Razah ibn Adii ibn Kaab. Adii ibn Kaab is the brother of Murrah, the eighth grandfather of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). The mother of Omar was Hantamah bint Hashem ibn Al-Mughirah ibn Abdullah ibn Omar ibn Makhzoum. Al-Khattab was a chieftain in his tribe, with no wealth or grandeur.He was characterized by a stiff personality, hard at heart, cruel and sharp in conduct. He was intelligent, adamant, courageous and highly respected among his people of Bani Adii, and among tribes of the Quraysh.

The early years of Omar ibn Al-Khattab were not well documented. He grew up as an ordinary youngster of the Quraysh; however, he learned to read and write an asset, which distinguished him among his age group at that time. During his adult age, Omar looked after the camels of his father Al-Khattab in the environs of Macca. When Omar grew into the age of youth, he developed the strong physique and muscular form in stature and tallness more that the average

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 62, Part I

Moharam, 1410, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab.
The Early Years.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Inherent Potency of Faith.
By: Fathy Mahmoud Yousef.

Preparation of Prints by : Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

صفر ١٤١٠ هـ
سبتمبر ١٩٨٩ م
الجزء الثانى
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

المال

حلاله وحرامه

٢

يرى « بعض » المصرفيين : ان عمل « البنوك التجارية » في المال حلال كله لا « ربا » فيه .

و « مقدمات » اولئك لهذه النتيجة التي يحبون ليست هي - بحال - الوسائل الشرعية لاستنتاج الاحكام الدينية .

وإنى لشديد الحرص حين اقول : « بعض المصرفيين » فليسوا - جميعاً - في الامر سواء ، ذلك ان منهم - وقد اذكر اسمه حين يسمح لي - مَنْ « فَقُهَ » الامر في ضوء دراسة شرعية تيسرت له ، فقال - في إحدى الجلسات :

ما عمل البنك إلا « إقراض » و « اقتراض » بفائدة فهو ربا .. اي هو حرام .

فاما الذين يحبون « الحِلَّ » فلا ندري : كيف اجازوا لانفسهم هذه « الرؤية » ، وهم لم يتخصصوا في دراسة الكتاب العزيز ، وبخاصة آيات الاحكام ، ولم يدرسوا الحديث الشريف او « الفقه » ، او « علم الاصول » ، وإنها لاسباب أوَّلية تؤهلهم لان يقولوا : هذا حلال وهذا حرام !!

←

أليست هناك مسائل ـ من أعمال « البنوك » ينبغي أن تدرس ، هاك بعضها على سبيل المثال :

(أ) خصم الأوراق المالية ،

وفيها يتنازل العميل للبنك عن ورقة مالية لم يُحلَّ موعدها ليحصل على قيمتها الاسمية ناقصة ما يسمى بـ « الأجيو Agio» .

فهل خلا هذا الأمر من « الربا »؟

(ب) فتح الاعتماد وما يقترن به من سلسلة أعمال .

(جـ) الائتمان .. أليس ينطوي على عملية « تكوين نقود » لا أقول « خلق نقود » لا حقيقة لها .. هل خلا من غرر ؟

(د) التأمين على الحياة .. شروطه .. موقف « البنك » من أقساطه .. ربح « البنك » من أمواله .

(هـ) إقراض « البنك » للأشخاص : حقيقيين أو اعتباريين :

هل هو قرض حسن ؟..

أم قرض بفائدة نظير الأجل ؟

وهل يمكن للمقترض ـ في كل الأحوال ـ أن يتسلم ما اقترض كاملاً دون حسم (فائدة) منه ابتداء ؟

أم تحسم ؟ أم تحسم في بعض الأحوال دون بعض ؟ وما فائدة المقترض ؟

(و) الوديعة المالية التي لا يطلب أصحابها « فائدة » عنها .

هل يحتفظ « البنك » بعينها شأن الوديعة الشرعية ؟

أليس تقضي الدراسة الواعية الهادفة أن يترك لكل متخصص أن يعمل في ميدانه دون أن يقحم نفسه فيما لا علم له به ثم يأبي أن يستجيب لأبسط الأمور التي تقتضي الحِلَّ وترفع الحرمة .

إن مجمع البحوث الإسلامية ، وهو ـ هنا ـ جهة الاختصاص لم يألُ جهداً ، أو يَدَّخر وسعاً ـ في سبيل دراسة النظام المصرفي حتى انتهى منه إلى أمور أعلنت في مؤتمره العالمي المنعقد في القاهرة عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥ م .

وفي هذا المؤتمر تم البت في أمور عدة بَيَّن المؤتمر ـ فيها ـ ما يحل وما يحرم ، ثم دعا العلماء ورجال المال والاقتصاد إلى إعداد دراسة لبديل إسلامي يحل محل النظام المصرفي .

فعل ذلك دون ضجيج من إعلام صحفي له إثارته وتناقضه وتحامله وبلبلته بما يستكتب من فكر بعيد المنطق غريب المدار .

ولقد لاح البديل ، والحمدلله ما ضاق به السبيل نعم .. وهو موجود .

والحمد لله .

ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلا إياه ؟

د. علي أحمد الخطيب

بيان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فيما يتداول من حديث البنوك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعـــــــــد :

فإن بعض الصحف نشرت كلمات حول « الفوائد المصرفية » و « الشهادات البنكية » ، وانعقدت ندوات هنا وهناك للحديث فى هذه الأمور بمعايير متباينة دون دراسة عميقة لواقع تلك المعاملات متناسين أو متجاهلين أن الحكم الشرعى المنتسب إلى أصول الإسلام وقواعده فى القرآن والسنة قد أوضحه العلماء فى أقطار المسلمين وجرت فى شأنه فتاويهم الجماعية حتى صار فى حكم الأمر المعلوم من الدين بالضرورة ويعلو على الأمور المختلف عليها .

وقد وقع القول الفصل من مؤتمر علماء المسلمين المنعقد فى شهر المحرم ١٣٨٥ هـ - مايو ١٩٦٥ م بهيئة مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الذى من مهامه بحكم قانون الأزهر بيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية والذى شارك فيه العديد من رجال القانون والاقتصاد والاجتماع من مختلف الأقطار حيث كان من قرارات هذا المؤتمر إجازة بعض صور التأمين التعاونى ونظام المعاش الحكومى وماشابهه من نظم الضمان الاجتماعى وفى شأن المعاملات المصرفية كان نص القرار :

١ - (الفائدة) على أنواع القروض ربا محرم ، لافرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى ومايسمى بالقرض الإنتاجى ؛ لأن نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة بتحريم النوعين .

٢ - كثير الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح فى قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ﴾ .

٣ - الإقراض بالربا محرم لاتبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك ولايرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة . وكل امرىء متروك لدينه فى تقدير ضرورته .

● نشر موجز من هذا البيان فى صحيفة الأهرام الصادرة صباح الجمعة :- ١٦ من المحرم ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩/٨/١٨ م .

← بيان الامام الاكبر شيخ الأزهر

٤ـ أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التى يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك فى الداخل كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة وما يؤخذ فى نظير هذه الأعمال ليس من الربا .

٥ ـ الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية .

٦ ـ أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أجل النظر فيها إلى أن يتم بحثها .

أفبعد هذا تُدَبَّجُ المقالات طلبا للحوار ، وتعقد الندوات للبحث فيما انتهى فيه الرأى الجماعى لعلماء المسلمين مستنداً إلى القرآن والسنة .

إن هذا الذى تناقلته الصحف من أنباء وآراء إثارة لموضوعات قد حُسِمَتْ واستبان فيها الحكم الشرعى على هذا الوجه ، وكان الأولى بهؤلاء وأولئك أن يكتبوا ويجتمعوا للمداولة فى أمور لم تحسم بعد كشهادات الاستثمار التى أصر مصدروها على عدم التعرض للقرارات الوزارية المنظمة لها والتى هى بمثابة العقد لها ، وتوقفوا عن قبول أى تعديل للصيغة لتتوافق مع العقود الشرعية وتخلو من الفائدة الربوية الصريحة ، وهم مع هذا الموقف يتنادون إلى إسباغ حكم إسلامى عليها بالحل دون أن يدرسوها كعقد من العقود التى وضع الرسول ﷺ قاعدتها فى قوله الشريف الذى رواه الترمذى وجاء فيه :

(... والمسلمون على شروطهم إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراما ..).

إن الأزهر الشريف يضع أمام الناس جميعا قرارات مؤتمر علماء المسلمين الجماعية فى عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م فيما يحل ومايحرم فى شأن الفوائد على القروض وبعض أعمال البنوك على الوجه المفصل آنفا .

وقد دعا هذا المؤتمر علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد إلى إعداد ودراسة بديل إسلامى للنظام المصرفى الحالى فهل تداولت هذه الندوات فى هذا الشأن وهل تصدت تلك المقالات لما أرجىء البت فيه لمزيد من الدراسة والبحث .

ذلك مالم يحدث .

وإنه من الحق أن نلتمس الهداية إلى الصواب من الله سبحانه الذى قال فى كتابه الكريم فى سورة النور من الآية ٦٣ ـ

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

وفى سورة التوبة الآية ١٢٩ ـ

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

وحدانية الله

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

لما ذكر ـ سبحانه وتعالى ـ شيئاً عن المؤمنين والكافرين والمنافقين خاطب البشر وناداهم بما أوجبه عليهم من عبادتهم له .

وكان النداء من الله للخلق بحرف « يا » ، لأن هذا الحرف هو عمدة النداء لباقى حروفه من نحو « الهمزة » ومن نحو « أيا » وماشابههما ، وهو دال على التوسط تنبيها للعبد إلى موقعه فلا ييأس من بعده عن ربه ، ولا يغتر بقربه من ربه ، وكذا فى نداء العبد لربه وهو أقرب إليه من حبل الوريد ليكون العبد بين الخوف منه والرجاء فى فضله .

ومناداة الله للعبد تشريف له .

والعبد يزهو على مقدار مولاه .

وقوله : « أيها الناس » منادى تفصيل بعد إبهام وتبيين بعد إجمال ليتنبه الإنسان إلى ماسيؤمر به وقد نادى العبد بإنسانيته ليحقق العبد وجوده فليس هو بالجماد ، ولا هو بالملك ، بل هو إنسان فى جسده وروحه يلتقيان ثم ينفصلان .

أمره بالعبادة تنبيهاً له إلى العنصر الأساسى فيه وهو العنصر الروحى ، فالجسد يحيا بغذاء مادى ، والروح يحيا بغذاء نورانى . فكن بأوصاف الربوبية متعلقاً ، وبأوصاف العبودية متحققاً . منعك من أن تدعى ماليس لك من أوصاف المخلوقين أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين ؟!

والعبادة فى الإسلام عامة تشمل كل نشاط إنسانى يأتى به فاعله ابتغاء وجه ربه ، وخاصة عرفية كالصلاة والزكاة والصوم والحج .

وكل عادة تتحول بالنية إلى عبادة كالأكل والشرب والعبادات فى الإسلام أدوية لأمراض القلوب مختلفة المقادير يدعى إليها من حصل أصلها التى تفرعت عليه ألا وهو الإيمان فلاعبادة صحيحة بغير إيمان ، ومن لم يؤمن فهو مسئول عن الإيمان ومايتفرع عليه .

والتوحيد الذى جاءت به الرسل إنما هو إفراد

وحدانية الله

الله بالعبادة ، إذ جميع البشر أو أكثرهم معترفون له بالتأثير ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ إلا ان المشركين اعترفوا بالتأثير وأشركوا معه غيره فى العبادة ، فما سلم توحيدهم ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ .

وأمر هنا بعبادة الرب تنبيهاً للخلق بأنه مستحق لها لفضله عليهم حيث أوجدهم من العدم ، وأولاهم عنايته ، فرباهم التربية الكونية والتربية الخلقية : « نعمتان ماخرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد » .

وفقرك إليه امر ذاتى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ .

ثم اخذ سبحانه يلفت نظر الخلق إلى الأدلة الدالة على وجوده ، فقال : ﴿ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ويسمى هذا بدليل الخلق ، مع أنه فى الحقيقة يقال عنه : « متى غاب حتى يستدل عليه ، ومتى بعد حتى تكون الآثار هى الموصلة إليه » :

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد
إلا على أكمه لا يعرف القمر
فقد بطنت بما أظهرت محتجباً
وكيف ينكر من بالعرف قد ستر

فهو سبحانه الخالق الرازق أوجدنا بعد أن لم نكن : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾ ، وكلفنا بعد أن أوجد فينا أهلية التكليف ليؤدى كل إنسان رسالته فى الحياة .

وسل نفسك أيها الإنسان : ألك رسالة فيها أم لا ؟ فإن اعترفت فاعلم أنها التكاليف ، وإذا انكرت فلا تحزن على إعدامك أو إلحاقك بالجمادات والعجماوات .

والتكاليف الشرعية موجهات إلى الإنسان لتنظيم حياته ، فهو « عبد » باعتباره منعم عليه ، و« سيدٌ » على ماسخر له .

وعلاقته بالمنعم أن يعبده .

وبأمثاله من البشر أن يعاملهم بما يجب أن يعامل به .

وبما سخر له أن يستنطق أسراره ، ويحصل على منفعته لمن سخر لهم .

أمرك بالطاعة ونهاك عن المعصية لما سيعود عليك أنت فلا تنفعه سبحانه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العصاة ، وسيعذبهم على الإخلال لأنهم خرجوا عن رسالتهم وكرامة الإنسان ناشئة عن إحساسه بمسئوليته وتحمله تبعة أعماله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً . لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ متعلق إما بالأمر بالعبادة والمعنى عليه : العبادة وسيلة لتحقيق غاية ، ولابد منهما ، والغاية هى التقوى وهى جماع الخير ، ومن زعم أنه يقوم بها من غير حاجة إلى القيام بوسائلها فهو معتوه سفيه ، لأنه يفعل شيئاً ويترك أشياء برأيه وهواه ، وقد أهدر علاقته بربه ، ومن أين للمدعى أنه يحقق الغاية بدون وسائلها الشرعية ، ولن تكون الغاية غاية إلا بوسائل حددها الشرع .

وإما أن يكون قوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ متعلقاً بقوله ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ والمعنى عليه أن الغاية من الخلق هى التقوى فقد خلقنا لنتآلف ونتحاب ونتعرف على الله فنقوم بعبادته ، ونحتكم إلى أوامره ونواهيه .

والفرق بين المعنيين .

أن التقوى سر العبادة فى الاحتمال الأول ، فليست العبادات أعمالاً « روتينية » .

أما المعنى الثانى فإن الغاية من الخلق هى القيام بعبادته على أوسع معانيها كقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

ـ قال ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً ﴾ وهذا هو دليل العناية ، (الجعل) معناه (الصيرورة) وإن كان (الجعل) يقع موقع (الخلق) فيكون معناه الإيجاد ، إلا أنه هنا جاء بعد الخلق فكان الأنسب له (الصيرورة) . وقد ذكر هنا السكن والساكن وسقف السكن ومايحتاج إليه الساكن فأمده بكل مايحتاج له ، مهد له الأرض ليمكنه التحرك عليها ، وأظله بسمائه ليتأكد أنه دائما فى قبضة خالقه : ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ وأنزل ماءً لينبهه إلى أصل خلقته وإلى امتداد بقائه ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ .

ثم قال :﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ ﴾ .

والمعنى : أن كل شىء بسبب ، وارتباط المسببات بأسبابها هى سنة الله : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ فالله خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لذاك ، وموافقة حكم الله لحكمته لا تستوجب إضطرارا إذ الحكمة صادرة عن اختيار .

وتأمل قوله ﴿ رِزْقاً لَكُمْ ﴾ ، والرزق : مابه انتفع الإنسان حراما كان او حلالا ، فـ (التقوى رزق) كما قال : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ ﴾ و (والتكذيب رزق) حرام كما قال : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ فالرزق هو حظ الإنسان ، وكثير من الناس يقصرونه على الرزق المادى .

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا
وما أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ
تغـن الملـوك بدنيـاهم عن الدين

وعقيدة التوحيد عندنا ـ نحن المسلمين ـ ملاذ جسد وروح تغنينا عن عصبية الدول والتفاخر بالأنساب ، ولا فضل لأحد فيها إلا بالعمل الصالح : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

و(الروحانيون) لا يضللون العقول .

أما (الماديون) فإنهم لا يعرفون للتضليل معنى حتى يحذروه ، يطلبون العدالة وهم لا يثقون بالعدل نفسه ، يرتكبون الظلم باطنا ليتصفوا بالعدل ظاهراً .

والإحسان بغير عقيدة ، لن يكون وسيلة للخلاص . وغلبة النفس عسيرة لكن إذا تيسرت فكل شىء مغلوب ، ومن جمع حياته فى روحه لم يرهبه الموت إلا كما يرهب المرء من تبديل كساءٍ بكساء

والنتيجة بعد سياق الأدلة :﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ د

« الند » هو الشريك ، والإشراك فى الكتاب والسنة اعتقاد أن لغير الله أثراً فوق ماوهبه الله من الأسباب الظاهرة ، وأن لشىء ما سلطانا يفوق قدرة المخلوقين .

وقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ هو القصد الجنائى فى لغة القانون ، والمعنى : وأنتم تعلمون أن ليس له شريك ومع ذلك عبدتم غيره معه ولم تفردوه بالعبادة .

أو المعنى جعلتم لله شريكا وأنتم من أهل العلم فكانت جريمتكم مزدوجة .

وزهو الماديين بالتقدم الآلى وعداؤهم للجانب الروحى نكسة لاتقـدم وتدهـور لا تطور ، فالصناعة التى تسخر الإنسان للآلة المادية هى شر على ملكات الروح فى الإنسان ، أما الصناعة التى تسخر فيها المادة لخدمة الإنسان فهى خير لملكاته وكيانه ، والإخاء العالمى لا يصلح إلا بين

←

وحدانية الله

أخوة أحرار ، وأين توجد الحرية فى عالم جعل الإنسان يعمل كآلة صماء لها الوقود والزيت ، ويكفيه الشحم واللحم ، وكل ما يرويه الناس باسم التاريخ ليس إلا رغوة متطايرة فوق بحر الحياة الإنسانية ، والناس فى حاجة إلى قوة تنشط بهم من عقال المعيشة المحدودة إلى حياة روحية غير محدودة .

وَسِعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث روحانيتك ، والمهمة الأساسية التى تقع على عاتق المفكر هى التمييز بين ماهو نافع وماهو ضار .

والعقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ، ويميز المتشابهات ويوازن بين الأضداد ، والمحك الحقيقى لقوة الإنسان المعنوية فى سلوكه فى الميادين التى تمتحن فيها مصالحه .

وأركان التوحيد الذى تدعو إليه الآيتان تنحصر كلماته فى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . نفى وإثبات .

وشروط صحتها : العلم ، واليقين ، والصدق ، والإخلاص ، والمحبة ، والقبول والانقياد . وللصمت المفعم بالشعور حكم أقوى من حكم الكلمات .

والحقائق العالية تقصر دون بلوغها الحروف والعيون والآذان . ومأحفل الكلمات القليلة بالأسرار حين ترتلها القلوب وخير فى العبادة قلب بلا كلام من كلام بلا قلب ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ .

أ . د محمد عبد المنعم القيعى

الربا في القانون الإسلامي

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد الله دراز
"رحمه الله"

مقدمـــة تاريخيـــة

قبل أن أعرض على أنظاركم وجهة نظر الإسلام في الربا (١) ، إئذنوا لي ياجناب الرئيس وياحضرات السادة والسيدات ، أن أقول كلمة موجزة عن وضع المسألة في طائفة من التشريعات السابقة ، مدنية كانت أم دينية .

مصـر في عهد الفراعنة :

يلوح أن قدماء المصريين لم يكونوا يحظرون الربا حظراً صارماً ، بل وضعوا له نظماً وقواعد تحد من أضراره ؛ ونحن ، وإن لم يصل إلينا نبأ هذه القواعد في جملتها ، فقد نعلم بعض الشيء عنها .

هذا (ديودور) المؤرخ الأغريقي يحدثنا مثلاً عن القانون الذي وضعه الملك (بوخوريس) من ملوك الأسرة الرابعة والعشرين ، والذي يقضي بأن الربا مهما تطاولت عليه الآجال لا يجوز أن يصل إلى مقدار رأس المال .

أثينا وروما :

أما في الدولتين الإغريقية والرومانية فإن الربا - قبل ظهور الإصلاحات التي وضعها (صولون) المشرع الإغريقي ، وقبل الإصلاحات التي وضعها مؤلفو (الألواح الاثنى عشر) في روما - كان شائعاً بدون قيود ولا حدود ، وكان العرف (٢) الجاري في كلتا المملكتين أن المدين إذا لم يوف دينه أصبح هو نفسه ملكاً للدائن . فجاء تشريع (صولون) قاضياً على هذه العادة الشنيعة ، حيث قرر أن تكون مسئولية المدين في ماله وذمته ، لا في شخصه ورقبته ، كما أنه حدد النهاية القصوى التي يمكن أن تبلغها فوائد الدين (يقال إنه حددها بنسبة ١٢٪ من رأس المال) . وكذلك صنع واضعو الألواح الاثنى عشر في روما ، وبقيت هذه النسبة محفوظة في التشريع الروماني حتى جاء (جستينيان) فجعلها تدور بين ١٢٪ للتجار وأمثالهم و٤٪ للنبلاء .

---

(١) نص محاضرة ألقاها بالفرنسية فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز مندوباً عن الأزهر في مؤتمر القانون الإسلامي المنعقد بباريس في ٧ من أغسطس عام ١٩٥١ ، وقد التزمنا في العنوان بالنص الفرنسي : Lusure En Droit Musueman .. الخطيب .

(٢) وكذلك جرى العرف في كلتا الدولتين بأن الفائدة السنوية يؤديها المدين على أقساط شهرية . قارن هذا بعادة العرب في الجاهلية أيضاً ، كما سيأتيك نبؤه قريباً .

الربا في القانون الاسلامي

هذه التشريعات كلها لم تظهر إلا فى أعقاب اضطرابات وحروب داخلية مستمرة بين الأغنياء والفقراء فى تلك الشعوب ، فكانت هذه الإصلاحات علاجاً وقتياً لتلك المشاكل الاجتماعية الخطيرة التى ولدتها هذه الوضعية الربوية .

هكذا مهما نصعد بنظرنا فى تاريخ التشريعات المدنية القديمة ، نجد أن مبدأ التعامل بالربا كان سائغاً فيها ، وأنه كانت توضع له فى بعض الأحيان نظم تحميه إذا لم يجاوز حداً معلوماً .

إسبارطة :

غير أن مدينة إسبارطة تبدو لنا فى صورة استثناء من هذه القاعدة العامة ؛ إذ لا يعرف فى تاريخها أنها تعاملت بالربا أو أنها نظمته . وقد يرجع السر فى ذلك إلى أنها - من جهة - لم تكن ذات طابع تجارى واضح ، حتى إنها لم يكن لها نظام نقدى ، بل كانت عمدتها الرئيسية فى التعامل هى المبادلة والتقايض ، ومن جهة أخرى فإن قانونها لم يكن يخول للغرباء الذين يحملون نقود بلادهم أن يدخروا الذهب والفضة ، ومن عرف عنه أنه يكتنز شيئاً منها كان جزاؤه الإعدام .

اليهودية والنصرانية :

فإذا ما انتقلنا الآن من المنظمات المدنية إلى التشريعات الدينية ، فإننا نشهد ظاهرة جديدة فى تاريخ التشريع فى هذا الشأن . فبعد أن كنا نرى التعامل بالربا فى الشرائع غير الدينية أمراً سائغاً فى حدود واسعة أو ضيقة . نرى التشريعات السماوية تتجه به نحو الحظر والتحريم الكلى .

هكذا نقرأ فى كتاب العهد القديم : « إذا أقرضت مالا لأحد من أبناء شعبى . فلا تقف منه موقف الدائن : لا تطلب منه ربحاً لمالك » (الآية ٢٤ من الفصل ٢٢ من سفر الخروج) ، وفى موضع آخر : « إذا افتقر أخوك فاحمله .. لا تطلب منه ربحاً ولا منفعة » (الآية ٣٥ من الفصل ٢٥ من سفر اللاويين) .

وكذلك نقرأ فى كتاب العهد الجديد : « إذا أقرضتم لمن تنتظرون منهم المكافأة فأى فضل يعرف لكم ؟ .. ولكن .. افعلوا الخيرات وأقرضوا غير منتظرين عائدتها . وإذاً يكون ثوابكم جزيلا » (الآيتان ٣٤ و٣٥ من الفصل ٦ من إنجيل لوقا) . ولقد أجمع رجال الكنيسة ورؤساؤها كما اتفقت مجامعها على أن هذا التعليم الصادر من السيد المسيح عليه السلام يعد تحريماً قاطعاً للتعامل بالربا . حتى إن الآباء اليسوعيين الذين يتهمون غالباً بالميل إلى الترخص والتسامح فى مطالب الحياة وردت عنهم فى شأن الربا عبارات صارمة ، منها قول سكوبار : « إن من يقول إن الربا ليس معصية يعد ملحداً خارجاً عن الدين » ، وقول الأب بونى : « إن المرابين يفقدون شرفهم فى الحياة الدنيا ، وليسوا أهلاً للتكفين بعد موتهم [٣] » .

أوروبا المسيحية :

هذه النظرة الدينية أقرها القانون المدنى الأوروبى فى سنة ٧٨٩ (مرسوم إيكس لاشابيل) وبقيت هى المذهب الوحيد فى أوروبا طوال القرون الوسطى . ولكنها بدأت تفقد مناعتها شيئاً فشيئاً منذ عصر النهضة ، على أثر الاعتراضات المتكررة التى وجهت إليها بين القرنين السادس عشر والثامن عشر من (كالفان) إلى (مونتيسكيو) . وكان لهذا الضعف مظهران : مظهر عملى . ومظهر تشريعي .

---

(٣) انظر باسكال فى مراسلاته الإقليمية ، الخطاب الثامن — Pascal, Les Provinciales

فأما المظهر العملى فهو أن بعض الملوك والرؤساء الدينيين أنفسهم أخذوا يجترئون على انتهاك هذا التحريم علناً . من ذلك أن « لويس الرابع عشر) اقترض بالربا ليسدد ثمن دانكرك فى سنة ١٦٦٢ ، وأن البابا (پى التاسع) تعامل بالربا فى سنة ١٨٦٠ . وأما المظهر التشريعى فهو أنه منذ آخر القرن السادس عشر (١٥٩٣) وضع استثناء لهذا الحظر فى أموال القاصرين[٤] فصار يباح تثميرها بالربا بإذن من القاضى .

أما الضربة القاضية التى وجهت إلى هذه النظرة الدينية فقد حملتها إليها الثورة الفرنسية حيث احتضنت المذهب المعارض وجعلته مبدأً رسمياً منذ قررت الجمعية العمومية فى الأمر الصادر بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٧٨٩ أنه يجوز لكل أحد أن يتعامل بالربا فى حدود خاصة يعينها القانون .

بلاد العرب قبل الإسلام :

لم يكن قد بقى لعرب الجزيرة فى الجاهلية من التراث الديني الذى تركه جدهم ، أبو الأنبياء ، إبراهيم عليه السلام ، إلا آثار قليلة لا تخلو من التحريف . ولذلك لم يفتأوا يتبعون أهواءهم ونزعاتهم المادية فى أكثر عباداتهم ومعاملاتهم . وكان من ذلك تعاملهم بالربا بدون قيد من عرف ولا تشريع . ولعل مرد هذا :

أولاً : إلى نزعة الاستكثار وحب الكسب التى تنمو عادة فى البيئات التى تزدهر فيها التجارة كما كان هو الحال فى مكة .

وثانياً : إلى علاقتهم المستمرة باليهود ، الذين هم جيرانهم وأبناء عمومتهم .

ولعلكم تعجبون أن تكون مجاورتهم لشعب ذى شريعة سماوية تحرم الربا سبباً فى تشجيعهم على التعامل به ، ولكن الذى يزيل هذا العجب أن نعرف أن هذه الديانة نفسها ـ حسبما ورد فى كتب[٥] أهلها ـ تبيح الربا كما تحرمه . نعم لقد سقنا آنفاً شواهد التحريم من نصوص التوراة ، ولكننا واأسفاه نجد فيها نصاً آخر يقيد هذا التحريم ويجعله خاصاً بالشعب العبراني ، بحيث يسوغ لليهودي أن يأخذ الربا من غير اليهودى[٦] (الآية ٢٠ من الفصل ٢٣ من سفر التثنية) . ولما لم يكن فى هذا النص تحديد قانونى لقدر الربا المأذون فيه كان ذلك فتحاً لباب الاستغلال المالي على مصراعيه بحيث يدخله أشد أنواع الربا فداحة وإفراطاً .

هكذا كان هذا النص المنسوب للقانون الموسوى سبباً فيما نرى (أو جزءا كبيراً من السبب) لا فى بقاء التعامل بالربا فى العالم إلى اليوم فحسب ، بل فى تهوين أمره على كثير من النفوس واتخاذها إياه أمراً مشروعاً فى بعض الأحوال .

ومهما يكن من امر فقد اعتاد العرب فى عصور الوثنية أن يقترضوا بالربا من اليهود وأن يتقارضوا به فيما بينهم ، دون أن يجدوا فيه حرجاً ولا غضاضة .

وقد عرفت لهم فى ذلك أنواع مختلفة من العقود الربوية . وأكثرها انتشاراً فيما بينهم كانت تبدأ المحاسبة فيه ـ على ما يظهر ـ من السنة الثانية ؛ بمعنى أن الدائن لا يطلب من مدينه شيئاً وراء رأس المال إذا وفاه دينه فى أجله المعلوم . فإن لم يستطع أداءه فى ذلك

(٤) قارن هذا بالرخصة التى أخذت بها المحاكم فى عهد الدولة العثمانية ، اعتماداً على الفتوى الواردة فى كتب الحنفية .

(٥) يريد ـ والله أعلم ـ الكتب المتداولة بأيديهم .

(٦) معروف رد القرآن (فى الآيتين ٧٥ و٧٦ من السورة الثالثة) على هذه الدعوى التى لا تدع لقانون الفضيلة إلا مجالاً محدوداً للتطبيق ؛ مع أن مبادىء الأخلاق يجب أن تكون عالمية لا حدود لها من جنس ولا لون ولا عقيدة ولا إقليم .

الأجل اتفقا على تأجيله سنة ثانية فى مقابل زيادة يختلف مقدارها على حسب التراضى بينهم ، ونضرب مثلاً : مديناً كان عليه أن يسلم للدائن فى أجل كذا حيواناً سنه ثلاث سنوات . فإذا لم يدفعه إليه فى ذلك الموعد أجله إلى السنة القابلة ، لكن الحيوان يجب أن تكون سنه إذ ذاك أربع سنوات . ولقد كانت تصل الزيادة فى بعض الأحيان إلى قدر رأس المال فى آخر السنة الثانية فتصبح المائة مائتين ؛ فإن لم يؤد تضاعف رأس المال والفائدة معاً فيصيران أربعمائة فى آخر السنة الثالثة وهكذا .

وضرب آخر من هذه العقود أن يدفع الدائن لمدينه قدراً من المال لسنة ، على أن يأخذ منه فائدة معينة كل شهر ؛ فإذا جاء آخر السنة ولم يرد رأس المال اتفقا على فوائد أخرى للتأخير .

البلاد الإسلامية فى العصر الحاضر :

لقد جاهد الإسلام والمسيحية قروناً متطاولة لا لمنع قانونية الربا فحسب ، بل لمنع التعامل به إطلاقاً .

بيد أننا رأينا آنفاً كيف انتهى الأمر بالثورة الفرنسية فى آخر القرن الثامن عشر أن قضت على هذه المقاومة فى أوروبا ، وأقرت النظام الذى بقى فيها منبوذاً طوال ألف عام كاملة .

وكان طبيعياً أن تؤدى العلاقات المستمرة بين أجزاء العالم القديم إلى انتشار هذه الفكرة المادية رويداً رويدا وانتقالها إلى خارج أوروبا ، وهكذا لم ينتصف القرن التاسع عشر إلا وقد سرت عدواها إلى البلاد الإسلامية ، فبدأ بعض المسلمين يتعاملون بالربا لا إقراضاً ، بل اقتراضاً ؛ ثم اتسع الأمر وشاع عملياً ، مع بقائه محظوراً قانونياً : ثم دخل الإذن به فى دائرة التشريع تحت ضغط السلطات الأوروبية المحتلة للأقطار الإسلامية ؛ وبقيت الشعوب الإسلامية نفسها مدة طويلة متمردة على فكرة تأسيس مصارف وطنية تكون مهمتها التصرف فى جميع المعاملات المالية التى منها القرض بفائدة .

ونذكر فيما يتعلق بمصر على الخصوص أن هذه المقاومة الشعبية بدأت تضمحل فى أول هذا القرن العشرين ، بسبب حادث تاريخى خاص أثار فيها أزمة مالية وأزمة نفسية فى وقت واحد . نعم لقد حدث إذ ذاك أن امتنعت المصارف الأجنبية المؤسسة فى مصر عن مد يدها بالقرض إلى الشعب المصرى ، فأصبح الشعب وقد وجد نفسه أمام محظورين لا مخرج له منهما :

إما أن يلجأ إلى المرابين الذين ليس فى قلوبهم رحمة يقترض منهم بأفدح الربا وأخطره .

وإما أن ينشئ شركة مالية برؤوس أموال وطنية خالصة ، يقترض منها المحتاجون بشروط غير مجحفة .

ومالت بعض النفوس إلى اختيار الشق الثانى غير أنه وقفت أمامها اعتبارات دينية قوية ، إذ كيف تقوم فى بلد إسلامى مؤسسة مالية مخالفة لقواعد القرآن ؟

هنالك فتح باب المناقشة فى الصحف وفى الأندية المختلفة ، وألقيت سلسلة من المحاضرات (٧) عرضت فيها مختلف الآراء فى الموضوع من حيث تحقيق المبدأ الإسلامى ؛ فالتقت آراء أكثر المحاضرين على رفض المشروع من الوجهة الدينية . غير أن فريقاً (منهم الكاتب

---

(٧) كان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩١٢ م) .

المشهور المرحوم حفنى ناصف ، والزعيم السياسي الوطنى المرحوم عبدالعزيز جاويش) أيدوا الفكرة معتمدين على نص قرآنى فى دعوى أن الربا المحظور فى الإسلام بالنص والإجماع إنما هو الربا الذى يصل إلى رأس المال أو يزيد عليه ، وأن كل ربح ينقص عن مقدار رأس المال ، فهو محل بحث واختلاف فى نظرهم .

- ٢ -

حقيقة حكم الربا فى الاسلام

أخذاً من المصادر الأولى للتشريع

هكذا نصل من طريق هذه النظرة التاريخية إلى صميم الموضوع القانونى .

ماحقيقة الأمر فى نظر الشريعة الإسلامية ؟ هل الإسلام يبيح الربا اليسير ؟

سأسرد على مسامعكم ، أيها السادة والسيدات ، نصوص الشريعة الإسلامية من منابعها الأولى ، تاركاً لكم أن تستخلصوا منها الجواب بأنفسكم .

(١) القــرآن :

ولقد يكون من المفيد فى صدر هذا البحث أن نذكر أنفسنا بطبيعة المنهج التعليمي فى القرآن ، حينما يكون بصدد محاربة بعض الرذائل التى تأصلت فى العرف العام ، والتى توارثتها الأجيال خلفاً عن سلف ، فى أحقاب متطاولة .

ذلك أن القرآن فى معالجته لهذه الأمراض المزمنة لا يأخذها بالعنف والمفاجأة ، بل يتلطف فى السير بها إلى الصلاح على مراحل متريثة ، متصاعدة ، حتى يصل بها إلى الغاية .

كلنا نعرف ما كان منه فى شأن الخمر ، وأنه لم يبطله بجرة قلم . بل لم يحرمه تحريماً كلياً إلا فى المرحلة الرابعة من الوحى . أما المرحلة الأولى (التى نزلت فى مكة) فإنها رسمت الوجهة التى سيسير فيها التشريع . وأما المراحل الثلاث (التى نزلت بالمدينة) فكانت أشبه بسلم : أولى درجاته بيان مجرد لآثار الخمر وأن إثمه أكبر من نفعه ، والدرجة الثانية تحريم جزئى له ، والثالثة تحريمه التحريم الكلى القاطع .

فهل يطيب لكم أن تدرسوا معى المنهج التدريجي الذى سلكه القرآن فى مسألة الربا ؟

إنه لمن جليل الفائدة أن نتابع هذا السير لنرى انطباقه التام على مسلكه فى شأن الخمر ، لا فى عدد مراحله فحسب ، بل حتى فى أماكن نزول الوحى ، وفى الطابع الذى تتسم به كل مرحلة منها .

نعم ، فقد تناول القرآن حديث الربا فى أربعة مواضع أيضاً ، وكان أول موضع منها وحياً مكياً والثلاثة الباقية مدنية ، وكان كل واحد من هذه التشريعات الأربعة مشابهاً تمام المشابهة لمقابله فى حديث الخمر .

ففى الآية المكية يقول الله جلت حكمته : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ « سورة الروم آية ٣٩ » هذه كما ترون موعظة سلبية : إن الربا لا ثواب له عند الله . نعم ، ولكنه لم يقل إن الله ادخر لآكله عقاباً . وهذا بالضبط نظير صنيعه فى آية الخمر المكية (١٦/ ٦٧) حيث أومأ برفق إلى أن ما يتخذ سَكَراً [٨] ليس من الرزق الحسن ، دون أن يقول إنه رجس واجب الاجتناب . ومع ذلك فإن هذا التفريق فى الأسلوب كان كافياً وحده فى إيقاظ النفوس الحية ، وتنبيهها إلى الجهة التى سيقع عليها اختيار المشرع الحكيم .

أما الموضع الثانى فكان درساً وعبرة قصها علينا القرآن من سيرة اليهود الذين حرم عليهم

(٨) السكر : بفتح السين والكاف : الخمر المعتصر .. الخ اللسان ..

الربا فأكلوه وعاقبهم الله بمعصيتهم . وواضح أن هذه العبرة لا تقع موقعها إلا إذا كان من ورائها ضرب من تحريم الربا على المسلمين ، ولكنه حتى الان تحريم بالتلويح والتعريض لا بالنص الصريح . ومهما يكن من أمر فإن هذا الأسلوب كان من شأنه أن يدع المسلمين فى موقف ترقب وانتظار لنهى يوجه إليهم قصداً فى هذا الشأن ؛ نظير ما وقع بعد المرحلة الثانية فى الخمر (٢/٢١٩) حيث استشرفت النفوس إذ ذاك إلى ورود نهى صريح فيه ؛ وقد جاء هذا النهى بالفعل فى المرحلة الثالثة ولكنه لم يكن إلا نهياً جزئياً : فى أوقات الصلوات (٤/٤٣) .

وكذلك لم يجىء النهى الصريح عن الربا إلا فى المرتبة الثالثة ، وكذلك لم يكن إلا نهياً جزئياً ، عن الربا الفاحش : الربا الذى يتزايد حتى يصير « أضعافاً مضاعفة » (٣/١٣٠) [٩] .

وأخيراً وردت الحلقة الرابعة التى ختم بها التشريع فى الربا (بل ختم بها التشريع القرآنى كله على ما صح عن ابن عباس) وفيها النهى الحاسم عن كل مايزيد عن رأس مال الدين حيث يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَائْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ . وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ « البقرة ٢٧٨ ـ ٢٨١ » .

هذه أيها السادة والسيدات نصوص التشريع القرآنى فى الربا مرتبة على حسب تسلسلها التاريخى .

وإنكم لترون الآن أن الفئة التى تزعم أن الإسلام يفرق بين الربا الفاحش وغيره (وهى فئة من المتعلمين الذين ليس لهم رسوخ قدم فى علوم القرآن) ، لم تكتف بأنها خالفت إجماع علماء المسلمين فى كل العصور ، ولا بأنها عكست الوضع المنطقى المعقول حيث جعلت التشريع الإسلامى بعد أن تقدم إلى نهاية الطريق فى إتمام مكارم الأخلاق يرجع على أعقابه ويتدلى إلى وضع غير كريم ؛ بل إنها قلبت الوضع التاريخى . إذ اعتبرت النص الثالث مرحلة نهائية ، بينما هو لم يكن إلا خطوة انتقالية فى التشريع : لم يختلف فى ذلك محدث ولا مفسر ولا فقيه .

على أننا لو فرضنا المحال ووقفنا معهم عند هذا النص الثالث فهل نجد فيه ربحاً لقضيتهم فى التفرقة بين الربا الذى يقل عن رأس المال ، والربا الذى يزيد عليه أو يساويه ؟

كلا ، فإنه قبل كل شىء لا دليل فى الآية على أن كلمة الأضعاف شرط لابد منه فى التحريم ، إذ من الجائز أن يكون ذلك عناية بذم نوع من الربا الفاحش الذى بلغ مبلغاً فاضحاً فى الشذوذ عن المعاملات الإنسانية من غير قصد إلى تسويغ الأحوال المسكوت عنها التى تقل عنه فى هذا الشذوذ ، ومن جهة أخرى فإن قواعد العربية تجعل كلمة « أضعافاً » فى الآية وصفاً للربا لا لرأس المال كما قد يفهم من تفسير هؤلاء الباحثين . ولو كان الأمر كما زعموا لكان القرآن لا يحرم من الربا إلا ما بلغ ٦٠٠٪ [١٠] من رأس المال . بينما لو طبقنا القاعدة العربية على وجهها لتغير المعنى تغيراً تاماً ، بحيث لو افترضنا ربحاً قدره واحد فى الألف أو المليون لصار بذلك عملاً

البقيـة ص ١٧٩

---

(٩) هذا هو النص الذى اعتمد عليه أصحاب نظرية الرخصة فى الربا اليسير . وسترى تفسيره قريباً .

(١٠) ذلك لأن الربا الذى يكون اضعاف راس المال [بصيغة الجمع] لابد ان يصل إلى ثلاثة امثال راس المال . فإذا ضوعفت هذه الأضعاف الثلاثة كان ستة أمثاله ، وذلك ما لم نره فى معاملة أجشع المرابين ، ولن نسمع به فى تشريع سابق ولا لاحق ، فيكون القرآن على رايهم متخلفاً عن جميع القوانين فى هذا الشأن .

ربح الودائع الاستثمارية

لفضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنة

هذا المقال جزء من مقال المجلة «من أعلام الأزهر» المنشور بهذا العدد ، تحدث به فضيلة الدكتور إلى «الكاتب» وقد رأت المجلة إفراده للمساهمة به فى مجال الدراسات القائمة حاليا فى الربا لأهميته ، قال فضيلة الأستاذ الدكتور للكاتب :

أريد أن يكون حديثى معك على هامش مقال نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٩/٦/١ م بتوقيع الدكتور/ عبدالمنعم النمر تحدث فيه عن أشياء ، المهم منها كلامه عن فتح باب الإدلاء بالرأى فى أمر آمن به الناس ، وسلموا له وهو : تحريم ربا القرض والوديعة فى المصارف أو تحريم فوائدهما .

●● **وأول ما يُلاحظ على مقال الدكتور أنه سمى هذه الفوائد (ربحا استثماريا) على أصل القرض أو الوديعة فهو فوائد لا غير أى زيادة فى مقابلة الأجل .**

●● **وما من أحد من العلماء علل تحريم الفائدة بأنها ربح محدود ، نعم جرى فى الخمسينيات خلاف بين «الشيخ عبدالوهاب خلاف» وجبهة علماء الأزهر فى أنه : هل تجوز الشركة بالربح المحدود ـ وكانت حجة التحريم ما جاء عن رسول** الله ـ ﷺ ـ فى المزارعة ، وخلاصته : أن الناس كانوا يزارعون على أن للمالك ما يخرج من مكان معين ، وللزارع كذلك ، فنهى النبى ﷺ عن ذلك لجواز ألا يخرج الزرع من المكان الذى عُين لأحدهما ، ثم قال : أما شىء معلوم مضمون فلا بأس به .

●● أما حجة تحريم فوائد الربا وبخاصة فى القرض والوديعة فهى :

أ ـ الظلم المستفاد من قوله تعالى : ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ البقرة ـ ٢٧٩ ـ فالمُقْرِض إذا أخذ الفائدة كانت زيادة محققة على رأس ماله ، أما المقترض الذى أخذ المال فإن فائدته من هذا المال مشكوك فى حصولها للشك فى فائدة المشروع الذى أراد القيام به .

●● ب ـ ولحمل المسلمين على القرض الحسن

←

بعث الشيخ الدكتور أبو سنة برده هذا على جريدة الأهرام تنفيذاً لطلبها فى فتح باب المناقشة حول هذا الموضوع ـ وكان ذلك والدكتور أبوسنة فى مكة المكرمة بالبريد الممتاز تحت رقم (٨٢) بتاريخ ٨ ذو القعدة سنة ١٤٠٩ ـ وقد اطلعت على نص مقاله ، والإيصال الدال على ذلك .

ربح الودائع الاستثمارية

الذى جعله الله من باب التعاون ووعد عليه جزيل الثواب .

ولابد بعد هذا من تناسى كلمة (الربح) التى استخدمها الدكتور/ النمر والكلام معه فى جواب السؤال الذى طرحه هل تحل فوائد الودائع فى المصارف ؟

ونجيب : إذا أودع المرء ماله فى مؤسسة مالية ثم أخذ الفائدة سواء حددها الدائن أو المدين فهذه الوديعة قرض عند الفقهاء ، وفائدتها ربا محرم ، وهو ربا الجاهلية الذى نزل القرآن بتحريمه ، والتى كان يقول فيها الدائن للمدين : زد فى المال أزيدك فى الأجل .

●● والفقهاء المتقدمون عن آخرهم جزموا بأن القرض داخل فى هذه المعاملة ، وما الوديعة إلا قرض أذن المودع للمصرف فى التصرف فيها : وأن سُميت وديعة كما أجمع على ذلك الفقهاء .

وقد اعترف الدكتور/ النمر بالحكمة من تحريم الربا ، وهى أن الدائن يأخذ فائدة مضمونة مائة فى المائة ، وأن البنك أو المصرف قد يخسر ، وإذا خسر وجد تعويضا لخسارته من الاحتياطى أو من البنك المركزى ، إذاً الظلم ، واحتمال الخسارة موجود إلا أنه سيجد التعويض عنها .

●● ونحن نقول له : لو أن محمداً مثلا قال لإبراهيم : أقرض عليا ألفا من الجنيهات بفائدة ، وإذا خسر علىٌّ فأنا ضامن له خسارته ، هل تجوز هذه المعاملة ؟! طبعا لا يقول الدكتور/ النمر ولا غيره : إن هذا خارج عن باب الربا .

●● وليس الربا محرماً إذا قصم الظهور فقط ، بل قليل الربا ، وكثيره حرام ، والغرض من ذلك تحقيق العدل بين الناس ، وإبعادهم عن الظلم ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ فليس يحل للدائن إلا رأس ماله .

●● ثم نسأل الدكتور : من أين يحصل البنك على الأموال التى يُعْطى منها الفوائد للدائنين أصحاب الودائع ، أليس جلُّ هذه الأموال من الفوائد التى يجمعها من الأفراد الذين أقرضهم أى أنها من الربا الذى اتفقت معنا على تحريمه ، وهو فوائد قروض الأفراد ، فإن صح أن المصرف لا يخسر فذلك لأنه يجمع ماله من طريق مقطوع بتحريمه بقوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ وهذا الربا حرمه الله فى الأديان السماوية غير الإسلام .

●● هذا وكلام الدكتور/ النمر مُنْصَبٌ على الودائع فقط : لأنها هى التى يتصور فيها أن تكون المصارف مدينة ، أما القرض فالمصرف فيه دائن ، والأفراد هم المدينون ، واحتمال الخسارة منهم باقٍ . فلا يستطيع القول أن ما يأخذه المصرف من فوائد القرض ليس بربا ، ولا فرق بين أن يكون المقترض هو الفرد أو الدولة ، فإن الدولة شخص معنوى .

●● ولا أدرى لماذا كل هذه المحاولات ، ويمكن للمصارف وغيرها تحقيق الربح من طريق المضاربات ، وغيرها من الشركات والمعاملات التى شرعها الله ، والله أعلم بأحكامه[1] .

---

(١) ... يستطيع القارىء ـ بمشيئة الله ـ متابعة رأى الشيخ ـ فى هذا العدد ـ فى باب «من أعلام الأزهر» فى حديثه عن مقتطفات من الربا منتشرة بالمقال مثل : حديث الناس عنه حاليا .. ، وشهادات الاستثمار ، والتأمين التجارى على الحياة ، والبديل عنه ، ورده والشيخ أبو زهرة التأمين على الحياة ... مجلة الأزهر

الطير الأبابيل في البيان القرآني

د. محمد رجب البيومي*

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .

[سورة الفيل]

توطئة

لا يزال المفسرون منذ نزل الكتاب الكريم ، يتفهمون معانيه ، ويستنبطون مراميه ، فى إخلاص مؤمن ، وصبر شجاع ، ولهم آراؤهم التى تكون موضع النقاش والمساجلة .

ولا حرج على إمام كبير أن يبدى رأياً ما فى تفسير آية ، فيقوم له من كبار الباحثين من يوجه النقد إلى تفسيره ، فى أدب ملتزم ، وعفة نزيهة .

ولدينا فى التراث التفسيرى للقرآن على مد العصور عشرات من الآراء التى كانت موضع الأخذ والرد بين السالفين والخالفين ، دون أن يكون هذا النقد مدعاة للتهكم الجارح السفيه ، إنما الحرج كل الحرج فى أن يصدر إمام كبير ـ هو رأس العلماء فى عصره ـ رأياً خاصاً فى تفسير آية كريمة ، ويسوق أدلته التى يراها موضع الترجيح دون أن يجزم ببطلان ما ارتآه السابقون ، ثم نجد بعد أمد بعيد ، من ينهض إلى انتقاص المفسر الكبير بلا علم ولا هدى ، ثم يترك مجال الجدل ليتحدث عمن أعماهم ضياء الغرب عن نور القرآن ، فهرعوا إلى تفسير كلام الله بما لا يعقل ، ثم يمضى فى تجريح من لا يصل إلى فهم كلامه ، فضلاً عن نقده ، وقد ظن أنه بذلك يكشف الستار عن أسماء موهومة خدعت الناس بأباطيلها ـ كما تجرأ على القول بذلك دون حياء ـ وقد كان فى أدب القرآن ـ حين دعا إلى القول بالتى هى أحسن ـ ما يمنع تلميذاً من التطاول على عالم كبير ، ولكنه التشنج الكريه فى غير مواقف الحماسة والصيال ، فمتى نعترف بمقدرتنا المحدودة ، أمام جهود الأئمة المُصْطَفَيْنَ !

←

---

* الكاتب : عميد كلية اللغة العربية السابق بالمنصورة ـ جامعة الأزهر .

الطير الأبابيل

(فقه الموضوع)

لقد كتب الإمام محمد عبده تفسيراً للجزء الثلاثين من كتاب الله ، وحين ألمَّ بسورة الفيل ، فتح الله عليه برأى فى تفسير الطير الأبابيل ، قال بصدده :

« وفى اليوم التالى ، فشا فى جند الجيش داء الجدرى والحصبة ، قال عكرمة : وهو أوَّل جدرى ظهر ببلاد العرب . وقال يعقوب بن عتبة فيما حدَّث ، إن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى ببلاد العرب ذلك العام ، وقد فعل الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذُعر الجيش وصاحبه ، وولّوا هاربين ، وأصيب قائد الجيش ، ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأنملة أنملة حتى انصدع صدره [أى أبرهة] ومات فى صنعاء .

قال الأستاذ الإمام :

هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به ، وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح ، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس ، الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فإذا اتصل بجسد دخل فى مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بإفساد الجسم ، وتساقط لحمه ، وأن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وأن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالميكروب لا يخرج عنها ، وهو فرقٌ وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئُها ، ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى فى قهر الباغين ، على أن يكون الطير فى ضخامة رءوس الجبال ، ولا على أن يكون له ألوان خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة ، وكيفية تأثيرها ، فللهً جند من كل شىء .

وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

ثم قال الإمام : « ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعزَّ بالفيل ، وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسماً ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ، ولا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر ولا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر » .

(تعقيب كاشف)

هذا ما قاله الإمام بنصه وهو فى بدء حديثه لم يخطىء المأثور مما قيل عن حادث الفيل حيث قال : هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به ، ثم قال « ويجوز لك » أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض والذباب ، ولهذا الجواز وجهة نظر صحيحة ، لأن الذباب طير ، والبعوض طير ، والنص القرآنى الكريم قد وقف عند كلمة الطير وحدها ، فلم يجعل الطير ذات أحجام كبيرة ، وذات رءوس ضخام كما جاء فى بعض الروايات التى لم تُسند إلى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا إلى أحد من صحابته الأكرمين ـ رضوان الله عليهم ـ فهى مما يسهل ردها لدى من يترجح لديه الرد ، كما يسهل قبولها لدى من يطمئن إليها بدليل آخر يسند ويعين ، وطبيعى أن يلقى هذا الرأى تأييداً

من فريق ، ورفضاً من فريق آخر ، ولكن الرافض من ذوى الأصالة الخلقية ، والعراقة العلمية لا يسمح لنفسه بالتطاول قيد شعره ، لأنه يعرف أن الإمام المفسر مجتهد يخطىء ويصيب ، وله أجره الموفور لدى الله فى الخطأ والصواب معاً ، ونستطيع أن نستشهد برأى المفكر الإسلامى الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ممثلاً للفريق الذى وافق الإمام وتابعه ، كما نستشهد برأى الشهيد الأستاذ سيد قطب رحمه الله ممثلاً للفريق المخالف على أن نلحظ كيف احترم الشهيد سيد قطب منطق الإمام ، وعلله بملابسات عصره ، وموقف المفكرين حينئذ من قضايا الإسلام فى زمن تكالب فيه الأعداء على رميه ظلماً بالجمود والتمسك بالأساطير ، فكان قطب مثلاً مستنيراً لصاحب الرأى المخالف ، الذى يتحدث بأمانة مخلصة ، وترفع نزيه .

(رأى العقاد)

كتب الأستاذ العقاد بمجلة الرسالة العدد ٧٤٧ فى ٢٧/١٠/١٩٤٧ مقالاً جيداً تحت عنوان (القرآن والنظريات العلمية) نَصَّ فيه على أن من الخطأ البين أن نجعل تفسير القرآن تابعاً للنظريات العلمية التى تَنْقُضُ اليومَ ما ثَبَتَ بالأمس ، والتى يجرى عليها الجدل بين المدارس العلمية على أسس شتى لم يتفق عليها العلماء .

ثم ضرب العقاد أمثلة للمحاولات المخطئة فى تفسير آيات كريمة لا مجال للحديث عنها الآن ، ولكنه من الوجهة المقابلة ضرب أمثلة للمحاولات المأمونة المعقولة التى لا حرج فى القول بها ، فقال :

« وقد تكون محاولات التوفيق مأمونة معقولة كقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التى تسمى بالميكروبات ، فالميكروبات موجودة لاشك فيها ، والإصابة بها محققة لذلك فى مشاهدات مجربة لا تقبل الجدال ، فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام إن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم ، فذلك قول « مأمون » **على سبيل الجواز والترجيح ، ولكنه غير مأمون على الجزم والتوكيد** ، لأن الحفريات التاريخية قد تكشف لنا غداً عن حجارة من سجيل ، أصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول » .

فالعقاد ، لا يمنع قبول هذا التفسير بل يقبله على سبيل الجواز والترجيح ، والأستاذ الإمام لم يقل إن رأيه هو الوحيد الذى يقبل الصواب ، بل أجاز الرأى المقابل كما بدأ تفسيره الجديد بقوله « ويجوز لك أن تعتقد » ولا أدل على الإنصاف من مسلك مفسر يقدر شتى الاحتمالات ، فلا يجزم ببطلان الحكم المخالف ، كما لا يَرَى أن رأيه وحده هو الصحيح .

(رأى سيد قطب)

أما الأستاذ سيد قطب فلم يسترح لرأى الأستاذ الإمام ، ولكنه أبدى ما أكده فى مواضع كثيرة فى تفسيره من أن سنة الله ليست محصورة فيما يعهده البشر وما يعرفونه ، لأنهم لا يعرفون من سنة الله إلا طرفاً يسيراً يكشفه الله لهم قدر ما يطيقون ، وبمقدار ما تتهيأ له مقدراتهم العقلية ، والخوارق من سنة الله وإن كانت غير ما عهدوه .

يقول الأستاذ سيد قطب :

« إن هناك قاعدة مأمونة فى مواجهة النصوص

القرآنية ، لعل هنا مكان تقريرها ، إنه لا يجوز لنا أن نواجه النصوص القرآنية بمقررات عقلية سابقة ، بل ينبغى أن نواجه هذه النصوص لنتلقى منها مقرراتنا فمنها نتلقى مقرراتنا الإيمانية ، ومنها نُكَوِّن قواعد منطقنا ، وتصوراتنا جميعاً ، فإذا قررت لنا أمراً فهو المقرر كما قَرَّرَتْه ، ذلك أن ما نسميه العقل ، ونريد أن نحاكم إليه مقررات القرآن عن الأحداث الكونية والتاريخية والإنسانية والغيبية هو إفراز واقعنا البشرى المحدود وتجاربنا البشرية المحدودة » .

فالشهيد سيد قطب يدعو إلى تقبل الخوارق دون تعليل بشرى يوحى به عقل محدود الإدراك مهما كان صاحبه مجتهداً إماماً ؛ لأن الخوارق خوارق بالنسبة لنا ، ولكنها سنن طبيعية بالنسبة لخالق السموات والأرض ، وحادث الفيل أمر خارق فى بابه ، ومحاولة تقريبه للذهن بتعليل علمى تجعله أمراً طبيعياً لا معجزة فيه ، وهو مع هذه المخالفة الصريحة لمنحى الأستاذ الإمام يقَدِّر كل التقدير دوافع اتجاهاته العلمية فى عصره الممتلىء بالتهجم على الإسلام افتراءً وبغياً من قوم ، وبالخرافات الوهمية التى تنسب إليه بغياً وجهلاً من قوم آخرين ، لذلك لجأت مدرسة الإمام إلى الاحتكام إلى العقل لتقنع ذوى الشطط الوبىء .

يقول الأستاذ سيد قطب بصدد رأى الإمام فى تفسير (الطير الأبابيل) :

« إننا ندرك ونقدر دوافع المدرسة العقلية التى كان الأستاذ الإمام رحمه الله على رأسها فى تلك الحقبة ، ندرك ونقدر دوافعها إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات فى تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ ، ومحاولة ردها إلى المألوف المكشوف من السنن الكونية ، فقد كانت هذه المدرسة تواجه النزعة الخرافية التى تسيطر على العقلية العامة فى تلك الفترة ، كما تواجه سيل الأساطير والإسرائيليات التى حشيت بها كتب التفسير والرواية فى الوقت الذى وصلت فيه الفتنة بالعلم الحديث إلى ذروتها ، وموجة الشك فى مقولات الدين إلى قمتها ، فقامت هذه المدرسة تحاول أن ترد إلى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل » .

(خاتمـــــة)

هذه وجهة النظر المخالف لتفسير الأستاذ الإمام ، ونحن نبسطها فى هذا المجال لنعطى درساً لمن يتوجَّهُون إلى نقد الكبار بالسفه المتطاول ، وهم بعدُ أشبه بالطلبة المبتدئين ، ولا أدرى كيف جاز لهؤلاء أن يفسروا كلام الله ، ومفسر القرآن لا يرتقى إلى هذا الأوج إلا بعد غوص دقيق فى شتى العلوم الإسلامية ، مع بعد النظر ، وثقوب الفكر ، وشمول الاطلاع ! ثم هو بعد ذلك ملتزم بفضائل النفس الإسلامية تواضعاً وتثبتاً وإنصافاً واعترافاً بالفضل لذويه .

الانتفاع بالوقت

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ «سورة إبراهيم ـ ٣١ ـ» في هذه الآية الكريمة يوجه ربنا رسوله الكريم إلى أن العمر فرصة وحيدة للعمل الصالح لمن شاء أن يكون عبداً شكوراً.

إن الله الرءوف بالعباد يكلف رسوله الكريم ـ وهو الحريص على المؤمنين، الرءوف بهم الرحيم ـ أن يستثمر المؤمنون الوقت لينتفعوا بأعمارهم التي هي رأس مالهم في حياتهم الدنيا. بإقام الصلاة لأنها صلة بين العبد الضعيف وربه القوي، بين العبد الفقير وربه الغني، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في معزل عن ربه الذي خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه وخاطبه ربه مباشرة ليستيقظ ويصحو لنفع نفسه بمراقبة ربه سراً وعلانية لكيلا يبتعد عنه فقال جل جلاله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ «سورة الانفطار ـ ٦ ـ ٨».

أما الإنفاق في سبيل الله من رزق الله فينبعث من قلوب المتقين الذين يؤمنون بأن الزكاة فريضة اجتماعية فرضها ربنا على القادرين وهي حق معلوم للسائل والمحروم. ولا يؤديها إلا من وقاه الله شح نفسه ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.. والعبادات كلها ترسل أشعة النور والهدى إلى قلب المؤمن فيحس في أدائها بالرضا والسرور ويشعر بلمسات نورانية تضيء القلب بإشراقات روحية تتجلى في الامتثال لأمر الله. ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ «سورة البينة ـ ٥ ـ».

والعبادات المخلصة لله وحده ـ الذي لا يقال لغيره: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ـ تنير القلوب وتطهر السرائر، ولا ريب أن الارتباط بالله يطهر النفس والمال والسلوك، وإنك لتجد الصوم تدريب عملي يومي على فطام النفس من شهواتها الجامحة ونزواتها المتمردة العاتية فهو يهيىء النفس للتقوى. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ «سورة البقرة ـ ١٨٣ ـ».

←

الانتفاع بالوقت

كذلك الصلاة يقول فيها ربنا : ﴿ اتْلُ مَاأُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَاتَصْنَعُونَ ﴾ « سورة العنكبوت ـ ٤٥ » .

والوقت تباركه الطاعات والعبادات التى هى كل عمل أو قول يرضى الله ويضاعف الحسنات عند الله وبها تحيا القلوب . ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ « سورة الحج ـ ٣٢ ـ » .

العمر فرصة وحيدة للعمل

الوقت هو : عمر الإنسان وليس بعد انتهاء الأجل من أمل إلا فى رحمة الله ، لأن العمل أحصاه الله ونسوه وعند الموت يندم المرء قائلاً : « ياليتنى قدمت لحياتى » وليس ينفع الندم ، فعلينا أن نأخذ من حياتنا لموتنا قبل فوات الأوان والمؤمن يعصم نفسه من التردى فى نقائص الأعمال والأقوال لتسمو منه الأخلاق فلا أثرة ولا أنانية ولا رياء ولا نفاق ، ولكن صفاء ونقاء وسخاء وعطاء ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من أحب لله ، وابغض لله ، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) « رواه الترمذى »

الإنســان مرتبــط بالانتفــاع بالوقت

يقول الله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ « سورة الفرقان ـ ٦٢ ـ » . ما أعظم الحياة التى يعيش فيها الناس فى ظل الإيمان بالله ، وما أكمل المجتمعات التى ترتبط بمكارم الأخلاق ومراقبة الله ..

والإنسان والوقت ثروتان هائلتان لكى تعمر بهما الدنيا : وذلك إذا كان الإنسان منتجاً يقظاً قوياً مستثمرا الوقت فيما ينفع الفرد والجماعة ، وأمّا تبذير الوقت فدليل على عدم الإحساس بالزمن ، والحصيف من الناس من يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، والأعمال رصيد كل إنسان حى تنطق بفضله إن كان عملاً صالحاً فى الدنيا ولأجر الآخرة أكبر عند الله ، ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ « سورة القصص ـ ٧٧ ـ » .

ولا يدرك قيمة الوقت إلا من سلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم .

وفى الحديث : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن اربع عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم ابلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ..) « رواه الترمذى » ..

وليس يفلت من المسئولية رجل مسلم بالغ عاقل رشيد أو امرأة مؤمنة كذلك (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) « البخارى » .. ذلك لأن الوقت نعمة والصحة نعمة والمواهب نعمة ، وإن العبء يعظم والمسئولية تتأكد وتتجدد كلما اتسعت آلاء الله على العبد وكلما ثقلت الأمانة التى لا يقدر على حفظها المهازيل من الناس ، ويستطيع كل مسلم أن يجعل حياته كلها أمانة عمل وفرصة عبادة ، لأن كل قول يرضى الله هو عبادة لله ، وكل فعل كذلك ، ويتوقف مصير المرء على إتقان العمل لأن الناقد بصير ..

« عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول

الله ألا تَسْتَعْمِلْنى ؟ (أى ألا تسند إلىَّ عملا قياديا أقوم به ؟) فضرب بيده منكبى ثم قال : يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها » . (رواه مسلم) .

والحياة الدنيا مجموعة من الأمانات فى رقاب العباد تراعى فيها حدود الله وحقوق العباد : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا . . ﴾ « سورة النساء ـ ٥٨ ـ » . فلا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والأمانة صفة الأبرار والخيانة صفة الفجار . ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ « سورة الانفطار ـ ١٣ ـ ١٤ » والمؤمنون حريصون على الانتفاع بالوقت أشد الحرص . فقد جعلوا أعمارهم موسماً لفعل الخير وتجنب الشر فأشاعوا المعروف وسارعوا فى الخيرات لعلمهم بأن الإسلام يبنى المجتمعات على التكافل والتعاون وعلى البر والتقوى ويقوم الأفراد فيه ـ وهم وحدات المجتمعات ـ بالبناء على التضامن والمساندة والمساعدة وحمل أعباء هذه الحياة فلا خير في حياة فرد يعيش لذاته وللذاته فقط ، ولكن الإنسان وجد ليعيش لنفسه ولبلده ولوالديه ولولده وللأقربين وللناس أجمعين .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة التوبة ـ ٧١ » .

وتلك هى صورة المؤمنين والمؤمنات كما جاءت فى كتاب الله الخالد وهيئتهم التى ينبغى أن يكونوا عليها .

وهؤلاء المؤمنون هم الذين يدركون أن التقوى تبنى المجتمعات على السماحة والأمانة والصدق والتعاون وحب الخير للغير وليست التقوى هى ذلك اللون الشاحب أو الصوت المتخافت ، ولكن التقوى قوة تدفع بإيجابيتها إلى فعل الطاعات والكف عن الموبقات ، والإنسان إنسان بإنسانيته ، بنبله وفضله ، وعلو همته ، وطهارة ذمته ، وحسن نيته وسلامة طويته واستقامة سلوكه وسيرته ، لأن الفرد هو وحدة البناء في المجتمع المتكامل المتصف بمكارم الأخلاق الإسلامية والله يقول : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ . ﴾ « صورة العصر ـ ١ ـ ٣ » .. وبالإخلاص يحيا العمل المقترن بالإيمان ، والإيمان إحساس داخلى لكل إصلاح اجتماعى خارجى [ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهو القلب] . وصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن غالباً . ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ . وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ . وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ . ﴾ « سورة المعارج ـ ١٩ ـ ٣٥ » .

هذه « صفات » المؤمنين التى جاءت فى كتاب رب العالمين ، لأن العبادات إن لم تصل بصاحبها إلى الاتصاف بمثل هذه الفضائل والشمائل كانت مردودة إليه ، لأنها غير مخلصة ، والإنسان الذى

←

الانتفاع بالوقت

يصاب بالهلع والفزع والقلق والجزع لم يرض بالقضاء ولم يصبر على البلاء وهو يعلم أن الزمن مشحون بالمكاره والضوائق ، والله بيده ملكوت كل شيء وهو الذى خلق فسوى والذى قدَّر فهدى وهو واهب الحياة ، ومفيض النعم ، وهو على كل شيء قدير ، فلا ينبغى أن يكون المسلم أسيراً للشيطان ولا عبداً للهوى ، فمن أعزه الله لا يذل لأحد سواه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ .. ﴾ « سورة الأنعام ١٦٢ ـ ١٦٣ » .

والمؤمنون كتابهم القرآن الخالد الذى أنزله الله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وهو الدواء الشافى لجميع العلل التى تصيب جسم المجتمع الإنسانى فى كل زمان ومكان ، وهو المنهج للحياة الآمنة والله يقول : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ « سورة الإسراء ـ ٨٢ ـ » . ويقول جل جلاله : ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ « سورة فاطر ـ ٢٩ ـ ٣٠ » . والإسلام قد انتشر بقوته الذاتية لأنه يعرض فضائله على الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتى هى أحسن .

و « الدعوة إلى الإسلام » تخاطب العقل والروح بالمنطق والوضوح وتجادل بالتي هي أحسن ، لأن ذلك الدين القيم كتابه خالد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن منهج الدعوة الإسلامية ، والقرآن يسوق الأدلة تلو الأدلة على وجود الله صانع هذا الكون الواسع الفسيح ومدبر أموره لتتلاقي آيات الله في الأكوان مع آيات الله في القرآن ولتشهد الأدلة والبينات وتتضح البراهين عند أولى الألباب السليمة والعقول القويمة على صدق الرسالات الإلهية ووحدانية الذات العلية ، والله يقول :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا . وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ . [سورة الفرقان ـ ٤٥ ـ ٥٠] .

« الإسلام والعقل »

والإسلام لا يحجر على العقل والفكر ، بل جعل الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض من أولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، والإسلام يقول للعقل اسبح كما شئت ولكن احذر الغرق ، ذلك لأن الإسلام تقوم دعوته كما تقوم عقيدته على الاقتناع العقلي والنظر فى الكون والنظر في النفس بالتفكير العلمي .. ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ . [سورة الذاريات ٢١] .

وقد اعتبر التقليد الأعمى تعطيلا للعقل وعمله لئلا تورث العقائد الباطلة عن الآباء والأجداد في تبعية عمياء من غير نظر عقلي ولا إدراك فقهي ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ . [سورة البقرة ـ ١٧٠ ـ] .

وقد اعتبرهم القرآن كالأنعام وحكم عليهم بأنهم أحط منها ، وأمثال هؤلاء الألى يعيشون بعقول غيرهم في باطلهم مصيرهم إلى النار

لتقليدهم آباءهم في كفرهم القديم ، والله يقول : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا . وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا . وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا . أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ . [سورة الأعراف ـ ١٧٩ ـ] .

ونحن نسوق هذا كله للذين يقلدون غيرهم فيما يضرهم ولا ينفعهم جريا وراء فكر وافد أو باطل راكد فى صدور الجاحدين جاهلين حرية الرأى جاحدين قيمة العقل البشري فبدلوا نعمة الله كفراً ، وكأنهم لم يدركوا مسئولية السمع والبصر والفؤاد : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ . [سورة الإسراء ـ ٣٦ ـ] .

أما المسلمون الذين سلكوا بعقولهم مسالك البحث العلمي السليم فقد وصلوا إلى نتائج علمية هائلة من أمثال الحسن بن الهيثم وجابر بن حيان وغيرهما ممن تقدمت بهم الحضارة والمعارف القيمة التي وعاها التاريخ وحفظها الزمن ..

« الإحسان لا يضيع أجره »

لكل امرىء مقدرة معينة ، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وكل ميسر لما خلق له والصدق دائما هو الطريق إلى مرضاة الله ، وإلى النجاح فى هذه الحياة ، وبالإحسان تسمو الحياة الإنسانية الآمنة لأن الإسلام دين الحياة والأحياء ، ودين السعادة والسيادة : دين يعلى الهمم ويسعد الأمم ، ونور الإسلام لا ينطفىء أبداً ، لأن الله يأبى إلا أن يتم نوره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . [سورة الأحقاف ـ ١٣ ـ] .

والإحسان هو خلو العمل من كل رياء بحيث لا يظهر المرء خلاف ما يبطن ، والإحسان دليل على طهارة القلب وكمال الإيمان ، وذلك لأن الوجه الصحيح للعمل هو إتقانه ، فلا يؤدي بصورة باهتة لا تمتلك قلوب الناس ولا ترضي رب الناس ، وقاتل الله تلكم الآفات الاجتماعية الخطيرة التي تغير المعالم الكريمة في النفوس لتحلَّ محلها ما يعود إلى الهلع والجزع والطمع والرياء والالتواء والغدر والخديعة ، والمظاهر الفاجرة التي لا تصل ما أمر الله به أن يوصل ، وكم كنت أتمنى أن تشمل مناهج التربية كل تنقية وتزكية تطهر سلوك شبابنا من سموم الإهمال والتسيب الكريه والاستهتار البغيض ، وذلك بتوجيههم إلى إيقاظ الوازع الديني بتربية الضمير اليقظ المهيمن على النفوس ، وليت المجال يتسع لبث روح الهداية التي يريدها ربنا بقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ . [سورة الإسراء ـ ٩ ـ] .

فماذا علينا لو أنصفنا أنفسنا باتباع منهج الله الذي جاء لتنظيم الحياة على لسان رسل الله ؟

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . . ﴾ . [سورة الحديد ـ ٢٥ ـ] .

إن المجتمع الذي يريد الارتباط بالله تتأكد شخصيته المعنوية باتباع ما جاء من عند الله على يد رسولنا محمد ﷺ ، فلا عذر لجاهل به أو غافل عنه والله يقول : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . [سورة الأنعام ـ ١٥٣ ـ] .

إن إنساناً يوكل إليه عمل ويأخذ عليه أجراً ثم يستهتر بعمله « يبيع الوقت ويسرقه » لهو إنسان

الانتفاع بالوقت

يخون عمله ويضر نفسه بنفسه ويجرها إلى شر مهاوى الخيبة والضياع وهذا يدل على أنه ساهم في إفساد الحياة ، وهذا دليل على اقتراب الساعة ، لأنه لم يكن أهلا لعمل أسند إليه لأنه غير أمين عليه ، فلم يؤد الذي ائتمن أمانته ، فقد جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة ؟ فقال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، فقال : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة .

« رواه البخاري »

ذلك لأن المسلم يحسن القيام بكل عمل يعهد به إليه وإن ضاع أجره أو قل عند الناس فلن يضيع عند من لا يضيع أجر المحسنين وهو رب العالمين الذي يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ . [سورة الكهف ـ ٣٠ ـ] .

ولقد أعان الله عباده بإرسال الرسل وإنزال الكتب لهداية البشر ليوجهوا وجوههم للذي فطر السموات والأرض يرجون رحمته ويخافون عذابه وطمعا في مرضاته التي هي غاية كل مسلم تقي ، والله يقول : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى . بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ . . . ﴾ . [سورة آل عمران ـ ١٩٥ ـ] .

ويقول جل جلاله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة شراً يَره ﴾ . [سورة الزلزلة ـ ٧ ـ ٨ ـ] .

كل غائب قد يعود
إلا الوقت المفقود

« وخيركم من طال عمره وحسن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله » ..

لقد عرف أقوام ـ لا يدينون بالإسلام فى أمم كثيرة من أمم الأرض ـ قيمة الوقت فلم يضيعوه في لغو أو ثرثرة لأنهم يدركون أن الزمن ثروة في اليد تأتي بالذهب إن لم يَذْهَبْ سدى ولم يضعْ هباء منثورا فى نوم طويل أو لهو عابث أو كسل كريه ، أو خمول بغيض يورث حسرة وغفلة وضياعاً ، ولكن المسلمين يقول لهم دينهم القيم : إن الأيام تطوى والأعمار تفنى . وتمر الأعوام تلو الأعوام . وتمضى الشهور والدهور والدقائق والثوانى وكلها محسوبة من الأعمار وكل يوم يقول للإنسان : أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد .

ويقول له : إن عمرك فرصة وحيدة للعمل قبل انتهاء الأجل ، ونحن دائما مأمورون بالانتفاع بالوقت قبل فوات الأوان لكيلا تضيع السنين ولا نحس بمرورها ، ولكن السجل مدون فيه عمل كل عامل وهو « إضمامة » حياته كلها وفيه عمل كل ثانية ودقيقة ، لأن الله لم يخلقنا عبثا ولن يتركنا سدى ، ولكن الله خلقنا لنعبده وعبادته تكون فى كل قول أو فعل يرضيه ، وقد أدرك أسلافنا الأولون قيمة الوقت فانتفعوا بأعمارهم وأخلصوا فى أداء أعمالهم ، فكانوا إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ، ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ لأنهم كانوا يسارعون فى الخيرات فبنوا حضارات ، وقدموا نماذج صالحة ومدنيات شامخة علمت الدنيا بناء المجد في المشارق والمغارب ، لأن الله قال لأمتهم المحمدية : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وهل يجهل مسلم على ظهر هذه الأرض أن الله هو القائم على كل نفس بما كسبت ، ويعلم ما تكسب كل نفس ، وهو خالق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ، ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ . فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!!

إذاً فماذا يُقَالُ .. ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا

وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ﴾ وللعمر بداية ونهاية والمؤمن القوى يضع هذه النهاية أمام عينيه دائما فيجد ويكد ويكدح وينتج انتفاعا بالوقت لعلمه بأن الوقت وسيلة لصالح العمل لمن شاء أن يستقيم ..

أما أولئك الكسالى فسيحاسبهم ربهم على إهمالهم فى أعمالهم ، فقد لعب الكرى بمعاقد أجفانهم حينا من الدهر حتى نسوا الله وكانوا قوما بورا . وهؤلاء سوف يُسْألون عن كل جزئية من أعمارهم وأعمالهم ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ . [سورة الأنبياء ـ ٤٧ ـ] .

وهذا الميزان دقيق جداً يزن الذرة والخردلة ..

« العمل والضمير »

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

إن كل إنسان يشعر فى أعماق نفسه بحاسة تأمر وتنهي ، تأمر بالخير وتنهي عن الشر فإذا استجاب لهواتف الخير شجعته هذه القوة على الاستمرار فى عمل الخيرات وبهذا تهدأ نفسه ويطمئن قلبه وينشرح صدره ، أما من تحدثه نفسه بالشر والضر وفعل الخبائث والنقائص ، فسوف تحدثه نفسه أيضا ـ إذا أقدم على فعله ـ بالمخاطر والمخاوف وجاءه الهلع والقلق من كل مكان وأحس بعدم الارتياح للعمل المنكر الكريه وأخذ يندم على ما اقترفت يداه من إثم ، ومن ثم يصحو ضميره ويشعر بهذه القوة الآمرة الناهية المحاسبة المعاتبة المؤنبة ، « وهذا هو الوازع الديني » . والنفس البشرية لابد لها من وازع أو رادع فالوازع يربيها ويرقيها ويهذبها ويؤدبها ويحاسبها ويعاتبها ، أما الرادع فيصدها عن غيها وبغيها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ . [سورة الأعراف ٢٠١] .

ولكن القوة الكامنة فى [الضمير] قد تمرض كما يمرض الجسم ، فيهيمن الهوى وتتمرد النفس الأمارة بالسوء فتشقى وتذل وتخزي باتباع الشيطان عدو الإنسان ولا علاج إلا بالعودة إلى الله فلا ملجأ منه إلا إليه ، وبذلك يستقيم الأمر ويستتب الأمن ، والله عفو غفور يقبل التوبة عن عباده ، ومما لا ريب فيه أن الاستقامة سر النجاح وسبب الفلاح ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدّاً ﴾ . ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

والقرآن يحذر من الانحراف لكيلا يتكالب الإنسان على شهوات الجسد الفانية ، لأن الدنيا كلها لا تساوى جناح بعوضة عند الله ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ والرشيد من الناس من يدرك جلال الإسلام فيسير فى الحياة على سنن واضح وصراط مستقيم فلا يضل ولا يذل ولا يزيغ ولكنه يمشى إلى مرضاة الله بخطوات مسددة موفقة لأن قلبه ملىء بحب الفضائل وبغض الرذائل ، فلم تمرض مداركه بالأنانية البغيضة والانتهازية الممقوته ، بل لقد تحمل من مكارم الأخلاق ما يعصمه من الهواجس والوساوس الضارة ليتجه إلى إخلاص العمل لله ، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم ..

لقد قالوا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه « إن فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر فقال : أيكم يكفيه طعامه وشرابه ؟ فقالوا كلنا يا رسول الله : قال كلكم خير منه » ومن الخير أن يكون المسلم عفيفاً نزيهاً طاهر السيرة ، نقي السريرة ، نظيف اليد والقلب واللسان ، والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ . [سورة الأحزاب ٧٠ ـ ٧١] .

لأن التقوى تهدى الحائر وتؤلف النافر وتشرح الصدر وترفع القدر ...

عمر بن عبد العزيز وأولاده

منهجاً وتربية

الوالد المربى يجعل للحب الأبوى إطاراً يحفظه فى أروع حدوده فلا ينصرف إلى تدليل يفسد الأبناء ، ولا يجعل من عطفه وشفقته سبيلا إلى إهمال ينزلق بهم إلى ما لاتحمد عقباه ، فيكون الضرر أكثر من النفع ، وعندها لا ينفع الندم والتحسر .

إن العاقل هو الذى يضع المنهج التربوى الصحيح أمامه ، ويَعْبُر بأبنائه : بنين وبنات الطريق إلى كل نافع مفيد ، وعليه أن يتأسى بمن سبق فى هذا المجال ، فيظلل بيته الهدوء وتصفو الحياة فى ظل رضوان الله اتباعا لما جاء به الدين الحنيف .

وممن كان له منهج من ظلال رضوان الله ودينه خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - لم يصرفه عن ذلك صارف سواء أكان قبل توليه الخلافة أم بعدها ، وماكان عظم المهام وثقل المسئولية والخوف من الله لتصرفه عن رعاية أولاده : بنين وبنات وعن التعرف على أحوالهم ، فيقدم إليهم ما يقتضيه واجب العناية والتربية ، ولم يَدَعْ عبأهم مع كثرتهم على كاهل غيره ، ولو كان أقرب الناس إليه .

أشرف بنفسه عليهم ، وخصص لهم جزءا من وقته ؛ ليطلع على أعمالهم فيقوّم معوجهم ، ويوجه أساتذتهم فى تربيتهم ، فيضع بهذا منهجا إسلاميا يصلح لأبنائه ، وهو فى نفس الوقت قاعدة أساسية لتربية أبناء المسلمين . وإن فى رسالته إلى مولاه سهل ، وقد اختاره ليؤدب أولاده منهجا قويما ينشىء الأمة الصالحة التى تكون درعاً ووقاية للبلاد والإسلام والمسلمين .

منهج عمر بن عبد العزيز فى تربية أولاده :

يقول الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - لسهل مولاه ومؤدب أولاده :

« أما بعد : فإنى اخترتك على علم منى بك لتأديب ولدى ، فصرفتهم إليك عن غيرك من موالىّ ، وذوى الخاصة بى ، فحدثهم بالجفاء ، فهو أمعن لإقدامهم ، واترك الصحبة ؛ فإن عادتها تكسب الغفلة ، وأقل الضحك ، فإن كثرته تميت القلب .

وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بَدْؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغنى عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف ، واستماع الأغانى ، واللهج بها ينبت النفاق فى القلب ، كما ينبت العشب الماءُ ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شىء مما ينتفع به .

وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت فى قراءته ، فإذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض حافيا ، فرمى سبعة

لفضيلة الشيخ
إبراهيم محمد الجمل

أرشاق ، ثم انصرف إلى القائلة ، فإن ابن مسعود - رضى الله عنه كان يقول :

« يابنى قيلوا ؛ فإن الشياطين لا تقيل » .

رسالته فى التربية :

هذه الرسالة تضع أسس التربية الصحيحة فى كل زمان ومكان ، فهى تضع أمامنا أول ما تضع اختيار المعلم ، واختيار المعلم يخضع لأسس ومقاييس ينبغى أن تراعى فليس كل إنسان صالحا لهذه المهمة ، وليس لنا أن نلقى بها على عاتق العامة من الناس ، وإنما نلقى بها على من كان منهم على خلق ودين وعلم حتى يتمكنوا من أن يصلوا بعلمهم وتأثيرهم إلى قلوب من يعلمونهم فيكونوا قدوة ونبراسا .

●●●

على المعلم والمربى والمؤدب أن يلتزم بالجد فى القول مع تلاميذه والدارسين عليه ، فلا يكون كلامه جزافا يقصد به التسلية ، وإنما يضع لكل كلمة معناها وما تؤدى إليه بعيدة عن الثرثرة واللغو من الحديث ، وليس للمعلم أن يتخذ من تلاميذه أصدقاء يودعهم أسراره ، ويشاركهم وقته وحياته ، فقد يكون ذلك أدعى إلى الاستهانة به ، وقد لا تعجبهم مواقفه ، فيؤدى ذلك إلى السخرية منه والاستهزاء به وعدم الاستجابة لما يطلب منهم .

وليس له أن يروّيهم النكات والمواقف الهزلية ، وأن يكثروا من الضحك واللعب أحيانا ، لأن ذلك أدعى إلى صرف القلب عن الصالح والجاد من الأعمال ، وفى الحديث الشريف نهى عن كثرة الضحك لتأثيره على القلوب .

« لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب [1] » .

إن الانزلاق فى هاوية الملاهى ، والحرص على حضور المعازف والمغانى عظيمة الأثر السىء فى حياة الإنسان ، وإن الأضرار التى تلحق بالإنسان من جراء ذلك قد لا يوجد لها علاج شافٍ ، ولقد وجدنا أنه مامن شر يقدم عليه الشخص إلا كان من أثر ملازمة الملاهى ، والحرص على حضور المغانى والمعازف ، لذلك فقد كان أمير المؤمنين على حق واضح فى دعوته إلى البعد عن ذلك .

وإذا كانت التربية الروحية المستمدة من تعاليم الإسلام لها أكبر الأثر فى ميزان الحياة فإن القرآن الكريم هو الدعامة الكبرى لهذا الدين وله الأثر الفعال فى التوجيه والقيادة إلى سواء السبيل . لأنه يورث المسلم الخلق الفاضل ، والهداية إلى الطريق المستقيم .

المنهج التعليمى :

ثم يأتى بعد ذلك المنهج التعليمى الذى يرغب فيه الإنسان ، وفى مقدمته التدرب على الجهاد والقتال . والتمرين على ما يتخذ لأجله ، فعلى الطالب أن يمارس ذلك ، وإذا كانت الخيل هى السبيل فى الماضى ، فإن للحاضر أداته لإعداد العدة للدفاع عن النفس والوطن والدين .

ولم تنس رسالة أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز وقت الراحة اليومى للإنسان فجعلها وقت القيلولة ، فله أن يستريح ويقيل ، فهذا أدعى إلى راحة البدن والنفس والقلب ، ليعاود العمل المثمر والجد والاجتهاد .

←

(١) أخرجه الترمذى فى الزهد ، وابن ماجه عن أبى هريرة قال فى الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

عمر بن عبد العزيز وأولاده

وقد استدل على ذلك بما روى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - فإنه كان يقول : « يابنى قيلوا فإن الشياطين لا تقيل » .

●●●

كان لعمر بن عبد العزيز من البنات : « أمينة » و« أم عمار » و« أم عبد الله » .

ومن البنين : « عبد الله » و« أبو بكر » و« إبراهيم » و« إسحاق » و« يعقوب » و« موسى » و« الوليد » و« عاصم » و« يزيد » و« عبد العزيز » و« عبد الملك » عاشوا معه فترتين من حياته .

الأولى : قبل أن يتولى الخلافة ، وقت كانت حياته حياة ترف ونعيم مقيم لم يره أموى من أراض وقصور غير ما ورثه من ضياع منتشرة فى كثير من الآفاق .

وكان عمر نفسه مرفها قبل الخلافة ، وبلغ من رفاهيته أن الناس كانوا ينتظرون يوم أن تؤخذ ملابسه إلى المغسل لتغسل ملابسهم بعد ملابسه ، حتى ينالها الكثير مما نزل منها من الطيب فى الماء .

الثانية :

وهى التى تبدل كل شىء فيها ، وكانت عقب الخلافة ، وتوليه أمر المسلمين ، فكان أول ما فعله بأهل بيته وأولاده ، أن نادى زوجته بنت الخليفة عبد الملك بن مروان ، ابنة عمه سليلة الملك والعز والجاه والسلطان والأصل والجمال ، وقال لها :

الآن تغيرت الأمور ، وسوف نعرض لشظف العيش وجفافه ، ولن نتملك منه إلا لقمة لقمة ، فإن رأيت أنك ستتعودين على ذلك فأهلا ومرحبا ، وإن رأيت أنك تنشدين العز والرفاهية والنعيم فأنت فى حل من أمرك .

لكنها - رضى الله عنها - فضلت أن تعيش مع عمر زاهدة عابدة مطيعة ، وعلى ذلك رضى أولاده من البنين والفتيات الذين نعموا بالعناية والتوجيه والتربية واستجابوا له ، ووقفوا بجانبه على سمع وطاعة .

●●●

كان رضى الله عنه يصلى العشاء ، ثم يدخل على بناته ، فيسلم عليهن ، دخل عليهن ذات ليلة فلما أحسسنه ، وضعن أيديهن على أفواههن ثم تبادرن الباب .

قال عمر للحاضنة : ما شأنهن ؟

قالت : إنه لم يكن عندهن شىء يتعشينه إلا عدس وبصل ، فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن .

فبكى عمر ، ثم قال لهن :

يابناتى ما ينفعكن أن تتعشين الألوان ، ويمر بأبيكن إلى النار ، فبكين حتى علت أصواتهن ، ثم انصرف .

●●●

مرت أمينة ابنة الخليفة عمر بن عبد العزيز يوما عليه ، وهو جالس ، فدعاها الخليفة :

يا أمينة .. يا أمينة ..

فلم تجبه ، فأمر إنسانا فجاء بها فقال : ما منعك أن تجيبى ؟

قالت : إن ملابسى ليست حسنة !

فقال : يامزاحم - وزيره - انظر إلى تلك الفرش التى فتقناها ، فاقطع لها منها قميصاً .

فذهب إنسان إلى أم البنين عمتها فقال : ابنة أخيك ليس عندها من الملابس ما تستحسنه ، وأنت عندك ما عندك ، فأرسلت إليها بتخت من ثياب وقالت :

لا تطلبى من عمر شيئاً .

ويروى أن ابنته أرسلت إليه بلؤلؤة وقالت له :

يا أبتى إن رأيت أن تبعث لى بأخت لها حتى أجعلها فى أذنى ؟

فأرسل لها جمرتين ، ثم قال لها :

إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت إليك بأخت لها !

إن كثرة البنين من أولاده لم تقصر به عن

نصحهم وتدريبهم وتوجيههم إلى ما ينفعهم فى دنياهم وآخرتهم .

حكى ابنه عبد العزيز[٢] ـ أن أباه كان دائم الوصية له ولإخوته ومما كان يقول له :

« يابنى إذا سمعت كلمة من أمرىء مسلم فلا تحملها على شىء من الشر ما وجدت لها محملا على الخير » .

ومما روى أن ابنه عبد الله ذهب إليه ، وقال له : اكسنى ياأبت فقال له : اذهب إلى الخَيَّار بن رباح البصرى ، فإن لى عنده ثيابا ، فخذ منها ما بدا لك .

قال : فذهبت إلى الخيار بن رباح ، فقلت له : استكسيت أبى ، فأرسلنى إليك ، وقال : إن لى عند الخيار بن رباح ثيابا .

قال : صدق أمير المؤمنين ، فأخرج إليه ثيابا رخيصة ، رأى عبد الله ابن الخليفة أنها لا تناسبه ، فسأل الخيار : هل عندك غيرها له ؟

قال : ما عندى غيرها لأمير المؤمنين فخذ منها ما بدا لك .

لم يأخذ عبد الله منها شيئا ، ورجع إلى أبيه عمر ، فقال : يا أبتاه استكسيتك ، فأرسلتنى إلى الخيار بن رباح ، فأخرج لى ثيابا ليست من ثيابى ، ولا من ثياب قومى ، قال : فذاك ما لنا عند الرجل . فانصرف عبد الله حتى إذا كاد يخرج ناداه فقال له :

هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم ؟

قال : نعم يا أبتاه .

فأسلفه مائة درهم ، فلما خرج عطاؤه حوسب بها . فأخذت منه . قال مسلمة بن الخليفة عبد الملك يذكر عطاء عمر لأولاده : « رحم الله عمر والله لقد هلك ، وما بلغ ابن له قط شرف العطاء » .

وروى أن بعض أولاد عمر اتخذ خاتما ، واشترى له فصا بألف درهم ، فكتب إليه عمر :

أما بعد فقد بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم فبعه . وأشبع ألف جائع ، واتخذ خاتما من حديد صينى واكتب عليه « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » .

كان عمر يكره أن يلى أحد أولاده ولاية أو منصبا ، مكتفيا بنفسه راغبا عن الحسابة لولده متأسيا بجده الخليفة الثانى عمر بن الخطاب حيث خوطب فى تولية ابنه عبد الله بن عمر ، فأبى وقال أعمر وابنه ؟!

روى أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه :

« أتحبون أن أولى كل رجل منكم جندا فينطلق تصلصل به جلاجل البريد ؟ فقال أحد أبنائه : لم تعرض علينا شيئا لست صانعه بنا .

فقال عمر رضى الله عنه :

إنى لأعلم أن بساطى هذا يصير إلى البلى ، وإنى لأكره أن تدنسوه بخفافكم فكيف أقلدكم دينى تدنسوه فى كل جند » !!

ثم مرض عمر بن عبد العزيز ، وكان آخر ماتكلم به عمر أن قيل له : لقد تركت أولادك صغاراً ، وهم كثير ، وليس لهم مال ، ولم تولهم إلى أحد .

قال رضى الله عنه :

ماكنت لأعطيهم شيئا ليس لهم ، وماكنت لآخذ منه حقا لهم ، أولى فيهم الذى يتولى الصالحين ، إنما هؤلاء أحد رجلين رجل أطاع الله ، ورجل ترك أمر الله وصنيعه .

وروى أن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر فى مرض موته ، فقال : إنك افقرت ولدك من هذا المال فتركتهم عيلة لا شىء لهم ، فلو أوصيت بهم إلىّ وإلى نظرائى من أهل بيتك .

فقال عمر رضى الله عنه : اسندونى ثم قال : اما قولك إنى أفقرت أفواه ولدى من هذا المال ، فو الله إنى مامنعتهم حقا هو لهم ، ولم أعطهم ماليس لهم .

أما قولك : لوأوصيت بهم إلىّ أو إلى نظرائى من أهل بيتك ، فإن وصيتى فيهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

البقية ص ١٧٩

(٢) تولى عبد العزيز هذا إمارة مكة والمدينة على عهدى : يزيد بن عبد الملك ، ومروان بن محمد .

الربا في عمليات البنوك

انتهينا فى المقالين السابقين إلى أن النشاط الأساسى للبنوك هو التعامل فى الأموال ، عن طريق القيام بدور الوسيط بين من يمتلكون فائض أموال فيودعونها لدى هذه البنوك ، وبين المقترضين ، وأن عمليات الإيداع والإقراض تتم جميعها مقابل « فائدة » ، يكون « الزمن » عنصرها الرئيسى ، فهى عين « ربا النسيئة » الذى استقر حكم تحريمه منذ نزلت الآيات الدالة على ذلك . وقد أوضحنا الآثار الربوية المدمرة التى تنتج عن أسلوب عمل البنوك باستخدام « سعر الفائدة » .. فهدف البنك التجارى هدف غير مشروع منذ البداية .

وأود أن أوضح هنا أن حرمة عمليات البنوك ، وآثارها الربوية تدور وجودا وعدما حول الإقراض « بفائدة » ؛ أى حول التعامل فى المال لزيادته دون أن تكون هناك « عملية إنتاجية » أو « خدمة مشروعة » يستفيد منها أطراف التعامل أو المجتمع ، وهذا هو المعيار الدقيق للتفرقة بين « الربا » وبين « البيع » .. ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وبتطبيق هذا المعيار على أهم عمليات البنوك ـ خلاف عملية الإقراض « بفائدة » والسابق معالجتها ، وبيان حرمتها ـ من خلال العرض لهذه العمليات يمكننا التوصل إلى النتائج التالية .

١ ـ الحسابات الجارية :

وهى المبالغ التى يودعها العميل « بالبنك » ويكون له حق سحبها كلها أو بعضها عن طريق « الشيك » أو « أمر الصرف » ، « بمجرد الطلب » ، فى أى وقت يشاء ، أو بعد مرور مدة زمنية من الإيداع يتفق عليها ، أو بعد أن يخطر العميل البنك بأنه مقدم على السحب .

وقد يكون « الحساب الجارى » « دائنا » ، وفى هذه الحالة يتقاضى المودع « فائدة » إذا كانت وديعته « مشروطة » بأن ينتظر وقتا معينا أو بإخطار البنك قبل سحبها ، ولا يحصل المودع على « فائدة » إذا كانت وديعته « تحت الطلب » ، مهما طالت مدة الإيداع ، مالم يتفق بين الطرفين على غير ذلك فى حال المبالغ الكبيرة التى يأمن البنك عدم سحبها دفعة واحدة .. لكن البنك يحصل على « فائدة » من صاحب الحساب الجارى إذا ما أصبح حسابه « مدينا » ، ويكون سعر « الفائدة » الأخيرة هو سعر فائدة « القروض » بينما يكون سعر « الفائدة » فى الحالة الأولى هو سعر فائدة « الإيداع » .

وبطبيعة الحال فإن البنك يستخدم الأموال التى فى حوزته فى عمليات « الائتمان بالطريقة وبالشروط التى أوضحناها فى المقال السابق .

وتعتبر عمليات « الإدخار » المختلفة من صور الحسابات الجارية « المشروطة » فمن ذلك : « دفاتر التوفير » بأية عملة كانت مقابل الحصول على فائدة فقط ، أو فائدة وإيراد شهرى ، أو فائدة وجوائز ..

ومنها « الإيداع مقابل شهادات تعطى حاملها حق الحصول على دخل شهرى ثابت ، إذ يحتسب هذا الإيراد الشهرى الثابت على أساس سعر الفائدة « الربوية » السائد .

بقلم لواء أ.ح
فوزى محمد طايل

ومن أشهر عمليات « الإدخار » الحديثة « شهادات الاستثمار ». فإن ربوية شهادات المجموعتين « أ » و « ب » واضحة لوجود سعر « الفائدة » فى كل منهما .

الفائدة فى كل منهما :

خلاصة هذا : أن « الحسابات الجارية » ، وهى تمثل حوالى ٧٠٪ من عمليات البنك تدار بالاعتماد على « سعر الفائدة » ، فهى « ربا » يستوى فى ذلك « دفاتر التوفير » أيا كان وصفها ، و« شهادات الادخار » ذات « الإيراد الثابت » ، و« شهادات الاستثمار » بمجموعاتها . فكل الأموال المودعة دون استثناء تستخدم عند الإقراض « بفائدة ربوية » ، ومعظم هذه الأصناف تحصل على « فائدة ربوية » ، أو على دخل ، أو جائزة ، دون وجه حق ، فهى ضرب من أكل أموال الناس بالباطل .. حتى من لا يحصل على شىء من تلك الجوائز فإنه قد وظف أمواله فى العملية « الربوية » يقول رسول الله ـ ﷺ ـ فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى .. » .

٢ ـ خصم الأوراق التجارية :

تقوم البنوك بالتعامل فى الأوراق التجارية : « الكمبيالات ـ السندات الإذنية » التى يقدمها العملاء بإحدى الصور التالية :

١ ـ تحصيل الأوراق التجارية لحساب العملاء مقابل « عمولة » ، أى أجر عن العمل أى « الخدمة » التى يقوم بها البنك ، وهذا عمل مشروع بحسب أصله شريطة ألا يستخدم البنك حصيلة هذه الأوراق فى « عملية ائتمان » لحين استلام صاحب الأوراق التجارية لقيمة أوراقه نقدا ، وهذا الاستخدام هو ما تقوم به البنوك عملا ، ومفاده أن البنوك التجارية يمكنها أن تقرض أى مبالغ تصلها ، ولو لبضعة أيام وأحيانا لبضع ساعات ـ المبالغ الضخمة ـ مقابل « فائدة » ، فتتحول عملية تحصيل الأوراق التجارية من عملية مشروعة إلى « ربا محرم » من هذا الباب .

ب ـ إيداع الأوراق التجارية كضمان للسُّلف ، وهذا الضمان فى حد ذاته عمل مشروع ، لأنه من قبيل « الرهان المقبوضة » فى الديون « الآية ٢٨٣ / سورة البقرة » ، إلا أن القرض الذى يمنحه البنك التجارى ليس قرضا حسنا ، لكنه دين أفضى إلى ربا النسيئة ، كما ذكرنا من قبل فكانت « هذه العملية محرمة » من هذه الناحية .

جـ ـ خصم الأوراق التجارية : ويعد هذا العمل من أهم أعمال « البنوك » إذ يقوم العميل بالتنازل عن الورقة التجارية ـ التى لم يحل موعد تحصيلها بعد ـ للبنك ، فيحصل العميل على « قيمتها الأسمية » المدونة فيها ، ناقصا ما يسمى « بالاجيو » وهو عبارة عن : « عمولة البنك » ومصاريف التحصيل ، و« الفوائد الربوية » التى تحسب على أساس « المدة الزمنية » المتبقية من تاريخ تسليم الورقة للبنك حتى تاريخ استحقاقها المدون فيها .. وعلى هذا

فعملية خصم الأوراق التجارية هى « عملية ربوية » لاشك فيها ، إذ هى لا تعدو إقراضا بفائدة مع تسليم الورقة التجارية كرهان يتولى البنك الحصول على قيمته فى وقت لاحق .

وحتى يضمن البنك التجارى زيادة ربحه « الربوى » ، فإنه يقوم بإعادة خصم نفس الأوراق لدى البنك المركزى بفائدة أقل « ١ - ٢٪ » من الفائدة التى خصم بها الأوراق من العملاء فيحصل على « ربا » إضافى مقداره الفرق بين سعرى « فائدة الخصم » .. ثم يقوم بإقراض ما حصل عليه من أموال سائلة بفائدة ربوية وهكذا وعلى هذا فإن الأهداف الربوية للبنك تغلب على هذا النوع من أنواع التعامل ، والذى يشكل نسبة عالية من عمليات البنك ، بعد عمليات الحساب الجارى ، فتحيله إلى تعامل محرم .

٣ - تحويلات البنوك :

من الخدمات التى تقدمها البنوك التجارية لعملائها قيامها بتحويل مبالغ من حسابات العملاء ، بناء على أوامر تحويل منهم ، إلى بنوك أخرى فى داخل البلاد أو خارجها ، بأية عملة كانت ، مقابل حصول البنك على « عمولة » تراعى فيها قيمة المبالغ المحولة و« المكان » المحول إليه .. وهذه عملية مشروعة بحسب الأصل ، فلا شبهة « فائدة ربوية » فيها ، شريطة ألا يقوم أى من البنك المحول أو المحول إليه باستغلال الأموال المحولة بإقراضها « بفائدة ربوية » خلال المدة الزمنية الواقعة بين تاريخ التحويل وتاريخ استلام المبلغ بالأسلوب السابق توضيحه فى بند « ٢ - أ » .

ومن صور التحويلات المشروعة قيام البنك بتحويل مبالغ العملاء من عملة إلى أخرى لقاء « عمولة » يستحقها البنك نظير ما قام به من عمل ، شريطة أن تتم هذه العملية مع مراعاة السعر السائد فى السوق للعملات المختلفة ، وأن تتم هذه العملية فورا ، « يداً بيد » فلا يكون « الزمن » عنصرا فيها ، وذلك للحديثين اللذين ، رواهما أبو داود فى سننه :

أ - عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدينار بالدنيار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما : من كانت له حاجة بورق[1] فليصرفها بذهب ، وإن كانت له حاجة بذهب فليصرفها بورق هاء وهاء .. أى يداً بيد .

ب - عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت أبيع الأبل بالبقيع فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم ، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير ، آخذ هذه من هذه وأعطى هذه من هذه ، فأتيت النبى ﷺ فى بيت حفصة فقلت : يارسول الله رويدك أسألك : إنى أبيع الإبل بالبقيع فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير ، آخذ هذه من هذه ، وأعطى هذه من هذه . فقال رسول الله ﷺ : « لا بأس أن تأخذها بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شىء » .

فَحِلُّ هذه الصورة من صور التعامل مشروط بشرطين : الأول التسليم الفورى ، والثانى مراعاة السعر السائد فى السوق ، حتى لا يغبن

(١) الورق بكسر الراء ، هى العملة المضروبة من الفضة ، أى « الدراهم » ، أما الدنانير فهى العملة المضروبة من الذهب .

أى من طرفى التعامل .. والبنك كوسيط وهو يقوم بتسهيل التعامل بين الطرفين دون مراعاة مصلحة أى منهما على حساب الآخر يكون قد قام بخدمة يستحق الأجر عنها .

ويدخل فى عموم مفهوم التحويلات قيام « البنك » بصرف « الشيكات » ، أو « كوبونات » الأسهم ، نيابة عن عملائه مقابل « عمولة » .. وهذا أمر لا غبار عليه بشرط ألا يستخدم البنك هذه المبالغ فى عملية إقراض « ربوية » بالأسلوب السابق شرحه .

٤ ـ فتح الاعتمادات المستندية :

فى التجارة الدولية ، بل والداخلية ـ فيما يتعلق « بالبنوك » يوجد « نظام فتح الاعتمادات المستندية » ، وهو عبارة عن تعهد كتابى يصدره البنك الذى يتعامل معه المستورد ، يتعهد فيه بسداد قيمة الاعتماد المستندى للبائع عند وصول « مستندات الشحن » مستوفاة الشروط الواردة بالاعتماد .

وبطبيعة الحال يكون لدى البنك فاتح الاعتماد مبالغ مالية سبق أن أودعها المشترى لتغطية قيمة الاعتماد ، كما يتقاضى البنك « عمولة » نظير إصداره لهذا الاعتماد .

وهذا التعامل لا غبار عليه فى الأصل لكن أسلوب البنوك التجارية قد قرن بين هذا التعامل وبين أعمال أخرى غير مشروعة كما يلى :

أ ـ يقوم البنك التجارى بإدخال المبالغ المحجوزة ، مقابل فتح الاعتماد المستندى ضمن الأموال التى يقرضها بالفوائد الربوية لحين دفعها لمستحقها .

ب ـ تقتضى عملية التبادل التجارى باستخدام الاعتماد المستندى ، أن يقوم البائع بالتأمين على البضاعة ، وأن يرسل ضمن « مستندات الشحن » سالفة الذكر « بوليصة التأمين » .

ومن الأمور التى استقرت فى الفقه الإسلامى حديثا أن التأمين التجارى « لايحقق الصيغة الشرعية للتعاون والتضامن » لأنه لا تتوافر فيه الشروط الشرعية التى تقتضى حله » ، ولأنه « ليس خاليا من الربا والغرر »[٢] .

وبذا تتحول عملية فتح الاعتماد المستندى « المشروعة بحسب الأصل » ، والتى لا تعنى سوى ضمان وفاء طرفى التعامل التجارى بالتزاماتهما كل تجاه الآخر فى وقت واحد ، تتحول إلى عملية مشوبة بالربا .

٥ ـ إصدار خطابات الضمان :

تقتضى المعاملات التجارية وأعمال الإنشاءات ، التى تكون الجهات الحكومية طرفا فيها ، أن يقدم الطرف الآخر ما يعرف « بخطاب ضمان » ، وهو مستند يتعهد بمقتضاه « البنك » بضمان قيام عميله بسداد أى مبالغ قد تطلب منه ـ فى حدود المدون بخطاب الضمان ـ بمناسبة تعامله مع الجهة الحكومية المذكورة .

وحكم هذا النوع من المعاملات « البنكية » هو نفس حكم فتح الاعتماد المستندى فهو مشروع شريطة ألا يستخدم البنك المبلغ المحجوز مقابل خطاب الضمان فى عمليات إقراض « بفائدة ربوية » ، وهو شرط يصعب تصور مراعاته من جانب البنك التجارى .

هل حقيقة تساهم البنوك التجارية فى الاستثمار والتنمية ؟

ـ يحاول البعض إيهام المسلمين بأن البنوك إنما هى الصيغة الحديثة لتجميع المدخرات

(٢) هذا هو نص عبارات توصيات المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى الذى انعقد بمكة فى المدة بين ٢١ ـ ٢٦ صفر عام ١٣٩٦ هـ « فبراير ١٩٧٦ م » .

الربا في عمليات البنوك

وتوجيهها إلى أوجه الاستثمار فتتحقق بذلك مصلحة المجتمع ، لذا فعلى المسلمين أن يتغاضوا عن مسألة ربوية « الفوائد البنكية » رعاية للمصلحة !!

ذلك قولهم بأفواههم .

وللرد على ذلك نحيل أنفسنا على الميزانية المجمعة للبنوك التجارية فى جمهورية مصر العربية التى يصدرها « البنك المركزى » سنويا والتى تنشر عادة فى المجلة الاقتصادية فنجدها تحوى الحقائق التالية :

أ ـ نسبة رأس المال المدفوع والاحتياطى والأرباح غير الموزعة حوالى ٩ ـ ١٠٪ فقط من إجمالى خصوم البنك ؛ أى أن البنوك التجارية لا تتعامل فى أموال تمتلكها ، ولكنها تمارس العملية الربوية بأموال المودعين التى تبلغ ٦٥ ـ ٧٠٪ ، وهى بذلك لا تستطيع استخدام هذه الأموال فى الاستثمار أو التنمية ، وإنما تستخدمها فى عمليات الإقراض المتراكمة والمتتالية التى تؤدى إلى « خلق الائتمان » وبالتالى إلى أكل الربا أضعافا مضاعفة .

ب ـ تبلغ نسبة الاستثمارات أو مايسمى « بحافظة الأوراق المالية » ٣,٥ ـ ٤٪ على أقصى تقدير من جملة الأصول .. وهذه الحافظة نفسها تشمل « أسهما » تصدرها الشركات إلى نوع من النشاط ذى ربح كبير من الأنشطة التى تمارسها ، كما تشمل « سندات » وهذه الأخيرة ليست سوى « قروض ربوية » ، إذ تقوم بعض المؤسسات الاقتصادية بإصدار صكوك ذات قيم مختلفة ولمدد متباينة ، مع تحديد « فائدة ثابتة » يراعى فيها « عنصر الزمن » ، مع ضمان قيمة هذه الصكوك والفائدة المحددة عليها .. فإن كانت هذه هى « السندات » فهى عين الربا ! هذه الاستثمارات برغم ضآلتها ليست إلا وسيلة يستخدمها البنك فى الحصول على السيولة إذ يتعامل فى هذه الأوراق بالشراء والبيع لا لإقامة المشروعات فأين إذن الاستثمار الذى تقوم به البنوك ؟ ولا يغيب عنا :

أن البنوك التجارية « الأجنبية » و« المشتركة » لا تستهدف سوى المعاملات الربوية . وتحقيق أكبر ربح ينتقل إلى بيوت المال الأجنبية التى يسيطر اليهود على معظمها ، هذا فضلا عن أنها تسهم فى زيادة تبعية الاقتصاد فى الدول الإسلامية للدول الغربية ، وتزيد من تحكم الأخيرة فى مقدرات المسلمين .. وتجعل الاقتصاد متصفاً بالسيولة معرضا للتقلبات .

(هل مازال لدى دعاة حل « الفوائد الربوية » وعمليات البنوك التجارية حجة ؟)

إن عمليات البنوك التجارية التى تود حِلّ الربا لتهدم أهم قيم المجتمع المسلم ، وأعنى بأهم القيم « تحريم الربا » فما الربا ، إلا إحدى الموبقات السبع التى توعد الله ـ سبحانه ـ فاعلها بأشد العقاب ، بل جعل التخلص من الربا دلالة إيمان فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إن كُنتُمْ مُؤمِنِينَ ﴾ .

فماذا يعنى الإبقاء على الربا ـ إذا فى مفهوم هذا القول الكريم لرب العالمين ؟!

إن على المجتمعات الإسلامية أن تطهر معاملاتها الاقتصادية من الربا فإنه مفسدة ممحقة ، وعليها أن تستبعد من كل معاملاتها ـ التعامل بالفائدة بكل صورها فهى عين ربا النسيئة .

وإنما ينبغى أن توجه أموال المسلمين المودعة لدى البنوك إلى « الاستثمار المباشر » فى المشروعات الإنتاجية المشروعة ، أو المشاركة فيها ، وما نطالب به إنما هو جوهر التعامل الاقتصادى فى الإسلام .

والله غنى عن عباده .

حصاد الدعوة الإسلامية

في جنوب أفريقية

للدكتور عبد الله نجيب محمد

تحظى القارة الأفريقية منذ أوائل النصف الثانى من القرن الحالى بالأولوية فى مخططات الهيئات التبشيرية العالمية وعلى رأسها مجلس الكنائس العالمى ، فأفريقية من وجهة نظرهم هى قلب العالم ، كما أنها الظهر الذى يستند إليه العالم العربى الذى هو مركز القلب من العالم الإسلامى ، ولو أمكنهم مواجهة الحزام الإسلامى العريض الممتد فى الشمال من مصر شرقا إلى السنغال غربا ، بحزام آخر نصرانى إلى الجنوب منه ، فإنهم بذلك يحصرون المسلمين بين حزامين أحدهما أوروبى فى الشمال والآخر أفريقى فى الجنوب .

ولا ينسى المسلمون ـ بل يجب أن لاينسوا ـ محاولات الصليبيين فى العصور الوسطى الاستعانة بمملكة الحبشة المسيحية للضغط على المسلمين من الخلف ، بينما هم يهاجمونهم من الشمال ، ومحاولاتهم أيضا لاكتساب المغول (التتار) وإدخالهم فى النصرانية لحصار المسلمين من الشرق بالمغول ومن الغرب بأوروبا ، ولكن خاب سعيهم بدخول المغول فى الإسلام ، ووقوف ملوكهم مدافعين عن الإسلام ، وناشرين لعقيدته فى أصقاع بعيدة فى شرق آسيا ، وأوروبا نفسها .

يعاود الأوروبيون المحاولة من جديد ، ويبذلون جهوداً مضنية لتحقيق هذه الغاية التى فشلوا فى تحقيقها فى العصور الوسطى ، وهو يعملون ليل نهار وبكل الوسائل فى غفلة من المسلمين بما يدبر لهم فى الخفاء .

وقد نجح الغرب فى تكوين مراكز نصرانية قوية فى غرب أفريقية ووسطها وجنوبها وخاصة حول البحيرات العظمى ، ومنابع النيل ، وعلى امتداد الساحل إلى « كيب تاون » . وهم يرغبون فى تحويل وسط وجنوب أفريقية كله إلى النصرانية وإقصاء الإسلام نهائيا من هذه المنطقة .

والإسلام لا يقف جامداً مكتوف اليدين ، بل ينتشر بقوته الذاتية وبجهود قلة من أبنائه المخلصين فى القارة ويتم ذلك دون تخطيط ودون تنسيق من الهيئات المعنية بالدعوة الإسلامية فى بلاد الإسلام ، ودون معرفة كافية بحجم المشكلة التى يواجهونها ، وما يجب عليهم من التسلح بأسلحة جديدة أساسها : علم دقيق بأحوال الشعوب الأفريقية ونظمها وثقافتها وتقاليدها ولغاتها (وهو ما يحققه علم الأنثروبولوجيا)

← حصاد الدعوة الإسلامية

ويتواجه الإسلام والنصرانية الآن على أرض القارة ، خاصة فى الجزء الأوسط والجنوبى منها ، ويحاول كل منهما اكتساب بقايا الوثنيين فى هذا الجزء الهام من القارة .

وللنصرانية الآن مستقرات قوية فى « انجولا » « والجابون » « وزامبيا » « وموزمبيق » « وزيمبابوى » « وجنوب أفريقية » .

أما الإسلام فله أيضا بعض المستقرات وإن كانت قليلة وضعيفة ، إلا أن هناك عناصر أساسية تعمل لصالح الإسلام ، وعلى رأسها قوته الذاتية وإنسانيته وعالميته وبعده عن التمييز العنصرى فى حين يشعر الأفريقيون فى هذه المناطق بارتباط النصرانية بالاستعمار والعنصرية ، ويتذكر الأفريقيون دائماً ولا ينسون بل لا يمكنهم النسيان ـ أن الغرب قد استخدم المبشرين لا لمصلحة النصرانية ، وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية.

ويدعى الاوروبيون أن جنوب أفريقية كانت خلوا من السكان قبل مجيئهم ، والحقيقة أن جماعات من الخوسيين « البوشمن والهوتنتوت » كانت تسكن البلاد منذ أزمان سحيقة ، ثم وفدت عليهم جماعات أخرى من شعب البانتو الزنجى ، ومنهم « السوثو » و « النجونى » والأخيرون كانوا يقطنون الأراضى الساحلية شبه الاستوائية فى « ناتال » الحديثة ، ثم عبروا جبال « دراكنز برج » من الترنسفال ، وافترقوا مجموعات أربع ، فأقام « السوازى » فى الشمال الشرقى ، واستوطن « الزولو » و « البوندو » و « الاكسوسا » على امتداد الساحل فى اتجاه رأس الرجاء ، ووصلوا إلى نهر « كى Kei » سنة ١٧٠٠ وبقى « السوثو » فى الداخل بين جبال « دراكنزبرج » وصحراء « كلهارى » ووصل الفرع الجنوبى منهم خلال القرن السابع عشر إلى ولاية « أورنج » الحديثة ، وظل « السوثو » الشماليون فى « الترنسفال » .

وبحلول القرن السابع عشر أخرج الخوسيين إلى صحراء « كلهارى » .

وفى بداية عهد الاستعمار ، لم يجد البرتغاليون ولا الهولنديون إغراء فى هذه البلاد ، ولم يستعمروا غير قليل من الجزر مثل « سانت هيلانة » مقر شركة الهند الغربية الهولندية ، ثم انشأ « جان فان ريبيك Jan Van Ricbeeck » مدينة الراس ، ولم تكن سوى مركزاً أمامياً ومحطة لمشروعات الغرب التجارية ، ولهذا نادراً ما توافر رجال الدين والمعلمون ، واختلطت اللهجات الهولندية بلغات السكان الأصليين ولغات البحارة ولغات المسلمين المقيمين من الملاويين وسرعان ما ظهرت لهجة خاصة بمدينة الرأس عرفت باسم « تال Taal » ومذهب دينى نصرانى قائم على فكر«كلفن » والجدل الأرمنى ، ثم قرر المجمع الكنسى المنعقد فى « دوردت Dordit » عام ١٦١٩ أن هذا الشعب « البوير » هو الشعب المختار واستقر فى أذهانهم انهم أرقى من غيرهم : أفريقيين ومسلمين .

وفى عام ١٦٨٥ الغى « لويس الرابع عشر » ملك فرنسا مرسوم « نانت » الذى كان يحمى البروتستانت فتعرض « الهيجونوت » (على مذهب كلفن) للاضطهاد ، فهاجر ألوف منهم إلى « الرأس » فرحب بهم « البوير » .

وسرعان ما اصطدم هؤلاء الاوروبيون بشعب « البانتو » الزنجى (أطلقوا عليه اسم Kaffir ـ أى كفار) سنة ١٧٧٥ عند نهر « فش » ودارت رحى حرب واسعة النطاق استمرت قرنا من الزمان ذاق خلالها الاوروبيون مرارة وقوة سهام « البانتو » على يد زعيمهم المشهود « شاكا » الملقب بنابليون الأسود .

وعندما قامت الثورة الفرنسية سبقت انجلترا

فرنسا (التى احتلت هولندا) إلى الرأس واحتلتها ، وبدأت نشاطاً تبشيريا واسع النطاق بين غير البيض ، كما بدأت الخلافات العميقة بين المذاهب النصرانية المختلفة ، واستمرت الحروب والخلافات فترة طويلة من الزمان ، وفرضت بريطانيا رجال الدين الاسكتلنديين على كنائس (البوير) ، وكذلك فرضت على الكنائس اللغة الانجليزية فى الصلوات والمجامع المقدسة والمدارس والمحاكم ، فسحب الكثيرون من البوير أطفالهم من المدارس ، وابتعدوا عن الكنائس ، وظلوا يستخدمون قانونهم الهولندى الرومانى فى المنازعات المدنية ، ولكن القانون الجنائى والتجارى أصبح انجليزيا ، واضطر كثير من (البوير) إلى الهجرة فيما يسمى بالهجرة الكبرى ، وتكونت عدة جمهوريات مستقلة فى « الترنسفال » .

وفى ميدان الدين استمر تعارض الآراء بين مختلف الجماعات البيضاء ، ففى عام ١٨٤٣ - أى بعد الهجرة الكبرى - بوقت قصير تخلى البريطانيون عن الإشراف على الكنيسه المصلحة الهولندية مما جعل كنيسة « الرأس » مجمعاً مستقلاً يتمتع بالحكم الذاتى ، وبدأ العداء لرجال الدين الاسكتلنديين وأفكارهم . وأعدت برامج للإرساليات .

وفى عام ١٨٦٠ تم توحيد دول الترنسفال الأربع لتكوين جمهورية جنوب أفريقية ، وظلت البلاد فى حالة من العزلة والاضطراب والمنازعات الدينية الشديدة ، وسيطرت الخلافات على حياة الترنسفاليين السياسية والاجتماعية واستبد الجدل حول مسائل من قبيل « ألوهية المسيح » و « شخصية الشيطان » ... الخ .

وفى عام ١٨٤٣ انقسمت الكنيسة المصلحة الهولندية إلى ثلاثة مجامع لكل منها استقلاله ، وهى مجامع : « الترنسفال » و « بلاد نهر أورنج » و « الرأس » وأطلق على المجامع الثلاثة اسم Nederlands Gerefoormeerde kerk (NGK) .

ثم انشق الكثيرون ممن يشتركون فى العشاء الربانى عن المجامع الثلاثة فى عام ١٨٥٣ وكونوا مايعرف باسم Nederlands Hevoormde Kerk (N H K) . ويعارضون التأثير الاسكتلندى واستخدام اللغة الانجليزية والميول الإنجيلية أو المنهجية ، واستخدموا اللغة الهولندية كلغة رسمية للكنيسة ، وأصبح هذا المجمع المقدس هو دين الدولة فى الترنسفال .

وظل موقف المجمع الأخير (النهيك) من التفرقة العنصرية ثابتاً ، وكون أفراده جماعة (كلفنية) [1] ثالثة فى عام ١٨٥٩ بقصد تأكيد التمييز العنصرى وتفسير القدر تفسيراً جامداً ، وتفسير الإنجيل تفسيراً حرفياً ، وعارضوا استخدام الموسيقى فى الكنيسة ، كما رفضوا استخدام رجال الدين الاسكتلنديين فى كنائسهم ، ورفضوا أيضا بعثات التبشير واللغة الانجليزية وعارضوا فكرة أن للبانتو الزنوج أرواحا بشرية،بل وذهبوا إلى أن « البوير » هم وحدهم شعب المسيح المختار . وأن الزنوج الذين هم من نسل « حام » لا يصلحون إلا لحمل الماء وصقل الخشب ؛ وجعل « النهيك » من كنائسهم مراكز لاهوتية فريدة ، واعتقدوا أنهم وحدهم هم الذين أُنقذوا من « الخطيئة الأولى » وهاجموا التسامح الاجتماعى والمساواة بين الأجناس فى كافة النواحى السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية .

هذا الوضع الشائن قد جعل التبشير بين الأفريقيين فى موقف بالغ الحرج والصعوبة حتى لقد قال أحد كبار القسس (من مدينة بانتون) فى اجتماع سرى فى « جوهانسبرج » : « يزداد الأمر صعوبة يوماً بعد يوم فى أن أقنع الناس بالتزام عقيدتهم النصرانية التى هى دين حكومة

←

حصاد الدعوة الإسلامية

« البوير » الذين يعاملونهم على أنهم ليسوا بشراً » .

هناك بالفعل عوامل كثيرة وعميقة تشكل ثورة ضد التبشير بالدين النصراني ، وهى تعمل فى ذات الوقت لمصلحة الإسلام ، وقد استجاب بالفعل عدد من البيض لدعوة الإسلام ، ودخلوا فى دين الله ، وأصبحت لبعضهم مدارس ومساجد فى بلادهم ، وتأسست أول جمعية إسلامية لهم سنة ١٩٧٦ فى « جوهانسبرج » تحت اسم « الدواء Da,wah » وهم حريصون على تعلم اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم والصلاة والعلم بمبادىء الإسلام وتعاليمه . ويقدر عدد المسلمين فى جنوب أفريقية الآن بأكثر من نصف مليون نسمة .

وأول من هاجر إلى تلك البلاد من المسلمين أقوام من جزر الملايو واندونيسيا حوالى سنة ١٨٨٥ م .

ووصل إلى « ناتال » أيضاً عدد آخر وقد استقر أكثرهم فى تلك البلاد ، وخاصة حول مدينة « دربان » الجميلة .

وتلاهم عدد آخر من المسلمين القادمين من « زنجبار » وأقاموا أيضاً حول « دربان » .

ومن مشاهير علماء المسلمين فى جنوب أفريقية الشيخ « أبو بكر النجار » مؤلف كتاب « أنا مسلم » Iam a Muslim ويقع فى جزءين » وكتب اخرى ، وهو إمام مسجد « زيناتول Zinatul فى شارع « موير Muir » فى مدينة « الكاب » ، وهو أيضاً رئيس الرابطة الإسلامية بالكاب .

ومنهم أيضاً « البروفيسير سليمان الندوى » (الحاصل على الدكتوراه من شيكاغو) وهو رئيس قسم الدراسات الإسلامية فى جامعة « دربان » وله عدد كبير من المؤلفات ، ودور فعال فى نشر رسالة الإسلام .

ومنهم الدكتور « J.A.Naude الذى درس فى جامعة Tubingen بألمانيا » وهو الذى قعّد قواعد اللغة « الأفريكانية » ، وكتب لها كتاباً بالعربية ، وكذلك « مولانا عبد الحميد إسحق الذى درس فى جامعة Deoband بالهند » وهم يهتمون فى هذا المركز بتدريس اللغة « الأردوية » و « السواحيلية » إلى جانب اللغة العربية

ومن أقدم المؤسسات الإسلامية الإسلامية أيضاً « المعهد الشرقي الإسلامي » فى « دربان » و « رابطة العالم الإسلامي » و « حركة الشباب المسلم Mym » والأخيرة تأسست عام ١٩٧٠ ، ولها الآن ٢٥ فرعاً فى جنوب افريقية ، ولها علاقات وثيقة بمراكز شبابية أخرى فى البلاد المجاورة خاصة « موريشيوس » و « سوازيلاند » و « بتشوانا » و « جنوب غرب افريقيا (ناميبيا) » .

وشعارها : « كل المسلمين اخوة » وسياستها : « الصداقة مع الجميع دون تفريط فى المبادىء »

ومن مشروعاتها المحلية : « مؤسسة الزكاة » و « معهد السلام » و « معسكر الشباب » . و « مكتبة إسلامية » و « مؤسسة علاجية » .

يشهد كل هذا بنهضة إسلامية وليدة فى أقصى جنوب القارة ، يوشك أن يكون لها دور فعال فى حياة البلاد

ومن وجهة نظري كدارس فى الشئون الأفريقية ، أرى أن نجاح الدعوة الإسلامية فى هذه البلاد يتوقف على جهود أهلها ، ولذلك يجب أن تركز هيئات الدعوة الإسلامية فى العالم الإسلامي على تقديم العون لمسلمي هذه البلاد ، وإعداد « كوادر » الدعاة منهم انفسهم ، لأنهم أقدر على الدعوة بين مواطنيهم ، وأكثر فهماً لثقافتهم وتقاليدهم - والله ولى التوفيق .

الفتاوى

إعداد: على حامد عبد الرحيم

عقد الزواج وحل المرأة به

س ١ : تزوجت بفتاة ، ولم يتم الزفاف ، وكلما أردت الجلوس معها منعنى من ذلك بعض أهلها . س ـ م . شربين .

جـ ١ ـ بمقتضى عقد الزواج لك الاجتماع بزوجتك والجلوس معها إلا أن العرف العام فى بلادنا الإسلامية أن ذلك لا يتم إلا بعد إتمام الزفاف ، وإعداد منزل الزوجية والعرف العام يعتبر شرعاً مخصصاً لهذا الحكم .

والواجب حينئذ على السائل أن يتريث إلى المدة المحدودة لإتمام الزفاف ، كما ننصح أهل الزوجة بتسهيل الأمر وتقصير المدة إلى الزفاف بالقدر المستطاع حتى يتم الزفاف فى جو من المودة والمحبة والوئام التى هى أساس كل زيجة والله الموفق .

عن صلاة الجمعة والظهر والعصر

س ٢ : لماذا كانت صلاة الجمعة ركعتين ـ وتؤدى جهراً ـ وما الحكمة فى صلاة الظهر والعصر سراً ؟ .

محمد على طاهر .

جـ ٢ : روى أحمد وغيره : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : الجمعة ركعتان تمام من غير قصر ، على لسان نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد خاب من افترى .

ومعنى ذلك أن الجمعة لم تكن أربعاً كالظهر ثم قصرت ركعتين ، بل فرضت كذلك .

وركعات الصلاة أمر توقيفى لا مجال لنا فيه ـ فهى تعبديه لا زيادة فيها ولا نقص ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، وقد صلاها كذلك .

وقد صلى الظهر والعصر سراً لم يجهر فيهما ، فما علينا إلا الاتباع ، وقد تحدث بعض العلماء عن حكمة الجهر والإسرار : بأن ذلك استصحاب لأصل مشروعية الصلاة فى مكة حيث كان الأعداء يؤذون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إذا ظهر لهم أنهم يصلون ، أما الصلاة الليلية ، وهى الصبح والمغرب والعشاء فهى تؤدى جهراً لغفلة المشركين عنها غالباً .

ولما كانت الجمعة تؤدى جماعة ، وقد صلاها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد الهجرة ، وكان الأمن متوفراً للبعد عن موطن الشرك ـ حينئذ ـ مكة ، فلهذا صليت جهراً .

البقية ص ١٨٠

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

طرائف ومواقف

« هكذا أمرنا »

حكى الشعبى قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا منه عبد الله بن عباس ، فأخذ بركابه فقال له : لا تفعل يابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال زيد : أرنى يدك ، فأخذها وقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

« نصيحة »

ينبغى للعاقل إذا أصبح أن ينظر فى المرآة ، فإن رأى وجهه حسناً لم يشنه بقبح ، وإن رآه قبيحاً لم يجمع بين قبحين .

« سبعة قبلى »

قال رجل لشريح القاضى : قضيت على بالجور وليدخلنك الله النار ، قال : إذن يدخلها سبعة قبلى :

من ولانى .

ومن علمنى هذا الحكم .

ومن جاء بك مدعياً والشاهدان .

والمزكيان .

« العفو عند المغفرة »

تغيظ عبدالملك بن مروان على رجاء بن حيوة فقال : والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن به كذا وكذا ، فلما صار بين يديه ، قال له رجاء بن حيوة : ياأمير المؤمنين ، قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله ، فعفا عنه وأمر له بصلة .

« الأخذ بالثأر »

دخل ظريف على قوم يأكلون السمك ، وقال : هذا والله عدوى ، ولى عليه ثأر ، فقد مات أبى غريقاً فأكله السمك .

قالوا : هوّن عليك نحن ننتقم لك .

فقال : لا بل الابن أحرى بأخذ الثأر .

« أدب الصغير »

ينبغى للوالد أن لا يسهو عن تأديب ولده ، ويُحسِّن عنده الحسن ، ويقبح عنده القبيح ، ويحثه على المكارم ، وعلى تعلم العلم والأدب ، ويضربه على ذلك قال بعضهم .

لا تسه عن أدب الصغير
وإن شكا ألم التعب
ودع الكبير وشأنه
كبُرَ الكبير عن الأدب

« دعاء »

اللهم إنى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك وبركة جلالك ، من كل آفة وعاهة ، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حســـن جـــاد

من عجائب صنع الله

عد يا ربيع

من عجائب صنع الله

سبحان من بالعقل قد أولاكا
وأضاء قلبك بالتقى وهداكا

سبحان من رفع السماء وزانها
فتلألأت بنجومها دنياكا

ياأيها الإنسان دعك من الهوى
والجأ إلى الله الذى سواكا

وانظر إلى أسراره فى كونه
واكشف لنا عما إليه دعاكا

قل للأشم من الجبال وقد رسا
ياثابت الأركان مَنْ أرساكا ؟

سبحت لله الذى خلق الورى
لكننا لم ننتبه للغاكا

وانظر إلى الزرع النضير تخالُهُ
فى الأرض بُسْطاً حاكها مولاكا

بل قل لورد الروض فاح عبيره
من ذا الذى قد صاغ فيك شذاكا ؟

واسأله حين تعددت ألوانه
ياورد من ذا بالجمال كساكا

دنياك بالحسن العجيب تكلمت
وتحدثت عن سره شفتاكا

الله أودع فيك ماسحر الورى
وعلى عروش الحسن قد ولاكا

وانظر إلى الشجر البهيج وقل له
من بالثياب الخضر لف لحاكا

وثمارك الحسناء يأتى بعضها
حلواً ويأتى بعضها أشواكا

شعر: صلاح عبده الحناوى

والماء ماء واحد سقيتْ به
والأرض واحدة هنا وهناكا
وانظر بحار الأرض: بعضُ مياهها
ملح أجاج ليس يبلغ فاكا
والبعض منها ماؤه من طيبه
عذب فرات سائغ رواكا
بل كيف أعطت لؤلؤا وجواهرا
بل أعطت الحيتان والأسماكا
وسل الجوار المنشآت وقد جرت
فوق المياه تسابق الأفلاكا
واسأل شراب النحل طاب مذاقه
من بالحلاوة هذه حلّاكا ؟
قل للهواء وقد جرى مستخفياً
عن أعين الرائين من أخفاكا ؟
لولا وجودك ياهواء لمات من
فى الكون وانقلب الوجود هلاكا
وانظر تجد ثدياً تدفق نبعه
سبحان من فى المهد منه سقاكا
فيه الحنان وفيه مطعم جائع
والله مِن شهد به غذّاكا
وإذا رأيت الليل ألبس ثوبه الد
نيا فقل ياليل من أغشاكا ؟
وإذا تنفس صبحه وتألقت
أنواره فاسأله من جلّاكا ؟
واسأل شعاع الشمس يشبه عسجداً
من ياشعاع الشمس حاك ضحاكا ؟
ياحى ياقيوم مالك مشبه
أبداً ، وملكك ما بَراهُ سواكا
يارب ألهمنا الصواب وقوِّنا
وامنن علينا كى نحوز رضاكا
أنا قد وقفت أمام بابك داعياً
فاغفر ذنوبى واهدنى بهداكا

عد يا ربيع

شعر: رشاد محمد يوسف

عد ياربيع إلينا بالأزاهير — واملأ مشاعرنا بالبشر والنور
واسكب شذاك رفيفاً طيباً عبقاً — اشهى إلى النفس من عطر القوارير
أعد إلينا اهازيجاً محببة — أيام كنا شباباً فى البواكير
أيام كنا نناجى الفجر فى مرح — ونشرب النور من كف العصافير
كان المدى يحتوينا فى تالقه — ونحن نمرح فى يسر وتيسير
والأرض باسمة الأنوار مشرقة — تتيه فى حسن إبداع وتدبير
والعيش طلق المحيا لاتجول به — سحائبٌ من معاناة وتكدير

****

عد ياربيع ولكن ألف معذرة — إذا التقيت بمحزون ومذعور
اقبلت والنفس غرقى فى هواجسها — تحار مابين إغراء وتحذير
إن اقدمت تتوقى فى تقدمها — خوف المخاطر أو تشقى بتأخير
والعيش فى صخب ، والخطو مرتعش — والناس أهواؤهم مثل الأعاصير
تقودنا خطوات للصبا مرقت — وخلفت فى الحشا أنّات محسور
وذكريات الهوى فى القلب نائمة — كلؤلؤ فى حنايا البحر منثور

****

عد ياربيع عسى تصفو مواردنا — عسى قدومك أن يأتى بتغيير
عسى تطهر اقلاماً وأفئدة — عاشت على الزيف والتضليل والزور
عسى يثوب دعاة الشر من سفه — فلا يزيدون من هم الجماهير
عد للعطاشى تناجيهم وتغمرهم — فيضاً من الوجد أو فيضاً من النور

عد ياربيع إلينا بالأزاهير
واملأ مشاعرنا بالبشر والنور

من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبوسنة

للأستاذ : ناصر محمود وهدان

عَلَمٌ من أعلام الأزهر الشريف ، وسفير من سفراء مصر بالخارج ، وعطاء ممتد على مدى خمسين عاماً فى خدمة الشريعة الإسلامية ..

تخرج به كثير من علماء عصره ، وجُلُّ أساتذة الشريعة فى الأزهر والبلاد العربية والإسلامية . أشرف وناقش ما يربو على خمسين رسالة « للدكتوراه والماجستير » فى العلوم الإسلامية ، وله العديد من المؤلفات المطبوعة ، والتى لم تطبع بعد ، بالإضافة إلى حضوره الكثير من المؤتمرات ، والمشاركة فى العديد من الندوات فى أنحاء العالم الإسلامى ..

برز فى علم الأصول والفقه والاقتصاد ، وشارك فى علم التصوف ، وحلّ المسائل المعضلة بما فتح الله عليه من فضله ..

وهو لازال يواصل العطاء فى مصر والعالم الإسلامى ..

إنه العالم الجليل الثبت الفقيه الدكتور/ أحمد فهمى أبوسنة ، عضو مجمع البحوث الإسلامية . التقيتُ به فى منزله بحى حلوان فور عودته إلى القاهرة فَأَمْلى علىّ طرفاً من تاريخ حياته ، وأذن لى فى نشره ، وختمه بتوقيعه فقال لى :

* مولده ونشأته

اسمى أحمد فهمى أبوسنة ، ولدت فى محافظة الجيزة ، مركز الصف سنة ١٩٠٩م ، حفظتُ القرآن الكريم على يد جدى الشيخ/ محمود خليفة أبوسنة - رحمه الله - وتلقيتُ عليه مع القرآن الكريم بعض الكتب الصغيرة فى علمى التجويد والنحو . وكان (للكتاتيب) - على أيامنا - دور بارز فى نشر كتاب الله تعالى ..

* تعليمه (الابتدائى والثانوى)

ولما جاوزت السنة الحادية عشرة من عمرى التحقتُ بالأزهر سنة ١٩٢١ ، وقطعتُ مرحلتيه (الابتدائية والثانوية) فى القاهرة ، تلقيتُ فيهما

* الكاتب بوزارة التربية والتعليم .

العلم على يد كثير من كبار علماء الأزهر فى ذلك الوقت مثل الشيخ/ يوسف حجازى فى الفقه، والشيخ/ عبد الرءوف الرفاعى فى النحو والصرف، والشيخ/ طه البيبانى فى التفسير، والشيخ/ محمد المدلل، وغيرهم كثير..

وأذكر أنه قد أُلغِيتْ الدراسة فى الأزهر، وأنا فى السنة الأولى من القسم الابتدائى بسبب قيام المظاهرات ضد الاحتلال الانجليزى، واشتراك طلاب الأزهر فيها، وبطبيعة الحال لم يُحصِّلوا علماً، فتَعطَّلتْ الدراسة، وألغيت الامتحانات ثم عادت الدراسة مرة أخرى فى العام التالى ١٩٢٢/١٩٢٣م.

.. اذكر من زملائى - فى الفترة - على سبيل المثال الدكتور/ حسن عون الأستاذ بجامعة القاهرة قسم الدراسات العربية، والحاصل على الدكتوراه من فرنسا، والأستاذ/ محمود الأزرق الذى عمل بالقضاء الشرعى بعد ذلك، والشيخ/ شغبون، وغيرهم كثير وكثير..

.. أما عن نظام الدراسة فى هذين القسمين، فقد كانت محببة للجميع، وكنتُ مع دراستى أحب الاطلاع على الكتب، ولاسيما كتب الفقه والأدب.

.. ومع بداية التعليم الثانوى سنة ١٩٢٧/٢٦ نشأ على عهدنا منهج فى الأزهر متطور جُمع فيه بين علوم الأزهر المتعارفة القائمة على المتون والشروح، وبين العلوم الحديثة، كالطبيعة والكيمياء، والرياضيات والجغرافيا والتاريخ فكان الطالب يدرس دراسة مزدوجة فى عهد مشيخة الشيخ/ محمد أبو الفضل الجيزاوى. ثم أدركنا مشيخة الشيخ/ محمد مصطفى المراغى الأول سنة ١٩٢٨، ثم مشيخة

احمد فهمى ابو سنة

الشيخ/ الأحمدى الظواهرى سنة ١٩٢٩، وكان ذلك فى آخر القسم الثانوى..

* القسم العالى وكلية الآداب

ثم انتقلنا إلى السنة الأولى من القسم العالى فى سنة ١٩٣١م، وهى ذات دراسة على النظام القديم، حضرناها فى الجامع الأزهر على يد كثير من العلماء أمثال الشيخ/ أحمد عبد السلام فى الفقه، والشيخ/ حامد جاد فى التفسير وغيرهما..

وفى هذا الوقت بدأت كلية الآداب جامعة القاهرة تفتح أبوابها لطلاب الأزهر، ودار العلوم، وكنتُ من الذين تاقت أنفسهم للتعرف على التعليم الجامعى، فجمعتُ بين النظامين الأزهرى والجامعى، وكنتُ أتلقى العلم هنا وهناك ساعدنى فى ذلك تشجيع الأساتذة لى فى كلية الآداب الذين درستُ على أيديهم أمثال الدكتور/ أمين الخولى فى الحديث. والدكتور/ أحمد أمين فى قاعة البحث، والدكتور/ إبراهيم مصطفى فى النحو، والدكتور/ أحمد الشايب فى الأدب،

وكان ذلك على عهد الدكتور/ طه حسين الذى فتح باب الالتحاق بكلية الآداب ، وشجع عليه الطلاب وبخاصة طلاب الأزهر ودار العلوم .

.. وما هى إلا شهور معدودة ، وقد أوشك العام الدراسى على الانتهاء ، وعلم والدى ـ رحمه الله ـ وكان من أقران أساتذتى فى كلية الآداب .

برغبتى فى المضى فى التعليم الجامعى على حساب دراستى فى الأزهر فأقنعنى ، وأقنع أساتذتى ـ لمعرفته بهم باعتبار أغلبهم من دار العلوم أو القضاء الشرعى ـ بعودتى للأزهر والتفرغ للدراسة الشرعية فيه وحده فأكرمنى الله بسبب بعُد نظر والدى ـ رحمه الله .

.. وبعد نجاحى فى السنة الأولى من القسم العالى وبداية السنة الثانية منه افتتحِتْ الكليات الأزهرية النظامية وهى (الشريعة ـ أصول الدين ـ اللغة العربية) فى عهد مشيخة الشيخ/ محمد أحمد الظواهرى .

* كلية الشريعة

وبعد اطلاعى على مناهج الكليات الثلاث السابقة اخترتُ الالتحاق بكلية الشريعة ، فكان الطالب الذى أمضى سنة بالقسم العالى من أمثالى يلتحق بالسنة الثانية بكلية الشريعة مباشرة ، بخلاف الطلاب الحاصلين على الثانوية الأزهرية فإنهم عند التحاقهم بالكلية يدخلون السنة الأولى كطلاب جُدد على الدراسة الجامعية .

ولذلك كانت الدراسة بالنسبة لنا شاقة فقد

وزع علينا منهج الكلية على مدى ثلاث سنوات بدلاً من أربع ، أما عن أساتذتى فى هذه المرحلة فهم ـ على سبيل المثال ـ الشيخ/ حسن البيومى ، والشيخ/ يوسف المرصفى ، والشيخ/ محمد عبد الفتاح العنانى ، أولئك الذين درسوا لى علم الأصول ، والشيخ محمد عرفه فى التفسير ، والشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر بعد ذلك ..

وأذكر أننى قطعتُ سنوات الكلية بجد وحزم حتى تخرجتُ ، ونلت الشهادة العالية منها .

والحق يقال : أن الذى وضع نظام الإصلاح بالأزهر ، وإنشاء الكليات هو الشيخ المراغى ، ولكن الذى نفذ هذا الإصلاح هو الشيخ/ الأحمدى الظواهرى ، ثم عاد الشيخ المراغى فى سنة ١٩٣٦م ، وواصل إصلاحه للأزهر ، وتخرج على عهده أول فوج من طلاب الدراسات العليا قسم الأساتذة .

* الدراسات العليا

وفى سنة (١٩٣٥م) التحقت بالدراسات العليا بالكلية ، وكانت مدتها طويلة ، وبلا مكافآت تشجيعية فى هذه المدة فلما جاء الشيخ المراغى قرر منح طلاب هذا القسم مكافآت أعانتهم على الاستمرار فيه .

وفى سنة ١٩٤٠ نجحت فى الدراسات العليا وحصلتُ على الشهادة العالمية من درجة أستاذ (دكتوراه)كمتخصص فى الفقه والأصول ، وتاريخ التشريع .

.. وكان نظام التخصص على عهدنا قسمين :

(أ) القسم الأول :

١ ـ تخصص للحصول على العالمية مع إجازة التدريس ، وكانت مدته سنتين يعمل بها صاحبها مدرساً فى المعاهد الأزهرية .

٢ ـ تخصص للحصول على العالمية مع إجازة القضاء ، وكانت مدته ثلاث سنوات فقط يتخرج بعدها صاحبها ليكون قاضياً فى المحاكم الشرعية ..

أحمد فهمي أبو سنة

(ب) أما القسم الثانى من التخصص فهو :

تخصص المادة للحصول على العالمية من درجة أستاذ ، وكانت مدته ست سنوات متواصلة ، يُنتقى طلابه من الأوائل ليعملوا فور تخرجهم ونجاحهم مدرسين فى الكلية نفسها .

.. كان موضوع رسالتى « العُرف فى رأى الفقهاء والأصوليين » وأذكر أنها كانت أول رسالة قُدِمت على هذا النظام الجديد ، فقد كنت أول من نوقش فى القسم على النظام الجديد للحصول على (الدكتوراه) . وهذه الأولية هى أولية زمانية بمعنى كونى الأول فى القسم الذى نوقشت رسالته لأن اسمى يبدأ بالهمزة ، والهمزة أول حروف العربية كما تعلم .

كان معى فى الدراسات العليا من الزملاء : المرحوم الشيخ/ محمد أبو النور زهير ، والشيخ/ أحمد ندا ، والشيخ/ طه العربى ، والشيخ/ سيد جهلان .

.. وعن نظام (امتحان العالمية من درجة أستاذ « الدكتوراه ») فكان يتكون من مرحلتين على الطالب أن يجتازهما بنجاح ، وكانت المرحلة الأولى عبارة عن :

١ - إلقاء محاضرة عامة .

٢ - مناقشة فى مسألة علمية يسمى الامتحان فيها بالامتحان فى التعيين .

٣ - امتحان تحريرى .

وكانت اللجنة المؤلفة لتقييم المحاضرة والتعيين مؤلفة من سبعة أشخاص برئاسة الشيخ/ المراغى ، وعضوية الشيخ/ عبد المجيد سليم مفتى مصر ، والشيخ/ إبراهيم الجبالى ، والشيخ/ أحمد أبو النصر ، والشيخ/ محمد عبد الفتاح العنانى . والشيخ/ عيسى منون ، والشيخ/ محمود أبو دقيقة - رحمهم الله جميعاً - فإذا اجتاز الطالب هذا الامتحان بنجاح يتأهب بعد ذلك للمرحلة الثانية وهى إعداد رسالته تمهيداً لمناقشتها وتقييمها بعد كتابتها عن طريق لجنة أخرى وهى اللجنة الخماسية وكانت مؤلفة من الشيخ/ المراغى رئيساً ، وعضوية الشيخ/ عبد المجيد سليم ، والشيخ/ الفقيه الحقوقى/ أحمد إبراهيم ، والشيخ/ محمود شلتوت شيخ الأزهر بعد ذلك ، والشيخ/ يوسف المرصفى ، وكانت رسالتى للدكتوراه أول مناقشة علنية فى ظل نظام الشيخ/ المراغى الذى ظل معمولا به حتى سنة ١٩٦١ ، وقد دعا الشيخ/ المراغى إلى هذا الامتحان كبار الشخصيات ، وعلية القوم من أمثال لطفى السيد باشا وغيره .

أما عن مكان مناقشة الرسالة فهو نفس مبنى كلية الشريعة القديم قبل إنشاء المبنى الجديد بالدراسة ، وهذا المبنى القديم فى الأصل كان مدرسة للقضاء الشرعى قبل إلغائها ، وقيام كلية الشريعة مكانها ، وهذا المبنى يعرف الآن بمعهد البرمونى الأزهرى ..

وقد اكتظ المبنى بالحاضرين من الضيوف والطلاب يوم المناقشة واستحال تنظيم الجلسة حتى خشى المنظمون لها من تصدع المبنى فقال الشيخ/ المراغى - رحمه الله - بالحرف الواحد كما رأيت فى مجلة (الاثنين والدنيا) : « لولا أن يقال إن مشيخة الأزهر لم تستطع ضبط النظام فى امتحان عقد لأحد أبنائها لفض هذا الاجتماع »[1] . وانتهت المناقشة بحصولى على لقب (العالمية من درجة أستاذ) فى الفقه

١ - اطلعت بنفسى على الجريدة وصورة المناقشة وحضور الشيخ/ عليش عضو هيئة كبار العلماء وغيره الكثير - عدد (٣٤٦) ص ١٩ .

لأول مرة .. درجة أستاذ .. فى الأزهر

فى يوم الاثنين الماضى . احتفل الازهر ببناء كلية الشريعة ، بامتحان أول طالب يتقدم للحصول على لقب « أستاذ » بعد أن أنهى قسم التخصص فى المادة . وقد اجتمع كبار شيوخ الازهر ، وطائفة من رجال التعليم فى وزارة المعارف تحت رئاسة فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الازهر، وقد كان الزحام بالغا حده ، حتى ان فضيلته هدد الطلاب فى كلمة الافتتاح ، بأن لولا أن يقال أن مشيخة الازهر لم تستطع ضبط النظام فى امتحان عقد لأحد أبنائها ، لفض هذا الاجتماع

يتدفق فى اجاباته

كان الطالب الشيخ احمد أبو سنة – وهو [redacted] – يجيب بتدفق وإفاضة وهو واقف ، على الاسئلة الموجهة إليه عن موضوع رسالته « العرف والعادة » . وقد التف حوله فريق من الازهريين

وقار الشيخوخة

لشعد فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن عليش عضو هيئة كبار العلماء إلى شهود هذا الامتحان برغم وقرة سنه ، فهو يتوكأ على عصاه الطويلة ، مصغيا باهتمام بالغ إلى ما يدور من مناقشات

يناقش الطالب

اقد تولى فضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ مصطفى المراغى امتحان الطالب الأزهرى ، المتقدم للحصول على درجة « أستاذ » . فألقى على الطالب سؤلا دقيقاً ، ثم تركه يجيب ، وأخذ يصغى فى اهتمام

ع ٣٤٦ (الاثنين والدنيا) س ١٩

ورة عن « الاثنين » التى سجلت جانبا من حفل المناقشة فى وقتها

وأصوله ، وتاريخ التشريع ، وللعلم ظل هذا اللقب معمولا به فى الأزهر لمدة ثلاثين عاما حتى تغير إلى لقب « الدكتوراه » الذى ظهر فى عام ١٩٦٥ م .

←

أحمد فهمي أبو سنة

* التدرج الوظيفى والاعارات الخارجية

.. وفى سنة ١٩٤١م عُينتُ مدرساً فى كلية الشريعة فأستاذاً مساعداً فأستاذاً وظللتُ بها حتى سنة ١٩٧٤ وهو سن الإحالة إلى المعاش، غير أنه ابتداءً من سنة (١٩٦٠ م) كثرت إعاراتى إلى الجامعات العربية مثل جامعة دمشق سنة ١٩٦١/٦٠ م، وجامعة ليبيا ـ كلية الحقوق سنة ١٩٦٢ م، وجامعة بغداد سنة (١٩٦٧ م) وأخيراً جامعة الملك عبد العزيز ـ أم القرى الآن ـ سنة (١٩٧٢ م)، ولازلت بها أستاذاً للدراسات الشرعية حتى الآن، وأحضر لمصر فى الإجازات الصيفية.

.. ومنذ تخرجي وعلى مدى خمسين عاماً تقريباً وأنا مَعْنىٌّ بالدراسات الشرعية المختلفة بما فى ذلك تخصصى فى الفقه وأصوله وتاريخ التشريع، فقد درستُ فى هذه المدة كثيراً من العلوم .. مثل السياسة الشرعية، والاقتصاد الإسلامى، ومقاصد الشريعة، ومصطلح الحديث، والتفسير، وأخيراً التصوف الذى اضطررتُ إلى تدريسه فى الجامعة الليبية بسبب تغيب أستاذ المادة الدكتور/ عُمر الشيبانى وكان ذلك أثناء فترة تدريسى بالجامعة الليبية ..

* بين مجمع البحوث الاسلامية ورابطة العالم الاسلامى

وفى مشيخة الشيخ/ بيصار، وبالتحديد فى سنة ١٩٨٠ عُينتُ عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية أثناء إعارتى لجامعة (أم القرى) بمكة وبرغم إعاراتى لكثير من الجامعات العربية فقد حضرت العديد من جلسات المجمع خاصة ما ينعقد منها فى الإجازات الصيفية.

ـ ومن مظاهر التكريم التى حظيت بها طول فترة حياتى العلمية أننى حصلت على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى العيد الألفى للأزهر الشريف سنة ١٩٨٣ م. وفى نفس الوقت عينت عضوا بمجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامى حيث نجيب على الفتاوى التى تعرض علينا فى مؤتمرات مجمع الرابطة فى صورة قرارات.

ـ وهذه المجامع مثل مجمع البحوث، ومجامع الفقه الإسلامى الأخرى يجب أن تظل قائمة وأن يَعْظُمَ نشاطها فى بيان شرع الله وإصدار الفتاوى العلمية الصحيحة فيما يحتاج إليه الناس، وفيما يختلف فيه الكاتبون فى الصحف فإن الناس لا يطمئنون إلا إلى أمثال هذه المجامع وعلى رأسها مجمع البحوث فى الأزهر حتى نمنع أى مفتات على الشريعة ـ بغير علم ـ بذكر أحكام فى الصحف ماأنزل الله بها من سلطان وها نحن الآن نسمع فى الربا أفكاراً غريبة ينسبها الناشرون إلى الشريعة بتعليلات واهية لا تستند إلى الحق فى شىء. والذى ينبغى أن يُسْأَل فيه أهل الذكر وهم القائمون بهذه المجامع حتى يطمئن الناس على دينهم ومعاملاتهم.

.. أما عن نشاطى فى مجمع البحوث الإسلامية فأذكر أنه فى مرة استفتانى المجمع وأنا بالسعودية فى حكم شهادات الاستثمار فقلت بحرمة المجموعة (أ، ب) منها معللا ذلك بالأدلة والأحكام فى حينها، أما المجموعة (ج) منها فذكرت رأيى وهو أن فيها شبهة ربا. لأنها ليست نوعاً من المضاربة، فالذى يدفع للبنك ليس من أجل المساهمة فى مشاريع الدولة، وإنما من أجل الكسب فالدافع إنما يدفع انتظاراً ليوم السحب، فإن ظهر اسمه بين الفائزين نال الجائزة وإلا فلا. فهذا المال الذى يأخذه وقت السحب عند فوزه يأخذه مقابل ماذا ؟! ولهذا ليست شهادات الاستثمار المجموعة (ج) ربا

صريحاً ، وإنما فيها شبهة ربا بناء على ذلك .

وفى مؤتمر الاقتصاد الإسلامى بمكة المكرمة المنعقد سنة ١٩٧٦ عرضت علينا مسألة التأمين التجارى على الحياة فرفضناه كما رفضناه فى الستينيات لأنه باطل لما فيه من ربا وغرر وقمار ، وإن كنا قد أجزنا بديلا عنه التأمين التعاونى القائم على إيداع مجموعة من الأفراد مقداراً معيناً من المال لخدمة الأعضاء من علاج وإعانة وما إلى ذلك من أنشطة للأعضاء بشرط أن مايتبقى فى الصندوق عند نهاية العام لايرد ويجوز أن يستثمر عن طريق المضاربة ، والشركات ذات الربح الحلال ، ثم يوزع الربح على المودعين كل بمقدار نسبة مساهمته فى المشروع .

* الجهود العلمية ومنهجه فيها

من أهم المؤلفات والبحوث التى نشرت لى :

١ ـ كتاب العرف فى رأى الفقهاء والأصوليين ـ وهى رسالتى للدكتوراه كما ذكرت آنفا .

٢ ـ كتاب الوسيط فى أصول الفقه .

٣ ـ كتاب نظرية الحق فى الفقه الإسلامى .

٤ـ بحث حقوق المرأة السياسية فى الإسلام .

وهناك كتب تحت الطبع من أهمها :

٥ ـ نظرية العقد فى الفقه الإسلامى .

٦ ـ عقد الزواج .

٧ ـ مقاصد الشريعة .

٨ ـ الاقتصاد الإسلامى .

٩ ـ محاضرات فى أصول الفقه .

١٠ ـ نظرية العقد ونظرية الملك ونظرية الضمان .

١١ ـ إلقاء المحاضرات وحضور الندوات المختلفة فى الفقه والاقتصاد الإسلامى منها : محاضرة ألقيتها فى جمعية الشبان المسلمين فى سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ بعنوان « حقوق المرأة فى الإسلام » وكانت رداً على دعاوى القائلين ـ وقتها ـ بأحقية المرأة فى الحكم والقضاء . ولكن ماوصلت إليه من البحث والاطلاع بَيَّنَ لى أن المرأة لا تصلح للولايات العامة مثل الخلافة ـ كرئيس أعلى للدولة ـ أو القضاء ـ كقاضية ـ وإن كانت تصلح للولايات الخاصة ، وعلى أثر ذلك استُفْتِى الأزهر .

١٢ ـ تحرير بحوث ومقالات بمجلة الأزهر ، ومجلة رابطة العالم الإسلامى ، من بينها على سبيل المثال بحث فى الإشهار فى العقود ، وآخر باسم حماية الفقه الإسلامى .

١٣ ـ أحاديث إذاعية بغرض التعريف بالإسلام على هيئة فتاوى فقهية ، بدأت فى إذاعة بغداد أثناء إعارتى لجامعة بغداد سنة ١٩٦٨ م .

.. أما عن منهجى فى بحوثى وكتبى فيقوم على الأدلة الشرعية الصحيحة من كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، وسنة رسوله المصطفى ـ ﷺ ـ وإجماع علماء المسلمين ، والقياس ، والمصالح المرسلة . وأن يدون الفقه بأسلوب القواعد والنظريات .

* جبهة علماء الأزهر والشيخ أبو زهرة

أما معرفتى بالشيخ أبى زهرة فقد تعرفت عليه حينما دعانى للاشتراك معه فى إصدار موسوعة السنة ، وكان ذلك فى الخمسينيات حوالى سنة ١٩٥٦/١٩٥٧ ، ثم تقابلنا معاً بعد ذلك فى جبهة علماء الأزهر وهى هيئة من كبار علماء الشريعة بمصر عددهم ما بين عشرين إلى ثلاثين عالماً ، وقد تكونت بغرض الدفاع عن الدين ومايصدر عن العامة من الشبه والانحرافات التى تنشر أو تُفعل اعتداء على الشريعة . وكان مقر هذه الهيئة أحد المساجد الموجودة بشارع

← أحمد فهمي أبو سنة

« نوبار » بالقاهرة ، والواقع أن الشيخ أبا زهرة كانت ميزته التى تبزه عن أقرانه هى كثرة مؤلفاته فما من موضوع يمت إلى الشريعة ويشغل الناس إلا وكتب فيه كتاباً مثل كتاب العلاقات الدولية فى الإسلام ، « والتكامل الاجتماعى فى الإسلام »وكتب فى الأعلام من الفقهاء وغير ذلك ، والحق أن كتاباته جيدة وبخاصة الكتب التى درَّسها فى الجامعة . مثل كتبه عن الائمة الأعلام ، فالشيخ أبو زهرة ـ ماقصر فى حياته فقد صرف أيامه فى الدفاع عن الشريعة ، وأذكر قوله لى : « مما من الله علىّ أنى كنت خاملا فرفعنى طلب العلم » رحمه الله تلك كانت عبارته وكان وهو يستقل القطار لإلقاء المحاضرات فى جامعة الأسكندرية وغيرها من الجامعات يقطع وقته فى الاطلاع لذا أثرى المكتبة الإسلامية ، أضف إلى هذا شجاعته فى الحق فكان لايخاف فيه لومة لائم ، فقد اعترض على الربا ، ورفض التأمين التجارى على الحياة ، وأعلن رأيه صراحة ، وكنا فى مؤتمر الفقه الإسلامى الذى انعقد فى دمشق إبان الوحدة بين مصر وسوريا . وقد حضرت المؤتمر مندوباً عن الأزهر ، وحضر الشيخ أبو زهرة مندوباً عن الجامعة المصرية ، وكان مقرر المؤتمر الشيخ على الخفيف ، وأراد الشيخ الخفيف ، والدكتور/ مصطفى الزرقا جواز إباحة التأمين على الحياة فاعترضت مع الشيخ أبى زهرة على ذلك معتمدين على بيان الأدلة الشرعية فى ذلك فرفض المؤتمر إجازته .

* الرسائل الجامعية

بدأت التدريس فى الدراسات العليا فى الستينيات وبخاصة لطلاب الجزء الأول منها وهو الدراسة المنهجية للفقه وأصوله من الناحية النظرية تمهيداً لإعداد الطالب للجزء الثانى والأخير وهو تحضير الرسالة ومناقشتها . ثم شاركت وأشرفت على كثير من الرسائل العلمية . أذكر منها :

رسالة بعنوان « الرخصة والعزيمة » وكانت فى آخر الستينيات ، وأخرى بعنوان « طرق القضاء » سنة ١٩٧٤م ، ورسالة « فقه عمرُ » ورسالة « مقاصد الشريعة » ورسالة « دلالة السكوت » لطالبة سعودية و « رفع الحرج » سنة ١٩٨٦ ، و نظرية الخطأ ، « تطور النقود فى الإسلام » ورسالة « السياسة المالية فى الاقتصاد الإسلامى » وأخرى حول « العمل فى الإسلام » .

.. وهناك رسائل أخرى للدكتوراه قيد المناقشة منها « الحقوق المقدمة عند التزاحم » للطالبة السعودية/ شادية الكحكى ، ورسالة « الأجل فى عقد البيع » للطالب التركى/ عبد الله أزجان ورسالة « الآثار الإسلامية للوقف » للطالب الكويتى/ عبد الله الصُميت .

* مواقف وذكريات لا تنسى

من الذكريات التى لا تنسى مشاهد الحج لبيت الله الحرام ، وكانت بالنسبة لى وبخاصة فى سنة ١٩٤٩ ميلادياً ذكريات لا تنسى ، كنت وقتها مدرساً فى كلية الشريعة بالقاهرة ، وذهبت مع بعثة الأزهر للسعودية لأداء مناسك الحج لأول مرة ، ولا أستطيع أن أصف أو أعلل لك مدى فرحى وسرورى وبهجتى وقتها .

الموقف الثانى يوم تعيينى مدرساً فى كلية الشريعة التى مكننى فيها الله سبحانه وتعالى أن أفضى إلى طلابى بكل ما حذقت من العلم ، وما منحنى الله من مواهب تساعد على ذلك فما بخلت على طلابى بشىء أشعر أنه ينفعهم ..

البقية ص ١٨١

الإيدز

.. وبــاء وبـلاء

للأستاذ : محمد مهدى يوسف*

قال تعالى :

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَالَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَالَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ .. « الشورى ٤٧ » .

ارتبط انتشار وباء الإيدز ـ آفة العصر ـ بالشذوذ الجنسى ، وإدمان المخدرات ، والبغاء والإباحية وكافة أشكال السلوكيات السيئة .. لهذا كان مجيىء الإيدز ليكشف عن مواضع الخلل فى الحضارة الغربية الراهنة ويلقى الضوء من جديد على الأسئلة المتعلقة بالقيم والأخلاق والدين ويضع المجتمع الإنسانى كله أمام وجوب مراجعة شاملة للسلوكيات والممارسات العامة .

ثم قد كان هذا المرض تحدياً سافراً لغرور العقل العلمى المعاصر ونشوته بالإنجازات العلمية المتعددة التى صاحبها عجزه البليد أمام سطوة « الإيدز » فارتد إلى حجمه الطبيعى ، وأصيب بوجوم أقرب إلى الفشل ، **فهجوم هذا المرض كان** أكبر حجماً من كل **ما قد وصل إليه العلماء فى** « علم المنـاعـة » ، و(البيـوتكنـولـوجى) و(الفيروسات) والهندسة الوراثية .

وظل مرضى الإيدز **يتساقطون أمام أعينهم** كأوراق الخريف على الرغم **من معامل حوت من** الأجهزة العلمية كل مدهش مثير ، **ومن أموال** تدفقت عليهم تدفق السيل ، **فما أدى جهدهم إلا** إلى نزر يسير عرفوا به عن (فيروس) **هذا** المرض : تركيبه وتشريحه ، **وتخصصه فى إتلاف** جهاز المناعة فى الإنسان وحده من **بين كل مملكة**

←

(*) كاتب المقال : بكتريولوجى بهيئة المواد النووية .

← الايدز وباء وبلاء

الحيوان ، ولازال التحدى قائماً يصم العقل العلمى بالقصور حتى حين ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

ماذا تعنى كلمة إيدز AIDS

مرض الإيدز يسببه فيروس من نوع خاص له طبيعة مراوغة والضحية الأصلية لهذا الفيروس هو جهاز المناعة فى الجسم البشرى المسئول عن الدفاع وحماية الجسم البشرى من أى غزو خارجى من قبل الأحياء الدقيقة من الميكروبات والجراثيم .

وذلك لما لهذا الجهاز من القدرة الفائقة على ملاحقة أى جسم غريب يغزو جسد الإنسان فيهاجمه ويحاصره ، ولكن عندما يصاب هذا الجهاز بفيروس الإيدز فإنه يفقد قدرته على الحماية ، بينما يقوم هذا الفيروس بدقة متناهية وخطة محكمة بتخريبه تدريجياً حتى يهلك ويفقد خواصه . ويصبح عاجزاً عن تمييز الجسيمات الغريبة التى تغزو الجسم ؛ فإذا هو فريسة سهلة أمام أى إصابة ميكروبية . وهنا تستأسد الجراثيم والفطريات التى لم تكن تستطيع إحداث أى ضرر بالجسم فى حالة سلامة الجهاز المناعى فتصول وتجول منتهزة فقد الجسم لمناعته وتسبب له العديد من الأمراض الخطيرة ، وهذا ما يسمى بالعدوى الانتهازية Opportunistic Inpection التي يصاحبها ظهور بعض الأورام .

وهذه المرحلة الأخيرة من الإصابة بالفيروس المسبب لهذا المرض ، والتى تتميز بالعدوى الانتهازية وظهور الأورام هى ما تسمى بالإيدز AIDS وهى الأحـرف الأولى من اسمـه Acpvired Immune Deficiency Syndrome

متلازمة العوز المناعى البشرى المكتسبة .

ويعنى ذلك انهيار وسائل المناعة الطبيعية فى الجسم البشرى .

العامل المسبب للمرض : فيروس هيف : (HIV)

يسمى فيروس هيف (HIV) وهى كلمة مكونة من الحروف الأولى من الاسم الانجليزى Human Immuno Deficiency Virus

ومعناه : فيروس العوز المناعى البشرى .

تعتبر جميع الفيروسات طفيلية داخلية ، وتظل خاملة كأنها بلورة كيميائية لا حياة فيها طالما كانت خارج الخلية الحية المستهدفة بالإصابه . [خلية العائل Host Cell] .

فهى لا تسبب أية أضرار أو أمراض ، إلى أن يدخل الفيروس الخلية العائلة المستهـدفة بالإصابة ، عندئذ ينشط الفيروس ويصبح كأى كائن حى داخل الخلية فيقوم عندئذ بعملية قرصنة يستولى بها على (الجينات الوراثية) للخلية العائلة ويُغير من وظيفتها ويستخدمها لتكاثره فيزداد عدد الفيروسات ، وبالتالى يزداد عدد الخلايا المصابة ، وعندما يكثر عدد الخلايا المصابة يقع المرض بجسم الكائن الحى .

إذاً الفيروسات أجسام خاملة لا حياة فيها طالما هى خارج الخلية الحية فأما عندما تدخل الخلية الحية فإنها تتحول إلى كائنات حية .

وفيروس (هيف) شأنه كشأن جميـع الفيروسات الأخرى عبارة عن عبوة من المادة الكيميائية المسئولة عن نقل الصفات الوراثية [الأحماض النووية] (١) تقع فى وسط الفيروس

---

(١) الأحماض النووية هى التى تحمل البيانات الوراثية لجميع الكائنات الحية من الفيروسات حتى الإنسان وهى نوعان حمض الديزوكسى ريبوز DNA وحمض ريبو نيو كليك RNA ويوجدان معا فى جميع (انوية) الكائنات الحية ماعدا الفيروسات يوجد بهما إما (DNA) أو RNA ولكن لا يوجد النوعان فى جزىء فيروسى واحد .

وهى الحمض النووى RIVA ومعها بعض جزئيات (أنزيم المنتسخة العكسية Reverse Transcriptase) وأنزيم المنتسخة العكسية مع الحمض النووى RIVA يمثلان لب الفيروس . ويحيط بهذا اللب غلاف من (بروتين) سكرى على شكل زمرة من المسامير وكل مسمار يتألف من وحدتين ، هما : رأس المسمار ، وهو بروتين سكرى هو أولى الوحدتين . والثانية منطمرة فى الغشاء الدهنى ثنائى الطبقة ، وهى أيضاً بروتين سكرى . وهذا البروتين السكرى هو الذى يؤدى الدور الحاسم فى إصابة خلايا العائل
[انظر شكل (١)]

و(فيروس هيف) هو نوع خاص من الفيروسات يسمى الفيروسات القهقرية retro-virus ؛ وسميت كذلك لأن لها القدرة على عكس السير الطبيعى لانتقال المعلومات الوراثية . يبدأ بالحمض النووى DNA إلى الحمض النووى RNA الرسول ـ Messenger RNA ولكن فى الفيروسات القهقرية يحدث العكس حيث يتحول RNA الفيروس إلى الحمض النووى DNA ويتم ذلك بواسطة أنزيم المنتسخة العكسية ثم يندمج DNA الفيروس بالحمض النووى DNA الخلية العائلة حيث يظل كامنا مدة قد تصل إلى ثمانى سنوات ويصبح الفيروس جزءاً مستمراً من خلايا الشخص المصاب ، وعندما تنشط الخلايا المصابة بفيروس (هيف) فهى تعمل عل تنشيط الجينات الفيروسية الكامنة فتجعل جينات الخلية العائلة تعمل لتكاثر الفيروسات .

طرق العدوى بفيروس (هيف) :

الإيدز مرض معد يختلف عن باقى الأمراض المعدية فى أن الإنسان هو المستودع الوحيد للفيروس (هيف) المسبب لمرض الإيدز ، بمعنى أن فيروس هيف ينتقل وينتشر عن طريق الإنسان الذى يحمله فقط وليس ثم لحشرة أو أى عامل حيوانى آخر أىُّ دور فى عملية الانتقال من إنسان مصاب إلى آخر سليم . كما أنه ليس هناك أية شروط بيئية أو مناخية خاصة لانتقاله .

وفيروس (هيف) يوجد فى خلايا الدم والمنى للشخص المصاب فيحولهما عن كونهما مصادر للحياة ويجعل منهما مصادر للموت .

وهناك ثلاث طرق رئيسية يمكن للفيروس هيف أن ينتقل بواسطتها من شخص مصاب إلى آخر سليم وهى :

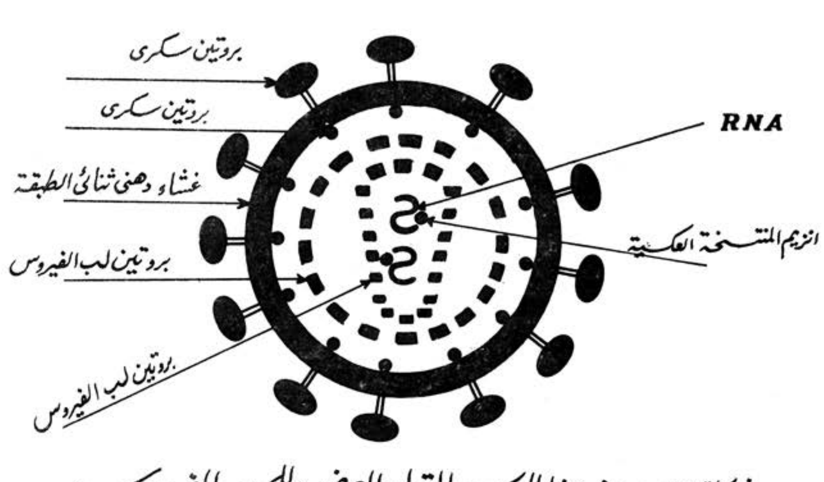

شكل " ١ " يبين هذا الرسم المقطع العرضى للجسيم الفيروسى

الايدز وباء وبلاء

١ ـ الجنس : قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ الأعراف : ٨٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ٣٢ .

وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من **وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** » .. الترمذى . الشذوذ الجنسى عمل **قوم لوط يعتبر أوسع وأكثر الطرق لانتشار** المرض **ويمثل** المصابين بفيروس الإيدز عن طريق اللواط **٧٣٪ من مجموع الحالات** التى اكتشفت حتى **الآن ، لذلك أطلق على مرض الإيدز** (طاعون **الشذوذ الجنسى) ، ويحدد عدد الشاذين جنسياً معدل انتشار المرض** فى مجتمع معين .

كذلك يعتبر البغاء إحدى قنوات انتشار **المرض ؛ فالزانى يمارس الزنا كلما تيسر** له وهذا **ـ أيضاً ـ يضاعف من احتمال الإصابة كلما ازداد عدد من يتعامل معهم من رجال ونساء** .

٢ ـ الدم : قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الشورى : ٣٠ .

تزداد احتمالات الإصابة بين مدمنى **المخدرات بالحقن الوريدية ، حيث** أنهم **يستعملون حقنة واحدة بالتناوب وتزداد احتمالات الإصابة كلما ازداد عدد المشاركين فى حقنة واحدة إذا كان أحدهم مصاباً** بفيروس **(هيف) . كذلك ينتقل الفيورس (هيف) خلال الدم عن طريق استعمال مشتقات دم** ملوث **كوسيلة للعلاج كما يحدث** فى مرض الناعور **(الهيموفيليا)** .

٣ ـ من الأم لجنينها : **أثناء الحمل أو** الرضاعة إذا كانت الأم مصابة .

والنسب الآتية تعتبر أحدث **معدلات إحصائية** معروفة لطرق الإصابة :

- اللواط والزنا ٧٣٪ ، مدمنى **المخدرات** بالحقن الوريدي ١٧٪ .
- نقل الدم ٢٪ ، مرض الناعور ١٪ .
- آخرون ٦٪ .

وبالتالى يشكل اللواط والبغاء **ومدمنى** المخدرات بالحقن الوريدية من ٩٢ ـ ٩٥٪ **من** مجموع الحالات التى **تم تشخيصها حتى الآن** .

هل من عـــــلاج ؟

قال الرسول ـ صلى الله **عليه وسلم** ـ : « ما أنزل الله داء ، **إلا وجعل له شفاء** » البخارى . حققت **اللقاحات ضد الأمراض** الفيروسية نجاحات أسطورية **مثل (لقاح شلل** الأطفال) و(الجدرى) **، كما أن انحسار الحمى** الصفراء والحصبة والنكاف **يرجع ـ إلى حد بعيد ـ** إلى التلقيح .

وتحضير لقاح مضاد **لفيروس العوز المناعى** البشرى المكتسب ـ **(فيروس هيف) أصبح** أضخم تحدٍ يواجه **علماء الفيروسات والطب** اليوم . **وهناك ثلاثة أمور استثنائية ثبطت من همم هؤلاء** العلماء ، **وجعلتهم يتوقعون عدم** وصولهم إلى لقاح مضاد لفيروس هيف **قبل نهاية** هذا القرن والأمور الاستثنائية **الثلاثة هى** :

١ ـ **الطبيعة المراوغة لهذا الفيروس الذى يستطيع أن يختبىء داخل خلايا العائل ، وأن يدخل (جيناته) ضمن (جيناتها) فتصبح العدوى كامنة** .

٢ ـ عدم العثور على **طراز حيوانى تلائم** دراسته المرض حيث أن الفيروس **(هيف)**

لا يسبب أى مرض لأى حيوان فى المملكة الحيوانية فيما عدا الإنسان .

٣ ـ نقص عدد المتطوعين لإجراء التجارب عليهم من المصابين .

ولم يتوافر حتى الآن علاج أو لقاح لمرض الإيدز ولا يزال الوباء مستمراً فى الانتشار ، ولن يستطاع الحد من انتشاره إلا بسد سبل انتقاله الرئيسية . فموارد الدم أصبحت الآن شبه آمنة بفضل توافر الفحص المناسب لها للتأكد من خلو الدم من فيروس هيف ، وأحد المداخل لبلوغ هدف وقف انتشار المرض يجب أن تكون بمراجعة السلوكيات الأخلاقية التى تعرضنا لخطر الإصابة والوقوف ضد عادات وقيم مجتمع المخدرات والجنس .

نحـــن والإيـــدز :

قال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ الشورى : ٤٧ .

إن الانخفاض النسبى الحالى لانتشار هذا الوباء فى العالم العربى والإسلامى لا يبرر حالة الأمن والرضا التى تسود هذا العالم ، فقد يكون أمناً كاذباً ، وطالما لدينا مدمنو مخدرات فلسنا بعيداً عن الإصابة ، كذلك لسنا بعيدين عن كثير من المنغمسين فى سلوكيات مجازفة بعيدة عن شرع الله تعـرضهم لاحتمالات الإصـابـة بالفيروس ، وقد تكون حالات الإيدز فى العالم العربى اكبر بكثير من المُبَلَّغ عنها . ولهذا يعتقد أن حالات الإيدز الحقيقية تفوق بكثير الأرقام الرسمية المعلنة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الشورى ٣٠ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ « الأنعام : ٦٥ » .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا » رواه ابن ماجه والحاكم وهو صحيح .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا ظهر السوء فى الأرض أنزل الله بأسه بأهل الأرض » رواه الطبرانى .

اســـانيد المقـــال :

١ ـ مجلة العلوم : الترجمة العربية لمجلة العلوم الأمريكية ـ الكويت ـ المجلد ٦ العدد ٣ مارس ١٩٨٩ م .

٢ ـ مجلة الثقافة العالمية ـ الكويت .
العدد ٣٨ المجلد السابع يناير ١٩٨٨ م .
ـــ مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)
صفحة ١٣٠ ..

٣ ـ غضب الله تعالى يلاحق المتمردين على الفطرة . الكويت .
سلسلة نصائح إسلامية
الإيـــدز
فؤاد بن سيد عبدالرحمن الرفاعى

A Colour Atlas Of AIDS ـ ٤
Woife Medical Publica Tions tor 1987

الأشهر الحرم

لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد المونى - رحمه الله .

قضت سنة الله فى خلقه أن يفضل بعضه على بعض لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ، من ذلك تلك الشهور الأربعة : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب .. اصطفاها الله - سبحانه - فجعلها أشهراً حراما تمتاز بالأمن التام .

قال - رحمه الله :

كان فيما ورثه العرب من ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، احترام أشهر أربعة من شهور السنة القمرية ، وتقديسها تقديساً عظيما ؛ فإذا كانوا فى شهر منها تركوا القتال إن كانوا فى قتال ، وأجّلوا التِّرَات إن كانت لهم ترات ، ونشروا الأمن والسلام فى ربوع الجزيرة وأرجائها ، حتى كان الواحد منهم يلقى فى الحرم وغيره قاتل أبيه أو أخيه ، على خلوة وتمكن ، فلا يمد يده إليه بسوء ، وهم القوم الذين عرفوا بالضراوة فى سفك الدماء والتمسك الشديد بالأخذ بالثأر .

ورثوا ذلك عن ملة إبراهيم وإسماعيل وعاشوا عليه زمانا لا يعبثون به ، ولا يغيرون فيه ؛ فلما طال عليهم الأمد ، وبعُد العهد بينهم وبين هذه الملة الأولى ، وهانت عليهم - فى سبيل أهوائهم ومنافعهم - مناسكهم ومشاعرهم ، كان فيما عبثوا به ، وبدلوا فيه ، هذه الأشهر الحرم ، فأفسدوها بالنسىء ، وأحلوا منها ما حرَّم الله ، يلغونها تارة ، ويؤجلونها أو بعضها تارات أخرى .

وليس من غرضنا الآن بيان النسىء ، وما كان من شأنهم فيه ، وإنما نريد أن نقول : إن الشريعة الإسلامية قد أقرت هذا التشريع المتوارث عن إبراهيم وإسماعيل ، الثابت بطريق التواتر القولى والعملى إلى عهد النبى ﷺ جريا على سنتها فى الإبقاء على كل صلاح ، وعدم التعرض بالإلغاء أو التعديل إلا إلى ماكان من فساد ، أو اقترن به فساد .

يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ . ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ . فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[1] وقد بين النبى ﷺ هذه الأشهر الأربعة فى خطبته التى خطبها فى حجة الوداع ، فقال بعد أن تلا هذه الآية : « ثلاثة متواليات ، وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان »[2] . وبذلك اصبحت السنة القمرية الإسلامية التى انبنى على حسابها كثير من أحكام التشريع مبدوءة بشهر حرام ، هو المحرم ، ومختومة بشهر حرام ، هو ذو الحجة ، ويتخللها فيما بين ذلك شهران آخران .

قضى الله - جلت حكمته - أن يفضل بعض ماخلق على بعض ، لأسرار يعلمها هو ، ولا سبيل لنا إلى إدراكها على صورة من الجزم والتحديد ، تلك سنته فى الأشخاص والأماكن والأزمان ، يفضل بعضاً على بعض ، ويميز بالتشريع

(١) الآية ٣٦ من سورة التوبة .

(٢) رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبى بكرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ، قاله فى منى عام حجة الوداع .

والتعبد شيئاً على شيء ؛ ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾[٣] ؛ فكما أنه فى أصل الخلق والتكوين مختار ، يخلق القوىّ والضعيف ، والذكى والغبى ، والجميل والدميم ، وذا الجراءة والشجاعة ، والجبان الفروقة ، ويميز بلاداً عن بلاد بما فيها من جبال عالية ، أو أنهار جارية ، أو عيون صافية ، ويجعل بعض الأرض خصباً ، وبعضها أجاديب ، ويطوى بعضاً على ماشاء من معادن وثروات وكنوز ، ويجعل بعضاً خلاء عفاء ، إلى غير ذلك مما نرى بأعيننا فى جميع نواحى الحياة ؛ كذلك هو مختار فيما وراء الخلق والإبداع من التمييز والتفضيل ، يجعل لبعض الأماكن حرمة وقداسة ، ولبعض الأزمان حرمة وقداسة ، فيكون ذلك اصطفاء لها واختياراً ، بمثابة اختياره واصطفائه تعالى لبعض من خلق من الأشخاص .

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا المعنى الذى من شأنه أن يطمئن قلوب المؤمنين فى كثير من المواضع التى تكلم فيها عما خلق الله وعما شرع : ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[٤] ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥] ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً ﴾[٦] ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[٧] ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[٨] .

وقد أرشد إلى هذا المعنى أيضاً فى شأن الشهور وما اصطفاه الله منها ، فذكر لنا أن عدة الشهور عند الله ، أى فى حقيقة الأمر وواقعه ، اثنا عشر شهراً ، وأن ذلك هو شأنها فى كتاب الله ، أى فى نظام خلقه وما قدره للدنيا من سنن تكوينية يوم خلق السموات والأرض ، وإنما سُمى هذا النظام كتابا لأنه ثابت متقرر ثبات مايكتب ويسجل : وذكر بعد هذا أن الله قد اختار من بينها هذه الأشهر وميزها ، وساق اللفظ الدال على ذلك مساقا يشعر بأن هذه الإرادة وهذا التفضيل كانا منذ الأزل ، فخلقت الشهور عامة ، ومُيز « منها أربعة حرم » بميزة خاصة .

هذا هو الأصل الذى يجب أن يكون عليه المعول فى تعليل امتياز هذه الأشهر بما ميزها الله به ، وأن يصار إليه فى تعليل كل امتياز فى الخلق أو تفضيل جرت به حكمة العليم القدير ؛ ولكن هذا لا يحول بيننا وبين النظر فيما يصاحب هذه التدبيرات الإلهية العليا من فوائد للبشر نراها ونحس بها ، وتدركها عقولنا فنزداد بها إيمانا على إيمان ، ويقينا إلى يقين .

فإذا أردنا أن نطبق هذا على « الأشهر الحرم » ، وأن نعلم الفوائد التى ترتبت على هذا التشريع فى شأنها ؛ برزت لنا فائدتان جليلتان ، كلتاهما تعود على بنى الإنسان بالتهذيب والسمو ، وتقلم فى المجتمع أظافر الشر والفساد إلى حد بعيد :

فأما الفائدة الأولى : فهى التهيئة لأعظم العبادات التى شرعها الله لعباده وهى حج البيت واعتماره .

لقد ذكر الحج بين أركان الإسلام الخمسة فى حديث « بنى الإسلام على خمس » وجاء ذكره فى آخرها ، وليس ذلك لأنه آخر هذه الأركان منزلة ، وأقلها شأنا ، ولكن لأنه أعلاها فى مراتب الترقى

←

(٣) الآية ٦٨ من سورة القصص .
(٤) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء .
(٥) الآية ٦٦ من سورة آل عمران .
(٦) الآية ١١ من سورة النساء .
(٧) الآية ٤٩ والآية ٥٠ من سورة الشورى .
(٨) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام .

من روائع الماضي

والوصول إلى الكمال ، فإن أركان الإسلام الأربعة التى تقدمته كلها تمهيد له وإعداد بالتطهير والتزكية ، حتى إذا أقبل المرء إليه كان صافى النفس ، مطمئن القلب ، راسخ الإيمان . ولذلك كان الحج المقبول عند الله بمثابة خلق الله لصاحبه من جديد : « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »(٩) فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هى الخطوة الأولى التى يتقدم بها المؤمن فيعترف بأصل العلاقة بينه وبين ربه ورسول ربه ، ومع ما لهذا الاعتراف من قيمة فى ذاته فهو لا يكلف صاحبه بذلا ولا تضحية ، ولا يستغرق منه جهداً ولا وقتاً ، بل إن فيه لذوى البصائر وأولى الألباب لذة هى لذة العرفان ، وجمالا هو جمال الإدراك للحق . فإذا آمن بذلك قلبه كانت الخطوة التالية لهذا الإيمان أن يتوجه إلى هذا الإله الذى آمن به ، واعترف بوحدانيته ، خاشعامناجيا فى صلاة رسمها له ، وحدد له أركانها ووسيلتها ، وشرع له قبلتها ، وهذه عبادة مع سموها ، وجلالة شأنها ، لا تكلف صاحبها جهداً كبيراً ، ولا تأخذ منه وقتاً طويلاً ، فإن أدنى ماتصح به صلاة الفريضة لا يتجاوز بضع دقائق ، ومازاد على ذلك فهو كمال . ثم تأتى بعد ذلك الخطوة الثالثة ، وفيها شىء من التضحية والبذل ؛ ذلك أن يؤدى زكاة ماله فيقتطع منه جزءاً معيناً طيبة به نفسه ليعطيه للفقراء والمساكين ؛ وبهذا الركن الثالث تكون أول تربية إيجابية ، وتزكية نفسية من الشح والاستئثار يطهر الله بها القلوب ، ولكنها على ذلك ليست إلا تضحية مالية بنسبة ضئيلة تقل عن أصغر ضريبة مرن أهل الأموال على أدائها فى أى بلد من بلاد الله وهم لا يشعرون . ثم تأتى بعد ذلك الخطوة الرابعة ، وهى صوم شهر كامل متتابعة أيامه ، يتخلى فيه المؤمن عن طعامه وشرابه وشهوته إيماناً بالله ، واحتساباً لثوابه ، ويصبر فيه على كثير مما يقاسى : وتلك منزلة من التضحية أعلى من التضحية فى الزكاة ؛ لأن التضحية بشىء من النفس أعز وأغلى من التضحية بشىء من المال !

أما الفريضة الخامسة وهى الحج ، ففيها ذلك كله على أبلغ وجه ، وأكمل صورة : فيها الاعتراف بالله والإيمان به وبرسوله إلى حد الترك لكل ماسواهما من المال والأهل والولد والمتاع ؛ فيها التوجه إلى الله ، لا بواسطة قبلة بينه وبينها آلاف الأميال ، ولكن بالرحيل إلى هذه القبلة نفسها ؛ فيها بذل الكثير من المال عن رضى وسخاء ؛ فيها التضحية بالنفس ، واحتمال مشاق السفر والاغتراب ، والتحلل من سلطان العادة فى متع العيش ولذاته ؛ فيها خلع ثياب الدأب والعمل والكدح ، وارتداء ثياب التطهر والإحرام والتسليم ؛ وفيها إلى ذلك كله زيارة الله فى بيته ، والمثول بين يديه فى المكان الذى قدسه ، والزمان الذى قدسه .

هكذا شأن فريضة الحج ؛ كل ماقبلها بمثابة التمهيد لها ؛ مثل العبد فيها كمثل امرىء أحب ملكاً عظيماً ، ودان له وهو فى طرف من أطراف ملكه بالخضوع والولاء ، ينفذ أوامره ، ويخلص فى خدمته ، ويقوم بكل ماعليه من واجبات فى سبيله ، ثم يستدعيه هذا الملك العظيم ، فيهرول إليه مسرعاً ، ويخلع نفسه من كل ماهو فيه ، ويأخذ لهذه الزيارة التى ستتم فى بيت الملك أهبتها ، فيتزين ويتطيب ، ويقطع المراحل الطوال حتى يصل إلى غايته ، ويحظى بأمنيته ! ولله المثل الأعلى ، وهو العزيز الحكيم .

فإذا كان للحج هذه المنزلة الكبرى من بين أركان الإسلام ، وكان الوافدون إلى المسجد الحرام من كل فج عميق هم ضيوف الله وزواره ، فما أجدر الأشهر التى تقع فيها هذه الزيارة بأن تحرم وتقدس ، ويبلغ الأمن فيها مداه ، كما جعل البيت مثابة للناس وأمنا !

---

(٩) أخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

دراسة التاريخ

المسلمون والاستعمار الأوربي

كتاب الوحوش

لأبى سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعى
١٢٢ - ٢١٦ هـ

* قــــــراءة فــى كتــاب الوحــوش

كتاب الوحوش للأصمعى واحد من عشرات الرسائل اللغوية الصغيرة التى استقى الرعيل الأول من اللغويين العرب مادتها من أفواه البدو ، والتى تُعَدُّ نُواة المعجم العربى ، فقد انكب عليها علماء العربية فى عصور لاحقة ، مُصنفين إياها بطرقٍ مختلفة ، وأنماط متباينة .

اقتصرت المصادر التى تعرضت لذكر مؤلفات الأصمعى على تسمية كتابه هذا « الوحوش » . وانفردت النسخة الخطية بالمكتبة التيمورية ونشرة « جاير » بتصديره بعبارة « هذا كتاب أسماء الوحوش وصفاتها » ، على حين خُتِمَ الكتاب فى كل منهما بعبارة : « تَمَّ كتاب الوحوش عن الأصمعى .. تَمَّ .. تَمَّ .. تَمَّ » .

وقد آثرنا نحن هذه التسمية « الوحوش » ، لأنَّها عنوان النسخة الخطية المعتمدة أصلاً لدينا ، ولأنها تتفق وإجماع علماء العربية الذين أرّخوا للأصمعى ومؤلفاته .

اهمية الكتاب :

يعد كتاب الوحوش واحداً من المصادر الهامة التى لا يستغنى عنها باحث أو محقق ؛ فالكتاب عامر بالشواهد الشعرية لحشدٍ كبير من شعراء العربية والرجّاز ، من بين هذه الشواهد مالم يرو فى دواوين الشعراء من ذلك قول رؤبة :

تَجْتَرِهُنَّ الْجَبْنَلُ الشُّرَابِثُ(١)

وقول الأعشى :

عِلْجٌ أَقَبُّ مُقَلَّصُ الأَقْرَاب

الذى لم يرد فى ديوانه ، وورد فى « الصُّبْحِ الْمُنِير » ٢٣٧ ضمن « مجموعة ما أُنْشِدَ للأعشى ميمون من شعر غير موجود فى ديوانه » وهو مأخوذ عن كتابنا هذا .

---

(١) الوحوش ق ١٢٦ ، والشطر فى ديوانه ضمن الزيادات ، مأخوذ عن كتابنا هذا ، وفيه روى برواية :

تُجيرهَنَّ الجَبْنَلُ الشُّرَابِثُ

وفى المذكر والمؤنث ٨٠ : « ومما يقع على المذكر والمؤنث الجَبْأَلُ ، وهو الضُّبُعُ ؛ قال رؤبة :

تَجْتَرِهُنَّ الجَبْأَلُ الشُّرَابِثُ » .

تخترهن : تخدعهن ، من الختر ، وهو أسوأ الغدر وأقبحه . وفى لسان العرب (شربث) : « والشرابث القبيح الشديد ، وقيل : هو الغليظ الكفين . وفى الصحاح : والرجلين . وفى المحكم : والقدمين ، الخشنهما » .

والكتاب عامر أيضاً ببعض الإشارات المتفرقة عن اللهجات العربية من ذلك قوله : « وَالسِّرْحَانُ فى لغة هُذَيْلٍ الأَسَدُ ، وفى لُغَةِ غيرهم الذِّئْبُ ؛ وقال عمرو بن معدى كرب :

تَـرَىٰ السِّرْحَـانَ مُفْترشَـا يَـدَيْـهِ
كَـأَنَّ بَيَاضَ لَبَّتِـهِ الصَّـدِيـعُ »(٢)

وقوله : « الهِجْرِسُ فى لغةِ أَهْلِ الحجاز القِرْدُ ، وفى لُغَةِ غيرهم الثَّعْلَبُ »

وقوله : « الخِشْفُ والغزالُ ، وَالْجَحْشُ فى لُغَةِ هُذَيْل .. قال أبو ذؤيب فى الجَحْشِ ، وهو يذكر الظَّبْيَةَ :

بِأَسْفَلِ ذَاتِ الدَّيْرِ أُفْرِدَ جَحْشُهَا
فَقَدْ وَلِهَتْ يَوْمَيْنِ فَهْىَ خلُوجُ »(٣) .

وللكتاب ـ فوق هذا وذاك ـ أهميةٌ أُخرى تتمثل فى أنه أنموذج رائد لهذا الضرب من ضروب البحث ، وعلى ضوئه نستطيع أن نقف على مراحل التطور التى طرأت على الصناعة المعجمية من بعده .

وهذه بعض الملاحظات التى تتعلق بمنهج الأصمعى ، والمآخذ التى ارتضيناها :

١ ـ الكتاب زاخر بالشواهد الشعرية التى تعكس التزاماً دقيقاً بمبدأ « الاصطفائية اللغوية » ـ على حد تعبير بلاشير ـ الذى اتخذه اللغويون العرب القدامى معياراً للاستشهاد .

هذه الشواهد الشعرية كثر ماتناولها الأصمعى بالتفسير والتعليق من ذلك تفسيره لقول أبى النجم العجلى :

وراعت الرَّبْدَاءُ أُمُّ الأَرْؤُلِ (٤)

بقوله : « راعَتْ إبلى الرَّبْدَاءَ أم الأرؤل ؛ أى إنّا أعِزَّاءُ فلاَ نخاف على إبلنا أن تؤخذ » .

على أننى أُسَارع فأقرر أن تفسير الأصمعى لشواهده ـ فى الغالب ـ كان تفسيراً لغوياً ، بمعنى أنه يتناول شرح بعض الألفاظ شرحاً لغوياً ، نرى هذا فى شرحه لرجز قاله العجاج ،

---

(٢) الوحوش ق ١٢٩ . ورد البيت بلا نسبة فى لسان العرب « فرش » . وورد منسوباً لعمرو فى لسان العرب (صدع) ، برواية : « ... صديع » . السرحان : الذئب ، وفى لغة هذيل الأسد . وافترش يديه : بسطهما على الأرض . واللَّبَّةُ : موضع الذبح . والصديع : الضجر لا نصداعه .

(٣) الوحوش ق ١٣١ . ورد البيت برواية : « ذات الدَّبْر » فى الجبال والأمكنة والمياه ٩٧ ، والإبل ١٠٥ . وروى البكرى فى معجمه ٥٤١/٢ : « قرىء يوماً على الأصمعى من شعر أبى ذؤيب : بأسفل ذات الدير ـ بالياء ـ فقال أعرابى بالحضرة للقارىء : ضَلَّ ضلالك إنما هو الدبر ـ بالباء ـ وهى ثنية عندنا ، فأخذ الأصمعى بذلك بعد » .
وفى الصحاح ولسان العرب (دبر) ، نقلاً عن ابن الأعرابى : « وقد صَحَّفَه الأصمعى فقال : ذات الدبر » . وورد البيت فى ديوان الهذليين برواية :
« بِأَسْفَلِ ذَاتِ الدَّبْرِ أُفْرِدَ خِشْفُهَا
وقد طُرِّدَتْ يومين فهى خَلُوجُ »
الدبر : النحل . والخلوج : التى نزع عنها ولدها ، واختلج عنها إما بذبح وإما بفصال . والخشف : ولد الغزال . ولهت : ذهب عقلها من شدة وجدها .

(٤) ورد البيت فى نظام الغريب ٢٠٢ برواية : « فراعت الربداءُ أمُّ الارؤل » راعت : أفزعت . والربداء : أنثى النعام . والأرؤل : مفردها رَأْل وهو الفرخ من النعام .

وهو ينعت أتانا :

تواضخ التقريب قلوا محلجا[٥]

فيقول : « والمواضخة أن تعدو مثل عدوه ، والوضوخ من الماء : القليل مر وإنما هذا مثل من المواضخة ، والمواضخة أن يستقى اثنان من ركية واحدة »[٦] .

ـ وفى تفسيره لألفاظ الشاهد الشعرى ـ لم يلتزم ـ فى الغالب ـ بإيراد الألفاظ حسبما وردت فى البيت ، ويتضح هذا جلياً فى شرحه لقول الأعشى :

لاحَـهُ الصَّيْفُ والْغِيَارُ وإشْفَـا
قٌ على سَقْبَةٍ كَقَوْسِ الضَّالِ[٧]

فيقول : « والضال من السدر ماكان بالبر ، والعبرى ماكان فى القرى فأسقى الماء ، وقوله :

لاحه أى غيره الصيف من العطش فى الربيع . والغيار : مُغَايَرَةُ الْفُحُولِ » .[٨] .

ـ وفى تفسيره لبعض الألفاظ كثر ما استطرد فى الاستشهاد للفظة أو مرادفها بالشعر ؛ من ذلك قوله : « والنَّحُوصُ : الحائل لم تحمل فى عامها ، يقال : حالت فهى حائل .. قال ذو الرمة :

يَتْلُو نَحَائِصَ أَشْبَاهَا مُحَمْلَجَـةً
قوداً سَمَاحِيجَ فى أَلْوَانِهَا خُطَبُ[٩]

والخطبة : الخضرة ، وقال ساعدة بن جؤية فى الخطبة :

خَرِقٌ غَضِيضُ الطَّرْفِ أَحْوَرُ شَادِن
ذُو حُوَّةٍ انفُ المَسَارِبِ أَخْطَبُ[١٠]

ومن مثل ذلك أيضاً قول الأعشى :

---

(٥) ديوان العجاج ٣٧١ .
القلو : الخفيف من الحمر . والمحلج : الذى يشبه المحلج من الحمر . وتواضخ يعنى أن هذه الآتان لا تجتهد مع فحلها فى الجرى .

(٦) الوحوش ق ١٣٣ .

(٧) الصبح المنير ٨ ، وديوان الأعشى ٧ ، برواية :

لاحـه الصيـف والصِّيَـالُ وإشفـا
ق عـلى صـعـدة كقـوس الضـال

لاحه : أضمره وغيره الصيف ، لأنه وقت الجفاف ويبس الكلأ . والصيال : مصاولة الفحول من حمر الوحوش . والغيار من الغيرة . والصعدة : الأتان . وفى اللسان « سقب » : « السقب » : ولد الناقة ، وقيل : الذكر من ولد الناقة ... الجوهرى : ولايقال للأنثى سقبة ولكن حائل ، واستعمل الأعشى السقبة للأتان ، فقال .... البيت » . وفى الصبح المنير ٨ : « قال الأصمعى لما جاء الصيف ، ويبس الكلأ وعطش تغير » .

(٨) الوحوش ق ١٢٣ .

(٩) ديوان ذى الرمة (أوربا) برواية :

يحـدو نحـائص أشبـاهـا محملجـة
وُرْقَ السرابيـل فى الـوانـهـا خطـب

يحدو : أى يسوق بصوت كصوت الحادى . والنحائص : واحدها النحوص ، وهى الأتان التى لم تحمل فى عامها . والسماحيج : واحدها السُّمْحج وهى الأتان الطويلة على وجه الأرض وليست بطويلة فى السماء . والمحملجة الشديدة الطى والجدل . وُرْق السرابيل : أى وبرها يشبه الرماد ، وقوله خطب : أى خضرة تضرب إلى سواد .

(١٠) ديوان الهذليين ١٦٨/١ وشرح أشعار الهذليين ١٠٩٩ .
الخرق : الصغير من الحمر الذى إذا ما فاجأته فزع وانقبض . وغضيض الطرف : فاتر . والشادن : المتحرك . ذو حوة : فيه خطوط تضرب إلى السواد . والأخطب : الأخضر فى لونه .

يُعَـادِى النَّحُـوصَ وَمِسْحَلَهَـا
وَعِفْوَهمَا قَبْـلَ أَنْ يَسْتَحِمْ[١١]

يريد قبل أن يعرق .

قال : والحميم : العرق ؛ قال زهير :

كَـأَنَّ سَحِيلَـهُ فِى كُـلِّ فَجْـرٍ
عَلَىٰ أَحْسَاءِ نمؤودٍ وَدُعَـاءٍ[١٢]

ويروىٰ : فى كل فج

قال أبو ذؤيب :

تَأْبَىٰ بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ
إِلَّا الْحَمِيمُ فَـإِنَّهُ يَتَبَضَّـعُ[١٣]

أى يجرى ويسيل .

والعرق أيضاً يقال له : المسيح ، قال العجاج :

وَفِى الـدَّهَّاسِ مِضْبَـرٌ ضَرُوحُ
إِذَا الْجِيَادُ فِضْنَى بِالْمَسِيحِ[١٤]

والنجد : العرق من الكرب ؛ قال النابغة :

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمَـاً
بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الأَيْنِ وَالْنجدِ[١٥]

ـ وقد يتضمن التعليق إيراد رواية أخرى للبيت ، من ذلك تعليقه على قول زهير بن أبى سلمى :

كَـأَنَّ سَحِيلَـهُ فِى كُـلِّ فَجْـرٍ
عَلَى أَحْسَاءِ نمؤودٍ وَدُعَـاءٍ[١٦]

بقوله : « ويروى : فى كُلِّ فَجٍّ » .

٢ ـ ولم يكن الأصمعى حاطب ليل ضجر ، بل كان يعمل حاسته النقدية فيما يتناول من شواهد ، ويتضح هذا جلياً فى تفسيره لبيت زهير ابن أبى سلمى :

كَمَا اسْتَغَاثَ بِسَىْءٍ فَزُّغَيْطَلَةٍ
خَافَ الْعُيُونَ فَلَمْ يُنْظَرْ به الحَشَكُ[١٧]

حيث علق بقوله : « وإنما هو الحَشْكُ فاحتاج ←

---

(١١) ديوان الأعشى ٣٩ ، والصبح المنير ٣٢ ، برواية :

يصيـد النحـوص ومسحلـهـا
وجحشـهـا قبـل أن يستحـم

النحوص : الحائل التى لم تحمل فى عامها ، وهى أسرع جرياً ؛ لأن بطنها لا تثقلها . والمسحل : الحمار الوحشى . والعفو : ولد الحمار ويستحم : أى يعرق من كثرة الجرى .

(١٢) ديوان زهير ١١ ، وشعر زهير لثعلب ٦٢ ، وشعر زهير للأعلم الشنتمرى ٣٣ برواية : « يمؤود » .
يقول الأعلم الشنتمرى : « السحيل : صوت الحمار وبه سمى مسحلا ، ويمؤود : اسم موضع . والأحساء : جمع حس ، وهو موضع يكون به الماء ، وقوله : « دعاء » شبه صوت الحمار بصوت إنسان يدعو صاحبه ، ويناديه ، وإنما يريد أنه فى وقت هياجه فهو يدعو الأتن ، ويجاوب الحمر » .

(١٣) شرح أشعار الهذليين ١/٣٤ ، وفيه أشار السكرى إلى أن الأصمعى كان يرويه : « تأبى بدرتها إذا ما استغضبت » . والدِّرَّةُ : أوج العدو يقول : تأبى أن تدرك بما عندها من الجرى إذا استغضبتها ... والتبضع : السيلان . وعلق الأصمعى على هذا البيت بقوله : « وهذا مما لا توصف به الخيل ، وقد أساء ، وإنما أراد بهذه شدة نفسها ، إلا أنه كان لا يجيد فى صفة الخيل ، وظن أن هذا مما توصف به » .

(١٤) ديوان العجاج ١٧٠ ـ ١٧١ . الدهاس : اللين . ومضبر : وثاب .

(١٥) ديوان النابغة الذبيانى ٢٧ . الضمير فى « خوفه » عائد على الفرات ؛ لاضطراب أمواجه ، وشدة هوله . والمعتصم : المستمسك . والخيزرانة : سكان السفينة . والأين : الفترة والإعياء .

(١٦) ديوان زهير ٥٠ ، وشرح شعر زهير لثعلب ١٣٤ ، وشعر زهير للأعلم ٨٦ ،

(١٧) وفى لسان العرب (سيأ) الذى أشار إلى أن البيت يروى على الوجهين لكلمة « السَّئ والسِّئ » والسئ : اللبن . والفزّ : ولد البقرة . والغيطلة : البقرة . والحشك : الدفع والاجتهاد ، ولكن ضرورة الشعر دفعته للتحريك ، فقال « الحشك » بفتح الحاء المهملة والشين المعجمة .

←

فَحَـرَّك ... والحَشْـكُ : دفـع اللبـن والاجتهاد »

٣ ـ كثرما اقتصر الأصمعى على موطن الشاهد من البيت ، فزخر الكتاب بأنصاف الأبيات ، والتى كانت ـ فى الغالب ـ عجز البيت من ذلك قوله : « والحزابية : كل قصير غليظ من الرجال والحمر ، وأنشدنا :

حَزَابيةٌ قد كَدَّمَتْهُ المَسَاحِلُ

فموطن الشاهد عجز لبيت ورد منسوباً للنابغة الذبيانى فى ديوانه ١١٦ ، وصدره :

أَقَبَّ كَعَقْدِ الأَنْدَرِىِّ مُسَحَّجٍ [18]

ومن ذلك قوله :

« وَيُقَـالُ للثعلب الهجْـرِسُ

وَيُقَـالُ لَـهُ سَمْسَـمٌ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَشْبَاهُ الْهَجَارِسِ فى القِتَالِ

فمواطن الشاهد عجز لبيت ورد منسوباً لحسان بن ثابت الأنْصَارى فى شرح ديوانه ٣٤١ ، وصـدره : « ثَقِيفُ شَرُّ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا »[19] .

وإذا كان موطن الشاهد كثر ما ورد فى عجز البيت ، فإنه ورد أحياناً فى صدر البيت ، من ذلك قول أبى دؤاد الإيادى :

أَوْحَشَتْ مِنْ سُرُوبِ قَوْمِى تِعَارُ

فموطن الشاهد صدر لبيت ورد منسوباً لأبى دؤاد فى شعره ٣١٦ ، وفى صفة جزيرة العرب ٢٢٣ ، وعجزه فى كليهما :

« فَأَرُوم فَشَابَةٌ فَالسِّتَار »[20] .

٤ ـ كان الأصمعى إذا ما وجد اختلافاً ـ لم يُحْسَمْ ـ حول نسبة أحد الأبيات بين شاعرين لا ينتميان إلى قبيلة واحدة أورد الشاهد بلا عزو ، أما إذا انتمى الشاعران إلى قبيلة واحدة أورد الشاهد معزواً إلى القبيلة بإطلاق ، من ذلك قوله : « وقال الهذلى »

صَعْبُ الْبَـدِيَهةِ مَشْبُـوبٍ أَظَافِـرُهُ

مُوَاثِبٍ أَهْرَتُ الشِّدْقَيْنِ هِرْمَاسُ »[21]

والبيت فى ديوان الهذليين ٣/٥ ، ورد منسوباً لمالك بن خالد الخناعى الهذلى من قصيدة مطلعها :

(١٨) ديوان النابغة الذبيانى ١١٦ .

الأقب : الخميص البطن . والأندرى : حبل منسوب إلى « أندر » وهى قرية بالشام ، شبه الحمار فى طيه وشدة خلقه بهذا الحبل المضفور . والمُسَحَّج : الذى قد عَضَّتْه الحمر ورَمَحَتْهُ . والمَسَاحِلُ : جمع مِسْحَلٍ ، وهو الذكر من الحمير .

(١٩) شرح ديوان حسان بن ثابت ٣٤١ .

ثقيف : قبيلة عربية لها ماض مشرق ، وتاريخ حافل فى الجاهلية والإسلام انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ومعجم قبائل العرب لعمر كحالة ... والهجارس : مفردها الهِجْرِس ، وهو الثعلب ، أراد أنهم يروغون فى القتال ،ولا يثبتون كما تروغ الثعالب » .

(٢٠) شعر أبى دؤاد ٣١٦ ، وصفة جزيرة العرب ٢٢٣ ، وبرواية ثانية فى : معجم ما استعجم ٣١٣/١ هى : « سَرُوب » بفتح السين .

اوحشت : أقفرت . وسروب : جمع سرب ، وهو المال السَّارح . وتعار : جبل لا ينبت فيه شىء . وأروم وشابة والستار كلها اماكن .

(٢١) البيت لمالك بن خالد الخناعى فى ديوان الهذليين ٣/٥ .

صعب البديهة : أى معالجته شديدة . ومشبوب أظافره : أى قويت كما تشب النار ، وتذكى به ، وأهرت : واسع . والهرماس : الأسد الشديد .

يَـامَىّ إنْ تَفْقدى قَـوْمًا ولـدتهم
أَوْ تخلسيهم فَإِنَّ الدَّهْـرَ خَلَّاسُ

وَعَلَّقَ المحقق أنَّ القصيدة نسبها السكرى لأبى ذؤيب ، وعزاها الحلوانى إلى مالك بن خالد الخناعى » . وربما يكون هذا سبب نسبة الأصمعى للبيت إلى الهذلى بإطلاق دونما تحديد .

٥ ـ يلفت نظر القارىء أن بعض الآراء المنسوبة للأصمعى فى كتابه وردت منسوبة لغيره من اللغويين فى مصادر لغوية أخرى ومثال ذلك قول الأصمعى : « وَالصَّيْدَنُ : الثَّعْلَبُ ، ولم أسمعه إلَّا فى شعر كُثَيِّر »(٢٢) .

هذا الرأى ورد منسوباً لابن خالويه فى كتاب « ليس فى كلام العرب » ٥٤ . وفى لسان العرب (صدن) : « قال ابن بَرِّى : ... قال ابن خالويه لم يجىء الصَّيْدَنُ إلا فى شعر كُثَيِّرٍ ، قال الأصمعى : وَلَيْسَ بشْىءٍ » .

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قول الأصمعى : « الفورُ : الظباء ، ولم أسمع لها بواحد »(٢٣) . وورد هذا الرأى منسوباً ليعقوب ، ففى لسان العرب (فور) : « الفُورُ بالضم الظباء ، لا واحد لها من لفظها ، هذا قول يعقوب ، وقال كُرَاع : واحدها فائر » .

٦ ـ فى الكتاب بعض الأمثال العربية التى استعان بها الأصمعى ليفسر بعض مواده اللغوية ؛ مثل قوله : « .. يقال فى مثل من أمثال العرب : أنت كَبَارِح ٱلأَرْوَى قَلِيَلاً ما تُرَى »(٢٤) . وتناوله بالشرح ، والتفسير ، فقال : « يُقَالُ ذَلِكَ للرجلِ إِذَا أُسْتُبْطِىء فى الزيارة » .

٧ ـ كان منهج رواة كتب الأصمعى بصفة خاصة ، وعلماء القرنين الثالث والرابع الهجريين بصفة عامة أنَّهم يزيدون فيما يروون من كتب ورسائل ، مما يَرَوْنَهُ مُفِيداً ومتمماً لمادة الكتاب ، ويتبلور هذا ـ جَلِيّاً ـ فى كتاب « الوحوش » ، الذى حققناه . وهذه بعض النماذج .

قال : « والعائط التى اعتاطت رحمها سنتين أو ثلاثاً فلم تحمل ، وجمع عائط عوائط وعيط مخففة وعوط .. قال أبو سعيد النفاط : عُيَّط مثقل ، وبالتخفيف خطأ ، وإنما هو مثل سَاجِدٍ وَسُجَّد ، فَيُقَالُ : عَائِط وَعُيَّط . قال أبو بكر بن دريد : قد قالوا حائل وحول ، وعائط وَعُيَّط وعيط الوجه »(٢٥) .

« قال أبو سعيد : كان فى كتابى البَرْغَزُ

البقية ص ١٨٠

(٢٢) الوحوش ق ١٣٩ .
(٢٣) الوحوش ق ١٢٩
وردت كلمة « الصيدن » فى بيت شعر لكثير عَزَّة فى ديوانه ٢٤٩ ، هو :

كَأَنَّ خِلِيفَىْ زَوْرِهَا وَرَحَاهُمَا ... بُنَى مَكَوَيْن ثُلِّمَا بَعْد صَيْدَنِ

خليفا الناقة : ما تحت إبطيها . والرحى : الكركرة ...
والمكوان : مثنى مكا وهو جحر الثعلب والأرنب وغيرهما . بعد صيدن : أى بعد رحيله عنهما ، والصيدن الثعلب .
(٢٤) المستقصى فى أمثال العرب ١/ ٣٧٩ .
الأروى : الوعول ، ومساكنها الجبال ، فقل ما تمر بالناس ، يُضْرَبُ هذا المثل للمبطىء الزيارة ، ويروى : كخارج الأروى قليلاً ما ترى فيضرب فيما لا يقدر عليه ، ولا يكاد يدرك .
(٢٥) الوحوش ق ١٢٢ .

دراسة التاريخ

نلاحظ ان ما يكتبه العرب والمسلمون عن تاريخهم مصدره الاعتزاز القومى والإسلامى ، ولا شك ان ذلك يترك اثره واضحاً قوياً فى نفوس القارئين ، ويزداد هذا الاثر إذا كانت الاقلام مشهوداً لها بالحيدة والنزاهة والصلاح ، بينما هناك اقلام - بكل اسف - وقعت تحت تاثيرات لونتها وجهات النظر المتعصبة او المفروضة أو المشوهة .

وتاريخنا العربى - وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالإسلام - يشهد الآن حركة تقليب فى صفحاته ، وقد صدرت هذه الصيحة من بعض المفكرين فى بداية هذا القرن الهجرى الجديد ، بدافع الحرص على التراث العريق والرغبة فى الوصول إلى مستوى جدير بهذا التراث العريق ، حتى تكون هناك صلة واضحة بين الماضى والحاضر على اساسها تكون الخطوات للمستقبل ..

وإننا لنرجو مخلصين أن يكون هذا القرن بداية لنهضة شاملة يعتز فيها المسلمون ويرتفع شأنهم ، وتاريخنا - ولله الحمد - ملىء بالمفاخر والمآثر التى يمكن أن تمد المسلمين بكل ما يحتاجون إليه من قوة واعتزاز ..

التاريخ دروس :

والتاريخ مطلقاً دروس وعبر وعظات ، وقديما قال الشاعر العربى :

ومن وعى التاريخ فى صدره
اضاف اعمارا إلى عمره ..

والدعوة إلى قراءة التاريخ الإسلامى والعربى ليس مبعثها التحسر بل مبعثها التذكر ، ﴿والذكرى تنفع المؤمنين﴾ كما يقول القرآن الكريم ، إن تلفتنا إلى الماضى يدعونا إلى أن نأخذ منه زادا للمستقبل ، والإسلام كله دروس .

اولى التواريخ بالدراسة :

واحق التواريخ بالدراسة لنا هو تاريخنا ، ففى صفحاته كثير من الغناء والفائدة ، وفى سجلاته امجاد خالدة ، تشهد بما لنا من أياد بيضاء ومواقف عظيمة وقيم نبيلة ومثل عليا وأهداف سامية ، وتأتى بعدها تواريخ الأمم الأخرى للمقارنة والاستفادة فإن بناء الحضارة لبنات يكمل بعضها بعضا .

للإسلام تاريخ :

والإسلام له تاريخ ، ولم يصبح هو تاريخا ولن يصبح تاريخا ، بل هو أيام موصولة متجددة ممدودة إن شاء الله حتى يطوى الله الأرض وما عليها ..

مضى جزء من تاريخه وتتبعه أجزاء هى حلقات متصلة فى سلسلة مديدة مضيئة ، قد تخبو إحدى حلقاتها أحيانا ويحتجب ضوؤها وراء سحب تتجمع ولكنها تنجلى وهى غالبا سحب صيف عن قليل تقشع ..

والأمم لا تقاس أعمارها بالسنين ولكنها تقاس بالقرون .. وإذا تلفتنا إلى امتنا ذات الأربعة عشر قرنا نجد حلقاتها فى اغلبها ناصعة فيما عدا اجزاء منها نعيش حاضرها الآن ولكنها لا تبعث على التشاؤم بقدر ما تبعث على التفاؤل ، فالإسلام لا يعرف اليأس . وهو جوهر صقيل

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

لا يخبو حتى إذا خبا أبناؤه ، وهو لا يوصف بالضعف ، ولكن المنتسبين إليه هم الذين يضعفون ، ويوصفون بالضعف حين يتخلون عن منهجه .

الإسلام كالزمان الذى يقول فيه الشاعر :

نعيب زماننـــا والعيب فينـــا
ومـــا لـــزمـــانـنـــا عيـب سـوانا

ورحم الله شوقى حين يقول :

من عـــادة الإسلام يرفع عاملا
وَيُسَـــوِّدُ المقدام والفَعَّـــالا
ظَلَمَتْهُ ألسِـــنَةٌ تؤاخِـــذه بكم
وظلمتموه مقصرين كســـالى ..

كتب التاريخ : واعود من حيث بدات لأقول : إن أولى الكتب بالدراسة التاريخية هى كتبنا العربية التى كتبت باقلام نزيهة محايدة . هى التى يجب ان تعرض امام انظار الجماهير وتيسر لهم بمختلف اوجه التيسير لياخذوا منها العبرة والمثل ويستفيدوا منها الاستفادة الكفيلة ببعث الحياة فى النفوس .

وليس معنى ذلك أن نرفض كل ما يكتب عنا ، بل من الواجب قراءته ودراسته ، وإذا قرانا ما كتبه غيرنا عنا فلابد ان نقراه بعين فاحصة وعقل مفتوح ، قراءة متانية ، فقد يكون مدسوساً بين السطور مالا يمت إلى إشراقة هذا التاريخ بصلة . فمن المعروف ان هناك محاولات كثيرة بذلت لتحجب الضوء الحقيقى عن عيون الناس وبخاصة حينما يكون العداء مستشريا ..

وانا لا أزعم أن التاريخ العربى كله فى جميع عصوره لم تشبه بعض الأحداث المؤسفة أو الهفوات من رجال كان لهم وزنهم ، فالمعروف أن التاريخ يصنعه رجال ، وهم بشر يتعرضون للخطأ والصواب ، وفى كل عصر أعداء للإسلام ومتظاهرون به لايبعد أن يزيفوا ويضيفوا ويحملوا الأمور مالا تحتمل ..

وشتان بين من يقدم أحداث التاريخ بنزاهة وبين من يسلط عليها مجهرا بقصد تجسيم الأخطاء ، أو يعمل فى الحوادث مبضعه فيقدم لنا أشياء مشبوهة أو محرفة عن مواضعها ..

مثال من الكتب غير المحايدة :

ومن أمثلة هذه الكتابات كتاب يحمل عنوان « العرب تاريخ موجز » لمؤلف اسمه فيلب حِتِّى(1) ، وقد طبع هذا الكتاب طبعات عدة وبلغات مختلفة ، تشير إلى ذلك عبارته فى مقدمة الطبعة الرابعة بالعربية « إن هذه الطبعة الرابعة باللغة العربية يقابلها بالانجليزية ست عشرة طبعة أصدرتها دور نشر عالمية متعددة ـ ذكرها ـ فضلا عن طبعات يصعب حصرها فى لغات أخرى من البرتغالية والأسبانية غربا إلى الأندونيسية شرقا ، ويمكننا أن نقول : « إن عدد النسخ فى مجموع هذه اللغات لا يقل عن أربعمائة نسخة » وقد نشرت هذا الكتاب فى طبعته الرابعة المشار إليها دار العلم للملايين فى بيروت .

والكتاب بهذه المقدمة المثيرة التى تلفت النظر إلى أهميته يعطينا أيضا صورة عن اهتمام دور النشر الغربية بتقديمه للقراء ، لاحبا فى العرب بالطبع ولكن لتقديم العرب فى صورة المغتصبين الطامعين فى غير حقوقهم كما يبدو فى أثناء الكتاب ..

البقيـة ص ١٨١

(١) حتى : بكسر الحاء والتاء ، عربى الأصل ، متجنس بالجنسية الأمريكية

المسلمون
والاستعمار الأوروبي لأفريقيا
- ٢ -

تناولنا في الحلقة السابقة من هذا الكتاب «المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا» عرض التحليل التاريخي الذي أورده المؤلف حول أهداف الاستعمار الأوروبي للقارة الأفريقية ، وحركات «الإحياء الإسلامي» في أفريقيا وأثر مؤتمر برلين (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) في التكالب الأوروبي على استعمار القارة الأفريقية ، وما كان من الاجتياح الأوروبي لامبراطوريات «الفولاني» و«التوكولور» .

ونوالي في هذه الصفحات عرض وتقديم بقية فصول الكتاب والتعقيب عليه إن شاء الله تعالى .

وفي الفصل الثالث تحت عنوان «المسلمون والغزو الأوروبي لمنطقة سانجامبيا» شهدت سانجامبيا ظهور الشيخ المجاهد (محمد الأمين) الذي تولى قيادة الحركة الإسلامية بها وكانت حركته جهادية ضد الوثنيين وضد الفرنسيين الذين كانوا قد استقروا وطاب لهم المقام في المنطقة .

على أن العداء ما لبث أن دب بين الشيخ (الأمين) وبين السلطان (احمدو بن عمر التكروري) ولقي هذا العداء حفاوة وترحيباً من الفرنسيين الذين تطلعوا إلى مساندة الشيخ (الأمين) ضد السلطان (أحمدو) فأمدوه بالسلاح إلا أن الشك ما لبث أن ساور قادة القوات الفرنسية في النوايا الحقيقية للشيخ (الأمين) فتوقفوا عن إمداده بالسلاح ، وعملوا على تقليص جيشه .

وبرغم ذلك استطاع (الأمين) الهرب إلى «بالو» حيث وضع لبنات مقره الرئيسي وعمد إلى تقوية نفوذه وساعده في ذلك عاملان رئيسيان :

الأول : أن فرنسا اضطرت إلى إرسال قوات إلى منطقة النيجر لمواجهة جهاد الإمام «ساموري توري» .

والثاني : انهيار الموقف السياسي في السنغال الأعلى بعد موت إمام «بوندو» المدعو (أبا بكر سعدا) وخلفه أخوه (عمر سعدا) الذي تحالف مع الفرنسيين ؛ وطلب (الأمين) من (عمر سعدا)أن يسمح له بالمرور في «بوندو» إلا أن الأخير رفض وأجبر (الأمين) على الانسحاب بقواته .

وقام الشيخ (الأمين) باحتلال القرى حول المركز الفرنسي في «باكل» كما قام بحرق القرى التي تحالفت مع الفرنسيين ، والحق خسائر فادحة بالقوات الفرنسية . فأغار الفرنسيون على قريته «جونديورو» وقبضوا على أسرته وأخذوها رهينة ، وكان رد (الأمين) هو احتلال منطقة «جوى» وكثف هجماته على المراكز الفرنسية ، وفي «كونجويل» دار قتال شرس لم تستطع القوات الفرنسية إزاءه أن تفعل شيئا سوى الهرب مخلفة وراءها الأسلاب والقتلى والجرحى ، فعمدت إلى إثارة مخاوف السلطان (احمدو بن

تأليف: دكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم
عرض وتقديم: أحمد تقي الدين

عمر التكروري) تجاه الشيخ (الأمين) بتصوير انه يتطلع إلى إنشاء امبراطورية واسعة تضم «بلاد التكرور» ، أى أن الاستعمار الفرنسى عندما أعيته الحيل فى مواجهة المسلمين عمد إلى دفعهم إلى أن يقاتل بعضهم بعضا .

وفى أواخر فبراير ١٨٨٧ حاصرت قوات السلطان (أحمدو) الشيخ (سويبو ابن الشيخ الأمين) فى مدينة «جورى» وتمكنوا من هزيمته وقبضوا عليه وسلموه إلى الفرنسيين الذين أعدموه .

وفى ديسمبر دارت المعركة الأخيرة فى «توباكو» واستبسل (الأمين) فى مواجهة الفرنسيين حتى هزم وأخذ أسيراً ومات .

بعد أن أدى الواجب وجاهد فى سبيل الله .

وفى الفصل الرابع «المسلمون والغزو الأوروبى لامبراطورية ساموري توري» و (ساموري توري) هو من الزعماء الأفارقة الذين أدوا دوراً هاماً فى القارة الأفريقية قبل الاستعمار الأوروبى ، وقد استمر فى مقاومة الغزاة الفرنسيين حوالى سبعة عشر عاما بدءا من عام ١٨٨١ حتى القبض عليه عام ١٨٩٨ وبعد أن أسس دولة إسلامية فى منطقة أعالى النيجر ، وكانت رسالته الكبرى فى الحياة هى الدفاع عن امبراطورية قامت من أجل نشر الإسلام فى غرب أفريقيا ولمواجهة التوسع الاستعمارى ومقاومة التوغل الصليبى فى القارة وبلغ عدد سكان الامبراطورية فى عهد (ساموري) حوالى مليون ونصف مليون نسمة وكان عدد الجيش ما بين ثلاثة وثلاثين ألفا ، وخمسة وثلاثين ألف جندى فى عامى ١٨٨٧ و ١٨٨٨ .

وناقش الفصل الخامس موضوع «المسلمون والغزو الأوروبى لدولة رابح فضل الله» و(رابح فضل الله) هو من الزعماء المسلمين الذين لعبوا دوراً هاماً فى نشر الحضارة الإسلامية فى وسط أفريقيا وغربها بالإضافة إلى مقاومة الاستعمار الأوروبى فى مرحلة التكالب على القارة .

وبدأ (رابح فضل الله) جهاده بنشر الإسلام بين قبائل الوثنيين حول نهر «شارى» وكان من الطبيعى أن يصطدم ببعض القبائل الوثنية ولذلك سعى إلى بناء جيش مزود بأحدث الأسلحة ، وعمد إلى توسيع مناطق نفوذه حتى دانت له كل بلاد «برنو» وتوسع فى امبراطوريته حتى أنه فكر فى غزو امبراطورية «الفولانى» فى «سوكوتو» فهاجمها أوائل عام ١٨٩٧ إلا أنه اضطر للاتجاه شرقا لمواجهة بعثة فرنسية كانت قد تقدمت نحو «برنو» من الجنوب ودارت معركة عنيفة عند تلال «تجباو» انتصر فيها (رابح فضل الله) وأطلق على تلك المعركة «مذبحة تجباو» حيث أبيدت القوات الفرنسية فيها عن آخرها .

وقد أثارت هذه المعركة غضب فرنسا إلى قمته وجعلها تتطلع إلى الانتقام فدارت بينه وبينهم معركة عنيفة انسحب فيها رابح بقواته نحو «لوجون» ، لكن الفرنسيين تمكنوا من محاصرته ودار بين الفريقين قتال رهيب استخدم فيه السلاح الأبيض وقتل فى هذه المعركة قائد القوات الفرنسية (لامى) برصاص (رابح فضل الله) الذى أصيب هو الآخر بجرح مميت وكان استشهاده يوم ١٢ أبريل سنة ١٩٠٠ .

وفى الفصل السادس «المسلمون والغزو الأوروبى لدولة رابح فضل الله» نرى صورة جديدة من صور الجهاد الإسلامى ، فإن الصليبية كانت قد وطدت مراكزها فى الحبشة منذ

المسلمون والاستعمار الأوروبي

ظهور الأسرة السلمانية عام ١٢٧٠ ، تلك الأسرة التى كانت تعمل على نشر المسيحية وتطلعت إلى السيطرة على الإمارات الإسلامية المجاورة ، فتحولت منطقة شرق أفريقيا وبلاد الصومال إلى مسرح لحركة صليبية ضخمة خاصة بعد أن تحالف البرتغاليون - وهم فى فورة حماسهم الدينى بعد طرد المسلمين من أسبانيا - مع (هيلانة) ملكة الحبشة التى كتبت إلى ملك البرتغال تطلب منه إمدادها بسفن لنقل قواتها لغزو مكة وإغلاق البحر الأحمر عند باب المندب .

وقد تزعم الجهاد ضد هذه القوى الصليبية الزعيم المسلم (أحمد بن إبراهيم) فاستطاع أن يهزم الأحباش الذين حاولوا غزو إمارة «هرر» الإسلامية عام ١٥٢٧ بل وبدأ يستعد لغزو «الحبشة» نفسها ونجح فى السيطرة على جنوب بلاد الحبشة عام ١٥٣٥ إلا أنه اضطر إلى الاستنجاد بالوالى العثمانى فى (زبيد) عند اشتباكه بالقوات البرتغالية فى «تيجرى» فأمده الوالى العثمانى بالمال والرجال والعتاد لكنه هزم قرب بحيرة «تانا» ثم مات ، لكن حركة الجهاد لم تتوقف بل تواصلت بشخصية مجاهدة مناضلة أخرى هى شخصية الزعيم المسلم (محمد عبدالله حسن) الذى قاد جهاد المسلمين ضد القوى الاستعمارية من الأحباش والإيطاليين والبريطانيين .

وعمد الشيخ (محمد عبدالله) إلى محاربة الأعمال المنافية للشريعة الإسلامية فطالب بإلغاء استيراد الخمور ، وطالب بعدم إرسال الأطفال إلى المدارس النصرانية .

وحدث أن قام قس بإطلاق النار على مؤذن بأحد مساجد «بربرة» بحجة أن الأذان يؤرق مضجعه فأشعل بذلك غضب المسلمين فقاموا بهدم المركز التبشيرى فى «ديمول» ولاحقوا القسيس للفتك به. ولما زاد الموقف اشتعالا اضطرت الحكومه البريطانية إلى طرد المبشرين وترحيلهم إلى (عدن) وتعهدت بعدم السماح لهم بالعودة إلى الصومال ومنع بناء الكنائس وعدم فتح محلات لبيع الخمور .

وفى مارس ١٩٠٠ حاول بعض الجنود الأحباش جمع الضرائب من الصوماليين فى «أوجادين» فشن أتباع السيد (محمد عبدالله) هجوماً عنيفاً عليهم وعلى المعسكر الحبشى فى «جكجكة» واستولوا على كميـة كبيرة من الأسلاب ، وكانت تلك الواقعة هى بداية تحالف امبراطور الحبشة (منليك) مع البريطانيين من أجل ضرب حركة الشيخ (محمد عبدالله) الذى اعتبر تحالف الأحباش مع العناصر الأوروبية بمثابة إعلان حرب على المسلمين فبادر إلى إعلان الجهاد المقدس ودارت المعارك بين المسلمين من جانب وبين تحالف القوى الصليبية التى ضمت الحبشة وبريطانيا وإيطاليا وكان النصر فيها حليف المسلمين .

عند ذلك سعت بريطانيا إلى مسلك آخر هو تشكيك المسلمين فى صحة عقيدة الشيخ (محمد عبدالله) وهو ما نجحت فيه إلى حد بعيد فحدث انقسام خطير فى صفوف المسلمين وحاولت بريطانيا بعد ذلك التفاوض مع الشيخ (محمد عبدالله) إلا أن المباحثات تعثرت بين الطرفين وانتقل الشيخ (محمد) إلى منطقة «دولبا هنت» وبدأ فى بناء الحصون والقلاع فى «تاليح» .

وفى ٩ أغسطس ١٩١٣ دار قتال عنيف بين قوات الشيخ (محمد) وبين القوات البريطانية قرب «تاليح» ، قضى فيها الدراويش (قوات الشيخ محمد) على القوات البريطانية .

وهنا اتخذت الحكومة البريطانية قرارا بضرورة وضع حد نهائى لهذا الثائر المسلم الذى كبدهم من الخسائر ما لاتطيقـه الخزانـة

البريطانية فقامت الطائرات البريطانية فى ٢١ يناير ١٩٢٠ بقصف مواقع الدراويش فى «مدنش» واضطر السيد محمد عبدالله إلى الالتجاء إلى (أوجادين) وفى أثناء ذلك سقط أفراد أسرته فى الأسر ، فلم يتخل عن جهاده إلا إن القدر لم يمهله فقد توفى فى ٢٣ فبراير ، وقام أتباعه بدفنه فى مقبرة صغيرة فى مدينة (إيمى) ، ولما علم تلاميذه بأن الانجليز يبحثون عن جثته ليمثلوا بها قاموا بفتح المقبرة واستخراج جثته ودفنوها فى مكان مجهول .

وفى الخاتمة استعرض المؤلف ظروف وملابسات هذه الحركات الإسلامية فى أفريقيا جنوب الصحراء وأرجع أسباب فشلها إلى الصراعات بين زعماء المسلمين فى وقت كانوا فيه أحوج إلى الاتحاد أمام عدو يتربص بهم من كل جانب .

وتشابهت حركات الجهاد والمقاومة الإسلامية فى أفريقيا جنوب الصحراء فى أنها رفضت جميعا الحماية الأجنبية كما رفض زعماء هذه الحركات الاستسلام للقوى الأوروبية رغم العروض المادية والمعنوية التى عرضها الغزاة عليهم وفضلوا القتال والصمود حتى الموت وكبدوا الأوروبيين خسائر فادحة .

وأكد المؤلف على أن القارة الأفريقية بحاجة إلى مزيد من الدراسات حول القيادات الإسلامية فى أفريقيا ودورها فى النضال ضد الاستعمار الأوروبى ، والأمل معقود على أبناء القارة الأفريقية فى إعادة كتابة تاريخ الإسلام والمسلمين فى أفريقيا ودحض الكتابات الأوروبية التى ركزت اهتمامها فى تمجيد الدور القيادى الأوروبى فى نشر الحضارة الصليبية بين سكان أفريقيا .

وبعد :

فالكتاب يعد بداية محاولة طيبة لإعادة كتابة تاريخ جهاد المسلمين فى أفريقيا ، ولإلقاء الضوء على جهود زعماء المسلمين داخل إطار من الموضوعية والتحليل الواقعى والدراسة المقارنة بين حركات الجهاد فى أفريقيا جنوب الصحراء وتشابهت فى أسلوب جهادها برغم عدم التنسيق بينها ، وإظهار ما فيها من فدائية مثالية وإنكار للذات ونلاحظ أن المؤلف قصر بحثه على :

جهاد جزء من المسلمين الأفارقة ضد الاستعمار الذى انطلق طبقا لقرارات مؤتمر برلين .

وأن البحث تناول الاستعمار فى جبهة محددة ليست هى كل أفريقيا ويبدو العنوان الذى اختاره المؤلف ـ من وجهة نظرى ـ أوسع رقعة مما تناوله هذا البحث الجيد .

كما كان ينبغى للمؤلف كذلك أن يُضمن عنوان مؤلفه كذلك تحديداً زمنياً للمرحلة التى يقوم بدراستها ، والتى تشمل تاريخ الجهاد الإسلامى فى أفريقيا جنوب الصحراء من عام ١٨٨٦ إلى عام ١٩٢٠ .

ونشكر للمؤلف حرصه على التعرض لأثر التطورات السياسية فى أوروبا على الحركة الاستعمارية التى شهدتها أفريقيا منذ أواخر القرن التاسع عشر وذلك عندما حرص على تناول مقررات مؤتمر برلين ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ فى فصل تمهيدى مستقل باعتبار أن هذا المؤتمر هو الذى نظم حركة الاستعمار الأوروبى لأفريقيا .

وكنا نود ـ حتى بالنسبة للأجيال الجديدة ـ أن يقدم الكاتب بين يدى بحثه ذكر معابر الإسلام إلى القارة الأفريقية ووسائل نشره وهى ضرورية للغاية وذلك لبيان الفارق الشاسع بين وسائل انتشار الإسلام فى أفريقيا وبين الأسلوب الأوروبى فى نشر النصرانية بالمدفع والبندقية .

وهذه الملاحظات لا تسقط من قيمة الدراسة العلمية الثارة التى احتواها الكتاب والتى نسأل الله ـ سبحانه ـ أن يثيبه عليها خير الجزاء .

من خير ما نشر

قرآن وسنة

للأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى

العبور إلى «آيات شيطانية»*

فى الحوار الذي أجرته جريدة الأحرار مع صاحب جائزة نوبل الأستاذ نجيب محفوظ كثير من التهرب والالتواء الذى لم نكن نتوقعه من رجل بلغ القمة واصبح فى مأمن ، وأقف فقط عند حديثه عن رواية «أولاد حارتنا» وأذكر قبل التعرض لحديث المؤلف أننى يترجح لدى أنها كانت وَحْياً لرواية «الآيات الشيطانية» فرواية «أولاد حارتنا» بعد أن صودرت منع توزيعها فى مصر فقط ، ولكنها طبعت عدة مرات فى بيروت وبيعت فى كثير من البلاد العربية ، ولم يشتد بها الاهتمام إلا بعد حصول الكاتب على الجائزة وبعد إعلان المرحوم الخومينى إهدار دم سلمان رشدى .

وأولاد حارتنا مترجمة إلى اللغة الانجليزية وإلى الفرنسية ، وفيما قيل لى ترجمت إلى اللغتين : الروسية ، والعبرية ، وسلمان رشدى قرأها باللغة الانجليزية ، وكانت وحيا له به نسج على منوالها روايته .

والتشابه بين الروايتين ظاهر جداً فى ترتيب الفصول وطريقة عرض المعلومات ، ولا يستبعد أن يكون سلمان رشدى قد حاكاها .

وخلاصة كلام الأستاذ نجيب محفوظ أنه توقف عن الكتابة حين فقد المجتمع المصرى شخصيته قبيل الثورة حتى فقد الكاتب أحلامه ، ولم يجد ما يدفعه إلى نقد جسم ميت وبدءا من سنة ١٩٥٧ بدأت أحلامه وأمانيه فى الثورة تهتز ، إذ لم ينته عهد المنافقين والانتهازيين بل زاد وانتشر الفساد الذى كان يحسبه قد قضى عليه فأخرج فى هذه الظروف «أولاد حارتنا» وهذه الرواية فى شكلها الواقعى خطاب موجه لحكام مصر .

هل كانوا يريدون أن يكونوا (اطهارا) مكملين للرسل والعلم أم (فتوات) ؟

هذا لأن العَالَم كان دائما نزاعا بين أهل الخير ويمثلهم (الفتوات) .. وهو يريد بالرواية أن تكون سؤالا لحكام مصر فى هذا الوقت من أى النوعين يريدون أن يكونوا ؟ هذا ما كان يريد أن يقوله ولكن الكثيرين قد أزالوا الخطاب الجماعى ، وأتوا بالتشبيه وظنوا أنه هو المقصود .

وهذه فيما يبدو طريقة لبقة أراد القصاص الفيلسوف أن يتخلص بها ، ومع أن قصصه الأخرى ـ وبها رمزيات أولاد حارتنا ـ بعيدة عما يقول .

اشنع مافى رواية «أولاد حارتنا» تمثيل (رب العزة) بـ«شخص» مستبد رهيب ينفذ ما يريد حقا أو باطلا ، ثم تصوير (الملائكة) فى صورة زمرة متبطلة ، لا عمل لها إلا الشرب واللهو

* ليسمح لى استاذى الدكتور عبدالجليل شلبى بهذه الإضافة .. الخطيب .

تقديم : عادل رفاعى خفاجة

والعربدة وصور (الأنبياء) فيها واضحة جداً ، وقد جامل المؤلف فى حديثه عن موسى بنى إسرائيل كثيرا .

وهذه نزعة يخففها ما جاء فى القرآن الكريم من أن فرعون كان يسومهم سوء العذاب يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم ولم يأت فى القرآن شىء يفيد أن بنى إسرائيل كانوا ذوى نفع وفائدة لمصر .. وجاء فى كتب التاريخ أنهم يعملون جواسيس على مصر لأعدائها وأن هذا سبب منع فرعون خروجهم من مصر .

وسخر الكاتب من شعيب حَمِى موسى ـ وهو من الأنبياء المرسلين إذ صوره فى صورة (حَاوٍ) يدخر الأفاعى عنده ، وقال : إن موسى تعلم منّه معاملة الأفاعى ، وأخفى المعجزة الإلهية فى قلب العصا حية ثم عودتها سيرتها الأولى .

وقد جعل عيسى عليه السلام ابنا شرعيا ليوسف النجار ثم جعله يموت قتيلا من خصومه .

فإذا كان حقا يريد بعرض الأنبياء فى هذه الصور تمثيل معركة الخير والشر فقد جعل الخير هنا ينهزم على عكس ما يفعله كتاب القصة الكلاسيكيون .

وبوجه عام كان تَأَثُّره بالكتاب المقدس ، وبأقوال مُؤَرِّخى الأديان واضحا ، ولم يلتفت إلى أن القرآن الكريم ينفى قتل المسيح وصلبه .

وأخيراً أمات الجبلاوى ـ الذى هو رمز للذات العليا ، وكنا نفهم من ذلك أنه رمز لتغلب الشيوعية ، ونسيان حق الله ـ سبحانه ـ معبوداً ومشرعاً ومثيبا ومعاقبا ، لكنه يقول : إنه يرمز بالرواية كلها إلى معركة الخير والشر وفى هذا الموقف نصر الكفر على التدين .

وليس فى الرواية ـ فيما رأيت ـ شىء يمثل الرئيس جمال عبدالناصر ولا استبداده ، ولا شيوع النفاق أو فشو الفساد وكثرة المنافقين والانتهازيين وكان فى استطاعة القصاص القدير أن يدس فى أى موقف من مواقف الرواية ، وليس فيها على طولها نقد لمجتمع أفسده الاستبداد حتى فشا فيه الفساد ، **ولكنها كلها زراية بالدين وبالخالق ورسله .**

بقى من أطراف الحوار الذى أجرته جريدة الأحرار مع صاحب جائزة نوبل اتهامه الأزهريين بأنهم لا يقرأون ، وأن بعض أعدائه المجهولين قدم الرواية للأزهر بأنها ضد الدين ، وقرأها الأزهريون على أنها تاريخ وقد أغضبهم **ما وصف به سيدنا موسى بأنه ابن حارة يدخن الحشيش** . ولم يكن الحشيش قد عرف على أيامه ، فقاموا باتهام الرواية وطلبوا منعها ، ووافقت الحكومة من أجل الالتفات إليها وإثارة الضجة حولها ، وبهذا قاموا بهجمة شرسة لا مبرر لها على مدى ثلاثين عاما .

وقد كانت تنشر فى جريدة الأهرام أسبوعيا ، وكان الأزهريون يقرأونها والأزهر بعد أن أصبح به كليات متخصصة يدرس القصة الحديثة

من خير ما نشر

ويدرك ما يريد كاتبها ، وقد صورت الحياة المصرية من جوانب عديدة مختلفة ، صورها د . طه حسين فى رواية «شجرة البؤس» وصورها يحيى حقى فى «قنديل أم هاشم» وفى «دماء وطين» وصورها توفيق الحكيم تصويرا أوسع فى «يوميات نائب فى الأرياف» وفى أقاصيص أخرى كثيرة .

وهذه القصص تدرس كلها فى الأزهر فى منهج القصة الحديثة وثلاثية نجيب محفوظ ، وثرثرة على النيل ، ودنيا الله ، وايضاً ربما درست قصص إحسان عبدالقدوس ، وعلمت من بعض الرفاق .. توضيح هذه النقاط وليس من الحتم أن ندرس كل هذه القصص فى عام واحد . ولكنها تدرس ضمن الأدب الحديث .

وقصة «اولاد حارتنا» قراها المرحوم الدكتور محمود حب الله بنفسه وطلب مصادرتها ، والدكتور حب الله امين عام لمجمع البحوث الإسلامية ، واشهر واكبر امين ولى هذا المنصب وكانت له شخصيته وعقليته ، وكان اكبر من ان يملى عليه راى .. ولم يكن على الأزهر ان يطلب مؤلف اى كتاب ليناقشه ، وكيف يناقش نجيب محفوظ فى سخرية واضحة من الدين وعلى الاخص من القرآن .

وقد كان على المؤلف ـ لو كان واثقا من كلامه ـ ان يتقدم هو إلى الأزهر ليقول له : بأى وجه صادرت هذه الرواية ثم يدافع عن وجهة نظره التى بنى عليها روايته ـ ولا يزال باب الدفاع والمناقشة مفتوحا فليتقدم إلى الأزهر لطلب المناقشة وابداء دفاعه وما اظنه يجد دفاعا ولا ان جائزة نوبل تجدى شيئا فى هذا المجال .

عن «الجمهورية»

فوائد التأخير . الربوية

للأستاذ زكريا عامر*

جاء فى أعلام الموقعين وغيره :

إن الدائن فى الجاهلية كان يقول للمدين عند حلول أجل الدين : أتقضى أم تربى ؟ فيزيد أصل الدين بسبب هذا الأجل فيقع ربا النسيئة .

اعلام الموقعين لابن القيم ٢٠١/٢ ـ الموافقات للشاطبى ٤٥/٤ .

وهذا هو الربا لما فيه من مقابلة الأجل بالزيادة وهو الذى نصت عليه المادة ٢٢٦ من القانون المدنى تبيح فوائد التأخير وقد جاء فى مجموعة الأعمال التحضيرية لهذه المادة ص ٥٨٤ الجزء الثانى أنه يستحق الدائن فوائد تأخير لا من تاريخ الإعذار للمدين ، ولكن من تاريخ المطالبة القضائية تمشيا مع (النزوع إلى مناهضة الربا واستنكاره) .

وعبارة «مناهضة الربا واستنكاره» دليل قاطع على أن فوائد التأخير ربا محرم حتى لدى القانونيين أنفسهم كذلك فإن القانونيين أنفسهم قرروا أن الفوائد الربوية تتعارض مع الأصول القانونية ولا تستقيم مع مبادىء العدالة ذلك أن

* الكاتب : مدير قضايا جامعة الأزهر .

(الربا عقد على منافع موهومة وغير معلومة المقدار) ، وإذا تم العقد على محل محتمل الوجود وغير معلوم المقدار اضحى باطلا ، وكذلك كان الربا «نظرية الأجل فى الالتزام» ص ٢٨٧ للدكتور عبدالناصر العطار عميد كلية الحقوق بأسيوط .

يقول الإمام الفخر الرازى فى تفسيره المسمى مفاتح الغيب ٣٥٧/٢ .

«إن زيادة الدرهم على انتفاع المدين بمال الدائن أمر موهوم قد يحصل وقد لا يحصل ، وأخذ الدائن الدرهم الزائد أمر متيقن فتفويت الأمر المتيقن لأجل أمر موهوم لا ينفك عن نوع ضرر» والجهالة تمنع الصحة لاحتمال الربا .

وعلماء الشريعة الإسلامية يقررون أن الدائن يرد المال الذى اقترضه كامل الأوصاف والعدد ذلك أن النقود أموال مثلية فالمقترض ملزم برد مثلها أى من جنسها ونوعها وبقدر عددها ذلك انه بالجنس والنوع والعدد يتحقق (المثل) ولا يضمن ما نقص من قيمته بسبب انخفاض الأسعار لأنه لم يفت شىء من أجزائه ولا من اوصافه . طالع فى ذلك .

الفروق للقرافى جـ ١ ص ٢١٤ تهذيب الفروق لابن شاط جـ ١ ص ٢١٢ .

وجاء فى المغنى لابن قدامة ٣٦٤/٤ : ان المستقرض يرد المثل فى المثليات سواء رخص أو غلا أو كان بحالته .

ولما كانت الشريعة الإسلامية السمحاء من أصولها أنه « لا ضرر ولا ضرار » وأن الضرر يُزال واصل ذلك قوله - ﷺ - «لا ضرر ولا ضرار»[١] .

(١) رواه سعد بن مالك بن سنان الخدرى - رضى الله عنه . انظر الاشباه والنظائر لابن نجيم ص ٤٢ والاشباه والنظائر للسيوطى ص ٧٥ .

الشحات

للأستاذ : فيص القناعى

«الشحات»[١] الذى تم اكتشاف جثته بعد وفاته فى إحدى العمارات السكنية فى مصر وثبت انه يملك أربع عمارات سكنية منها العمارة التى توفى بداخلها .. هذا «الشحات» المليونير ليس وحده الذى يعيش دون الاستمتاع بثروته .. فهناك العشرات من أصحاب الملايين الذين يعيشون كالشحاتين !! وكأن الله كتب عليهم الحرمان مما يملكونه .

النقود والأموال ليست طوابع بريد أو فراشات أو ادوات اثرية يجمعها بعض الناس ويضعها فى «ألبومات» أو خزائن .. ويستمتع بالنظر إليها من بعيد !!

والذى ينعم الله عليه بمزيد من هذه النقود عليه أن يشارك الفقراء والمساكين فى بعض منها ، ويتقرب إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق هذه النعمة .

فما الذى استفاده هذا المليونير بعد أن عاش حياته كلها متسولا ؟ وما الذى استفاده عندما حانت لحظة الموت ؟

لم نسمع أن أحد الأغنياء استطاع أن يشترى الحياة أو الصحة أو السعادة أو حتى محبة الناس !

بنصف دينار زيادة تستطيع أن تنام فى فندق افضل .

ولكنك لو دفعت مائة مليون دينار لا تستطيع ان تنام فى قبر افضل .

عن

جريدة «الهدف» الكويتية

(١) جاء فى اللغة : شَحَذَ - فى التَّسَوُّل : أَلَحَّ فيه يقال هو : يَشْحَذُ الناس أى يسألهم مُلِحا فهو شَحَّاذ . والعامة فى مصر يقولون : شحات بتاء .

←

أنباء وآراء

أقيم يوم الأربعاء ٧ من المحرم ١٤١٠ هـ الموافق ٩ من أغسطس ١٩٨٩ م برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حفل تكريم للسادة الدعاة الفائزين فى المسابقة العامة لرجال الدعوة بالأزهر ، وتكريم الأوائل الناجحين فى الشهادات الأزهرية .

أقيم الحفل فى قاعة الاحتفالات بمجمع المعاهد الأزهرية بمدينة نصر ، وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة حث فيها رجال الوعظ وطلاب المعاهد الأزهرية على بذل المزيد من الجهد لتحصيل العلم ، وأن يكون العالم دائماً كالماء الجارى ؛ طاهراً مطهراً متجدداً ينتفع بالعلم وينفع الناس بعلمه ، وقدوة حسنة وأسوة طيبة .

وقد بلغت قيمة المكافآت التى وزعت على الفائزين من رجال الوعظ نحو ثلاثين ألف جنيه ، كان نصيب الفائزين الأوائل فى حفظ القرآن الكريم وإجادة ترتيله مبلغ خمسمائة جنيه لكل فائز ، كما كان نصيب الفائزين الأوائل فى العلوم الإسلامية تحريرياً مبلغ أربعمائة جنيه لكل فائز . وهذه أسماء الأوائل فى كل :

أوائل القرآن الكريم أصحاب الفضيلة :

١ ـ الشيخ محمد محمد عبد الباقى ـ المنيا .
٢ ـ إبراهيم أحمد عبد العال ـ الغربية .
٣ ـ فتحى السيد عبد الرازق ـ الغربية .
٤ ـ السيد موسى عبد الشافى ـ الغربية .
٥ ـ إبراهيم عطا الفيومى ـ الدقهلية .

أوائل المسابقة العامة فى العلوم الإسلامية ، أصحاب الفضيلة :

١ ـ الشيخ/ محمد الأمين إبراهيم عطيفى ـ أسيوط .
٢ ـ الشيخ/ شعبان محمد عوض ـ أسيوط
٣ ـ الشيخ/ عاطف عبد الحفيظ على ـ الفيوم .
٤ ـ الشيخ/ محمود عبد الحميد محمد ـ أسيوط .
٥ ـ الشيخ/ فرج عبد الله عبد الوهاب ـ سيناء الجنوبية .

● ● ●

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم (٤٣٦) لسنة ١٩٨٩ م بالموافقة على سفر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الودود إبراهيم شلبى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية إلى كل من استراليا ، وتايلاند فى المدة من ١٠/٨/١٩٨٩ م حتى ٢٧/٨/١٩٨٩ م .

يلقى الدكتور أثناء ذلك عدة محاضرات بالمؤسسات الإسلامية إلى جانب تفقده لأحوال المسلمين فى كل من البلدين .

المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة يقرر مقاطعة البضائع البلغارية

قررت هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى اختتام اجتماعاتها بالأردن فى خلال شهر المحرم ١٤١٠ هـ مقاطعة البضائع

إعداد: عبدالمنعم فــودة

والسلع البلغارية بسبب موقف بلغاريا من المسلمين وحملات الاضطهاد المستمرة ضدهم وطردهم من ديارهم وإجبارهم على التخلى عن دينهم وأسمائهم مما أدى إلى نزوح الآلاف المؤلفة من المسلمين إلى تركيا خلال شهر مايو ويونيو عام ١٩٨٩ م .

وقد سبق للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر أن وجهت عن طريق وزارة الخارجية المصرية مذكرة إلى الحكومة البلغارية تحثها على حسن معاملة المسلمين ببلغاريا .

كما قررت هيئة المجلس إقامة دعوى أمام محكمة العدل الدولية فى (لاهاى) بهولندا لوضع حدٍ للممارسات والاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية .

* * *

أذاعت وكالة الأنباء الإسلامية الدولية من (أبى ظبى) أن السيد / شكر الله شابين مفتش أذربيجان بالاتحاد السوفيتى ذكر أن عدد المسلمين بالاتحاد السوفيتى قد بلغ ٤٠ مليون مسلم ترعاهم أربعة مراكز إسلامية كبيرة .

وأن إنشاء المدارس الإسلامية والمساجد فى الاتحاد السوفيتى يتم بالجهود الذاتية وتعاون المسلمين هناك . وأن الحكومة لا تقدم أية مساعدات مالية لإنشاء مثل هذه المؤسسات .. ﴿ والله غالب على أمره ﴾ (صدق الله العظيم)

* * *

صدر أول إحصاء رسمى فى موسكو عن تكاليف الحرب ضد مسلمى أفغانستان قال المصدر : إن التكاليف بلغت قرابه ما يعادل (٧٠) مليار دولار أمريكى .

واستطرد نيكولاى ريكوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فقال : إن روسيا أنفقت ما يعادل ٧,٨ مليار دولار فى العام الواحد لدعم القوات المسلحة السوفيتية التى تساند قوات حكومة كابول الشيوعية فى حربها ضد المقاومة الإسلامية الأفغانية التى تحمل أسلحة بدائية .

وقد ذكر نيكولاى ريكوف أن هذه التكاليف الباهظة هى التى أرغمت حكومة موسكو على الانسحاب من الأراضى الأفغانية بعد حرب دامت ثمانى سنوات .

●●●

تعليق مجلة الأزهر :

إن تكاليف الحرب ليست هى السبب فى انسحاب القوات الروسية فقط بل إن السبب الرئيسى والجوهرى هو استبسال المقاومة الأفغانية وإيمانها بالله وإيقاظ روح الإيمان فى نفوس الجنود السوفييت من أصل إسلامى فى سبيل الله .. الأمر الذى فقدت معه موسكو الكثير من جنودها ، فلم يحمل السلاح من أجلها وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إن ينصركم الله فلا غالب لكم** ﴾ .

* * *

الإسلام هو الدين الثانى فى إيطاليا

ذكرت صحيفة إينا الإيطالية التى تصدر في روما أن عدد المسلمين يحتل المكانة الثانية بعد عدد النصارى فى إيطاليا فقد بلغ عدد المسلمين (٥٠٠) ألف نسمة فى بداية هذا العام معظمهم من أصل عربى وبعضهم أوروبيون وأسيويون وذكرت الصحيفة أن ١٠ آلاف من المواطنين

أنباء وآراء

الإيطاليين اعتنقوا الدين الإسلامى خلال السنة الماضية .

وأضافت أن عدد المسلمين الإيطاليين فى تزايد مستمر بسبب النشاط المتزايد للمنظمات الإسلامية فى مدن ميلانو فى شمال إيطاليا وأن هذه المنظمات قد نشرت ١٠ بحوث جديدة عن الإسلام .

تعليق مجلة الأزهر :

وقد سعت إيطاليا من جانبها لدراسة هذا الأمر فعقدت مؤتمراً كبيراً بالعاصمة الإيطالية روما لبحث مسألة تزايد المسلمين فى إيطاليا فى الفترة ٢٤ ـ ٢٦ فبراير الماضى .

* * *

ذكرت مجلة (تايم) الأمريكية أن الإسلام بدأ ينتشر بازدياد داخل الولايات المتحدة الأمريكية وأكدت الصحيفة أن رجال الكنيسة قد فشلوا فى مواجهة هذا الاجتياح الإسلامى بسبب قصور المسيحيين فى التمسك بمبادىء المساواة بين البشر وتسامحهم إزاء التفرقة العنصرية وعجزهم عن بث روح الخشوع فى النفوس .

* * *

تم تشكيل مجلس إسلامى للمساجد بمدينة مونتريال بكندا ، تكون مهمته تقديم المساعدات للمسلمين القادمين إلى كندا ورعاية المساجد الموجودة فيها .

* * *

خمسة من قساوسة السودان يشهرون إسلامهم

ذكر السيد/ منقو أجاك الوزير الأقليمى لأعالى النيل بالسودان أن خمسة من القساوسة فى مدينة بورسودان قد أشهروا إسلامهم بعد مناظرة استمرت ٣ أيام بينهم وبين جماعة من رجال الدعوة الإسلامية بالسودان .

وأن المناظرة قد تمت فى حرية تامة .

كما ذكر الوزير أن (٤٦٦) رجلا وامرأة أشهروا إسلامهم بمنطقة جنوب كردفان على يد دعاة منظمة الدعوة الإسلامية ومعتمدية العاصمة القومية بالمنطقة .

* * *

أعلن مفتى الدولة الفلسطينية الجديدة الشيخ رجب التميمى أن الدولة الفلسطينية الجديدة تستمد دستورها من الشريعة الإسلامية لأنها ستكون دولة إسلامية وليست « علمانية » .

عمر بن عبد العزيز. بقية

بَنِيّ أحد رجلين : إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا ، وإما رجل مكب على المعاصى ، فإنى لم أكن أقويه على معصية الله .

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرا ؛ فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى ثم قال : بنفسى الفتية ـ كما يقولون ـ تركتهم علية (٣) لا شىء لهم ، فإنى بحمد الله قد تركتهم بخير .

أى بنى إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ، ولا من المعاهدين إلا أن لكم عليهم حقا .

أى بنى إن أباكم ميل بين أمرين : بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار ، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار قوموا عصمكم الله !!

ومات الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ولقد بلغ أولاده منزلة كبيرة بعد وفاته ، فكان ابنه عبد العزيز بجانب ولايته على مكة والمدينة فى عهد يزيد بن عبد الملك والخليفة مروان بن محمد راوياً للحديث .

وكان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والياً على الكوفة ، وكان منهم العلماء والتجار ، فكانوا أغنياء ومتصدقين مجاهدين فى سبيل الله.

روى أحد المؤرخين قال :

مات الخليفة هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا ، فقسمت تركته وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف دينار ، ورأيت رجلا من ولد عمر ابن عبد العزيز قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ، ورأيت ولد هشام يتصدق عليه. رحم الله المعلم المربى العظيم عمر بن عبد العزيز وأولاده ورضى عنهم أجمعين .

(٣) كذا وردت بالمقال ، ولعلها « عَيْلة » أى مفتقرون . فأما عليه فقد وردت بكسر فسكون ففتح وتعنى أشراف القوم ووجوههم وقد يكون ذلك مقصوداً بمعنى : تركت أولادك من أشراف الناس ووجوههم ، وهم لا يملكون شيئا ....

الربا فى القانون الاسلامى. بقية

محظوراً غير مشروع بمقتضى النص الذى يتمسكون به .

أما القول بأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا يعرفون إلا الربا الفاحش الذى يساوى رأس المال أو يزيد عليه فإنه لا يصح إلا إذا أغمضنا أعيننا عما لا يحصى من الشواهد التى نقلها أقدم المفسرين وأجدرهم بالثقة . ولقد كان الشعب العبرانى ـ الذى يعيش والشعب العربى فى صلة دائمة منذ القدم ـ يفهم من كلمة الربا كل زيادة على رأس المال ، قلت أو كثرت . وهذا هو المعنى الحقيقى والاشتقاقى للكلمة ، أما تخصيصها بالربا الفاحش فهو اصطلاح أوروبى حادث ، يعرف ذلك كل مطلع على تاريخ التشريع .

وبعد فإننا لا نستطيع أن نطيل الوقوف عند هذا النص الانتقالى ، لأن الذى يعنى رجل القانون فى تطبيق الشرائع إنما هو دورها الأخير . وقد بينا أن الدور الأخير فى موضوعنا إنما تمثله الآيات التى تلوناها آنفاً من سورة البقرة . كما رأينا أن الشريعة القرآنية تتجه كلها منذ البداية إلى استنكار كل تعويض يطلب من المقترض . أفلا يكون من التناقض أن هذه الشريعة التى تضع الإحسان إلى الفقير فى أبرز موضع من قانونها والتى تحث على إنظار المعسر ، أو على ترك الدين له ، تعود فتأخذ منه بالشمال ما منحته باليمين ، إذ تأذن للغنى بأن يطالبه ببعض الزيادة على الدين ؟

الفتاوى . بقية

حق مهدر الدم فى الجنسية

س ٣ : إذا حكم الإمام بإهدار دم امرىء مسلم وخروجه عن الأمان فى الدولة الإسلامية ـ هل يؤثر ذلك عليه فى الإقامة والتوطن فى الدولة الإسلامية ، وخاصة حقه فى الجنسية .

د . أسامة كامل عمارة

جـ ٣ : إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » رواه البخارى ومسلم وغيرهما

بذلك فإذا زنى المحصن وثبت ذلك بالبينة الشرعية أو الإقرار وحكم الحاكم الشرعى بثبوت الزنا كان جزاؤه الرجم حتى الموت ، وكذلك إذا قتل مسلماً عمداً وثبتت جريمة القتل وحكم الحاكم الشرعى بذلك كان جـزاؤه القتل قصاصاً .

وأيضاً إذا ترك دين الإسلام وأصر على ذلك مع إعطائه الفرصة للرجوع إلى الإسلام ، وحكم الحاكم الشرعى بردته قتل كفراً .

هؤلاء الثلاثة إذا حكم شرعاً بجريمتهم كان جزاؤهم القتل ، وبذلك لا حق لهم فى الحياة فضلاً عن الإقامة فى الدولة الإسلامية أو التوطن فيها أو جنسيتها .

وعلى كل مسلم أن يساعد الحاكم الشرعى فى تنفيذ حد الله ولا يعمل على إيواء من وجب عليه الحد أو التستر عليه ، وإلا كان مشاركاً فى الإثم مجافياً لأمر الله ـ حيث أمرنا بالتعاون على البر والتقوى . والله أعلـــم ..

قراءة فى كتاب الوحوش . بقية

وَالبُرْغُزُ جميعاً ، فقال لى الرياشى : أيهما سمعت من الأصمعى ، الفتح أم الضم ؟

فقلت له : فأيهما تختار ؟ . فقال : مثل البَرْغَزِ الفَرْقَدُ ، ومثل البَرْغَزِ الجُؤْذُرُ . فقلت : فى كتابى جميعاً . فقال : لا تغيره ، فإنى سمعت أبا حاتم يقول : البَرْغَز بالفتح . قال أبو بكر بن دريد : جميعاً بَرْغَز وَبُرْغُز » .

٨ ـ هذا ويؤخذ على الأصمعى فى كتابه « الوحوش » خمسة مآخذ هى :

(١) خلو الكتاب من مُقَدِّمَة تُمِيطُ لنا السِّتَارَ عن دوافع تأليفه أو تكشف لنا النِّقَابَ عن المنهج الذى ارتضاه الأصمعى أداةً للتَّحَكُّم فى ترتيب مادته وتصنيفها .

(٢) افتقار الكتاب إلى تَوَفُّرِ عنصر المنهجية ، فقد حشد الأصمعى أسماء الوحوش وصفاتها ، دون مراعاة أى نمط من أنماط الترتيب بين هذه الأسماء وتلكم الصفات .

(٣) حصر الأصمعى لأسماء الوحوش وصفاتها لم يكن حَصْرَاً شاملاً ودقيقاً .

(٤) بعض الشواهد الشعرية جاءت بلا عزو ، مع أنَّها لشعراء ذائعى الصيت ، ثابتة فى دواوينهم ، ومجاميع شعرهم ، مثل أبى دؤاد الإيادى ، وأبى ذؤيب ، وأمرىء القيس ، وزهير ابن أبى سلمى وساعدة بن جؤية الهذلى ، وعنترة ابن شـداد ، والنابغـة الجعدى والنـابغة الذبيانى ..

٥ ـ القصور فى الاستدلال على المعنى بالشواهد أحياناً ، من ذلك قوله : « وَالصَّيْدَنُ: الثعلب ، ولم أسمعه إلا فى شعر كُثَيِّرٍ »

أعلام الأزهر. بقية

* أمنية الشيخ

... إن أعز أمنية لى ، وليس لى فى الحياة بعدها حاجة هى إخراج كتبى التى كتبتها ، وهى قيد الطبع الآن . أما أمنيتى العامة هى أن يعود الأزهر إلى عهده الأول من إنهاضه لعلوم الإسلام ، وترقية الناحيتين الدينية والعلمية فى أذهان طلابه حتى يكونوا مؤهلين لنشر دعوة الإسلام فى الداخل والخارج .

وبعـــد ....

فهذا هو العالم العلامة الشيخ الجليل/ أحمد أبو سنة ، وتلك نبذة مختصرة عن حياته ، ومشواره العلمى ، وجهاده فى خدمة الدعوة ، واستمر - ولايزال - فى التلقى عليه أجيال وأجيال بارك الله فيه ، ومدّ الله فى عمره ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ..

أجرى اللقاء :

ناصر وهدان

١٩٨٩/٨/١ م

مراجـــع اللقـــاء :

١ - لقاءان شخصيان تما مع الشيخ الدكتور بمنزله الأول بتاريخ ١٩٨٩/٧/٢٩ والثانى بتاريخ ١٩٨٩/٨/٢ ..

٢ - صورة من مقال الدكتور - من ثلاث صفحات فلوسكاب - مرسلة لجريدة الأهرام بتاريخ ٩ ذو القعدة سنة ١٤٠٩ هـ .

٣ - مقال من صفحتين كتبهما الشيخ الدكتور للمجلة .

٤ - سجل مجمع البحوث الإسلامية ، فصل بعنوان نبذة عن أعضاء المجمع الحاليين - دورة (٢٤) ، ص ٢٦ ...

دراسة التاريخ. بقية

فعلى الرغم من مقدمته التى يقول فيها : « لم تمض على وفاة النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - مائة سنة حتى أصبح العرب أسياد دولة أعظم من دولة الرومان فى أوج عزها ، دولة امتدت أرجاؤها من بحر الظلمات غربا إلى حدود الصين شرقا ومن جبال أورال شمالا إلى حدود السودان جنوبا ، وردد المؤمنون فى كلمتى الشهادة اسم الجلالة والرسول من رءوس المآذن فى جنوبى أوروبا وشمال أفريقيا وأواسط آسيا فرجعت جبال الأندلس وسهول الهند والصين ومجاهل الصحراء الكبرى أصداءها ، ودخل فى دين العرب وفى لسانهم ودمهم من الشعوب والأجناس مالم يعهده التاريخ من قبل حتى فى أخبار اليونان والرومان » .

على الرغم من هذه المقدمة - وهى أيضا مشوبة بالريبة فالدين دين العرب وليس دين الله فى نظره ، فإن القارىء لا يكاد يمضى فى قراءة الكتاب بإمعان حتى يصطدم ببعض أفكار عن العرب والمسلمين تبدو وكأنها جاءت طبيعية غير مقصودة لذاتها ، ولكنها وضعت ببراعة فائقة بهدف يعرفه المطلعون على الكتابات الوافدة التى ازدحمت بها المكتبات العربية منتهزة فرصة التعطش للقراءة تارة والشغف بهمزة الوصل بين الشرق والغرب تارة أخرى .

وليس فى هذه العجالة الإمكان بتقديم مقتطفات من هذه الأفكار ، ولكنى أود لو اتسعت دائرة أقلام الباحثين والناقدين لتجلية الأمور التى يقدمها الكتاب المغرضون وبخاصة فيما يرد إلينا من دور نشر مختلفة تعنى بالمظهر الجذاب فى تقديم طبعاتها حتى تُغْرِى القراء بما تقدمه إليهم من مطبوِعات ..؟

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

الفهــرس

● المال .. حلالة .. وحرامه
د . على أحمد الخطيب ٩٧

● بيان لفضيلة الإمام جاد الحق على جاد الحق
فيما يتداول من حديث البنوك
للإمام الأكبر شيخ الأزهر ٩٩

● وحدانية الله
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعى ١٠١

● الربا فى القانون الإسلامى
لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله ١٠٥

● ربح الودائع الاستثمارية
لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد فهمى ابو سنة ١١١

● الطير الابابيل
للدكتور محمد رجب البيومى ١١٣

● الانتفاع بالوقت
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ١١٧

● عمر بن عبد العزيز وأولاده
منهجاً وتربية
لفضيلة الشيخ إبراهيم محمد الجمل ١٢٤

● الربا فى عمليات البنوك
لواء أ . ح . دكتور فوزى محمد طايل ١٢٨

● حصاد الدعوة الإسلامية
للدكتور عبد الله نجيب محمد ١٣٣

● الفتاوى
للأستاذ على حامد عبد الرحيم ١٣٧

● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٣٨

باب الشعر والشعراء

اشراف د . حسن جاد

● من عجائب صنع الله
للشاعر صلاح عبده الحناوى ١٤٠

● عد يا ربيع
للأستاذ رشاد محمد يوسف ١٤٢

● من إعلام الأزهر
الأستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنة
للأستاذ ناصر محمد وهدان ١٤٣

● العلوم الكونية
« الإيدز وباء وبلاء »
للأستاذ محمد مهدى يوسف ١٥١

● من روائع الماضى
الأشهر الحرم
لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد المونى ـ رحمه الله
عرض وتقديم الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ١٥٦

باب اللغة والأدب والنقد

● قراءة فى كتاب الوحوش
تحقيق الأستاذ أيمن محمد ميدان ١٦٠

● دراسة التاريخ
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ١٦٦

● المسلمون والاستعمار الاوروبى لافريقيا
تاليف دكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم
عرض وتقديم أحمد تقى الدين ١٦٨

● من خير ما نشر
الأستاذ عادل رفاعى خفاجة ١٧٢

● انباء وآراء
إعداد عبد المنعم حافظ فودة ١٧٦

القســم الانجليــزى

اشراف د. أنس مصطفى النجار

● المقالــة الثانيــة
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير ١٨٦

● المقالــة الأولــى
د . أنس مصطفى النجار ١٩٠

Precepts of the Creator. The only concern and demand of the Creator from mankind is the faithful use of the freedom granted by Him to humanity. The conceptualization of this thesis standardizes the deeds and intentions of mankind into values. The discrimination between the various grades of values from the most vicious to the most virtuous is through the function of the mind. Knowledge is the energizer of the mind to think with the honesty of the spirit in order to discriminate. This leaves the spirit of the human individual as the real safeguard of human action. From hence is the great need for spiritual purification and salvation from evil.

The need for spiritual purification is most justified in this age of materialistic mania in which mankind is blindly indulged. The avaricious covetousness of human desires have disorganized the rational and logical sequence of mental functions, undermined with disruption the natural human property of discrimination of values. Human intentions, actions, and deeds are becoming more and more inadequate and blemished, perverted, malignant and detrminental to the natural inborn qualities of human acme of goodness and decency. If humanity wants to survive the predition in this life, and the inferno in the Hereafter; there must be a return to the path. The path of purity, salvation, self respect, human excellence, spiritual elevation, redemption and atonement. This comes about only by freedom from the slavery bondage of avaricious covetousness carnal desires of all ego and bodily demands and capricious fantasies.

Mankind is summoned to recognize the grave need for salvation of humanity by purification of the spirit, awakening of the conscious, knowledge of the truth and reality. This is achieved by the development of strong faith and true belief founded on knowledge and understanding of the Divine Commandments.

actions have no value other than the intentions which direct them and these intentions to be virtuous must originate from strong faith; and strong faith is the natural outcome of true knowledge. The Holy Quran as the Message of Islam presents the roots and essentials of all knowledge both material and spiritual that are necessary for the build up of strong faith.

Salvation is essentially a process of self purification, which according to Islamic teachings is subject to certain requirements. First, the purity of the body, the garment, and the food; then the purity of the senses, abstinence from sins and transgressions, and the development of genuine love and liniency; then the purity of the heart by the renunciation of all evil trends and qualities, such as envy, malice, hatred and ill will. These are the steps on the path to turn from impurity to purity, to amend, regenerate and blend with the Divine Power. The rituals of worship in Islam are all elements to optimize the process of self purification. The performance of Salat (prayers) is a continual process of remembrance and submission to the Transcendant Being; with the purity of garment and body by ablution, and the purity of the self by devotion. The institution of Zakat is a socio-economic system of perfection and supreme communal respect. It is not a charity, but a human right that is decreed by Divine precept. The mandate of Fasting is an injunction of worship of the highest order of self discipline, spiritual orderliness and training.The act of Pilgrimage is a representation of obedience, endurance, patience, humbleness and total resignation to the Divine power in absolute genuine devotion. Every act of worship in Islam is essentially characterized by being congregational and associated with collective rather than individual practice. The practice of these sacraments of worship institute a condition of continuous awareness of the Divine Milieu, and the individual becomes in a perpetual state of consciousness of the Creator. With the Transcendant Divine as the consort and guardian of mankind, we become certain of the salvation of our souls, and the attainment of spiritual purification.

The understanding of such concepts manifests in the conviction that human actions and deeds can be sanctified, if whatever we do is done in the name of the Creator. The totality of human life and existance down to the most primitive human function and intention are in the name of the Creator. The material world around us is vanity and ashes, and the wise do not draw up from it except what suffices their bodily needs. Nothing of man's deeds in life is really of value in the Eternal Existance, and nothing will endure except the acts and deeds that conform with the Will and

→

struggle to survive, a strive to attain a standing of spiritual distinction that is elemental to human nature, Jihad of the human ego, an effort during the path of life to accomplish spiritual purification, self betterment, the delicacy of grace and decorum of soul. The control and fruitful harness of body machine and its physical efficiency are the material products of spiritual purification.

Divine scriptures are relayed to mankind through selected chosen Messengers. The original thesis of all Divine teachings to mankind are the same in root and origin. However, some Divine doctrinal teachings have deviated from the root to the shoot, and branched away to make religious doctrinism more commonplace requiring no effort for their implementation. The Jews are confident of salvation as an inborn trait considering themselves the Divinely chosen race; and are therefore making belief of their assurance of Paradise in the Hereafter under any form of conduct in life. Christians have developed a self constructed priest hierarchy that can offer dispensations at will, to grant impunity and freedom from punishment by offering sacrificial oblation as an expiation of wrong action and deed. Such ideas for salvation and redemption are very easy, attractive, fallacious and commonplace. There is no hardship, no effort, no strive, no jihad, no blending of man's systems of mind body and soul into one energy quanta to surpass the total mass of the material being and to blend into the spiritual arena, the Divine Milieu inherent in mankind, to attain the state spiritual purification and salvation. This state of spiritual elevation in Judaism and Christianity is the requirement of the very few, the selected scholars of Divinity, the hermits in seminaries, and priests in the sanctuary of monasteries. The ordinary man is much less restrictive and very much less committed. This standing practice discriminates between the basic requirements of belief and the real process of individual endeavour for salvation.

The doctrinal teachings of the Islamic faith follow a very different theme for human salvation. There is absolutely no hierarchy in Islam, there is no intermediary of any kind or class between the human individual and the Creator. Those who gained academic knowledge in Islamic theism can only teach and guide; however, under no condition can they offer dispensations or expiations for any individual. The process of salvation is totally a property of each individual that is dependant only on the individual's relation with the Divine Transcendant Being. The fundamental requirements for salvation are strong faith, good deeds, truthfullness and the practice of devotion and patience. The individual utilizes his potentialities and own free will to blend with the Divine Power, and reaches beyond what is purely material. Human

ISLAM AND HUMAN SALVATION

By : Magdi Abdel Hamid Basheer

Salvation is the spiritual purification of mankind to regenerate into a new way of life that enriches the human soul into a state of grace, self respect and exaltation. The attainment of such condition is gained through the perpetual process of justification of deeds, actions, and the optimization of faith. Like any other process, spiritual purification is the product of a self maintained behavioural paradigm involving the mind, body and soul of the individual. The integrated capacities of the infinite capabilities of mankind should be energized, educated, trained and programmed to justify human actions and optimize faith. This standing of distinction that is elemental to human nature is achieved through knowledge as an essential requirment of strong faith.

All systems of sciences and knowledge available to man are infinite and become cognitive to the human mind. However, the mental psychological aptitudes and inclinations of mankind deviate from true commitment, to channels that are less restrictive, and more mundane and prosaic. Of all the systems of knowledge and sciences; the theological eschatological theistic doctrinal knowledge appear to be the only discipline which most people are less concerned about and thereby most really ignorant of. Inspite of that ignorance, most people are antagonistic and argumentative without knowledge of the basic foundations of religous doctronism. This is unaccepted in any other discipline of science.

The mind should be educated, trained and clutured to conceptualize the basic elements of true faith. This is attained by the proper understanding of the pure basic fundamentals of blief. The science of religious doctronism is the one concerned with the ultimate spiritual purification of mankind to attain eternal salvation. Since death is inevitable, so what lies beyond is the exciting unknown, which is really the fruit of our conduct, behaviour, and endeavours in life. With this understanding, the journey of life is the workshop of deeds, the campilation of our actions and intentions; it is the path on which everything is engraved on our minds and concealed within our subconscious; it is the account book for which we receive the ultimate verdict on the Day of Judgement in the Hereafter. To attain and accomplish success, an effort during life must be made, a

→

mental, psychological, cultural, conceptual systems of the man were integrated to make him a man of deep steadfast intelligent belief.

The above narrative appeared in all chronicles related to how Omar ibn Al-Khattab submitted to the faith of Islam. Another statement presented a more reasonable, logical account which confirms more with his persevering forbearing character. The revelation of the new faith caused much disturbance and confusion in the social tribal structure of the Quraysh. The most intense impact was upon the mental aptitudes of every individual mind; some accepted the new theism as the most rationale and immediately associated themselves as followers of the new faith; others processed the matter through a procedure of thought and deliberation; and a third group remained without rational thought dogmatically recalcitrant and opposing. Omar ibn Al-Khattab gave the matter much speculative thinking and rationalization. Inspite of his intense resistance to any change in the tribal structure of the Quraysh, his cultural constitution, ecumenical mind, and liberal personality motivated him to learn about the realities of the new faith. Omar secretly followed the Prophet, and heard from him the versus of the Holy Quran as the Prophet recited them during prayers at the Kaaba. Omar was inspired to excercise his faculty of intellect in cognitive reasoning. Gradually, he perceived the reality of the doctrinal teachings of the new faith, the curtains of blind chauvinism were withdrawn to allow the Light of truth to shine into the mind of the man whose inner self was seeking the deep elements of certainty and absoluteness. Omar went to the Prophet and witnessed that "There is no god save Allah, and Muhammad is the Messenger of Allah".

Omar with his strong candid character, declared in the circles of the Quraysh that he had followed the Message of Islam. He became an enemy to the pagans, and was subject to their desposition and affliction that inflicted all followers of the new religion. Omar ibn Al-Khattab was offered protectorship by Al-Aas ibn Wail Al-Sahmii. However, the hostile contrariety between Muslims and idol worshippers grew more obstinate, Omar suffered in that enmity of difference, the same as other Muslims. His mind grew more organized, his thinking manifested into sound rationality, his conviction to the faith became more established and concrete, his perception developed into sagacity and wisdom. His whole being was integrated to become solid in character, sharp in justice, adamant in belief, and adherent close companion to the Messenger (prayers and peace from Allah upon him).

to members of your own family, and straighten them". Omar asked "who of my family". Naim answered, "Said ibn Zayed ibn Amre ibn Al-Khattab, who is the husband of your sister Fatimah bint Al-Khattab; who have both followed Muhammad and embraced the new faith". Omar became very upset indeed, mentally disturbed afraid and uncertain of the new faith, his mind heated up and wrestling with contradicting ideas of thoughts. His inherent candidness, culture, ecumenic concepts, knowledge, made him recognize the possibility of a way of life other than the pagan idolatory system of the Quraysh. A way of life that his cousin, his sister, and several other ranks of the Quraysh had embraced and followed.

Omar ibn Al-Khattab hurried in the direction of his sister's home, his mind agitated ,confused in thoughts resolved to straighten his sister and her husband out from their new belief. At the home of Omar's sister was Khabab ibn Al-Arat reading verses from the Holy Quran. Omar confronted them with what he learned about them following the new faith and when they confessed, Omar struck Said, and as Fatimah advanced to defend her husband, Omar hit her on the head and wounded her. Omar asked them to hand over what they were reading. Omar took the manuscript and read the versus from the Holy Quran; "Ta-Ha, We have not sent down the Quran to thee to be for thy distress. But only an admonition to those who fear (Allah). A revelation from Him who created the earth and the high heavens. (Allah) The Merciful is firmly established on the Throne of Authority. To Him belongs what is in the heavens and in the earth, and all between and all beneath the soil. If thou pronounce the word aloud (it is no matter); for He knoweth what is secret and what is more hidden. Allah, there is no god but He, to Him belong the most magnificent Names." (Surat Ta-Ha, XX, 1-8).

The words of the Holy Quran had a micraculous effect on the mind of Omar ibn Al-Khattab. He recognized in them the whole Truth, and the deep Reality of the whole cosmic creation. He instantly perceived the Eternal omnipotence of the Transcendant Being and the Absolute Divine. All the mental systems of thought and understanding of Omar ibn Al-Khattab were metamorphosed and readjusted to oscilate into the exact frequency of understanding of true faith. Omar requested Khabab ibn Al-Arat to take him to Muhammad and his companions. When Omar reached the door, everybody inside the house of Al-Arqam was very concerned, thinking that Omar came for some evil purpose. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) advanced and held Omar firmly by his garment and said "what brought you here, is it not time that you end your evils " Omar answered "I came to confess and wittness that "There is no god but Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah". This was the moment that Omar ibn Al-Khattab accepted Islam as his faith; the whole physical,

→

character; Omar and the rest of the Quraysh practiced the most severe measures of tyranny and oppression for the subjugation of the followers of the new creed, and the erradication of its teachings. The obstinate hostile contrariety was ingrained between the very few followers of the new theism, and the masses of idol worshipping pagans of the Quraysh. Omar ibn Al-Khattab was most determined to preserve the unity of the Quraysh and its distinction among the tribes of the Arab Peninsula; if necessary by force of the sword.

The dilemma of Omar ibn Al-Khattab was to reach a suitable solution to this problem without provoking a split of overt hostility in the tribal relations of the Quraysh. The followers of the new creed were members of several clans of the Quraysh. Abu Bakre and Talha ibn Abdullah were from the clan of Bani Tamim, Abdul-Rahman ibn Aof and Saad ibn Abi Waqqas were from Bani Zuhrah, Osman ibn Affan was from Bani Abd Shams, Abu Ubaydah ibn Al-Garah was from Bani Fihre, and Al-Zubayr ibn Al-Awam was from Bani Assad. These individuals were men of status, in their respective clans who would stand up against any harm done to these men. The other followers of the new creed were from among the common people, and those were the ones that carried the brunt of the persecution and flagrant behaviour of the pagans. The Prophet himself was a continuous target of affliction and maltreatment.

The followers of the new creed were instructed to emigrate to Ethiopia, fleeing from the tyranny subjected on them. Among those that emigrated were notables in their clans. Omar considered that this emigration was a breach in the solidarity and pride of the Quraysh; resolved to take action by killing Muhammad the Messenger and Prophet of the new Divine Faith. Such an action would end this turbulent ordeal that has befallen the Quraysh. Omar ibn Al-Khattab was determined to kill the Prophet; however, Divine Providence rules the destiny of people. That man who was adamantly determined to kill the Prophet of Islam; transmuted with resilient suppleness to become cognizant of the truth and with a rational mind and firm invigoration of spirit, follows the Light that guides mankind to excellence of achievement.

Omar ibn Al-Khattab determined to kill, took his sword and walked through the lanes of Macca towards the house of Al-Arqam ibn Abi Al-Arqam where the Muslims secretly assembled with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). On the way to his destination, he was met by Naim ibn Abdullah who asked Omar of his destination and the reason for his serious angry temper. Omar replied that he was out to kill Muhammad, the cause of all that has afflicted the Quraysh and disrupted its unity. Naim answered Omar "you are vain and pretentious; would it not be more appropriate to go

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE SUBMISSION TO ISLAM

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

Omar ibn Al-Khattab and those like him from the pagans of the Quraysh remained to consider that the most vital objective was the stability of the tribal structure of the Quraysh and the integrity of its social system. Such disposition on the part of the strong hands and majority of the Quraysh preserved the tribal traditions against any alien ideas or beliefs. Omar was very antagonistic to those individuals who carried those beliefs, and was in enmity and opposition of hostility to any social system that was not of the same matrix as that of the Quraysh.

The only ideologies different to tribal paganism were Judaism and Christianity which were ecumenical creedal systems based on Divine scriptures. These were resident in some parts of the Arab Peninsula, Syria, and Palestine to the north. Across the Arab Gulf in Persia, was fire worship and idolatory incendiarism; a ritual of worship not at all appealing or understood. The institution of a new system of belief came through a Divine Message of Islam appearing in the form of Revelation of the Holy Quran received by a chosen Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). This final Divine Scripture was guidance to all mankind being decreed by a Divine Message relayed on the tongue of a man from Bani Hashem, a tribe of the Quraysh. The initial summons of the Message of Islam, and the impact of the Revelation of the Holy Quran, had a pounding effect on the whole Maccan community,and on the Quraysh in particular. The Divine Message called for Monotheism, the Oness of The Creator; total prohibition and denouncement of paganistic idolatory worship.

The attitude of Omar ibn AL - Khattab towards the new system of belief was provocative antagonism with adamant abnegation. He considered that proliferation of the new creed appearing from within the Quraysh itself, and summoned for by a man from Bani Hashem of the Quraysh; would have very devastating effect on the social system, power, stability of the Quraysh. Omar believed that this new doctrine of faith should be blatantly suppressed with force, absolutism and measures of dispotism. With his rough stoic trends of

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART II

SAFAR, 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

The Submission to Islam.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Islam and Human Salvation.

By: Magdi Abdel Hamid Basheer.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الأول ١٤١٠ هـ
اكتوبر ١٩٨٩ م
الجزء الثالث
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل لقارئ أن يشاركنا النظر..!؟

.. فى دعوة نسوقها إليه نتبين بها - فى دراسة مُحْكَمَةٍ - وَجْهَ « الفتوى الشرعية القانونية » التى نستهدى بها الطريق فتدفعنا إلى صراطه المستقيم، وتنأى بنا عن بُنَيَّاته[1] ففيها الشر الأثيم، وبعد :

فإن « مجمع البحوث الإسلامية » بالأزهر الشريف - وهو فى تعبير أستاذنا الدكتور محمود حب الله - رحمه الله : « الوريث الشرعى لهيئة كبار العلماء » - هذا المجمع اعتبره القانون رقم (١٠٣) لسنة (١٩٦١) م « الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث » .

وجاء فى اللائحة التنفيذية الخاصة بالمجمع فى الباب الثالث فيما يختص بواجبات المجمع - بشان الواجب الخامس :

←

« ٥ ـ بيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية » أى أن مجمع البحوث الإسلامية هو الجهة الشرعية القانونية صاحبة الكلمة فى هذه الشئون ومنها الشئون الاقتصادية .

ودراسة المجمع لقضاياه يقوم بها أعضاؤه المختصون فى إطار « اجتهاد جماعى »، لذا تصدر « فتاواه » عن دليل ـ يقول بشأنه الفقهاء :

« دليل قوى سالم عن المعارض .

فهى فتاوى لا تصدر عن « أصوات » تقل وتكثر فترفع وتخفض .

فإذا أضفنا إلى هذا « الاجتهاد الجماعى » ماللجمع من وضع قانونى يُفْرِدُه بالنظر فى الشئون الإسلامية صارت فتواه كحكم القاضى « ترفع الخلاف وتلزم الخصم » .

فى إطار هذين الأمرين صدرت دراسات المجمع فى دورته الثانية متناولة من « أعمال البنوك » ما أعلنه فضيلة الإمام الأكبر وأعاده على الأذهان ، ونشرته مجلة الأزهر كما نشرته صحف أخرى .

وتلك الفتاوى ـ وحدها ـ وهذه الدراسات هى التى يلتزم بها الأزهر الشريف ، وليس الأزهر مسئولاً عما سواها من فتاوى ليست لها حصانة فتاوى المجمع .

ثم الأزهر ـ من قبل ومن بعد ـ ليس جهة « تنفيذية » ، وإنما هو جهة « دارسة » تدعو إلى كلمة الله ـ سبحانه ـ وَهَدْىِ رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

من شاء أخذ بتلك الكلمة .

ومن شاء تركها .

وحساب كُلٍّ إلى الله .

أليس ذلك أمر الأزهر فى « الربا » كما هو أمره فى « الخمر » و« الميسر » و« الملهى » .. والحلال والحرام ؟!

وفى الكتاب العزيز أَمْرُه ـ تعالى ـ لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإرشاد أمته .

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾(٢) ..

فاسْتَبِقُوا الخيرات إنما يتقبل الله من المتقين .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) صراط الطريق ما استقام منه واتضح ، وبُنَيَّات الطريق ماتفرع منه فى غير استقامة ولا نظام .

(٢) النساء ٧٧ .

نعم .. وا .. أزهراه

الأزهر الحاضر والمستقبل

للإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

نعم .. وا .. أزهراه .. فإن فى جنابه الأمان والسكينة لمصر وللمجتمعات الإسلامية من حولها .. بل وللعالم أجمع ، وإن فى رأيه الأمين المخلص سبيل الرشاد ..

لقد نادى الأستاذ ثروت أباظة فى مقاله بصحيفة الأهرام ليوم ١٩٨٩/٨/٧ .. وا ... أزهراه .. ونحن نقول :

« لبيك .. فإن الأزهر لم يتغير ، ولا يزال على العهد به عَلَماً عِلْمِيًّا لمصر ، حافظاً لتراث الإسلام ، وفياً للأمانة التى حملها ـ منذ كان ـ قادراً على أدائها ، بفضل وعون من الله سبحانه ، باذلاً من أجل دينه وأمته غاية الجهد .

لقد جاءت كلمات الأستاذ ثروت أباظة فى مقاله ، نداء وربما عتاباً للأزهر الذى يرحب بندائه وعتابه المخلص ، فهو صديق قريب .. يكتب عن إيمان وغيرة على الأزهر .

وكنت قد عزمت أن أتحدث إلى الأستاذ ثروت فى لقاء خاص به أفضى إليه بما يطمئنه ، وبما يدفع التساؤلات التى عرضها المقال ، فإنى لا أستحسن أن تكون أمور الأزهر وسياسته ـ بصفة عامة ـ مكشوفة مطروحة للمناقشة على صفحات الصحف يتلقفها من يحسن قراءتها ، ومن يَزْوَرُّ عنها لذات نفسه ، ويحرف الكلم عن مواضعه .

لكنى ألفيت فيما بعد قوماً استغلوا المقال وجعلوه سبيلاً لِلَمْز الأزهر . والعيب له . والتَنَقُّص منه .

والذين يلمزون الأزهر قوم يظلمون أنفسهم ، ويظلمون دينهم ووطنهم ؛ فالأزهر ـ فى سمو مكانته ـ يخطو بثبات ووقار ، فى الألف الثانية من عمره المديد المفيد ، يشيع الأمن والأمان فى نفوس هذا الشعب الذى هو منه وله ، ويمتد نفعه ونفحاته إلى شعوب الإسلام كافةً وللعالم جميعاً .

وإنما يعرف الفضل من الناس ذَوُوه ، فها هو الأزهر الشريف فى ماضيه التليد وحاضره المجيد ينهض بأعباء كبيرة جداً ، تتسع دوائرها ومجالاتها ، ولا تقتصر على مجرد عمل تعليمى ، أو توجيه إرشادى ، أو رأى فى الدين ـ وهذا فى ذاته عبء ضخم يحمله الأزهر ويؤدى حقه بعون الله . ولله .

إن من مسئولية الأزهر وعمله حفظ الكيان المعنوى . لهذا الوطن ولأمة المسلمين ، وبث الطمأنينة فى هذا الكيان ، ليبقى عامراً بالإيمان نابضاً بالحياة قوياً أمام الأحداث والمحن التى

نعم .. وا .. أزهراه !

تتربص به . ويربط الأزهر بين مصر والعالم الإسلامى ويجعلها مطمح أنظار المسلمين ومهوى قلوبهم وآمالهم من كل مكان . يؤدى كل هذا وغيره دون مَنٍّ أو تفاخر ، يؤديه فى وَقار يليق بمكانته ، يقول ما يفعل ، وهو دائب على العمل لله ، عاكف عليه .

وإن من نعمة الله على هذا البلد أن حباه الأزهر وباركه به وبارك له فيه . فأصبح رمزاً له وجزءاً عزيزاً من كيانه .

ولقد تغيب هذه الحقائق أو بعضها عن بعض الصادقين المخلصين من أبناء هذا الوطن ، فيسارعون باللوم كلما ساورهم القلق ، أو أخذتهم الغيرة على الأزهر ، ويتوجهون إليه بالعتاب : الْهَيّن تارة ، والعنيف أحياناً أخرى ، لظواهر رأوها أو أقوال سمعوها ، أو قرعوها وهى فى الواقع حديث إفك يحب بعض الناس أن يشيع عن الأزهر لغرض أو مرض .

ونحن نشكر لأولئك الصادقين حسن نواياهم وسلامة مقاصدهم ، ونأسف لموقف هؤلاء الذين يفصحون بإفكهم عن دخائل نفوسهم .

وليس بين الأزهر وأصدقائه ـ مثل الأستاذ ثروت ـ أستار نبعد بها عنهم فالنفوس حفية بهم . والتواصل قائم بإذن الله .

أما الشباب ممن وصفهم المقال « بأنهم حسبوا الإسلام لحية وجلبابا ، والذين اشتدوا بالرأى فى الدين ، وخاصموا جمهور أمتهم على غير بينة ، فإن الأزهر يعالج أمر هؤلاء بجهود علماء الدعوة وعلماء المعاهد الأزهرية المنبثين فى ريف مصر وحواضرها ، بل فى كُفُورها وَعِزَبها(١) وبواديها ، وإن كان لا يلاحقهم التليفزيون أو الصحافة ، لأنهم يؤدون العمل حسبة لله ، وفى الله ، لا للإعلام والإعلان يتحدثون لكل بيئة بما يناسبها . وأعتقد أن هذا يرضى الأستاذ ثروت وأمثاله من الغيورين على حماية الإسلام وأمن هذا الوطن .

وينبغى ألا ننسى أن الأزهر للجميع : للمخطىء والمصيب ، وسيظل الأزهر ـ إن شاء الله وبعونه ـ على نهجه هذا يقيل العثرة ، ويرشد الضال ويعين على الخير ويهدى إليه .

هؤلاء الأبناء لا يستطيع الأزهر أن يخاصمهم مهما اشتدوا فى النفرة والبعد عن جادة الطريق ، ولا أن يتخلى عنهم أو يبرأ منهم ؛ فإن مخاصمتهم تقطع الأمل فى أن يسمعوا النصح ، أو يعملوا به أو يعودوا إلى الحق والرشاد الذى نرجوه لنا ولهم .

بهذا المنهج وبالصبر والمصابرة والمثابرة بعث الأزهر بعلمائه إلى المساجد والمصانع والجامعات ، والمدارس فى المدن والقرى ، بعث إليها كبار الدعاة وقادة الوعظ ، وعلماء المعاهد يختلطون بهم ، ويجلسون إليهم فى شتى مجتمعاتهم ويجرى بينهم الحوار حرا طليقا ، يرشدونهم إلى الحق فيما يثار من قضايا ، وهكذا يجرى الحديث على تواصل لإقناع الشباب ، وإقناع أهليهم بوجه الحق .. وصحيح الرأى فى الدين ، دون تشهير بهم بين المواطنين .

هذا خط ارتآه الأزهر أجدى وأنفع فى علاج هذه المسائل ، حيث شاع أن هؤلاء الشباب لا يحضرون الندوات ، التى تعقد وتحشد لها وسائل الإعلام المتنوعة ، ويديرون ظهورهم للعلماء إشارة إلى كراهية الحضور والاستماع إليهم ، لأنهم يرون أن فى هذا إثارة لهم ولغيرهم ،

وليس هذا غضا من قيمة هذه الندوات فى توعية الشباب بوجه عام لا سيما أولئك الذين لم يتورطوا فيما نسب إلى بعض الفئات من الغلو فى الدين ، ومحاولة فرض آرائهم بالقوة والعنف .

ومن ثم فالأزهر مع الأستاذ ثروت أباظة فى تقديم التحية والتقدير لصاحبى الفضيلة مفتى

---

(١) العِزْبة ـ فى التعبير المصرى : مَزْرَعة يمتلكها شخص أو عائلة .

الجمهورية ووزير الأوقاف على ما يبذلان من جهد فى هذه الندوات .

لكنه ينبغى أن يلاحظ أن وجوه العمل فى هذا المجال كثيرة ، وأنها لا تنحصر فى أسلوب واحد . وقد اختار الأزهر لنفسه مهامّ أخرى هى أصعب المهام فى هذا المجال ، تحمل الأزهر وحده عِبْئَها ، وهو يرى أنها هى السبيل الأساسى لعلاج هذه المشكلة .

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ .

إن المهمة التى اختارها الأزهر لمواجهة هذا الموقف وأمثاله تُعْنَى بأمرين :

الأمر الأول : حماية المفاهيم الإسلامية ـ بصفة عامة ـ أن يتسرب إليها هذا الخلل أو التشدد ، وحماية الأجهزة الحيوية بهذا البلد أن تضطرب مفاهيمها أو يهتز كيانها المعنوى .

الأمر الثانى : محاولة اللقاء بهذا الشباب المتشدد والقرب منه ، وإجراء الحوار معه إجراء مباشراً دون إثارة أو تشهير أو مصادرة ، وإنما بالإيضاح والإقناع .

وفى سبيل تنفيذ هذه المهمة فى شقها الأول يعنى الأزهر عناية خاصة بجهاز العلماء والدعاة الذين يبعث بهم للقيام بمهمة التوجيه المعنوى لرجال الجيش والشرطة بالذات ، والشعب بوجه عام .

ثم يقف بالمرصاد لكل فكر يتهدد استقرار هذا الوطن فى معنوياته وعقائده وما يطمئن إليه من أحكام الشرع الحنيف ، فيما يحرر أو يصدر من كتب ونشرات .

وقد حشد الأزهر لهذه المهمة مجموعة واعية من الباحثين والفاحصين ، تقودهم إدارة متخصصة ، ويشرف عليهم عالم على درجة كبيرة من المسئولية والخبرة ، فلا يأذن لفكر دخيل أو رأى متشدد أو عدو مهاجم ، أو ذى هوى مفسد ، أن ينفذ إلى ضمير الأمة ، أو يحرف عقائدها ، أو يوقد الفتنة بين طوائفها لتتفجر من داخلها .

ويعلم الله ثم المنصفون من أولى البصر ـ أن ما يدفع الأزهر خطره من هذا النوع عن الوطن ، كَمٌّ رهيب من المحررات والكتب والنشرات : رهيب فى مقداره ، رهيب فى مكره وخبثه ، رهيب فيما يبثه من أفكار . رهيب فيما يتذرع به من حجج ، رهيب فى خطره . يدفع ذلك بالكلمة الهادفة والعمل الصادق المخلص .

ويقف الأزهر مدافعاً ، محتسباً ، فيواجه الحجة بالحجة أقوى منها ، ويدفع البرهان بالبرهان يدمغه فإذا هو زاهق . ويرد هذه التيارات خاسئة خاسرة ، حتى سلمت ساحة مصر بوجه خاص وشعوب الإسلام بوجه عام مما أصاب غيرها من دوار اختلت به موازين الفكر ، فلم تعد تميز الخبيث من الطيب .

وأما الجانب الثانى من المهمة التى اختارها الأزهر لنفسه فى معالجة مشكلة الشباب المتشدد ـ فهو القرب من الشباب والصبر عليه ، والحوار معه مباشرة ، واللقاء به فى مدارسه ومصانعه ، ومساجده ، بل وفى قراه ، وبين عشيرته ، وفى المؤسسات الاجتماعية والسجون ودور الإصلاح وغيرها .

وقد أعد الأزهر لهذه الغاية دراسات كاملة فيما يتحدث عنه هذا الشباب من مسائل ، وعهد بهذه الدراسات إلى علماء مشهود لهم بالكفاءة ممن تجلهم مجتمعاتهم وتوقرهم ، وتحترمهم ليواجهوا بها حجة الشباب ويناقشوه على ضوئها .

وهذا فى رأى الأزهر أجدى الوسائل فى معالجة فكر هذا الشباب وتصرفاتهم وهو ناجح ـ بعون الله ـ فى الطب لهذه المشكلة مع الأيام . ولاسيما إذا اتخذ هذا منهجاً مدرسياً فى مراحل التعليم المتنوعة .

على أنه ينبغى ألا ننسى أن العلماء الأفاضل الذين يحاضرون فى الندوات التى تحدث المقال عنها هم من الأزهر : أصلا وانتماء ، وحضورهم

نعم .. وا .. أزهراه !

فيها حضور للأزهر ، وبهذه الصفة وحدها يتلقى الناس منهم التوجيه والإرشاد الدينى .

وإنه لافتراق بين المؤسسات الإسلامية فى مصر بقصد أو بغير قصد فى حقل الدعوة وطرائقها وإن افتقدت التنسيق بينها و « أهملت » مؤسسات مؤثرة فى حقل الدعوة وواقعها ، ولكل أن يختار السبيل الذى يناسبه من سبل العمل لخير الوطن وخدمة الدين ، وإن كان الأولى التنسيق والتكامل بين كافة المؤسسات ..

أما مشكلة المخدرات ومشاركة الأزهر فى حربها ، فمن المعلوم أن البيئة الإسلامية لم تعرف هذه المواد المخدرة إلا فى نهاية القرن السادس الهجرى ، أى الثانى عشر الميلادى . ومنذ ذلك الوقت بَيَّنَ العلماء حكمها ، وقد كانوا يسمونها بالمخدرات ، وبالمفسدات والمُفَتِّرات ، والمرقدات ، على اختلاف نظراتهم إلى أثرها فى البدن أو الجهاز العصبى ولكنهم اتفقوا على تحريمها .

وهذا الاتفاق القائم بين العلماء فى حكم المسألة يأخذ قيمة الإجماع من حيث القطع بتحريمها ..

ولقد نشر هذا الحكم ، واعترف به الكافة وأصبح أقرب مايكون إلى المعلوم من الدين بالضرورة ، وأصبح إنكاره بمثابة الخروج على الإجماع يكسب صاحبه إثما ومعصية فهو بمثابة الخروج على حكم شرعى متفق عليه ..

إن الأزهر لم يتوان ولن يتوانى عن التعريف بالحكم الشرعى بتحريم المخدرات بيانا بعد بيان ، وكتابا ، بعد كتاب ، منذ عشر سنوات وحتى اليوم ..

على أن كتابه فى هذا الشأن نشر أكثر من مرة ونفدت طبعاته ، فضلا عن أحاديث علماء الأزهر فى شأنها .

وإن من المعلوم أن مشكلة المخدرات اليوم مشكلة عالمية تتهدد أمن كثير من الدول والمجتمعات ، وأنها حرب تساندها جيوش وأساطيل ، ويقودها أباطرة المال ، وربما رؤساء دول ، وقادة عسكريون ، وهى من وسائل الحرب والتخريب للشعوب الآن .. وأصبحت أكبر بكثير من أن يعالج أمرها طب الطبيب ، أو عظة الواعظ ولابد من الردع ، فإن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ..

بقى لنا أن نتناول نقطة بارزة ، فى مقال الأستاذ ثروت أباظة وهى مقولة أن خريجى الأزهر لايحفظون القرآن الكريم ، ولايحسنون الحديث باللغة العربية وهو تعميم فيه الكثير من التهويم ، وهذه المسألة يعرفها الخبراء والعلماء وذوو البصر بمجريات الأحداث ونتائجها وأثرها فى المجتمع ..

وإنه لامراء فى أن دوافع الكتابة فى هذه المسألة بهذا المقال إنما هى تعبير عن غيرة على الأزهر ، ورغبة فى إزجاء الخير له .

لكن قوما يتخذون من هذه المسألة شعارا ، وسيفا يشهرونه على الأزهر كل يوم ويجعلونها سبيلا للتعريض به ، والنيل منه ، والكيد له ..

إنهم يتذرعون بهذه المسألة مثلما تذرع قوم من قبل للانتقاض على الإمام على ـ رضى الله عنه بمقولة : « لاحكم إلا لله ياعلى » : شعار : يستتر به من يريد الطعن على الأزهر .

إن حقيقة هذه المسألة أنه حدث بعد الحرب العالمية الثانية بهذا الوطن كما حدث بغيره حركة اجتماعية واضحة من حيث التحول إلى الصناعة ، وتغير أنماط الكسب والعمل والسلوك ، واستهداف الوظائف .. مما أدى إلى انصراف المحفظين عن مهنة تحفيظ القرآن ، وانصراف الآباء عن الحاق أبنائهم بالكتاتيب بالريف أو الحضر لحفظ القرآن الكريم .. وكان صدور القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بتعديل قانون الأزهر ، وصاحب هذا توسع من الأزهر فى إنشاء المعاهد الأزهرية ـ الأمر الذى أدى إلى قبول

دفعات من ضعاف حاملى الإعدادية العامة ، بل ومن راسبيها للالتحاق بالمعاهد الثانويه ، ومن حملة الثانوية العامة الذين لم يقبلوا بالجامعات الأخرى ، للالتحاق بجامعة الأزهر مما كانت حصيلته بعض هذا النتاج الذى يُلمز به الأزهر ويُغمز .

ولم يكن فى مكنة أحد ممن حملوا أمانة الأزهر بعدئذ أن يحذف هذه الدفعات ويلقى بها بكاملها فى الشارع بحجة أنهم لايصلحون للدراسة الأزهرية .

ولم يكن هذا ممكنا من الناحية العملية ، ولقد سهر الأزهر لعلاج آثار هذا الخطأ وتفادى أن يقع فيه مرة أخرى فقرر إغلاق الباب فلايسمح لحاملى الاعدادية العامة أو الثانوية العامة ، وما فى حكمهما بالالتحاق بالدراسة بالأزهر بكافة المراحل ، هذا بالرغم من المعارضة الشديدة لهذا القرار ..

كما قرر حفظ القرآن الكريم بكامله بالمرحلة الابتدائية ، ثم يراجع الطلاب حفظ القرآن الكريم بالمراحل التالية من التعليم الأزهرى ..

ورفع الأزهر مكافآت المحفظين إلى مثل مرتب حاملى الشهادات الجامعية وجعل حفظ القرآن الكريم شرطا أساسيا لكل ترقية بين وظائف المعاهد الأزهرية والوعظ . كما جعله شرطا للابتعاث إلى الخارج ، ورصد جوائز حسنة للفائزين فى مسابقات حفظ القرآن فى دورات شتوية ، وصيفية ، وعقد دورات تدريبية للمدرسات فى تجويد تلاوة القرآن بمعاهد الفتيات . وعزز نظام الإشراف والتوجيه للمدرسين ، وحفزهم للإجادة بحوافز سخية ، وأجرى بينهم مسابقات دراسية .

واتخذ الأزهر إجراءات تنظيمية وإصلاحية بالغة العمق : من أبرزها تعديل خطط الدراسة بالمعاهد ، وتعديل المناهج ، وتغيير الكتب الدراسية ، وغير هذا كثير مما لايتسع المقام لبسطه .

والإصلاح التعليمى إنما يجرى على أساس من الدراسة المتأنية ، ولاينفذ إلا متدرجا وفى حذر ومع مراعاة الظروف الاجتماعية للطلاب ، وللعاملين بالحقل التعليمى ، فلا يتصور أن يؤخذ التعليم بالإصلاح فجأة ، وأن تأتى النتائج فورا ..

هذه إشارات محدودة لجانب واحد من جوانب الاصلاح والخدمة للأزهر ، جرى تطبيقها الآن واقعا عمليا ، ولكن أكثر الناس لايعلمون .

أما أن الأزهر لايتصدى لما يجرى فى لبنان . ومايجرى فى أفغانستان فهذه قضايا دولية ، تمسك بزمامها قوى عظمى ، تتحكم فى مصير العالم ، وتتنازع مناطق النفوذ فيه ، وتوجه حركات الشعوب ، فهل يكون للأزهر فى هذا المضمار مجال .. ؟؟

ومع هذا وللحقيقة فإن الأزهر لم يتخل عن أداء واجبه تجاه لبنان وتجاه أفغانستان وهو حاضر بأرضهما ومع شعوبهما فى أحلك الظروف ، لم يقطع صلته بهما فى يوم من الأيام .

والتلميح هنا أولى وأوفى من التصريح ..

وبعد :

فهل يكون مناسبا أن يكشف الأزهر عن عمله وسياسته على صفحات الجرائد ؟

وهل يجمل أن يُسْتَجْوبُ الأزهر هكذا ويستباح عرضه ..؟

وهل نعم هذه المساءلة من أحبائه ، وأصفيائه ؟ الذين من حقه عليهم أن يحفظوا له مكانته ، وأن يوقروه ، ويعزروه ، ويقدروا جهوده ، وجهاده ، وينصحوا له فى رفق وأناة ..

وإن من شأن الأصفياء النصح الرفيق والحمد لله على كل حال ..

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

المولد النبوى
والإعجاز القرآنى

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

لما أقام الله ـ تعالى ـ الدلائل على ربوبيته وألوهيته ، أردف ذلك الحديث عن القرآن الكريم والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليست معرفة المؤمن بوحدانية الله إلا بمقدار ما تمثله له عقيدته ، إيماناً وفكراً وشعوراً ، إذ لا يكفى أن يُوحِّدَ الله باللسان ، ويُعبد غيره بلسان الأطماع .

وقد صدّر الله ـ سبحانه ـ الآية بجملة شرطية ، ومثل هذه الجمل مقصود بها جوابها ، الا وهو التحدى بسورة من أقصر سور القرآن .

والتعبير بـ « إن » وهى لا تدخل فى بعض أحوالها إلا على الموهوم ، كان ارتيابهم فى القرآن وهما من الأوهام وإن كان له ظل فى مخيلتهم .

وعبر بـ « فى » الظرفية ليبين مدى تخبطهم ، وتيهم فى الحقيقة كـ« لاريب» ، لأنه فى غير محله . فإذا ارتاب الإنسان ، فيما هو واضح جلى ، نُزِّل ذلك منزلة العدم ، والريب هو مقدمة الشك ، ولأى شىء يرتابون ؟ والقرآن ماثل أمام الابصار والبصائر ، يغزوها فيفتح عيوناً عُميا ، وآذاناً صُما ، وقلوباً غُلفا ، إذ هو مُنزَّل من عند الله ، وليس بمخترع يقدر على اختراعه أحدٌ من الإنس أوالجن أو الملائكة .

والتنزيل والإنزال سواء فى الهبوط من أعلى إلى أسفل ، وفرَّق بعض المفسرين بينهما ، فجعل الفعل مضعَّف العين (نزّل) للتفريق ، ولفظ (أنزل) لعدم التفريق ، وباستقرائنا للقرآن وجدنا خلاف ذلك ، ففيه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ فعبروا عن إرادتهم بنزوله جملة بالفعل المضاعف ، والمختار أن التضعيف فى الفعل المتعدى يُراد به التفريق ، تقول : [قطَّعته أى فرقت أجزاءه] . والتعبير بلفظ « علىٰ » لبيان علو المُنَزِّل ، وأنه جاء للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جهة واحدة ومصدر واحد هو الله رب العالمين ، لا دخل فيه لأحد سواه .

وعبر عن المُنَزَّل إليه ، بأنه عبد لمولاه ، والعبد ومامِلكت يمينه لسيده ، ومن هنا نفقه ما خُيِّر فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أن يكون ملكاً رسولاً ، وبين أن يكون عبداً رسولاً ، فاختار

العبودية لأنها أحب صفة إليه ، ولأنها تعنى منه تفويض كل شىء إلى خالقه . ومن المصادفات السعيدة لى أن يكون مقالى هذا فى شهر مولده - صلى الله عليه وسلم - ففي الجاهلية كان العالم الإنسانى يكابد فى هيكله المُنحل عوامل البِلىٰ من وثنية توبق الروح ، وجاهلية توثق العقل ، ومادية تُرهق الجسد ، وعند ميلاد محمد - صلى الله عليه وسلم - كأنما هتف من الغيب هاتف يقول . « إنما العبادة لله ، والقيادة لرسوله ، والسيادة لدينه ، والحُكم لشريعته ، والدنيا للجميع » ، ثم انبثق روحه القدسى فى مجاهل البدو ، ومعالم الحضر مبتسماً كما يبتسم الأمل فى قطوب اليأس ، وتومض المنارة فى ظلام المحيط .

وكأن الطبيعة المشغوفة تنتظر انبثاق الروح المبدع والعمل الإنسانى ليملأ العالم نوراً وضياء ، ثم كانت الومضات تنعقد هالات مشرقات على شِعب بنى هاشم ، وكانت الخليقة المؤوفة ترتقب لمعة النور من الشرق ، ونفحة القوة من الحق ، وكلمة الهدى من الله ، تجد كل هذا فى المولود العظيم ، الذى استوعبت شخصيته كل ما تميزت به الشخصيات المحيطة به ، فلا جرم أن كان قدوة للجميع بإنسانيته ونبوته ورسالته .

فحقيقة النبوة ، قوة من الوجود فى إنسان مُختار ، جاءت لتُصلح الوجود الإنسانى . بدلالتها على النظام بدل الفوضىٰ ، وعلى الرُقى بدلاً من الانحطاط وبالكمال بدلاً من النقص ، وبالإشراق الروحى بدلاً من الظلمة المادية فهو - صلى الله عليه وسلم - مُعجم نفسى حى ، وضعته الحكمة الإلهية بعلم من علمها ، وقدرة من قَدَرها ، لتتخرج على يده الإنسانية إلى العدل والرحمة والقوة والتقدم فى بحر الحياة وعتو أمواجها ، فجاهد وكابد ، وَعَفَا وأصلح ، وما انتقم لنفسه بل حصر غضبه لله لا لسواه ثم قال تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ من مثل القرآن أو من مثل محمد ، وهيهات أن يقترب منهما شىء ، فضلاً عن أن يكون لهما مثل ، اللهم إلا أن يكون فى خيالهم الجامح الذى لا تضبطه عاطفة ، ولا يُقَيده منطق .

فالقرآن الكريم شامخ بتحدّيه ، منتظم بألفاظه ومعانيه ، آياته مُنزلة من حول العرش ، الأرض بها سماء ، وهى منها كواكب ، اغلقت دونه القلوب ، فاقتحم اقفالها ، لفظه ومعناه روحان مُتآلفان يتبع كل منهما الآخر ، صَفّى اللغة من أكدارها ، وأجراها فى ظواهرها وبواطنها على حقيقة أسرارها ، فجاء بها فى ماء الجُمان ، أملأ من السحاب ، وفى تَرَاءةِ الخلق أجمل من الشباب .

ووجه إعجازه لا يحد ، وكل ماذكره العلماء من وجوه إعجازه ، قطرات من بحر لا ساحل له ، اعجز العرب بأسلوبه وفصاحته وبلاغته ، واعجز العجم بتشريعه المُحكم ، ومبادئه الخالدة ، واعجز الجن بأخباره الغيبية ، وكان القرآن - ولم يزل - معجزة تحمل الخلود تخاطب العقل فتقهره ، وتحاور القلب فتأسره ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

وزاد من تحديه أن دعا الناس أن يستعينوا بمن يشاءون ، وبما يشاءون من معبوداتهم وسدنتهم إن أرادوا البرهنة على صدقهم فى دعواهم ، ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وقد عبر عن منزلة المستعان بهم انهم « من دون الله » فلفظة « دون » لا تعنى مجرد الغيرية ، بل تُضيف إليها انحطاط المنزلة فى الدناءة والخسة .

ولأن القرآن من عند علاّم الغيوب ، ذكر ما هو كائن ، وما سيكون فقال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ ، وما كان لبشر أن يصل إلى تلك الثقة

إلا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالوحى الإلهى ، وقد وصل إلينا من محاولاتهم مجاراة القرآن سخافات ، يمقت النظر إليها كل ذى عقل رشيد وقلب سليم ، وحيث ثبت عجزهم بعد تحديهم ، أَمَرَهُم أن يتخذوا لأنفسهم وقاية من عذاب الله وسخطه بالالتجاء إلى طاعة الله ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ .

فإن قلت : الحجارة لا تؤثر فيها النار .

قلت : فى هذا التعبير تلويح بحقارة كل معبود غير الله ، وأن أى شيء لا تثبت صلابته أمام النار حجراً كان أو حديداً ، وأن هذا المعبود متى رَضِيَ بأن يُعبد كان كالحجر ، لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغنى شيئاً ، ثم قال : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ وهنا وقفات ، تساءل الناس عنها قديماً وحديثاً .

سئلوا **أولاً** : هل النار واللجنة موجودتان أو ستوجدان بعد ؟

قال النصِّيون بالأول ، والعقلانيون بالثانى ، والقرآن يحتمل كل تخريج معقول تشهد له القرائن .

وهناك قول ثالث : يرى أن أجزاءها موجودة ، وتركيبها سيُوجد عند الجزاء ، حيث الآن لا جزاء ، كالمنزل تُحضَّر له لبنات البناء وما يحتاج إليه ثم يُبنى بعد ويُقام .

ثانياً : إن أى حُكم هو مُعلل ببواعثه ودواعيه ، فما استحق ـ النارَ ـ أهلُ النار إلا لكفرهم ، وما استحق ـ الجنة ـ أهل الجنة إلا بإيمانهم وعملهم ، وقد نازع قوم فى التعليل على اختلاف حفلت به كتب الأصول والتفسير .

ثالثاً : إذا كان التكليف بما يُطاق ، وطلب الإتيان لا يُطاق ، فكيف طُلِبَ منهم ذلك ؟

والجواب : أن العبد فى رحمة من الله وفى سعة مادام خاضعاً ، فإن عصى نيط به مايعجز عنه ليكشف لنفسه حقيقة أمره ، حتى لا يتطاول ، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ .

وعلى الإنسان أن يعرف نفسه ، وما أتيح لها مما يقدر عليه ، وأن يلزم حدوده ، فالعبد عبد ، والرب رب .

وإذا خرج الإنسان عن عبوديته ، ناله من الحيرة والتحدى ما هو أهلٌ له ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ ، وليعلم ذلك العبد أن ما أخذه لنفسه من حقوق هى منحة من الله له ، وإلا فليس له استحقاق شيء ، لا بذاته ولا بعمله .

وأين كنت حين واجهتك عنايته ، وقابلتك رعايته ؟ ، لم يكن فى أزله إخلاص أعمال ، ولا وجود أحوال ، ومع ذلك تفضل عليك عبداً له ، لا رباً تجادله وتحاسبه .

واعلم أن فى أسلوب القرآن تنزيلاً وتضمينا ، فقد يُنزِل الموجود منزلة المعدوم ، ويُضمِّن شيئا معنى شيء آخر ، فشك المتشكك فيما لا داعى له يُعتبر كلا شك ، وإن الإقناع المنطقى لا يكفى وحده لتعليل ظواهر الاجتماع ، وظواهر التاريخ ، فيما له اتصال بأطوار السرائر على الخصوص ، وليس من المنطق الصحيح أن نتخيل الناس جميعاً منطقيين حين يؤمنون ، أو حين يكفرون ، ومنطقيين فى تمييز الحق والباطل من الدواعى والأسباب .

﴿ مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِدًا ﴾ و ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مُعلم الناس الخير .

من روائع المخطوطات فى البشريات بالمصطفى

كتاب خير البشَر بخير البشَر

للعلامة ابن ظفر

للأستاذ: عبد الحفيظ فرغلى القرنى

لم يكن مجيء المصطفى ﷺ إلى الدنيا فجاة بدون مقدمات ، ولكن سبقته إرهاصات وبشارات ، اخبرت بها الكتب السابقة ، واشار إليها الأنبياء السابقون ، بل إن الله - جل وعلا - قد اخذ الميثاق على النبيين جميعاً ان يؤمنوا به وينصروه ويبشروا اممهم برسالته وياخذوا عليهم العهد ان يؤمنوا به وينصروه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ - آل عمران - ٨١ -

ومن الكتب الجامعة فى الإخبار بكل ذلك كتاب « خير البِشَر بخير البَشَر » للعلامة ابن ظفر ، وهو مخطوط فى دار الكتب المصرية ، وقد أتيحت لى فرصة قراءته ومقابلته بغيره ونسخه وتصوير صفحات منه تمهيدا لنشره بعد تحقيقه بتوفيق الله - تعالى - .

من هو ابن ظفر ؟

أما ابن ظفر فهو الإمام العالم العامل أبو عبد الله محمد بن أبى محمد بن محمد ابن ظفر الصقلى الحموى .

ولد فى صقلية سنة ٥٠٠ هـ - ونشأ فى مكة المكرمة ، ثم ارتحل إلى مصر وأفريقيا ، وأقام بالمهدية فترة من الزمن ، ثم عاد إلى مسقط رأسه « صقلية » ، ولكنه لم يلبث أن استأنف رحلاته إلى كثير من البلاد ، فقصد مصر مرة أخرى ، ومنها إلى حلب . وجال فى الأندلس والمغرب ، واستقر به المقام فى حماة وبها توفى سنة ٥٦٥ هـ . بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتأليف .

وترك مؤلفات عديدة جامعة فى مختلف فروع المعرفة منها ـ عدا الكتاب الذى نحن بصدد ـ : « التفسير الكبير فى القرآن الكريم » ـ « ينبوع الحياة » (تفسير أيضاً) « الاشتراك اللغوى » ، « المطول فى شرح مقامات الحريرى » ، « حاشية على المقامات » استدرك فيها على الحريرى فى عدة مواضع منها . وله كتاب : « أنباء نجباء الأبناء ، وغيرها

كتاب خير البشر :

أشار ابن ظفر فى مقدمة كتابه إلى هدفه من تأليفه فقال :

هو كتاب صنفت فيه ملح البشارات المقدمات بين يدى مبعث سيدنا المصطفى محمد ﷺ هو كتاب صنفت فيه ملح البشارات إلى أربعة أقسام :

قسم يدور حول البشارات التى جاءت فى كتب الله السابقة مجيئا لا منكر له .

قسم يدور حول ما جاء على ألسنة الأحبار .

قسم يدور حول ما جاء على ألسنة الكهان .

وقسم يدور حول ما جاء على ألسنة الجان .

وفى الكتاب براعة وطرافة ودقة تسترعى الانتباه وتثير الالتفات ، وهو جدير بأن نقدم للقراء بعض ملحه ليقفوا منها على مدى ما وصلت إليه خطط الكتابيين فى إخفاء ما أمروا بإظهاره ، وكتمان ما ألزموا بتبيانه تمشيا مع طبيعتهم التى أخبر عنها القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَايَشْتَرُونَ ﴾ آل عمران ١٨٧ .

لقد كان الذين أوتوا الكتاب يعرفون النبى ﷺ معرفة وثيقة بناء على ما أخبرت به كتبهم ، ولكنهم كانوا ينكرون هذه المعرفة حسدا من عند أنفسهم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ـ البقرة ١٤٦ .

وكان ابن ظفر دقيقا حين أتى بالشواهد الناطقة بالبشارة من كتب أهل الكتاب التى بأيديهم ويعترفون بها ، ويقول فى ذلك : « وإنما نذكر ما أظهروه ورضوا للتفسير له باللغة العربية بما حكيناه عن تراجمهم بلفظهم الذى اختاروه وأثبتوه فى كتبهم ليكون ذلك أقطع لغدرهم وأحسم لروغانهم » .

وأقدم للقارىء الكريم الآن أمثلة مما أورده ابن ظفر فى كتابه من البشارات .

مما ورد من البشارات فى الكتب السابقة .

قال ابن ظفر : ومما رضوا ترجمته من الانجيل قولهم : « إنه إذا جاء « الفارقليط » الذى أرسل إليكم من عند أبى . روح الحق الذى يخرج من الأب فهو يشهد لى ، وأنتم تشهدون لى أيضاً لكينونتكم معى فى أول أمرى » .

وهذا النص الذى ذكره ابن ظفر ، وارد فى انجيل يوحنا من الإصحاح الخامس عشر بعبارة : « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله إليكم من الأب روح الحق الذى من عند الرب ينبثق يشهد لى وتشهدون لى أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء » .

وواضح مافى العبارة من تلفيق الألوهية والبنوة لعيسى ـ عليه السلام ـ قال ابن ظفر :

فقوله روح الحق الذى يخرج من الأب كناية عن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ .

وقوله : يشهد له تصريح بنبوة محمد ﷺ إذ لم يشهد للمسيح بالنبوة والنزاهة مما افترى عليه ، وبأنه روح الله وكلمته وصفيه ورسوله كتاب سوى القرآن ؛ ولم تزل الأمم تكذب المتبعين للمسيح ـ عليه السلام ـ واليهود يفترون فى أمره العظائم من البهتان حتى بعث الله محمداً ﷺ فشهد للمسيح بما شهد له أصحابه وحواريوه الذين كانوا معه .

أما لفظ « الفارقليط » فهو ترجمة يونانية لكلمة « بيركليتوس » الواردة فى الإنجيل بالعبرية ، وهم يقولون : إن معناها عندهم « المُعزِّى » ولكن معناها الدقيق : الذى له حمد كثير ، وبأسلوب التفضيل « أحمد » وهذا ما ورد فى القرآن الكريم على لسان عيسى ـ عليه السلام : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ ـ الصف ٦ ـ

وقد استطرد ابن ظفر ـ رحمه الله ـ فاستقرأ ماورد من عبارات تشير إلى النبى المبعوث فى آخر الأمم سواء ماجاء فى العهد القديم أو العهد الجديد .

مثال مما ورد على ألسنة الأحبار :

ذكر ابن ظفر قال : من ذلك ماروى عن وهب ابن منبه أنه قال : قرأت فى بعض الكتب المنزلة على نبى من بنى إسرائيل أن قم فى قومك وقل : ياسماء اسمعى ، وياأرض أنصتى ، لأن الله ـ تعالى ـ يريد أن يقص شأن بنى إسرائيل وأنى ربيتهم بنعمتى ، وآثرتهم بكرامتى ، واخترتهم لنفسى ، وأنى وجدت بنى إسرائيل كالغنم الشاردة التى لا راعى لها ، فرددت شاردتها وجمعت ضالتها وداويت مريضها وجبرت كسيرها ، فلما فعلت ذلك بها بطرت فتناطحت كباشها ، فقتل بعضها بعضا ، فويل لهذه الأمة الخاطئة وويل لهؤلاء القوم الظالمين .. إنى قضيت يوم خلقت السماوات والأرض قضاء حتما وجعلت له أجلا مؤجلاً لا يدفعه .. فإنى باعث رسولاً من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا قوال بالهجر والخنا ، أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ..

قال ابن ظفر : وروى الواقدى عن ثعلبة بن أبى مالك أن عمر ـ رضى الله عنه ـ سأله ـ وكان من أحبار اليهود ـ عن صفة النبى ﷺ ـ فى التوراة . فقال : إن صفته فى توراة بنى هارون التى لم تبدل ولم تغير : أحمد من ولد إسماعيل ابن إبراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو النبى العربى يأتى بدين ابراهيم الحنيف ، يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه ، فى عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة .

واستقصى ابن ظفر فى ذلك أخباراً كثيرة .

ومما ورد من البشارة على ألسنة الكهان .

والفرق واضح بين الأحبار والكهان ـ فالأحبار هم علماء أهل الكتاب ـ أما الكهان فهم الذين يتعرفون الغيب عن طريق الاتصال بالجن وكان للعرب اعتقاد خاص فيهم ، وكان هؤلاء الكهان ينتشرون فى بلاد العرب وغيرها . وقد ذكر ابن ظفر فى كتابه كثيراً أخبار الكهان التى تبشر بالنبى ﷺ .

ومن ذلك مارواه عن لهيب بين مالك اللهبى ـ وقد ذكر خبره ابن الأثير فى أسد الغابة ـ قال :
قال لهيب : حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة فقلت : بأبى أنت وأمى يارسول

من روائع المخطوطات

الله ، نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم .

وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خطر ابن مالك ، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان أعلم كهاننا ، فقلنا له : ياخطر هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها ؟ فقال : عودوا إلىّ السحر ، أخبركم الخبر .

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد فى وجه السحر فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص إلى السماء بعينيه ، فناديناه .. فأومأ إلينا أن أمسكوا . فأمسكنا ، وانقض نجم عظيم من السماء ، فصرخ الكاهن بأعلى صوته قائلاً : أصابه أصابه ، خامره عقابه ، عاجله عذابه . أحرقه شهابه ، زايله جوابه ..

ثم أمسك طويلاً ، ثم قال : يامعشر قحطان ، أخبركم بالحق والبيان ، أقسمت بالكعبة ذات الأركان والبلد المؤتمن السكان ، لقد منع السمع عتاة الجان ، بثاقب بكف ذى سلطان ، من أجل مبعوث عظيم الشان ، يبعث بالتنزيل والقرآن ، والهدى وفاضل الفرقان ، تبطل به عبادة الأوثان .

وأخبر عن أوصاف النبى ﷺ . وأسرته الهاشمية ، ومبعثه ، ودعا قومه إلى اتباعه .. وكان فى ختام قوله : الله أكبر ، جاء الحق وظهر ، وانقطع عن الجن الخبر ، ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق إلا بعد ثلاث فقال : لا إله إلا الله .

فقال رسول الله ﷺ : لقد نطق عن مثل نبوة وإنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده .

مثال مما ورد على السنة الجان :

وبعد أن تحدث ابن ظفر عن الجن وأصنافهم وبيان من أسلم منهم وكيفية إسلامه ووفادة الجن على النبى ﷺ ذكر أخباراً تدور حول إشارة الجن على بعض الجاهليين بضرورة الإسلام واتباع النبى الذى بعث محطماً للأصنام .

وكان الجن كثيراً مايظهرون ويتحدثون حول هذه الأصنام التى كانت تعبد من دون الله تعالى . ومن القصص التى أوردها ابن ظفر قصة إسلام وائل بن حجر ـ وقد ذكر ابن الأثير فى أسد الغابة هذه القصة ـ

قال ابن ظفر ـ رحمه الله ـ :

كان وائل بن حجر ملكا مطاعا ، وكان له صنم من العقيق الأحمر يعبده ويحبه حبا شديداً ، ولم يكن يكلم منه إلا أنه كان يرجو ذلك . فيكثر السجود له ويعقر عنده العقائر وبينما هو قائم فى الظهيرة أيقظه صوت منكر من المخدع الذى فيه الصنم ، فقام من مضجعه وأتاه فسجد بين يديه ، وإذا قائل يقول :

واعجبا لوائل بن حجر
يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا يرجى من نحيت صخر
ليس بذى عرف ولاذى نكر
ولا بذى نفع ولا ذى ضر
لو كان ذا حجر أطاع أمرى

قال وائل : فرفعت رأسى واستويت جالساً ثم قلت : قد سمعت أيها الناصح فبماذا تأمرنى ؟ قال :

ارحل إلى يثرب ذات النخل
وسر إليها سير مشمعل
قبل تقضى العمر المولى
يدن بدين الصائم المصلى
محمد المرسل خير الرسل

ـــ المشمعل : السريع ـ

قال وائل : ثم خر الصنم لوجهه وانكسر أنفه وأندقت عنقه ، فقمت إليه فجعلته رفاتا ، ثم سرت مغذا ـ مسرعا ـ حتى أتيت المدينة . وأتيت المسجد ، فلما رآنى رسول الله ﷺ أدنانى وبسط لى رداءه فجلست عليه ، ثم صعد المنبر وأقامنى دونه ثم قال : أيها الناس هذا وائل بن حجر اتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغباً فى الإسلام .

فقال وائل : يارسول الله ، بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم ، فمنَّ الله على أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله .

قال : صدقت . اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده .

فما لقينى أحد من أصحابه إلا قال لى : بشرنا بك رسول الله ﷺ قبل قدومك بثلاث .

وبعد ، فهذه بعض أمثلة مما ورد فى هذا الكتاب الذى يدور حول البشارات بالنبى المصطفى ﷺ وهى شذرات لا تغنى عن قراءته كله والانتفاع بما فيه ، وأرجو الله تعالى بتوفيقه وفضله أن يعيننى على تقديمه محققا قريباً إن شاء الله ـ تعالى ـ وهو وحده ولى التوفيق .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

اعلان الاشتراكات

تطلب ـ راسا ـ من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام شارع الجلاء ـ القاهرة ، ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر

قيمة الاشتراك سنويا

● جمهورية مصر العربيه :

مليم	جنيه
٦٠٠	٣

● اتحاد البريد العربى الأفريقى (بالبريد الجوى) :
٢٥ خمسة وعشرون دولارا أو ما يعادلها

● باقى دول العالم :
٥٠ خمسون دولارا أو ما يعادلها

إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم للصراع

في شبه الجزيرة العربية

ونتائجه الاستراتيجية

(١)

لواء أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

عبرة التاريخ :

● لقد اصبح من الحقائق التاريخية التى لا تنازع ان الأمم التى تتقاعس عن بناء قوتها ، والاستعداد لدفع العدوان عنها ، تقع فريسة لأمة أقوى منها ، وتستباح حرماتها ، وتغتصب حقوقها ، وتسلب مواردها ، ولا يكون لها وزن ولا قيمة فى المحيط الدولى .

● وليس من شك فى أن التحديات الجسام التى تواجهها أمتنا الإسلامية تشكل أخطر تهديد يمكن أن تواجهه أمة ، وتضعها أمام موقف تاريخى حاسم ينبغى أن تتخذ منه منطلقا لإبراز كل ما لديها من الملكات الإنسانية والذخائر المادية والحضارية ، وهى واعية كل الوعى لكل ما يهدد أمنها وسلامتها من أخطار ، وحريصة كل الحرص على بناء قوتها وقدرتها على هزيمة الخطر الذى يتهددها . حتى تخطو إلى عزتها وتشق طريقها إلى نهضة حضارية ، تعيدها إلى سابق عهدها ، أمة قوية مرهوبة الجانب ورائدة للحضارة الإنسانية ، وتبوئها مكانتها اللائقة بها بين الأمم .

● من أجل ذلك ينبغى أن تفتح الأمة الإسلامية صفحات تاريخها الحافلة بالدروس النافعة ونخص بالذكر تاريخ عصر النبوة لكى تتأمل فى منهج الرسول ﷺ فى إدارته للصراع مع أعدائه والنتائج الاستراتيجية التى حققها ثم تستخلص منها الدروس والعبر ، فالله تعالى يقول : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِى هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود ١٢٠) .

● وسوف نحاول فى هذا البحث عرض عناصر المنهج الذى اتبعه الرسول ﷺ فى إدارته للصراع مع أعدائه .

أولا : دراسة العدو

● إن معرفة العدو ودراسة أحواله ضرورة حيوية لأمن المسلمين والدفاع عنهم ، وهو ما يتضح من « الربط الوثيق » بين الأمر بإعداد القوة والمرابطة وبين التعريف بالأعداء فى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) .

ففى هذه الآية تعريف للمسلمين بأعدائهم الظاهرين وأعدائهم الأخفياء الذين عليهم أن يعدوا لهم من القوة والمرابطة ما يوقع الرهبة فى قلوبهم ، وأول مقتضيات هذا الإعداد دراسة الأعداء واستطلاع أحوالهم ، لأن على أساس هذه الدراسة يتم بناء القوة الكفيلة بتحقيق الهدف الذى حدده الإسلام .

من أجل ذلك كانت للرسول ﷺ عيون وأرصاد داخل شبه الجزيرة وخارجها يحصلون على المعلومات عن نوايا الأعداء وحركاتهم ويحققون له الإنذار المبكر بتدابيرهم وتجهيزهم للعدوان على المسلمين .

١ ـ ففى المدينة : كانت له عيون وأرصاد يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة للمسلمين فى السلم والحرب على حد سواء ، فاختار مثلا حذيفة بن اليمان العبسى ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم .

٢ ـ وفى مكة : كان عمه العباس وبشير بن سفيان العتكى ، وكانت أيضا قبيلة خزاعة ، قال الزُّهْرى : « وكانت خزاعة عَيْبَة نُصح رسول الله ﷺ (أى خاصته وأصحاب سره) مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئا كان بمكة »(١) .

٣ ـ وفى القبائل العربية الأخرى : كانت له عيون ، ومنها مثلا عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى فى قبيلة هوازن يوم حنين .

٤ ـ أما خارج شبه الجزيرة فكانت له عيون وأرصاد فى بلاد فارس والروم .

● وعنى الرسول ﷺ بأن يتعلم المسلمون لغة العدو ، ومن ذلك أنه أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود ، يقول زيد : « أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال : إنى والله ما آمن يهود على كتابى ، ثم يقول زيد : فوالله ما مرَّ بى نصف شهر حتى تعلمته وجُدْت فيه فكنت أكتب له إليهم ، وأقرأ له كتبهم إليه » (رواه البخارى) وصدق من قال : « من تعلم لغة قوم أمن شرهم » .

● وفى الوقت الذى كان فيه الرسول ﷺ معنيا بالحصول على كافة المعلومات عن الأعداء ، فقد كان حريصا على حرمان أولئك الأعداء من الحصول على معلومات عن المسلمين ونواياهم وحركاتهم .

● ومن أمثلة نشاط رجال الاستخبارات أن الرسول ﷺ كان على علم بخروج قريش لقتاله فى « أحد » وفى « الخندق » عن طريق عمه العباس ، ولعل أبلغ دليل على أن الإنذار كان يأتيه مبكرا جداً هو أن المسلمين تمكنوا من حفر الخندق وهو عمل يستغرق حوالى عشرين يوما « قبل » أن تصل قريش التى « فوجئت » به فقال قائلهم : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الثانى « جـ ٣ ، ٤ » ص ٢١٢ « ط الحلبى ١٣٧٥ هـ » .

تكيدها » وهذه الواقعة لا تدل على كفاءة أرصاد النبى ﷺ فحسب ، بل تدل ـ فى الوقت نفسه ـ على عجز قريش عن الحصول على المعلومات عن نظام الدفاع عن المدينة بحفر الخندق بدليل مفاجأتها به ، كما تدل على نجاح المسلمين فى كتمان أسرارهم وأسرار خططهم وحرمان العدو من كشفها .

● ثم إن هذه العيون والأرصاد بنجاحها فى تحقيق الإنذار المبكر مكنت المسلمين من « إجهاض تدابير أعدائهم لمهاجمة المدينة » كما سيأتى بيانه .

ثانيا : إقامة جبهة داخلية صلبة

● كان أول ما عمد إليه الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة إقامة جبهة داخلية صلبة :

١ ـ فعمد إلى ربط المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بالأنصار أهل المدينة الأصليين ، فآخى بين الفريقين بصلة الأخوة لتصبحا فئة واحدة مترابطة وملتحمة وليكون الجميع متعاونين على أسباب العيش ، ويدا واحدة تعمل لهدف واحد .

٢ ـ وعمد إلى توحيد صفوف الأنصار انفسهم حيث إنهم كانوا أوسا وخزرج ، وكانت بين الفئتين خلافات مستمرة وعداوات سابقة ، فأراد الرسول ﷺ ـ وقد جمع بينهم الإسلام ـ أن يشكلوا قوة واحدة متضامنة ، وأن يقضى على كل شبهة قد تثير العداوة القديمة بينهم .

٣ ـ وعقد معاهدة بين المسلمين من جهة ، وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى ، كانت نتائجها من الناحية العسكرية قيادة الرسول ﷺ ـ لسكان المدينة مسلمين ومشركين ويهود كافة ، وتعاون أهلها جميعا فى رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج وأنه فى حالة الحرب لرد العدوان عن المدينة تتولى كل طائفة الإنفاق على نفسها .

● بهذا العمل البارع ، حقق الرسول ﷺ وحدة المدينة وتماسك الجبهة الداخلية ، وجعل أهلها جميعا على اختلاف دينهم يدا واحدة على أعدائهم كما وضع لمجتمع المدينة نظامه الاجتماعى والاقتصادى والعسكرى ، وقد حرص ـ عليه الصلاة والسلام ـ على التصدى لمحاولات تفتيت هذه الجبهة الداخلية من جانب اليهود والمنافقين مثل أساليب التشكيك والتخذيل وإشاعة البلبلة ، وأساليب التفرقة والقضاء على وحدة الأمة كمحاولة اليهود الوقيعة بين الأوس والخزرج .

● وأصبحت المدينة « قاعدة الإسلام الوطيدة » ـ كما يقول رجال الاستراتيجية ـ التى تنطلق منها القوات للدفاع عن الإسلام . وقد سجل التاريخ صلابة هذه القاعدة وقدرتها الفائقة على الصمود فى مواجهة مختلف الأخطار والتحديات :

١ ـ فقد بلغ عدد العمليات العسكرية فى عهد النبى ﷺ قرابة السبعين ما بين غزوات وسرايا فى خلال سبع سنوات فقط .

٢ ـ وحاربت القاعدة أكثر من عدو فى أكثر من جبهة ، فواجهت المشركين واليهود والروم ، وتعرضت للغزو المباشر ، وتعرضت للغدر من داخلها بينما كان أبناؤها يحاربون العدو خارجها ، وكان التفوق فى العدد والعدة فى جانب الأعداء .

٣ ـ لكنها ـ مع كل ذلك ـ بقيت قاعدة وطيدة صلبة ـ حتى تمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة ، وأمِن الرسول ﷺ كل عادية عليها ، واقبل سائر أهلها وفودا عليه يقدمون الطاعة ويعلنون الإسلام .

ثالثا : تطبيق استراتيجية الردع

تتمثل استراتيجية الردع الإسلامية فى قول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) وقول الرسول ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » « رواه البخارى عن جابر » .

● فالهدف من إعداد القوة والمرابطة هو إيقاع الرهبة فى قلوب الأعداء وإخافتهم من عاقبة عدوانهم ، ويفهم من الحديث « نصرت بالرعب » أن الأعداء كانوا يرهبونه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويخافونه مع بعدهم عنه بحيث لو أراد حربهم لقطع المسافة التى هي بينه وبينهم فى شهر بسير الإبل ، كما يفهم أيضا أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم يحقق النصر عليهم .

● وتدل إحصائيات معارك عصر النبوة على تطبيق نظرية الردع عمليا ، فالرسول ـ ﷺ قاد بنفسه ثمانى وعشرين غزوة ، حققت تسع عشرة غزوة منها أهدافها بغير قتال حيث آثر الأعداء الا يواجهوا قوة المسلمين فى أغلبها ، ولم ينشب القتال إلا فى تسع غزوات فقط هى « بدر وأحد والخندق وبنى قريظة وبنى المصطلق وخيبر وفتح مكة ، وحنين والطائف » ويلاحظ أننا ذكرنا غزوة الفتح رغم أن القتال الذى وقع فيها لا يكاد يذكر .

صور الردع الإسلامى

● ويستخلص من سنة الرسول ﷺ فى إدارته للصراع مع أعدائه أن هناك أربع صور للردع هى كما يلى :

الصورة الأولى : الردع بإظهار القوة

● وقد تمثلت هذه الصورة فى عدة غزوات وسرايا مثل « سرية حمزة فى رمضان سنة ١ هـ ـ سرية عبيدة بن الحارث فى شوال سنة ١ هـ ـ سرية سعد بن أبى وقاص فى ذى القعدة سنة ١ هـ ـ غزوة ودان فى صفر سنة ٢ هـ ـ غزوة بواط فى ربيع الأول سنة ٢ هـ ـ غزوة ذى العشيرة فى جمادى الأولى سنة ٢ هـ ـ غزوة بدر الأولى فى جمادى الآخرة سنة ٢ هـ » .

● هذه العمليات بدأت بعد ثمانية أشهر فقط من مقام الرسول ﷺ والمهاجرين بالمدينة ، ويلاحظ انها وقعت بتركيز شديد فى معدلها الزمنى (سبع عمليات فى عشرة أشهر) . وأن الرسول ﷺ حرص على أن يتولى بنفسه قيادة أكبر عدد منها ، وأن معظمها كان بعيد المدى (من ١٥٠ إلى ٢٠٠ كيلو متر تقريبا) على طريق التجارة إلى الشام على ساحل البحر ، وأنه لم يقع فيها قتال بالمعنى المفهوم .

● وقد حققت هذه العمليات عدة أهداف من بينها إيقاع الرهبة فى قلب قريش بإشعارها بأن المسلمين « قادرون » على الإيقاع بتجارتها وإيصاد طريقها فى وجهها وقد عبر عن ذلك قول صفوان بن أمية : « إن محمدا وأصحابه قد عَوَّروا علينا متجرنا .. فما ندرى أين نسلك ؟ » ،

● ثم يضاف إلى هذه العمليات غزوة فتح مكة وهى اكبر عملية طبقت فيها نظرية الردع عن طريق إظهار القوة إلى الحد الذى جرد قريشا كما جرد زعيمها أبا سفيان من إرادة القتال فدعاها إلى الاستسلام بقوله : « يامعشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به » .

الصورة الثانية : الردع بإجهاض تدابير العدوان :

● وقد تمثلت هذه الصورة فى سبع غزوات هى « بنى سليم - ذى أَمَرّ - بحران - ذات الرقاع - دومة الجندل - بنى المصطلق - بنى لحيان » « انظر الجدول » .

● ويكشف التحليل العام لهذه الغزوات عما يلى :

١ - كان سببها أن الرسول ﷺ بلغه أن تلك القبائل تتجمع بهدف العدوان على المدينة .

٢ - خرج الرسول ﷺ - على الفور - إلى مواضع القبائل لمهاجمتهم فى عقر دارهم .

٣ - كانت القبائل عند شعورها بحركة المسلمين ، تفر تاركة أموالها وديارها .

٤ - كان المسلمون لا يعودون مباشرة إلى المدينة ، بل كانوا يبقون فى ديار تلك القبائل الهاربة مدداً تراوحت بين بضعة أيام إلى شهرين لتحقيق الردع .

٥ - كانت النتيجة النهائية « إجهاض تدابير العدوان » وردع المدبرين لها حتى لا يعودوا إلى التفكير فى العدوان مرة أخرى .

● وهذه الصورة تؤكد أن الإسلام لا يقف مكتوف الأيدى أمام تدابير العدوان ، بل يتحرك فورا للقضاء عليها فى مهدها ، وبذلك يحرم العدو من مزية المفاجأة ، ومن المبادأة أو حرية العمل ، لأننا « نسبقه » فى التصرف والحركة إليه ، ولا ننتظر حتى يتصرف هو ويتحرك إلينا ، وبذلك تصبح كل أعماله بمثابة « رد فعل » لما نقوم به .

● ثم إن حرص الرسول ﷺ على « أن يتولى بنفسه » قيادة هذه العمليات كلها ، يؤكد ما لها من شأن كبير وخطير فى تقدير الإسلام وأن المبادرة بالقضاء على العدوان فى مهده ، ضرورة حيوية لأمن المسلمين والدفاع عنهم .

● ويكشف نجاح عمليات إجهاض تدابير العدوان عن عدة مقومات كان المسلمون يملكونها وأهمها ما يلى :

١ - الإنذار المبكر بنوايا الأعداء مما يدل على يقظة وكفاءة العيون والأرصاد كما ذكرنا .

٢ - امتلاك « القدرات الهجومية » فالمسلمون فى هذه العمليات « خرجوا » من قاعدتهم بالمدينة ، و« ساروا » إلى مواضع أعدائهم « لتوجيه ضربتهم » إليهم ، ولولا ذلك لما استطاعوا إجهاض تدابيرهم للعدوان ، وهنا لابد أن نصحح ما فى بعض الأذهان من فهم معنى « الهجوم » على أنه مرادف للعدوان أو ينطوى على نواياه ، فالهجوم « علميا » هو حركة نحو العدو لتوجيه الضربة إليه ، وظروف المعارك قد تدعو إلى القيام بالهجوم حتى فى إطار العمليات الدفاعية .

ثم إن « إيقاع الرهبة » فى قلوب الأعداء الذى هو الهدف من إعداد القوة فى الإسلام لا يتحقق إلا إذا أدركوا أن لدينا القدرة على التحرك إليهم وضربهم لرد عدوانهم أو القضاء على تدابيرهم فى

مهدها ، والمدهش أن ما قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ، يقترب منه ما أجمع عليه رجال الاستراتيجية الحربية فى عصرنا حين يقولون[2] : « إن العقيدة العسكرية ذات الطابع الدفاعى البحت لن تكون لها إلا قيمة ضعيفة فى الردع ، إلا إذا توافرت لديها القدرة الهجومية ، لأن مفتاح الردع هو القدرة على التهديد » .

وتظهر القدرة الهجومية وآثارها فى قول الله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ (العاديات ١ ـ ٥) ففى هذه الآيات يقسم الله تعالى بخيل الجهاد المسرعات التى يسمع لأنفاسها صوت هو « الضبح » من شدة الجرى ، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قدحها للأرض الحجرية والتى يهجم بها فرسانها على العدو فى وقت الصباح ليأخذوه على غرة ، والتى يكون من شدة جريها أنها تثير غبار الطرق فى وقت الصباح فتدخل وسط جمع الأعداء فتشتته .

الصورة الثالثة : الردع بالقتال

● إذا لم يتخل العدو عن التفكير فى العدوان ، وركب رأسه واعتدى ، فإن المسلمين يقاتلونه « مدفوعين بفكرة الإرهاب » أيضا ، وذلك بأن تكون ضربتهم التى يوجهونها إليه على النحو الذى يردعه ويرهبه ويمنعه من التفكير فى العدوان مرة أخرى . وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ « التوبة ١٢٣ » وقوله سبحانه : ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ « النساء ٩١ » .

● ففى غزوة بدر مثلا استطاع الرسول « ﷺ » إحداث خلل كبير فى « التوازن النفسى » لقريش ، فقد حرص « منذ اللحظة الأولى » على اختيار أفضل المبارزين من أصحابه لمواجهة مبارزى قريش فصرعوهم جميعا ، ونظم جيشه ووجهه للقتال ماديا ومعنويا حتى كتب الله له النصر بأقل الخسائر على عدوه المتفوق الذى فقد من رجاله سبعين قتيلا ، وسبعين أسيرا .

قال ابن إسحق : « ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنوا بهم (أى تؤخروا فداءهم) لا يأرب (أى لا يشتد) عليكم محمد وأصحابه فى الفداء[3] » .

الصورة الرابعة : ردع الأعداء الأخفياء

● من أمثلة هذه الصورة إحراق مسجد الضرار ، فقد بنى جماعة من المنافقين بذى أوان (وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار) مسجدا كانوا يحاولون فيه أن يحرفوا كلام الله عن مواضعه ، وأن يفرقوا بذلك بين المؤمنين ضرارا وكفرا ، فلما عرف الرسول ﷺ أمر هذا المسجد وحقيقة ما قصد إليه من إقامته ، فأمر بهدمه وتحريقه[4] (للبحث صلة) .

(٢) اندريه بوفر : مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية ـ تعريب أكرم ديرى والهيثم الأيوبى ـ دار الطليعة بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٨ ص ١٧٤ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية : القسم الثانى ص ١٤٨ .

(٤) نفسه : ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠ .

غزوات إجهاض تدابير العدو للعدوان

رقم مسلسل	اسم الغزوة	التاريخ	المكان	الأعداء	قوة المسلمين	النتائج
١	بنى سليم	شوال عام ٢ هـ	قرقرة الكدر بين المدينة ومكة	بنو سليم وغطفان	٢٠٠	فرار بنى سليم وغطفان تاركين اموالهم للمسلمين
٢	ذى أَمَرّ	المحرم عام ٣ هـ	ذو امر موضع فى نجد	بنو ثعلبة ومحارب	٤٥٠	فر بنو ثعلبة ومحارب وبقى المسلمون فى ديارهم حوالى شهر
٣	بحران	ربيع الأول عام ٣ هـ	بحران على طريق المدينة مكة	بنو سليم	٣٠٠	فر بنو سليم فبقى المسلمون فى ديارهم حوالى شهر
٤	ذات الرقاع	شعبان عام ٤ هـ	ذات الرقاع بنجد	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان	٤٠٠	فرار بنى ثعلبة وبنى محارب
٥	دومة الجندل	ربيع الأول عام ٥ هـ	دومة الجندل	قبائل دومة الجندل	١٠٠٠	فرت القبائل
٦	بنى المصطلق	شعبان عام ٥ هـ	المريسيع	بنو المصطلق	١٠٠٠	فر بنو المصطلق بعد معركة قصيرة ضد المسلمين
٧	بنى لحيان	جمادى الأولى عام ٦ هـ	غُران	بنو لحيان	حوالى ٣٠٠٠	فرار بنى لحيان

الربا حول مقالين

لفضيلة الإمام الأكبر
عبد الرحمن تاج (رحمه الله)

« كتب فضيلة الإمام الأسبق مقاله هذا رداً على دراسة كتبها فضيلة الشيخ خلاف ، ورأى فضيلة الإمام ما في الدراسة من فكر ينبغي رده بالرد عليه وبيان خطأ ما ورد فيه .. جزى الله الشيخين خير الجزاء ، وعوض الإسلام عنهما خيراً .... رئيس التحرير »[1] .

يقول فضيلة الأستاذ خلاف فى مقاله الأولى :

« وسألنى طالب ما المراد شرعاً بربا الفضل وربا النسيئة ؟ فأجبته بأن الفضل معناه الزيادة ؛ والنسيئة معناها الأجل ، وربا الفضل شرعاً هو الزيادة المشروطة لأحد المتعاقدين فى عقد المعاوضة بغير مقابل ، كما إذا أقرض إنسان آخر مائة جنيه على أن يرد له مائة وعشرين ، وكما إذا أعطى إنسان آخر إردب قمح على أن يرد له إردباً ونصفاً من القمح ، وأما ربا النسيئة فهو الزيادة فى مقابل الأجل لا فى عقد المعاوضة ؛ وقد كان الرجل فى الجاهلية إذا كان له على إنسان مائة درهم إلى أجل فإذا حل الأجل ولم يكن المدين واجداً ما يسد دينه قال له الدائن زدنى فى المال حتى أزيد فى الأجل فربما جعله مائتين ، ثم إذا حل الأجل الثانى حصل مثل ذلك ثم آجال كثيرة فيأخذ بدل المائة أضعافاً مضاعفة . وهذا هو ربا الجاهلية الذى عناه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله فى خطبته يوم حجة الوداع : « الا وإن ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبدالمطلب » أ هـ .

ونحن نوافق فضيلة الأستاذ على بيانه فى ربا الفضل أنه الزيادة المشروطة لأحد المتعاقدين بغير مقابل . ولا بأس أن يمثل له بما أورده من المثالين ؛ فإن الزيادة فيهما ليست فى مقابلة مال يملكه المقترض ، وليست مشروطة فى مقابلة تأجيل الدين إلى أجل ؛ وإنما هى فى مقابلة انتفاع المقترض بما اقترضه ؛ فهى فى الحقيقة استغلال لحاجة المقترض وضرورته التى ألجأته إلى الاقتراض ، وهذا المقترض قد التزم بالشرط أن يدفع الزيادة على ما اقترضه ولو تيسر له سداده عقيب عقد القرض .

لكن من ربا الفضل أيضاً ـ وهو أظهر من المثالين السابقين فى هذا الباب ـ أن يعقد الطرفان

←

(١) عن « لــواء الإســـلام » .

عقد معاوضة حاضرة على مالين ربويين من جنس واحد مع زيادة في أحدهما ؛ كأن يدفع أحد الطرفين لصاحبه جنيهاً ذهباً قطعة واحدة ويأخذ منه أربع قطع من الذهب المضروب أيضاً تعدل كل منها خُمس جنيه ؛ وهو تصرف لا غرابة فيه ، ويصح أن يصدر من العقلاء ، فإنه قد تتعلق رغبة بعض الناس بالحصول على هذه القطع الصغيرة فيدفع فيها قطعة من جنسها أكبر منها وزناً وأعظم قيمة .

ومن ربا الفضل كذلك المبادلة الحاضرة على خمسة أرادب من القمح بخمسة ونصف من قمح أقل من الأول جودة .

ومن هذا القبيل ماجاء في صحيح البخارى عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استعمل رجلا على خيبر فجاءه بتمر جَنِيب (هو الجيد المنقى من الرديء والحشف) ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أكل تمر خيبر هكذا »؟ قال : « لا والله يارسول الله ؛ إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ». فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تفعل ، بع الجمع (وهو التمر المخلوط جيده برديئه) بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا ».

فهذا كله من ربا الفضل .

أما ربا النسيئة فإنا لا نوافق فضيلة الأستاذ خلاف على ما قرره فيه ؛ **فإن هذا الربا قد يتحقق من غير زيادة مال من احد المتعاقدين في مقابلة الأجل ؛ فإن معاوضة بعض الأجناس الربوية ببعض مع تعجيل احد العوضين وتأجيل الآخر هو من ربا النسيئة ولو لم تكن هناك زيادة في أحد العوضين .**

هذه ناحية ، وناحية أخرى لا نوافق فضيلة الأستاذ على ماقرره فيها مادام يشترط في الزيادة التي جعلها ربا النسيئة أن تكون غير مشروطة في العقد . والذي نعرفه في هذا النوع أنه تأجيل أحد العوضين مع تعجيل الآخر على نحو ما قدّمنا ؛ أو أنه زيادة مال في مقابلة الأجل مطلقاً ، سواء أكانت هذه الزيادة مشروطة في صلب عقد المعاوضة أم كانت بعده عند حلول الأجل مثلا . لا بل الأصل فيه أن تكون الزيادة مشروطة في العقد أو معروفة عنده . ومن أجل هذا لا ندرى السر في تقييد الأستاذ هذه الزيادة بألا تكون مشروطة في عقد المعاوضة .

ثم إذا كان هذا القيد ضرورياً ليكون الربا ربا نسيئة فما هو حال الزيادة إذا شرطت في العقد في مقابلة أجل ؟ ومن أي باب من أبواب الربا تكون أم أنها ليست من الربا بحال ؟

لا ، لا ... هي أيضاً من ربا النسيئة ولا مناص . ولعل فضيلة الأستاذ خلاف قد تأثر في زيادة هذا القيد بما يقوله المفسرون عند تفسير آية الربا من سورة آل عمران : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ﴾ وهو ما شرح به فضيلة الأستاذ ربا النسيئة ههنا ؛ فإنهم يقولون : إن الرجل في الجاهلية إذا كان له على آخر دين إلى أجل فإذا حل الأجل قال لمدينه : إما أن تقضى وإما أن تربى ، أو قال المدين لدائنه : زدني في الأجل أزدك في المال . فهؤلاء المفسرون يصورون المسألة هكذا ، لا يعرضون فيها لكيفية المداينة الأصلية ، وإنما يعرضون لما كان يحصل عند حلول الأجل الأول وما يكون بعده من آجال من التخيير بين أداء الدين والزيادة في مقداره إذا أريد تأجيله إلى أجل آخر..

قد يكون هذا هو منشأ الوهم في تحديد معنى

ربا النسيئة على النحو الذي قرره فضيلة الأستاذ خلاف . ولكن صنيع المفسرين ليس معناه أن ربا النسيئة لم يكن في الجاهلية إلا على هذا الوجه الذي يأتي فيه اشتراط الزيادة عند حلول الأجل فحسب . ثم هو ليس نصاً في أن المداينة الأولى إلى الأجل المعين كانت دائماً خلواً من اشتراط الفائدة للمقرض حتى يصح مايراه الأستاذ من لزوم أن تكون الزيادة غير مشروطة فى العقد .

على أن كلام المحققين من المفسرين صريح فى غير هذا الذى يقرره فضيلة الأستاذ ، وهاهو ذا الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره آيات الربا من سورة البقرة يقول : « اعلم أن الربا قسمان : ربا النسيئة ، وربا الفضل . أما ربا النسيئة فهو الأمر الذى كان مشهوراً متعارفاً فى الجاهلية ؛ وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ويكون رأس المال باقياً ، ثم إذا حل الدين طالبوا المدين برأس المال ، فإن تعذر عليه الأداء زادوا فى الحق والأجل . فهذا هو الربا الذى كانوا فى الجاهلية يتعاملون به » .

وهذا صريح فى أن المداينة الأصلية فى الجاهلية كانت تشترط فيها الزيادة على أصل الدين فى مقابلة تأجيله الأول .

أما فى تفسيره آية آل عمران : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ﴾ فقد اقتصر على الجزء المهم الذى هو سبب مضاعفة الدين فقال : « كان الرجل فى الجاهلية إذا كان له على إنسان مائة درهم إلى أجل فإذا جاء الأجل ولم يكن المدين واجداً لذلك المال ، قال زد فى المال حتى أزيد فى الأجل ، فربما جعله مائتين ، ثم إذا حل الأجل الثانى فعل مثل ذلك ، ثم إلى آجال كثيرة ، فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها .

فهذا هو المراد من قوله أضعافاً مضاعفة » ا . هـ .

ومن هذا يتبين أن العرب فى الجاهلية كانت مداياناتهم الربوية تشترط فيها الزيادة على المال فى مقابلة الأجل ، وهذه الزيادة قد يتقاضاها الدائن على نجوم قبل حلول أجل الدين ، وربما أجلها مع الدين إلى أجله ، فإذا حل الأجل اشترط الدائن شرطاً آخر هو زيادة الدين أو أداؤه ؛ وهذه زيادة أخرى غير الزيادة الأولى التى كانت مشروطة فى عقد المداينة .

والنتيجة انه لا مناص كما قدمنا من أن تدخل فى ربا النسيئة صورة المداينة التى اشترطت فيها من أول الأمر زيادة مال للمقرض فى مقابلة الأجل .

فإذا كان فضيلة الأستاذ خلاف لا يزال مصراً على رأيه فى ربا النسيئة أن الزيادة فيه يلزم أن تكون غير مشروطة فى العقد فليسمح لنا فضيلته أن نقول :

— إن هذا ليس هو ربا الجاهلية الذى نزل فى شأنه القرآن ، وليس هو الذى قال فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم حجة الوداع : « ألا وإن ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبدالمطلب » .

وبعد : فإن ما قدرناه مبعث الغلط فى تحديد معنى ربا النسيئة وتقييده أن تكون الزيادة فيه غير مشروطة فى العقد ، هو مبعث الغلط أيضاً عند بعض الناس الذين يذهبون إلى أن ربا الفضل لم يكن معهوداً عند العرب فى الجاهلية أو زمن نزول آيات الربا فى القرآن الكريم ؛ فإنهم توهموا من تقرير المفسرين الذين أشرنا إليه أن الربا الذى كان معهوداً حينذاك إنما هو الربا الذى نزلت فيه الآيات الكريمة وهو ظاهر فى ربا النسيئة .

←

ولكن هذا توهم محض وليس من المنطق السديد فى شىء ؛ فإنه لا يلزم من اتجاه الآيات القرآنية فى تقريرها إلى ربا النسيئة أن يكون ربا الفضل غير معروف عند العرب وغير جار فى بعض معاملاتهم . على أن المحققين من المفسرين وشراح الحديث يقولون : نزلت آيات الربا على ماكان شائعاً فاشياً عند العرب . وكون ربا النسيئة هو الشائع الفاشى فى المعاملات الربوية عندهم لا يفيد أن ربا الفضل كان غير معروف لهم ، وأنهم لم يجروا عليه أصلاً فى معاملاتهم . ثم إن أصحاب هذا الرأى قد غفلوا عن حديث البخارى الذى قدمناه فى تمر الجمع وتمر الجنيب ، وهم غافلون أيضاً عما يدل عليه حديث الأصناف الربوية الستة الذى سنعرض له فى هذا البحث إن شاء الله تعالى والله ولى التوفيق .

صــندوق التوفــير

ويقول الأستاذ خلاف فى المقال الأول أيضاً : « وسألنى موظف هل يحل لى الربح الذى آخذه من صندوق التوفير ؟ فأجبته بأن السؤال والجواب عنه واردان بالمجلد ال سادس من مجلة المنار سنة ١٩٠٣ ، وقد نقل صاحب المنار فى ص ٣٣٢ ح ٩ سنة ١٩٠٦ عن الأستاذ الإمام محمد عبده ـ عليه رحمة الله ـ العبارة الآتية :

« ولا يدخل فى الربا المحرم الذى لا يُشك فيه من يعطى آخر مالا يستغله ، ويجعل له من كسبه حظاً معيناً ، لأن مخالفة قواعد الفقهاء فى جعل الحظ معيناً قل الربح أو كثر لا يدخل ذلك فى الربا الجلى المركب المخرب للبيوت ؛ لأن هذه المعاملة نافعة للعامل ولصاحب المال معاً ، وذلك الربا ضار بواحد بلا ذنب غير الاضطرار ، ونافع لآخر بلا عمل سوى القسوة والطمع ؛ فلا يمكن أن يكون حكمهما فى عدل الله واحداً » .

قال الأستاذ خلاف : « وخلاصة هذا أن الإيداع فى صندوق التوفير هو من قبيل المضاربة ؛ فالمضاربون هم أصحاب المال ، ومصلحة البريد هى القائمة بالعمل ؛ والمضاربة عقد شركة بين طرفين على أن يكون المال من جانب والعمل من جانب والربح بينهما ، وهو عقد صحيح شرعاً ؛ واشتراط الفقهاء لصحة هذا العقد الا يكون لأحدهما من الربح نصيب معين اشتراط لا دليل عليه ؛ وكما يصح أن يكون الربح بينهما بالنسبة ، يصح أن يكون حظاً معيناً .... ولا يدخل (هذا التعامل) فى ربا الفضل ولا ربا النسيئة ؛ لأنه نوع من المضاربة اشترط فيه لصاحب المال حظ معين من الربح ، وهذا الاشتراط مخالف أقوال الفقهاء ولكنه غير مخالف نصاً فى القرآن أو السنة » أ . هـ .

وهذه الإجابة عن سؤال أرباح صندوق التوفير تشتمل على أخطاء فى ناحيتين : ناحية الشكل ، وناحية الموضوع .

اما الأولى فما كنا نود ولا ننتظر من فضيلة الأستاذ خلاف أن يسير فى جواب المسألة على هذه الطريقة فينتقل بالسائل إلى مجلة المنار فى مجلدها السادس ، أو إلى كلام الأستاذ الشيخ محمد عبده فى المجلد التاسع ، مادام هو لا يقنع بآراء الفقهاء المجتهدين أمثال مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم ، ولا يرتاح إلى ما قرروه فى أبواب التركات والمضاربات من شروط وأركان لم يعتبروها شروطاً وأركاناً بمحض جعلهم وتقديرهم وإنما وصلوا إلى الحكم بها هكذا بعد الاجتهاد والنظر فيما وردت به مصادر الشريعة من أحكام فى هذه الأبواب ؛ فالشروط والأركان فى

الأمور الشرعية معاملات وغير معاملات ، لم تكن شروطاً وأركاناً إلا بجعل الشارع واعتباره ، وهو شيء يستخلصه الفقيه المجتهد بما عنده من أدوات البحث والاستنباط .

هذا والأمر فى هذه الناحية هين لا نحتاج فيه إلى أكثر من هذه الإشارة لننتقل إلى ناحية الموضوع .

خطأ الجواب فى هذه الناحية من وجهين :

(الأول) : هو تحويل مسألة صندوق التوفير إلى عقد مضاربة بين أصحاب الأموال ومصلحة البريد .

(الثانى) : هو كسر قيود المضاربة وإلغاء ما اعتبر فيها من شروط شرعية .

أما عن الأول فإنه لا مجال للشك فى أن إيداع المال فى صندوق التوفير مع اشتراط زيادة معينة غير نسبية من الربح هو من باب القرض بفائدة .

وإذا كان يعبر عنه بالإيداع والوديعة فهو وديعة مضمونة ، ومضمونة مع اشتراط فائدة للمودع ، فهو لا محالة « قرض » وهو من القرض غير الحسن ، وليس من المضاربة فى شيء ، ولا فرق بين هذه المسألة وما ضربه الأستاذ خلاف مثالاً لربا الفضل وهو أن يقرض إنسان آخر مائة جنيه على أن يرد له مائة وعشرين ، وليس هذا فحسب بل هى من ربا النسيئة أيضاً ؛ فإن الزيادة المشروطة فيها إنما هى فى مقابلة الأجل على نحو ما كان يتعامل به أهل الجاهلية فى ربا النسيئة .

إن عقد المضاربة هو ضرب من عقود الشركة ، فهو شركة بين صاحب المال والعامل يبذل الأول فيه ماله ، ويبذل الثانى جهده ونشاطه وما يستطيع من وسائل الاستثمار فى هذا المال على أن يكون ربح ذلك بينهما على حسب ما يشترطان ، وعلى أن يكونا شريكين أيضاً فى الخسارة ؛ فإذا ربحت الشركة كان الربح بينهما أنصافاً أو أثلاثاً أو أخماساً على حسب الشرط ؛ وإذا لم تربح الشركة لم يكن لصاحب المال غير رأس ماله ، وليس له قِبل العامل شيء ؛ كما أنه ليس للعامل قِبله شيء ؛ وضاع على هذا العامل كده وما بذله من جهد فى العمل ، لأنه لاحق له إلا فيما يحصل من ربح كما تقضى به طبيعة عقد المضاربة .

أما إذا خسرت الشركة بأن نقص رأس المال عما كان عليه فى ابتداء العمل كانت هذه الخسارة على صاحب المال لا يضمن العامل منها شيئاً مادام لم يخن ولم يفرط ، وكان نصيبه فى الخسارة هو ضياع كده وجهده طوال مدة العمل فى رأس المال الذى لم ينل منه أدنى شيء فى معيشته ونفقاته الخاصة .

وهذه هى العدالة التامة بين الشريكين ؛ يكون لكل منهما نصيب فى الربح ، كما يكون عليه طرف من الخسارة ؛ وهذا هو القانون الفطرى والشرعى فى سائر الشركات وأعمال التجارات ؛ وهو ما أجمع عليه فقهاء الإسلام اتباعاً لما جرى عليه العمل زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فهل الإيداع فى صندوق التوفير من هذا القبيل حتى يمكن إلحاقه بباب المضاربة ؟ هل بين صاحب المال ومصلحة البريد اتفاق على أن تعمل هذه فى المال الذى تأخذه منه بالتجارة وغيرها ليكون لكل منهما نصيب فى الربح وعليه كفل من الخسارة ؟

لا شيء من هذا ؛ فإن المودع صاحب المال له حق مقرر على مصلحة البريد ، وذلك هو المال الزائد المشروط فى مقابلة الأجل ؛ وهذه الزيادة

يستحقها بمقتضى عقد الإيداع متى تم الأجل سواء عملت المصلحة فى هذا المال أم لم تعمل ، ربحت فى عملها أم خسرت . وهذا شىء لا تعهده الشركات الشرعية فى أى لون من ألوانها سواء أكانت شركات مالية من الطرفين أم كانت فى صورة مضاربة أو مساقاة أو مزارعة .

إذاً البون شاسع بين مسألة صندوق التوفير ومسائل المضاربة ، ولا ينبغى الجدال فى هذا .

ثم هو جدال لا يجدى مادام يرفضه النظر إلى الواقع فى هذه المسائل .

والتعلق بأن مصلحة البريد عاملة حتماً فى المال المودع .

ورابحة قطعاً فى عملها فى هذا المال .

وأنّ ربح صاحب المال من أجل ذلك مضمون لا يتخلف .

هو تعلق بسبب واهٍ لا يقوى على إلحاق مسألة التوفير بباب المضاربة فإن صاحب المال فى

المسألة الأولى لا نظر له ولا تفكير فيما عسى أن تعمله مصلحة البريد بالمال الذى تأخذه منه ، كما أن من يقرض إنساناً أو شركة مالا بفائدة مقررة يستحقها كل شهر أو كل سنة لا يفكر فى مصير هذا المال المقترض ولا ما يصنع به ، ولا يرتبط بنتائج تصرفات هذا الإنسان أو هذه الشركة .

وبعـــد :

فكيف يعترف الأستاذ خلاف بأن مسألة **القرض هذه فيها ربا الفضل المحرم** ـ وقد قدمنا أنها من ربا النسيئة أيضاً ـ ثم يعمد إلى مسألة صندوق التوفير وهى أختها من غير فرق فيحاول عزلها عنها من غير حجة ليلحقها بمسائل الشركة والقِراض !!

هذا ولا نظن أن اللَّجَأ إلى كلمات الأستاذ الشيخ محمد عبده يفيد من يحاول جر مسألة صندوق التوفير إلى باب المضاربة ؛ **فإن الأستاذ الإمام لم يصرح فى هذه الكلمات بشىء فى موضوع الصندوق ، وكلماته لا تصلح إلا جواباً لسؤال عن حكم المضاربة ؛ بل أغلب الظن أنها فى الواقع لم تكن جواباً إلا لذلك ، وأن السؤال الذى وجه إليه قد وضع فى صورة مضاربة صريحة ، وأنه قد أجاب عليه بما يستند إليه الأستاذ خلاف من قوله :**

« ولا يدخل فى الربا المحرم الذى لا يشك فيه من يعطى آخر مالاً يستغله ويجعل له من كسبه حظاً معيناً » الخ .

غير أنه ـ رحمه الله ـ كان يرى أن اشتراط مقدار معين غير نسبى من الربح لصاحب المال لايفسد المضاربة ولا يدخل فى الربا المحرم الذى لا يشك فيه ، وهذا موطن آخر سنتكلم عليه فيما بعد .

هو موطن آخر غير ما نحن فيه الآن من إلحاق صندوق التوفير بالمضاربة .

قد يتساءل ماذا ياترى كان رأى الشيخ محمد عبده فى صندوق التوفير ؟

وهل كان يعلم أن المقصود من الاستفتاء الذى وجه إليه فى صورة مضاربة صريحة كما قلنا هو الحصول على فتوى تشجع أصحاب الأموال على إيداعها فى هذا الصندوق غير أنه لم

يعرض لذلك واكتفى بأن يكون جوابه طبقاً لظاهر السؤال .

أو أنه كان لا يعلم ذلك ؟

هذا شيء لا ندريه ؛ وهو على كل حال لا تأثير له في موضوعنا ، كما لا يعوقنا عن البحث الآتى في موضوع اشتراط جزء معين من الربح لصاحب مال المضاربة .

لكنا قبل الدخول في بحث هذا الموضوع نلاحظ أن كلمات الأستاذ الإمام التي استند إليها الأستاذ خلاف لا يسعد بها كثيراً رأيه في موضوع الربا ، وهو ما سجلناه له مع الشكر .

فإن الشيخ عبده يقول : « ولا يدخل في الربا المحرم الذي لا يشك فيه من يعطى آخر مالاً يستغله ويجعل له من كسبه حظاً معيناً » وهذا ظاهر في أنه ـ عليه رحمة الله ـ يريد بالربا المحرم الذي لا يشك فيه ربا الجاهلية ، ربا الأضعاف المضاعفة . ويؤيد هذا الظاهر قوله عقب ذلك « لأن مخالفة قواعد الفقهاء في جعل الحظ معيناً قل الربح أو كثر لا يدخل ذلك في الربا الجلى المركب المخرب للبيوت » فإن الربا الجلى المركب المخرب للبيوت هو من غير شك ربا المضاعفات الذي كان عليه أهل الجاهلية .

أليست هذه الكلمات تعطى بمفهومها أن الربا لا يكون محرماً إلا إذا كان جلياً صريحاً وكان مركباً مخرباً للبيوت ؟ فهل يتفق هذا مع ما يراه الأستاذ خلاف ـ ونحن معه ـ من أن الربا محرم مطلقاً بلا فرق بين مركبه وبسيطه ولا بين مضاعفاته الثقيلة المخربة ودرجاته الخفيفة المعتدلة ؟ لا . ثم لا نظن الأستاذ خلاف يحاول الدفاع عما تدل عليه كلمات المرحوم الشيخ محمد عبده فيقول إنه ليس ضرورياً أن نأخذ عبارات الأستاذ الإمام على هذا الوجه ونجعل لها (مفهوم مخالفة) يعطى ذلك المعنى ، وإنما المراد بها تقرير أن اشتراط صاحب مال المضاربة جزءاً معيناً من الربح ليس في الحرمة بمنزلة الربا الجلى المركب المخرب للبيوت .

لا نظن الأستاذ خلاف يعمد إلى هذا الدفاع ؛ فإن رده جلى واضح من حيث إنه لم يزعم أحد أن الحرمة والإثم في هذا النوع من المضاربة يعدلان حرمة ربا المضاعفات وآثامه ، ولكن عدم تساوى هذين النوعين في درجة التحريم لا يسلب أصل الحرمة عن الأول الذي هو موضوع الحديث . هذا إلى أنه غير خاف أن فهم عبارات الأستاذ محمد عبده على هذا الوجه الأخير ينقض لصاحب الرأي في مسألة صندوق التوفير رأيه ، ويهدم له بنيانه من الأساس .

إلى هنا تم ما أردنا بيانه عن النقطة الأولى الخاصة بمسألة صندوق التوفير . وقد تبين خطأ إلحاقها بمسائل المضاربة « القِراض » ....

يتبع

الربا في القانون الإسلامي

د. محمد عبد الله دراز

٢

السنة :

إلى جانب هذه النصوص القرآنية نجد فى بيان السنة النبوية ما هو أكثر تفصيلا وأشد صرامة ، فإن الرسول ـ صلوات الله عليه ـ لم يكتف بتحريم الربا على آكله كما ورد فى القرآن الكريم ، ولم يكتف بجعل المعطى والآخذ والكاتب والشاهد سواء فى اللعن والإجرام ، بل إنه أحاط هذه الجريمة بنطاق من الذرائع والملابسات جعلها حمى محرما تحريم الوسائل الممهدة إلى الحرمة الأصلية .

والطريف فى أمر هذه الإضافة أنه جعل التحريم فيها على مراتب متفاوتة فى تدرج حكيم يتنقل من الحظر الكلى إلى الإباحة التامة رويداً رويداً مارا بكل المراتب المتوسطة بينهما .

هذه القاعدة الجديدة ليس موضـوعها القروض ، ولا الديون المتقررة ، بل عقود البيع أو بالأحرى المقايضات . فبعض هذه المقايضات حظر الرسول الحكيم أن تكون مؤجلة ، ولو بدون ربح ؛ وأن يؤخذ فيها ربح[1] ولو كانت يداً بيد . وبعضها منع التأجيل فيها دون التفاضل ؛ وبعضها لم يمنع فيها واحدا منهما .

وإليكم نص التشريع المذكور فى شأن المقايضات .

يقول ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما : الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة[2] والقمح بالقمح ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، يداً بيد ، سواء بسواء . فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» .

وقف أهل الظاهر بهذا الحظر عند الأنواع الواردة فى الحديث . وذهبت سائر المدارس الفقهية إلى اعتبار هذه الأنواع أمثلة من قاعدة عامة تنطبق على سائر المواد التى تقوم عليها

---

(١) هذا المحظور [الذى يسميه الفقهاء ربا الفضل ، ويسميه ابن القيم الربا الخفى] كان موضع اختلاف بين الصحابة وكان جمهورهم على القول بحرمته . أما بعض الباحثين العصريين الذين ظنوا أن هذا الاختلاف كان فى شأن الربا القليل فقد انتقل نظرهم والتبس عليهم الامر التباسا يؤسف له ..

(٢) وفى رواية أخرى : « الدرهم بالدرهم والدينار بالدينار الخ » ويلوح أن هذه الرواية هى التى اعتمد عليها معاوية فى فتواه . انظر الحاشية الآتية قريبا .

الحياة والتى مردها ـ فى الرأى الراجح عند الفقهاء ـ إلى نوعين : الأثمان والمطعومات .

ومهما يكن من أمر فى شأن هذا الاختلاف الفرعى ، فإن هذه القاعدة تقضى بتقسيم الأشياء التى يراد تبادلها إلى ثلاثة أضرب : «الضرب الأول» : أن يكون البدلان من نوع واحد ، كالذهب بالذهب ؛ فهاهنا يخضع التبادل لشرطين اثنين : التساوى فى الكم ، والفورية فى التبادل ، أعنى عدم تأجيل شىء من البدلين .

«الضرب الثانى» : أن يكونا من نوعين مختلفين من جنس واحد ، كالذهب بالفضة وكالقمح بالشعير ؛ فهنا يشترط شرط واحد ؛ وهو الفورية ، فلا يضر اختلاف الكم .

«الضرب الثالث» : أن يكونا من جنسين مختلفين كالفضة والطعام ، فلا يشترط فى هذا شىء من القيدين المذكورين ، بل يكون التقايض فيهما حراً .

هكذا كلما كان البدلان من طبيعتين مختلفتين تمام الاختلاف ، بحيث لا توجد شبهة القصد إلى القرض بفائدة ، فإن الشريعة لا تضع أمام حرية التبادل حداً من الحدود ، اللهم إلا المبدأ العام فى المعاملة ، وهو تحرى الصدق والأمانة . فإذا ما أخذت طبيعة البدلين تتقارب ، بدون أن تتحد ، نرى عند المشرع شيئا من الحذر المعقول ، المبنى على احتمال أن يكون المتعاملان يقصدان إلى معاملة ربوية ؛ ولذلك نجده مع ترخيصه لهما بتفاوت البدلين فى الكم يحظر عليهما تأجيل أحد العوضين ، سداً للطريق أمام فكرة القرض المحرم تحت ستار البيع . أما إذا اتحدت طبيعة البدلين (مع التفاوت فى الأوصاف والقيم طبعاً ، وإلا لما كان هناك معنى للتبادل) فإنه من السهل أن نفهم الحكمة التى من أجلها منع تأجيل البدل ، وذلك أن من شأن هذا التأجيل أن يحمل فى طيه فكرة محظورة ، وأن يكون القصد هو القرض باسم البيع .

ولكن الذى يصعب فهمه هنا هو إلزام المتبادلين فى حال الدفع على الفور بأن تتساوى الكميتان المتبادلتان بينهما . فهل معنى ذلك أن الشريعة تتجاهل ـ إلى هذا الحد ـ فروق الكيفيات التى فى كُل من العوضين ؟

إن الجواب على هذا السؤال نجد مفتاحه فى الحديث الذى رواه مسلم فى جامعه الصحيح . يروى لنا هذا الإمام أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ بشىء من التمر . فقال له النبى : «ما هذا من تمرنا» . فقال الرجل : يارسول الله بعنا تمرنا : صاعين بصاع . فقال ﷺ : «ذلك الربا . رُدُّوه ، ثم بيعوا تمرنا ، ثم اشتروا لنا من هذا» .

هاهنا نلمح الهدف الذى ترمى إليه القاعدة، ونطمئن إلى أنه ليس من شأنها أن تفرض على المتبادلين ـ اعتباطا أو تعنتا ـ تساوى الكمية بين صنفين مختلفين من نوع واحد ، بل إنها على العكس من ذلك فتحت لهما باب الاختيار بين أمرين يمتنع معهما كل قهر وإلزام ؛ ذلك أنها خيرتهما بين أن يتغاضيا عن الفروق الطفيفة التى بين الصنفين ، أو أن يلجأ فى تقدير تلك الفروق إلى حكم القيمة النقدية .

ونحن إذا تأملنا فى هذا الوضع نجده ينطوى على حكمة عميقة ويقوم على مبدأ سليم من مبادىء التشريعين المدنى والاقتصادى . ذلك أنه حيث يكون هناك كميتان متساويتان من نوع واحد ولكن إحداهما تمتاز بجودة أوصافها ، لا يكون هناك مجال للتردد : أىّ المتبايعين أوفر حظا ؟ فالذى يقبل الصنف الأقل جودة يقبله بملء حريته عن سماحة نفس وكرم طبع ، وهو عالم بما يفعل . وليس الأمر كذلك فى الحال التى تكون فيها الجودة من ناحية يقابلها وفرة فى الكم من الناحية الأخرى ؛ إذ نرى هاهنا تقابلا بين أمرين ليس بين طبيعتيهما مقياس مشترك ثابت ،

←

صالح لتقويم كل منهما بالنسبة إلى هذا الحد المشترك ، ثم بالنسبة إلى الطرف المقابل . والواقع أنه فى هذا النوع من التبادل يلجأ كل من المتعاملين فى نفسه إلى فكرة غامضة ، وهى إرادة التضحية بما هو أدنى فى سبيل ما هو خير منه . وهكذا يصبح قبولهما الظاهرى للصفقة قبولا زائفا ، وقد ينكشف عن خيبة أمل ولا مخرج من هذا اللبس إلا بالرجوع إلى القيمة الثمنية لكل بضاعة على حدة ، ثم إلى المقارنة بينهما على ضوء هذا المقياس الثابت . وهذا (الرجوع إلى المقياس الثابت) هو المعنى الذى قصد التشريع الإسلامى إبرازه حتى يكون كل من طرفى العقد على بينة فى معاملته المالية ، وحتى يجتنبا التدليس ، ويتطهرا من السحت المأخوذ بالحيلة والمكر .

فإذا صح ما ذهبنا إليه فى تفهم مقاصد الشريعة من هذا الحكم لم يبق هناك حرج قط - كما أوضحه ابن القيم (٣) فى أعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٧٣ - فى أن تباع المصوغات الذهبية بأكثر من وزنها ذهبا ، أو المصوغات الفضية بأكثر من وزنها فضة . ذلك لأن قيمة الصنعة قد قدرت هنا بمعيارها الواضح المحدد ، الذى لا يدع مجالا لتزييف تراضى المتبايعين .

على أن هذه الرخصة فى المبادلة بين الصياغة والنقد لا ينبغى أن تسرى على التبادل بين نقدين من نوع واحد مع اختلافهما فى الأوصاف ؛ بل الاعتماد فى النقدين على تساوى العوضين وزنا (بدون اعتبار لجمال الضرب أو جدته أو عدد قطعه أو غير ذلك) هو الحل العادل ، أو هو أعدل الحلول ؛ إذ لو اعتبرت هذه الصفات ونحوها فى النقود مبررة لزيادة قيمتها فى المبادلة ، إذاً لأصبحت النقود نفسها بضاعة ، وصارت معرضاً للمضاربة وتقلب الأسواق ، وعادت محتاجة إلى معيار آخر لتقدير قيمتها ، بدل أن تكون هى المعيار لغيرها .

ولكى نلخص فكرتنا عن القواعد التى وضعها التشريع النبوى فى باب التبادل والتقايض نقول : إن هذه القواعد تهدف إلى غرض مزدوج :

فهى من إحدى الجهتين تريد أن تحمى النقود والأطعمة ، وهما أهم حاجات الجماعة وأعظم مقومات حياتها ، وذلك بمنع وسائل احتكارهما أو اخفائهما من الأسواق ، أو تعريضهما للتقلبات الثمنية المفاجئة .

وهى من الجهة الأخرى تحرص على حماية الفقراء والأغرار من طرق الغبن والاستغلال التى يتبعها بعض التجار الجشعين .

وواضح أن تسمية الربح المجتلب من طريق هذا التبادل الذى تنقصه الصراحة والأمانة باسم «الربا» إنما هى تسمية مجازية قصد منها إلى إبراز ما فيه من مخالفة لقانون الأخلاق ومجافاة لقواعد الرحمة الإنسانية . وذلك بتشبيهه بالربا الحقيقى الذى هو مثل فى السحت وأكل المال بالباطل .

- ٣ -
وجاهة التشريع القرآنى من النواحى الثلاث الأخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية

ونعود الآن إلى موضوعنا الأصلى ، وهو الربا الحقيقى ، لنعالج فيه الجواب عن سؤالين مهمين :

(٣) سلفه فى هذه الفتوى معاوية بن أبى سفيان . ويخالفه فيها عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبو الدرداء . راجع الموطأ فى كتاب البيوع ، باب بيع الذهب والفضة . ويرى ابن القيم أن هذا الاختلاف إنما هو فى الصياغة المحرمة كصياغة الآنية . وعلى هذا تكون الصياغة المباحة محل اتفاق على جواز الفضل فيها نقداً .

«أحدهما» : ما هى الأسباب المعقولة لهذا التحريم الصارم للمعاملة الربوية ؟

«الثانى» : هل الحياة الاقتصادية فى حالتها الحاضرة تعد ظرفا استثنائيا يترخص فيه بمخالفة هذا القانون ؟

أما مسألة معقولية النهى أو عدم معقوليته ، فإنها قد أثيرت فى عهد النبوة على لسان العرب أنفسهم فقد استنكروا هذه التفرقة بين البيع والربا قائلين : إذا أنتم منعتم ربح القرض ، فامنعوا كذلك كل ربح يجتلب من طريق البيع ، إذ هما سواء .

وكان رد القرآن على ذلك بتلك الكلمة الحاسمة ، التى لا تقبل مراء ولا جدالا : كلا ، ليس البيع مثل الربا ؛ فقد ﴿ أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٢/٢٧٥) على أنه لا يمكن أن يفهم من هذا الأسلوب أن أمر التشريع هنا يصدر عن إرادة جبروتية تقضى أحكامها تحكما وتعنتا ؛ فقد علمنا القرآن فى غير موضع أن الأوامر الإلهية أنزه شىء عن هذا الحرج والعنت : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ (٧/٣٣) ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ (٥/٤) ﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥/٦) .

يجب إذن أن تكون لهذا النهى دعائم قوية وأسباب معقولة تجعله فى محزه من الصواب والحكمة . فما تلك الدعائم ؟

١ ـ الدعامة الأخلاقية :

أول ما يكشفه الباحث من أسرار التشريع فى هذا الباب هو بواعثه الأدبية الخلقية .

إن الضمير الإنسانى ليدرك بنوع من الحدس المباشر مدى الفرق بين الربح من طريق المعاملة (البيع) والربح من طريق المجاملة (القرض) . أنه ليدرك ذلك ويحسه حتى فى الوقت الذى لا يستطيع فيه التعبير عن هذا الفرق . فإن لم ندركه فى آن ما فإنما هى غشاوة الهوى وحب الأثرة ، أو الغفلة وعدم التدبر ، هى التى تخفيه عن أعيننا . على أن الأمر يبلغ من الوضوح إلى حد تحسه كل الضمائر والوجدانات فى عملية «الإعارة» (للأشياء التى ترد بأنفسها إلى معيرها) . أليس كل واحد منا يستنكف حقيقة من أن يطالب بتعويض مالى عن ماعون يعيره لمن يحتاج إليه ، أو عن مساعدة أدبية كائنة ما كانت يقدمها للغير ، عملا بقواعد حسن الجوار وأدب الاجتماع ؟ فلماذا يختلف النظر فى الأمر حينما تكون المعاونة على وجه «القرض» (للأشياء التى يمكن أن ترد بمثلها) ؟ مع أن الشأن فى الحالين واحد ، وهو أنهما يختلفان عن البيع اختلافا جوهريا ؛ ذلك أن الأمر فى البيع يتعلق بمالين مختلفين لكل منهما قيمته التى قد تزيد أو تنقص عن قيمة الآخر إما بسبب اختلاف الرغبات ، وإما بحسب قانون العرض والطلب . بينما المقصود فى القرض كما فى الإعارة هو استرداد الشىء نفسه ، إما بعينه أو بشىء مماثل له تماما من جنسه . فليس هاهنا أدنى قصد للمبادلة بين مالين ؛ ولذلك ليس للمقرض أن يرفض قبول شيئه نفسه إذا أعاده له المقترض عند الأجل بحالته التى تسلمه عليها .

سيقول قائل : سلمنا بوجود هذا الفرق الجوهرى بين الوضعين . ولكن أليس كل صنيع حميل «له حق» فى المكافأة ؟

نقول : بلى ! ولكن لا ينبغى أن يلتبس علينا الأمر بين سلطان «الحق» وسلطان «الواجب» .

إن سلطان الواجب أعلى ؛ وإن له لحقا فى معارضة حقوقنا الطبيعية وفى تحديد مداها . وأى شىء أدخل فى باب الحقوق الطبيعية من حقنا فى المحافظة على حياتنا ؟ ومع ذلك فإن الواجب قد يفرض علينا أن نتنازل عن هذا الحق وأن نضحى بأنفسنا تضحية تامة فى سبيل قضية نبيلة : أدبية أو وطنية أو دينية أو غيرها .

سيمضى السائل فى اعتراضه قائلا : إن هذه كلها اعتبارات أخلاقية . وقضيتنا قضية حق وقانون .

أما أنا فأجيب بأن كل مشرع له الحق كل الحق فى أن يجعل من القانون الأخلاقى قانونا مدنيا ، بل قانونا جنائيا إن شاء . وهذا بالضبط هو ما صنعه القرآن حين أعلن حرباً حقيقية على آكلى الربا .

٢ ـ الدعامة الاجتماعية :

ولو أننا نظرنا إلى القضية من ناحيتها الاجتماعية لظهرت لنا حكمة هذا التشريع وسداده فى أجلى مظاهرهما .

لا أقول فقط إن حياة المجتمع تصبح حياة لا تطاق لو أن كل فرد تمسك بحقه فى أدق حدوده ، ولم يجعل على نفسه سلطانا لفكرة البر والتعاون والتضامن والتراحم ؛ بل أقول إن مجرد تقرير ربح مضمون لرب المال ، بدون أن يكون فى مقابل ذلك ضمان ربح للمقترض ، ـ أقول إن هذا الوضع وحده فيه ما فيه من محاباة للمال ، وإيثار له على العمل ؛ وإن الضرر الذى ينجم عن ذلك ليس من نوع الأضرار الأدبية أو الأغلاط النظرية فحسب (وأعنى بها قلب موازين الأشياء بوضع القيم الإنسانية موضعا نازلا وتفضيل القيم المادية عليها) ؛ بل إنه يمس بناء الجماعة مسا عنيفا عميقا . ذلك أننا بهذه الوسيلة نزيد فى توسيع المسافة وتعميق الهوة بين طبقات الشعب بتحويل مجرى الثروة وتوجيهها إلى جهة واحدة معينة ، بدلا من أن نشجع المساواة فى الفرص بين الجميع ، وأن نقارب بين مستوى الأمة حتى يكون أميل إلى التجانس وأقرب إلى الوحدة .

إن اللمحة البارزة فى التشريع القرآنى ، وكذلك فى كل تشريع اجتماعى جدير بهذا الاسم ، هى الحيلولة دون هذه المحاباة لرأس المال على حساب الجمهور الكادح ، والسعى لتحقيق نوع من التجانس والمساواة بين أفراد الأمة .

إنها لكلمات قصيرة ولكنها ذات مدى بعيد ، تلك التى يرسم فيها القرآن دستور هذه السياسة ، حيث يقول : ﴿ ..... كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ .

٣ ـ الدعامة الاقتصادية :

وأخيرا هلم بنا لننظر إلى القضية من وجهة العدالة الاقتصادية البحتة .

يقول لنا أنصار مشروعية الربا ـ ولهم بعض الحق فيما يقولون ـ :

إن الربح الذى يحصل عليه المقترض من عمله فى المال الذى اقترضه إنما ينشأ وليدا من التزاوج بين العمل ورأس المال ؛ فكيف تخولون للعمل حقا فى الربح ، ولا تخولون للمال حقه فيه . مع أنه زوجه وشريكه فى هذا النتاج ؟
هاهو ذا ـ فيما أرى ـ جواب هذه الشبهة :
أما أن الربح ليس ثمرة عنصر واحد بل ثمرة

عنصرين متزاوجين فذلك حق لا شبهة فيه ، وليس لنا أن نتلكأ فى قبوله . غير أن المعارضين قد فاتهم شىء جوهرى ، وهو أنه بمجرد عقد القرض أصبح العمل ورأس المال فى يد شخص واحد ، ولم يبق للمقرض علاقة ما بذلك المال ، بل صار المقترض هو الذى يتولى تدبيره تحت مسئوليته التامة ، لربحه أو لخسره . حتى إن المال إذا هلك أو تلف فإنما يهلك أو يتلف على ملكه . فإذا أصررنا على إشراك المقرض فى الربح الناشىء وجب علينا فى الوقت نفسه أن نشركه فى الخسارة النازلة ؛ إذ كل حق يقابله واجب أو كما تقول الحكمة النبوية : «الخراج بالضمان» ، أما أن نجعل الميزان يتحرك من جانب واحد فذلك معاندة للطبيعة .. ومتى قبلنا اشتراك رب المال فى الربح والخسر معا ، انتقلت المسألة من موضوع القرض إلى صورة معاملة أخرى ، وهى الشركة التضامنية الحقيقية بين رأس المال والعمل .

وهذه الشركة لم يغفلها القانون الإسلامى ، بل أساغها ونظمها تحت عنوان «المضاربة» أو«القراض» . غير أنه لكى يقبل رب المال الخضوع لهذا النوع من التعامل يجب أن يكون لديه من الشجاعة الأدبية ما يواجه به المستقبل فى كل احتمالاته . وهذه فضيلة لا يملكها المرابون ؛ لأنهم يريدون ربحا بغير مخاطرة ؛ وذلك هو مايسمى تحريف قواعد الحياة ومحاولة تبديل نظمها .

هكذا إذا سرنا وفقا للأصول والمبادىء الاقتصادية فى أدق حدودها كانت لنا الخيرة بين نظامين اثنين لا ثالث : فإما نظام يتضامن فيه رب المال والعامل فى الربح والخسر ؛ وإما نظام لا يشترك فيه معه فى ربح ولا خسر . ولا ثالث لهما إلا أن يكون تلفيقا من الجور والمحاباة . هذه - فيما أرى - هى الأسس الأدبية والاجتماعية والاقتصادية التى قامت عليها وجهة نظر الإسلام فى قضية الربا .

وأما المسألة الثانية وهى حكم الربا فى وقتنا هذا فإنها ليست قضية «مبدأ» وإنما هى قضية «تطبيق» وإنى أخشى أن أطيل فيها فأعتدى على موضوع زميلى وصديقى الدكتور الدواليبى رئيس مجلس النواب السورى . وهى فوق ذلك ليست فيما أرى من الشئون التى يقضى فيها فرد أو بضعة أفراد ، بل ينبغى أن يتداعى لها طوائف من الخبراء فى القانون والسياسة والاقتصاد من كل جانب ، وأن يدرسوها دراسة دقيقة مستفيضة من جميع نواحيها الحاضرة والمستقبلة .

وكل ما أريد أن أقوله الآن يتلخص فى جملتين صغيرتين ، أرجو أن يتخذا أساسا للبحث فى التفاصيل .

«الأولى» : هى أن الإسلام قد وضع إلى جانب كل قانون ، بل فوق كل قانون قانونا أعلى يقوم على الضرورة التى تبيح كل محظور ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ (١١٩/٦) .

«الثانية» : هى أنه لأجل أن يكون تطبيق قانون الضرورة على مسألة ما تطبيقا مشروعا ، لا يكفى أن يكون المرء عالما بقواعد الشريعة ، بل يجب أن يكون له من الورع والتقوى ، ما يحجزه عن التوسع أو عن التسرع فى تطبيق الرخصة على غير موضعها ، كما يجب أن يبدأ باستنفاد كل الحلول الممكنة المشروعة فى الإسلام ؛ فإنه إن فعل ذلك عسى ألا يجد حاجة للترخص ولا للاستثناء ، كما هى سنة الله فى أهل العزائم من المؤمنين ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٦٥/٢-٣) .

المعاملات المصرفية

بين الحلال والحرام

للأستاذ: أحمد أمين فؤاد

﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(صدق الله العظيم)

لعلنا فى تناولنا لموضوع المعاملات المصرفية بين الحلال والحرام ، أن تحكمنا ابتداء المبادىء الآتية :

ــ الأمانة فى العرض ، القائمة على الفهم لما نقول ونكتب .

ــ البعد عن الانفعال حتى تسيطر على الكلمة روح الحق وشرف القصد .

ــ التمسك بشرع الله واليقين بعلو مقاصده وعموم منافعه وذلك عن فهم واستيعاب وتدبر .

ــ التعرف الصادق والموضوعى على مانحن فيه ونتائجه .

ــ التعرف الصادق والموضوعى على البدائل الشرعية لصيغ التعامل الربوى وميزاتها .

ــ أن يكون التطويع للأنظمة والأساليب والخدمات بما يتفق وشرع الله إن اختلفت معه ، لا أن يكون التطويع لشرع الله أو التبرير لما يخالفه .

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ .

ــ أن تكون الحسنى كلمتنا ، والحقيقة منطلقنا ، والحق رائدنا ، والا تأخذنا فى الحق لومة لائم ، ولا شنآن قوم .

ولابد لنا ونحن نتناول هذا الموضوع وحتى تكون الصورة واضحة أن نتعرض وبإيجاز شديد للنقاط الآتـية :

ــ طبيعة عمل المصارف ... وهل يختلف النظام المصرفى القائم عن النظام المصرفى العالمى المؤسس على محور الفائدة عطاء وأخذا .

ــ طبيعة العلاقة بين المودعين والمصارف .

ــ طبيعة العلاقة بين طالب التمويل والمصارف .

* تعمل المصارف أساسا فى المتاجرة فى النقد مقابل فائدة مدفوعة للمودعين ، وفائدة مقبوضة من المقترضين ، والنظام المصرفى سواء محلياً أو عالمياً يعتمد على اجتذاب الودائع مقابل فائدة وإقراضها أى الودائع (وما يخلقه اعتماداً عليها من ودائع مصرفية) لمجالات النشاط المختلفة مقابل فائدة .

* **والودائع مقابل فائدة تعتبر من الناحية القانونية قرضاً** من المودع للبنك واجب الأداء عند الطلب أو الأجل دون **انتقاص منها** ، ويد البنك عليها يد أمانة .

* **ولا صلة للمودع بسياسة البنك بتوظيفه لهذه الأموال** أو بنوعية هذا التوظيف سواء اتخذ صورة القروض الربوية أو إعادة

الإيداع بفائدة لدى البنوك المحلية والخارجية بفائدة أعلى أو غيره من صور التوظيف .

*** ولا صلة للمودع أيضاً بنتائج هذا التوظيف** ربحاً كان أم خسارة ، فما يحصل عليه المودع فى صورة فائدة سواء كانت محددة قدماً أو متغيرة (معومة) إنما هو التزام واجب الأداء فى الأجل ، ربح البنك أم خسر ، ولا صلة له بتوظيفات البنك أو أرباحه أو خسائره ، وهو ما يعتبر فى حكم الشرع ربا لا شك فيه .

* ولا يقبل فى محاولة التنصل من هذا الحكم القول بمقاصد البنك أو بوطنيته أو بإسهامه فى التنمية .

فأساس عمل البنك الاقتراض من المدخرين مقابل فائدة ، والإقراض للأفراد والهيئات والمشروعات فى مختلف مجالات الأنشطة ذلك مقابل تقاضى فائدة .

أما كون هذه الأنشطة تتناول مجالات للتنمية أو غيرها أو كون البنك (بنكا) وطنيا فهذا لايغير من الأمر شيئاً وهو أنها تمويل بالربا ، وقد أوضحت الشريعة الحلال والحرام ، ولا يتعلل من يرتكب الحرام ويكسب من حرام بوطنيته ، أو بأنه يهدف من وراء الكسب الصرف فى أوجه حلال أو عمل الخير سواء للفرد أو المجتمع وذلك بإسهامه فى التنمية .

فما أشبه هذا القول بمن باعت نفسها وتصدقت « فليتها ما ... وما تصدقت » ، والله سبحانه وتعالى يأمرنا ليس فقط بالامتناع عن الحرام ، وإنما أيضاً باجتناب الشبهات حتى لا نقع فى الحرام .

* والقاعدة الإسلامية فى توظيف المال حتى يكون حلالا هى « الغنم بالغرم » أى لا يحل الربح للمال إلا إذا تحمل المخاطر ، مخاطر الخسارة .

* ولا يحتج هنا بالقول ـ خطأ ـ بأن البنوك تتحمل المخاطر وتتعرض لها وهى تكسب وتخسر ، لأنه لا صلة بين أرباح البنوك أو خسائرها وما قد تتعرض له من مخاطر فى عملها ، وبين الفوائد التى تدفعها للمودعين على أموالهم المودعة لديها ، فالفوائد تحسب أولاً بأول وتدفع أولا بأول وتسدد للمودعين أولاً بأول ، يوما بيوم وأسبوعا بأسبوع وشهراً بشهر سواء ربح البنك أم خسر وسواء ربح كثيراً أم قليلاً ، خسر كثيراً أم قليلاً حيث تُرَحَّل هذه الفوائد أولاً بأول كمصاريف فى الجانب المدين فى حساب الأرباح والخسائر ، ولا تنتظر حتى نهاية السنة المالية أو المركز المالى الشهرى لتحسب على أساس ما يتحقق من أرباح فعلية ، بل هى واجبة السداد للمودع فى تاريخ الأجل لوديعته التى تعتبر قرضا من المودع للبنك بفائدة .

* ولا يقبل القول بأن المودع والبنك لا يقصدان عقد القرض ولا يناقشان شروطه وليس لكل منهما حرية تحديد الفائدة ، وأن البنوك تستثمر الأموال وتحقق ربحاً ، ذلك لأن الأمر كله يحتويه نظام متكامل قائم على محور الفائدة ـ المدينة والدائنة (المدفوعة والمقبوضة) ويعمل وفق أساليب وشروط واضحة ومعلومة .

ولطول التطبيق واستقرار هذا التعامل الربوى لفترة طويلة ، لم تعد ثمة حاجة إلى مناقشة شروطه وإنما أصبح مستقرا فى أذهان ووعى المتعاملين سواء كانوا مودعين أو بنوك أو عملاء مقترضين .

فضلا عن أن تلك الشروط مدونة ومكتوبة فى طلبات ـ أو بمعنى أصح ـ فى عقود فتح الحسابات (لقبول الودائع) وفى عقود منح القروض ، وكل منها عقود لابد للمودع (المقرض

←

للبنك) والعميل المقترض من البنك أن يوقع عليها .

ولا نتصور هنا (انتفاء القصد) فى (عقد) فيه (عرض وقبول) ، وفيه (توقيع) على شروط واضحة لمعامله ، ومناقشة أحيانا ومساومة على سعر الفائدة ، إلا إذا افترضنا غيبة العقل والإدراك وبالتالى فقدان الأهلية للتصرف ! وهو ما يقتضى فى هذه الحالة إبطال العقد وتجريم المعاملة إن تمت ! .

*** والقول (باختلاف المقاصد) بين البنوك الوطنية والبنوك الأجنبية أو النظام المصرفى الوطنى والأنشطة المصرفية الخارجية (قول فيه تجاوز للحقيقة) من حيث الموضوع محل البحث ، فكُلٌ من البنوك الوطنية والبنوك الأجنبية محلية وخارجية تقوم على نفس الأساس وهو المتاجرة فى النقد والعمل على محور الفائدة .**

ونظرة واحدة إلى ميزانيات البنوك الوطنية والأجنبية وإلى إيراداتها ومصروفاتها ترينا التطابق الكامل حيث يمثل (بند) الفوائد المدفوعة (للمودعين عن ودائعهم) الجانب الأعظم من المصروفات ، والفوائد المكتسبة (المقبوضة) من العملاء المقترضين الجانب الأعظم للإيرادات ، أى أن أرباحها معظمها يأتى من (ربا) قاطع لاشك فيه ، يتساوى فى ذلك البنوك الوطنية والأجنبية سواء فى الداخل أو الخارج .

*** أما القول بما تعانيه بعض البنوك الإسلامية** من مشاكل فهو أمر طبيعى فى هذه المرحلة من نشأتها ونموها والتى تعمل فيها فى مجتمعات تتعامل ربويا وفى أرضية استقرت فيها المعاملات الربوية لفترة طويلة .. ولا يتصور بحال أن تستطيع هذه البنوك على قلة عددها وإمكانيتها النسبية ، و (ما يفرض عليها أحيانا من قيود وتحجيم) أن تغير واقع الأرضية التى تعمل عليها بين يوم وليلة ، أو أن تعمل بدون مشاكل أو أن تحل مشاكلها ـ التى هى فى حقيقة الأمر مشاكل مجتمعاتها ـ بسهولة وبسرعة . ومع هذا فليس الأمر مقصورا على البنوك الإسلامية ، فبنفس المنطق نقول إن البنوك الربوية تعانى من المشاكل ما لا حصر له برغم أنها تعمل فى أرضية ممهدة لها من فترة طويلة ، ولا تقابل المعاناة التى تواجهها البنوك الإسلامية محليا وخارجيا .

ولكن ما حققته البنوك الإسلامية حتى الآن وبرغم كم المشاكل والصعوبات والتحديات التى تواجهها يعتبر نجاحا كبيرا .

فالمشاكل والصعوبات والتحديات عديدة ، ويجب ألا تكون مثبطا أو مبررا للتقاعس عن طلب الحلال والسعى لأعماله ، أو التبرير للحرام ، وانما يجب أن تكون دافعا لمزيد من الجهد الخلاق المخلص لبحث الأسباب وتقديم العون والعلاج ، بل وحافزا لتخطى الصعاب والانطلاق وتحقيق مزيد من النجاح ، فالصخور عقبة تقف فى طريق الضعفاء ، ويتسلقها الأقوياء ليصلوا إلى القمة .

*** أما عن الخدمات المصرفية الأخرى** (كفتح الاعتمـادات) أو (إجـراء التحـويـلات) و (المدفوعات) و (التحصيلات) أو (إدارة محافظ الأوراق) أو (القيام بوظيفة مدير استثمار لأموال العملاء) أو (القيام بخدمات للعملاء) للوفاء بالتزاماته قِبَلَ عديد من الجهات وتحصيل مستحقاتهم .. الخ وذلك مقابل أجر أو

أتعاب أو مصاريف فذلك لا حرج فيه مالم تتضمن قروضا بفائدة .

* أما (خطابات الضمان) فلها حكم شرعى يمنع تقاضى (ثمنا) للضمان ، ولكنها إذا كانت جزاء متكاملا من عملية يشارك فيها البنك فإن ربح العملية إذا تحقق يجزيها .

* وأما (الاستثمار المباشر) فى صورة القيام بإنشاء مشروعات أو الاشتراك فى إنشائها بالإسهام فى رأس مالها سواء كانت تابعة أو مستقلة وسواء كان هذا الإسهام دائما أو مؤقتا ، فهو أمر مرغوب ومحمود ويجب التوسع فيه ، وإن كان حتى الآن هو الاستثناء من (القاعدة التى تحكم البنوك) ، ويخضع لقيود كثيرة تحد من انطلاقة البنوك فى هذا المجال ، كما يفتقد لحوافز كثيرة تدفع البنوك للتوسع فيه .

وهذا الاستثمار بالإسهام فى رأس المال للمشروعات حلال ، وإن كان استكمال البنوك للتكلفة الاستثمارية لتلك المشروعات بإقراضها بفائدة لباقى التكلفة الاستثمارية وهى ما يطلق عليها رأس المال المقترض تمييزاً عن رأس المال المملوك (المساهمين) ، مايخلط الحلال بالحرام .

* كما تقوم البنوك بالاستثمار لجزء من أموالها وودائع العملاء لديها فى شراء أوراق مالية فى صورة أسهم وسندات وأذون خزانة وشهادات ودائع ..الخ وهو ما يطلق عليه : « تكوين محفظة أوراق مالية ». ويتكون عائدها من أرباح الأسهم وفوائد السندات والأذون والشهادات وهى بصورتها الحالية (ربا محرم) .

وقد يرى البعض لأول وهلة استثناء الاستثمار فى الأسهم من التحريم ، ولكننا إذا تبينا أن الشركات التى نشترى أسهمها شركات تتعامل بالربا وأن أرباحها بالتالى ليست أرباحا حلالا ، سقط هذا الاستثناء إلا أن تكون معاملات هذه الشركات خارج دائرة الربا .

* وبرغم حسم مجمع البحوث الإسلامية فى عام ١٩٦٥ م لموضوع الفوائد المصرفية وقراره القاطع بأنها بمختلف أنواعها ربا لاشك فيه ، وبرغم تأكيد هذا الأمر من جانب كثير من المجامع الفقهية ، فلايزال البعض بين الحين والحين يثير ماسبق أن أثاره سلفهم تارة بالقول بالاجتهاد وتارة بحرية الرأى وتارة بالتقدمية ورمى الآخرين بالجمود والحجر على الآراء .

* وليس معنى أن « الفوائد المصرفية هى ربا لا شك فيه ، وأن غالبية معاملات المصارف القائمة ربا محرم » أننا أمام باب مسدود وأن الأخذ بهذا القرار لمجمع البحوث الإسلامية والفتاوى المماثلة فيه هدم للبنوك القائمة وإبعاد للجمهور عن الادخار والإيداع لدى البنوك وبالتالى حرمان الاقتصاد القومى من دعامة أساسية وهى المدخرات .

* فمن نعم الله الكبرى أنه ـ سبحانه وتعالى ـ ما حرم شيئاً ، إلا أوجد البديل بال البدائل العديدة الحلال التى تحقق أضعاف مايمكن أن يحققه الحرام فضلاً عن اجتنابها للأضرار التى تنشأ عن الحرام وتصاحبه .

* بل وباب الاجتهاد فى الحلال مفتوح على مصراعيه لنضيف ونبتكر من الأساليب والخدمات ماينفع الناس ويتفق وشرع الله وحاجات العصر ، فهل نعى « علة التحريم » وهل « نتدبر القدر المذهل من الأضرار المصاحبة

←

لصور الربا المعاصرة » ، وهل نتبصر القدر المذهل من المنافع للبديل أو البدائل الحلال ؟!

* فهل نعى أن الإسلام حينما حرم الربا إنما جاء يؤكد ماسبق أن أنزله الله فى رسالاته السابقة على موسى وعيسى - عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - حيث حرمت التوراة والإنجيل الربا .

* وهل نعى أن الربا فى القروض الشخصية وعلى قدر جسامة أضراره إنما هو أبسط أنواع الربا أضراراً ، لأن ضرره ينحصر فى دوائر فردية أو عائلية .

* وهل نعى القدر المذهل للأضرار والتخريب الذى للربا العام وهو الموجه فى صورة قروض للمؤسسات والشركات والهيئات والحكومات ومايطلق عليه تجاوزاً « القروض الإنتاجية » « تمييزا له عن القروض الشخصية الاستهلاكية » أى الموجه للشركات ومؤسسات إنتاجية بهدف تمويل الإنتاج أو عناصره حيث لا تقتصر أضرار هذا الربا على فرد أو عائلة وإنما تمتد وتتسع دوائره لتشمل المجتمع بأسره بجميع فئاته بل البشرية بأسرها .

فالتمويل الربوى بالقروض بفائدة سواء من البنوك المحلية أو البنوك الخارجية أو من مؤسسات التمويل الدولية إنما يؤدى ابتداء إلى زيادة أعباء وتكلفة قيام المشروعات أساسا بل ويمنع ويثبط عزائم الكثيرين عن القيام بمشروعاتهم .

ولا يقتصر الأمر على المشروعات ومعاناتها وإنما ينتقل العبء إلى المستهلك ، حيث تعيد المشروعات تحميل تكلفة التمويل وأعباء الفوائد للمستهلك بإضافته لسعر السلع والخدمات التى تنتجها ، الأمر الذى ينعكس على الأسعار بالزيادة والتى بدورها تتسع دوائر تأثيرها المتبادل لتشمل كافة ، المجالات فندخل فى حلقة التضخم الجهنمية وانخفاض قيمة النقود ويعانى المجتمع بجميع فئاته من ارتفاع الأسعار وانخفاض القيمة الشرائية للنقود وبالتالى انخفاض مستوى المعيشة وارتفاع وطأة تكاليفها وأعبائها ، وتصبح المنتجات بعيدة عن تناول الكثيرين فندخل فى حلقة الكساد والبطالة .

ويرتد السهم إلى راميه ، فتعانى البنوك ومؤسسات التمويل من إعسار المدينين من مشروعات وهيئات وأفراد وإفلاسهم وعدم قدرتهم ، ليس فقط على رد أقساط ديونهم ، وإنما على دفع فوائدها وتتعثر وتدور فى حلقة مفرغة هى الأخرى وهو ما نلمسه ونعيشه ونعايشه جميعاً ، و لانعرف كيف نواجه « التضخم » وكيف نواجه « الكساد » وهما يجتمعان فى وقت واحد ويصاحبهما « البطالة » التى تزداد رغم وجود التضخم عكس ماتنادى وتبشر به النظريات الاقتصادية الوضعية .

وهكذا تتناقض النظريات الاقتصادية الوضعية وتتخبط وتسقط وتصيبنا الضربات من هنا وهناك وتتناقض وتتضارب الحلول وتتحير العقول ، ويصدق فينا قول ربنا سبحانه وتعالى فى أكلى الربا ﴿ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ .

* ونظرة إلى القروض الدولية للدول النامية على مدى الأربعين أو الخمسين سنة الأخيرة لنرى ماذا أنتجت ؟ ..

هل أدت إلى دفع عجلة التنمية والتقدم ؟ ..

هل ساعدت على تحقيق معدلات أفضل للنمو ؟ ..

هل أدت إلى تحسين اقتصاديات تلك الدول ؟

أم انها ـ كما شاهدنا وكما نرى وكما أثبتت الدراسات المعلنة وغير المعلنة للمؤسسات الدولية ـ انها قد أودت بالتنمية وباقتصاديات تلك الدول ، وأنها قد اثقلتها بأعباء الديون وفوائدها حتى أصبحت ليست عاجزة فقط عن سدادها وعن سداد فوائداها وإنما أصبحت عاجزة عن السير فى التنمية وعاجزة عن تدبير أمورها وتوفير احتياجات حياتها الأساسية وحياة افرادها وأصبحت مقدراتها وحياتها رهينة دائنيها .. وما أشبه الليله بالبارحة ! .

وفى نفس الوقت يرتد السهم عاجلا أو آجلا إلى الدائنين محليين وخارجيين وتلك حكمة الله وحكمه القاطع ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا ﴾ .

ولايقتصر الأمر والمعاناة على الدول المتخلفة والنامية وحدها وإنما يمتد إلى الدول المتقدمة فنراها تخرج من أزمات لتدخل فى أزمات ، وتتكون اللجان والمؤتمرات ويحشد لها جهابذة الفكر الاقتصادى الوضعى ورجال المال والبنوك بحثا عن علاج ودواء ، وتتعدد العلاجات وتزداد قائمة الأدوية وتزداد الأمراض وتتعدد وتتكاثر وتتوطن بل وتظهر أجيال وأنواع مرضية غير مسبوقة (كالركود التضخمى) المصحوب فى نفس الوقت (بالبطالة) ! .

وتكثف الجهود وتحشد العقول على امتداد الخمس والعشرين سنة الأخيرة على وجه أخص للبحث عن نظام اقتصادى ونقدى عالمى جديد دون جدوى ودون أن يصل المجتمع الدولى لصيغة تنقذ هذا المجتمع من التردى فى الأزمات المتلاحقة أوتهىء له استقراراً وأمانا .

* فتحريم الفائدة ووجود البديل الشرعى لها ، وهو الإسهام المباشر بالمشاركة فى رأس مال المشروعات ، أو فى تمويل باقى تكلفتها الاستثمارية ، أو فى تمويل رأس المال العامل أو فى تمويل توسعاتها بطريق الإسهام المؤقت وهو ما استحدثناه وأطلقنا عليه المساهمة المتناقصة Redeemable Pariicipaiion كبديل شرعى للقروض المشتركة Syndicated Loans والتى يشترك فى تقديمها أكثر من بنك أو مؤسسة تمويلية ، أو تمويل رأس المال العامل أو دورات إنتاجية كاملة بالمشاركة فى الإنتاج ، أو بعقود مصانعة (تصنيع) وهو مايشمل تمويل شراء الخامات أو استيرادها والأجور وأرباح التصنيع .. الخ الصيغ العديدة الحلال القائمة على تحمل رأس المال للمخاطر دعما للمشروعات وإلغاء لعبء التمويل وتكلفته ابتداء وتخفيفا لصالح جميع فئات المجتمع انتهاء .

* فتحريم الفائدة يقضى على الخمول والسلبية لدى الأفراد ويدفع بالمدخرات ورءوس الأموال للبحث عن فرص ومجالات الاستثمار ، ويقدم لها رأس المال المتحمل للمخاطر ، والتمويل المشارك فى المخاطر .

* وبالتالى يلغى تماما (تكلفة التمويل) التى تثقل كاهل المشروعات وتعثر خطاها بل وتمنع قيام الكثير من المشروعات حيث لاتتحمل مجالاتها أعباء الفائدة الضخمة التى تتقاضاها البنوك وغيرها من مؤسسات التمويل الربوية .

ولايقتصر الأمر على المشروعات ، وإنما يمتد إلى المستهلك وهو جموع الشعب بأكمله حيث تصله نفس السلعة بأسعار أقل ، فالتمويل بالمشاركة المتحمل للمخاطر والقائم على المشاركة فى النتائج ربحا أو خسارة ليس له (تكلفة مسبقة) كما فى القروض بفائدة ، وبالتالى لاتتحمل المنتجات أية تكلفة تمويلية .

البقية صـ ٢٩٣

شهادات الاستثمار (أ، ب)

فى ضوء حقائق الفقه الإسلامى وأدلته

للأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبوسنة

قرات فى جريدة الأهرام عدد الجمعة بتاريخ ١٩٨٩/٩/٨ م ـ راى فضيلة الدكتور المفتى فى حكم هذه الشهادات ، وقد حمدت له اقتراحه على المسئولين إصدار شهادة استثمار رابعة ربحها متغير ، على أن يكون العمل المستثمر فيها تجارياً ، وانا معه فى المقدمات التى ذكرها . لكنى اخالفه فى استمداد الحكم من راى لجنة الشيخ السنهورى ؛ لأن المفتى المجتهد يعمد إلى الدليل ، والمفتى المقلد يعمل براى المجتهد ؛ لأن التقليد هو العمل براى المجتهد لا براى المقلدين .

.. وعلى كل حال فساناقش ما بنى عليه الجواز وهو أحد امرين :

الأول : أن شهادات الاستثمار مجموعة (أ ، ب) مضاربة . فما هى المضاربة فى الفقه الإسلامى ؟

المضاربة التى أجمع الفقهاء على إباحتها أخذاً من الأدلة ، وما ورد من آثار الصحابة هى ما يأتى : ـ

وليكون الجواب مقنعاً ننقل معناها الموجود ـ فى باب المضاربة أو القِراض ـ من كتب المذاهب الفقهية .

قال فى المغنى لابن قدامة الحنبلى : « المضاربة هى أن يدفع الرجل ماله إلى آخر يتَّجر فيه على أن يكون الربح بينهما على ما شرطا »(١) .

وقال النووى الشافعى ـ كما جاء فى مغنى المحتاج للخطيب الشربينى : « القِراض أو المضاربة أن يدفع رب المال إلى العامل مالاً يتَّجر فيه ، والربح مشترك بينهما »(٢) .

وقال خليل المالكى : « القِراض أى المضاربة ، توكيل من رب المال للعامل على تجارة بجزء من الربح . والتجارة هى البيع والشراء لتحصيل الربح »(٣) .

وقال الكاسانى الحنفى فى كتابه البدائع ما

---

(١) المغنى والشرح الكبير ، شركة المضاربة .

(٢) مغنى المحتاج ، جـ ٢ ، باب القِراض .

(٣) الشرح الكبير مع حاشية الدسوقى ، حـ ٣ ، باب القراض .

معناه : للمضارب أن يعمل فى المال كل ما يؤدى إلى الربح كشراء الأرض برأس المال ، وزراعتها بالشجر .[٤]

وهكذا تأتى النصوص فى كتب المذاهب ، وكلها تدل على أن عمل المضارب فى المال هو التجارة لتحصيل الربح سواء كانت بالشراء "بيع أم بشراء أرض وزراعتها ، أو بنائها عمائر وبيعها إلى غير ذلك من طرق التجارة ..

وبعد ذلك نأتى إلى جواب السيد رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى عندما سأله فضيلة المفتى : فى أى الوجوه تستخدم حصيلة شهادات الاستثمار ؟

أجاب : بأن الحصيلة تستخدم فى تمويل مشروعات التنمية المدرجة فى الميزانية ، وتؤدَّى الحصيلة لوزارة المالية : أى أن الحصيلة تؤدى للدولة لتمويل خطة التنمية .

وأجاب أيضاً : بأن وزارة المالية هى التى تتحمل الفوائد التى تدرها شهادات الاستثمار .

ومن هذا الجواب يتضح أن العلاقة بين الدولة والمشترى للشهادة علاقة دائن ومدين ، وأن الدولة المدينة تُموِّل بحصيلة هذه الشهادات مشاريع التنمية فى الوزارات المختلفة كالتعليم والصحة والعدل والزراعة والتجارة إلى آخر الوزارات .

وطبيعة عمل الدولة فى هذه الوزارات هى الإنفاق على هذه المشروعات لتنتج النتائج المطلوبة منها كالتعليم بأنواعه والعلاج بأنواعه ، والدفاع فى البر والبحر ، والفصل فى الخصومات وخلافه ، وهذه ليست أعمالاً تجارية ، بل هى أعمال مطلوبة من الدولة لرعاية مصالح الشعب كرعاية الفرد لمصالح أبنائه !

فأين العمل التجارى هنا لكى تكون مضاربة ؟!

لهذا يتبين أن الدولة تأخذ هذا المال قرضاً للقيام بهذه المشاريع ثم تدفع لأصحاب الشهادات الفوائد كما قال رئيس مجلس الإدارة ، ولا يمكن أن تُسمى ربحاً ؛ لأن الربح مايكون عن تجارة .

وفوائد القرض المشروطة فى الشهادات من ربا الجاهلية المعلل بأنه مال قابل للزيادة أو التضعيف فى مقابلة الأجل .

نعم للدولة بعض مؤسسات للقطاع العام تشارك فى النهوض بالاقتصاد ، وأعمالها تقوم على أسس تجارية : لكن لا يُقصد بها التجارة ، بل محاربة الغلاء فضلاً عن أن أموالها لا تساوى نصفا فى المليون من أموال الدولة .

ثم نأتى بعد هذا إلى الكلام فى ربح المضاربة - وإن كُنا قطعنا بأن هذه الشهادات ليست من باب المضاربة - وقد أجمع الفقهاء عن آخرهم بأن الربح فى جميع الشركات يجب أن يكون شائعاً ، ويبطله التحديد ، والدليل على ذلك ماورد فى بعض الشركات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

أخرج البخارى ومسلم عن رافع بن خديج قال : « أخبرنى عَمَّاى أنهم كانوا يُكرون الأرض على عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - بما ينبت على الأَرْبِعاء [٥] ، أو بشىء يستثنيه صاحب الأرض ، فنهانا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ، فقلت لرافع : فكيف هى بالدراهم والدنانير ؟ فقال : ليس بها بأس ، وكان الذى نُهى عن ذلك ما لو نظر فيه ذوو الفهم بالحلال والحرام لم يجيزوه ، لما فيه من المخاطر » متفق عليه[٦] .

---

(٤) انظر جـ ٨ ، كتاب المضاربة ، مطبعة الإمام .

(٥) والأَرْبِعاء : جمع ربيع ، وهى القنوات التى يجرى فيها الماء فى الحقل .

(٦) انظر كتاب الحرث ، باب ١٩ ، فتح الباب حـ ٥ ، صـ ٢٥ .

شهادات الاستثمار (أ ، ب)

وعنه قال : كُنا أكثر أهل المدينة حقلاً ، وكان أحدنا يُكرى أرضه فيقول : هذه القطعة لى ، وهذه لك فربما أخرجت هذه ، ولم تخرج هذه فنهاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – متفق عليه [٧] .

دل الحديثان على وجوب أن يكون الربح شائعاً بين المزارع والعامل ، وعلله راوى الحديث بأن الربح إذا كان محدداً يؤدى إلى المخاطرة أى إلى الغَرَر وانقطاع الربح عن أحد الشريكين ولا ينص على الحديث .

ثم ألحق الفقهاء جميعاً كل أنواع الشركات بالمزارعة بطريق مفهوم الموافقة أو دلالة النص غير أن بعضهم يكتفى بالتعليل بأن تحديد الربح يؤدى إلى انقطاعه عن أحد الشريكين .

لكن الشيخ عبدالوهاب خلاف – رحمه الله – مع احترامنا له غاب عنه هذا الدليل ، وخالف إجماع الفقهاء على اشتراط الشيوع فى المضاربة . فبأيهما نعمل : بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبإجماع المسلمين أم بقول الشيخ / عبدالوهاب خلاف ؟!

الأساس الثانى : لجواز من أجاز شهادة الاستثمار هو : القاعدة الأصولية القائلة : « الأصل فى المنافع الإباحة » . قال المفتى .. تبعاً لرأى بعض الأعضاء : « إن شهادات الاستثمار معاملة حديثة لم ينص على حكمها الفقهاء السابقون ، وهى منفعة فليكن الحكم فيها الجواز » .

فما مراد الأصوليين بهذا الأصل الوارد فى قولهم : الأصل فى المنافع الإباحة ؟

قال علماء الأصول المراد به : أن الأصل فى المنافع الإباحة إلا ما ثبت بالدليل وجوبه كالزكاة ، وما ثبت بالدليل حرمته كالأموال المملوكة للغير ، وكالنساء لقوله – صلى الله عليه وسلم – : « وإن الله تعالى حرّم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا »[٨] . وكالمعاملة المشتملة على الربا أو القمار أو الغبن الفاحش أو الرشوة أو الغرر .

وكذلك قولهم : « الأصل فى المضار التحريم » ، وهذا الأصل لا يُعمل بعمومه بل المراد به : مالم يرد الدليل بإباحة الضرر كالحدود والتعزير والقصاص .[٩] فإنه ضرر أجازه الشارع .

ولهذا جرى الفقهاء على عرض المعاملات الحديثة على القواعد الفقهية ، فإن ورد فيها دليل بالتحريم أو اشتملت على محرم حُكم فيها بالتحريم كحسم (الكمبيالة) على أن يأخذ الدائن أقل مما فيها من الدَّيْن ، وشراء السندات ، لما فى المعاملتين من الربا وإلا أبيحت كأكل المانجو الذى لم يرد اسمه فى الكتاب والسنة ، وكذلك شراء أسهم الشركات ، لخلوها من المحرم .

فشراء شهادات الاستثمار هو شراء ، وبيع فى الظاهر ، لكنه فى الواقع إعطاء مال للدولة على سبيل القرض كما أثبتنا ذلك بالدليل ، واخذ فائدة على هذا القرض ، وهو النص على أن مشترى الشهادة (أ ، ب) يأخذ من الدولة كذا فى المائة كل عام .

---

(٧) هذا الحديث وما سبقه مرويان فى مشكاة المصابيح ، انظر شرحه مرقاة المصابيح جـ ٣ ، باب المساقاة والمزارعة ، صـ ٣٥٨ .

(٨) البخارى ، كتاب الحج .

(٩) راجع جمع الجوامع ، والكاتبين عليه ، والموافقات للشاطبى ، وغيرهما من كتب الأصول .

هذه هى القاعدة التى تطبقها الآن المجامع الفقهية ، وعلماء الفقه الذين يُفتون فى شئون المصارف ، ولهذا نعلن أن هذه الفتوى على فضيلة المفتى أن يعيد النظر فيها إبراءً للذمة ، وإحقاقاً للحق .

هذا ويحسن أن ننبه على أمور وردت فى بيان المفتى :

الأول : أن كلمة التنمية والاستثمار فى الاقتصاد لا يراد بها (الربح) بل المراد من التنمية (الإنتاج) فى أعلى مستوى له ، والمراد من الاستثمار هو (إبقاء المال للزيادة فيه) كشراء الأرض ليزرعها ، وتربية الحيوان للحصول على منتجاته ، فإن كانت التنمية والاستثمار عن بيع وشراء سمى ربحاً عند الفقهاء وإلا لا يسمى ربحاً .(١٠)

الثانى : أن الوديعة عند الفقهاء إذا أعطيت للمُودع على أن يحفظها سمِّيت « وديعة » ، وإن أعطيت له على أن يتصرف فيها لنفسه سميت « قرضاً » ، وإن أعطيت له على أن يتجر فيها سميت « مضاربة » ، لأن العبرة فى العقود للمعانى ، ولكل حالة حكم .

الثالث : الكلام فى فوائد صناديق التوفير قديم ، وكان البحث فيه حول : هل البريد يتجر فى هذا المال فيكون مضاربة أو لا يتجر فيه فيكون قرضاً ؟ ، ومع ذلك فبالنظر إلى تحديد ثلاثة فى المائة نجد الذين قالوا بجوازه قد بنوه على أن التحديد فى ربح الشركات جائز ، وقد علمنا مما تقدم بطْلانه .

ثم لا تشابه بين شهادات الاستثمار ، وصناديق التوفير كما يقول المفتى لأن المال فى شهادات الاستثمار قرض تُموَّل به مشاريع ميزانية الدولة .

الرابع : قول المفتى : « ولم يرد فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يمنع تحديد الربح مادام قد تم بالتراضى بين الطرفين»، بعيد كل البعد عن الحقيقة .

فقد ورد فى السنة مايمنع من التحديد كما فى حديثى المزارعة السابق ذكرهما ـ وأجمع الفقهاء على أن التحديد يُبطل جميع الشركات ، ولا عِبْرة بقول المرحوم الشيخ خلاف بعد ما قدمنا .

الخامس : الخسارة فى المضاربة تُحتسب على رب المال ، لا على العامل خلافاً لما قاله المفتى .

السادس : ليست أعمال الناس مبنية على النيات الطيبة فقط ، بل عليها ، وعلى الموافقة لأحكام الشارع لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » (١١) .

وليست كل مكافأة مطلوبة بقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من صنع إليكم معروفاً فكافئوه » كما ذكر المفتى ، بل المكافأة المنصوص عليها هى : الحلال الخالية عن الربا .

وللحديث بقية إن شاء الله ..

أ . د . / احمد فهمى ابو سنة

---

(١٠) بهذا يتبين ان سؤال المفتى فى وادٍ ، وجواب رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى فى وادٍ آخر .

(١١) البخارى ، جـ ٨ ، صـ ١٤٧ . الباب الخامس ، مبحث ما ذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ماوراء

فوائد البنوك

لـــواء أ.ح
د. فـوزي محـمد طـايل

حملت لنا صفحات الجرائد التي تصدر في مصر على مدى أربعة أشهر مناظرات هامة حول موضوع « فوائد البنوك » . وبرغم وضوح الحكم الشرعي لهذه الفوائد ، وأنها « ربا نسيئة » ، وأنها تشبه من كل الوجوه « ربا الجاهلية » الـذي كان يعقـد لأغراض التجـارة والاستثمار ، وقد حرمه الله تعالى بآيات قرآنية صريحة الدلالة ، جاءت تأكيداً لسابق تحريم الله تعالى له في كتبه ، لما لهذا النوع من التعامل من ضرر يقع على المقرض والمقترض ، وعلى قيم المجتمع ، وعلى النواحي المادية والاقتصادية فيه ، وأكد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرمة هذا التعامل (قولاً) أتبعه (فعلاً) بإسقاط الربا عن كل مدين ولم يبق للدائن إلا رأس ماله ، وفي مقدمة أولئك الدائنين العباس ـ رضى الله عنه ـ .

وقد توالت الاجتهادات الفقهية في كل العصور الإسلامية تؤكد حرمة الربا وحرمة التحيّل من أجل الوصول إليه مهما كانت المسميات أو الصور المتحيل بها . وظل الأمر كذلك إلى أن تطورت أعمال المرابين في أوروبا ، فتمخضت عن « البنوك » التي تتخذ من التعامل في الديون « بفائدة » ، هي عين الربا ، نشاطاً رئيسياً لها . وتبنى الفكر « الرأسمالي » في أوروبا فكرة التعامل بالربا ، « وقد نُهُوا عنه » ، لظروف اجتماعية وسياسية وتاريخية خاصة أدت بهم إلى تبني أفكار تقوم على « فصل الدين عن الدولة » ، « وفصل الأمور السياسية والاقتصادية عن الدين والأخلاق ». وقد تم تصدير فكرة « البنوك » بأسلوبها الربوي ضمن ما صدرته أوروبا إلى الأمة الإسلامية ـ التي كانت قد أصابها التخلف والوهن ـ بسبب حبها لقشور الحضارة المزوجة بالكثير من المفاسد واللاقيم والأساليب التي لا تتفق والنموذج الإسلامي في التعامل في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية .

على أن فقهاء الأمة الإسلامية المعاصرين قد اجتهدوا من أجل التوصل إلى الحكم الشرعي لمعاملات البنوك باعتبارها صورا جديدة للتعامل لم تكن معلومة تحت هذه المسميات لدى السلف الصالح ، أو حتى لدى من جاء بعدهم من الفقهاء حتى القرن التاسع عشر الميلادي . ومن هؤلاء وأولئك من استوفى جوانب البحث من النواحي الاقتصادية والفقهية الإسلامية ، فصار

واضحاً جلياً أمامه ، فجاء الحكم مقرراً أن بعض معاملات البنوك مستكمل لأركان الربا المحرم شرعاً بنصوص قطعية الثبوت والدلالة ، وتعد حرمته من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، فلا يجوز لمسلم أن ينكرها أو يناقشها جرياً وراء مصلحة موهومة ، امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور / ٥١).

ومن آراء المتأخرين من الفقهاء الذين استكملوا جوانب البحث في هذا الموضوع على سبيل المثال لا الحصر : فضيلة الدكتور « محمد عبدالله دراز » إذ قدم بحثاً إلى مؤتمر القانون الإسلامي الذي عقد بباريس في شهر يوليو عام ١٩٥١ م ، وفضيلة الإمام الدكتور « عبدالحليم محمود » من قبل أن يصبح شيخاً للأزهر ، وفضيلة الشيخ « محمد أبو زهرة » ، والدكتور « محمد عبدالله العربي » ، وفضيلة الدكتور « أحمد فهمي أبو سنة » ، والدكتور « حسين حامد حسان » ، والأستاذ الدكتور « عيسى عبده » ، وفضيلة الدكتور « يوسف قاسم » ، والدكتور « علي السالوسي » .. وغيرهم . ويتوج هذا الجهد كله أن أئمة الجامع الأزهر كلهم ، وآخرهم الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق قد حسموا الأمر فقضوا بأن « فوائد البنوك » هي « ربا » محرم شرعاً .

هذا ، وقد صدرت دراسات متعمقة كثيرة سواء عن مجمع البحوث الإسلامية ، أو عن مراكز البحوث التابعة للجامعات الإسلامية في مصر والسعودية وباكستان وغيرها ، أو كرسائل علمية ، أو كتابات عديدة ، تجمع كلها على أن أكثر المعاملات البنكية بالصورة المعروفة في عصرنا هذا ، لا تعْدُو كونها تعاملاً بالربا منهياً عنه شرعاً .. وقد أسهمت مجلة الأزهر في هذا المجال ، ولما تزل تقوم برسالتها من أجل إظهار الحق ..

هذا ، وقد تم « اجتهاد جماعي » في مؤتمر « الفقه الإسلامي » الذي عقد في الرياض عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) قام به جمع كبير من علماء الفقه الإسلامي وعلماء الاقتصاد المسلمين ، أجمعوا فيه على أن « الفائدة » على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي .. وأن « الإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ..».

وحتى تستكمل كل جوانب الموضوع ، فإننا لا ننكر أن هناك من الفقهاء من اجتهد فلم يستكمل جوانب البحث العلمي ، ولم يستفرغ غاية الجهد في التوصل إلى معرفة كل جوانب الموضوع ، إما لعدم تطابق معلوماته الاقتصادية مع واقع عمل البنوك ، وإما لأنه استشار من وضع أمامه إجابات غير دقيقة أو محرفة عن حقيقة وطبيعة عمل البنوك ، فجاء اجتهاد هؤلاء العلماء ـ وفقهم الله ـ وقد جانبه الصواب ، وكان أولى بهم أن يلتزموا قرارات مجمع البحوث الإسلامية وغيره من المجامع .

ومن هؤلاء الذين اجتهدوا فلم يصيبوا من لم تثبت صحة نسبة الفتوى إليهم كالإمام محمد عبده ، ومنهم من رجع عن فتواه بعد ما تبين له الحق كالأستاذ الشيخ عبدالوهاب خلاف ، والإمام الأكبر محمود شلتوت ـ رحمهم الله .

ذلك ولم تكن فتاوى بعضهم تتعلق بفوائد

←

ماوراء فوائد البنوك

البنوك ؛ فقد كانت الفتوى التي ينسبها البعض للإمام محمد عبده متعلقة بتحديد « فوائد » عند الإيداع في مكاتب البريد ، وهي جهات لا تتعامل في الديون وإن كانت غير جائزة أيضاً ، وكانت فتوى الإمام محمود شلتوت متعلقة باقتراض الدولة من جهات أجنبية للضرورة ، أما الأستاذ الشيخ عبدالوهاب خلاف فقد رجع عن رأيه في نفس الجلسة التي صدرت منه الفتوى فيها ، فما بالنا نرى قوماً يجتهدون ويبذلون غاية جهدهم ، ويضيعون غالي وقتهم في بحث موضوع حسم أمره واتضح حكمه ؟

ألفنا النقص وعايشناه :

لقد كان عام ١٨٩٨ م أول عهد مصر بالبنوك التجارية التي تتعامل « بالفائدة » الربوية إذ أنشيء « البنك الأهلي المصري » على غرار البنوك الأوروبية ، فكان مصرياً بحسب مقره ، أجنبياً من حيث الإدارة ، والسياسة ، وملكية رءوس أمواله . وكان بمثابة أداة لترسيخ التبعية الاقتصادية الكاملة لبريطانيا آنذاك .

وفي مقابل هذا النظام الربوي الخالص جرت محاولة إنشاء « نظام مختلط » يهدف أساساً إلى الاستثمار ودعم الاقتصاد ، فكان إنشاء بنك مصر عام ١٩٢٠ م ليعمل كشركة قابضة ، تسهم في إقامة المشروعات ، بجانب تقديم الخدمات المصرفية والتعامل في القروض « الربوية » عن طريق تحديد سعر « الفائدة » . وبمرور الوقت صدر من القوانين ما فصل بين هذه الشركات وبين البنك فصار هو الآخر يدار على نفس النمط « الربوي » المستورد ، وتوارى هدف الاستثمار . وسارت الأمور على هذا المنوال .. فأنشئت بنوك أخرى مصرية ، وأجنبية ، نشاطها الرئيسي هو التعامل في « الديون ».

لم يعد أحد من الخاصة أو العامة يجهل الحكم الشرعي لفوائد البنوك ، وما في أكثر المعاملات البنكية من (ربا) ، لكن الخطورة عين الخطورة أن أكثر الناس قد ألفوا النقص وعايشوه ، وأصبح أيسر الأمرين لديهم استقرار الخطأ ، وأصعبهما السير في طريق الإصلاح ابتغاء وجه الله .. وأصبح أكثر الناس تضيق صدورهم حرجا ويصمون آذانهم عندما يذكرهم أحد بحكم الله في معاملات البنوك التي أودعوا فيها أموالهم ويتقاضون عنها « فوائد » هي عين الربا .

حجتهم داحضة :

لقد حاول البعض ـ ولما يزل ـ يحاول إضفاء الشرعية على هذا الوضع الخاطيء الذي يستباح فيه ما نهي الله عنه ، بحجج متباينة وردت في وسائل النشر المختلفة ، وكلها لا تستند إلى الدليل الشرعي أو الحقيقة العلمية ، ويمكن الرد عليها إجمالاً فيمايلي : لقد أنزل الله تعالى شريعته هدى ونوراً ، وجاءت الآيات القرآنية دالة على وجوب اتباع ما أمر به الله والانتهاء عما نهى عنه قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (النساء / ٦٥) .

لذا فإنه لا يجوز التراضي أو الاتفاق بين الأفراد على مخالفة أحكام الله ، فشريعة الله حاكمة غير محكومة ، وهي تخاطب الإنسان من حيث هو إنسان على أي حال كان هذا الإنسان ، ودون نظر إلى الزمان أو المكان ؛ **فما لا يجوز**

التعامل به بين الأفراد ، غير جائز التعامل به بين الدولة وبين الأفراد ، فلا يجوز لأي طرف التعامل بالربا أو غيره من المحرمات ، لما في ذلك من أكل أموال الناس بالباطل ، وما كان حراما كان تنظيمه بأي لون أو شكل لا يجوز كما لا يجوز الإعلان عنه .

إن القول **بأن الشريعة الغراء صالحة لكل زمان ومكان لا يعني تغير أحكامها قطعية الثبوت وقطعية الدلالة كحرمة الربا** ، مهما كانت مسميات التعامل به .. وما أغلق الله تعالى باب مفسدة ، إلا وفتح ما هو أفضل منه وأكثر نفعا للناس ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ . ويقول ـ عز من قائل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ٢٨) .

إن التعامل في الديون ، والذي يشكل جل معاملات البنوك ، لا يسمى استثماراً بحال ؛ ولو قلنا ذلك لكنا كمن قال : « لا .. إنما البيع مثل الربا » ، ذلك لأن الاستثمار يعني إحداث التزاوج بين المال والجهد البشري بغرض إعمار الأرض وإحداث التقدم والتنمية في مجالات الزراعة والصناعة والخدمات وغيرها ، ولا يكون ذلك من خلال سلسلة من الاقتراض والإقراض ، ولكن من خلال الاستخدام المباشر للمال في العمل الإنتاجي ، فيتحمل كل من العامل وصاحب المال المخاطرة ويقتسمان العائد ، فلا يجوز الضمان المسبق ولو من جانب بنك حكومي ، فذلك يدفعنا إلى أن نتساءل : من أين أتت أموال الضمان هذه ؟ أليست من أموال الضرائب وموارد الدولة الأخرى ؟ .. وهل تجمع الضرائب وتحصل لتعطى ضماناً لأموال فئة المودعين بالبنوك دون باقي المواطنين ، والأصل في الضرائب أنها تجمع لسد النقص في موارد الدولة ، وإنفاق كل هذه الموارد في أوجه الإنفاق العامة كالتعليم والصحة والدفاع وما إليها ، **فيستفيد منها الفقير الذي لا يودع مالا بالبنوك ، والغني صاحب المشروع الخاص الذي يسهم في تنمية موارد الدولة .**

لقد ضاق بعض الكتاب بالفكر المفتوح الذي عالج قضية تعامل البنوك بالفائدة فلجأ إلى أسلوب غير نزيه إذ يقول : **إنه سياسة نقدية** كأنما يريد أن يصادر فكر الناس ، وكم من سياسة عولجت قضاياها فحصاً ودراسة دون أن تتدخل الدولة ، بل خطت الدولة ـ في النهاية ـ مع الحق حين تبين الحق ، ولم تضع (حرمة وضعية) لباطل والدولة ودينها الرسمي الإسلام لا يسعها إلا أن تكون تابعة لشريعة الله .

كذلك من يبرر التعامل البنكي « الربوي » بأن **البنوك المحلية تقوم بدور يرتبط « بالنظام الاقتصادي العالمي » المستقر ، قد فاته أن ما** يسمى « بالنظام الاقتصادي العالمي » قائم على المعاملات التجارية بين الدول « الرأسمالية » ودول « العالم الثالث » ، ومنح الأولى للثانية القروض والمعونات ، وربط عملات « الدول النامية » بالعملات « الحرة » للدول الرأسمالية ، وقد أصبح واضحاً فشل هذا النظام ، وعبر عن ذلك كل قادة العالم ، ومنظمة الأمم المتحدة نفسها ، فضلاً عن انه جر علينا من الأضرار في كل المجالات ما لا تحمد عقباه .. ومع ذلك فوجود نظام اقتصادي إسلامي مبرأ من الربا لن يحول دون التبادل التجاري الدولي ، لكنه يدفع إلى الاستغناء عن القروض بالربا الفاحش ، وعن المعونات (المشروطة). ولله در الإمام « محمد عبده » الذي قال مخاطباً الدول الأجنبية في لندن عام ١٨٨٤ م : « لا تحاولوا منحنا المزيد من

←

المعونات فقد آذتنا معوناتكم بالفعل إيذاء بالغاً » .. ولقد أعجب بعض كتاب العلاقات الاقتصادية الدولية بهذه العبارة فوضعها في صدر أحد فصول كتاب بعنوان : « الولايات المتحدة في الثمانينيات » .

« The United States in the 1980s »

وقد جاءت العبارة على رأس فصل بعنوان : « المعونات الخارجية والعالم الثالث » .

« Foreign Aid and the Third World » pp.559

ونص العبارة كما ورد بالانجليزية كمايلي :

« Do not attempt to do us any more good. Your good has done us too much harm already » (Sheik M.Abduh)

الآثار الاجتماعية للفوائد الربوية :

سبق أن عالجنا في مقالات سابقة[١] الآثار الاقتصادية المدمرة التي تسببها معاملات البنوك باستخدام سعر الفائدة ، من تقلبات اقتصادية حادة ، وتراجع لمعدلات الاستثمار والتنمية ، وإن الآثار الاجتماعية « للفوائد الربوية » لتفوق أضرارها الآثار الاقتصادية بكثير ..

ولا غرو فقد قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . . ﴾ (البقرة / ٢٧٥)... وياله من تصوير معجز !

فالتعامل بهذه الصورة يهدم الكثير من القيم والمثل العليا التي هي قوام المجتمع الإسلامي ويحيله إلى مجتمع فاقد الهوية ، لا معيار له يميز به الخبيث من الطيب ، ويفصل به بين الخير والشر ، ويقيس به كلا من العدل والظلم .

إن فى هذا المسلك محاباة لقيمة المال وإهداراً لقيم العمل والإخلاص والجدية والكفاح ، وفيه قضاء على السلوك الإنتاجي الذي يكون عادة محفوفاً بتحمل المخاطر والمصاعب والرغبة في إسعاد الآخرين . فما خلق الله الإنسان إلا ليعمر الأرض ويعبد الله .. وأي إعمار للأرض ، وأي عبادة هذه والأموال تجمع بغرض الإقراض « بالربا » ؟

إن فكرة « الفائدة المضمونة » ـ خاصة إذا ارتفعت وصحبها الركود[٢] ـ تؤدي إلى عزوف الكثيرين عن الاستثمار ، وتحولهم إلى طفيليين ، ينتظرون الكسب السهل فيتحول المجتمع إلى مجتمع مريض مليء بالمتعطلين عن العمل الذين تضمن لهم البنوك أرزاقهم ! .. حاش لله ..

إن الترويج لسعر « الفائدة الربوية » التي استقر في ضمير المسلمين أنها حرام ، والإعلان عنها في وسائل الإعلام ، في أبرز الأماكن ، وأهم الاوقات ، ليصيب المسلم الحق بحرج شديد يمس ضميره وقيمه ومثله العليا ، فضلاً عن أنه يفقده الثقة في وسائل الإعلام وفي كثير من قيم المجتمع التي كان من المفروض أن تحظى بقدر أكبر من الثقة في ظل الهوية الإسلامية للمجتمع .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى الآثار

البقية صـ ٢٦٦

(١) ذو الحجة ١٤٠٩هـ ـ المحرم ـ صفر ١٤١٠ هـ .

(٢) بلغ سعر الفائدة المعلن عنه ١٢ ٪ في الأجل القصير و ١٦ ٪ في الأجل المتوسط في حين بلغ معدل التضخم ٣٥ ٪ مع ركود السوق ، فأصبحت هناك ظاهرة تسمى بالركود التضخمي ، لا تجدي معها السياسات المالية القائمة على تحريك سعر الفائدة .

الطبرى

إمام المؤرخين

أ.د. عبد العزيز غنيم

مدخل :

شهد العالم الإسلامى فى القرنين الثانى والثالث الهجريين حركة فكرية انتظمت العلوم والفنون والثقافات العربية والأعجمية . وفى هذه الحركة المباركة نشأت العلوم وتمايزت وانفصل بعضها عن بعض ، وأصبح لكل علم أَوْبُهُ[1] الذى يجرى فيه ، وهدفه الذى يسعى إليه وَحَدُّهُ[2] الذى يبرز ملامحه ويبين خصائصه وقانونه الذى يضبط قضاياه ويحكم مسائله . ورجاله الذين يكرسون له الجهد ويحبسون عليه الوقت ، ويؤثرونه على ما فى هذه الدنيا من الزخارف والمتع ، وكان حظ التاريخ فى هذه الحركة أو فى هذه النهضة عظيماً . فقد جُمِعَتْ حوادثه ، واستُقْصِيَتْ جوانبه ، وانقطع له من المشاهير من تصدروا المجالس وترأسوا المحافل وانتهت إليهم الإمامة فى كل علم وفن .

والذى يتابع مسيرة التاريخ من الجاهلية حتى العصر الذى نكتب عنه يلاحظ أنه قد مر عبر مراحل شتى وأحوال متعددة .

ففى العصر الجاهلى لم يكن العرب يدونون التاريخ ، ولا كانوا يسجلون حوادثه ، وإنما كان يرويه منهم الخلف عن السلف والأبناء عن الآباء ، والسبب فى هذا هو أنهم كانوا أميين لا يقرءون ولا يكتبون . هذه واحدة .

والثانية هى : أنهم كانوا ذوى ذاكرة حادة ، وحافظة مشبوبة ، وكان ما يروونه أو يسمعونه لا يُمْحَى من ذاكرتهم إلا بعد أزمنة طويلة وأوقات مديدة .

وفى الإسلام نسج العرب على هذا المنوال نفسه . فكانوا يضمنون قصائدهم ما يصيبهم من الحوادث ويودعون أراجيزهم ما ينزل فى ساحتهم منها ، وكانوا يروون ما يشهدون وما يسمعون . وينقله بعضهم عن بعض لا يزيد فيه ولا ينقص منه . اللهم إلا النذر اليسير الذى لا يأتى عليه ولا يغض من سيمه . وكان حبهم للنبى - عليه الصلاة والسلام - وحرصهم على سنته وأحاديثه ، يحفزهم على حسن الاستماع منه والتلقى عنه والتحرى فى كل ما ينسب إليه .

←

(1) الأوب : الطريق .

(2) حده : ملامح شخصيته .

الطبري إمام المؤرخين

وبقى الحال على ذلك حتى اتسعت الفتوحات واشتدت الفتن . وظهرت الفرق المذهبية والسياسية ودخل فى الإسلام من لا وازع له ولا خلق ، وراح أصحاب البدع والأهواء يكذبون متعمدين على النبى - عليه الصلاة والسلام - وينسبون إليه وإلى أصحابه ما لم يقولوه ، هنا دعت الحاجة إلى تدوين السنن ، واقتضت الضرورة تسجيل الأحاديث . وكانت سيرة النبى - صلوات الله وسلامه عليه - ومغازيه هى أول ما دون من ذلك وأنت خبير بأن السيرة ، وإن كانت جزءا من الحديث ، إلا أنها من التاريخ أدنى وإليه أقرب .

ولهذا كان التاريخ أول ما دون من العلوم فى الإسلام وأول ما انفصل منها عن غيره ، وقد كان أهل الحجاز عامة وأهل المدينة منهم خاصة أول من ألف فى السيرة والمغازى . والسر فى هذا هو أن هذا الإقليم هو منزل الوحى ومشرق الرسالة وموطن النبى - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه - رضوان الله عليهم - ومجال حروبه وغزواته .

فلا غرابة والحال هذه أن يكون :
«أَبَانُ بن عثمان» ، و«عروة بن الزبير» أسبق أهل المدينة إلى التأليف فى السيرة .

وأحدهما ابن ذى النورين[٣] والثانى ابن حوارى[٤] النبى - عليه الصلاة والسلام - وابن عمته صفية[٥] بنت عبدالمطلب رضى الله عنها .

وبعد هذين الرائدين توالى التأليف فى هذا الجانب من التاريخ فظهر عبدالله بن أبى بكر بن حزم الأنصارى ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وأولهما من المدينة والثانى من مكة .

وبلغ هذا التأليف أشده واستوى على يدى محمد بن اسحاق وابن هشام وابن سعد والواقدى وغيرهم ممن بلغوا الغاية فى تسجيل سيرة النبى - عليه الصلاة والسلام - ومغازيه .

وفتحت الكتابة فى هذا الجانب الباب على مصراعيه أمام العلماء للكتابة فى التاريخ وظهر : سيف بن عمر وعمر بن شَبَّة وأبو مخنف وغيرهم ممن عشقوا التاريخ وآثروه على غيره ، وقد دفعهم إلى ذلك أمور منها :

هذه الحروب التى كانت بين المسلمين وبين غيرهم من الفرس والروم ، وتلك التى كانت بين بعضهم وبعض مثل معركة الجمل ومعركة صِفِّين والمعارك التى كانت بين الأمويين والخوارج وبينهم وبين الزبيريين والشيعة ، ورغبة الناس فى أن يعرفوا أخبار هذه الأحداث والآثار التى ترتبت عليها .

وثانيها : هذه البلاد المفتوحة ومعرفة ما فتح منها صلحا وما فتح عَنْوة لما يترتب على ذلك من الأحكام الشرعية .

وأخيراً-وليس آخراً - رغبة الخلفاء والوزراء وغيرهما من ذوى الحكم والسلطان فى معرفة أخبار الغابرين وأنباء السابقين من الملوك ومن دونهم من الحكام للاستفادة من تجاربهم ومعرفة الأسباب التى أعانتهم على سياسة أممهم وإدارة شئون شعوبهم . وقد بدأت الكتابة فى التاريخ باختيار (حَدَثٍ) أو أكثر وتدوينه وذلك مثل «وقعة الجمل» و«وقعة صِفِّين» و«وقعة الحَرَّة» وما إلى

(٣) عثمان بن عفان - رضى الله عنه .
(٤) الزبير بن العوام - رضى الله عنه .
(٥) هى الوحيدة من عمات رسول الله ﷺ - التى لم يختلف فى إسلامها - رضى الله عنها .

ذلك . وقد كان يطلق على المؤرخين فى هذه الفترة اسم «الأخباريين» ، لأن ما كانوا يدونونه قد كان أخبارا لا يتحرى أصحابها الصدق فيها غالباً ، وإنما كانوا يطلقون لأقلامهم العنان فى تصويرها وتدبيجها والتأثير على القارىء تبعا لمشرب المؤلف ونحلته التى ينتمي إليها . ولهذا فإن الخلاف قد كان على أشده بين المحدِّثين والمؤرخين . فالأولون يتحرون الصدق فى من ينقلون عنهم ولا كذلك المؤرخون ، والمحدِّثون يحرصون على إسناد كل قول إلى قائله وكل رواية إلى راويها . وكان من المؤرخين من لا يلتزم ذلك ومنهم من كان يجمع الأسانيد جمعاً ويردفها الروايات من غير نسبة كل قول إلى قائله .

وصفوة القول ، أن التأليف فى التاريخ قبل الطبرى قد كان حول أحداث خاصة أو أشخاص بأعيانهم . أما التاريخ العام من لدن آدم حتى زمن المؤلِّف فإن هذا الميدان لم يَخُضْه أحد قبل ابن جرير ، وعلى هذا الأساس فإننا نستطيع أن نقطع بأنه كان «الرائد الأول» لكتاب التاريخ العام ، وأن كتابه «تاريخ الرسل والملوك» أو «تاريخ الأمم والملوك» قد كان ولا يزال هو الإمام فى هذا الجانب من جوانب هذا العلم أو هذا الفن .

ولكى نعطى القارىء صورة عن هذا الكتاب فلابد أن نقول كلمة موجزة حول حياة الرجل. ثم نلقى عليه من الأضواء ما يعطى القارىء صورة تتناسب وحجم هذا البحث القصير . وإليك نبذة موجزة عن نشأة هذا المؤرخ الجليل ، وعن كتابه الذى حوى ما قبله من الكتب وتتلمذ عليه واستقى منه ما جاء بعده من المؤلفات المختلفة فى المغازى والتاريخ .

الطبـــــرى :

فى العام الرابع والعشرين[٦] بعد المائتين من هجرة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو فى العام الذى يليه ، ولد إمام المفسرين وشيخ المؤرخين وعمدة الفقهاء والقراء : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى .

فكانت ولادته ونشأته فى مدينة (آمل) حاضرة (طبرستان) وقصبة العلم والمعرفة فيها ؛ ولأن أباه جرير بن يزيد ، قد كان أحد أثرياء هذه المدينة وأصحاب العلم والفضل من أبنائها فقد نشأ محمد نشأة صالحة على يدى أبيه أولا . ثم على أيدى العلماء والفضلاء ممن اختارهم له .

ويظهر أن الصبى قد كان محببا إلى والده وكانت له منزلة خاصة فى فؤاده . والدليل على هذا ما رواه عنه قال : رأى[٧] أبى فى منامه أننى بين يدى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأن فى يدى مخلاة فيها حجارة . فأنا أرمى منها يمينا وشمالا . فسأل المعبرين فقالوا : إن يعش هذا الصبى ينصح فى دينه وينفح عن عقيدته .

وسبب ما كان يشد الصبى إلى أبيه ويوثق الوشائج والروابط بينه وبينه هو صفاء فكره ونقاء عقله وذكاؤه المتوقد وعزمه المتوثب . يقول الصبى عن نفسه حفظت[٨] القرآن وأنا ابن سبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثمان ورويت الحديث وأنا ابن تسع . وهذه مزايا قل أن تجتمع لصبى فى مثل سنه ، ومن أجل ذلك وهبه أبوه للعلم ووفر له وسائله وأسبابه فأعطاه قرية[٩] كان يملكها فى طبرستان ، فكانت تأتيه

(٦) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٠ ، الأعلام للزركلى جـ ٦ ص ٢٩٤ .

(٧) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٩ .

(٨) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٤٩ .

(٩) البداية والنهاية ـ لابن كثير ص ١١ ص ١٤٦ .

غلتها فى حياة أبيه وبعد وفاته ، فانقطع لطلب العلم وفرغ لتحصيل المعرفة . وكان قانعا فلم تتعطش نفسه لجوائز الخلفاء والأمراء ولم تمتد عينه إلى ما فى هذه الحياة من الغنى والثراء وآثر الحياة المتوسطة بين الكتب والتلاميذ على العيش الهانىء والحياة الراضية فى كنف السلطان وبين خاصته وأعوانه .

ولم يقنع ابن جرير بما حَصَّل فى (آمل) فخرج إلى البلاد المجاورة لها يطلب المزيد ممن يتوسم فيهم الفضل ويرجو عندهم المعرفة . وكان نهما لا يشبع من التحصيل ولا يتعب من القراءة والكتابة والاستذكار . تحدث عن حياته فى الرى فقال : كنا نكتب[١٠] عن (محمد بن حميد الرازى) فيخرج إلينا فى الليل مرات ويسألنا عما كتبناه ويقرؤه علينا وكنا نمضى إلى (أحمد بن حماد الدولابى) وكان فى قرية من قرى (الرِّى) بينها وبين الرِّى قطعة . ثم نعدو كالمجانين حتى نصير إلى (ابن حميد) فنلحق مجلسه .

وجاء فى معجم الأدباء[١١] وغيره أن ما كتبه ابن جرير عن (ابن حميد) وحده يزيد على مائة ألف حديث ومع كثرة ما أخذ عن علماء طبرستان وما حولها فإنه لم يقنع بما تلقى ولم يكتف بما سمع وكتب ، وأعد العدة للرحلة ، شأنه فى هذا شأن غيره من نبغاء عصره وعباقرة زمانه ويمم وجهه شطر مدينة (السلام)[١٢] ويظهر أنه كان يقصد مجلس (الإمام أحمد بن حنبل) ليستمع إليه ويأخذ الحديث عنه ، ولهذا فإنه لم يكد يتلقى نبأ وفاته حتى عدل عن الإقامة فى هذه المدينة ، وولى وجهه شطر البصرة[١٣] وفيها جلس إلى (محمد بن موسى الحرشى) و(عماد بن موسى القزاز) وغيرهما ممن بقى على قيد الحياة ممن انتهى إليهم العلم ووضعوا أيديهم على كنوز المعرفة .

ولما أخذ من هؤلاء الفحول ما كان يبغى واصل الرحلة إلى الكوفة . فكتب عن (هناد بن السرى) و(إسماعيل بن موسى) وكان (أبو كريب) شرس الخلق غليظ الطبع لا يكاد يشهد لأحد غير انه كان إمام أهل الحديث فى هذه المدينة . قال أبو جعفر[١٤] : حضرت باب دار أبى كريب مع أصحاب الحديث فاطلع من باب خوخة له والقوم يلتمسون الدخول ويضجون فقال : أيكم يحفظ ما كتب عنى ؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ثم نظروا إلىَّ وقالوا : أنت تحفظ ما كتبت عنه ، قلت نعم . فقالوا : هذا فسله . فقلت : حدثتنا فى كذا بكذا وفى يوم كذا بكذا . فأخذ (أبو كريب) فى مسألتى إلى أن عظمت فى نفسه . فقال لى : ادخل إلىَّ فدخلت إليه وعرفت قدره على حداثتى ومكننى من حديثه . وقال الناس : إنه قد روى عن أبى كريب وحده مائة ألف حديث .

وغادر (ابن جرير) الكوفة إلى مدينة السلام مرة ثانية ، فجلس إلى من فيها من الفقهاء والقراء والمحدثين واتجهت همته إلى مصر وكانت يومئذ مجمع الأدباء والشعراء والفقهاء من أصحاب الشافعى ومالك بن أنس وغيرهما ممن تشد إليهم الركاب وتهون فى سبيل التلقى عنهم العوائق والصعاب ، وقبل أن تطأ أقدام ابن جرير ثَرَى مصر عَرَّج على أجناد الشام وثغورها

(١٠) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٩ ـ ٥٠ .
(١١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٠ .
(١٢) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٥٠ .
(١٣) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٥٠ .
(١٤) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٥١ .

وسمع وقرأ على علمائها وفضلائها .

وفى السنة الثالثة والخمسين[15] بعد المائتين دخل ابن جرير مدينة الفسطاط غير أنه لم يلبث بها إلا يسيرا ثم غادرها إلى الشام وفى السنة السادسة والخمسين[16] بعد المائتين عاد إلى مصر مرة ثانية ونزل على (الربيع بن سليمان)[17] فاستأجر له داراً قريبة منه وكانت شهرة الرجل قد سبقته فلم يبق أحد من أدباء مصر وعلمائها إلا لقيه وامتحنه وأكبر ما لديه من الحكمة والمعرفة ، وعلى رأس هؤلاء جميعا (أبو الحسن على بن السراج) و(أبو إبراهيم : إسماعيل بن إبراهيم المازنى) وقد امتحن الأول ابن جرير فى كل شىء حتى شعر الطرماح[18] الذى أملاه عليه ابن جرير وكان الرجل يطرى علم الطبرى ويثنى على فهمه وحفظه ، وحاور المازنى ابن جرير وناظره ولم يستطع الثبات أمام قوة حجته وسلامة منطقه . وقد تسأل : لماذا لم يطُل الطبرى المقام فى مصر حين أتاها فى العام الثالث والخمسين بعد المائتين ؟ والجواب : أن ظروفه فيها لم تكن كما كان يحب ، والدليل على هذا ما جاء فى تاريخ بغداد . قال أبو العباس البكرى من ولد أبى بكر الصديق : جمعت[19] الرحلة بين (محمد بن جرير) و(محمد بن إسحاق بن خزيمة) و(محمد بن نصر المروزى) و(محمد بن هارون الرويانى) فى مصر ، فأرملوا* ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، واضر بهم الجوع فاجتمعوا ليلة فى منزل كانوا يأوون إليه فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة . فقال لأصحابه : أمهلونى حتى أتوضأ وأصلى صلاةالخيرة ! قال : فاندفع فى الصلاة فإذا هم بالشموع وخصى من قبل والى مصر يدق الباب ، ففتحوا له فنزل عن دابته وسأل عنهم رجلا رجلا كل باسمه ودفع إلى كل واحد منهم كيسا فيه خمسون دينارا وقال : إن الأمير كان قائلا بالأمس فرأى فى المنام خيالا . قال : إن المحامد طووا كشحهم جياعا فأنفذ إليكم هذه الصرر ، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلىَّ أمدكم .

ولا جدال فى دلالة هذه القصة على الضيق الذى كان يعيش فيه ابن جرير ورفاقه فى مصر عندما زارها لأول مرة وسواء أصح هذا التعليل أو لم يصح فإن ابن جرير قد أقام فى مصر ما شاء الله أن يقيم ثم غادرها إلى بغداد[20] حيث قضى المدة الباقية له فى عمره . وكان قبل أن يتوجه إليها قد أتى طبرستان وأقام بين ربوعها ردحاً من الزمن لم يحدده الرواة .

وفى عشية الأحد[21] ليومين بقيا من شوال من السنة العاشرة بعد الثلاثمائة من هجرة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فاضت روح هذا الإمام إلى الرفيق الأعلى حيث الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ووُورِى التراب فى داره فى (رحبة يعقوب) حيث كان يلقى تلاميذه ، ويملى كتبه ، ويفيض على مريديه مما آتاه الله من العلم والفقه ، وقد اختلف الرواة فى دفنه أكان فى الليل

←

(15) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٥٢ .
(16) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٥٥ .
(17) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٥ .
(18) ابن النديم (الفهرست) ص ٣٢٧ .
(19) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٤ ، ١٦٥ .
(20) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٧ .
* أرْمَلَ الرجل نَفَدَ زاده وافتقر .
(21) وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٣٣٢ .

الطبري إمام المؤرخين

أم فى النهار[٢٢] فاختار فريق منهم الاتجاه الأول ، وقالوا : إن السبب فى ذلك هو أن الحنابلة قد شغبوا عليه واتهموه فى دينه[٢٣] ومنعوا من خروج جنازته ، واختار الفريق الآخر الاتجاه الثانى . وقالوا : إن من صلى عليه من المسلمين قد كانوا لا يحصون كثرة وسواء أصح هذا الوجه أم أن الوجه الثانى قد كان هو الصحيح فإن الألوف من الناس قد ظلوا أشهراً يتدفقون على دار ابن جرير ويصلون عليه ويستغفرون الله له .

ثقافته :

وقد أجمع الرواة أو كادوا يجمعون على أن ابن جرير قد احتوى علوم عصره وجمع معارف زمنه وأوتى من العلم ما لم يُتح لغيره مثله ، كان مفسراً ومحدثاً وكان فقيهاً وقارئاً وكان على معرفة تامة بالرياضة والحساب والجبر والمنطق والعروض والشعر والطب والتاريخ والمغازى والأيام وما شئت فقل من الثقافات التى عرفها الإنسان فى عصره وقبل عصره ، وليس معنى هذا أن الرجل قد كانت لديه أَثَارَةٌ من كل علم من هذه العلوم وكل جانب من هذه المعارف وإنما كان متخصصا فيها جميعا ، قال[٢٤] عبدالعزيز بن محمد فى شهادته له :

«وكان أبو جعفر قد نظر فى المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفى الطب . وأخذ منه قسطاً وافراً يدل عليه كلامه فى الوصايا ، وكان عازفاً عن الدنيا تاركا لها ولأهلها يرفع نفسه عن التماسها ، وكان كالقارىء الذى لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذى لا يعرف إلا الحديث وكالفقيه الذى لا يعرف إلا الفقه ، وكالنحوى الذى لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الذى لا يعرف إلا الحساب وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم ، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها»

وليس عبدالعزيز هذا وحده هو الذى شهد لابن جرير وإنما شهد له أكثر أئمة عصره ومنهم على سبيل المثال : أبو العباس[٢٥] وأبو بكر بن كامل[٢٦] .

يتبـــــع

---

(٢٢) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٠ ، تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٦ .

(٢٣) البداية والنهاية ـ لابن كثير جـ ١١ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢٤) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٦٠ .

(٢٥) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٦٠ .

(٢٦) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٧٥ .

الفتاوى

إعداد: على حامد عبد الرحيم

الوصية الواجبة

س ١ : أليس قانون الوصية الواجبة مخالفا لنص القرآن الكريم الذى قال فيه عز وجل : ﴿ مَافَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ﴾ وذلك بتوريث غير الورثة ؟

عامر محمد عبد الوهاب

مدرس مواد اجتماعية - الزقازيق

جـ ١ : ليس هناك مخالفة لكتاب الله عز وجل ، فهو القائل فى سورة البقرة ١٨٠ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ومعنى كتب (فرض) - وحقا . أى (ثابتا) . وهذا التعبير يدل على الوجوب والإلزام ، والآية تدل بمنطوقها على وجوب الوصية للقريب مطلقا وترك العمل بها فى القريب الوارث عملا بقوله تبارك وتعالى فى آيات المواريث :﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ .. ﴾ ١١ ،١٢ النساء .

وبحديث الرسول ﷺ .. لاوصية لوارث .

فكانت آية ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ : نصا فى القريب غير الوارث ، وكان من حق ولى الأمر أن يحدد الاقربين . بأولاد الأولاد الذين مات مورثهم قبل أصله - وأن يأمر بإعطائهم نصيب مورثهم فى الميراث لو كان حيا - فى حدود الثلث .

فمن مات وله مال - ولم يوص لفرع ولده المتوفى فى حياته - فيعطى هذا الفرع نصيب الأب أو الام - كما لو كان كل منهما حيا - بما لايتجاوز ثلث التركة . وصية واجبة - والله أعلم

حكم تعليق الصور

س ٢ : لقد انتشرت عادة تعليق الصور فى المساجد فما حكم ذلك ؟

جابر محمود صبيح

جـ ٢ : تعليق الصور فى المساجد يعد من المكروهات لأنه يشغل المصلى عن الخشوع والتفكير فى عظمة الله عز وجل .

والحديث الوارد فى النهى عن التصوير خبر آحاد وخبر الآحاد - عند الحنفية - لايثبت به التحريم ، وإنما يثبت بالنص الصريح القاطع .

غير أن الفقهاء اجتهدوا فحرموا المجسم منها إذا كان كامل الأعضاء .

فى الميراث والوصية

س ٣ : توفيت سيدة عام ١٩٨٩ عن ابنين - وابنتين - وأولاد ابن وأوصت لأولاد الابن بجزء من المال قبل وفاتها ، وكذلك أوصت بالذهب

←

الفتـاوى

للبنتين والحفيدة فما الحكم ؟ وما حكم جهاز الشقة ؟

ع القاهرة

جـ ٣ :إن فى تركة المتوفاة وصية واجبة لأولاد الابن ، بمقدار ماكان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة وقت وفاة المورث فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول اغسطس عام ١٩٤٦ بشرط الا تكون الجدة قد أعطت أولاد الابن من مالها حال حياتها مايعادل قيمة الوصية بدون عوض فتقسم التركة ثمانية أجزاء ، جزءان منها وصية واجبة لأولاد الابن تنقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، فإن كانت قد أوصت لهم بما يعادل الوصية فلاشىء لهم بعد ذلك ، وإن نقص تكمل الوصية ، والباقى ستة أجزاء ، للابنين والبنتين الأحياء تعصيبا للذكر ضعف الأنثى وجهاز الشقة يضم إلى التركة ويقسم معها .

وماأوصت به من ذهب يعتبر وصية اختيارية ، والوصية الواجبة مقدمة عليها ـ وحيث إن الوصية الواجبة أقل من الثلث فإن كان الذهب يكمل الثلث فهى صحيحة ، وإن كان يزيد فهو متوقف على إجازة الورثة . والله أعلم

حكم طبع الصور على الأقمشة

س ٤ : ارجو التكرم بإفادتى عن موضوعى هذا :

أمتلك مطبعة للملابس الجاهزة والأقمشة . فهل يجوز طباعة رسومات تمثل أجزاء من الإنسان أو الحيوان أو الطيور . وهى صور غير كاملة .

أو رسومات تمثل عصر الفراعنة كجسم إنسان ورأس حمار أوجسم أسد ورأس إنسان كأبى الهول وما حكم الدين فى ذلك ؟

محمد . ع .م ـ القاهرة

جـ ٤ : أكثر الفقهاء على أنه يجوز تصوير أو رسم الصور غير الحيوانية ـ كما يجوز رسم أجزاء من الصور الحيوانية . فإن كانت كاملة كره ذلك . أما التماثيل المجسمة فأكثر العلماء على انها محرمة إذا كانت كاملة بحيث لو نفخت الروح فيها لعاشت . أما إذا كانت لاتعيش إذا نفخت فيها الروح ، لأن بها خرقا فى البطن أو الظهر أو الراس ، فإنها تكون غير محرمة . والله أعلم .

خلاف العلماء فى سنة الجمعة وختم الصلاة

س ٥ : كثيرا مايحدث خلاف بين أهل قريتى فى صلاة الجمعة من حيث الأذان والسنة القبلية وقراءة القرآن قبل الصلاة وختم الصلاة . ولاندرى بأى الآراء نعمل ؟

عيسى عبد القادر اسيوط

جـ ٥ : إن فى هذا خلافا فى وجهة النظر فى الفروع الفقهية ، وقد تحدث عنه أئمة الفقه من عدة قرون خلت ، ولكل وجهة هو موليها ولو كانت وجهة النظر واحدة ماكان هناك خلاف . فأنت حر فيما تختار من الآراء الفقهية التى لاتعدو ـ فى صلاة الجمعة ـ أن تكون فى المندوبات والمكروهات لافى الواجبات والمحرمات ، ولاينبغى أن يكون الخلاف فى الفروع الفقهية مؤديا إلى الحزبية المقوتة ، فالإسلام لايحب التعصب ، والأئمة ـ رضوان الله عليهم ـ كان يحترم بعضهم بعضا ، ومنهم من كان تلميذا للآخر ، وقد اثر عن كثير منهم قوله : رايى صواب يحتمل

البقية صـ ٣٠٧

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

في روضة المصطفى

العلوية

في روضة المصطفى

شعر: إسماعيل يحيى

ياسيدى زاد الجوى عن طاقتى   وسريرتى اشفَتْ على الإعلانِ
فسعيت والأشواقُ تسبق خافقى   واخذت بينَ العاشقينَ مكانى
ووقفتُ بينَ مصدقٍ ومكذبٍ   وكاننى فى غفوةِ الوسنانِ
علَّلتُ نفساً ما يزال حنينُها   متلهفا والأمنياتُ دوانِ
حتى إذا جاء النسيمُ معطرا   من روضةٍ فوَّاحةِ الأفنانِ
ايقنتُ انَّ القلبَ نال مرامَهُ   فانجاب عنه غيهبُ الأحزانِ
إنى إذا هتف اللسانُ بذكركم   عزف الفؤادُ روائعَ الألحانِ
لولاكَ ما نَسَجَ المدادُ قصائدى   لولاكَ ماخطَّ اليراعُ بيانى
يامنْ هَدَيتَ الحائرينَ دروبَهمْ   فى رحمةٍ وتجردٍ وتفانِ
غسلتْ صدورُ المرسلينَ بِقومهم   ودَعَوْتَنَا باللينِ والإحسانِ
لم يثنك الشرُّ العتيدُ ولا الأذى   مهما بدا للشرّ من اعوانِ
حمَّلتَ نفسكَ ما ينوء بحملهِ   عزمُ الدعاةِ وطاقةُ الإنسانِ
فلكم عصاك المشركونَ سفاهةً   وتقولوا بالإفكِ والبُهتانِ
قالوا ـ نَظنُّكَ ساحرا أو شاعرا   او كاهنا من سائر الكُهَّانِ
هل يَسْمَعُ الصُّمُّ الدعاء ليهتدوا ؟   هل يَسمَعُ الأمواتُ فى الأكفانِ ؟
لَمْ تُلْقِ بالاً للذين تعنَّتوا   ورحِلتَ فى نفرٍ مِنَ الإخوانِ
آخيت بينَ مهاجرٍ ومناصرٍ   إنَّ الإخاء دُعَامةُ البنيانِ
فبرحمةٍ الَّفتَ بينَ قلوبهمْ   لابالكنوز وصولة السلطانِ
ومضيت ترسى للحياةِ قواعداً   قامت على القسطاس والميزانِ
اين الأكاسرُ والقياصِرُ والأولى   ظنوا الحصونَ منيعةَ الجدرانِ
إنَّ الذى وهب الوجود محمدا   نوراً يضىء مسالكَ الحيرانِ
لا يرتضى للناسِ إلا دينه   دينٌ اتمَّ رسالة الأديانِ

العَلَوِيّة

للدكتور: حلمى محمد القاعود

« علوية محمد عبد المطلب » من القصائد الإسلامية الطوال التى ألقيت بالجامعة المصرية ، مَثَلُها فى ذلك مَثَلُ « العمرية » لحافظ ابراهيم ، و « البكرية » لعبد الحليم المصري ، وهي فى الترتيب تاتي بعدهما ، فقد ألقيت في يوم الجمعة ١٤ من صفر ١٣٣٨ هجرية ، الموافق ٧ من نوفمبر ١٩١٩ م ، بينما ألقيت العمرية والبكرية فى عام ١٩١٨ م .

وقد نشرت « العلوية » فى كتيب منفصل ، بمقدمة للسيد « محمد الغنيمي التفتازاني » ـ شيخ السادة الغنيمية الخلوتية ـ وقد قام بشرح « غريبها » وبيان معانيها[1] ، كما نُشرت ضمن ديوانه الذى قام بنشره وتحقيقه إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي[2] .

ويلاحظ أن « العلوية » لقيت اهتماماً كبيراً عند إلقائها ونشرها ، وكانت لها أبعاد زمنية وعَقَديَّة ، فقد حضر إنشاد « العلوية » في الجامعة المصرية نفر من كبار الشعراء ووجوه المجتمع آنئذ ، الذين اهتموا بشاعرها وأنفقوا على طبعها وإقامة الاحتفال بها ، وكان على رأسهم شيخ الشعراء : « اسماعيل صبري باشا » والسيد « أبوبكر راتب بك » ، وشيخ العرب « عبد الستار الباسل بك » ، وجناب « ميرزا مهدي محمد رفيع مشكي بك » .. وكان واضحاً لدى الناس فى ذلك الحين أن هذا الجمع يعبر عن توجه واحد ، يتحرك باسم الوحدة الإسلامية من خلال فكرة الجامعة الاسلامية التى يلتقي عندها المسلمون طارحين جانباً كل خلاف قومي أو مذهبي أو عنصري ولا ريب أن الأخطار التى أحدقت بدولة الخلافة يومئذ كانت من وراء هذه الفكرة ، وتلك اللقاءات . يقول التفتازاني فى تقديم « العلوية » : « .. وإن في جمع كهذا ضم إليه الشريف الجليل ، والعربي الباسل ، والإيراني النبيل ، دليلاً بيناً على أن مايرقى به أهل ملتنا البيضاء والشقاق المذهبي لا أثر له ولا وجود ، فلا سنّي ولا شيعي ،

←

(١) طبعت بمطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر (القاهرة) ، سنة ١٣٣٨ هـ = ١٩١٩ م . وقد أعدت نشرها مع المقدمة بعد ضبطها فى القسم الثانى من هذا البحث .

(٢) ط ١ ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، د . ت . والقصيدة على صفحات ٢٣٠ : ٢٥٠ .

العلــوية ..

ولا علوي ولا عمري ، كلّ أهلُ قبلة واحدة ، على ملة واحدة ، يدينون بدين نبي واحد ـ صلى الله عليه وآله والنجوم الزهر من صحبه ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين »[٣] .

و« محمد عبد المطلب »[٤] من شعراء عصر النهضة المرموقين الذين أحدثوا أثراً واضحاً فى حركة الشعر العربى الحديث ، بالإيجاب أو السلب ، وكانت قصيدته « العلوية » عنصراً من عناصر إثارة الحركة الشعرية بما أحدثته من رد فعل بعد إنشادها ، وسوف نشير بعد قليل إلى أهم صدى تمثل فيما كتبه العقاد حولها .. لقد انطلق « محمد عبد المطلب » من رؤية إسلامية فيما أنشد ونظم ، وكانت هذه الرؤية دافعة إلى البحث عن الأصالة التعبيرية ، فرآها فى الصياغة العربية الصميمة والصافية ، كما يفهمها أهل البادية فى الجزيرة العربية ، فأغرق فى التأسى بالبدو ، أو بمعنى آخر تبدى فى تعبيره .. بيد أن .. رؤيته الإسلامية ، كانت وراء شعره بصفة عامة ، تظهر بجلاء فى كل قصائده ، وتصبغ كل أبياته بروح الإسلام .. وقد توقف عن إكمال إحدى قصائده عندما اكتشف أن موضوع القصيدة لن يكون لصالح الإسلام ، فقد بدأ فى نظم قصيدة يشيد فيها بانتصار الترك على اليونان فى « سقاريا » ، قال فيها :

هـذا مقامـك شـاعـر الإسـلام
فقف بالقريض على أجل مقام
عـادت صوارمنـا إلى أغمادها
من بعد ماظفرت بخير مـايرام
هذا الحنيف يسير تحت ظلالها
فخم الجـلالة سـامى الأعـلام
ضحك الهلال لها الغداة وربما
أجـرى مدامعـه شئـون غمـام
قف بالهلال على السنام من العلا
فمكـانـه منهـا بكـل سنـام
وقف الأسنـة والصوارم تحتـه
ظمـأى وكـل مقـذف مـرزأم

وقد توقف عند البيت الأخير ، عندما علم بالاتجاه الحقيقى لقادة « تركيا » من الأتراك الكماليين ، وموقفهم من الإسلام .. يقول محمد عبد المطلب : وكان السبب فى وقوفى « أى عن اكمال القصيدة » جمود ا القريحة فجأة إذ فاجأتنا أخبار انحراف أولئك النفر .. [٥] .

ولعبد المطلب مطولة أخرى شهيرة هى « ظل البردة » وقد دخل بها مجال التقليد والمنافسة مع البارودى وشوقى وغيرهما ممن قلدوا البردة واستعرضوا قدراتهم الفنية فى مجال احتذائها ، وكان له فى « ظل البردة » طابعه وخصائصه التى سيظهر لنا بعضها عند تناول العلوية . يقول فى مطلعها :

أغرى بك الشوق بعد الشيب والهرم
سار طوى البيد من نجد إلى الهرم
ياساري الطيف يجتاب الظلام إلى
جفن مع النجم لم يهدأ ولم ينم

(٣) علوية عبد المطلب : ص ٣ .

(٤) محمد عبد المطلب (١٢٨٨ ـ ١٣٥٠ / ١٨٧١ ـ ١٩٣١ م) ، ولد فى باصونة إحدى قرى جرجا بالوجه القبلى بمصر ـ نشأ بها ، وتعلم فى الأزهر ودار العلوم ، واشتغل بالتدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية ومدرسة القضاء الشرعى ودار العلوم وقسم التخصص باللغة العربية بالأزهر .. وكان عضوا بجمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وجمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الهداية الإسلامية ، شارك فى الحركة الوطنية . وله : تاريخ أدب اللغة العربية (ثلاثة أجزاء) ، كتاب الجولتين فى آداب الدولتين الأموية والعباسية ، إعجاز القرآن ، رواية الزباء ، وتوفى بالقاهرة . (الأعلام للزركلى ٧ / ١٢٥ ، معجم المؤلفين : ١٠ / ٢٥٣) .

(٥) ديوان محمد عبد المطلب (تحقيق الابيارى وشلبى) ، ص ٢٥٣ .

يغريه بالدمع حَادٍ بات مرتجزاً
يحدو المطي لأجراع بذى سلم
إذا خفا البرق أذكى فى جوانبه
ناراً تؤججها الذكرى بلا ضرم
يابرق مالك لا تحكي جوى كبدي
إذا تألقت ليلاً فى نديهم
ياصبا رَوِّحِى فقد ذهبت
بها النوى بعد عهدّ البان والعلم
ياساكني البان طال البين في غِيَرِ
أربت على الصبر فاستعصى على الهمم

واستأسدت نُوَبُ الأيام فاجترات
بنات آوى على الأشبال فى الأجم..(٦)

وقد جاءت « العلوية » معارضة « للعمرية » و « البكرية » ، ولا أظن أن اختيار شخصية « على بن أبي طالب » له صلة بالتشيع المذهبي لآل البيت ، فعبد المطلب محب لهم ، كما المصريين جميعاً ، ولكنهم لا يتشيعون مذهبياً أو سياسياً .. صحيح أن عبد المطلب كان يرفع في مصر لواء العروبة باعتباره من عرب « جهينة » ، ولكنه كان يرفعها باعتبارها تعبيرا عن الصفاء الروحي الذى يمثل الإسلام فى مرحلته الأولى الظافرة والذهبية ، حيث كان المسلمون يلتقون على قلب واحد ، ولعل هذا ماجعله من أنصار فكرة الجامعة الإسلامية التى يتوحد عندها جميع المسلمين دون اعتبار لعناصرهم أو قومياتهم أو مذاهبهم .. وقد رأينا تطبيقاً لذلك في حفل إنشاد العلوية » بالجامعة المصرية ، حيث شاركت فيه جنسيات ومذاهب مختلفة : المصري ، العربي ، الإيراني ..

وعلى غرار العمرية والبكرية ؛ فقد قسم عبد المطلب العلوية إلى مجموعة من الأقسام التى يتناول في كل منها مرحلة من مراحل حياة الإمام .. وتشمل مقدمة ،ثم « صبا » علي و « إسلامه » ، واستخلافه ليلة الهجرة ، ودوره فى المدينة ، ومعركة أحد ، والخندق ، وخيبر ، وقتله مرحب بن متسية ، وزعامته في المواطن وحديث عنه في السلم يشير فيه إلى قلبه ونفسه ووجهه ووجوده وقيامه الليل ، ثم يتوقف عند مقتل عثمان ودور على فى الدفاع عنه ،واختلاف المسلمين فى الخلافة بعده ، ثم يركز طويتها على الصراع الذى أودى بعلى ، وبخاصة عند معركة صفين وملابساتها ..

وإذا كانت العمرية والبكرية أقرب إلى التماسك ، ويظهر فيهما ما يسمى « بحسن التخلص » فإن العلوية ، جاءت أقرب إلى التفكك وعدم الانسجام ، بالرغم من أن موضوعها هو شخصية « علي بن أبي طالب » رضى الله عنه .. فلم يستطع الشاعر أن يرتب ملامح الشخصية بحيث يلتزم فيها التزاماً تاريخياً ، أو فنياً يشكل كياناً متكاملاً ومتناسقاً ، ولكنه فيما يبدو كانت تعنيه بعض القضايا فى حياة علي ، فجمعها إلى بعضها دون أن يُعَنِّيَ نفسه بتحقيق التناغم فيما بينها .. وإن كان هذا لا ينفي أنه توقف عند قضايا مهمة وأساسية فى شخصية الإمام .

ويلاحظ أن « حافظ ابراهيم » فى « العمرية » ، وعبد الحليم المصري فى « البكرية » ، وكذلك « البارودي » و « شوقي فى احتذاء البردة ، كانت عيونهم ـ بالدرجة الأولى ـ على الواقع الذى تعيشه الأمة ؛ فتحولت لديهم شخصيات النبي ﷺ ، وأبي بَكر ، وعمر ، إلى طوق للنجاة يبحث عنه الشاعر ، أو قناع يتحدث من ورائه عن هموم الأمة وآلامها ، وآمالها وتطلعاتها .. أما عبد المطلب ، فكانت عيناه

(٦) السابق ، ص ٢٥٧ .

- بالدرجة الأولى - على مايسمى بتقليد المحدثين أو التجديد في مطلع القصيدة - من وجهة نظره - ثم جلاء تاريخ على بن أبي طالب والدفاع عن مواقفه ضد أعدائه والمتخاذلين عنه .. وهكذا لم تجد العلوية صدى فكرياً أو سياسياً ، بقدر ماوجدت صداها في قضية التجديد الشعري ، أو مايسمى بالتقليد والابتكار .. ولاسيما أن مدرسة « الديوان » آنئذ ، كانت تقود عملية التحديث وفقاً لمفهوم جديد نشأ عن الاحتكاك بنظريات غربية حديثة .. وكان الصراع على أشده بين المحافظين والمجددين ..

(٢)

كان مطلع « العلوية » مثار عملية الاهتمام الشعري بها .. وكانت عادة المطالع التقليدية أن يذكر الشاعر راحلته سواء كانت ناقة أو فرساً ، ولكن « عبد المطلب » أراد أن يكون « عصرياً » و « مجدداً » ، فلم يذكر الناقة والفرس ، وإنما ذكر « الطيارة » باعتبارها اختراعاً حديثاً يتناسب مع الشعر الجديد .. وأخذ يصف حركتها في الجو ، ويقارن بينها وبين النياق ، وقطارات البخار ، ويطلب « طائرة » ذات أجنحة لعله يلقى بها على السحاب الإمام على بن أبي طالب ، يقول :

أرى ابن الأرض أصغرها مقاماً
فهل جعل النجوم بها مراما
زهاه رونق الخضراء لما
تلفت في مجرتها وشاما
على بنت الهواء كأن طيفاً
يشق الجو يقطعه لماما
إذا ماهَزَّمت في الجو خلنا
جبال النجم تنهد انهداما
وإن زجر الرياح جرت رخاء
وولت حيث يأمرها الزماما
يُسِفُّ على الثرى طوراً وطوراً
تراه على الذرا شق الغماما
أجدك ما النياق وما سراها
تخوض بها المهامه والأكاما
وما قُطُرُ البخار إذا استقلت
بها النيران تضطرم اضطراما
فهب لى ذات أجنحة لعلي
بها ألقى على السحب الإماما
إمام بنى الهدى وهو ابن تسع
وأول مسلم صلى وصاما ...

لقد أثارت هذه المقدمة الأستاذ العقاد ، باعتباره واحداً من كبار المجددين في زمانه ، وواحداً من مدرسة الديوان التى نادت أن يكون الشعر تعبيراً عن الحس والعاطفة والشعور ، وليس وصفاً خارجياً للأشياء ، فعقد العقاد فصلاً تحدث فيه عن معنى التجديد أو المعاصرة في الشعر من خلال علوية عبد المطلب ، ويحكي العقاد أن « عبد المطلب » لقيه بعد إلقاء « العلوية » فقال له مازحاً : مارأيك في القصيدة وموضوعها واستهلالها ؟ ألسنا نعجبكم الآن ياأنصار المذهب الحديث ؟ ! »(٧) . يقول العقاد إنه أثنى على موضوع القصيدة باعتباره ميداناً جديداً من الشعر يتسع للوصف والتحليل ، ثم يعترض العقاد على تمثيل « على » على طريقة عبد المطلب وليس على طريقة المحدثين .

قال عبد المطلب : « كيف ؟ وأين يذهب بك عن وصف الطيارة ؟ » فقال له العقاد : « إننى أعجب بقوة الأسر في العبارة ، ولكنى أراك الآن

(٧) عباس محمود العقاد ، شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، دار الهلال (سلسلة كتاب الهلال) ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٤٠ .

في صميم التقليد ، وأنت تحسب أنك نجوت منه بطيارة ! فلولا أن العرب وصفوا الناقة التى يبلغون بها الممدوح لما وصفت الطيارة التى تبلغ الإمام ، ولولا التخلص والاستطراد هناك لما كان التخلص والاستطراد هنا ، وموطن الخطأ أنكم تحسبون الشاعر العربي يصف الناقة لأنها أداة مواصلات » فتحسبون وصف « أدوات المواصلات » في عصرنا فرضاً على الشاعر الحديث وليس الأمر على هذا الحسبان » .

ويستطرد العقاد فى شرح وجهة نظره فيقول : « والواقع أن الشاعر كان يصف الناقة لأنها جزء من حياته يحس بها الأنس فى القفار الموحشة ، ويأكل من لبنها ولحمها وينسج ثيابه ومسكنه من وبرها ، ويعرفها وتعرفه كما يتعارف الصحاب من الأحياء ، وينظر إلى مكانها من ضميره وخوالج حياته فإذا هي لا تفارقه ولا تحتجب عنه ولا تبرح ملازمة عنده لخيال من يحب ، وخيال من يمدح ، وخيال من يرجو وما يرجو من الناس والأصقاع ، والأمصار ، فهو شاعر حق الشاعرية حين يصف الناقة ، لأنه إنما يصف في الحقيقة جزءاً من الحياة ، وجزءاً من الشعور وجزءاً من الإنسان ، وهو أشعر ألف مرة ممن يحكيه بوصف الطيارة فى العصر الحديث لأنها أحدث أدوات المواصلات ! كأننا لا نعيش إلا لنصف هذه الأدوات ، ونتربص بها على أبواب المصانع نموذجاً بعد نموذج لكي نسابق الدفاتر الصناعية بسرد آلاتها ، وتفصيل حركاتها ..» ثم يتحدث العقاد بعد شرح عن الشرط الأول للشعر الحديث فيقول : « أن يصف الإنسان مايحس ويعي ، لا أن يصف الأشياء مجاراة للأقدمين ، عكساً أو طرداً فى أنواع المجاراة[8] .

وواضح آن « العقاد » رأى فى مطلع « العلوية » مطلعاً تقليدياً ، لا أثر فيه للجديد أو التجديد ، كل ماهنالك أن عبد المطلب استبدل « الطيارة » بالناقة ، والتجديد كما يراه العقاد ليس مجرد استبدال شيء بشيء ، وإنما التجديد هو وصف ما يحسه الشاعر ويستشعره تجاه الشيء الذي يتكلم عنه أو يصفه ، فالحس والشعور آية الشاعر ومناط الشعر .. فقد كان الشاعر القديم شاعراً بحق حين وصف الناقة لأنها كانت جزءاً من حياته وشعوره وضميره .. أما الشاعر الحديث فلم يكن شاعراً لأن الطيارة لم تكن جزءاً من حياته وشعوره وضميره بل كانت مجرد كيان وصفه من الخارج دون أن يتأثر به أو يتفاعل معه ..

وينبغى أن نشير إلى لمحة ذكية ذكرها العقاد في أثر عبد المطلب بصفة عامة في تنقية الديباجة الشعرية وترقيتها ، حين رأى أن التوجه الديني لعبد المطلب دفعه إلى طلب النموذج الأعلى للصياغة الشعرية من خلال النماذج الأولى للجاهليين والمخضرمين فأبعده ذلك عن المحسنات البديعية المتكلفة التى حفل بها العصر السابق على النهضة الحديثة ، ومن ثم كان لعبد المطلب دوره الممتاز فى الابتعاد عن التقليد المرذول للبديعيات المتكلفة أو الأثقال البديعية التى ابتلى بها الشعر العربي قبل النهضة الحديثة ..

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت العلوية ، بمقدمتها خاصة ، عنصرا مثيرا فى عالم التجديد الشعري الحديث . حين لوت الأعناق إلى قضية مهمة تناقش المفهوم الصحيح للتجديد أو الشعر الحقيقي الذى يخلد فى العصر الحديث ، وفي كل عصر : سابق أو لاحق .

(٣)

يلاحظ أن عبد المطلب في مقدمته اتخذ من « الطيارة » وسيلة ليلاقي بها على السحب الإمام

←

(٨) السابق ، ص ٤٢ .

علياً ، أول مسلم صلى وصام ، وهو ابن تسع ، وفي المقدمة يشير إلى أن المعاني ، نثراً أو نظماً ، لا تفي في مديحه . وأن القوافي النجيبة أقل من مقامه ، ولو كانت مسومة كريمة .. ويعتذر عن تقصيره في عدم الوفاء بحق على الذى ترتفع منزلته فوق الشعر ، وفوق أشياء كثيرة .. وهذا الاعتذار يذكرنا بما قاله الشعراء منذ القدم حين وقفوا أمام شخصية النبي ﷺ ، أو حين وقفوا حديثاً أمام عمر ، وأبي بكر ، كما فعل حافظ ابراهيم وعبد الحليم المصري .. ويبدو هذا الاعتذار في وجه من وجوهه نوعاً من التمهيد « الفني » الذى ينطلق منه الشاعر لذكر صفات الشخصية ومناقبها وملامحها .. فضلاً عن كونه نوعاً من التعبير عن الاحترام والإجلال للممدوح ومكانته في مدرسة النبوة الأولى ..

وهذا ما فعله عبد المطلب حين أراد أن ينتقل من المقدمة إلى ذكر ملامح عليّ في صباه وإسلامه ، فقد قدم اعتذاره ثم انطلق يتساءل في تفخيم وتهويل :

فحسبك ياأخا الشعراء عذراً
رميت بها مكاناً لن يراما
وما أدراك ـ ويحك ـ ما عليٌّ
فتكشف عن مناقبه اللثاما
ومن هو كلما ذُكرت قريش
أناف على غواربها سناما

ثم يستخدم فعل الأمر ليوقظ سامعه كي يعدد له صفات على منذ كان غلاماً ، فهو يطلب الإسلام قبل أن يبلغ « الفطام » ـ لعله يقصد « الرجولة » ويشارك النبي ﷺ ـ في القيام بأمر الدعوة مع زوجه خديجة ـ رضى الله عنها ، ويسبق إلى الحسنى قبل قريش كلها ، ولذلك سُمي الإمام ، وذلك بعد أن تمهل يوماً بتمامه كي يقتنع بالإسلام عن طريق العقل والحجة ، ويقارن بين موقفه وموقف قريش من الدعوة إلى الإسلام ، فيرى أن قريشاً قد لجت في عمايتها ، وأعلنت العداوة والخصام ، بينما عليّ لا يهاب قريشاً ولا يخافها ، وإنما كان شجاعاً في إيمانه وصلابته ، وظل ينمو في حجر الإسلام ، ويتفوق حتى وصل إلى سن العشرين « وتشهدنا من عظائمه عظاماً » .

وهكذا يرصد عبد المطلب مرحلة ماقبل العشرين في حياة علي من خلال أبيات لا تتعمق المواقف ، وإنما تكتفي بسردها وتسجيلها ، وإن كانت تجهد نفسها في الجانب اللغوي ، وبخاصة فيما يتعلق بالبحث عن ألفاظ للقافية التى تأتي غريبة ووحشية ، يقول مثلاً :

ولجَّت في عمايتها قريش
تصارحه العداوة والخصاما
وجاشت بين أضلعها قلوب
على الإسلام تلتهب احتداما
فما فعل الفتى والشر تغلى
مراجله وتهتزم اهتزاما
مضى كالسيف لم يعقد إزاراً
على ريب ولم يشدد حزاما
يروح على مجامعهم ويغدو
كشبل الليث يعترم اعترما
صغير السن يخطر في إباء
فلا ضيماً يخاف ولا ملاما
ومازالت به الأيام ترقى
على درج النُهى عاماً فعاما
وقد جمع الحجا والدين فيه
خلائق تجمع الخير اقتثاما
فما أوفى على العشرين حتى
شهدنا من عظائمه عظاما

البقية صـ ٣٠٤

من أعلام الأزهر

العالم الجليل الأستاذ الدكتور

أحمد السيد الكومي

إعداد: ناصر محمود وهدان

علمٌ من أعلام التفسير البارزين، وباحث من خيرة الباحثين فى علوم القرآن الكريم، جمع بين علوم العربية والعلوم الإسلامية، وهو مع هذا متقن للعلوم الرياضية والتاريخ، مارس الحياة الواقعية، وكابد من المشقات ما كابد، ولكنه تسامى فوقها جميعا، لأنه آثر الآخرة على الدنيا، وتعلقت آماله بالله فلم يعد بحاجة إلى احد سواه.

إذا سمعته قلت: هو خطيب ممتاز، وإذا قرات له قلت هو مفسر كبير، وإذا عاشرته قلت: هو قطب من أقطاب الدين، هذا هو الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد الكومى رئيس قسم التفسير السابق بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر.

د. احمد السيد الكومى

التقيت به فى منزله فأملى علىَّ طرفا من تاريخ حياته، وأذن لى فى نشره، وختمه بتوقيعه فقال عن:

حياته (مولده ونشاته):

اسمى أحمد السيد على الكومى، ولدت فى ١٩١٢/٢/٢٥م بـ(أسمانيا) مركز «شبراخيت»، بمحافظة البحيرة.

حفظت القرآن الكريم على يد معلمى الأول يسمى الشيخ/ أحمد النوفيلى - رحمه الله - وقد التحقت بالكُتَّاب وعمرى أقل من ثلاث سنوات، وأتممت حفظ القرآن وعمرى أحد عشر عاماً، بالإضافة إلى تعلم بعض المعارف الأخرى كالحساب، والإملاء.

وكان هذا الكُتَّاب يتبع وزارة «المعارف» وهو مقسم إلى قسمين:

قسم لتعليم الكبار، وقسم لتعليم الصغار، وأذكر أنه لما رأى شيخى النوفيلى لدى استعداداً لتعلم الرياضة، وتفوقاً فيها، أخذ يدرسها لى مع الكبار، بل ويجعلنى أقوم بحل مسائل الرياضة على السبورة فى هذه السن المبكرة، وعمرى لم يتجاوز السابعة بعد، مما لفت الأنظار إلىَّ فى هذه

الناحية ، فأقام بعض الناس مقارنة بينى وبين صبى جاوز الاثنى عشر عاما فى هذه المادة ، فتفوقت عليه بحمد الله ، ولم أكد أقوم من هذا المجلس إلا وأنا مريض بالجدرى ، الأمر الذى ترتب عليه فقد بصرى فى يونية عام (١٩١٩ م) رمضان عام (١٣٣٧ هـ) وانقطعت عن المكتب سنتين وكان عمرى سبع سنوات ونصفا .

وبعد سنة ونصف قضيتها فى تمريض وعلاج لم يجدِ ، رأى الوالد ـ رحمه الله ـ أنه لا حيلة فى قضاء الله ، ولابد من التسليم لأمره تعالى ، فاستدعى بعض من حفظنى القرآن الكريم وهو معلمى الثانى الشيخ/ محمد مصطفى عبدالله ـ رحمه الله ـ فى بيتنا .

فى (القسم الابتدائى بالأزهر) :

ولما بلغت من العمر أحد عشر عاما ، وبعد حفظى للقرآن الكريم ، تقدمت إلى معهد الأسكندرية فى عام (١٩٢٣ م) فالتحقت به وأنا أصغر من السن القانونية سنة كاملة ، وقد ساعدنى فى ذلك أحد مدرسى المعهد من بلدتنا ، وحصلت على الابتدائية فى عام (١٩٢٧ م) .

وكان الطلاب المكفوفون يدرسون بدلا من الحساب والخط «متن الشاطبية ، و«علم القراءات» مع بقية العلوم الأخرى .

وأذكر أن الذين كانوا يحفظوننا (الشاطبية) هم مدرسو الخط ، وكانت مواعيد حصص القراءات بعد انتهاء دروس المعهد ، وكان لى ابن عم يصحبنى ويرافقنى إلى المعهد ، ولكنه يصر على أن يذهب إلى المنزل بعد انتهاء دروس المعهد مباشرة فكنت أترك حصص القراءات مضطرا . الأمر الذى جعلنى عند امتحان آخر العام أهرب من امتحان القراءات رغم أن مجموع درجاتى فى هذا الامتحان فى السنة الأولى كان ١٠٠٪ فى جميع العلوم عدا مادة القراءات فتقدمت لاختبارها فى الدور الثانى ، وبعد معرفتى ـ مما حدث ـ ما ينبغى أن أكون عليه ، ثم تشجيع الأساتذة لى من أمثال الشيخ عبدالسلام العسكرى استطعت أن أحصل على المراكز الأولى فى كل امتحان ألتحق به بعد ذلك .

فى التعليم الثانوى الأزهرى :

كانت الدراسة فى معهد الأسكندرية بالقسم الثانوى أكثر توسعـاً من دراسة القسم الابتدائى ، صحيح أن غالبية المواد كانت فى القسم الثانوى مع شىء من التوسع إلا أنه قد أضيفت مواد جديدة مثل دراسة التفسير ، وكان يدرسه لنا الشيخ/ عبدالعزيز خطاب ودراسة البلاغة من معان ، وبديع ، وأدب لغة ، وكان يدرسها لنا الشيخ/محمد عرفة ، ودراسة علم العروض وكان يدرسه لنا الشيخ محمد شريف .

وكانت مدة الدراسة بالقسم الثانوى أربع سنوات حصلت فى نهايتها على الثانوية الأزهرية عام (١٩٣١ م) .

ومن زملائى فى هذه الفترة :

الدكتور/ عبدالوهاب غزلان ـ رحمه الله ، الدكتور/ إبراهيم الصباغ ـ رحمه الله ، الدكتور/ عبدالجليل شلبى ، الدكتور/ محمود زيادة ـ رحمه الله ـ ، الدكتور/ عبدالوهاب البحيرى ـ رحمه الله ـ ، الدكتور/ سيد الحكيم أستاذ أصول التفسير ، والدكتور/ جاد محمد رمضان أستاذ التاريخ ، والدكتور/ محمد أبو زهو أستاذ الحديث ـ رحمه الله ـ وغيرهم .

مواقف لا تنسى بمعهد الأسكندرية :

من ذكرياتى الشخصية أيام الدراسة التى

لا تنسى أن أستاذى ، أستاذ الفقه الشيخ/ عبدالسلام العسكرى - رحمه الله - كان يصر على أن يمتحننى فى الدرس قبل شرحه لنا ،وذلك بعد أن ظننى نائما على الدرج الذى أمامى خاصة بعد أن قمت من مرضى هزيلا ، نحيف الجسم لا يستطيع جسمى أن يحمل رأسى ، فكنت سنده على يدىّ ، فمشى خفيفا على أطراف أصابعه حتى إذا كان بجوارى صاح فىَّ فجأة وقال : استيقظ ، قلت له : إننى متيقظ ، فقال : إذن فماذا كنت أقول ؟ فأجبته ذاكرا له الدرس من أوله إلى آخر كلمة فيه . فأخبر أهلى أننى أحفظ منه الدرس وأنا نائم !!

ولكن الله يعلم انى لم أكن نائما ، وإنما كان عندى صداع دائم ، ولا أستطيع أن أجلس معتدلا بسبب الضعف الذى كنت أعانيه .

وأذكر - وأنا بالصف الرابع الابتدائى - أن مدرس الفقه الشيخ العسكرى قد غاب يوما ما ، وكنا نحضر فى مسجد القبارى بالأسكندرية بسبب إصلاحات بالمعهد ، فوجدت طالبا يقرأ الفقه ، فدعانى إلى الاستماع معه ، وبعد أن سألنى عن الموضوع الذى كان يذاكره أجبته إجابة دقيقة فى كل ما قرأ وقلت له : أين تسكن ؟ قال : فى حى الأباصيرى . فقلت له : لو سكنت معنا فى المعهد لذاكرت لك الفقه ، وجعلتك تأخذ فيه الدرجة النهائية دائما ، فابتسم وقال : ولكنى أسكن مع أهلى ، ولم يكن هذا الطالب إلا مدرساً لفصل آخر فى نفس مادة الفقه وهو الشيخ/ محمد أحمد العروسى - رحمه الله - .

والعجيب أنه لم يشعرنى انه مدرس ، المهم حدث أن مرض شيخنا مدرس الفقه فأضيف فصله إلى فصل الشيخ العروسى ، وحين رآنى روى للطلاب قصة مذاكرتى معه ، وقال لهم : لقد أعجبت بتحصيله ، ومازال يتلطف بى حتى رفع عنى الخجل الذى انتابنى بسبب معاملتى له ؛ وأنا لا أعرفه كطالب لانخفاض صوته ونعومته !!

فى كلية أصول الدين :

وبعد أن حصلت على الثانوية الأزهرية التحقت بكلية أصول الدين بعد أن حولت أوراقى إليها من كلية الشريعة فى الشهر الأول من الدراسة بناء على رغبة والدى ، وكان ذلك فى عام (١٩٣١ م) مع نشأة الكليات الأزهرية - وقد زودت هذه الكليات الجديدة (الشريعة - أصول الدين - اللغة العربية) بنخبة ممتازة من أساتذة المعاهد الأزهرية والتى من بينها معهد الأسكندرية الذى تخرجت فيه .

ثم حالت ظروف بينى وبين إتمام الدراسة بكلية أصول الدين ، استمرت لمدة عامين ، ثم عدت إليها فى عام (١٩٣٣ م) مرة أخرى ، ولكنى وجدت مشقة فى التحصيل لما انتاب الذاكرة من خمول ، ثم جددت نشاطى فى السنة الثانية ، وحصلت فيها على المركز الرابع بين الناجحين جميعا مبصرين وغير مبصرين ، ولم يحدث فصل بين الطلاب إلى مبصرين وغير مبصرين - فى نتيجة الامتحان - إلا فى امتحان الشهادة العالية(١) .

ودخلنا قسم الدراسات العليا ، فكنت أول الناجحين بشعبة التفسير ومن أساتذتى بالكلية فى هذه الفترة :

الشيخ/ الشافعى الظواهرى (ابن شقيق شيخ الأزهر الأحمدى الظواهرى) ، والشيخ/

←

(١) اطلعت على الشهادة العالية للدكتور الكومى ، والمسجلة بالكلية تحت رقم (١٣٨) والموقعة من شيخ الجامع الأزهر - آنذاك - وكان ترتيبه الأول من مجموع الناجحين ، وعددهم سبعة عشر من المكفوفين المنتسبين .. (الكاتب) .

مرسى جعيصة والشيخ/ أحمد الشاذلى ، والشيخ/ حسن حجازى ، والشيخ/ الشربينى والشيخ/ أمين الخولى ، والشيخ/ أبو زهرة ، والدكتور/ محمد غلاب .

الدراسات العليا وشهادة العالمية :

ثم دخلت شعبة التفسير فور حصولى على المركز الأول فى شهادة العالية بكلية أصول الدين ، وكان من نظام الشعبة ألا يزيد عدد طلابها على خمسة طلاب .

وبعد تخرجى من شعبة التفسير وحصولى على شهادة العالمية[٢] «الدكتوراة» فى علوم القرآن الكريم عام (١٩٤٥ م) عن موضوع تفسير سورة الفتح ، وبيان الفتوح المتصلة بها ، وقد أشرف وناقش رسالتى للدكتوراة من العلماء :

الشيخ/ محمد الشربينى أستاذ شعبة التفسير ، والشيخ/ عبدالعزيز المراغى مناقشا من الخارج ، والشيخ/ عبدالحفيظ الدفتار أستاذ الفقه بكلية الشريعة ، وكذا الشيخ/ عبدالله عامر ، والشيخ/ أحمد على أستاذ التفسير - رحمهم الله جميعا .

وكان من نظام الدراسات العليا بعد شهادة «العالية» أن يستمر الطالب فى الدراسة ، والبحث مدة خمس سنوات تنتهى بامتحان نقل يسمى الامتحان التمهيدى فى علوم القرآن وعلوم الحديث . وهذا الامتحان يمهد للدخول فى مرحلة الإعداد لرسالة الدكتوراة فى مدة لا تقل عن سنتين .

وأذكر من أساتذتى فى قسم التخصص الشيخ/ الشربينى ، والشيخ/ القناوى ، والشيخ/ الجبالى والشيخ/ الخضر حسين - رحمهم الله جميعا .

وبعد تخرجى من شعبة التفسير رأت إدارة الأزهر توزيعنا مدرسين على المعاهد الدينية ، ، إبقاء خريجى شعبة العقيدة كمدرسين بالكلية !! إلى أن أنصفنا قانون مجلس الدولة عام (١٩٥٤ م) وعدنا إلى الكلية مدرسين فيها .

ومن إخوانى خريجى تخصص الأستاذية الدكتور/ محمد شمس الدين ، والدكتور/ عبد العظيم الغباشى - رحمه الله - ، والدكتور/ محمد عبدالشافى - رحمه الله - ، والدكتور/ على خليل - رحمه الله - وغيرهم كثير .

التدرج الوظيفى :

بعد تخرجى فى كلية أصول الدين عينت مدرسا للفقه فى معهد الاسكندرية ، وقد حرصت منذ اللحظة الأولى على أن أعامل طلابى المعاملة الحسنة التى لاقيتها من أساتذتى .

وقد أثمرت معاملتى الحسنة لطلابى بالمعهد فأدت إلى انتقال معظمهم معى إلى كلية أصول الدين دون غيرها من الكليات الأزهرية ، فور تخرجهم من معهد الأسكندرية ، ومنهم الدكتور/ سيد طنطاوى مفتى الجمهورية الحالى، والمستشار/ سيد عبدالوهاب ، والدكتور/ الأحمدى أبو النور ، وزير الأوقاف السابق ، والدكتور/ صفوت مبارك أستاذ العقيدة بالكلية ، وغيرهم الكثير .

وفى سنة (١٩٥٤ م) انتقلت من التدريس

(٢) اطلعت على براءة منح شهادة العالمية من درجة أستاذ «دكتوراة» لفضيلة الشيخ الكومى والمسجلة بالكلية برقم (٦٩) .. (الكاتب) .

المعاهد الأزهرية إلى التدريس بكلية أصول الدين ، فحصلت على درجة أستاذ مساعد فى عام (١٩٦٦ م) ، ثم أستاذ فى عام (١٩٧١ م) ، ثم توليت رئاسة قسم التفسير بعد ذلك .

وفى هذه الفترة أسست قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية ، ولازلت حتى الآن ، أقوم بعملى كأستاذ للتفسير ، وعضو اللجنة الدائمة لترقية أساتذة الجامعة فى التفسير والحديث .

جهوده العلمية ومنهجه فيها :

كان لكثرة الرسائل العلمية التى أشرفت عليها كبير الأثر فى الإقلال من مجال التأليف والنشر ومن أهم مؤلفاتى :

١ ـ مساهمتى فى التفسير الوسيط . فهو مشاركة بينى ، وبين الدكتور/ طنطاوى مفتى الجمهورية ، وأحد أبنائى البررة ، والذى قام بإتمامه بعد ذلك وحده .

٢ ـ كتابة بعض أجزاء من التفسير للقرآن الكريم .

٣ ـ كتب فى التفسير الموضوعى تتناول تفسير بعض الموضوعات منها موضوع نظام الأسرة وغيره فى علوم القرآن .

٤ ـ بحث بعنوان : فصل الخطاب فى علوم القرآن ، ألف فى عام (١٩٧٧ م) .

٥ ـ بحث فى نزول القرآن على سبعة أحرف تلت به درجة أستاذ مساعد .

هذا بالإضافة إلى الأحاديث الإذاعية ، وكتابة بعض الأبحاث المتفرقة فى المجلات الدينية كبحث فى (الجهاد) كتبته فى مجلة لواء الإسلام فى أوائل السبعينيات ، وترجع أهمية البحث إلى أننى بينت فيه أنه لا نسخ فى آيات الجهاد التى قيل إنها نسخت بآية السيف ، وتوصلت إلى أن آيات السيف لم تنسخ أى آية من آيات القرآن الكريم ، ذلك لأن آيات العفو كلها من مكارم الأخلاق ، ومكارم الأخلاق لا تقبل النسخ .

أما الرسائل العلمية التى أشرفت عليها فهى تزيد على المائة رسالة ، وأذكر أن أول رسالة أشرفت عليها وكنت أستاذاً مساعداً بالكلية ـ كانت رسالة الشيخ/ محمد حجازى للدكتوراة تحت عنوان «الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم» ثم توالت الرسائل بعد ذلك ، ومن أواخر الرسائل التى أشرفت عليها فى شهر يوليو الماضى رسالة تحت عنوان «الأمانة كما يصورها القرآن الكريم» .

يبقى أن أذكر لك منهجى فى التفسير فهو يكاد يشبه التفسير الموضوعى : وهو الكلام على موضوع الآية ، وما يتعلق به من الآيات الأخرى فى القرآن الكريم ، ثم بيان أسباب النزول ، وربط التفسير بحالة المسلمين الاجتماعية ، ووقت نزول الآية .

ومن هنا كان لربط التفسير بالتاريخ أثر طيب فى بيان أهداف الآيات القرآنية ، مما لاقى إعجابا لدى الكثيرين من أساتذة التاريخ ، لشدة الربط بين المعانى القرآنية ، وحالة المسلمين الاجتماعية فى هذا الوقت ؛ وقت نزول الآية . الأمر الذى تتضح معه معانى الآيات جلية لتطبيقها على عصر النزول ، وما اشتملت عليه من أسرار تتجلى معها ظروف المسلمين وقت نزولها . هذا بالنسبة للقرآن المدنى .

أما فى القرآن المكى فيكثر أن تربط الآيات الكريمة التى تتعلق بموضوع العقيدة بالحالة العملية للمسلمين فى هذا الوقت ، وما أدّاهم إليه

ما هم فيه من تواكل ـ لا توكل على الله ـ وتخاذل عن دينهم بالرغم من أن دينهم يحثهم على أن يكونوا فى مقدمة العالم ، بالعلم والمعرفة والبحث فى شئون الحياة ، والكون ، وبما أودع الله فيه من أسرار ، لو استطاع المسلمون أن يستغلوها لكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس .

آراء ونصائح :

هناك مجموعة من التفاسير المعاصرة لكل منها سمتها الخاصة المميزة لها :

فهناك التفسير الواضح للشيخ/ حجازى أحد أبنائى - وهو تفسير يفى بالغرض ، لخلوه من الإسرائيليات .

وهناك تفسير/ عبدالكريم الخطيب وهو عبارة عن مقالات إنشائية حول موضوع الآيات القرآنية ، وكذلك بعض التفاسير التى ظهرت أخيراً مثل تفسير الشيخ/ المراغى .. فهو يدور حول التركيز على استعراض الأسلوب البلاغى للقرآن الكريم .

ويعد تفسير الشيخ/ شلتوت تفسيـراً موضوعياً لبعض سور القرآن الكريم أما تفسير الشيخ/ الصابونى فهو تلخيص لبعض آراء المفسرين فى كتب التفاسير وهناك تفسير/ القاسمى ، وتفسير/ عزت دوزه ؛ وهما من المفسرين الشوام فتفسيرهما فيه خير كثير وقليل الانحراف والإسرائيليات ، ولكن الجديد فيهما قليل .

أما تفسير « فى ظلال القرآن » فهو رغم أن كاتبه ذو وجدان إيمانى قوى يسرى من كتابته إلى آذان القارىء والسامع معاً ، بل ويصل إلى شغاف القلوب عن طريق التأثير الوجدان[ى] والوعظ ؛ فهو من حيث التحقيق العلمى يعتبر [فى] الدرجة الثانية لأن كاتبه لم يستكمل وسائ[ل] التفسير الحقة ، واعتمد على إثارة الوجدا[ن] الإيمانى فقط .

ولعل أحسن التفاسير من وجهة نظرى ه[و] تفسير أبو حيان المعروف باسم (البحر المحيـ[ط])

وهو يعرض للقرآن الكريم بأسلوب أندلس[ى] أدبى راقٍ ، وترجع أهميته إلى مجموعة م[ن] الأسباب منها :

(١) ندرة الإسرائيليات فيه ، وهذا ه[و] منهجه فى تفسيره ألذى وضعه فى مقدمة تفسير[ه] وأكد عليه بقوله : «أما عن الإسرائيليات ، فإ[ننا] ننزه كتابنا عن ذكرها» .

(٢) أن صاحبه عالم نحوى ، ولغوى كبير .

(٣) أنه يفسر القرآن على مقتضى قواعد اللغة بطريقة حديثة تجعله يضارع تفسير الكشاف الذى يعد أبا المفسرين .

وتبقى نقطة بخصوص علم الدخيل ، وهو العلم الذى يبين كيف دخلت الإسرائيليات التفسير ؟ وكيف ننزه القرآن الكريم عنها . وبعد أن كان علم الدخيل فرعا من فروع التفسير أصبح الآن علماً مستقلاً بذاته .

وقد كثرت الرسائل العلمية والكتابات الجيد[ة] والمعاصرة فيه لأبنائنا بالكلية مثل كتابات د/ إبراهيم عبدالرحمن ، د/ سمير شليوه ، د/ أحمد الشحات .

وإذا كان لى من كلمة فإننى أنصح المشتغلين بالتفسير بالآتى :

اولا : التمكن من قواعد اللغة العربية ، ذلك لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين .

ثانيا : الاطلاع على أسباب النزول كاملة ومعرفة الصحيح منها من غير الصحيح .

ثالثا : ننصح كل من يتصدى لتفسير القرآن

الكريم أن يدرس أولا السنة ، لأنها بيان لمعانى القرآن الكريم ، كما قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

رابعا : دراسة تاريخ السيرة النبوية وخاصة أن القرآن الكريم تنزل على حوادث فى عهد النبى ﷺ - وهذه الحوادث لها ارتباط وثيق بالآيات ودراستها تعين على فهم هذه الآيات .

خامسا واخيرا : الاطلاع على التفسير بالمأثور ، لأن ذلك يعين كثيراً على بيان الأهداف القرآنية .

علاقته بعلماء عصره :

فع شغفى بدراسة التاريخ الإسلامى ، الدكتور/ عبدالحليم محمود - رحمه الله - حينما كان عميداً لكلية أصول الدين - قبل توليته مشيخة الأزهر - أن يسند إلىّ تدريس مادة التاريخ الإسلامى بالكلية على الرغم من أنها ليست من تخصصى الدقيق ، وقد مات - رحمه الله - وهو يكن لىّ من الود الكثير .

اما علاقتى بالشيخ/ أبى زهرة ، فقد كان مدرساً لنا فى كلية أصول الدين فور إنشائها عام (١٩٣١ م) يدرس لنا كتابيه (تاريخ الجدل والخطابة) .

وقد اشترك معى فى مناقشة أربع رسائل مع عميد كلية أصول الدين آنذاك الشيخ الدكتور/ أمين أبو الروس . وهذه الرسائل الأربع هى على ترتيب :

١ - رسالة «الدكتوراة» للدكتور/ محمد الحجازى عام (١٩٦٦ م) .

٢ - رسالة الدكتوراة للدكتور/ أحمد كمال المهدى عام (١٩٧٠ م) .

٣ - رسالة الدكتوراة للدكتور الأردنى/ رمزى نناعة عام (١٩٧٢) .

٤ - رسالتا الماجستير والدكتوراة للدكتور/ محمد عبدالمنعم القيعى عام (٧٠ ، ١٩٧٣ م) .

وأذكر أنه اعترض على الشيخ/ حجازى فى بعض مناقشاته على رسالته للدكتوراة حول : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم ، فمنعت الشيخ/ حجازى من الإجابة وقلت : إن الشيخ أبا زهرة لم يفهم موضوع الرسالة ، وقامت ضجة كبرى فى القاعة لهذه الكلمة ، ولكنى ألقيت بيانا بعدها مباشرة وضحت فيه للشيخ أبى زهرة أن موضوع رسالة الطالب لا يتعلق بسؤاله حول التدرج فى تحريم جريمتى الربا والزنا ، وأن صاحب الرسالة لم يعرض لهما لأنهما خارجان عن موضوع رسالته .

فَسُرَّ الشيخ أبو زهرة من ذلك ، وقام من فوره ، وعانقنى أمام الحاضرين ، وفى هذه الأثناء همس أحد الأساتذة المشاركين فى مناقشة الرسالة معنا ملمحاً بأن الشيخ أبا زهرة يُعارض اى وزير ، ولا يجرؤ أن يرد عليه أحد ؛ وأنت تعترض على رأيه !! فرد عليه الشيخ أبو زهرة فى الحال بقوله : اسكت ، لقد وجهنى إلى ما كنت اجهله .

وله مواقف أخرى كهذه منها موقفه من رسالة د/ نعناعة حول جمع القرآن ، وقد اشترك فى مناقشتها معى ، وفيها عارض الطالب صاحب الرسالة فى رأيه ، فقمت آبين له : أن القرآن الكريم كتب بحرف قريش فى بيت رسول الله ﷺ ، وفى صحف أبى بكر ، وفى مصحف عثمان ، أما بقية الأحرف السبعة فكانت رخصة للقبائل التى دخلت الإسلام حديثا ، ولم يكن لها علم بلغة قريش . وترخَّص الرسول - ﷺ - فى أن يقرئهم حسب لغاتهم ، فرخص له الله - عز وجل - بذلك ، ونزل جبريل بالحرف الثانى حتى وصل إلى الأحرف السبعة فأتمها .

وليس ذلك فى كل القرآن الكريم ، بل ما يحتاجون إليه فى إقامة شعائرهم ، وصلاتهم

من أعلام الأزهر

من بعض سور القرآن الكريم ، فكانت كل قبيلة تقرأ جزءاً معينا ، ويقرئها الرسول - ﷺ - بالحرف الذى يناسبها بعذ أن تلقَّاه من جبريل - عليه السلام - ولهذا كانت الأحرف السبعة موزعة فى القبائل على مقدار ما تحفظ من القرآن الكريم .

فلما اختلفوا فى فتح «أذربيجان» بين اليمنيين والقيسيين . حتى كاد بعضهم يكفر بعضا ، ركب حذيفة بن اليمان إلى عثمان - رضى الله عنه - وقال : «أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف اختلاف اليهود والنصارى ، فجمعهم عثمان بن عفان على حرف قريش ، وعزم عليهم أن يحرِّقوا ما معهم من الأحرف المخالفة ، فهى وإن كانت قرآنا إلا أنه لا يجوز القراءة بها الآن حيث انقطع سندها ، وهى بالطبع غير القراءات السبع التى توجد كلها فى حرف قريش ، ثم ذكرت له أن هذا الذى قلته هو خلاصة بحثى الذى رقيت به إلى أستاذ مساعد ، وكان موضوع البحث : «نزول القرآن على سبعة أحرف» فلما سمع الشيخ ابو زهرة رايى هذا فى قضية جمع القرآن ، كان كأنه لم يسمع به مدَلَّلاً من قبل ، فقال : أكتبه لى ، فإننى لم أقتنع بما قرات إلى الآن إلا بهذا الرأى .

كان - رحمه الله - رجلاً عالماً لا يضيق صدره عن معرفة الحق - رحمه الله رحمة واسعة

من مظاهر التقدير :

من مظاهر التقدير التى حُظيتُ بها أننى حصلت على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى العيد الألفى للأزهر عام (١٩٨١ م)

امنية الشيخ :

أتمنى على الله - سبحانه وتعالى - أن يتزود الناس بالأقوال الصحيحة فى تفسير القرآن الكريم ، وأحسن كتاب خال من الأقوال الضعيفة - كما أعتقد - فى التفسير : هو التفسير الوسيطة الذى يصدره مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة . على أمل أن تكتمل مجلداته ليعم نفعه على جميع الناس .

ما وراء فوائد البنوك - بقية

السيئة التي تنتج عن استخدام أسلوب منح الجوائز لجذب الإيداعات للبنوك مثل شهادات الاستثمار .. وحسبنا أن نحيل القاريء إلى تحقيق صحفي قيم نشرته جريدة « الأهرام » يوم ٢٩ اغسطس ١٩٨٩ في الصفحة السادسة بعنوان « حمى المسابقات التي تسيطر الآن على البيت المصري » ، فقد تحدث في هذا التحقيق لفيف من أساتذة علم النفس ، وعلم الاجتماع ، فأوضحوا لنا بجلاء الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية بالغة السوء التي تنجم عن انتظار الأفراد للجوائز التي يحصلون عليها دون قيامهم بعمل يتفوقون فيه فيستحقون عليه المقابل . وقر العلماء أن منتظر الجائزة التي تمنح بهذ الأسلوب ، سوف يصاب بالإحباط والاكتئاب والشعور بالفشل ، إذا ما تكرر إخفاقه ف الحصول على الجائزة . ويصبح لدينا أجيال مر التائهين في بحور الآمال الكاذبة ، والأحلا المزيفة . كما يقررون أن المثل الأعلى الذي يتمن كل مواطن أن يصبح مثله هو من يسعده الح فتهبط عليه الثروة دون عناء أو اجتهاد أو إنتاج فهيهات لمجتمع أن ينتج ويرتقى في ظل هذ السلبيات !

العلوم الكونية

حرارة الجو إلى أين ؟

إريتريا ومشاكلها

حرارة الجو إلى أين؟

٢

إ . د . أحمد فؤاد باشا

امتصاص الحرارة واشعاعها بين الأرض والجو :

هناك عاملان أساسيان يتحكمان فى درجة حرارة الجو هما : كمية الإشعاع الشمسى الذى يستقبله الجو وكمية الإشعاع الشمسى الذى يعترضه سطح الأرض . ولهذا فإن الحديث عن عمليات امتصاص الحرارة وإشعاعها بين الأرض والجو يتطلب أن نتذكر بعض المعلومات الأساسية عن مكونات الهواء وطبقات الغلاف الجوى .

أولا : مكونات الهواء الجوى :

يشكل الغلاف الجوى جزءا من الأرض ، يتحرك معها كلما دارت وتحركت فى الفضاء وعلى الرغم من أن الامتداد الرأسى لهذا الغلاف حول الأرض يبلغ عدة مئات من الكيلومترات ، إلا أنه فى حقيقة الأمر لا يعتبر سوى طبقة رقيقة جداً إذا ما قورن بحجم الكرة الأرضية . فإذا تصورنا الأرض بحجم البرتقالة مثلا ، لكانت طبقة الهواء فى سمك اللون الذى يكسوها أو ربما أزيد قليلا . وتتناقص كثافة الهواء بمعدلات كبيرة كلما ارتفعنا إلى أعلى ، فتنخفض إلى نصف قيمتها على ارتفاع بضعة كيلومترات تقريباً من سطح الأرض ، وتكاد تنعدم فوق ارتفاع ألف كيلومتر تقريباً .

وتتم عملية التحليل الكيميائى لمكونات الهواء بطرق مختلفة تعتمد على الارتفاع الذى تفحص عنده «عينات» الهواء . وعموماً ، تستخدم «بالونات» الرصد العادى للارتفاعات المنخفضة حتى حوالى ٤٠ كيلومتراً ، وتكون مزودة بأجهزة أرصاد جوية خفيفة للحصول على معلومات تتعلق بدرجة الحرارة والضغط وغيرهما حين يحدد ارتفاع «البالون» بواسطة تلسكوب أو رادار . أما المعلومات المتعلقة بطبقات الجو العليا فيستعان للحصول عليها بصواريخ أو أقمار صناعية تحمل أجهزة رصد وتحليل متقدمة .

وتدل القياسات على أن الغلاف الهوائى يكون متماثل التركيب بسبب عملية الخلط الأفقى والرأسى التى تحدثها حركة الهواء ، وخاصة عند الارتفاعات المنخفضة ، حيث تظل نسب مكونات الهواء ثابتة تقريباً ولا يطرأ عليها تغير ملحوظ حتى ارتفاع حوالى ٨٠ كيلومتراً ، ويستفادمن هذه الخاصية فى تسمية الغلاف الجوىحتى هذا الارتفاع باسم «الهوموسفير» Homosphere أو «الغلاف المتجانس» تمييزاً له عن «الهيتروسفير» Heterosphere أو «الغلاف غير

«المتجانس» الذى يطلق على طبقات الجو العليا ذات التركيب المختلف بسبب تأثير الجاذبية الأرضية على الترتيب الطبقى لجزيئات الهواء تبعاً لكثافتها . ويتكون الغلاف الجوى من غازات ثابتة النسبة تشمل غازى النيتروجين والأكسجين ا يزيد على نسبة ٩٩٪ من الحجم الكلى ، الإضافة إلى غازات أخرى بنسبة ضئيلة جداً تقترب من واحد فى المائة . كما يحتوى الهواء الجوى على كميات متغيرة من ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء وغاز الأوزون بالإضافة إلى غازات أخرى وغبار .

ومن الجدير بالذكر أن التفاعلات الكيميائية العمليات الحيوية تعمل على تثبيت تكوين الهواء الجوى . فالنباتات تستنفد غاز ثانى أكسيد الكربون فى عملية «البناء الضوئى» أو «التمثيل الكلوروفيلى» وتخرج غاز الأكسجين ، بينما تحدث عمليات عكسية كالاحتراق وتنفس الكائنات الحية لاستعادة ثبات نسب التكوين والمحافظة على حالة الاتزان الحرارى بالقرب من سطح الأرض .

النسب المثالية لمكونات الهواء الجوى

الغاز	النسبة المئوية بالحجم
النيتروجين	٧٨,٠٨٤
الأكسجين	٢٠,٩٤٧
الأرجون	٠,٩٣٤
ثانى أكسيد الكربون	٠,٠٣١٤
النيون	٠,٠٠١٨
الهليوم	٠,٠٠٠٥
الكريبتون	٠,٠٠٠١
الهيدروجين	٠,٠٠٠٠٥
الزينون	٠,٠٠٠٠٨
الأوزون	٠,٠٠٠٠١
(بخار الماء)	من ٠,٢ الى ٤,٠

ثانيا : طبقات الغلاف الجوى :

يقسم العلماء الغلاف الجوى للأرض إلى عدة طبقات على أساس التغيرات التى تحدث فى خصائصه الفيزيائية ، وخاصة اختلافات درجات الحرارة التى أمكن تحديدها من متوسطات أرصاد سنين عديدة . ويطلق على الطبقة المغلفة لسطح الأرض مباشرة اسم «الغلاف السفلى» أو «تروبوسفير» Troposphere وتعنى أنها منطقة الحركة الرأسية والأفقية للهواء ، نظراً لأنها المجال الرئيسى لتكون الطقس واثارة السحب . وتمتد هذه الطبقة حتى ارتفاع نحو عشرين كيلومترا فوق خط الاستواء ونحو ثمانية كيلومترات فوق القطبين ، وفيها تتناقص درجة الحرارة كلما ارتفعنا عن سطح الأرض بمعدل ٦,٥ درجة مئوية لكل كيلومتر . والسبب فى ذلك يرجع إلى أن سطح الأرض هو المصدر الفعلى لحرارة الجو وليس أشعة الشمس المباشرة . وقد كان يعتقد حتى نهاية القرن الماضى أن درجة حرارة الجو المحيط بالأرض تأخذ فى النقصان تدريجيا كلما ارتفعنا فى الفضاء حتى تصل الى درجة الصفر المطلق لكن التجارب التى ' العالم الفرنسى «تيسيرين دى بور» Te[illegible]renc de bort فى أوائل القرن الحالى باستخدام «بالونات» الرصد لقياس درجة الحرارة أدت إلى اثبات توقف انخفاض درجة الحرارة فوق ارتفاع ١١ كيلومترا ، وأيدت الدراسات بعد ذلك أن هناك طبقة تتميز بثبات درجة حرارتها حول نهاية صغرى تبلغ فى المتوسط حوالى ٦٠° م تحت الصفر المئوى ، وذلك على ارتفاع ما بين ١١ و ١٨ كيلومتراً تقريباً . ويطلق اسم «تروبوبوز» Tropopause على منطقة ركود درجة الحرارة حول نهايتها الصغرى فى الجزء العلوى من

حـــرارة الجـــو.. الى أيـن ؟!

«التروبوسفير» وهى تعتبر من الناحية النظرية حداً فاصلاً بين طبقتين .

تأتى بعد ذلك طبقة تسمى «الغلاف الطبقى» أو «ستراتوسفير» Stratosphere ، وتعنى أنها منطقة الترتيب الطبقى للهواء نظراً لعدم حركته المؤثرة فى الاتجاه الرأسى . وإن كان هذا لا يعنى الهدوء التام لطبقات الهواء ، فهناك تهب رياح شديدة بسرعات كبيرة . وتمتد هذه الطبقة من الغلاف الجوى من «التروبوبوز» على ارتفاع حوالى ١١ كيلومترا حتى ارتفاع حوالى ٥٠ كيلومتراً ، حيث تبلغ درجة الحرارة نهاية عظمى حول درجة الصفر المئوى بسبب الحرارة المتولدة عن امتصاص غاز الأوزون لجانب من الأشعة فوق البنفسجية ويطلق على الحد الأعلى لهذه الطبقة عند ارتفاع ٥٠ كيلومتراً اسم «ستراتوبوز» Stratopause ومع تناقص تركيز غاز الأوزون فى الجو بعد هذا الارتفاع تأخذ درجة الحرارة فى الانخفاض حتى تصل إلى نهايتها الصغرى مرة أخرى عند حوالى ٩٠° م تحت الصفر المئوى على ارتفاع حوالى ٨٠ كيلومترا .

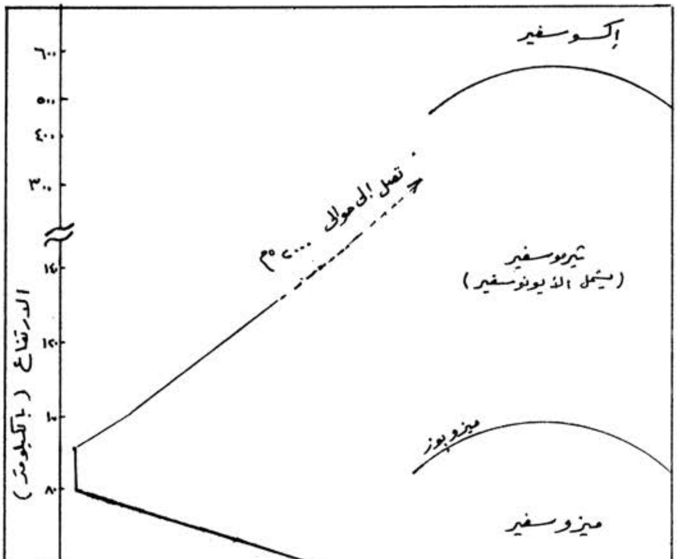

رسم يوضح تغير درجة الحرارة فى طبقات الغلاف الجوى للارض

وتشغل الطبقة الرئيسية الثالثة من الغلاف الجوى موقعاً متوسطاً بين طبقاته على امتداد ٣٥ كيلومترا فوق «الاستراتوبوز» ، ولهذا فإنها تسمى «ميزوسفير» Mesosphere أو «الغلاف الأوسط» . كما يسمى حدها الأعلى «ميزوبوز» Mesopause ، وعنده توجد أقل درجات حرارة الجو وأشد مناطقه برودة ، فهى - على سبيل المثال - تنخفض إلى ١٣٨° م تحت الصفر المئوى فوق دولة السويد .

أما الطبقة الرابعة فتسمى «ثيرموسفير» Thermosphere أو «الغلاف الحرارى» ، وتتميز بارتفاع درجة حرارتها إلى نهايات عظمى تبلغ نحو ٢٠٠٠° م فى فترات زيادة النشاط الشمسى . وتمتد هذه الطبقة من ارتفاع حوالى ٨٥ كيلومتراً لمئات الكيلومترات ، وبعدها تصل كمية الهواء إلى قدر ضئيل جداً يصبح معه المسار الحر لجزيئات الهواء كبيرا ، ويصير هروبها من تأثير جاذبية الأرض ممكنا . عندئذ تبدأ الطبقة الخارجية من الغلاف الجوى والمعروفة باسم «اكسوسفير» Exosphere أو «الغلاف الخارجى» وقد لوحظ أن الغلاف الجوى للأرض يتمدد بتأثير الحرارة المصاحبة لفترات حدوث النشاط الشمسى ، وهذا من شأنه أن يجعل تحديد الحد الفاصل تماماً بين جو الأرض والفضاء الخارجى أمراً بالغ الصعوبة .

من ناحية أخرى ، هناك من يفضل تسمية «الثيرموسفير» حتى ارتفاع ٢٠٠ كيلومتر تقريباً باسم «الأيونوسفير» Ionosphere أو «الغلاف الأيونى» ، وذلك بسبب التأثير الأيونى للإشعاع الشمسى . ويغلب أن يتوزع هذا الغلاف فى طبقات تعكس أمواج الراديو وتفيد فى أغراض الاتصالات اللاسلكية بين الأماكن المتباعدة على الأرض . كذلك تجدر الإشارة إلى أن الغلاف الجوى بأكمله يقع تحت تأثير مجال الأرض المغناطيسى الذى يمتد لآلاف الكيلومترات مكونا ما يعرف باسم «الغلاف المغناطيسى» أو «الماجنيتوسفير» Magnetosphere ، وهو ضرورى بالنسبة لخصائص الوسط الذى تسبح فيه الأرض وطاقات الإشعاع التى تطلقها الشمس .

ولعلنا الآن ، بعد أن عرضنا بايجاز للتعرف على مكونات الغلاف الجوى وطبقاته ، لا نملك إلا أن نسجد شكراً لله سبحانه وتعالى على حكمته السابقة من هذا الخلق العظيم بقدر معلوم .

فغاز الأوزون هو الذى يمتص الجزء المدمر من الأشعة فوق البنفسجية ، وكل من غازى ثانى اكسيد الكربون وبخار الماء الموجودين بجو الأرض هما اللذان يمتصان معظم الأشعة تحت الحمراء ، وإليهما يعزى السبب الرئيسى لحرارة الجو . أما قطرات الماء وبعض جسيمات الغبار المعلقة فى طبقات الجو المنخفضة فتمتص الإشعاع الشمسى أو تشتته فى نطاقات موجية مختلفة . وهكذا لا يتلقى سطح الأرض من هذا الإشعاع الشمسى الهائل سوى قدر ضئيل جداً يسهم فى تلبية جميع احتياجاتنا على الأرض ، ويعمل الجو بتأثير «البيت الزجاجى» لكى تظل درجة الحرارة دائما عند معدل ثابت على سطح الكوكب .

وللحديث بقية إن شاء الله .

ا.د. احمد فؤاد باشا

إريتريا ومشاكلها

للأستاذ: ماهر زكريا الشيمى

النواحى الجغرافية :

تقع إريتريا شرق السودان ، وشمال اثيوبيا ، مابين دائرتى عرض ١٢° ، ١٨° شمالاً ، وخطى طول ٣٧° ، ٤٣° شرقاً . وتبلغ مساحتها ١١٩ الف كيلومتر مربع وهى تطل على الساحل الغربى للبحر الأحمر إلى الشمال من مضيق باب المندب .

ورغم صغر مساحتها إلا ان تنوع التضاريس والمناخ فيها يجعلها نموذجاً لقارة كاملة ، فمعظم سطحها هضبة متوسطة الارتفاع تعتبر امتداداً لهضبة الحبشة جهة الشمال . يتراوح ارتفاعها من « ٦٠٠٠ » إلى « ٨٠٠٠ » قدم عن سطح البحر ، وينخفض سطح هذه الهضبة تدريجياً نحو الشرق إلى اخدود البحر الأحمر مكونا سهلا ساحلياً قليل الاتساع لكنه يتسع كثيراً فى قسمه الشمالى حيث يعتبر امتداداً شرقيا لسهول السودان ، ويبلغ طول الساحل الإريترى نحو الف كيلومتر مبتدئاً من راس « قصار » عند الحدود السودانية شمالاً وينتهى جنوباً عند باب المندب فى راس « ارحيتا » قرب جيبوتى . وفيه عدد من المراسى الطبيعية ويقع عليه ميناءا « مصوع » و« عصب » . وامام هذا الساحل « ١٢٦ » جزيرة تابعة لاريتريا اكبرها جزيرة « دهلك كبير » . وتوجد السهول فى الأجزاء الغربية من إريتريا وهى تشبه اراضى السافانا فى السودان . اما الأجزاء الشرقية من الهضبة فتوجد بها الصحارى الشرقية وهى تشبه صحارى شبه الجزيرة العربية القاحلة .

وتنعم هضبة إريتريا بطقس ربيعى دائم . ويتراوح متوسط الأمطار فيها مابين ١٥ ، ٢٠ بوصة سنويا . ويسمح اعتدال المناخ وكمية الأمطار بزراعة أنواع كثيرة من الحبوب الغذائية تزيد على أربعين نوعاً أهمها القمح والعدس والفول والذرة الشامية « عفون » كما يزرع التبغ على المنحدرات .

وتمد الهضبة السهول الغربية والسهول

* الكاتب : الوكيل الثقافى لمنطقة القاهرة ـ الأزهر الشريف .

الشرقية بالمياه أثناء موسم الأمطار الذى يمتد أربعة أشهر من يونية إلى سبتمبر . وأهم الأنهار الموسمية « الأخوار » خور « بركة » الذى ينتهى فى السودان مكوناً سهل « طوكر » ويروى مزارع الموز والفواكه المدارية التى يمتلك معظمها الإيطاليون . وخور « القاش » الذى يروى المزارع الواسعة . أما « نهر ستيت » الذى يشكل الحدود بين إريتريا وأثيوبيا فهو النهر الوحيد الدائم الجريان فى إريتريا ويعرف باسم « تكازى» فى أثيوبيا وباسم عطبرة فى السودان ، ويشكل أحد الروافد الهامة لنهر النيل حيث يلتقى به عند مدينة عطبرة .

وتتمثل إمكانيات إريتريا الزراعية فى الدلتا الواقعة بين « خور القاش » « ونهر ستيت » . وهى أرض سهلية خصبة ويقرر الخبراء إمكانية التوسع الزراعى فيها فى حدود مليون ونصف مليون فدان .

وأهم الزراعات فيها القطن . ومما تجدر الإشارة إليه أن الزراعة فى شرق السودان فى سهول طوكر وكسلا وحلفا الجديدة إنما تقوم على مياه الأنهار الإريترية الثلاثة .

الأحوال الاقتصادية

وسكان الهضبة مزارعون ، يعتنق بعضهم المذهب الأرثوذكسى المسيحى ، والأرض ملك للقرى بصفة جماعية ، ويسمى هذا النظام

اريتريا ومشاكلها..

« رستى » أما السهول الشرقية والسهول الغربية فمعظم سكانها رحل أو شبه رحل أى يحترفون الرعى أو الزراعة والرعى فى نفس الوقت ، ويدين معظمهم بالإسلام .

ويسكن ٧٨ فى المائة من سكان اريتريا فى الريف . ولذا فإن معظم صادراتها زراعية وحيوانية ، وأهمها الموز ويصدر إلى السعودية وإيطاليا والفواكه المدارية والفول والسمسم . وتصدر معظم اللحوم إلى إسرائيل التى تسيطر شركتها « انكودى » على صناعة اللحوم وفق اتفاقية التعاون بين إسرائيل وبين سلطات الاحتلال الأثيوبية .

وتتمتع إريتريا باكتفاء ذاتى فى المواد الغذائية وتمتلك ثروة حيوانية من الأبقار والأغنام والإبل والخيول تبلغ حوالى عشرة ملايين رأس وتوجد بها مراكز للعناية بالماشية ومزارع لتربية الأبقار المهجنة ويصدر الإقليم منتجات الألبان إلى إيطاليا .

وتوجد بإريتريا ثروة خشبية هائلة مصدرها الغابات التى تغطى الأجزاء الغربية والجنوبية من الهضبة . كما تمتلك إريتريا ثروة بحرية هائلة من الأسماك واللؤلؤ والأصداف والملح ، وتزيد جملة صادرات الثروة البحرية على ٣٠ مليون دولار سنوياً تستولى عليها السلطات الأثيوبية .

وأهم الصناعات فى إريتريا تعليب اللحوم والفواكه والأسماك والجلود والسماد والكبريت والأخشاب والسجاد و« الزراير » والصابون والملح والمنسوجات واستخراج الزيوت وصناعات البلاستيك والورق والخمور والحبال والمواسير والأسمنت وصناعة تجميع السيارات والثلاجات . ومعظم هذه الصناعات تتركز فى العاصمة « أسمرة » ويديرها إيطاليون . ويبلغ عدد العمال المشتغلين بالصناعة نحو مائة ألف عامل .

وتمتلك إريتريا ثروة معدنية كبيرة ومتنوعة اهمها الحديد فى جبال « دقى امحارى » ويقدر الاحتياطى بنحو ٢٥٠ مليون طن ، والذهب فى مناجم « تكوميا » وجبال « قدم » والنحاس والنيكل والميكا ، والبوتاس والاسبستوس والمنجنيز واليورانيوم . ويؤكد الخبراء وجود البترول فى سواحل إريتريا وفى بعض الجزر أمام الساحل ومعظم هذه المعادن لم يستغل برغم نشر الاحصاءات الرسمية عنها بسبب عدم الاستقرار السياسى .

وتوجد فى إريتريا شبكة مواصلات جيدة ، حيث يبلغ طول الطرق المعبدة ٣٠١٦ كيلومترا تربط كل المدن بها . كما يوجد خط سكة حديد يبلغ طوله ٣٠٦ كيلومترات يبدأ من « مصوع » حتى « أغردات » مرورا بأسمرة ويخترق ٣٥ نفقا .

التقسيم الإدارى

وتنقسم إريتريا إداريا إلى تسع محافظات هى :

١ ـ محافظة حماسين : وعاصمتها « أسمرة » وهى عاصمة إريتريا وعدد سكانها « ٣٠٠,٠٠٠ » نسمة .

٢ ـ محافظة البحر الأحمر : وعاصمتها « مصوع » وهى ميناء إريتريا الرئيسى وعدد سكانها « ٥٠,٠٠٠ » نسمة .

٣ ـ محافظة دنكاليا : وعاصمتها « عصب » الميناء الثانى لإريتريا وعدد سكانها « ٣٠,٠٠٠ » نسمة .

٤ ـ محافظة الساحل : وعاصمتها « نقفة » .

٥ ـ محافظة كرن : وعاصمتها « كرن » .

٦ ـ محافظة سراى : وعاصمتها « عدى » و« قرى » .
٧ ـ محافظة أكلى قوزاى : وعاصمتها (عدى قيح) .
٨ ـ محافظة بركة : وعاصمتها « أغردات » .
٩ ـ محافظة القاش : وعاصمتها « بارنتو » .

السكان :

يقدر شعب اريتريا بنحو ثلاثة ملايين نسمة . ويتكون من مجموعات قبلية كثيرة تختلف جنسيا ولغويا ودينيا . ويرجع هذا إلى أن الإقليم كان معبرا لهجرات بشرية متباينة ، أهمها هجرات الشعوب النيلية الزنجية من جنوب السودان وغربه ، وأيضاً هجرات الحميريين والسبئيين من اليمن عبر البحر الأحمر ، وكذلك هجرات الشعوب القوقازية والحامية من الشمال . ويمكن القول بأن تجمعات السكان فى إريتريا إنما قامت وفقاً لاعتبارات اللغة والثقافة والحضارة ، أكثر من الاعتبارات العرقية أو الجنسية ومن ثم نجد قبائل « التجرى » وهى تقيم فى الهضبة وهم فرع من الأحباش وعددهم يزيد على نصف المليون ، ومعظمهم من المسيحيين والقليل منهم مسلمون . وفى شمال وغرب المرتفعات فى سهول خور بركة توجد قبائل تعتبر فروعاً من قبائل « البجة » فى السودان ويبلغ عددهم حوالى نصف مليون نسمة ومعظمهم يدين بالإسلام والقليل منهم مسيحيون . وفى الجزء الجنوبى من السهل الساحلى والصحراء التى تحف به توجد قبائل « الدناكل » وكلها مسلمون وعددهم يزيد على خمسين ألف نسمة . وفى المناطق الساحلية الوسطى بين « البجة » و« الدناكل » توجد قبائل « الساهو » وهم يدينون بالإسلام وعددهم حوالى مائة ألف نسمة . وتعيش قبائل « باريا » فى سهول خور القاش وأغلبهم من المسلمين وعددهم يزيد على عشرة آلاف نسمة .

ويتحدث السكان فى إريتريا ثمانى لغات (لهجات) محلية بخلاف العربية ، وتنقسم هذه اللغات إلى ثلاثة أقسام سياسية هى :

● أولاً : **اللغات السامية** : وتأتى فى مقدمة اللهجات الإريترية من حيث أهميتها ودورها الثقافى والحضارى ومن حيث عدد المتحدثين بها حيث تصل نسبتهم إلى ٨٠٪ من مجموع السكان وتتمثل فى « التجرى » و« التجرينية » .

● ثانياً : **اللغات الحامية** : وإليها تنتمى لغة « الدناكل » و« الساهو » وقبائل « البنى عامر » فى « وادى بركة » الأسفل .

● ثالثاً : **اللغات النيلية (الأفريقية)** : فى أقصى غرب إريتريا وتتحدث بها قبيلتا « الباريا » و« البازا » .

وكل هذه اللهجات « اللغات » غير مكتوبة باستثناء اللغة التجرينية . أما اللغة العربية فهى منتشرة فى إريتريا وبخاصة فى المدن والمناطق الإسلامية . كما كانت لغة الثقافة بالنسبة للمسلمين منذ العهود القديمة . وقد اتخذها البرلمان الإريترى لغة رسمية لإريتريا إلى جانب التجرينية[1] ويساعد انتشارها على انتشار الثقافة فى إريتريا وعلى توحيد السكان الذين يتحدثون لهجات مختلفة ، ومنذ الاحتلال الأثيوبى لإريتريا حاربت السلطات الاثيوبية استعمال اللغة العربية واللغة التجرينية فى المدارس والإدارات الحكومية وأحلت محلها لغتها « الأمهرية » عملاً بسياسة الاحتواء و« التمهير » ويهتم الثوار الإريتريون باللغتين الرسميتين التجرينية والعربية اهتماما بالغا ويعملون على نشرها فى الريف الإريترى .

يتبع

(١) المادة ٣٨ من الدستور الإريترى .

طرائف ومواقف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« سؤال العافية »

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة » .

قالوا : فما نقول ؟

قال : « اسألوا الله العافية فى الدنيا والآخرة » ..

« رواه الترمذى وحسنه »

وقال : ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من رأى صاحب بلاء ، فقال : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيراً من خلقه وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا لم يضره البلاء » .

« رواه الترمذى والطبرانى »

وقال معاوية : العافية بيت يؤويه ، وثوب يكفيه ، وسلطان لا يعرفه فيؤذيه ، وزوجة ترضيه .

وقال سهل التسترى : أجمع العلماء أن تفسير العافية : « ألا يكل الله العبد إلى نفسه » .

ـ حقا ـ

الله أكبر إن دين محمد
وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لاتذكر الكتب السوالف عنده
طلع الصباح فأطفىء القنديلا

« تقويم اللسان »

قال الرشيد للأصمعى : ما أحسن ما مربك فى تقويم اللسان ؟

فأجاب : أوصى رجل بعض بنيه فقال : أصلحوا من ألسنتكم ، فإن الرجل تنوبه النائبة فيتجمل فيها ، فيستعير من أخيه وأبيه ، ومن صديقه ثوبه ، ولا يجد من يعيره لسانه ، وأنشد فى ذلك :

وما حسن الرجال لهم بزين
إذا ما يسعد الحسن البيان
كفى بالْحُرّ عيبا أن تراه
له وجه وليس له لسان

« التهنئة بالمولود »

حدث أبو عبد الله الناجى ، قال : كنت عند الحسن ، فقال رجل : ليهنئك الفارس . فقال : لعله أن يكون بَغّالا ! ولكن قل : شكرت الواهب ، وبُورك لك فى الموهوب ، وبلغ أشدَّه ، ورزقت بره .

« لا شهادة لمن جعل نفسه عبدا »

حضر الفضل بن الربيع ، وزير هارون الرشيد عند القاضى أبى يوسف يوماً ليشهد فى قضية ، ولكن أبا يوسف رد شهادته ولم يقبلها ، فعاتبه

الخليفة قائلاً : لِمَ رددت شهادته ؟؟

فقال أبو يوسف : لأنى سمعته يوماً يقول لك : أنا عَبْدُك ، فإن كان صادقاً فلا شهادة للعبد ، وإن كان كاذباً فكذلك لأنه إذا لم يبالِ بالكذب فى مجلسك ، فلا يبالى فى مجلسى ، فعذره الخليفة .

« اذكر يوم الأذان »

دخل رجل فى جماعة من الناس على سليمان ابن عبدالملك وهو جالس للعامة ، فقال : ياسليمان أذكرك يوم الأذان ، فارتاع لما دعاه باسمه ، وقال : ويحك ، وما يوم الأذان ؟

قال : قول الله ـ عز وجل ـ ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .

فبكى سليمان ، وقال : ما حاجتك ؟

فقال : أنا جار فى ضيعتك الفلانية وقد ظلمنى وكيلك ، فأضر ذلك بى وبعيالى ، قال : قد وهبت لك الضيعة ، وكتب إلى وكيله بتسليمها إليه .

« لو عاشا إلى زماننا هذا »

قال أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ لمعاصريه من الصحابة والتابعين :

إنكم لتعملون أعمالاً هى أدق في أعينكم من الشعر ؛ إن كنا لَنَعُدُّها على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الموبقات .

وكانت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تنشد بيت لبيد بن ربيعة :

ذهب الذين يُعاش فى أكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وتقول : رحم الله لبيدا ، كيف لو عاش إلى زماننا هذا ؟

وكان ابن أختها عروة بن الزبير ، وقد عاش بعدها زمنا ينشد البيت ، ويقول : رحم الله لبيدا وعائشة ، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا ؟ .

« أستحى من الله »

لما حج المهدى ودخل الكعبة ومعه منصور الحجبى ، وهو من حجبة البيت قال له المهدى : اذكر حاجتك ؟

فقال : أستحى من الله أن أسأل فى بيته غيره ، فلما خرج أرسل إليه بعشرة آلاف دينار .

« من الغنى ؟ »

قال رجل لإبراهيم بن أدهم ، يا أبا اسحاق كنت أريد أن تقبل منى هذه الجبة كسوة .

فقال له إبراهيم : إن كنت غنياً قبلتها منك ، وإن كنت فقيراً لم أقبلها منك .

قال الرجل : فإنى غنى .

قال إبراهيم : وكم مالك ؟

قال الرجل : ألفا درهم .

قال إبراهيم : فأنت تود أنها أربعة آلاف ؟

قال الرجل : نعم .

قال إبراهيم : فأنت فقير ! لا أقبلها منك .

« سياسة الحجاج »

كتب الوليد بن عبدالملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه عن الطريقة التى يتبعها فى حكمه فأجابه بقوله : إنى أدنيت السيد المطاع فى قومه ، ووليت المجرب الحازم فى أمره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسى ؛ قسماً أعطيه حظاً من لطيف عنايتى ونظرى ، وصرفت السيف إلى النصف المسيىء ، والثواب إلى المحسن البرىء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب .

« دعـــاء »

يامن يرى مد البعوض جناحها
فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها
والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته
ماكان منه فى الزمان الأول

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

المحبة وأنواعها

وبعض آثارها الجليلة

لصاحب الفضيلة
الشيخ يوسف الدجوى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

المحبة فطرة إلهية يضعها الله فى قلب من يشاء عنوانا للنقاء الروحى الذى يتحلى به . والفطرة الحسنة تنبت وتثمر فطرة مثلها فيعم خيرها الناس ، ويذكو بها صاحبها وينال الثناء الرفيع قال الأستاذ - رحمه الله :

« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .

المحبة : ينبئك عنها قلبك أكثر مما تنبئك عنها الحدود والرسوم ، والشىء إنما يحد لخفائه واستتاره كى يظهر ويتبين ، فإذا كان الشىء ظاهرا جليا يعرفه جميع العقلاء لم يحتج إلى حد .

المحبة : سر الله المخزون الذى تشفى به جميع الأدواء القومية ، والترياق الذى تذهب به سموم الأمراض الاجتماعية . المحبة هى أنجع وسيلة لاقتلاع الشرور من النفوس ، وإبادة أنواع التفنن فيها من العالم البشرى . وإذا تأكدت بين قوم أحلتهم محل الصفاء ، وسارت بهم أسرع ما يكون فى طريق الارتقاء ، ونقلتهم إلى دائرة الأسرة الواحدة ، فكانوا كالجسم الواحد إذا تألم منه عضو تألم له سائر الجسد .

لو تمت المحبة بين الناس لما رأيت دما يسفك ، ولا عرضا يهتك ، ولا مالا يسرق ؛ ولما رأيت المحاكم الأهلية كالأسواق مزدحمة بكل أنواع القضايا ، ولا وجدت المحاكم الشرعية مكتظة بدعاوى الأقارب لميراثهم والزوجات لنفقاتهن .

لو تمت المحبة بين الناس لبات كل إنسان بين أسرته على أتم ما يكون من الصفاء وأكبر ما يتصور من النعيم ؛ ولكان عيش الناس فى الدنيا أشبه شىء بعيش أهل الجنة فى الجنة . وأظنك كثيرا ما تحركت منك الغبطة عندما ترى

ما بين الأسرة الفقيرة من المحبة التى جعلتهم يتقلبون فى الهناء[1] ولا يحسون بالشقاء .

لو تمت المحبة بين الناس لتمت بينهم الرحمة ؛ فانتفع الضعيف بالقوى ، والفقير بالغنى ، والصغير بالكبير ، والصعلوك بالأمير ، وامتلأت الأرض خيرا وبركة .

وإجمال القول فى المحبة بعد ذلك كله أنه لولا الحب لم يتم نعيم لمتنعم . وكيف ينعم الإنسان بغير ما يحب . ولهذا ترى المغنين لا يكادون يغنون إلا بما يكون فيه ذكر الحب والمحبين ؛ ولا يجد الإنسان سلوة لنفسه ولا نعيما بقلبه إلا بتلك الذكريات اللذيذة والأوقات السالفة التى قضاها فيما يحب ومع من يحب .

وبالجملة فراحة الإنسان وسرور نفسه وبهجة روحه لا تكون إلا لذكر الحب ، وشرح الكامن فى الفؤاد المثير للعواطف ، مما له سلطان فوق العقل ، وسر يدق عن التعبير .

لهذا كله لم يرد فى الكتاب والسنة من الحث على شىء مثل ما ورد فى المحبة ، علما منه ﷺ بأنها أساس الخير وجماع الفضائل حتى جعلها شرطا فى الإيمان ، فقال : «والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا» .. رواه مسلم .

فانظر كيف جعلها شرطا فى الإيمان ولم يكتف بذلك حتى أقسم عليه ﷺ .

وقد ورد فى الحث على المحبة والتحذير من التشاحن والتفرق ما لا يكاد يحصى (وستسمع شيئا من ذلك) وكأنه مرمى الدين الذى لا يريد غيره .

وقد جاء فى الصحيح : «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ . وقال : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

وقال مخاطبا نبيه ﷺ مذكرا إياه تلك المنة الكبرى : ﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقد أثنى على قوم بقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقال : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وقد أمرنا بلين الكلام وإفشاء السلام ، ونهينا عن الخصام فوق ثلاثة أيام .

وقد جاء كل ذلك طلبا للمحبة ومحافظة على

(١) اشتهر فى هذه الأيام التى كثر فيها الاجتهاد وشغف الناس فيها بالانتقاد أن الواجب أن يقال هناءة لا هناء . وهذا من قصور الاطلاع . ففى كتاب الهمز لأبى زيد الأنصارى المطبوع ببيروت صفحة ٢٥ ما يفيد صحة ذلك ووروده . وكذلك فى كتاب الفلك المشحون ليونس المكى المتوفى فى القرن الثامن صفحة ١٦٣ ما يفيد ذلك أيضاً . ومثل هذا قول الأديب الكبير ابن نباته :

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

وقول إمام العربية محمد بن مالك فى حروف الزيادة ذلك البيت المشهور :

هنـاء وتسليم تلا يـوم انسه نهاية مسئـول أمان وتسهيـل

وهو الذى قال إنى قرأت صحاح الجوهرى كله فلم أستفد منه غير كلمتين فقط . فانظر إلى هذا وإلى ذلك التشدق الذى يكثر منه أولئك المتفيقهون !

من روائع الماضي

مباديها ، رجاء أن تنتهي بالناس إلى غايتها فيزول عنهم الشقاء وتتم لهم السعادة . فإن استطعت أن تبيت وليس فى قلبك بغض لأحد فافعل . أزل ما فى قلبك من الحقد للناس كافة ، وتودد إليهم ليصفو عيشك وتطيب حياتك .

تحبب إلى جيرانك وأقاربك بقدر ما يمكنك ، وابذل الوسع فى ذلك (وأصل الحب التحابب) . وقد قال ﷺ : «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» . أخرجه البخارى ومسلم . «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ! قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه» . رواه البخارى ومسلم . وقال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت» . رواه مسلم .

صالح أعداءك ، وأرح نفسك من عناء الفكر ، وقلبك من تدبير السوء ، واربأ بعمرك العزيز أن تصرفه فى طرق العناد وأسباب الفساد .

وقد قال ﷺ : «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» رواه البخارى ومسلم .

أسباب المحبة

المحبة : مركوزة فى النفوس ، ولا نعيم للقلوب إلا بها ، حتى إن من ليس له محبوب مخصوص تراه عند سماع النغمات أو هبوب النسيم يئن أنينا ويحن حنينا ، وربما بكى تلهفا أو سرورا إذا كان رفيع الاستعداد رقيق الفؤاد .

وهذا النعيم الذى يجده ، وتلك اللذة التى يشعر بها ، ليس منشؤها التذاذا بالأصوات واستحسانا للنغمات ، بل من أجل أن ذلك حرك من نفسه ساكنا وهيج كامنا ، وإن كان لا يدرى إلى أى شىء يحن أو لماذا يئن ؛ ولكنه مقتضى الغريزة الإنسانية والحكمة الربانية . وليس بلازم أن نأتى على كل ما فى الأمر من سر . فيمكنك أن تهيج تلك الغريزة من نفسك ، فإن أصل الحب التحابب . ولهذا ندبنا الدين الحنيف لكل ما عسى أن يكون وسيلة لذلك من زيارة بعضنا بعضا ، ومودة بعضنا بعضا ، وإهداء بعضنا بعضا ، ومصافحة بعضنا بعضا ، إلى غير ذلك مما جاء فى السنة .

وقد قالوا : إن العشق فى أول أمره يكون اختياريا ثم يصير اضطراريا ؛ فهو بمنزلة الشراب تستطيع أن تشرب وألا تشرب ، ولكن لا تستطيع بعد ألا تسكر . ولعلك عاينت من الأسباب التى استعملتها لتحبيب بعض القلوب إليك شيئا كثيرا .

وأما الأسباب الطبيعية للمحبة فأقواها التناسب بين الأرواح ، فإنها جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . كما فى الحديث ، وعلى قدر ذلك التناسب يكون الحب ، وما حشر المرء مع من أحب إلا لكونهما من واد واحد . ولهذا السبب قد تتعجب من محبة بعض الناس لبعض على غير معنى فيه ، غافلا عن هذا التشاكل الروحانى الذى هو أقوى الأسباب وإن كان أخفاها ، وهو السبب الذى لا يلحقه زوال ولا يعتريه اضمحلال ؛ وصاحبه هو المحبوب لذاته لا لعلة ولا غرض .

وأما من أحبك لإحسانك إليه ـ والإحسان من أسباب المحبة ـ فقد تتغير محبته إذا انقطع إحسانك عنه . وربما عاداك وأضرك إذا وجد فى ذلك فائدة أكبر وثمرة أعظم متى كان خبيث

الطبع لئيم النفس ، لأنه ما أحبك إلا لغرضه ، فهو مع الغرض حيث كان . ومحبة الأزواج والأصحاب تارة تكون من قبيل المحبة التى للأغراض وقضاء المآرب وتبادل المنافع وكثرة الفوائد ، وهى المحبة التى لا تدوم ؛ وتارة تكون للمناسبة بين النفوس ، فلا تزداد على مر الأيام وكثرة الحوادث إلا قوة ومتانة . وهذا مما ينبغى الالتفات إليه جدا فيما بين الزوجين حتى تكون بينهما ألفة طبيعية ومحبة ذاتية ، فلا يتطرق إليها انصداع ولا يلحقها انقطاع ، وإلا تعاملوا معاملة التجار اللئام ، وذهبوا إلى المحاكم بعد قليل من الأيام .

ومما يلتحق بسبب التشاكل الذى شرحناه ما تراه من ميل الصانع إلى الصانع ، والزارع إلى الزارع ، حتى إن السارق يرتاح للسارق ، والفاسق يرتاح إلى الفاسق ، لما بينهما من الصفات المشتركة (شبيه الشىء منجذب إليه) ، بل ذلك فى غير أفراد الإنسان .

وقد قالوا : «إن الطيور على أشكالها تقع» وإن كان كثيرا ما يفرق بينهم تنازع البقاء ، فيوقعهم فى الشحناء والبغضاء . وأكثر الأسباب الواقعة بين الناس ما دعا إليه الغرض واقتضته الحاجة حتى قال أبو حيان النحوى :

لا ترجون دوام الخير من أحد
فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى إليك يدا
من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

ولهذا لا تكاد ترى محبة صادقة ؛ غاية الأمر أن صاحب النفس الشريفة لا ينسى ودا ، ولا ينقض عهدا ، ولكنه كثيرا ما يفعل ذلك بمقتضى إحساسه الشريف ، ومروءته الفاضلة ، لا بمقتضى الألفة والمحبة .

وأهل تلك المحبة التى غايتها المنفعة الشخصية أكثر المحبين توددا إليك ، وترددا عليك ، ومسارعة إلى امتثال أوامرك ، ولو كلفتهم نقل الصخور أو نطل البحور ، مادامت إليك حاجاتهم ولديك غاياتهم ، حتى يخيل لك فى تلك الأيام أنك ظفرت بأعظم الناس نفعا وأرقهم طبعا ، فإذا ظفروا بما أرادوه منك ولم يتوهموا لديك شيئا يعود عليهم ، طاروا من حولك طيران الذباب إلى من يبتغون عنده حاجتهم ، حتى إذا نالوا منه بغيتهم فعلوا فعلتهم . فعلى من يريد اتخاذ الأصدقاء أن يبحث عن جوهر النفوس ومالها من الصفات الذاتية والاستعدادات الطبيعية ، ولا يغتر بتلك الألوان البراقة التى يظهر بها الإنسان على حسب الحاجة ، فإنه فى ذلك أبرع من الحرباء وأروغ من الثعلب (والإنسان مجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات) .

هذا ومن أسباب المحبة الجمال الظاهرى أو الباطنى ، وبهذا السبب قد أحببنا الأزهار والأطيار ، والصور الجميلة والنقوش البديعة ، فإن الجمال لا يختص بنوع الإنسان أو جنس الحيوان ، بل جمال كل شىء فى أن يصل إلى كماله الذى يراد منه ، وغايته الممكنة له ؛ والجمال محبوب بالطبع لذاته ؛ ولهذا السبب بعينه قد أحببنا الكرماء والفضلاء والعلماء . وإياك أن تكون ممن يقصر الحب على الجمال الحسى والحسن الظاهرى ، فتنكر محبة الله تعالى حبا وجدانيا ذوقيا ، فتكون من العامة لا من الخاصة الذين فهموا قوله تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ حق الفهم فلم يحتاجوا فيه إلى تجوز ولا تأويل .

على أن ذلك غريزة فى الإنسان وإن كانت تحتاج إلى التهييج فى بعض الناس الذين لم تفسد إنسانيتهم بالكلية وأن الذى تجده من محبة العامة لعنترة وغيره من الشجعان ، وتفانى

من روائع الماضى

بعض الناس فى محبة بعض العلماء والعظماء ، وارتياح النفس والتذاذها بسماع أخبار سيدنا عمر بن الخطاب فى عدله ، أو سيدنا على بن أبى طالب فى شجاعته وعلمه وسرعة بديهته وقوة حجته ، أو أخبار السموءل فى وفائه ، أو حاتم الطائى فى سخائه ، ليس إلا بمقتضى تلك الغريزة التى تفضل الجمال المعنوى على الجمال الحسى .

هذا وقد رأينا أن نسمعك بعض ما جاء فى السنة مما يناسب هذا الموضوع ، فنقول : قال رسول الله ﷺ : «من لم يرحم الناس لا يرحمه الله» . رواه البخارى ومسلم . وعنه ﷺ قال : «ليس منا من لم يوقر الكبير ، ويرحم الصغير ، ويأمر بالمعروف ، وينه عن المنكر» . رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه .

وقال ﷺ : «طوبى لمن تواضع فى غير منقصة ، وذل فى نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة» . رواه الطبرانى .

«لا تنزع الرحمة إلا من شقى» . رواه أبو داود واللفظ له ، والترمذى وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك ، سره الله عز وجل يوم القيامة» رواه الطبرانى فى الصغير بإسناد حسن .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : «جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : إنكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم . فقال رسول الله ﷺ : أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك» . رواه البخارى ومسلم .

«دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» . رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «دنا رجل إلى بئر فنزل فشرب منها وعلى البئر كلب يلهث ، فرحمه : فنزع أحد خفيه فسقاه ، فشكر الله له فأدخله الجنة» . رواه ابن حبان فى صحيحه .

«من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ؛ ومن ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة ؛ والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» رواه مسلم .

« لايستر عبد عبدا فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» . رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : «صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : «يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله» .

ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال : «ما أعظمك وما أعظم حرمتك : والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» . رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال ، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم . قيل وكيف ذاك يارسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامهم» رواه الحاكم والطبرانى بإسناد حسن .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : «أوصانى خليلى ﷺ بخصال من الخير : أوصانى ألا أنظر

البقية صـ ٣٠١

اللغة والأدب والنقد

كتاب الواحوش

الدراما إلى أين ؟

اللغة والنحو في مقدمة ابن خلدون

كتاب الوحوش

عن الأصمعي (رحمه الله)

تحقيق الأستاذ
أيمن محمد ميدان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون ، ولله الحمد[١]

صفة الحمر[٢]

قال أبو سعيد الأصمعي : هو الحمار والعير والمسحل [وجماعة العير أعيار][٣] .

والأخدرية منها ما كان من ولد حمار يقال[٤] له الأخدر ، قال الشاعر[٥] : الكامل[٦]

أمن لعادية كأن أوارها

نقع تعاوره بنات الأخدر[٧]

[العادية : الحاملة][٨] .

[وهو الرَّبَاعي][٩] ، قال الحطيئة : ـ الطويل ـ

---

(١) بعده في ت ، ج : « هذا كتاب أسماء الوحوش وصفاتها ».

(٢) عبارة ت ، ج : « هذه صفة الحمار ».

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٤) عبارة ت ، ج : « يَقُولُ له ».

(٥) عبارة ت ، ج : « قال الحطيئة ».

والحطيئة لقب غلب عليه لقصره وقربه من الأرض ، ويكنى أبا مليكة ، وكان راوية زهير ، وكان هجاء سليط اللسان . انظر ترجمته في : أول ديوانه الذي صنعه أبو سعيد السكري ، والاشتقاق ١٧٠ ، وطبقات فحول الشعراء ٨١ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٥ والشعر والشعراء ٣٢٢ ـ ٣٢٨ والإصابة ٢/٦٣ ـ ٦٤ ، والأغاني ٢/١٥٧ ـ ٢٠٢ ، فوات الوفيات ١/٩٩ وخزانة الأدب (بولاق) ١/٤٠٩ .

(٦) تحديد بحر الشاهد ليس من صنعنا ، بل ورد في ت ، ج .

(٧) صدر البيت ساقط من الأصل ، وأضفناه من ت ، ج . والبيت في ديوان الحطيئة ٦٢ برواية : « أَمِنْ لِرَاسِيَةٍ كَأَنَّ وَرَاءَهَا ».

الأخدري : حمر من حمر الوحش تسمى الأخدرية تكون بسيف البحر ، وهي أشد وأعظم وأطول أذناباً وأعظم حوافر .

(٨) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

ربــاع أبــوه أخــدري وأمــه من الحقب فحاش على العرس باسل(١٠)

ومنها الجأب وهو الغليظ منها ، قال العجاج(١١) : - الرجز -

جأبا ترى تليله مسجحا

والحزابية كل قصير غليظ من الرجال والحمر(١٢) ، وأنشدنا(١٣) :

حزابية قد كدمته المساحل(١٤)

ويقال حمار كندر وكنادر وكدر ، وكله واحد وهو الغليظ منها(١٥) ، قال ساعدة بن جؤية(١٦) :

- الطويل -

نجــاء كــدر من حمــير أبيــدة بقــائلــة والصفحتــين كلــوم(١٧)

وقال العجاج :

كأن تحتى كندرا كنادراً(١٨)

[قال] : والعلج منها الغليظ ، [وهو من الرجال كذلك](١٩)

←

---

(١٠) ديوان الحطيئة ١٩ .
والحُقْبُ : جمع أَحْقَب وحَقْبَاء ، وهو الذي بموضع الحقيبة منه بياض . وفَحَّاش : اي كثير النهيق والعضيض . والباسل : الكريه المنظر .

(١١) العجاج هو عبد الله بن رؤبة محمد بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان يكنى أبا الشعثاء ، والشعثاء ابنته ، وكان لقى أباهريرة وسمع منه أحاديث ... انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ٥٩٨ ، والأغانىْ ١٨/١٢٢ - ١٢٥ ، ٢١/٥٧ - ٦١ ، وكتب الصِّحاح .

(١٢) اللفظة فى ت ج ، « والحمير » .

(١٣) البيت للنابغة الذبيانى فى ديوانه ص ١١٦ . والنابغة الذبيانى هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان أحد الشعراء الجاهليين البارزين المشهورين ، انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ١٥٧ - ١٧٣ ومعاهد التنصيص ١/٣٥٨ والحماسة البصرية ١/٢٣٠ وطبقات فحول الشعراء ١/٤٣ وخزانة الأدب ١/٤٢٧ - ٤٢٨ وألقاب الشعراء ٣٠٨ .

(١٤) صدر البيت : « أقب كعقد الأندرى مسجح » . الأقب : الخميص البطن والأندرى : حبل منسوب إلى « أندر » وهى قرية بالشام ؛ شبه الحمار فى طيه وشدة خلقه بهذا الحبل المضفور . والمسجح : الذى قد عضته الحمر ورمحته . والمساحل : جمع مسحل وهو الذكر من الحمير .

(١٥) عبارة ت ج : « ويقال حمار كدر وكنادر وكندر » .

(١٦) عبارة ت ج : « وقال ساعدة بن جؤية الهذلى » .

(١٧) ديوان الهذليين ١/٢٣٥ وشرح أشعار الهذليين ١١٦٤ برواية : « بفائلة والصفحتين كدوم » .
وورد محرف القافية فى التاج « كدر » : « ... ندوب » وورد فى ت ج برواية :

فجــاء كــدر مــن حمــير عمــايــة بفــائلــة والصفحتــين كــدوم .

أبيدة : منزل الأسد بالسراة وهو بلد . والفائل : هو عرق يخرج من فوارة الورك حتى يجرى فى الفخذ إلى الساق والصفحتان : صفحتا العنق ، وكلوم وكدوم : آثار العض .

(١٨) لسان العرب (كندر) .

(١٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ج .

كتاب الوحوش

، قال الشماخ[٢٠] : ـ الوافر ـ

كـأن الكـور والأنســاع منهـا (٢٢) على علج رعى أنف الربيع[٢١]

وأنف الربيع : أوله ، من قولك استأنفت الأمر (من أوله) ؛ أي أخذته من أوله . ويقال : كأس أنف من الاستيناف[٢٣] .

(٢٦)
والقلو [هو][٢٤] الخفيف . والمحلج الذي يشبه [منها][٢٥] بالمحلج ، قال العجاج وهو ينعت أتانا :

ـ الرجز ـ

(٢٧)
تواضخ التقريب قلواً محلجا

والمواضخة أن[٢٨] تعدو مثل عدوه ، والوضوخ من الماء : القليل ، وإنما هذا مثل من المواضخة ، والمواضخة أن[٢٩] يستقى اثنان من ركيةٍ واحدةٍ .

والمكدم (الذي)[٣٠] قد كدمته الحمير

[والمطرد الذي قد طردته الحمير][٣١] (و)[٣٢] قال الشماخ : / ـ الطويل ـ

---

(٢٠) الشماخ بن ضرار أحد بنى سعد بن ذبيان ، أسلم وحسن إسلامه ، وشهد القادسية ، وتوفى فى غزوة « موقان » فى زمن عثمان ـ رضى الله عنه ـ انظر ترجمته : مقدمة ديوانه الذى حققه الدكتور : صلاح الدين الهادى . وطبقات فحول الشعراء ١/١٣٢ ـ ١٣٥ ، والشعر ٣١٥ والأغانى ٩/١٥٨ ـ ١٧٤ المؤتلف والمختلف ٢٠٣ والإصابة ٣/٣٥٣ ـ ٣٥٧ وخزانة الأدب ١/٥٢٥ ـ ٥٢٦ .

(٢١) ديوان الشماخ ٢٢٥ ، برواية :

كـأن حبالـه والـرحـل منـه عـلى علـج رعـى أُنُـفَ الـربيـع

وفى التاج (بدع) برواية الأصل . والعلج : حمار الوحش السمين القوى . والأنف بضم الهمزة والنون ـ الكلأ الذى لم يرع من قبل ولم تطأه ماشية . والربيع هنا الكلأ أو الغيث وفى ج : أُنُفَ الربيع .

(٢٢) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٣) عبارة ت : « ويقال كأس أنف من الاستئناف » .

(٢٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٥) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٦) عبارة ت : « قال العجاج » .

(٢٧) ديوان العجاج ٣٧١ . وفى ج : « مِحْلِجًا » وتواضخ : يعنى أنها لا تجتهد مع فحلها فى الجرى .

(٢٨) فى ج « إن » بكسر الهمزة ، وهو تحريف .

(٢٩) فى ج « والمواضخة إن يستقى ... » وهو تحريف أيضاً .

(٣٠) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٣١) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣٢) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

كأني كسوت الرحل جأباً مطردا   من الحقب لاحته الجداد الغوارز[٣٣]

والجداد[٣٤] واحدها جدود

ويقال للأنثى جِمَادَةٌ [وأتانة][٣٥] وأتان وبيدانة .

والنحوص الحائل التي لم تحمل في عامها ، يقال حالت فهي حائل[٣٦] ، وجمع نحوص نحائص ونُحُصٌ[٣٧] ؛ قال ذو الرمة[٣٨] - البسيط -

يتلو نحائص أشباهاً محملجة   قوداً سماحيج في ألوانها خطب[٣٩]

والخُطَبَةُ : الخضرة ، قال ساعدة بن جُؤَيَّة في الخطبة[٤٠] : - الكامل -

خرق غضيض الطرف أحور شادن   ذو حوة أنف المسارب أخطب[٤١]

مسارب[٤٢] : [جمع مسرب ، وهو الموضع الذي يمشى فيه الوحش][٤٣] (و)[٤٤] القوداء الطويلة العنق ، والسمحج الطويلة على وجه الأرض وليست بطويلة في السماء ، والأشباه / المشتبهة (التي)[٤٥] يُشبه بعضها بعضا .

والمحملجة الشديدة الطَّيِّ والجدل .

والعائط التي اعتاطت رحمها سنتين أو ثلاثا[٤٦] فلم تحمل ، وجمع عائط عوائط وعِيطٌ (مخففة)[٤٧]

←

---

(٣٣) ديوان الشماخ ١٧٥ برواية :

كأن قتودى فوق جأب مطرد   من الحقب لاحته الجداد الغوارز

القتود : جمع قتد وهى عيدان الرحل . والجأب : الغليظ من حمر الوحش ، والجداد : التى لالبن فيها ، وكذلك الغوارز .

(٣٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٥) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣٦) عبارة ت ، ج : « فيقال قد حالت » .

(٣٧) عبارة ت ، ج : « وجمع نَحُوص نُحُصٌ ونحائص » .

(٣٨) ذو الرمة لقب اشتهر به ، واسمه غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة .. انظر ترجمته فى : مقدمة ديوانه بتحقيق دكتور عبد القدوس أبو صالح ، وطبقات فحول الشعراء ٢/٥٤٩ - ٥٧٠ ، والشعر والشعراء ٥٢٤ - ٥٢٨ وسمط اللآلىء ١/٨١ - ٨٢ والاشتقاق ١٨٨ ، وخزانة الأدب ١/٥١ - ٥٣ .

(٣٩) ديوانه « أوروبا » ١٠ برواية :

يحدو نحائص أشباها محملجة   ورق السرابيل فى ألوانها خطب

وفى ج « قودا » ، يحدو أى يسوق بصوت كصوت الحادى والنحائص واحدها النحوص ، ورق السرابيل أى وبرها يشبه الرماد ، وقوله : خطب أى خضرة تضرب إلى سواد .

(٤٠) عبارة ت ، ج : « وقال ساعدة فى الخطبة » .

(٤١) ديوان الهذليين ١/١٦٨ ، وشرح أشعار الهذليين ١٠٩٩ الخرق : الصنفير منها الذى إذا ما فاجأته خرق ، وانقبض أن يعدو . وغضيض الطرف أى فاتر والشادن : المتحرك . ذوحوة : يقول : فيه خطوط تضرب إلى السواد ، الأخطب : الأخضر فى لونه .

(٤٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٤٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٤٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٤٥) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٤٦) عبارة ت : « أو ثلاثة » .

(٤٧) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

[وعُوطٌ](٤٨) ؛ قال أبو ذؤيب(٤٩) : — الكامل —

فرمى فأنفذ من نحوص عائط سهماً فخر وريشه متصمع(٥٠)

أي متصم من الدم(٥١) .

(قال أبو سعيد النَّفَّاط(٥٢) : عُيَّطٌ مُثقَّلٌ ، وبالتخفيف خطأ ، وإنما هو مثل ساجد وسُجَّد ، فيقال عائط وعُيَّطٌ .

قال أبو بكر بن دريد(٥٣) : قد قالوا حائل وحول وعائط وعُيَّطٌ وعِيطٌ الوجه)(٥٤) .

والجدود التي لا لبن لها ، كذلك والغارز ، يقال غرزت الناقة فهي غارز ، إذا ذهب لبنها(٥٥) ، والجماع(٥٦) الغوارز .

(وجمع الجدود الجدائد وجِدَادٌ وجُددٌ)(٥٧) .

والسقبة الخفيفة [وهي أيضاً الطويلة](٥٨) ، قال الأعشى(٥٩) : — الخفيف —

---

(٤٨) مابين المعقوفتين زيادة من ج . وعبارة ت : « وجمع عائط عوائط وعُيَّط وعُوَّط » .

(٤٩) أبو ذؤيب ، كنية اشتهر بها ، واسمه خويلد بن خالد .. وهو ممن أدرك الإسلام فاعتنقه وحسن إسلامه .. ولموته قصة طريفة في الاغاني ٦١/٦ . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ٦٥٣ ومابعدها ، والمفضليات ٤١٩ وشرحها للانبارى ٨٤٩ ، والاشتقاق ١١٠ ، والاغانى ٥٦/٦ ـ ٦١ وطبقات فحول الشعراء ٢٩ والإصابة ٦٣/٧ ـ ٦٤ وخزانة الأدب ٢٠١/١ ـ ٢٠٣ والمؤتلف والمختلف ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٥٠) ديوان الهذليين ٨ ، وشرح أشعار الهذليين ٢٢/١ فرمى يعنى القانص . والنحوص : الحائل ، والنحوص أيضا التى ليس فى بطنها ولد . ويروى « من نجود عائط » والنجود : الأتان الطويلة على وجه الأرض وقال غير الأصمعى : المتقدمة الجريئة . والعائط التى اعتاطت رحمها فلم تحمل سنتين أو ثلاثا .. والمتصمع : المنضم من الدم ، يقال سهم مصمع إذا كان ريشه قد دقق وألطف ، فإذا غلظ ريشه قيل سهم أغضف الريش .. قال الأصمعى : خر العير وريش السهم فيه .

(٥١) عبارة ت ، ج : أى منضم من الدم .

(٥٢) أبو سعيد النفاط : واحد ممن تلقوا العلم بين يدى الأصمعى ، معاصر لأبى حاتم السجستانى ت ٢٥٠ هـ وأبى الفضل العباسى بن الفرج الرياشى ت ٢٥٧ هـ ، ولم يذكره أحد ممن ترجموا للأصمعى وتلاميذه .

(٥٣) أبو بكر بن دريد : انظر ترجمته فى مقدمة كتاب الاشتقاق التى صنعها محقق الكتاب الشيخ العلامة عبد السلام هارون .

(٥٤) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٥٥) عبارة ت ، ج : والجدود التى لالبن لها . وكذلك الغارز . ويقال غرزت الناقة فهى غارز إذا ذهب لبنها .

(٥٦) اللفظة فى ت ، ج : « والجميع » .

(٥٧) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٥٨) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٥٩) الأعشى ، ميمون بن قيس .. من سعد بن صبيعة بن قيس . كان أعمى ويكنى : أبا البصير .. ويسمى « صناجة العرب » وكثرما كان يفد على ملوك فارس والحيرة ، فكثرت الفارسية فى شعره ، انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٢٥٧ ـ ٢٦٦ والاغانى ٧٤/٨ ـ ٨٣ ومعجم الشعراء ٤٠١ ، ٤٠٢ والمؤتلف والمختلف ١٢ والمعرب ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢١٤ ، ٣٤٠ وخزانة الأدب ٨٣/١ ـ ٨٦ .

لاحـه الصيف والغيار وإشفـا ق على سقبة كقوس الضال[٦٠]

والضال (من)[٦١] السِّدْر ما كان بالبر ، والعُبْرَى ما كان في القرى فأُسْقى[٦٢] لاحه : غيره الصيف (من)[٦٣] العطش في الصيف إذا فُقدت المياه في الربيع[٦٤] والغيار مغايرة الفحول .

قال العجاج : — الرجز —

كأن رحلى فوق طاو مشلل

ذى جُدَدٍ صَتْمٍ أَقبّ الأيطل[٦٥]

وقال الأعشى : — الكامل —

أو قارح يتلو نحائص جُدَّدا[٦٦]

و (القُبُّ جمع)[٦٧] الأقب والقباء اللاحقا البطون ، وقال الشاعر[٦٨] : — الكامل —

[عِلْجٌ][٦٩] أقب مقلص الأقراب[٧٠]

والحقباء والأحقب اللذان في حقويهما بياض ، قال / العجاج : — الرجز —

يتبع

(٦٠) الصبح المنير ٨ وديوان الأعشى ٧ برواية ثانية :

لاحـه الصيـف والصيـال واشفـا ق عـلى صـعـدة كقـوس الضـال

لاحه : أضمره وغيره الصيف لأنه وقت الجفاف ويبس الكلأ . والصيال : مصاولة الفحول من حمر الوحش . والغيار من الغَيْرَةِ . والصعدة : الأتان . وفى اللسان (سقب) : السقب : ولد الناقة ، وقيل : الذكر من ولد الناقة .. الجوهرى : ولايقال للأنثى سقبة ولكن حائل ، واستعمل الأعشى السقبة للأتان فقال ... البيت ، وفى الصبح المنير ص ٨ « قال الأصمعى ... لما جاء الصيف ويبس الكلأ وعطش تغير » .

(٦١) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٦٢) عبارة ت ، ج : « والعُبْرِىّ ما كان فى القرى فأسقى الماء » .

(٦٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٦٤) عبارة ت ، ج : « وقوله :لاحه أى غيره الصيف من العطش فى الربيع » .

(٦٥) ديوان العجاج ١٨٢ برواية : كأن رحلى فوق طاو شُلْشُلِ والطاوى : الحمار الخميص من حمر الوحش . والشُلْشُل : الخفيف السريع .

(٦٦) الصبح المنير ١٥٢ وديوانه ٢٢٩ ، وصدر البيت : وكأنها ذو جُدَّةٍ غِبَّ السُّرَى .
القارح : الناقة أول ماتحمل . والجُدة ـ بضم الجيم ـ العلامة والخط فى ظهر الحمار .

(٦٧) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج . وفى ت ، ج : « والأقبُّ » .

(٦٨) عبارة ت ، ج : « وقال الأعشى » .

(٦٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٧٠) عجز لبيت صدره : « أقبلت لا يشتد شدى واحد » ، ولم يرد البيت فى طبعة ديوان الأعشى ، وورد فى « الصبح المنير » ٢٣٧ ضمن « مجموعة ماأنشد للأعشى ميمون من شعر غير موجود فى ديوانه » . وورد أيضا ضمن قصيدة تنسب لأبى خراش الهزلي ، برواية :

اقبلـت لايشتـد شـدى واحـد علـج اقـب مُسَـيَّر الأقـراب

واشار السكرى انها تروى ـ أي قصيدة البيت ـ لتأبط شرا ، واضاف محقق شرح أشعار الهذليين ٣ / ١٢٤٠ فى الهامش إلى أن هذه القصيدة من القسم الملفق لأبى خراش الذى ليس من رواية الأصمعى .

الدراما.. إلى أين!!

للأستاذ: عاطف شحاته زهران

تعنى كلمة « دراما » حالة ، أو سلسلة احداث تنطوى على تضارب عنيف ، أو ممتع بين قوى مختلفة ، كما تطلق على الفن او الأدب المسرحي .

وتنقسم إلى :

تراچيديا ، ومعناها : ماساة .

وكوميديا ، ومعناها : ملهاة . (عن المورد)

تعد الدراما من أكثر المواد التى تجذب العدد الأكبر ممن يتعرضون لوسائل الإعلام . بل هى العمود الفقرى لبعض هذه الوسائل كالسينما والمسرح على سبيل المثال . ونسأل : لماذا يتعرض الناس للدراما ؟ فيجيب بعضهم : مجرد تسلية . والبعض الآخر يقول : إن الدراما تنقلنا إلى عالم آخر بحلوه ومره ومشكلاته لمدة معينة بعيداً عن الحياة وضغوطها .

وبين هؤلاء وأولئك تنتشر القيم التى تركز الدراما عليها ، وتسعى إلى دعمها ، ولا يمكن أن تخلو القصة أو التمثيلية أو « الفيلم » أو المسرحية من قيمة معينة تدعو إليها من خلال هذه الوسائل التى انتشرت انتشاراً هائلاً فى عصرنا هذا .

إن متلقى الدراما يعدون بالملايين . وذلك يدفعنا إلى الاستفادة منها فى هذه المرحلة بالذات التى تتعرض فيها الأمة الإسلامية لتحديات خطيرة تهدد أمنها واستقرارها ـ كالإدمان والسرقة والاغتصاب وقبل ذلك وبعده : الفقر والتخلف .

ينبغى أن نبث من خلالها ما يبنى وما يدفع إلى الأمام ويسهم فى عمليات التنمية التى أضحت أولى ضرورات الحياة ، وفى التعليم الفنى وتنمية المهارات لتكوين الفرد الصالح لأنه أساس المجتمع الصالح[1] .

أما الدراما التى تهدم الأخلاق وتقوض المثل وتخدش الحياء وتشيع الباطل وتنشر الفساد فتأثيرها خطير وستدفع بالمتلقين لها إلى الرذيلة والجريمة خصوصاً إذا علمنا أن الشباب هم أكثر المتعرضين للسينما على سبيل المثال ـ وقد

---

(١) فى ضوء (تكوين الفرد الصالح) كان أستاذنا الدكتور محمد البهى يسعى لاختيار المواد التعليمية التى تنتج لنا ـ بمشيئة الله وحده ـ المواطن الصالح .. رحمه اللـه .

أدرك المنتجون ذلك فعملوا لاجتذاب المزيد منهم مما يضاعف المسئولية على الموجهين لأجهزة الإعلام والمسئولين عن « الدراما » .

قد يتهمنا البعض بالمبالغة . فالمسألة فى رأيهم مجرد ترفيه وضياع وقت لا أكثر .

ولهؤلاء أقول : إن منتجى « الدراما » تنبهوا لاهمية الترفيه ، ومن خلاله تقدموا بما يريدون من إفساد لم تقو عليه أجهزة الاستعمار ، ويعتقد بعض خبراء الإعلام أن بعض أنواع الترفيه فى وسائل الإعلام يمكن أن يدفع ضعيف الإرادة أو غير الناضج إلى ميدان الجريمة وسوء الخلق ، وتعترف مواثيق الشرف للعاملين فى مجال الإذاعة والتليفزيون والسينما بهذا الخطر ، وتحض على عدم تمجيد المجرمين ، أو تصوير الجريمة بطريقة جذابة ، أو تزيين الرذيلة ، وبكلمات بسيطة : يخشى أن بعض الناس وبخاصة الأطفال قد يقلدون أسوأ ما يعرض عليهم فى وسائل الإعلام .[٢] .

وبين الحين والآخر نسمع صيحات نذير من خبراء الإعلام فى الغرب يحذرون من تأثير الدراما على الأطفال والشباب ، ويكرسون أوقاتهم وجهودهم لإجراء الدراسات والبحوث وإعداد التقريرات والإحصاءات التى تحث على ضرورة الاهتمام بما تقدمه « الدراما » ولكنا نغفل ذلك أو نتغافل عنه .

إن وسائل الإعلام الغربية قد تتحرر من كل قيد طلباً للربح ضاربة ـ فى أحيان كثيرة ـ بهذه الصيحات والنُذُر عرض الحائط إذا تعارضت مع الربح . (فالأفلام السينمائية والتليفزيون تسمم العقول وتخرب النفوس من أجل الربح ، والمنتجون لا يهمهم شىء كأصحاب المصانع الذين يتركون مخلفات مصانعهم الضارة دون رعاية لأثرها على الناس)[٣] .

إن جاز ذلك هناك فإنه هنا لا يجوز . فنحن أهل مجتمع إسلامى تحركنا دوافع حب الخير والهداية للجميع قبل حب الكسب ، وأى كسب يساوى بناء أمة بشبابها وأطفالها ؟

وتأثير الدراما يرجع إلى أنها تعتمد على عدة عوامل تزيد من فاعليتها هى :

أ ـ التكرار لهذه المواد . فقد تتكرر إذاعة الفيلم فى السينما لأشهر متتالية ، ثم فى التليفزيون لمرات عديدة ، وفى المسرح قد يستمر العرض ، سنوات مما يرسخ القيم التى تحتويها القصة أو الفيلم أو المسرحية .

ب ـ الجاذبية : تستخدم الدراما كل الوسائل التى تجذب المشاهدين لمتابعتها من موسيقى وألوان متعددة و (ديكور) ومناظر حية وربط بين المشاهد .. إلخ .

جـ ـ المشاركة : قد يستلزم الأمر دعوة نوعيات معينة من الجمهور للمشاركة فى المواد المقدمة ـ نساء ـ أطفال ـ عمال .. إلى غير ذلك وهذه المشاركة تربط بين أجهزة الإعلام ومستقبليها حيث تحقق لهم ذواتهم .

د ـ النماذج : تقدم تلك المادة نماذج معينة تبث خلالها ما تشاء من قيم وآراء ، وقد تكون هذه النماذج موجبة أو سالبة . وعرض هذه النماذج الموجبة فيه دعوة صريحة أو إيحاء باعتناقها أو بتقليدها . وعرض النماذج السالبة يتضمن دعوة صريحة أو إيحاء بتجنبها ..[٤] .

---

(٢) انظر وسائل الإعلام والمجتمع الحديث . وليام ل ريفرز وآخرون . ترجمة د . إبراهيم إمام ص ٣٢٢ .

(٣) الإعلام الإذاعى والتليفزيونى د . إبراهيم إمام ص ٢٣٣ .

(٤) انظر علم النفس الاجتماعى فى المجالات الإعلامية د . زيدان عبد الباقى ص ٢٠٢ بتصرف .

الدراما ... إلى أين ؟!!

ويحسن أن نسوق بعض الصور التى ترينا الحد الذى وصلت إليه الدراما ، عسانا نتدارك ذلك ونعمل على تطهيرها مما يضر بشبابنا وبناتنا وعلمائنا ومربينا . وهذه بعض الصور على سبيل المثال :

أولاً : المحاولة الدائبة لإظهار بعض من يرتدون ملابس علماء الدين بصورة ساخرة لتتكون لدى المشاهدين صورة ذهنية ضاحكة عن كل من يرتدى ذاك اللباس مما يقلل من منزلة علماء الدين فى أعين العامة .

مع أن المسئولين عن وسائل الإعلام فى أمريكا ـ مثلاً ـ يقولون :

(السبب الذى يجعلنا نمتنع عن إظهار القسس فى شخصيات فكاهية أو على أنهم أشرار هو ببساطة أن الاتجاه الذى يكونه الناس عنهم قد يصبح بسهولة اتجاهاً يعتنقه الناس نحو الدين بشكل عام)(٥) . فإذا كان هذا اتجاهاً فى مجتمعات متحررة فما بالنا نحن نهدم ـ بطريقة خفية ـ علماءنا ، ونحث الناس على ازدرائهم !

وللمدرسين والمربين منزلة طيبة ، فَلِمَ تحاول الدراما دائماً هضم حقوقهم والسخرية منهم ؟

فى مشهد من مسرحية نرى بعض التلاميذ يحرجون مُدرِّستهم ومدير المدرسة ويجعلونهما أضحوكة للمشاهدين . ولتكرر هذه المسرحية حفظ التلاميذ ألفاظها وأصبحوا يرددونها ويطلقونها على مدرسيهم علناً أو فى الخفاء حتى يضحَكوا ويضحِكوا غيرهم . وكأنه لم يبق غير المربين مادة للإضحاك !

ثانياً : ظهور النساء غير محتشمات فى أحيان كثيرة ، لأن المخرج يريد استثارة المشاهدين فتبدو المرأة بلباس البحر أو بلباس الفراش . ثم بعد ذلك نشكو مر الشكوى مما وصل إليه الشباب ناسين أننا قدمنا له (الطعم) ونصبنا له الفخ وألقيناه فى اليم ، وقلنا له : إياك إياك أن تبتل بالماء !

إن هذه المظاهر قد ساعدت على انتشار أزياء يرفضها الدين الرسمى للدولة وعلى انتشار أخلاق تتنافى مع العفة والشرف ومبادىء الأخلاق التى يدعو إليها ديننا وقيمنا .

ومع ذاك العُرى تسمع وتشاهد من المناظر ما يخدش حياءك ؛ من تقبيل متبادل وعناق بين الرجال والنساء والمبالغة فى ذلك حتى أن أحدهم يقول : [فتحناها مَبْوَسة] !

وأسأل : كيف نقنع أبناءنا وبناتنا بأن ذلك مجرد تمثيل فقط وهو ينافى الشرع والآداب أشد المنافاة ؟ كيف نقنعهم وهذه أجهزة الإعلام تلح وتكرر وتركز على هذه المناظر ؟

ثالثاً : تزييف بعض المفاهيم الدينية .

وهذا مشهد صغير يدور فيه حوار بين (البطل) و (البطلة) .

قالت له : وهبت لك نفسى .

قال : وأنا قبلت الزواج منك .

قالت متسائلة : ومن يشهد على ذلك ؟!

فنظر إلى السماء كأنه يشهد الله ـ عز وجل ـ على ما يقول .

البقية صـ ٣٠١

(٥) الأسس العلمية لنظريات الإعلام د . جيهان أحمد رشتى ص ٣١٧ .

المعاملات المصرفية . بقية

كما أن المنتج بهذا الأسلوب الذى يخفض له تكلفة الإنتاج حيث يلغى عبء الفوائد وبالتالى ينتنج نفس السلعة بتكلفة أقل فإنه يكون فى وضع اقتصادى (منافس أفضل) سواء داخليا أم خارجيا مما يمكنه من الحصول على مساحة أكبر من السوق وتحقيق أرباح افضل .

وأصحاب المال سواء المساهمين أو مقدمى التمويل الربوى بصوره الشرعية المتعددة والقائمة على المشاركة فى المخاطر يحصلون بدورهم على أرباح أفضل لأموالهم .

وهكذا نرى حكمة الله فى تحريم الربا ، فهنا بعيدا عن الربا يستفيد المجتمع بجميع فئاته : المنتجين ، وأصحاب رأس المال ، والمستهلكين وهم جموع الشعب بأكمله ، وحقت كلمة الله سبحانه وتعالى ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾ .

* ولعلنا نذكر فى هذا المجال أن الدول المتقدمة حينما تريد أن تنعش اقتصادياتها وتدفع بعجلة النشاط فيها فأنها تخفض الفائدة لأن ذلك يشجع قيام المشروعات الجديدة ويشجع المشروعات القائمة على التوسع والانطلاق .

* فما بالك لو اختلفت الفائدة تماما وشاركت المدخرات والأموال فى تحمل المخاطر مع أصحاب المشروعات فى مجالات الاستثمار المختلفة .

* وهى بمشاركتها تحافظ على قيمة أموالها من التدهور ، لأنها تدفع بعجلة الإنتاج من ناحية ، وتخفض من تكلفته من ناحية فيصبح اقتصادا قويا على المنافسة محققا لأرباح أفضل مما ينعكس على قيمة الأصول بالزيادة وبالتالى تزيد حقوق المساهمين والمشاركين بما يحفظ لهم القيمة الحقيقية لمدخراتهم بل ويزيدها ، ويحفظها من التآكل الذى قد تتعرض له نتيجة التضخم المصاحب للأنظمة الربوية .

أليس هذا هو ماترنو إليه الدوله وتدعو وتسعى إليه ؟

* أما البنوك القائمة فالمطلوب هو توفيق أوضاعها مع أحكام الشريعة ، ودور البنك المركزى فى هذا المجال دور رائد وبالغ الأهمية بقدر مايمكن لهذه البنوك من التحول الواعى المخطط المدروس ، وبقدر مايغير فى نفس الوقت من سياساته ووسائله وأساليبه ، بما يمكن لهذه البنوك من القيام بدور فعال فى دفع عجلة التنمية ، وإعطاء نموذج ناجح للعمل الإسلامى الناضج .

* فهل نحن مهتدون .. وإلى ربنا راغبون .. وعن حرامه معرضون .. وفى حلاله عاملون .. !!

* أم نظل على الحرام عاكفين .. وعن شرع ربنا معرضين ، ويصدق فينا قول ربنا ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ . وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ . قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ .

حاش لله فنحن قوم مؤمنون وإن شاء الله بشرع الله عاملون ولدعوته مجيبون .

﴿ يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِىَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ..

الاهل بلغت .. اللهم فاشهد ..

أحمد أمين فؤاد
١٩٨٩/٨/١٥

اللغة والنحو

فى مقدمة ابن خلدون

للأستاذ عبد الستار عبد اللطيف سعيد

حياة ابن خلدون فى إيجاز :

هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، أصله من «أشبيلية» - أعظم بلد بالأندلس - ولد ونشأ فى «تونس» سنة (٧٣٢ هـ) ، كان فصيحا ، جميل الصورة ، عزوفا عن الضيم ، عاقلا ، طموحا إلى المراتب العالية رحل إلى «غرناطة» و«فاس» و«تلمسان» ، وتولى أعمالا ، واعترضته دسائس ووشايات ، فعاد إلى تونس ، ثم توجه إلى «مصر» وأكرم فيها من قبل «الظاهر برقوق» ، وتولى فيها مهنة «قضاء المالكية» ، وكانت وفاته فى مدينة «القاهرة» عام (٨٠٨ هـ)[١] .

إنتاجه العلمى :

اشتهر ابن خلدون بعلمه ، وذاع صيته بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر» ، والكتاب يتكون من سبعة أجزاء ، منها «المقدمة» التى تعد من أصول «علم الاجتماع» ، وقد ترجمت «المقدمة» مع بعض أجزاء من الكتاب إلى «اللغة الفرنسية» وغيرها من اللغات ، ومن كتبه أيضاً : «شرح البردة» و«كتاب فى الحساب» ، و«رسالة فى المنطق»[٢] ، ونظرا لعظمة ابن خلدون العلمية فقد تناول شخصيته كثير من الباحثين ، وقد ذكر «خير الدين الزركلى» من الكتب المؤلفة عن ابن خلدون ما يلى : أكثر من ستة كتب[٣] ، هذا فضلا عن «الندوات العلمية» التى تتناول هذه الشخصية العظيمة بالبحث والتحليل .

مقدمة ابن خلدون وعلوم اللسان العربى

إن الذى يقرأ «مقدمة ابن خلدون» يقر له بمكانة علمية باهرة لما تحتويه مقدمته من معارف متنوعة ، وعلى الرغم من شهرته بأنه «فيلسوف» ، ومؤرخ ، و«عالم اجتماعى» فإن إدراكه العميق لـ «علوم اللسان العربى» يبدو واضحا جليا من خلال حديثه عن ذلك مقدمته ، فقد جعل أركان هذه العلوم أربعة «اللغة» ، و«النحو» و«البيان» و«الأدب»[٤] ونوضح فيما يلى حديثه عن «اللغة» و«النحو»

ابن خلدون وتعريف اللغة :

عرف ابن خلدون اللغة قائلا : «اعلم أن اللغة

(١) انظر الأعلام ٤/١٠٦ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) الأعلام ٤/١٠٦ .

(٤) المقدمة ٥١٤ ط الشعب (مصر) .

التعارف هى عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لسانى ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة فى العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو فى أمة بحسب اصطلاحاتهم(٥) وبالنظر فى هذا التعريف تتضح أمور هامة هى :

١ ـ اللغة وسيلة يمتلكها متكلم اللغة ، يعبر بها عن آرائه ومتطلباته ، هى وسيلة تميز الإنسان عن غيره من الكائنات ، وتكمن أهميتها كونها تتيح لمستخدمها إتمام عملية التوصل بينه وبين أفراد بيئته ، وتيسر له عملية التعبير عن آرائه ، وأحاسيسه وإيصالها للآخرين .

٢ ـ اللغة وسيلة تعبير قائمة فى بيئة معينة لاصطلاح معين ، وهذا الطابع الاصطلاحى شئ طبيعى حيث إنه لابد من اصطلاح كل جماعة إنسانية على رموز يتم بها التفاهم والتواصل حتى تؤدى اللغة دورها كوسيلة لهذا الاتصال بين هذه الجماعة الإنسانية .

٣ ـ اللغة فعل إنسانى يقوم الإنسان بتأديته عبر لسانه ، وهذا الفعل نابع من إرادة فكرية هى القصد بإفادة الكلام ، أى أن الإنسان يستخدم اللغة معبرا بها عن مواقفه من الأحوال المحيطة به عاقلا وقاصدا لكل ما يقول .

٤ ـ اللغة تصير ملكة فى العضو الفاعل لها وهو اللسان بعد اكتسابها من الآخرين ، أى أن قدرة الإنسان على التكلم تابعة لملكة لسانية اكتسبها الإنسان من البيئة التى عاش فيها(٦) .

علاقة ابن خلدون بغيره من اللغويين فى تعريف اللغة :

لم يكن ابن خلدون منقطع الصلة عن تراث الأمة فى ميدان البحث اللغوى ، فما قاله فى تعريف اللغة قد قال به سابقه : العالم اللغوى «ابن جنى» المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، حيث قال فى تعريف اللغة إنها : «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم(٧) ، ولكن يبدو تميز ابن خلدون عن «ابن جنى» ، لأن التعريف «الخلدونى» للغة يظهر أنها ملكة لسانية يكتسبها الإنسان من آخرين يعيشون معه فى بيئته ، ولكن الجدير بالذكر أن وجهة نظر «ابن خلدون»قد قال بها لغويون غير عرب(٨) منهم الألسنى الفرنسى «أندره مارتينه» حيث يقول فى تعريف اللغة : «إن اللغة أداة تواصل ، تحلل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة فى كل تجمع إنسانى ، عبر وحدات تشتمل على محتوى دلالى ، وعلى عبارة صوتية» .

ويعلق الدكتور «ميشال زكريا» على هذا التعريف قائلا : «يتضح من هذا التعريف أنه يشير إلى ما يلى :

١ ـ اللغة وسيلة تواصل بين الأفراد .
٢ ـ تختلف اللغات من مجتمع إلى آخر .
٣ ـ اللغة قائمة على وحدات صوتية مشتملة على دلالة . ثم يردف قوله : وهذه المسائل تضمنها تعريف «ابن خلدون» إلا أنه أشار إلى مسألتين لم يردا عند «أندره مارتينه» وهما :
١ ـ أن اللغة فعل لسانى .
٢ ـ أن اللغة ملكة لسانية(٩) .

رأى ابن خلدون فى تحصيل ملكة اللسان العربى :

لقد كان «ابن خلدون» دقيق الملاحظة للسان أهل عصره ، ولسان العرب الفصحاء السابقين ، وذلك واضح من خلال حكمه على لغة أهل زمنه حيث يقول : «اعلم أن ملكة اللسان المُضَرى لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التى نزل بها القرآن ، وإنما هى

←

(٥) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥١٤ الشعب (مصر) .
(٦) الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون ص ١١ .
(٧) انظر الخصائص ١/٣٣ .
(٨) انظر تفصيل ذلك فى الملكة اللسانية ص ١٤ وما بعدها .
(٩) انظر الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون ص ١٥ .

لغة أخرى مغايرة ناشئة من امتزاج العجمة بها»[١٠] ثم قدم السبيل الناجعة لتحصيل «ملكة اللسان العربى» قائلا : «ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن ، والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب فى أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضاً فى سائر فنونهم ، حتى يتنزل ـ لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور ـ منزلة من نشأ بينهم ، ولقن العبارة عن المقاصد منهم ، ثم يتصرف بعد ذلك فى التعبير عما فى ضميره على حسب عبارتهم ، وتأليف كلماتهم ، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم ، فتحصل له هذه الملكة بعد الحفظ والاستعمال [١١] .

ويتضح من خلال ما سبق مايلى :

١ ـ مقارنة ابن خلدون بين لسان عرب عصره ولسان العرب السابقين .

٢ ـ تقديمه للطريقة الناجحة والمفيدة فى الحفاظ على اللسان العربى المتمثلة فى « حفظ النصوص » من القرآن الكريم والحديث ، وكلام الفحول شعرا ونثرا مع التفهم العميق لطرائق التعبير وفنونه وبيان أسراره مع مطابقته لمقتضى الحال التى يستخدم فيها .

٣ ـ يتضح من كلام « ابن خلدون » أنه يجيز « الاحتجاج بكلام المولدين » فى مجال الملكة اللسانية وذلك حيث أجاز تلقين كلام المولدين لاكتساب ملكة اللسان مع كلام الفحول ، وذلك قول يرتضيه بعض الباحثين فى العصر الحديث حيث يقول : إن قبول الاحتجاج فى اللغة بمن يوثق بفصاحته من أولئك المولدين هو الرأى الصريح لبعض اللغويين والنحاة .. [١٢] وإن علينا أن نفتح السبيل للصيغ والتراكيب والاستعمالات التى يبتكرها أصحاب الملكة اللغوية العربية السليمة من الشعراء والأدباء والعلماء ، وكذلك للمعانى الجديدة التى يحملونها الكلمات والصيغ القديمة ما دامت العلاقة بين المعنى الجديد وأصله مقبولة متكلفة ، وما دام كل ذلك متسقا مع الأصول والضوابط العامة للغة ، إننا بهذا لاننازع القدماء حق تشريع اللغة ووضع أصولها ورسم ضوابطها ولكننا نسعى لتقرير حقنا فى « الإبداع والتجديد » و « الاجتهاد » داخل الأطر التى رسموها [١٣] من واقع اللغة .

قضية « الفصحى » و « العامية » عند « ابن خلدون » :

على الرغم من حرص « ابن خلدون » على سلامة « ملكة اللسان العربي » ، وتقديمه الوسيلة للحفاظ عليه إلا أن له وجهة نظر « فى لغة أهل عصره » ، وهى باعترافه بعيدة عن لسان أهل مُضَر يقول : إنا نجدها فى بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضرى ـ يقصد الفصحى المضَرية ـ ولم يُفْقَدْ منها إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول ، فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير ، وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد .... ولا تلتفتن إلى خرفشة « النحاة » أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ـ عهد ابن خلدون ـ ذهبت وان اللسان العربى فسد اعتبارا مما وقع أواخر الكلم من فساد الإعراب الذى يتدارسون قوانينه ، وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم ، وألقاها القصور فى أفئدتهم ... ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد ـ يقصد اللغة

(١٠) المقدمة ص ٥٢٦ ط الشعب مصر .

(١١) المقدمة ص ٥٢٦ .

(١٢) انظر الاحتجاج بالشعر فى اللغة ص ١٩٩ ، ٢٣٧

(١٣) انظر الاحتجاج بالشعر فى اللغة ص ٢٣٦ .

المستخدمة فى عصره ـ واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابية فى دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه ، فتكون لها قوانين تخصها ، ولعلها تكون فى أواخره على غير المنهاج الأول فى لغة مُضَر [١٤] ، يتضح من هذا القول السابق مايلى :

١ ـ أن لغة أهل عصر ابن خلدون ـ على الرغم من بعدها عن فصاحة لغة مُضَر ـ كانت مبينة مقاصد التى يريدها أصحابها .

٢ ـ عدم التزام لغة أهل عصره بقوانين الإعراب التى قررها النحاة ، مع الاستعاضة عنها بوسائل أخرى .

٣ ـ هجوم ابن خلدون على النحاة واضح من تهامه إياهم بالقصور فى الفهم .

٤ ـ محاولة ابن خلدون رسم الطريق الواضحة لاستنتاج قوانين خاصة بلغة أهل عصره .

وعلى الرغم من إيماننا بأن « ابن خلدون » قد وصف ما كان واقعا فى « لسان أهل عصره » ، فإن ماقاله هنا قد يفهم منه أنه يؤيد ما يراه بعضهم من استخدام « العامية » فى الشئون التى تستخدم فيها « اللغة الفصحى »[١٥] ، ولست أعرف دعوة أثيمة أبعد من الحق وأجلب للخطر والضرر على البلاد العربية من الدعوة إلى « الإلحاد اللغوى » والمروق من حدود الفصحى والعبث بمقدساتها . وقد قمت بتجربة علمية تحت « عنوان » : قاعدة الحال بين لغة الأعراب ولغة العامة تبين لى من خلالها أن لغة العامة فيها هدم لكيان العربية الفصحى فى صياغة « مفرداتها وتراكيبها » التى جاء بها المكلام العربى الفصيح ، ومن الخير لنا أن نصعد بعاميتنا إلى مستوى الفصحى .

ابن خلدون وكشفه عن فضل اللغويين العرب القدماء :

بين « ابن خلدون » فى مقدمته جهد علمائنا العرب القدماء فى مجال « إبقاء اللغة العربية » خالية من « اللحن والتحريف » وذلك حيث يقول : اسْتُعْمِلَ كثير من كلام العرب فى غير موضوعة عندهم ، ميلا مع هجنة المتعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس ، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأمْلَوا فيه الدواوين [١٦] يبدو من النص السابق مايلى :

١ ـ إدراك ابن خلدون لفساد اللسان العربى الذى يرجع إلى اختلاط العرب بغيرهم ، أولئك الغير الذين يخالفون العرب فى طرق التعبير .

٢ ـ أظهر «ابن خلدون» غيرة العربى على لغته ، كما أظهر حرصه على القرآن والحديث .

٣ ـ بين «ابن خلدون» أن الغيرة والحرص على لغة القرآن الكريم قد تحول إلى «برنامج عمل» حيث قد هب كثير من أئمة اللغة إلى تدوينها فى الكتب وأمْلَوا فيها المؤلفات الضخمة .

والحق أن التدوين لم يكن هو المظهر الوحيد لدفاع العربى عن لغته ، بل هيأ العرب لأبنائهم الظروف التى تيسر لهم السيطرة على اللغة واكتسابها سليمة نقية من أى تحريف ويظهر ذلك فيما يلى :

ارسال الأطفال إلى مواطن اللهجات العربية الفصيحة لتصير الفصاحة طبيعة لهم .

الدفع بالأبناء صغارا إلى الأدباء والشعراء ليعيشوا معهم ، لينشأوا على تفوقهم اللغوى .

كما ظهر ما يعرف بـ «رواية اللغة» عن العرب الفصحاء الذين يسكنون البوادى ، وأشهر هؤلاء الرواة : أبو عمرو بن العلاء ، والأصمعى ، وأبو زيد ، وغيرهم[١٧]

(١٤) المقدمة ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ط الشعب .

(١٥) صرح بذلك د . عبدالواحد وافى فى كتابه «فقه اللغة» ص ١٥٥ .

(١٦) انظر اللغة والنحو ٢٥٢ .

(١٧) المقدمة ص ٥١٦ .

هذا وقد ذكر «ابن خلدون» طائفة من اللغويين الذين دونوا الدواوين حماية لملكة اللسان العربى وهم :[18] .

١ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى ١٧٤ هـ مؤلف أول معجم عربى هو «العين» .

٢ ـ إسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى ٣٩٣ هـ صاحب كتاب «الصِّحَاح» .

٣ ـ ابن سيده الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ صاحب كتاب «المحكم والمحيط الأعظم» .

٤ ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى المتوفى عام ٣٧٩ هـ الذى ألف «مختصر العين» .

٥ ـ أبو بكر محمد بن أبى القاسم الأنبارى المتوفى عام ٣٢٨ هـ صاحب كتاب «الزاهر فى معانى الكلام الذى يستعمله الناس» .

٦ ـ الزمخشرى صاحب «أساس البلاغة» .

وكذلك ذكر من الكتب اللغوية التى تهدف إلى إصلاح اللسان العربى «فصيح» ثعلب (أحمد بن يحيى) المتوفى عام ٢٩١ ، وكتاب «الألفاظ» لـ «ابن السكيت» المتوفى سنة ٢٤٤ .

والجدير بالذكر أن ما ذكره «ابن خلدون» فى مقدمته ليس شاملا لكل ما ألف فى هذا الميدان ، وقد تصدى لذلك بعض الباحثين ، منهم الدكتور : حسين نصار صاحب كتاب «المعجم العربى نشأته وتطوره» .

وقد تتبع فيه صاحبه «حركة التصنيف اللغوى» مبينا منهج كل تصنيف وما فيه من مزايا أو عيوب[19] .

ابن خلدون وفكرة «نشاة اللغة الإنسانية»

من خلال حديث «ابن خلدون» عن «ملكة اللسان العربى» يبدو أنه لم يُشغل نفسه بهذه القضية التى تعددت فيها الآراء وتباينت[20] وسـ ذلك فيما يبدو لى ، أن «ابن خلدون» شغل نفسه بالواقع اللغوى لأهل عصره ، صارفا النظر عن تلك القضية التى لم يصل الباحثون فيها إلى نتائج يقينية ، ومع ذلك نرى بعض المعتدلين من علماء اللغة يسخر من مجرد التفكير فى إدراج موضوع «نشأة اللغة» ضمن بحوث «علم اللغة» وقد قررت الجمعية اللغوية فى «باريس» عد مناقشة هذا الموضوع نهائيا أو قبول أى بحث فيه لعرضه على جلساتها[21] ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد كان للعلامة «ابن جنى» بحث فى هذه المسألة[22] .

ابن خلدون ونشاة «علم النحو» :

إن علم «النحو» عند ابن خلدون هو : تلك القوانين المطردة المستنبطة من كلام العرب ليقاس عليها سائر انواع الكلام .. مثل أن الفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ، والمبتدأ مرفوع .. وهكذا[23] .

وقد حصر «ابن خلدون» سبب نشأة ذلك العلم فى العربية فيما يلى :

١ ـ فساد ملكة اللسان العربى بسبب مخالطة العجم ، مما نتج عنه ظهور مخالفات تعبيرية للمتعربين من العجم .

٢ ـ خشية أهل الأناة والعقل من العرب فساد ملكة اللسان العربية ، وكذلك خشيتهم انغلاق

(١٨) انظر المعجم العربى ١/٦ ، الأعراب الرواة ٥١ وما بعدها .

(١٩) المقدمة ٥١٦ .

(٢٠) انظره فى جزءين .

(٢١) انظر هذه الآراء فى كتاب «المدخل إلى علم اللغة ص ١١٠ وما بعدها .

(٢٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

(٢٣) انظر الخصائص ١/٤٠ وما بعدها .

القرآن الكريم والحديث على (الفهوم)* أى عدم فهم الأسلوب القرآنى والحديث[٢٤] وفى ذلك دليل واضح للرد على من يرى أن «النحو العربى» مأخوذ من لغة غير عربية[٢٥]

تتبع «ابن خلدون» لمسيرة التأليف النحوى :

أشار «ابن خلدون» إلى أن أول «عمل علمى» فى ميدان «النحو» قد قام به «أبو الأسود الدؤلى» بإشارة من الإمام «على بن أبى طالب» رضى الله عنه، لأنه رأى تغير «الملكة اللسانية» فأشار عليه بحفظها ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاصرة(**) المستقراة[٢٦]، ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى «الخليل بن أحمد الفراهيدى»، فهذب الصناعة، وكَمَّل أبوابها، وأخذها عنه «سيبويه»، فكَمَّل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها، ووضع فيها «كتابه» المشهور الذى صار إماما لكل ما كتب فيها من بعده[٢٧].

ابن خلدون يظهر الخلاف المنهجى بين نحاة البصرة والكوفة :

يقول «ابن خلدون» فى ذلك : «ثم طال الكلام فى هذه الصناعة، وحدث الخلاف بين أهلها فى «الكوفة» و«البصرة» المصرين القديمين للعرب، وكثرت الأدلة والحجاج بينهم، وتباينت الطرق فى التعليم. وكثر الخلاف فى إعراب كثير من آى القرآن باختلافهم فى تلك القواعد، وطال ذلك على المتعلمين[٢٨] وقد خصت «مسائل الخلاف» بين مدرستى «البصرة» و«الكوفة» بالتأليف[٢٩].

ابن خلدون ودرايته بحركة الإصلاح النحوى :

أشهر «ابن خلدون» أن المتأخرين من النحاة قد لجأوا إلى «اختصار» ما ألف «تبذا للتطويل على المتعلمين» مع استيعابهم لجميع ما نقل عن السابقين ومثل لذلك بالعمل العلمى الذى قام به «ابن مالك» فى كتابه «التسهيل» وأمثاله، كما بين أن بعض النحاة آثر «الاقتصار على المبادىء للمتعلمين» كما فعل «الزمخشرى» فى كتابه «المفصل»، وربما لجأ بعضهم إلى «نظم قواعد النحو» كما فعل «ابن مالك» فى أرجوزتيه «الكبرى» و«الصغرى»، الكبرى هى : «الكافية الشافية»، والصغرى هى : «ألفية ابن مالك»[٣٠].

اعتراف «ابن خلدون» بكثرة المؤلفات النحوية :

بَيَّن «ابن خلدون» ذلك قائلا : «وبالجملة فالتآليف فى هذا الفن أكثر من أن تحصى، أو يحاط بها، وطرق التعليم فيها مختلفة، فطريقة «المتقدمين» مغايرة طريقة «المتأخرين»، والكوفيون والبصريون، والبغداديون والأندلسيون مختلفة طرقهم كذلك[٣١] وقد تناول بعض الباحثين المحدثين «المدارس النحوية» كاشفا عن أعلام كل مدرسة، ومبينا منهجها العلمى.

ابن خلدون واعترافه بفضل «ابن هشام» وكتابه المشهور «مغنى اللبيب» :

يقول «ابن خلدون» فى ذلك : وقد كادت هذه الصناعة أن تُؤْذِنَ بالذهاب، لما رأينا من النقص فى سائر العلوم والصنائع بتناقص «العمران»، ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من «مصر» منسوب إلى «جمال الدين بن هشام» من علمائها، استوفى فيه «أحكام الإعراب» مجملة ومفصلة، وتكلم عن الحروف، والمفردات،

←

(*) جمع فهم.

(٢٤) المقدمة ص ٥١٦.

(٢٥) المقدمة ص ٥١٦.

(**) من الحَصْر بصاد مهملة.

(٢٦) انظر مجلة مجمع اللغة العربية المجلد السابع ص ٢٣٨.

(٢٧) المقدمة ص ٥١٦، المزهر ٣٩٧/٢.

(٢٨) المقدمة ٥١٦.

(٢٩) انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى فى جزءين.

(٣٠) المقدمة ص ٥١٦.

(٣١) المرجع السابق نفسه.

والجمل ، وحذف ما فى الصناعة من المتكرر فى أكثر أبوابها ، وسماه بـ «المغنى» فى الإعراب وأشار إلى «نُكَتِ إعراب القرآن كلها» ، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد ، انتظمت سائرها ، فوقفنا منه على علم جم ، يشهد بعلو قدره فى هذه الصناعة ، ووفور بضاعته منها ، وقد اغترف من علم «ابن هشام» أبناء العربية فى شتى البقاع ، وخصه بعض الباحثين بالدراسة والتحليل .

هذا وفى نهاية هذا البحث نصل إلى ما يلى :

١ ـ لم تقتصر معرفة ابن خلدون على «الفلسفة» و«التاريخ» و«الاجتماع» بل أضاف إلى ذلك معارف شتى منها : «علوم اللسان العربى» ، وقد كشفنا عن «علمه بالنحو واللغة» .

٢ ـ استمد «ابن خلدون» قوله فى «تعريف اللغة» من اللغويين السابقين ، وقد فاق عليهم ، وقد قال ببعض أقواله بعض اللغويين الغربيين .

٣ ـ بين ابن خلدون أن سبب نشأة «علم اللغة» و«علم النحو» راجع إلى خوف السابقين من فساد ملكة اللسان العربى ، وحرصهم على لغة القرآن الكريم ، وفى ذلك دفع لنا لنسير على الدرب رافعين صرح العربية الشامخ أبد الدهر .

٤ ـ يرى «ابن خلدون» أن الملكة اللسانية تُكْتَسَبُ عن طريق النصوص العربية الراقية وفى مقدمتها القرآن الكريم مع ضرورة التنبه إلى طرائق الأداء والأسرار الكامنة وراء كل طريق وتكرار ذلك حتى ترسخ تلك الملكة فى النفس واللسان .

٥ ـ قرر «ابن خلدون» أن معرفة «اركان اللسان العربى» : اللغة ، النحو ، البيان ، الأدب ـ ضرورة على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهى بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة .

هذا قد كان السابقون من العلماء العرب غيورين على «لغة الضاد» ، وبرهنوا على ذلك بتلك الجهود الجبارة فى ميدان «اللغة والنحو» ، وهى «تراث غال ونفيس لهذه الأمة» ولكن من الإنصاف أن نقول : إن ذلك التراث النفيس يحتاج إلى «بعث جديد» يتمثل فى «توظيفه واستخدامه» ويتمثل أيضاً فى «إظهار محاسنه» ـ وهى جد وفيرة ـ ودفع ما علق به ـ عن حسن نية من بعض الهَنَات ، وقد أشار إلى ذلك بعض الباحثين.. وبالله التوفيق .

مراجع البحث

١ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلى .

٢ ـ الزهر فى علوم اللغة وأنواعها ـ جلال الدين السيوطى .

٣ ـ مقدمة ابن خلدون ط الشعب (مصر) .

٤ ـ الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون د ـ ميشال زكريا ـ المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت .

٥ ـ الخصائص ابن جنى تحقيق : محمد على النجار .

٦ ـ الاحتجاج بالشعر فى اللغة د . حسن جبل دار الفكر العربى .

٧ ـ فقه اللغة العربية د . على عبدالواحد وافى دار النهضة مصر .

٨ ـ اللغة والنحو د . عباس حسن دار المعارف (مصر) .

٩ ـ المعجم العربى نشأته وتطوره د . حسين نصار مكتبة مصر بالفجالة .

١٠ ـ الأعراب الرواة د . عبدالحميد الشلقانى المنشأة العامة للنشر والتوزيع الجماهيرية .

١١ ـ المدخل إلى علم اللغة د . رمضان عبدالتواب مكتبة الخانجى بالقاهرة .

١٢ ـ بحوث ومقالات فى اللغة د . رمضان عبدالتواب مكتبة الخانجى بالقاهرة .

١٣ ـ مجلة مجمع اللغة العربية المجلد السابع .

١٤ ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف ابن الانبارى تحقيق : محيى الدين عبدالحميد .

من روائع الماضي - بقية

إلى من هو فوقي وأن أنظر إلى من هو دوني ؛ وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم ؛ وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت ؛ وأوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم ؛ وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرا ؛ وأوصاني أن أكثر من «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإنها كنز من كنوز الجنة» . رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تكونوا إمعة : تقولون : إن أحسن الناس أحسنا وإن أساء الناس أسأنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا ألا تظلموا» رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة : من البغي وقطيعة الرحم» . رواه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما ، رفعه ، قال : «الطابع معلق بقائمة العرش ، فإذا اشتكت الرحم ، وعمل بالمعاصي ، واجترىء على الله ، بعث الله الطابع فيطبع على القلب فلا يعقل بعد ذلك شيئا» . رواه البيهقي والبزار واللفظ له .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : «وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، وللمتجالسين فيَّ ، وللمتزاورين فيَّ ، وللمتباذلين فيَّ» . رواه مالك بإسناد صحيح . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «لا يزال الله في حاجة العبد مادام في حاجة أخيه» . رواه الطبراني ورواته ثقات .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ؛ ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» . رواه مالك والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي .

وعن أبي موسى أن النبي ﷺ قال : «على كل مسلم صدقة . قيل : أرأيت إن لم يجد . قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق . قال : أرأيت إن لم يستطع . قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع . قال : يأمر بالمعروف أو الخير . قال : أرأيت إن لم يفعل . قال : يمسك عن الشر فإنه له صدقة» . رواه البخاري ومسلم .

وسنعود للموضوع مرة أخرى ، إن شاء الله .

الدراما إلى أين - بقية

وفعلاً تم الزواج بهذه الطريقه دون ولى ولا شهود . بلفظ الهبة .

وقد أجمع العلماء على أن هبة المرأة نفسها غير جائزة . وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح ..(٦) .

وبعد انتهاء الفيلم الذى عرض فى السينما ثم فى التليفزيون اقتنع بعض المشاهدين بصحة هذا الزواج وقد يمارسه .

إن هذا المشهد قد أشاع مفهوماً خاطئاً يتنافى مع تعاليم الإسلام وقواعد الزواج التى قررها علماء الشريعة الاجلاء واستقوها من كتاب الله ومن سنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وحسبنا هذه الصور التى تعرضها (الدراما) على الناس فيتلقونها راضين ضاحكين . ولا يعنى ذلك أننا أحصينا الصورة المرفوضة ولكن فقط حاولنا تقديم نماذج مصغرة حسبما تقتضى هذه المساحة الضيقة . وأردنا فقط أن نحدد بعض مواطن الداء إذا أردنا لشبابنا الاستقامة ولأمتنا الرقى .

عفا الله عنا وهدانا لما فيه خيرنا .

---

(٦) انظر تفسير القرطبى جـ ١٤ ص ٢١١ .

من خير ما نشر

تقديم : عادل رفاعى خفاجة

شهادات الاستثمار ذات الجوائز

يجمع علماء الاقتصاد على أن ما يطلق عليه « شهادات الاستثمار » بأنواعها المعروفة حاليا أو المقترح إنشاؤها ماهى إلا وسيلة من وسائل « الاقتراض » ، يعمل البنك كوسيط فيها . ولا شك أيضا فى أن عمليتى الاقتراض والإقراض اللتين تتمان باستخدام هذه الوسيلة تحتسب عليهما فوائد « ربوية » تحدد مقدما ، ويكون « الزمن » العنصر الرئيسى فيها ، ولإطالة أمد الدين يلجأ البنك إلى احتساب الفائدة « بالربح المركب » فيما يسمى بالمجموعة « أ » ، وإلى زيادة سعر « الفائدة » عن سعر « فائدة » الإيداعات العادية فيما يسمى بالمجموعة « ب » شريطة ألا يسحب صاحب الشهادة قيمتها الأصلية قبل عشر سنوات ... فشهادات المجموعتين «أ » و « ب » ماهى إلا سندات « قروض » يمنح حاملها « فائدة » ربوية .

وهناك صورة ثالثة من صور هذه الشهادات هى المجموعة (ج) ، ويكون حافز إطالة أمد الدين هو الوعد باحتمال الحصول على مبلغ مالى كبير يطلق عليه « جائزة » .

إن إطلاق وصف « جوائز » على ما قد يحصل عليه حامل الشهادة ، وكون ما قد يحصل عليه هو مقابل إيداعه البنك قيمة الشهادة ، يخرج مبلغ « الجائزة » ابتداء من دائرة الهبة ، فالهبة هى « ما يؤخذ عن رضا من غير عوض »(1) . فما يسمى « بجائزة » لا يمنح إلا تحت شروط منها :

- إيداع مبلغ مالى معين فى البنك .
- والحصول على شهادة ذات رقم .
- وعدم جواز سحب المبلغ المودع إلا بعد زمن معين .
- وضرورة بقاء قيمة الشهادة مودعا بالبنك حتى تاريخ السحب « الاستهام » على « الجوائز » .

كذلك فإن فرصة الحصول على « الجائزة » تتضاعف بتضاعف المبالغ التى يودعها الشخص مقابل شهادات ، وذلك تطبيقا لنظرية « الاحتمالات » .

والجائزة فى اللغة تعنى « العطاء »(2) ، وهو لفظ عام يخصصه العرف الذى يجعل « الجائزة » لا تكون إلا « مقابل عمل معين »(3) . ويزيد الدكتور السنهورى هذا الأمر

(1) إحياء علوم الدين ـ باب اصناف الحلال ومداخله ، ص ٨١٩ .

(2) مختار الصِّحَاح ـ جوز ـ (اجازه ـ جائزة) سنية اى بعطاء .

(3) م ١٦٢/ ١ من القانون المدنى .

وضوحا بشرح ما جرى عليه العرف أن : « الجائزة » تكون : « لمن يعثر على شيء ضائع ، أو يدلى بمعلومات معينة تؤدى إلى الكشف عن جريمة ، أو لمن يضع أحسن بحث فى موضوع معين ، أو أفضل رسم هندسى لبناء معين[٤] .

ولما كان « المعروف عرفا كالمشروط شرطا » كما يقول فقهاء الشريعة الإسلامية فشرط الحصول على جائزة ، غائب عن هذا النوع من المعاملات .

فالمبالغ التى توزع ليست « هبات » ، ولا هى « جوائز » . ولا تسرى عليها أحكام هذه ولا تلك .

فإذا ما حاولنا الوقوف على نية كل من حامل « الشهادة » والبنك ، لوجدنا النيات واضحة لا يخفيها أى من الطرفين : فصاحب « الشهادة » ما أودع ماله بهذه الطريقة إلا بنية الحصول على مبلغ كبير من المال يفوق قيمة الشهادة أضعافا كثيرة .

والبنك ما أخذ المال المودع إلا ليقرضه « بفائدة » ، ثم يخصص جزءا مما يعود عليه من هذه « الفائدة الربوية » ليوزعه « بالقرعة » باستخدام « الحاسبات الآلية » .

يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث المشهور الذى رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ... » رواه الشيخان .

وينحصر الدور المعقد للحاسب الآلى فى عمليتين :

الأولى : يقرر ما إذا كانت الشهادة « تحصل على جائزة » أو « لا تحصل على جائزة » .

والثانية : يحدد ترتيب من يقع سهم الاختبار فى جانبه فيحصل الأول على أكبر مبلغ ، والثانى على المبلغ الأقل ... وهكذا ، لذا يطلق علماء الاقتصاد على هذه المبالغ « جوائز اليانصيب[٥] » ..

هذه الطريقة هى عين ماورد فى القرآن الكريم بمسمى « الأزلام » وحرمه الله تعالى فى قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ .... ﴾ الآية ٣ من سورة المائدة . وفى قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الآية ٩٠ من سورة المائدة .

فشهادات الاستثمار المجموعة (جـ) هى فى حقيقتها « سندات قروض » تستخدم المبالغ المدفوعة فيها فى عملية إقراض بفائدة « ربوية » ، وتوزع على بعض حامليها مبالغ مالية تحدد بطريقة « الاستقسام بالأزلام » ، فاستحقاق المال فيها لا يتوقف على سعى أو إنتاج أو مجهود من أى نوع ، وصاحب الشهادة يعيش سنوات جريا وراء سراب ، ووهم ، وأمل كاذب فى أن تهبط عليه ثروة ، فإن لم يحصل عليها ، وهذا هو الغالب الأعم ، فهو لم ينمِّ ماله ، وتركه وقد هبطت قوته الشرائية ، وهو مطالب ـ شرعا ـ بأن يدفع عنه الزكاة بعد الحول إن كان مجموع أمواله بالغا النصاب ... ولا حول ولا قوة إلا بالله .

يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(٤) الدكتور السنهورى ـ الوسيط فى شرح القانون المدنى . جـ ١ فقرة ٩١٣ .

(٥) أ . د . عاطف صدقى ـ أ . د محمد الرزاز ـ الوجيز فى المالية العامة ص ٢٦٥ .

من خير مانشر

﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ... ﴾ (النساء ٢٩) .

لواء أ . ح د . فوزى محمد طايل .

حلمات

للأستاذ : محمود عبد المنعم مراد

كنت من اكثر الناس حديثا عن سلبيات مجانية التعليم ...

وللأسف الشديد عرفت أخيرا أن هناك مصروفات أو رسوما أو سمها ما شئت ، يدفعها القادرون والفقراء لمدارس الحكومة التى يقال : إنها تعلِّم أبناء الناس بالمجان وترهق الميزانية ، علمت أخيرا جداً أن التلميذ فى المدرسة الإعدادية يدفع حوالى ثلاثين جنيها كرسوم إجبارية ، ومع كل هذا ، وبعيدا عن اهتمامات الناس الحقيقية شغلت صحفنا اليومية والأسبوعية والشهرية ، صفحاتها فى الأسابيع الأخيرة بحادثين فنيين طغت أخبارهما على كل الأخبار والتعليقات والمقالات والتحقيقات ، المسرح التجريبى ومهرجان الأسكندرية السينمائى . وشارك فى ذلك التليفزيون والإذاعة هل تعيش وسائل الإعلام فى وادٍ ويعيش الشعب فى وادٍ آخر ؟ أم أننى إنسان متخلف ؟

عن جريدة « الأخبار »

من ثقب الباب

للأستاذ : كامل زهيرى .

كشفت حرب العراق وإيران عن حركة تنقلات عجيبة بين شركات بيع السلاح ، وبعد أن كانت فرنسا تبيع لإيران أصبحت تبيع للعراق وبعد أن كانت بريطانيا تبيع للعراق انتقلت لإيران ، وهناك دول عديدة باعت للفريقين فى وقت واحد . وكانت أمريكا تقدم المعلومات بالأقمار الصناعية عن مواقع إيرانية للعراق وتقدم لإيران الأسلحة كما كشفت فضيحة الكونترا .

وتاجر الموت ـ كما يقول برناردشو ـ لا يهمه من الذى يموت ولكن يهمه الذى يدفع .

عن جريدة الجمهورية

العلوية - بقية

وكما نرى فإن عبد المطلب يمهد بتصوير علي فى شبابه الأول ، كي نراه فى رجولته أهلاً للعظائم التى حققها ، واشتهر بها ، وصارت علماً عليه ، ويبدو الشاعر ملتزماً بالترتيب التاريخي لحياة أمير المؤمنين على حين يتناول ملامح حياته وشخصيته ، فبعد أن عشنا معه مرحلة الشباب الأول ، نجده يتقدم مع خطوات الزمن في تاريخ علي ، فيصف ليلة الهجرة .. ثم أيامه بالمدينة ، وشجاعته فى الغزوات ، ولكنه لا يلتزم الترتيب التاريخي باطراد ، فيعود إلى الحديث عن علي فى السلم ليتكلم عن قلبه ونفسه ووجهه وجوده وقيامه بالليل فى لقطات لا تربطها روابط شعرية بأحداث الغزوات وغيرها .. وإن بدت هذه الخصال الذاتية نوعاً من الاستراحة بين فترتين من حياته .. فترة حياته كجندي من جنود الإسلام ، وفترة حياته كقائد لدولة الإسلام ، وفي كل الأحوال فإن الشاعر يفيض في الحديث ، ويغدق في خلع الصفات على الجندي والإمام ، والمسلم العادي الذى لايحارب ولا يحكم .

وسوف نكتفى بالوقوف عند لقطات دالة على هذه المراحل الثلاث من خلال « العلوية » لنكتشف كيف عبر الشاعر عن ملامح الإمام ، وأسلوبه الشعري في صياغة هذه الملامح .

ـ يتبع ـ

أنباء وآراء

إعداد: عبد المنعم فــودة
صفوت عبد الجــواد

المجلس العالمى الثانى للدعوة والإغاثة يناقش :

● تصحيح صورة المسلمين لدى أمريكا وأوروبا من خلال كتب إسلامية

● الإعلام الإسلامى ودوره موضوع ندوة تعقد فى العراق

● شيخ الأزهر يطالب المسلمين بضرورة توحيد صفوفهم

● إنشاء أجهزة للدعم ومركز للمعلومات بمكة المكرمة

إحدى جلسات المؤتمر يرأسها فضيلة الإمام الاكبر وعن يمينه المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس وعن يساره السيد كامل الشريف امين عام المجلس .

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الاجتماع الثانى للمجلس العالمى الإسلامى للدعوة والإغاثة الذى عقد بالقاهرة ، وطالب فضيلته فى كلمته المسلمين فى شتى أنحاء العالم بتكثيف الجهود لتصحيح المفاهيم الإسلامية ، بخاصة بعد تلك التيارات المضللة التى لحقت بالإسلام والمسلمين . وأكد فضيلته ـ فى كلمته ـ أن الأزهر الشريف يشعر بما تعانى منه الشعوب الإسلامية خاصة تلك الشعوب التى تعرضت للكوارث .

وأكد شيخ الأزهر على تعاون الأزهر الشريف مع مختلف الهيئات الإسلامية .

● أكد المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس والأمين العام لمنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم : أن الأمة الإسلامية فى حاجة إلى تجميع جهودها ومواجهة أعداء الإسلام بالتنسيق فيما بينها وأكد (سوار

←

أنبـــاء واراء

الذهب) فى كلمته أن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة يمثل للمسلمين أملا كبيرا فى تغيير نظرتهم للغد فسوف يكون الواقع أفضل فى ظل الصحوة الإسلامية المعاصرة ودعا المسلمين إلى ضرورة تكوين الدعم المادى والمعنوى للمجلس حتى يمكن أن يؤدى دوره فى مجال الدعوة والإغاثة .

● طالب علماء المسلمين - خلال المؤتمر - بضرورة تجميع الجهود لتصحيح مفاهيم الفكر الإسلامى ودعم الشعوب الإسلامية وإغاثتها ، تلك الشعوب التى تعانى من الكوارث ، كذلك أكد علماء المسلمين خلال المؤتمر على ضرورة دعم الأقليات المسلمة ومواجهة الحمــلات التى تستهدف عقيدة المسلمين .

كما أكد علماء المسلمين على أنه تم إنشاء جهازين لتقديم المساعدات للمسلمين وهما صندوق التضامن وصندوق الأقليات .

كذلك تم إنشاء مركز للمعلومات فى مكة المكرمة بمقر رابطة العالم الإسلامى .

ومن ناحية أخرى فقد وجه السيد أحمد الفاين الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الشكر لمصر حكومة وشعبا على دورها الرائد لدعم المنظمة الدائم ، وأكد فى كلمته أن لجنة النشر والإعلام أعدت سلسلة من الكتب للتعريف بالإسلام سوف تصدر قريباً .

وفى الجلسة الثانية للمجلس الأعلى العالمى للدعوة والإغاثة تم الاتفاق على تنظيم ندوة عالمية عن الإعلام الإسلامى سوف تعقد قريباً فى بغداد بهدف إعداد الأسس لزيادة تدفق المعلومات بين الدول الإسلامية وتوجيه صورة سليمة عن المسلمين كما ناقش علماء المسلمين المشاركون فى المؤتمر إمكانية إصدار سلسلة من الكتب الإسلامية بعدة لغات أوروبية لمخاطبة الراى العام فى دول غرب أوروبا وامريكا لتصحيح صورة الإسلام .

● تمت الموافقة على اقتراح لجنة النشر والإعلام بضرورة متابعة ما ينشر عن الإسلام والمسلمين فى الغرب ومواجهة الحملات التى تريد النيل من الإسلام .

● استعرض السيد كامل الشريف الأمين العام للمجلس الاتصالات التى قام بها المجلس خلال العام الأول من تأسيسه خاصة فى مجال رعاية الأقليات .

● شاركت فى أعمال المجلس أكثر من اربعين مؤسسة إسلامية وممثلين عن السعودية والكويت والعراق وقطر والإمارات والبحرين والأردن والمغرب وليبيا والسودان .

● قرر ريتشارد فون فايتسكر رئيس جمهورية المانيا الغربية أثناء إلقائه محاضرة للطلاب فى جامعة ألمانية بأن القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى فسر علم الأجنة بعد أن عجز عن تفسيره العلماء فى العالم .

● ينظم المكتب التنفيذى للجمعية المغربية للتضامن الإسلامى مسابقة علمية حول العالم الحافظ المحدث الإمام مالك بن انس ، وذلك بمناسبة مرور ١٢٣٠ سنة على وفاته .

وتهدف الجمعية من تنظيمها لهذه المسابقة إلى إبراز مقدار ما حظيت به الدراسات الإسلامية فى مجال علم الحديث وروايته ، وما قدمه الإمام مالك من جهود فى هذا المجال العلمى الدقيق .

٣٠ الف مسلم بسنغافورة يتكلمون اللغة العربية

● بدأت جمعية الدعوة الإسلامية فى سنغافورة تنفيذ برنامج مكثف لتعليم اللغة العربية

للمسلمين حتى يتمكنوا من فهم معانى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وقد انتظم فى هذه الدراسة ٣٠٠ ألف مسلم .

● **قررت هيئة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة عقد ندوة إعلامية ببغداد بالعراق لبحث ومتابعة ما ينشر عن الإسلام فى دول الغرب والرد على الأفكار الهدامة التى تحركها التيارات المعادية للإسلام .**

آيـــات مقدســـة

● أصدر الباحث الهندى (ماجد خان) كتابا يرد فيه على كتاب (آيات شيطانية) لسلمان رشدى البريطانى الجنسية الهندى الأصل ، ويتناول الكتاب الذى يحمل عنوان (آيات مقدسة) بسطاً لمبادىء الدين الإسلامى وأسسه مناقشاً فيه مفتريات سلمان رشدى وأكاذيبه .

اول مدرسة للائمة فى روسيا

● **افتتحت فى مدينة (اوفا) بجمهورية روسيا الاتحادية أول مدرسة إسلامية لتخريج الأئمة والدعاة .**

وذكر الشيخ نافع الله مدير المدرسة أن الطلاب يتعلمون فى المدرسة أ صول ترتيل القرآن الكريم والفقه الإسلامى والخط العربى والكوفى وأسس الطب واللغتين العربية والانجليزية وغيرها من العلوم الأخرى .

● ذكرت صحيفة (نيويورك تايمز) أن مدن نيويورك وشيكاغو وديترويت تعتبر مراكز المسلمين الكبيرة بالولايات المتحدة الأمريكية ، وأشارت الصحيفة إلى أن عدد المساجد والمراكز الإسلامية فى تزايد . إذ يوجد (١١٢) مسجدا فى هذه المدن الثلاث ، منها ٧١ مسجداً فى نيويورك وحدها .

● **ذكر وزير الأوقاف والشئون الدينية بسلطنة بروناى انه سيتم قريباً إنشاء «المعهد العالى للدراسات الإسلامية» بشرق آسيا وستكون سلطنة بروناى مقرا لهذا المعهد الذى سيقدم خدماته فى مجال التعليم الإسلامى وتخريج «كوادر» لخدمة الدعوة الإسلامية فى هذه المنطقة .**

الفتاوى ـ بقية

الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب ، فلنتأدب بأدب علمائنا الأجلاء ، ولنترك التعصب فعاقبته وخيمة وقبول الطاعات مرهون على الإخلاص فيها ، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وما دام هناك اتفاق على الأصول فلا ضرر فى الخلاف فى الفروع وهو رحمة وتيسير على الأمة ، والله الموفق .

الشراء بالنقد والتقسيط معا

جـ ٦ : اشترى رجل سلعة نقدا ودفع بعض الثمن وطلب من البائع أن يؤجل باقى الثمن على اقساط مع الزيادة فما الحكم ؟

س ٦ : يجوز للبائع أن يحدد للسلعة سعرا بالنقد حالا . وسعرا للبيع إلى أجل بزيادة فى الثمن .

وعلى المشترى أن يلتزم بأحد البيعين . ـ المعجل أو المؤجل ـ ابتداء عندما يقع عقد البيع .

فإذا اشترى سلعة معجلة ، وبعد أن دفع بعض الثمن ، أراد أن يؤجل الباقى مع الزيادة فهذا حرام .

الفهرس

- **الافتتاحية** : هل لقارىء ان يشاركنا النظر .. ؟!
  د . على الخطيب ١٩٣
- **نعم .. وا .. ازهراه «الأزهر الحاضر والمستقبل»**
  للشيخ جاد الحق على جاد الحق «شيخ الأزهر» ١٩٥
- **المولد النبوى والإعجاز القرانى**
  د . محمد عبدالمنعم القيعى ٢٠١
- **من روائع المخطوطات فى البشريات بالمصطفى ﷺ**
  «كتاب خير البِشر لخير البَشر»
  للأستاذ عبدالحفيظ فرغلى القرنى ٢٠٣
- **إدارة الرسول ﷺ للصراع فى شبه الجزيرة العربية**
  لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ٢٠٨
- **الربا حول مقالين**
  د . عبدالرحمن تاج ٢١٥
- **الربا فى القانون الإسلامى**
  د . محمد عبدالله دراز ٢٢٢
- **المعاملات المصرفية بين الحلال والحرام**
  للأستاذ أحمد أمين فؤاد ٢٢٨
- **شهادات الاستثمار (أ ، ب)**
  فى ضوء حقائق الفقه الإسلامى
  د . أحمد فهمى أبو سنة ٢٣٤
- **ما وراء فوائد البنوك**
  لواء أ.ح د/ فوزى محمد طايل ٢٣٨
- **الطبرى إمام المؤرخين**
  أ . د عبدالعزيز غنيم ٢٤٣
- **الفتـــاوى**
  للأستاذ على حامد عبدالرحيم ٢٤٩

الشعر والشعراء
إشراف د. حسن جاد

- **فى روضة المصطفى ﷺ**
  شعر/ إسماعيل يحيى ٢٥٢
- **العدويه**
  د . حلمى محمد القاعود ٢٥٣
- من اعلام الأزهر (العالم الدكتور احمد السيد الكومى)
  إعداد : ناصر محمود وهدان ٢٥٩

العلوم الكونية

- حرارة الجو .. إلى اين ؟
  أ . د أحمد فؤاد باشا ٢٦٨
- اريتريا ومشاكلها
  للأستاذ ماهر زكريا الشيمى ٢٧٢
- طرائف ومواقف
  للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٢٧٦
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر
  «المحبة وانواعها وبعض آثارها الجليلة»
  للشيخ يوسف الدجوى
  إعداد وتقديم عبدالفتاح الزيات ٢٧٨

اللغة والأدب والنقد

- كتاب الوحوش عن الاصمعى (رحمه الله)
  تحقيق الأستاذ أيمن محمد ميدان ٢٨٤
- الدراما .. إلى اين ؟!
  للأستاذ عاطف شحاتة زهران ٢٩٠
- **اللغة والنحو فى مقدمة ابن خلدون**
  للأستاذ عبدالستار عبداللطيف أحمد سعيد ٢٩٤
- من خير ما نشر
  للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ٣٠٢
- انباء وآراء
  للأستاذ صفوت عبدالجواد
  للأستاذ عبدالمنعم فودة ٣٠٥

القسم الانجليزى
إشراف د. أنس النجار

- المقالة الثانية
  للأستاذ لطفى على سلطان ٣١٣
- المقالة الأولى
  د . أنس النجار ٣١٨

Many a modern man is in search of a religion that will satisfy both his heart and intellect, and will at the same time offer solutions to the complicated economic, social and political problems which face mankind at present, and will certainly confront the coming generations. Islam deserves the earnest consideration of all such seekers after truth and light. For, Islam is not a religion in the common meaning of the word, confining its scope to the private life of man. It is a complete way of life, catering to all the fields of human existence.

Islam differs from other religions in as much as it forms a considerable part of our daily life, and by it are regulated almost all detials of our homes and families and other businesses. It is the religion of common sense. It is the most practical faith and the one most calculated to solve the world's perplexing problems and prescribe remedies for its maladies, and bring to humanity peace, contentment and happiness. It is the religion of mankind, of all times climes. Its message is for the entire human race.

Of all religions, Islam is by far the most rational, for it demands nothing of man that cannot be brought to agree with the human intellect. It asks us not to take anything for granted, but to use our own minds to discriminate between the right and the wrong, and exhorts us to seek knowledge and discover the laws of nature. Unlike any other religion, it wants to keep itself in consonance with the progress of learning and thought. it is universal in its outlook and approach.

Islam provides guidance for all walks of life : individual and social, material and moral, economic and political, legal and cultural, national and international. It enjoins man to follow Allah's guidance in all fields of life.

creation of heavens ad earth, the sun, the moon and the stars, the rivers; the seas, and the mountains. The amazing order, purposefulness and wisdom prevailing the universe reflected in the faultless operation of laws of nature, all of which point out to the fact that this universe is not a product of mere chance but the design and result of the Divine Will. Divine Universal Intelligence, and Divine Knowledge and Purpose.

But the human intellect which can recognize Reality and reach Truth must indeed be pure, not one burdened by animal lust and base desire. The danger from the present day civilization to mankind is not that it has set the human mind free in its search after truth. On the contrary, the danger arises from the fact that it has crippled the human mind by placing it under the dead-weight of animal passions.

All entertainments, are mostly of low grade art, of shows and dances which are directed at body passions. Bookstalls are full of pornographic literature. Movies, are full of erotic scenes and portrayals of carnal relationships. And to reap the harvest of all this, fullest opportunity for mixing has been provided to members of both the sexes. In this atmosphere, charged with sensual passions, it has become well nigh impossible for a large number of human beings to exercise their intellect with freedom or to respond to their inner voice - the voice of their true honest nature. However, amidst this turbulent disintegration of human values, the voice of reason and conscience finds a positive response in the hearts of those in quest of the Truth. Such people have the insight and vision that helps them see the inner rottenness of the present - day civilization despite its lustrous exterior.

Such people have the true human nature of values, peace of mind and chastity of the soul. It is only in discovering and attuning itself to Reality that human soul can find real peace and contentment. Islam is indeed a practical religion which aims at establishing an equilibrium between the two aspects of life: the material and the spiritual. It holds that everything in the world is for man, but man himself is for the Creator, the Almighty Lord: his mission in life is to fulfill Allah's Will. Islamic teachings cater for the spiritual as well as the temporal needs of man. It enjoins man to purify his soul and also to reform the mundane life, individual and collective, and to establish right over might, and virtue over vice. Thus, Islam stands for the middle path, where real human values dominate the actions and intentions of mankind.

Admitedly one perceives that contemporary progress in the world has to its credit a good many solid impressive achievements: it operates on a very high level of energy and efficiency; it has been able to yoke the forces of nature to the service of man in an astounding manner. All these are, indeed, great achievements, however, they raise a number of serious questions in the objective thinking mind. Has this modern civilization really been able to put man on the road to his self-fulfillment ? Has it really succeeded in enabling man to achieve the real goal of his existence ? Has it been able to provide the contentment, peace, bliss and happiness for which human soul has thirsted throughout the ages ? Has it really been able to lift up mankind from exploitation and the plane of animal existence ? Has it succeeded in the enrichment, refinement and ennoblement of man's life on earth ? Has it achieved the basic elements for peace and love among mankind; has it established an efficient system of social equality security and human rights ? It is really regrettable that quite a number of people are taken in by the glamour and artificial sheen of the modern materialistic civilization. Some are so overwhelmingly impressed that they look upon this false civilization as the apogee of man's creative achievement. That is why they have been robbed of inner faith and spiritual sensation. They have, in fact, developed an attitude of blind adoration for evereything materialistic. Therefore, anything in their own way of life that appears to be out of tune with the precepts or practices of spurious civilization, is thoughtlessly brushed aside as old-fashioned and inapplicable to modern concepts.

Some of these people dimiss all religions, and Divine Doctrines as unsuited to the requirements of the present age, the age of "reason". For, religion, in the opinion of these new-fangled intellectuals, is nothing but a bundle of irrational dogmas and superstitions. Little do they care to pause for a while and reflect that even if their statement could apply to other religions and ideologies, it certainly could not apply to Islam. Islamic doctrines founded on rational principles, and expects man not to take anything for granted, but use reasoning to discriminate between right and wrong and what is basically correct.

Indeed, the revolution brought about by the Prophet of Islam is the history of knowledge and unique and singular in its context. It is only required from mankind to excercise rational thought. For, if man does that without crippling his mind with prejudice, he is bound, with the help and guidance of Allah, to discover the Reality which manifests itself. Everything in the universe around us; in the alternation of days and nights, in the

Islam stands, not for life-denial, but for life-fulfillment. It holds that spiritual elevation is to be attained by living piously in the rough and tumble of life, and not by renouncing the world.

Islam is simple rational and practical without any mythology. Its teachings are simple and intelligible, free from supersitions and irrational beliefs. Unity of Allah Messengership of Muhammad; and the concept of life-after-death, are the basic articles of Islamic faith. All the Islamic teachings follow from these basic beliefs. There is no hierarchy on the path, no abstractions, no complicated rites and rituals. Everybody is to directly approach the Glorious Qur'an, the Book of Allah and implement its dictates into practice.

Islam is a practical religion which does not indulge in empty and futile theorisings. It states that faith is not a mere profession of beliefs; it is the very mainspring of life. Righteous conduct must follow belief in Allah. Religion is belief to be lived; and not an object of mere lip-praise and lip-service. The Prophet of Islam Said: "Allah does not accept belief if it is not expressed in deed; and does not accept deed if it does not conform to belief.

Islamic doctrines have proved the superior middle path between two extremes, one sidedness of many a religion and ideology. Some have laid emphasis on the spiritual side of life but have ignored the material and mundane side. They have looked upon the world as an illusion, a deception and a trap. On the other hand, materialistic ideologies have totally ignored the spiritual and moral side of life and have dubbed it as fictious and imaginary. But these attitudes have spelled disaster. They have robbed mankind of social tranquillity and individual peace. Even today the unbalance is very manifest.

Christianity, in its contemporary erred on one extreme; Modern materialistic Civilization has erred on the other. According to Lord Snell: "We have built a nobly proportioned outer structure, but we have neglected the essential requirement of an inner order; we have carefully designed, decorated and made clean the outside of the cup, but the inside was full of extortion and excess; we used our increased knowledge and power to administer the comforts of the body, but we left the spirit impoverished.

ISLAM : A REFUGE FOR MANKIND

BY : Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed. M.A.

Throughout history of mankind, the human soul has always, through its inherent nature of purity, seeked a system of values by which mankind can code and regulate his life and that of human progeny. Divine scriptures revealed to Apostles and Prophets eversince the time of Adam, have always gained the coherent belief and faith of those who search for Truth and Reality. Through the developmental phases of human mental development and understanding; Divine Doctrines have been revealed to suit human abilities and requirements. The ultimate growth of human understanding and social complexity, necessitated an equally optimal integrated comprehensive system of belief, that would meet with all the complex interwoven patterns of human society and life. A system of belief that would integrate within itself in complete harmony, both the spiritual and material life of mankind.

This Divine System of Doctrines was revealed in the Holy Quran, the scripture of the Muslim Faith. The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) was the Messenger of the Divine Message, and his Traditions and Hadith are practical demonstrations and interpretations of the Text of the Holy Quran.

One of the unique features of Islam is that it does not divide life into compartments of matter and spirit. It regards life as a unity and does not admit any separation between material and moral, mundane and spiritual life; and enjoins man to devote all his energies to the construction of life on healthy foundations. It teaches mankind that moral and material powers must be welded together; that spiritual salvation can be achieved by using the material resources for the prosperity and welfare of man. Islam does not believe in total asceticism. It does not ask man to avoid things - material. Allah, Glory be to Him, censures those who refuse to enjoy His bounteis. The Glorious Qur'an states: "Say (to them O Muhammad): Who has forbidden the beautiful gifts of Allah, which He has produced for His subjects and those things clean and pure which He has provided for sustenance". (Surat Al'Araf, VII, 32).

closer to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This closeness energized and harnessed the piety in the character of the man. Abu Bakre Al-Siddiq and Omar ibn Al-Khattab were the disciple attendants subservient the needs of the Prophet. This nearness to the Prophet also gained Omar with a deep rooted perceptive justification of the fundamental doctrines of Islamic Theism; and enabled him to built up a coherent infrastructure of knowledge of jurisdication and jurisprudence. All the inner channels of mental and psychological functions, inertia of thought, accumulation and utilization of knowledge, were all highly geared to the service of Islam and Muslims; nothing in the life of Omar ibn Al-Khattab had a higher priority than that ideal. At the very depths of his inner constitution, the man's most gratifying purpose in life was to be instrumental in the service of Islam.

Omar ibn Al-Khattab was certainly the second man after Abu Bakre in his closeness to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu Bakre was older, more prudent, more experienced and much earlier in Islam than Omar ibn Al-Khattab. There was absolutely no competition between the two men. Omar realized very well the rank of Abu Bakre and his place from the Prophet, and Muslims. Omar considered Abu Bakre with great esteem, and looked up to him for tuition, edification and enlightment in matters that were obscure. Abu Bakre was by far the closest man to the Prophet; accompanied him during Hijrah, and lead the Muslims in Prayer during the Prophets illness.

Omar ibn Al-Khattab remained in the shadow of events, his most yearning desire was to serve Islam and Muslims, and to die a martyr in the cause of Allah to gain the paradise of the Hereafter.

conceded only to avoid an open issue of disagreement with the Prophet. Omar also crtainly realized in time that Prophetic action was always associated with Divine Inspiration and Providence. This incidence, however, marks the stability of personality, the uncompromising foot-hold in conformity to Truth and Rightness.

Omar decalred his personal opinion regarding intoxicating drinks, and gambling; both of which were popular in tribal Arab life. Omar always wished that the Divine Revelation dictates a final statement regarding those issues. The Divine Revelation finally came to address all believers to abstain from intoxicants and gambling. "O ye who believe! Intoxicants and gambling, dedication of stones, and divination by arrows; are an abomination of Satan's handiwork. Eschew such (abomination) that ye may prosper. Satan's plan is to excite enmity and hatred between you with intoxicants and gambling; and hinder you from the remembrance of Allah, and from prayer: Will ye not then abstain?" Surat Al-Maidah, V, 90 - 91). In several other instances of Omar's life with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), the Holy Revelation confirmed and stipulated an opinion or a wish that Omar had previously declared. Examples of such instances are authentically documented in the literature.

The attitude of Omar ibn Al-Khattab when news spread that the Prophet had died was a unique example of how Omar's love to the Prophet which blinded his mind to accept the Prophet's death. His mind simply refused to accept the fact. This temporary mental block was suddenly cleared and straightened by the famous words of Abu Bakre Al-Siddiq. "He who has worshipped Muhammad, Muhammad is mortal and has died; and He who has worshipped Allah, Allah is Immortal and is Everlastingly Omniscient". These words immediately restored the proper angle of perception and understanding to Omar's mind. There was no time lag, no delay, no hesitation. There was an instantaneous complete submission to the Reality and complete truth.

Omar ibn Al-Khattab is epitomized as the guiding spirit of the true Islamic conceptualization. If Abu Bakre Al-Siddiq stipulated the foundations of the Islamic Doctrinal practice after those of the Prophet; Omar has archestrated the integral rhythm of that practice, and put down the definition by which such practice was measured. He fully instituted the exact doctrines of the Holy Quran, and thoroughly implemented the Sunnah of the Prophet.

The mental aptitudes of Omar ibn Al Khattab, his life style, conduct, self discipline in rightness, and genuine cognitive understanding of Islamic theology; brought him

recognized its legislations, preceived the wisdom, admitted its miracle, lived the teachings, and absorbed the elements of Muslim Doctrinism in perpetual graduation of schooling through his companionship to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Omar completed learning the whole Quran during the Prophet's life, and for that distinction, Omar became very conversant with the intricate profundity of the Divine Revelation. Like Abu Bakre Al-Siddiq and many other companions, Omar ibn Al-Khattab was very close to the Prophet, all were intimate disciples and proteges of Prophethood. Each man with his own inherent personality and mental constructivism assembled a conglomerate understanding of Islam and its Divine conservation that made him excell in a channel of life.

The developmental structural built up of Omar ibn Al-Khattab during the years of companionship to the Prophet culminated into an exemplar norm of wisdom, sagacity of thought, and acme of knowledge. The man became a unique example of a devoted Muslim assimilating the profuse magnanimous bountiful knowledge that was granted by the Prophet to his companions.

At Al-Madinah, Omar ibn Al-Khattab took active part in all the activities of the growing Muslim group and their organization. He remained with Abu Bakre Al-Siddiq very close companions to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).Omar shared in the building of the Masjid, and the homes of Muslim families. He developed an opinion in every issue that concerned the life of Muslims. Several of these opinions were later confirmed by Divine Revelations, indicating the true honest pure nature of the man, his extrasensory perception, foreknowledge and clairvoyance. He took part in the formulation of the Adhan "the call for prayers", which was accepted by the Prophet.

Omar had a special opinion regarding the war prisoners from the great battle of Badre, contrary to the opinion of the Prophet and Abu Bakre. The Holy Revelation later on stipulated the opinion of Omar. Omar participated with the Prophet in all confrontations against hostile groups in which the Prophet took part; he was always very close to the Prophet, shielding him against danger.

During negotiations that took place at Al-Hudaybiah between the Prophet and the pagans of the Quraysh; Omar ibn Al Khattab was against the terms of the negotiations, and felt that the Muslim cause was undermined, and that Islamic pride and dignity were degraded. Omar faced the Prophet with his opinion, discussed the matter with Abu Bakre; and finally

perform Muslim rituals of Worship in public. This claim of right of worship soon developed into a continuous display of Mulsim presence; a matter that certianly was very disagreeable to the pagans of the Quraysh. This was the start of overt hostility on the part of the Quraysh against the Muslims. For three years, the Quraysh staged a war of social segreggation and abnegation of all Muslims. During those years, Muslims lived in conditions of extreme oppression and distress; the only link to life and existance was their unfailing faith and true belief. During those years of dire afflication and bitter anguish, Omar ibn Al-Khattab was very close to the Prophet. His strength of endurance and solidity in patience supported many to survive the tribulation of that period of torment and grief.

Then came the Divine sanction for emigration to Yathrib (Al-Madinah). Islam had gained followers and supporters in Yathrib; and Muslims in Mecca were instructed by the Prophet to emigrate north to Yathrib. Omar ibn Al-Khattab like other Muslims left Macca secretly with several friends and members of his family. His emigration came on much later than other Muslims. Omar reached Qubaa, awaited the arrival of the Prophet and Abu Bakre and accompanied their procession into Yathrib (Al-Madinah). At Al-Madinah, there was a totally new life for the Muslim Community.

During the seven years that passed from the time Omar ibn Al-Khattab confessed into Islam, to the time of his emigration; Islamic teachings and culture had given so much to the built up, and formulative differentiation of Omar's personality, perception, candidness, and the inertia of his natural instinct. Omar fully recognized the essentials of the Message of Islam, the purpose of creation, the existance of mankind, the belief in knowledge, faith in the Transcendant Divine Being. The whole interwoven structure of the matrix of Belief became completely integrated into the mind of the man; the mind that had previously metabolized the essentials of knowledge, and formulated the building bricks of rational conceptualization. During those years, Omar was very close to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); and this facilitated the rapid accumulation of knowledge of the roots and essentials of Islamic thought. His whole mental and spiritual functions became molten and reshaped to embody the finest tune of Muslim Theism. The whole integratd personality of the man became totally assimilated into a unidirectional flow of body, mind and spirit; bearing the true knowledge, of rationalization and inertia of thought.

Omar was exposed to the Holy Revelation since the early years. He learned the Quran, understood the meanings,

OMAR IBN AL-KHATTAB

« The Companion »

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The Islam of Omar ibn Al-Khattab was not a surprise to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), or to the few companions around the Prophet at the time. They all Knew that the Prophet had supplicated to Allah to bless Islam with either one of two men; Omar ibn Al-Khattab or Amre ibn Hisham, for their position among the ranks of the Quraysh. It was the Divine Choice that drove Omar ibn Al- Khattab to embrace Islam, and become cognizant of the Transcendant Reality of the Creator; to achieve understanding belief in the Revelation of the Holy Quran, and Messengership of Muhammad as the Prophet of Islam.. Amre ibn Hisham, later known as (Abu Jahle), died as a pagan in the Great Battle of Badre.

The most popular chronicle stated that Omar ibn Al-Khattab accepted Islam at the age of twenty six, during the month of Zu Al-Hijjah of the sixth year of the Revelation. The number of Muslims at the time according to the most accepted estimates were twenty two women, and fourty five men. The news of the Islam of Omar spread very quickly amidst the various ranks of the tribes of the Quraysh. It was a very important event indeed both for the pagan society in Macca, and also to the small Muslim group around the Prophet strictly adherent to the new Faith of Islam. To this very small minority group, the Islam of a man as Omar ibn Al-Khattab was a very great asset and benefit.

Omar ibn Al-Khattab was strong and firm in whatever he believed. He was adamant in Right, and demanding in identity. He convinced the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that Muslims should take their rightful position around the holy shrine of the Kabaah. For the first time, Muslims marched in parade with the Prophet in the middle, Hamzah ibn Abdel Mutaleb and Omar ibn Al-Khattab at the front. They walked into the courtyard of the Kabaah, took their positions and for the first time made their prayers in public, with the pagans of the Quraysh looking on. Omar was determined to oppose the pagans of the Quraysh to justify the rightful presence of Muslims in the precincts of the Kaabah; and to

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART III

RABIE AL AWAL 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

"The Companion"

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Islam: A Refuge for Mankind

By: Loutfi Ali Soultan.

> "Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع
السنة الثانية والستون
ربيع الآخر ١٤١٠ هـ
نوفمبر ١٩٨٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أين المبادئ ؟!

تبصرة للقارىء بما يحيطه من أحداث ، أو بما يَشْغَل المجتمع من آراء ، أو بما يقتضيه العصر من إعلام ـ أجمعت المدارس الصحفية على بضعة أمور هى ـ فى مجملها ـ تؤكد نزاهة الصحفى وشرف صحيفته إن أراد لنفسه شرفا ، وأراد لها سموا .

وما هذه الأمور التى تجعل القارىء على وعى وبصيرة بمجتمعه بل بالعالم ـ إلا :

« الدراسة الواعية للحدث » ، وذلك باستقصاء معرفته من مصادره الأولية .

ثم « الموضوعية التامة فى العرض » مع الأمانة والنزاهة والحياد التام إزاء الموضوع .

ثم « الصياغة الطيبة بالعبارة الصحفية المباشرة » فيجد القارىء بين يديه زاداً من الخبرة النظيفة التامة التى تحترم إنسانيته وتقدر عقله ، فإذا مداركه مهيمنة على الأحداث من خلال « وجبة » فكريه جيدة لاغش فيها ولا جهل ، وليس من خلال « مصيدة » يظن كاتبها أن باستطاعته أن يخدر عقل القارىء ويسرق وعيه فيؤمن بما يريد من فكر سقيم الروح غريب الدار ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم ﴾ .

والله ـ تعالى ـ يجمع لنا كل ذلك وأكثر فى عبارة غاية فى الإيجاز ، ولاحاجة فيها إلى تفسير ، فيقول : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ .

ولينظر قارىء مايقتضيه العدل من دراسة وموضوعية وأمانة وحياد ، وغير ذلك

لقد طرحت قضية « أعمال البنوك » على المجتمع طلبا لمعرفة أحكام « الشرع الإسلامى » فيها ، واشتغلت بها الصحافة والصحفيون ، فإذا « أقلام » صحفية ـ وهى قليلة والحمد لله ـ تخوض فى هذا الموضوع لا عن دراسة له ، ولا عن رجوع لمصادره ، أو تخصص فيه ، ومع أنها فقدت هذه الأسس انطلقت تفتى بأن « أعمال البنوك حلال كلها » لا ربا فيها ، لأنها نظام عالمى ، ولأن « أرزاق المشايخ من البنوك » ولأنها « سياسة مالية ضرورية » .. الخ ، فإذا بها تلتمس فى قضية « الحلال والحرام » ما لا يحل حلالا ، أو يحرم حراما ، ثم هوت إلى حضيض مسف فصبت شتائمها على العلماء .. وهكذا .

﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ .

والله الذى يعلم خائنة الأعين ، وماتخفى الصدور ، ويقضى بالحق أقرأنا وأسمعنا كلمات اقتصاديين مارسوا تدريس مادة الاقتصاد ربع قرن بينوا ما فى « أعمال البنوك » من « ربا » .. لم يصدروا فى ذلك عن أحكام شرعية ، وإنما كتبوا من واقع طبيعة أعمال البنوك ومسارها ، فالتقى « واقعهم » بحكم الشرع فيها ، وليت لأولئك الذين أرادوا أن يقحموا « الحلال » قهرا على أعمال البنوك ـ عِلْمَ أولئك الاقتصاديين فضلا عن أن يخنعوا للحلال والحرام على ما عليه كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ﷺ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّاهُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

د. على أحمد الخطيب

بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم

ولدت أُمَّةٌ وقامت دولة

● فى يوم من أيام شهر ربيع الأول كتب الله له خلود الذكر ، كانت ولادة طفل ليس له مثيل فى الأطفال من قبل ومن بعد ، وقد كانت قافلة الحياة الإنسانية فى بيئته جزيرة العرب جائرة عن القصد ، ضلت بها السبل ، وكان العالم الإنسانى أجمع يعانى عوامل البلى ، فالوثنية تهلك الروح ، والجهالة توثق العقل بقيود لافكاك منها . المادية ترهق الجسد وتكاد تمحقه ، وكانت ولايات الحكم من حول جزيرة العرب قد غلب على أهلها الفسوق والعصيان والانغماس فى الترف ، ونفر آخر من الحكام تلبستهم الخيانة والطمع وكان عامة الناس آنئذ قد توزعتهم الأنانية وانتابتهم دوافع الهمجية ونوازعها ، وكانت جزيرة العرب تحتوى شعباً اعتصم بالصحراء من هذا الفساد الطاغى والباغى ، نبيل الفطرة ، مازال يعيش على سجاياه المرسلة ، تتلاحق فيه الغزوات والمدافعة ، حتى صارت له تقاليد وعادات هى بمثابة القوانين الحاكمة .

تلك كانت حال الإنسانية يوم ولد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مكة بأرض هذه الجزيرة العربية التى اختارها الله موئلاً لرسوله ولرسالته التى بها يخرج الناس من الظلمات إلى النور .

نعم : كان العالم الإنسانى حين ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعانى تفكك الأخلاق ، بل واندثارها ، وضياع المثل العليا ، وتحلل الرجولة ، فكان هذا المولود الذى يشهد له الوحى الذى تنزل عليه من الله سبحانه بالخلق العظيم ، وخضع له الناس لما انطبع عليه من كمال الصفات النوادر والرجولة الكاملة ، ولما حمل من دين الله الإسلام الذى يجمع إلى سعادة الدنيا نعيم وسعادة الأخرى .

وتلك حكمة الله وسنته إن كانت رسالات رسله عليهم السلام إنما تواجه بظهورها الفساد الذى عم وطم فى العالم ، وأن تعالج بالدواء ـ الداء الذى استفحل فأطاح بكل جميل من الشيم والذمم والأخلاق ..

لقد ولد محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعرب قد انصرفوا إلى نزاع لا ينقطع وصراع لا يتوقف ، فلما حانت رسالته بعد إذ أعده الله ورباه قابلوها بالعناد ، ودافعوها بالكيد والعدوان ، فما وهنت عزيمته ولا لانت قناته ، وإنما واجه الأذى بالصبر ، والسفه بالحلم والغلظة بالرقة .

وهذا هو الخلق الذى أثنى به عليه القرآن فقال الله فى وصفه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وبهذا الخلق انتصر هذا الوليد وحده على العرب ، فدخلوا فى دين الله الإسلام أفواجا ،

←

بمولد الرسول ﷺ ولدت أمة

مبلغاً رسالة الله إليهم ، تالياً عليهم كتاب الله القرآن ، وبذلك الخلق وبهذا الكتاب ، وما حفظ العرب عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول وفعل وتقرير ، وبما نشأهم عليه من رجولة انتصر العرب من بعده على العالم ، وصارت لهم أمة الإسلام ودولة المسلمين .

ألا فلينظر المسلمون أتباع هذا الوليد فى يوم ذكرى ولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماذا فى نفوسهم من دينه الإسلام ، وماذا فى أخلاقهم من خلقه ، وماذا فى سلوكهم من مأثوراته وماذا فى أيديهم من تراثه ؟

إنهم ـ إن لم يكابروا ـ سيجدون الدين أصبح رسماً فى نفوس الخاصة ، وأثرا مشوهاً لاقوام له ولا كيان فى نفوس العامة ، وأنهم افتقدوا أخلاق الإسلام التى هى أخلاق هذا الوليد يوم تخلوا عن الحرية التى اكتسبوها ، وأضاعوا الدولة الإسلامية يوم أن تمكنت منهم الأنانية فانقسموا على أنفسهم يتقاتلون على السلطة ويتجاحدون الأمانات ، وقد أصبح تراثهم نهباً فى أيدى شذاذ الشعوب بينما هم يتغنون بماض عجزوا عن أن يكون لهم حاضر مثله ، وأنى لهم ذلك ، وقد انحسروا عن تعاليم الإسلام عقيدة وشريعة وتعلقوا بأذناب الآخرين الذين اتخذوا المادة إلهاً من دون الله فضلوا وأضلوا .

فى ذكرى ميلاد نبي الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينبغى أن يراجع المسلمون ـ شعوباً وحكومات ـ موقفهم من دينهم الإسلام ، ليفيقوا من هذا النوم ، وليخففوا عن القدر اللوم فإن الله سبحانه عدل لا يظلم الناس مثقال ذرة ، وليعلموا أن من قتل فى نفسه الطموح ورضى أن يكون فى الحياة ظلاً وتبعاً لغيره ، صار كالأثر الذى احتبس فى المتحف ، يستدل به الناس على مُلك قد باد وأمة قد انقرضت ، بعد أن ضيعت الدين وتغافلت عن حماية الوطن وأهله حتى استلبه الآخرون ، وصارت شعوبها ـ الإسلامية ـ فى مقعد الخوالف تتحسر على المجد المفقود وتتعلل بكواذب الأمانى ، وأحلام اليقظة .

إن ذكرى مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكرى انطلاق الإنسانية من أسر الأوهام إلى حقيقة الإيمان ، فما أجدر النفوس الذاكرة فى هذه الأمة أن تخشع إجلالاً لذكرى ميلاد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الداعى إلى التوحيد والوحدة ، وداعية السلام والوئام والأخوة بين بنى الإنسان .

وماأخلق القادة والمصلحين فى هذه الأمة أن يقرأوا من جديد سيرة وسنة هذا المولود الذى مَنَّ الله به على البشرية ، هادياً وبشيراً وأن يتخذوا من القرآن الكريم ومن هذه السنة والسيرة منهجاً وسبيلاً إلى المجد المؤثل الذى افتقدوه وإلى العزة والمنعة ووحدة الكلمة التى تخلوا عنها أو تخلت عنهم بعد أن ابتأست مما كانوا يصنعون .

فى ذكرى ميلاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينبغى على المسلمين أن يُجمعوا أمرهم ويعرضوا حالهم على كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن يستقيموا على أخلاق صاحب الذكرى فقد كان صادق الوعد ، وفياً بالعهد ، وبالعقد ، أميناً على رسالته وعلى أمته ، شجاعاً بلغ الرسالة وجمع الأمة على كلمة الله ، وربى صحبه على أخلاقه ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا ، بل جددوا العزم والعزائم ، فعلوا على كل خطب ، وانتصروا على الصعاب وعلى الكثرة وهم قلة فى

العدد والعدة ، ولكنهم كثير بالإيمان وبالإخلاص لدين الله والقصد إلى إقامته عامرة به قلوبهم ، مرتفعة به هاماتهم .

لتكن هذه الذكرى تذكرة للمسلمين بأن رسالة الإسلام خاتمة رسالات الله ، ينبغى أن تصان عن العبث ، وأن تقود المجتمع وتسود ربوعه فى كل شئون الحياة وأن يكون كل مسلم ومسلمة حارساً أميناً عليها يؤمن بها وينفذ أحكامها ، ولا يلتفت عنها إلى غيرها فى سره وعلانيته وسلوكه وعبادته ومعاملته مع الآخرين ، وأن يعلمها أهله وبنيه ، حتى يقوم بناء هذه الأمة من جديد قوياً على الأسس التى أقامها عليها الله ، وحتى تستمر رسالة هذا النبى التى رسمت الطريق لإسعاد الناس : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

هذا الصراط المستقيم قد حمل المسلمين مسئولية إقامة المجتمع الصالح فكان الواحد منهم رجلاً أو امرأة مسئولاً عن عمله وسلوكه وأخلاقه ، ومسئولاً عمن فى ولايته من أهل وولد : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ .

ينبغى أن يكون الاحتفاء بذكرى ميلاد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يناسبه من إجلال وتكريم ومراجعة لأقواله وأفعاله وأخلاقه لتقتدى به فى الدين والدنيا ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾ .

لتكن ذكرى ميلاد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إيماناً بما نقل إلينا من معجزات أظهرها الله على يديه تأييداً لدعوته دون مراء أو جدال مادامت قد ثبتت رواية ودراية ، إذ ماأفاء الله به على رسوله من المعجزات بالنسبة لنا ولمن يأتى بعدنا غيب لم نشهده ، يجب أن نذعن له ، وعلى هؤلاء الذين يلحون على الجدال والمراء فى تلك المعجزات الحسية لمجرد أن عقولهم لم تستوعبها أن يكفوا وأن يتفهموا أن الله قد اختص هذا النبى الأمين بالكثير من المعجزات وأخلدها القرآن .

وأن الذين يمارون فى معجزاته ، ويتجرأون على التحريف والتأويل الفاسد لأحكام شريعته ، عليهم أن يعلموا أن مثلهم كمثل من وصفهم الله فى القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ . فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . .

فى ذكرى مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسرنى باسم الأزهر طلابه وعلماءه وجميع العاملين به وباسمى .. أن أقدم التهنئة بهذه الذكرى لكافة شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها ولأصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء .. وأدعو الله أن يعيد هذه المناسبة والأمة فى أوج عزها وقوتها موحدة الكلمة .. وقد تخلصت من همومها وتحققت آمالها فى الرخاء مشمولة بفضل الله بالسعادة وبالحسنى وزيادة .

فى ذكرى مولد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نذكر سماحته وتواضعه للناس ورفقه ورحمته بالضعفاء .. وصدق الله ربه الذى اصطفاه حيث وصفه فقال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . . صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً . . .

شيخ الأزهر

د جاد الحق على جاد الحق

بشارة الإيمان

والعمل الصالح

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

قال الله تعالى من سورة البقرة : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ..

بعد أن حذّر الله بقوله السابق ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ ثم اوعد بقوله ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ عطف فأمر بالبشارة .

ومن سنن القرآن إذا أمر ونهى أردف ذلك بالوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً لحث الإنسان على الخير ومنعه من الشر .

وهناك معرفتان : معرفة بالأشياء وهى مولدة لصورها . ومعرفة بالعلاقات وهى مولدة للمفاهيم والمعانى .

والعلاقة هنا علاقة عطف ولابد فيها من جهة جامعة كما تقول : حضر فلان وفلان ، فالجهة الجامعة هى الحضور ، كما أن الجهة الجامعة لهذه الآية وماقبلها هى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه .

ولنا فى القرآن الكريم مجال للتعلم من مفرداته وأسلوبه ومراعاة الحال . فلكل مقام مقال . ولكل عمل رجال . والمنازل على قدر النازل ، لا على قدر المنازل . والسؤال يجاب عنه مع مراعاة حال السائل ، وليس دقائق المسائل .

فلما كان فى الآيتين السابقتين تحد بالقرآن وإعجاز بأسلوبه ناسب أن يحذر ويخوف . ثم فتح المجال لمن هو مستعد لقبول الخير .

وهكذا يذكر الخائف بغفران الله ورحمته . ويخوف العاصى بشدة عقاب الله وقدرته فإن وضع الحديث فى غير موضعه ضاعت قيمته .. والتبعة على من وضعه فى غير موضعه .

أما « البشارة » فهى ما يظهر بها السرور على الجوارح . وتختلف عن « الإخبار » فى أن الإخبار نقل الكلام إلى سامعه ، فإذا قال الإنسان أُعْطِى مالا لمن بشرنى لا يستحقه إلا الأول وإذا قال : لمن أخبرنى . استحقه كل من أخبره .

وبدء هذه الجملة بالبشارة تعليم للدعاة كيف يكتسبون قلوب الناس . فيأأيها الدعاة للإسلام الخالد ، العام المرن . كسروا قيثارتكم التى

لا توقع إلا نغمة واحدة بغيضة تبعث على اليأس ، واستبدلوا بها قيثارة ذات ألحان صنعها طب بأدواء النفوس عليم ، وأكثروا من ألحان تبعث الأمل ، وتدعو إلى العمل ، وتزيد الحياة قوة ، ولا تشهروا برذيلة إلا إذا أشدتم بفضيلة . ولا تسمعونا صوت المعاول إلا إذا أريتمونا حجر البناء .

والإيمان طاقة خلاقة وليس هو كلمات يرددها اللسان ويوصف به ناطقها . فذلك شأن إيمان المنافقين الذين لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم . ولا يستطيع إنسان أن يعيش بغير عقيدة تكمل عقله ، وتغذى وجدانه ، وترقق شعوره ، وترهف حسه . وعقيدة الإسلام كفيلة بتوفير كل هذا لصاحبها .

وإن نحن حللنا كلمة « الإيمان » وجدناها شعباً كما جاء بها الحديث : « **أعلاها كلمة التوحيد ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** » ولعل فى هذا درساً للذين يحملون الإسلام على غير محمله الصحيح فيتوهمون أن النظافة تماد فى الخلاعة . ويتخذون المساجد مباءة لأقذارهم . وفى صحيح مسلم دلالة على أنه ﷺ أمر بإخراج من يؤذى المسلمين برائحته الكريهة ، أمر بإخراجه إلى البقيع .

والمساواة فى الإسلام هى فى كل أوامره ونواهيه . فمن أهمل شيئاً ليس له أن يتمسك بما يبنى عليه .

وفى أول باب من أبواب الفقه دعوة إلى وجوب الطهارة . وهى تعنى النظافة البدنية والقلبية معاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ مثار لأفكار العلماء : أهو عطف تكميلى أم هو عطف الجزء على الكل . والخاص على العام . وأيا ما كانت الاحتمالات فى صلة العمل بالإيمان . فإن المتفق عليه أن العمل الصالح وثيق الصلة بالإيمان الذى هو أصل العقيدة .

فأى عمل لا ينبثق عن الإيمان بمن يعمل من أجله فإنه هباء ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً ﴾ الفرقان ٢٣ .

وصالح العمل هو مايفيد صاحبه ، ويفيد غيره ، وبمقدار مايفيد العمل تتحدد رتبته فى الصالحات ، وخير الناس أنفعهم للناس . وقد مُنح المؤمن من الحواس الباطنة والذوق ماتقصر عن إدراكه القياس والدليل . وفى العقيدة الإسلامية مد خيوط بين العقل والقلب ، وبين الاثمار والاشجار وبين الواقع والحس ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ الغاشية ١٧ ـ ٢٠ .

وهذه الأدلة القرآنية أشد أثراً مما تنتجه أدلة الفلسفة والسفسطة .

وقوله تعالى : ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ إشارة إلى أن دار الثواب متعددة المنازل . وكل منزلة منها جنة ، تمتع النفوس . ونكر لفظ « جنات » لتنوعها ـ وعرف الأنهار ، لأن الألف واللام للعهد . ويشار بها إلى ما ذكر فى قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ . محمد ـ ١٥ .

ثم قال : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . اعلم أن هذا الأسلوب يدل على شيئين : التكرار ، والدوام .

ومن الأولى ابتدائية . لأن ابتداء الرزق من الجنة . أما الثانية « من ثمرة » فبيانية

بشارة الإيمان

ولذائذ الجنة غير لذائذ الدنيا إذ فى الحقيقة أن اللذائذ فى الدنيا قليلة ولا شىء فيها أعظم من طاعة الله جل شأنه .

ولذائذ الدنيا إن وجدت فصاحبها مهدد بزوالها . وأليس عجيباً ألا تكون لذة حتى يحدها ألمان ، ولا راحة حتى يكتنفها عناءان ؟

أما لذة الجنة فمنها الحسية لتقريبها إلى الأذهان . ومنها المعنوية يشبهها - إلى حد ما - لذة الحكماء بحكمتهم . والرزق السابق فى الجنة يشبه الرزق اللاحق فيها ، وليس كما فى الدنيا كما يرى بعض المفسرين . إذ لاشبه بين الدنيا والجنة ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ وفى الدنيا : الناس شتى فيعطى المقت صادقهم

عن الأمور ويحبى الكاذب الملق

أما فى الجنة فلا تعطى لذاتها إلا من هو أهل لها . نسأل الله أن نكون منهم والإنسان بأصغريه : قلبه ولسانه . وهل اللسان إلا حاكٍ بكىء لأحط حركات القلب وانفعالاته ؟ وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ والقلب مهبط الإيمان تصلح أوتاره فتفيض رحمة وشفقة وحباً وحناناً ، ومعانى لطافا وشعورا رقيقا . وتفسد أوتاره فينضح قسوة وسوءاً . فالقلب القلب إذ التقوى مستقرة فيه .

ولما كانت متعة الإنسان فى مأكله وبقاء نوعه قال : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ وكلمة الأزواج شاملة للجنسين . بتطهير من الله . وإعداد منه ، لا أن الطبيعة هى التى طهرت الجنسين . بل الله - بتفضله - طهر الجنسين من المعاصى والذنوب كما طهرهما من الأنجاس والأقذار .

تسأل بعضهن عن الحور العين . ومزاحمتهن لهن ، وينسين ، أو يتناسين ألا غيرة فى الجنة كما كانت فى الدنيا دار البلاء والابتلاء . وأن الحب هو الذى يسود أهل الجنة فلا يحقد أحد على أحد . وإن تفاوتت فيها المنازل . فأليس خيراً لنا أن يحدونا إلى الخير الحب بدلاً من أن يسوقنا إليه الرعب .

قال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ قد ينعم الإنسان بشىء ولكن ينغص عيشه قرب فنائه عنه ، أو زوال ذلك الشىء . فضمن الله لأهل الجنة البقاء والخلود الذى لا ينتهى . لذا اشتاق إليها من يطلبها وقال :

لئن بقيت حتى آكل ثمراتٍ فى يدى . إنها لحياة طويلة ، واستشهد قائلاً : « فزت ورب الجنة » . هذه هى تعاليم الإسلام السمح الميسر . يأمر معتنقيه أن يستمتعوا بما امتن الله عليهم من نعم فى الدنيا . وفى الوقت نفسه يلقنهم أن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

قالت عائشة « كلنا يكره الموت . فقال لها : إذا كشف الله الحجب رأى العبد مصيره ، فأحب أو كره ، فيحبه الله أو يكرهه ، وعندما سئل ﷺ عن الساعة ؟ قال للسائل عنها : وماذا أعددت لها ؟ . فتباً لهؤلاء الذين يخلعون قلوبنا بالموت فنكون طعمة لمن يحبون الحياة .

لا تعجبن من هالك كيف ثوى

بل فاعجبن من سالم كيف نجا

وقد تكون فى غفوة الموت أحلام أجمل من كل ما فى صحوة الحياة وأن العواطف إذا ما فارت ، والأفكار إذا ماثارت ، ضاقت دونها القوالب المحدودة . وغصت بها المجارى المألوفة .

ومادام المعيار الأخلاقى فى الدنيا مزدوجاً من السر والعلانية تحتم أن يسود الحياة نفاق يوجد الهوة السحيقة بين القول والعمل . ولنحذر جميعاً قول الله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

دُعَابَة النَّبيّ

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ: عبد الجواد محمد الخضرى *

الدُعابة بالضم اسم لما يستملح من المزاح ، ودعب الرجل إذا مزح ويقال : « المؤمن دعب لعب ، والمنافق عبس قطب » ! وداعبه مداعبة .. ا هـ[1] .

ولا ريب ان الدعابة تزين المجالس بمتعة الحديث ، وتجعل القلوب متالفة متصافية والارواح متقاربة متزاوجة ، بيد انها تعبر عن طرافة صاحبها وسرعة بديهيته فى بيان لافت واسلوب واضح ، وفوائدها جليلة من أهمها تجديد النشاط الحيوى وإزالة الانقباض النفسى ! وقد اختص الله العرب بها فهم أهل العقول الراجحة ، والافئدة الناضجة ، واللغة الشاعرة التى تمكنهم من فن الكلم وتصريف الكلام حسبما تمليه الحال !!

وحين نتأمل هذا الجانب الإنسانى من حياة محمد ﷺ تطالعنا كتب السيرة بعشرات المواقف التى تبرز عظمة النبى الخاتم الذى اقترب من الناس كلهم فجالس الفقير ، وآثر المسكين ، وهش للصغير ، وبش للكبير ، وافترت أساريره للرضيع ! فضرب أروع الأمثلة فى الفكاهة بلا اسفاف أو تبذل !!

مع الأطفال

من نافلة القول أن النبى كان من أشد الناس تواضعاً ، وربما استوقفه الطفل ليسأل حاجته فيجيبه ويداعبه ، « عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : سمانى رسول الله يوسف ، وأقعدنى فى حجره ، ومسح على رأسى[2] ».

« لا غرو فتبسطه نابع من حبه للصِغار ـ بكسر الصاد ـ وإنك لواجد فى هذه الحادثة ما يؤكد ملاطفته لهم » .

عن أنس بن مالك قال : أرسلنى رسول الله ﷺ يوماً فى حاجته فقلت : والله لا أذهب ! وفى نفسى أنى ذاهب فخرجت على صبيان يلعبون فى السوق ، وإذا رسول الله قد قبض ثيابى من ورائى فنظرت إليه ، وهو يضحك فقال : يا أنيس اذهب حيث أمرتك فقلت : نعم يارسول الله[3] »

←

* الكاتب : مدرس أول بمدرسة شربين ـ التربية والتعليم .

(١) أبو القاسم الزمخشري (أساس البلاغة) ج ١ ص ٢٧١ ط دار الكتب ١٩٧٣ م .

(٢) إبراهيم البيجوري (المواهب اللدنية) ص ١٨٨ ط البهية ١٣٠٥ هـ

(٣) برهان الحلبي (السيرة الحلبية) ج ٣ ص ٤٤٧ ط الحلبي (بدون)

انظر إلى سماحة النبى مع خادمه المخطىء ، لقد أدخل على نفسه السرور برغم تباطئه فى قضاء الأمر وانصرافه إلى اللعب ، إن النبى الإنسان لم يعبس فى وجهه أو يوجه للطفل لوماً ، بل أدبه بالابتسامة اللطيفة حيث يشب الطفل على الحب !

ويروى أنه كان يصفُّ أبناء عمه العباس ويقول : من سبق إلىَّ فله كذا .. فيستبقون إليه فيقعدون على صدره الشريف فيقبلهم ، ويلتزمهم بوجه بَسّام ملؤه السرور والبهجة ! وهاهوذا يعطى درساً فى التربية ليعلمنا كيف نعامل الصبيان ؟

« ذات يوم أخذ بكتفى الحسين ، وقدماه على قدميه ﷺ قائلاً : « ترق .. ترق » فمايزال النبى يرددها حتى وضع قدميه على صدر جده فيقول له : افتح فاك فيفتحه ويقبله ﷺ وهو يقول : اللهم أحبه فإنى أحبه » .

ترى هل نتصور لتلك اللحظات السعيدة تعبيراً على الوجه أقل من ابتسام الثغر !! وربما أخذت الابتسامة مع الطفل لونا حركيا آخر ليتجاوب فيستجيب له ويضحك للمرح .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ كان يدلع لسانه (أى يخرجه) على سبيل الدعابة للحسن بن على فيرى الصبى لسانه فيهش إليه « رواه أبو يعلى ويندب الترويح عن الأطفال ففى ذلك إنضاج للعقل ، وانشراح للصدر وإيناس للوحشة ، ولا بأس بإعطاء الطفل « دمية » يلعب بها ناهيك أن الرسول ﷺ كنى غلاماً صغيراً فقال له : ياأبا عمير ما فعل النغير ، وكان النغير طيراً يلعب به الصبى فمات فمازحه النبى إدخالاً للسرور عليه ، وينبغى أن نتودد إلى أطفالنا بالحديث المرح والدعابة الفكهة ، والقبلة الصافية ففيها دواء للجفاء وبلسم للغلظة !

مع النساء !!

المرأة مخلوق ضعيف بطبعه ، خلقها الله لتكون سكناً للرجل يأوى إليه ، ويتمتع به ، وللنساء أخلاق تحتاج إلى الحكمة فقد تضحك لأتفه الأسباب وتبكى لأهونها ، ومن وسائل التربية النبوية ، روح الدعابة إذ أن النبى ﷺ كان يروح عنهن بنكات خفيفة الظل ، سهلة المفهوم ، جاءت إليه عمته صفية بنت عبد المطلب فقالت : يارسول الله ادع الله لى أن يدخلنى الجنة فقال : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولت تبكى فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ ـ ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ سورة الواقعة ـ فضحكت المرأة من فكاهته !!

ثم جاءت سيدة أخرى إلى الهادى البشير وقالت : يارسول الله جئتك لتحملنى على بعير . فقال لها : لكنى سأحملك على ولد البعير ، وابتسم فاضطربت المرأة وقالت : يارسول الله ماذا أصنع بولد البعير ؟ إنه لا يستطيع حملى فضحك الرسول من فزعها ، وقال لها : وهل البعير إلا ولد الناقة والبعير ؟! رواه أبو داود .

وذات صباح أقبلت عليه إحدى نساء العرب قائلة : إن زوجى يدعوك . قال : « ياهذه ومن هو ؟ أهو الذى بعينه بياض ؟ قالت : والله ما بعينه بياض . فقال : بلى إن بعينيه بياضا . فقالت : لا والله ! فقال ﷺ « ما من أحد إلا وبعينيه بياض » وأراد به البياض المحيط بالحدقة (٥) .

وسئل عبد الله بن عباس : أكان رسول الله

(٤) نشأت المصري (النبي باسما) ص ٤٥ ط مكتبة القرآن ١٤٠٣ هـ .

(٥) أبو حامد الغزالى (إحياء علوم الدين) ج ٩ ص ١٥٧٤ ط الشعب ١٣٨٩ هـ

يمزح ؟ فقال : نعم ! قالوا : فما كان مزاحه ؟ قال : كان مزاحه أنه كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها : « البسيه واحمدى وجرى منه ذيلاً كثوب العروس»!!

يقول حجة الإسلام : « فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه ﷺ لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل » .

ومع الرجال !

اختص الله نبيه بالرحمة التى تحوى المعانى السامية ليشمل المجتمع بعطفه فجاءت دعابته رافداً من ينابيع رأفته التى زانت مهابته،لذا كان مؤنسا للموحشين من صحابته ، واشتهر منهم « نعيمان الأنصارى » الذى أطلق عليه الأصحاب « مضحك الرسول » وله طرائف عدة منها :

إنه كان لايدخل المدينة شىء يستحسن إلا اشتراه ثم يأتى به إلى رسول الله فيقول : هذه هدية لك فإذا طالبه البائع بالثمن صحبه إلى دار النبى قائلاً : أعطه الثمن فيجيبه أشرف الخلق : ألم تهده إلىّ ؟ فيقول : ليس عندى ، فيضحك الرسول ﷺ ومن معه ويدفع للبائع الثمن وربما تكرر الموقف مرات ومرات وفى كل مرة يبتسم النبى ولا يبدى ضيقا .

« وجاءه زاهر بن حرام الأشجعى يوماً وهو يبيع المتاع فى السوق فاحتضنه الرسول من خلفه فقال : أرسلنى .. من هذا ؟ فلما عرف أنه الرسول مكنه من ظهره ، وجعل رسول الله ﷺ يقول : من يشترى العبد ؟ فقال يارسول الله تجدنى كاسداً ، فقال النبى : ولكنك عند الله غال(٦)

خاتمة

مهمة الدعابة تنحصر فى تفريح النفس ليتجدد النشاط ، والمزاح سُنَّة مادام خاضعا للمعيار المحمدى : « إنى لأمزح ولا أقول إلا حقا » رواه السيوطى . ويجب الالتزام بالقيم والوقار ، وقد استن الصحابة به فلم يكذبوا ولم يمزحوا إلا فى حدود الفضيلة ، وافترار الوجه يفتح نافذة القلب فيهفو إلى الكمال فهل من عودة إلى الفكاهة الصادقة حتى تمسح أحزاننا مثلما علمنا النبى الباسم صلوات الله وسلامه عليه اليوم وكل يوم وإلى يوم الدين .

عزيزي القارىء :

يسر مجلة الأزهر أن تقدم هديتها لعدد ربيع الآخر فى موضوع من موضوعات الساعة .. حكم ودائع البنوك وشهادات الاستثمار فى الفقه الإسلامي » .

وسوف نواصل تقديم الأجزاء الباقية من كتاب « الأنموذج الجليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل » تباعاً بمشيئة الله ..

.....

رئيس التحرير

---

(٦) برهان الحلبي (المرجع السابق) ج ٣ ص ١٤٤ .

رجل المهام
حذيفة بن اليمان
رضى الله عنه

للأستاذ / زكريا أحمد نور *

كان حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - من السابقين إلى الإسلام في المدينة ومن يوم أن أسلم أخذ ينهل من أدب النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن أخلاقه السامية، وكان له منهج فذّ في الاستفادة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد أدرك حذيفة بثاقب فكره أن الخير يكاد يكون ظاهراً لكل الناس ظهور الشمس في رائعة النهار بينما الشر قد يخفى ويلتبس ويتلون ومن هنا اهتم حذيفة بالتعرف عليه بقول حذيفة بن حِسْل بن جابر بن عمرو العبسى « كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني » ولعل هذا المنهج في الدراسة هو الذي يسر لحذيفة من بين أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معرفة الكثير من المنافقين.

حذيفة موضع سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وموضع ثقة أصحابه

كان حذيفة - رضى الله عنه - موضع سر الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المنافقين،لم يعلم بهم أحد إلا حذيفة وبالتالي كان رضى الله عنه موضع ثقة أصحابه - رضى الله عنهم أجمعين، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ربما يستعين برأيه وأحواله في بعض الشئون. روى ابن الأثير في كتاب أسد الغابة « أن عمر - رضى الله عنه - كان إذا مات ميت سأل عن حذيفة فإذا حضر الصلاة عليه حضر عمر وإذا لم يحضر حذيفة لم يحضر عمر لأن حذيفة كان يعرف أسماء المنافقين، اختصه بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - وروى أيضاً أن عمر سأل حذيفة يوماً : أفى عمالى أحد من المنافقين ؟ قال حذيفة نعم واحد . فقال عمر : من هو ؟ قال حذيفة لا أذكره . قال حذيفة : فعرفه عمر كأنما دل عليه(١) .

حذيفة وهب حياته لدينه الذي أحبه

عندما جاءت غزوة بدر الكبرى خرج حذيفة - رضى الله عنه - ليشترك فيها ولكنه لم يستطع ذلك ويوضح لنا حذيفة - رضى الله عنه - السبب فيقول : « ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي وأخذنا كفار قريش فقالوا : إنكم تريدون محمداً فقلنا : ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتيناه فأخبرناه الخبر فقال عليه السلام : « انصرفا نَفِى بعهدهم ونستعين الله عليه » وإذا كان حذيفة قد فاته الاشتراك في غزوة بدر وفاء بعهد أجبره الكفار عليه، ووفى لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - به، ثم لم يتخلف - رضى الله عنه -

* الكاتب واعظ أسيوط .

(١) أسد الغابة جـ ١ ص ٦٩١ وما بعدها .

بعد ذلك عن غزوة من غزوات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستمر يجاهد بعد وفاته ـ عليه السلام .

حذيفة رضى الله عنه في غزوة الأحزاب

شهد حذيفة ـ رضى الله عنه ـ غزوة الأحزاب وكان له فيها موقف يدل على بطولة وفدائية فذة وعلى حبه للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وامتثاله أمره ففي أخريات أيام الحصار الذي ضربته أحزاب الكفر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين في المدينة سمع الرسول ـ عليه السلام ـ هرجاً ومرجاً في معسكر الأعداء فأراد أن يتعرف الخبر ، كان الليل مظلماً رهيباً وكان البرد شديداً قارساً وكانت الريح عاصفة عاتية وكان الجوع المضني قد بلغ مبلغاً عظيماً بين الصحابة المحاصرين وعندما قال ـ عليه الصلاة والسلام [ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة] سكت المسلمون ولم يجبه أحد لإحساسهم بوطأة الجوع والبرد والإظلام الرهيب والريح العاصفة ثم لعظم خطر المهمة التي يريدها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويريد أن يكلها إلى من يجيبه فقد كان عليه أن يذهب إلى معسكر الأعداء ويتسلل داخله ويتعرف الخبر « وأعاد الرسول قوله ثلاث مرات وكل ذلك يسكت المسلمون ولا يجيبون » ولم يجد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بدا من أن يختار بنفسه فاختار الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حذيفة فكان هو رجل الاستطلاع الأول . قال عليه السلام : « قم ياحذيفة فائتنا بخبر القوم »(٢) .

يقول حذيفة : فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ [يعني لا تفزعهم] يقول حذيفة فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام « في حر » حتى أتيتهم .

الفدائي البطل في معسكر الأعداء

دخل حذيفة ـ رضى الله عنه ـ معسكر الأعداء ونتركه يقص علينا ما حدث ، يقول ـ رضى الله عنه : رأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار « يدفئه » ، والريحُ وجنود(٣) الله تفعل بالقوم ما تفعل لا تقر لهم قِدْراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان : فقال : يا معشر قريش ، لينظر كل منكم : مَنْ جليسه ؟ يقول حذيفة ـ رضى الله عنه ـ فأخذت بيد الرجل الذي كان جنبي وقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان وهكذا أمن البطل بعبقريته وجُودَهُ بين جيش الأعداء ، ثم استأنف أبو سفيان كلامه قائلًا : .يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قِدْر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل . يقول حذيفة فوضعت سهما في كبد قوسى وأردت أن أرميه فذكرت قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا تذعرهم عليّ » ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخبرته بخبر القوم وفرغت قَرَرْتُ « بردت » فألبسني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : قم يانومان(٤) .

حذيفة المقاتل في عهد عمر بن الخطاب

في السنة الحادية والعشرين من الهجرة وقعت موقعة (نهاوند) فأسند عمر بن الخطاب قيادة الجيش إلى القائد العظيم النعمان بن مقرن وكان حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ في هذا

---

(٢) سيرة ابن كثير جـ ٣ ص ٢١٩ وما بعدها .

(٣) المقصود بها هنا ما تقدمت الإشارة إليه من الإظلام الرهيب والبرد .. الخ .

(٤) سيرة ابن كثير جـ ٣ ص ٢١٩ وما بعدها .

حذيفه بن اليمان

الجيش هو وابن عمر وجرير بن عبدالله البجلى والمغيرة بن شعبة وغيرهم من عظماء الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وعبأ النعمان جيشه : وكانوا ثلاثين ألفا فجعل على مقدمة الجيش : نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه : حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن ، وعلى الجرد القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود . ثم نشب القتال بين المسلمين والفرس فاقتتلوا يوم الأربعاء والخميس والحرب بينهما سجال ، ثم ما لبث الفرس أن دخلوا خنادقهم متحصنين بها فأقام عليهم المسلمون محاصرين لهم حتى إذا كان يوم جمعة من الجمع ، خرج الفرس مقاتلين فركب النعمان فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يحرضهم ويذكرهم ويمنيهم الظفر ، وقال لهم : إني مكبر ثلاثا ، فإذا كبرت الثالثة ، فإني حامل فاحملوا فإن قُتلت فالأمير بعدي حذيفة بن اليمان ثم دارت رحى الحرب كأشد ما تكون ، وأقسى ما تكون وما كان يسمع إلا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما حتى انهزم الأعاجم ولكن النعمان القائد العظيم المظفر ذهب شهيداً في أرض المعركة استجابة من الله - عز وجل لدعاء دعا به النعمان ، فتقدم أخوه نعيم الذي كان على المقدمة فسجاه بثوب ثم أخذ الراية وناولها إلى البطل المغوار حذيفة بن اليمان فأخذها وتقدم إلى موضع القيادة الذي كان به النعمان واستمر القتال حتى انهزم المشركون هزيمة ساحقة وأرسل حذيفة بغنائم هذه المعركة إلى عمر - رضى الله عنه - ليخمسها(٥) .

حذيفة رضى الله عنه في عهد عثمان بن عفان

في سنة ثلاثين من الهجرة وفي خلافة (عثمان بن عفان) - رضى الله عنه - كان حذيفة بن اليمان يجاهد في الميدان الشرقي لفتح فارس ، وحينما صرف من غزوة « الرى » إلى غزوة « الباب » على رأس فيلق من المسلمين مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة - رضى الله عنه - خرج معه سعيد بن العاص على رأس فيلق آخر ليكون ردءاً للفاتحين ، ولما بلغا (أذربيجان) أقام سعيد ومضى حذيفة حتى أنهى مهمته وعادا معا .

حذيفة بن اليمان « وكتابة القرآن » كتاب الله عز وجل

بعد فتح (أذربيجان) وفي أثناء عودة البطل الهمام حذيفة مع رفيق كفاحه سعيد بن العاص - رضى الله عنه - قال حذيفة : لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً ، لئن ترك الناس يا سعيد ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبدا !!

فقال له سعيد : وماذاك ؟ قال حذيفة : رأيت أناسا من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد ، ورأيت أناسا من أهل دمشق يقولون : إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على ابن مسعود ، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على أبي موسى ، ويسمون مصحفه لباب القلوب !

ولما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك كله وحذرهم مما يخاف منه - فوافقه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكثير من التابعين .. فقال له أصحاب ابن مسعود : بِمَ تنكر ؟ ألسنا نقرؤه على قراءة ابن مسعود ؟

(٥) الكامل لابن الأثير جـ٣ ص ٢ - ٧ .

فغضب حذيفة وقال لهم : إنما أنتم أعراب فاسكتوا فإنكم على خطأ ووالله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشين عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك ، فأغلظ له ابن مسعود ، فغضب سعيد وقام وتفرق الناس ، وغضب حذيفة وسار من فوره إلى عثمان ـ رضى الله عنه ـ وأخبره بالذي رأى وقال : أنا النذير العريان فأدركوا هذه الأمة ؟؟ فأرسل عثمان من فوره كذلك إلى حفصة بنت عمر أم المؤمنين ـ رضى الله عنها : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ، وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في أيام أبي بكر ـ رضى الله عنه ؛ فإن القتل لما كثر في الصحابة يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر : إن القتل قد كثر وقد استحر بقُرَّاء القرآن فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه فكانت هذه عند أبي بكر ، ثم عند عمر ، ثم أخذتها حفصة رضى الله عنها لما توفى عمر فكانت عندها إلى أن أرسل إليها عثمان فأخذها منها وأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال لهم عثمان ـ رضى الله عنه : إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا فلما نسخوا الصحف ردها عثمان إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف وحرق ما سوى ذلك وأمر الناس أن يعتمدوا على المصاحف التي أرسلها إليهم ويدعوا ما سوى ذلك .

فكل الناس قد عرف فضل هذا الفعل وهكذا كان حذيفة بن اليمان سبباً في هذا الجمع لكتاب الله عز وجل .

حذيفة حب رسول الله وحب أصحابه

كان حذيفة ـ رضى الله عنه ـ حب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحب أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يثق فيه ويوليه الأعمال المهمة لإخلاصه ووفائه ولشجاعته ، وكان صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ يحبونه ويثقون فيه كذلك فنجد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يوليه أعمالاً مهمة لما يتمتع به من ثقة روى محمد بن سيرين رضى الله عنه قال : كان عمر إذا استعمل عاملا كتب : « وقد بعثت فلانا وأمرته بكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » فلما استعمل حذيفة على المدائن كتب إليهم : إني قد بعثت إليكم فلانا فأطيعوه فقالوا : هذا رجل له شأنه فركبوا ليتلقوه فلقوه على بغل تحته إكاف وهو معترض عليه رجلاه من جانب واحد فلم يعرفوه وأجازوه فلقيهم الناس فقالوا : أين الأمير !؟ فقالوا هو الذي لقيتم فركضوا في أثره فأدركوه وفي يد رغيف وفي الأخرى عرق وهو يأكل ؟؟ فسلموا عليه وقالوا له : سلنا ما شئت ! فقال لهم : أسألكم طعاما آكله وعَلَفَ حِماري ما دمت فيكم ؟ فقام فيهم مدة ثم كتب إليه عمر ليقدم عليه فلما بلغ عمر قدومه كمن له على الطريق ، فلما رآه على الحال التي خرج بها من عنده أتاه فالتزمه ، وقال له : أنت أخي وأنا أخوك[٦] وليس أدل على المكانة الرفيعة التي كان يحتلها هذا الصحابي الجليل بين الصحابة من كلام عمر بن الخطاب عنه وذكره له بكل تبجيل واحترام ، روى ابن الأثير في أسد الغابة : أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال لأصحابه تمنوا فتمنوا ملء البيت الذي كانوا فيه مالا وجواهر لينفقوها في سبيل الله ـ عز وجل . فقال عمر ـ رضى الله عنه : لكنى أتمنى رجالا مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان فأستعملهم في طاعة الله عزوجل .

ثم بعث عمر ـ بمال إلى أبي عبيدة بن الجراح وقال : انظر ما يصنع فقسمه أبو عبيدة ثم بعث

البقية ص ٤٠٣

(٦) أسد الغابة جـ ١ ص ٣٩٢ وما بعدها ـ الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٤٥ ـ ٤٦ ـ صفوة الصفوة جـ ١ ص ٢٤٩ وما بعدها .

الربا حول مقالين

٢

لفضيلة الإمام الأكبر
عبد الرحمن تاج (رحمه الله)

اما عن النقطة الثانية الخاصة باشتراط جزء معين من الربح لصاحب المال في عقد المضاربة فنقول : إن شركات المضاربة والمزارعة و المساقاة كانت معهودة على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد نقلت كتب السنة ، وكتب التاريخ كثيراً من معاملات الناس ، في هذه الابواب على ذلك العهد ؛ لكنها لم تنقل لنا واقعة واحدة من هذه المعاملات أقر فيها اشتراط أن يكون لصاحب المال ـ في المضاربة ، أو لصاحب الأرض ، أو الشجر في المزارعة والمساقاة ـ جزء معين غير نسبي من الربح أو الزرع والثمر .

ولو كان مثل هذا الاشتراط جائزاً شرعاً لحصل منهم ، ولو في حالات قليلة في هذه الأبواب جميعها أو في بعضها من غير أن ينكر ذلك عليهم من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو من علماء الصحابة وفقهائهم . لا بل قد ورد النهي صريحاً من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذا الاشتراط وهو ما أخرجه البخاري ومسلم عن رافع بن خديج قال : « كنا أكثر الأنصار حقلا فكنا نكرى الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه ، فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه فنهانا عن ذلك ؛ فأما الورق فلم ينهنا ».

وفي لفظ للبخاري : « كنا أكثر أهل الأرض مزدرعا ؛ كنا نكرى الأرض بالناحية منها تسمى لسيد الأرض ، قال : فربما يصاب ذلك وتسلم الأرض ، وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك ، فنهينا ؛ فأما الذهب والورق فلم يكن يومئذ ».

ورواه مسلم وابو داود والنسائي عن رافع أيضاً قال : « إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما على الماذيانات (مسايل الماء) وأقبال الجداول (أوائل المساقي والأنهار الصغيرة) وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ، ويسلم هذا ويهلك هذا ، ولم يكن للناس كِرى إلا هذا ، فلذلك زجر عنه ؛ فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس به ».

ورواه البخاري وأحمد والنسائي عن رافع قال : « حدثني عماى أنهما كانا يكريان الأرض على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما ينبت على الأربعاء (جمع ربيع وهو النهر الصغير) وبشيء يستثنيه صاحب الأرض ، قال فنهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك » .

وروى أحمد عن رافع « أن الناس كانوا يكرون المزارع في زمان النبي ـ صلى الله عليه

وسلم - بالماذيانات وما يسقى الربيع وشيء من التبن ، فكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كرى المزارع بهذا ونهى عنه ».

ومن هذا يتبين أن اشتراط جزء معين من الخارج لصاحب الأرض في المزارعة لا يجوز ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نهى عنه لما يترتب عليه من الظلم وعدم العدل بين الشريكين : صاحب الأرض والعامل فيها ، لجواز ألا تخرج الأرض غير ما اشترطه الأول لنفسه فيضيع عمل العامل وجهده على حين ينتفع الشريك الآخر وحده . فأما كراء الأرض بالذهب أو الفضة أو بشيء غيرهما معلوم ومضمون في الذمة فلا شيء فيه .

هذا هو ما ثبت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورواه أئمة الحديث : البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي ، بألفاظ متحدة أو متقاربة ؛ ولا يسع الفقهاء من مثل أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا أن يتبعوه ويقولوا به في المزارعة والمساقاة والمضاربة وسائر الشركات ؛ فإن اشتراط جزء معين من ربح ذلك وثمراته لأحد المتعاقدين قد يؤدي إلى المعنى الذي من أجله ورد النهي ؛ فإنه يخل بالمقصود من العقد وهو الاشتراك في النتائج والثمرات .

وإذا كان اشتراط جزء معين من الخارج لصاحب الأرض في المزارعة قد حظرته الشريعة ونهى عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما فيه من الظلم والغبن بأحد الشريكين المتعاقدين على الاشتراك في الربح والخسارة ، فلماذا يردُّ في وجه الأئمة الفقهاء قولهم بلزوم خلو العقد من ذلك الاشتراط الجائر الظالم وهم لم يقولوه إلا تطبيقاً للسنة الصحيحة وعملاً بما تدل عليه نصوصها الصريحة ؟

وكيف يسوغ من مطلع على نصوص الشريعة ومواردها أن يقول في اشتراط ربح محدود لرب المال في المضاربة : إنه جائز غير مخالف لكتاب ولا سنة وإن كان فيه مخالفة لأقوال الفقهاء ! أو لا يكفي النص على حظر ذلك الاشتراط ومنعه في المزارعة فيعلم أنه محظور ممنوع في المضاربة والمساقاة وغيرهما من فروع الشركات ؟ وهل من حسن الظن بالشريعة العادلة أن يقال : إنها تمنع من الظلم والجور في شركة المزارعة وتبيح ذلك في شركة القراض ؟

هذا إلى أن الإمام « مالك بن أنس » قد أثبت في الموطأ ما يفيد حصول الإجماع على أنه لا يجوز اشتراط جزء معين غير نسبي من الربح لصاحب المال في القراض ؛ فإنه « قال في رجل دفع إلى رجل مالاً قراضاً واشترط عليه فيه شيئاً من الربح خالصاً دون صاحبه ، فإن ذلك لا يصلح وإن كان درهما واحدا إلا أن يشترط نصف الربح له ونصفه لصاحبه ، أوثلثه أو ربعه أو أقل من ذلك أو أكثر ؛ فإذا سمى شيئاً من ذلك قليلاً أو كثيراً ، فإن كل شيء سمى من ذلك حلال **وهو قراض المسلمين** . قال : ولكن إن اشترط أن له من الربح درهما واحداً فما فوقه خالصاً له دون صاحبه وما بقى من الربح فهو بينهما نصفين ، فإن ذلك لا يصلح ، **وليس على ذلك قراض المسلمين** » أ هـ .

ونظن أنه كان ينبغي التريث في الحكم فلا يهجم بغير بينة على الأئمة الفقهاء بما يمس مكانتهم في البحث والاجتهاد ، حتى على فرض أنه لم يعثر باديء ذى بدء على تلك الأحاديث الصحيحة التي قدمناها . كان يجب قبل هذا الحكم الجريء أن تدرس المسائل درساً مستوعباً كما كان يفعل أولئك الفقهاء الأعلام فيبحث في نصوص الشريعة عن كل ما يتصل بهذه المسائل وما ورد فيها من أمر أو نهي وقبول أو رد ويفهم ذلك كله فهماً واحداً يجمع أطرافها وتستخلص به النتائج الفقهية الصحيحة ؛ ثم لا يكون على الباحث المستوعب من حرج بعد ذلك إذا هو خَطَّأ

فقيها من الفقهاء أو خطأهم جميعاً برمية واحدة . وهذا ـ فيما نرى ـ هو أول ما يجب لحرية الرأي وحرية البحث والنقد ، وهو أهم أركان الاجتهاد لمن يرى أنه أهل للاجتهاد .

وننتقل بعد هذا إلى النظر فيما رأى الأستاذ خلاف أن يستكمل به البحث من الكلام على الربا وما ورد فيه من الآيات القرآنية والسنة النبوية وما قرره الفقهاء فيه من الأحكام :

قال الأستاذ إن الربا ذكر في القرآن في أربع سور : الروم والنساء وآل عمران والبقرة : ففي سورة الروم قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ ثم أتبع ذلك بآيات الربا من السور الثلاث الأخرى وقال بعد ذلك : أما آية الروم فهي مكية ، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنها ليست في بيان حكم الربا في المعاوضات ، وإنما هي في الهبات والعطيات والصدقات ... ويؤيد هذا مقابلة ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ﴾ بقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ويؤيده أيضاً استعمال لفظ ﴿ آتَيْتُم ﴾ والتعبير المعهود في القرآن :

﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ .

قال : « ومن هذا يتبين أن هذه الآية المكية ليست في الربا والمعاوضات والبيوع وإنما هي في الهدايا والعطايا ، ولفظ الربا فيها مراد به معناه اللغوي أي الفضل » أ هـ .

ونحن هنا لا ننكر على الأستاذ خلاف ما نقله عن كثير من المفسرين أنهم يذهبون إلى أنه ليس المراد من الربا في هذه الآية ربا المعاوضات والبيوع ؛ لكنا نضيف إلى هذا أنه ذهب كثير من المفسرين أيضاً إلى أن المراد منه هو ذلك الربا نفسه . ولا يمنع من صحة هذا تفسير ما ردده الأستاذ خلاف من أن آية الروم مكية مشيراً به إلى أن الآيات المكية ليست آيات أحكام يبين فيها الحلال والحرام من الأعمال وإنما هي آيات نزلت بالعقائد وتثبيت قواعد الإسلام .

ونرى أنه من الإسراف في القول وعدم الدقة في الحكم أن يقال في الآيات المكية جميعها : إنها لا تعرض لبيان حلال أو حرام من الأفعال ، ولا تمس هذه الأحكام ولو على وجه الإجمال ، أو من طريق الإشارة والإيماء . والذي قرره العلماء في هذا الموطن هو الحكم على الكثير الغالب من الآيات المكية ؛ فهم يقولون : إن الطابع الغالب في الآيات المكية أنها لتقرير عقائد الإيمان ، كما أن الطابع الغالب على الآيات المدنية أنها لتشريع الأحكام العملية ، وهم لا يمنعون أن تدل بعض الآيات المكية على أحكام عملية ، كما لا يمنعون تعرض بعض الآيات المدنية لأصول العقائد وأركان الإسلام .

على أن آية الروم لم تنص على حكم الربا نصاً ، ولم تصرح بتحريمه ولا النهي عنه كما فعلت الآيات الأخرى من سورة البقرة أو آل عمران ؛ وإنما جاءت على أسلوب حكيم يعتبر تمهيداً لما يراد إثباته بعد للربا من التحريم القاطع ؛ وكل ما حملته الآية من وصف للربا أو حكم عليه هو أنه لا يزكو ولا ثواب فيه عند الله ؛ وهذا شيء من شأنه أن يضعف ـ إلى حد ما ـ نهم المرابين ، ويحملهم على التفكير في مصيرهم ونتيجة تعاملهم بالربا(1) ، ثم تجيء آيات الحظر

(1) راجع فى هذا المقام تحليل استاذنا الدكتور دراز المنشور فى عدد صفر ١٤١٠ هـ .

والمنع البات والوعيد والتهديد لتستأصل شأفة هذا النوع من التعامل ، وهذه هي طبيعة التشريع الإسلامي وسننه في التدرج بالأحكام كما هو معلوم في أكثر أبواب هذا التشريع .

هذا وليت الأستاذ خلاف قد اقتصر في الكلام على آية الروم على ما ذكره أولئك المفسرون الذين اختار رأيهم في تفسيرها ، فلم يضف إليه تلك المؤيدات التي بنى عليها حكمه الجازم بأن الربا في هذه الآية ليس هو ربا المعاوضات المحرم في الإسلام .

ليته اقتصر على ذلك ولم يأت بتلك الزيادات التي ينقضها عليه صريح القرآن ؛ فهو يقرر أن مما يؤيد ذلك الرأي **مقابلة الربا بالزكاة** في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ ﴾ .

ونحن لا ندري كيف تكون هذه المقابلة دليلاً على أن الربا في الآية هو الربا اللغوي ؛ ربا الهدايا والعطايا الحلال ، وليس هو الربا الممنوع الذي يكون في البيوع والمعاوضات !!

وماذا يصنع في مقابلة مثل هذه جاءت في سورة البقرة المدنية ، قوبل فيها الربا المحرم قطعاً بالصدقة التي هي بمعنى الزكاة ؟ أليس يقول الله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ ؟ فهل مع هذا تصلح تلك المقابلة التي استنبطها الأستاذ خلاف مؤيداً لما يقول ودليلاً يسند به كلام العلماء وأهل التفسير ؟

ومن العجيب أن هذه الآية التي نقضت على الأستاذ خلاف مقابلته كانت من بين الآيات التي أحصى بها مواطن ذكر الربا في القرآن الكريم ونبه إلى أرقامها من سورة البقرة .

وهناك وجه ثان من التأييد الذي تطوع به الأستاذ خلاف عن العلماء وأهل التفسير ؛ ذلك هو التعبير بلفظ ﴿ آتَيْتُم ﴾ في آية الروم وكيف هذا ؟ يقول : إن المعهود في القرآن حين يتحدث عن الربا المحرم أن يعبر في جانبه بالأكل كما في قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ .

وهذا أعجب وأغرب ؛ فإن من الآيات التي أوردها بنصها آية النساء وهي لم يعبر فيها بالأكل مع أن الربا الذي تحدثت عنه هو الربا المحظور الممقوت عند الله ؛ قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً.وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾ ففي آية الروم تنفير من إعطاء الربا ، وفي آية النساء نعى على أخذه وتنفير منه ، وليس في هذه ولا تلك ما يقرره الأستاذ خلاف تقرير الجازم الواثق من أن القرآن لا يعبر في جانب الربا المحرم إلا بالأكل وجل من لا يغفل ، سبحانه لا نحصى ثناء عليه .

الربا والوديعة المصرفية

للأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبوسنة

نريد بهذه الكلمة ان نبين معنى الربا الذى حرمه القرآن الكريم ، وان نرد على دعاوى نشرت فى الصحف وجانبت الصواب ونبين موقع الربا من الوديعة المصرفية . كل ذلك فى ضوء حقائق الفقه وادلته .

قال الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ « سورة البقرة آية ٢٧٥ » .

الربا قسمان : ربا الدين وربا البيع .

وقد أجمع العلماء على أن ربا الدين مراد بهذه الآية وهو الربا الذى كانت تعرفه العرب عند نزول هذه الآية : روى مالك فى الموطأ[١] عن زيد بن أسلم أنه قال :

كان الربا فى الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الحق إلى أجل فإذا حل الأجل قال أتقضى أم تربى ؟ فإن قضى أخذ وإلا زاده فى حقه وأخر عنه فى الأجل » .

يعنى أتقضى الدين أم تزيد فى الدين وأؤجل لك دينك ، قال : أبو عمر بن عبدالبر شارح الموطأ : ولا خلاف أن هذا هو الربا الذى حرمه الله تعالى ولم تعرف العرب من الربا إلا هذا النوع ، وهو الذى نزل به القرآن .

أما ربا البيع فهو محرم بالسنة ولا حاجة بنا إلى الكلام عنه ؛ لأنه خارج عن المعاملة فى المصارف .

وقد تدرج القرآن فى تحريم هذا النوع من الربا فزهد فيه فى سورة الروم : قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ﴾ « آية ٣٩ » ، يعنى ـ والله أعلم ـ وما أعطيتم من ربا ليزيد فى أموال الناس ، وإن كان زيادة ظاهرة فى المال لا يبارك الله فيه ، ثم نفَّر من الربا المضاعف الذى كان يقع كثيراً بين العرب بقوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ « آية ١٣٠ » ، ثم حرمه الله تحريماً قاطعاً بقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

وآيات الربا فى سورة البقرة سبع من الآية ٢٧٥ إلى الآية ٢٨٢ ، بين الله فيها :

أن قليل الربا وكثيره حرام .

كما بين جزاء من تعامل به فى الدنيا والآخرة .

وربا الدين الذى كانت تعرفه العرب عند نزول آيات الربا والذى فهمه الفقهاء من آيات القرآن ،

(١) شرح الزرقانى للموطأ ـ جـ ٣ ـ ص ٣٢٤ .

هو زيادة على الدين فى مقابلة تأجيله زيادة قابلة للتضعيف عند عدم الوفاء به فى موعده .

فليس بشرط أن تكون الزيادة عند العجز عن الوفاء كما فهم بعض الكاتبين بل لا فرق بين أن تكون عند الاتفاق على القرض أو عند العجز عن الوفاء ، يدل على ذلك أمران : ـ

الأول : أن العرب كانوا يتعاملون بالقرض بفائدة كما كانوا يتعاملون بهذه الصورة التى رواها زيد بن أسلم ، كما روى ذلك أبو بكر الجصاص وغيره قال : الربا الذى كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار مااستقرض على مايتراضون به [١] .

الثانى : أن الفقهاء قرروا أن المراد من السورة المروية هى الزيادة القابلة للتضعيف فى مقابلة الأجل بالقاعدة الأصولية المعـروفة (بتنقيح المناط) وهو حذف الأمور التى لا مدخل لها فى علة الحكم فجوهر العلة (جعلهم الزيادة فى مقابلة التأجيل) سواء أكان من أول الأمر كالقرض المتعارف عليه اليوم أو كان ذلك عند العجز .

ويؤيد دخول القرض فى ربا الجاهلية قول الله تعالى فى آيات سورة البقرة ، لما تعاملت قبيلتا ثقيف وقريش بالربا وطالبت ثقيف قريشاً بالقرض والفائدة : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أى فاعلموا أنكم محاربون إن لم تتوبوا ثم قال : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ يعنى الذى يحل لكم هو رأس المال ولا يحل لكم الربا لا تظلموا المدينين بأخذ الربا ولا يظلمكم المدينون بالنقص من ديونكم أو بالمماطلة ، فلا يجوز أن يقال : المحرم هى الفائدة التى تؤخذ على وجه الاستغلال دون غيرها .

ومن هنا أجمع الفقهاء قاطبة على أن فائدة القرض المشروط ربا ، وننبه هنا على أمرين : ـ

الأول : أن قول البائع للمشترى هذه السلعة بمائة حالة وبمائة وعشرة مؤجلة ليس من الربا لأن هذه الزيادة ليست قابلة للتضعيف عند العجز ..

الثانى : **أن الزيادة على القرض إذا لم تكن فى مقابلة التاجيل بل كانت اجرة تدفع للقائمين على إدارة القرض بلا زيادة : ليست من الربا لأن مصلحة الإقراض متوقفة على عملهم .**

ومن هذا البيان الذى قدمنا عن معنى (ربا الدين) تتضح أمـور أخطأ فيهـا بعض الكاتبين : ـ

الأول : **أنه لا فرق بين قليل الربا وكثيره فى التحريم لأن آية آل عمران منسوخة بآيات سورة البقرة .**

ثانياً : **نقطع بأن كتاب الله وإجماع المسلمين يدلان على أن القرض بفائدة ربا لا فرق بين قرض الإنتاج وقرض الاستهلاك .**

ثالثاً : **بهذا البيان أيضاً (يظهر بطلان ماقاله البعض : إنه لا ربا بين الفرد والدولة كما أنه لا ربا بين الأب وأولاده فإن نصوص الربا عامة ، وليس فى الشريعة مايدل على هذا الاستثناء ، والحقوق بين الفرد والدولة متمايزة لا يستطيع أحدهما أن يدعى ملكية حق للآخر كما هو الحال بين الأب وأولاده فلكل ماله لا يشاركه الآخر فيه ، وإن كان للأب حق الإنفاق على نفسه من مال ابنه عند حاجته لحديث « أنت ومالك لأبيك »[٢] ـ والإجماع على أن المال المملوك للابن غير المال المملوك**

(١) أحكام القرآن ـ جـ ١ ـ ص ٤٦٥ .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه .

الربا والوديعة المصرفية

للأب وأن المال المملوك للفرد غير المال المملوك للدولة ، والقاطع فى ذلك هو الميراث لقوله تعالى : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ﴾ وأن المال يؤول إلى الدولة إذا لم يكن وارث : بالميراث أو بولاية بيت المال ، فهذه الدعوى غريبة لا تعرفها الشريعة الإسلامية) .

رابعاً : لا فرق فى فائدة القرض بين أن يتفق عليها عند القرض وبين أن تكون معلومة للعاقدين قبل القرض ولا يرد لها ذكر عند تسليمه ، فالذين يودعون المال فى المصارف أو يشترون شهادات الاستثمار يعلمون أن لهذا القرض فائدة ويرضون بما تحدده الدولة وهو بالطبيعة ليس ربحاً لأن الدولة تنفق هذا المال على المصالح العامة ولا تتجر :

فدعوى أن تحديد الفائدة يتم بناء على سياسة نقدية كما قال بعض الكاتبين لا يؤثر فى أنها فائدة قرض محرمة .

خامساً : لا فرق فى فائدة القرض بين أن يتفق عليها صراحة وبين أن تخرج مخرج الشرط كأن يتفق على وفاء الدين فى موعد معين ثم يشترط على المدين إذا لم يوف فى الموعد أن يدفع مبلغاً من الدين ، لأن هذا وإن كان مؤاخذة للمدين على التأخير لكنه يؤول إلى الربا لأنه فى مقابلة التأخير .

ولا صحة لما نشره فى الصحف بعض الكاتبين ، وإن فيما شرعه الله من عقوبة حبس المماطل وبيع ماله عليه وفاء للدين : كفاية مابعدها كفاية .

سادساً : **قال هذا البعض إن المملكة العربية السعودية ضمنت للمساهمين فى النقل الجماعى ربح عشرة فى المائة لكل سهم وهذا يدل على جواز أخذ الفائدة من الدولة ، والواقع أن ما ضمنته الدولة للمساهمين ليس فائدة للقرض ، بل للنقل الجماعى شركة تملك الدولة أكثر أسهمها .**

وقد شجعت على اشتراك الأفراد فيها بأن ضمنت لهم من ربح السهم ١٠٪ إن حدثت خسارة وهذه المعاملة بعيدة عن الربا ولا حرمة فيها بل هى كفالة .

وأخيراً اطلعت فى أهرام ١/١٠/١٩٨٩ م على كلمة للدكتور شوقى الفنجرى يقول فيها : إن الاختلاف حول شهادات الاستثمار من الاختلاف بسبب الزمان أو المكان ، وأنا أقول له لا بل هو خطأ فى التطبيق كما هو واضح مما نشرته فى مجلة الأزهر عدد صفر ١٤١٠ هـ .

وأن اشتراط نسبة معينة إن قلنا إن شهادات الاستثمار من باب المضاربة خارج عن الإجماع على وجوب أن يكون الربح فى الشركات شائعاً ، وإن لم تكن مضاربة فليست إلا ربا .

وأن الذين عارضوا هذه الفتوى لم يخرجوا عن آداب الإسلام ، بل أعلنوا ما هو الحق ، إذ لو لم يعلنوا لكانوا كاتمين للعلم الذى لعن الله من كتمه ، وما الظن بمن يسفه رأى مائة عالم من علماء الإسلام لأنهم أعلنوا ما هو الحق فى حكم شرعى له خطره .

وأنا أرحب بالاجتهاد الجماعى ، لكن اشترط أن يكون من المتخصصين فى علم الفقه وعلوم الاجتهاد .

وسأعرض للوديعة المصرفية فى كلمة لاحقة إن شاء الله .

الدكتور أحمد فهمى أبو سنة
عضو مجمع البحوث بالأزهر
وعضو مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامى

إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم للصراع

فى شبه الجزيرة العربية

ونتائجه الاستراتيجية ٢

لواء أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

رابعاً : انتزاع المبادأة من أيدى الأعداء

● **إن من يملك المبادأة فى الحرب يملك حرية التصرف ويحصر خصمه فى نطاق رد الفعل لما يفعل وذلك من أكبر ما يساعد على التغلب عليه .**

● **وفى الصراع بين المسلمين والمشركين فى عصر النبوة ، كان المشركون فى البداية يملكون المبادأة ، فطوال الفترة التى قضاها المسلمون فى المدينة من يوم الهجرة إلى ماقبل غزوة الخندق كانوا يتلقون هجمات أعدائهم ويواجهونهم « بمعارك دفاعية » كان أبرزها غزوة بدر فى السنة الثانية للهجرة ، وغزوة أحد فى السنة الثالثة ، ثم كانت غزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة التى واجه فيها المسلمون قريشا والقبائل العربية واليهود .**

● لكن الرسول ﷺ بعد غزوة الخندق وجد الفرصة سانحة « لانتزاع » المبادأة من أيدى أعدائه ، فكان ذلك نقطة تحول بارزة فى الصراع ، فقد روى الإمام أحمد والبخارى عن سليمان بن صُرَد ، والبزار برجال ثقات ، وأبو نُعيم عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهم ـ والبيهقى عن قتادة رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال ـ حين أجلى الله تعالى عنه الأحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم »(١) .

● إن معنى هذا القرار الخطير أن « يتحول » المسلمون من الدفاع إلى الهجوم ، وأن يسيروا إلى أعدائهم بدلاً من البقاء انتظاراً لضرباتهم ، وبعبارة أخرى أن يتحول المسلمون من حالة « رد الفعل » إلى « الفعل » ، وقد حافظ المسلمون على هذه « المبادأة » التى انتزعوها حتى تم فتح مكة فى رمضان عام ٨ هـ وارتفع لواء الإسلام فوق شبه الجزيرة .

● ومن المفيد أن ندرس ظروف وأسباب هذا القرار الخطير :

←

(١) محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ ٤ ص ٥٤٩ .

(١) فلقد فشلت قريش ـ برغم امتلاكها للمبادأة ـ فى تحقيق هدفها الأساسى وهو القضاء على الإسلام أو القضاء على المسلمين فى موطنهم الجديد بالمدينة .

(٢) وحتى فى تلك الغزوة الأخيرة (الخندق) التى أرادت لها أن تكون « فاصلة » وحشدت لها « كل ما أمكنها حشده » من قوى إلى جانب قوتها متمثلة فى القبائل العربية واليهود ، باءت بالفشل .

(٣) والذى يُتصور هو أن قريشاً ـ إزاء هذا الفشل ـ سوف تضعف عزيمتها ويفتر استعدادها للعودة إلى التجربة مرة أخرى .

(٤) وهنا تظهر عبقرية الرسول ﷺ فى فهمه لطبائع البشر ، وفراسته فى « رصد ملامح الضعف فى خصمه » وسرعته الفائقة فى اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت الملائم لتوجيه « الضربة القاضية » : « الآن نغزوهم ، ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم » .

خامساً : الضغط الاقتصادى على العدو

● قام المسلمون بعدة عمليات استهدفت تهديد طريق تجارة قريش إلى الشام كما ذكرنا ، فنجحوا فى فرض نوع من الحصار الاقتصادى حتى قال صفوان بن أمية : « إن محمدا وأصحابه قد عوَّروا علينا متجرنا ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ، وإن أقمنا فى دارنا هذه ، أكلنا رءوس أموالنا ، فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء[٢] .

● فأشار عليه الأسود بن عبد المطلب أن يتخذ طريق العراق ، ففعل ، وتجهز من البضائع والفضة بما قيمته مائة ألف درهم ، غير أن الرسول ﷺ بعث زيد بن حارثة فى مائة راكب فاستولى على القافلة وهى فى طريقها عند « ماء » يقال له : « القَرَدة » من مياه نجد[٣] .

● وبهذا الأسلوب فى الضغط الاقتصادى لم يعد أمام قريش إلا التجارة مع الحبشة ، وكان لذلك أسوأ الأثر على حياتها الاقتصادية .

سادساً : تجريد العدو من الحلفاء

● ليس من شك فى أن تجريد العدو من الحلفاء يحرمه من قوى كان يمكن أن تسانده وتقوى عزيمته ، وقد فعل الرسول ﷺ ذلك مع قريش فكان لذلك أثر كبير فى إقناعها بتغيير موقفها من المسلمين ثم الاستسلام فى النهاية .

(١) فقد عقد الرسول ﷺ اتفاقاته مع مختلف القبائل العربية المجاورة مثل بنى ضمرة (فى غزوة ودان) وبنى مدلج وحلفائهم (فى غزوة ذات العشيرة) وقد كان من نتائج تلك الاتفاقات مايلى :

ـ كفالة حرية المسلمين فى نشر الدعوة مما يشكل تهديداً لحاضر المشركين ومستقبلهم .

ـ كفالة حسن الجوار والمعاملة .

ـ حرمان قريش من محالفة هذه القبائل والحصول على معاونتها سواء بتأمين طريق التجارة ، أو بشد أزرها بالعدوان على المسلمين بالمدينة أو تهديد طرق مواصلاتهم أو تحركاتهم .

ـ « تحييد » القبائل التى بينها وبين قريش موادعة ، ومن أمثلة ذلك ماحدث فى سرية حمزة

(٢) محمد حسين هيكل : حياة محمد ـ ط دار الكتب المصرية ١٣٥٤ القاهرة ص ٢٧٨ .

(٣) ابن هشام : القسم الثانى ص ٥٠ .

فى رمضان سنة ١ هـ ، فقد كان مجدى بن عمرو الجهنى موادعا لقريش وللمسلمين فحجز بين الطرفين ، ومنع نشوب القتال بينهما ، فيكون بذلك قد اتخذ موقف الحياد ولم يناصر طرفا منهما على طرف ، ولو لم يكن المسلمون قد وادعوه من قبل ، فربما ناصر قريشاً على المسلمين .

ـــ حرمان قريش من « حرية العمل » وذلك « بتضييق المساحة » التى تستطيع التحرك فيها للعمل ضد المسلمين .

ـــ وحرمانها أيضاً من « القواعد الخارجية » التى تسمح لها بأن تقوم بعدوان غير مباشر ضد المسلمين .

(٢) وبالقضاء على اليهود عسكريا فى شبه الجزيرة بعد إجلاء بنى قينقاع وبنى النضير والقضاء على بنى قريظة وبعد غزوة خيبر ، جرد المسلمون قريشاً من حليف كان يشجعها ويشد أزرها ويحرضها على قتالهم .

(٣) ثم إن انتشار الإسلام فى قريش نفسها وفى القبائل العربية الأخرى أضعف من موقفها فى مواجهة المسلمين وجعل من الصعب بل من المستحيل أن تتوحد كلمتها لقتالهم .

سابعاً : استغلال فترات الهدنة والسلام

● كان لصلح الحديبية الذى عقد بين المسلمين وقريش فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة آثار استراتيجية لصالح الدعوة فى حاضرها ومستقبلها ولتقوية مركز المسلمين فى صراعهم مع أعدائهم :

(١) فقد أصبحت المنطقة التى تقع جنوب المدينة « منطقة أمينة » بالنسبة للمسلمين بعد أن كانت قبل ذلك مصدر الخطر الأكبر الذى يهدد الدعوة ويهدد المسلمين .

(٢) وانحصر الخطر فى المنطقة الشمالية التى تضم خصمين هما اليهود فى خيبر وماحولها ، والأعراب شمال المدينة ، الأمر الذى يمكن المسلمين من القضاء على هذين الخصمين ، ليصبحوا بعد ذلك متفرغين للتحول ـ فى الوقت المناسب ـ نحو الخصم الأكبر : قريش ، وإلى هدفهم الرئيسى : مكة المكرمة .

(٣) وانفتح المجال للرسول ﷺ لعقد محالفات مع القبائل التى أصبحت لا تتهيب الانضمام إلى المسلمين مادامت قريش قد التزمت بتأمين من يدخلون فى حماية الرسول ﷺ وحلفه ، وخير دليل على ذلك إعلان خزاعة حلفها للرسول ﷺ قبل أن يجف مداد العهد ، قال الزُّهْرى : « فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عهد محمد وعهده».

(٤) وكسب المسلمون عطف كثير من القبائل وكثير من قريش نفسها وكثير من أهل المنطقة المجاورة لقريش ، بسبب صد قريش المسلمين عن زيارة البيت الحرام وتعظيمه وهو الهدف الذى خرج الرسول ﷺ من المدينة من أجله ، وقد كان لهذا التعاطف أثره فى تيسير عملية فتح مكة على المسلمين فيما بعد .

(٥) وفى ظل مناخ الهدنة المستقر زادت قوة جيش المسلمين ، فبعد أن كانت فى غزوة الخندق (عام ٥ هـ) ثلاثة آلاف مقاتل ، وصلت إلى عشرة آلاف عند فتح مكة (عام ٨ هـ) ثم قفزت بعد الفتح إلى ثلاثين ألفاً فى غزوة تبوك (عام ٩ هـ)[٤] « انظر اللوحة » .

(٦) وبعد الحديبية بشهرين بدأ الرسول ﷺ مخاطبة الملوك ورؤساء الدول الأجنبية يدعوهم إلى الإسلام : هرقل وكسرى والمقوقس وملك الحيرة وملك اليمن ونجاشى الحبشة .

←

(٤) ابن هشام : القسم الثانى ص ٣٢٢ .

ثامناً : تطوير وتدعيم القوة الإسلامية

● فى فترة وجيزة لا تتجاوز سبع سنوات تطور جيش الإسلام بقيادة الرسول ﷺ حتى لحق بمقتضيات عصره .

(١) القوة الضاربة من الفرسان :

زادت قوة الفرسان فى التركيب التنظيمى لجيش الإسلام حتى بلغت ثلث قوته ، وذلك خلال زمن قصير نسبيا ، فبعد أن كانت فى أول معركة وهى بدر لا تكاد تذكر (فرسان اثنتان) قفزت إلى عشرة آلاف فارس فى جيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل فى آخر معركة وهى « تبوك » والباحث المدقق يلاحظ أن جيش الإسلام قد لحق فى هذا المجال بالعسكرية الفارسية والعسكرية البيزنطية ، إذ كانت كل منهما تقيم التركيب التنظيمى لجيشها على أساس تشكيل القوة الضاربة الرئيسية من الفرسان(٥) .

(٢) ارتفاع مستوى الكفاءة القتالية :

كان مستوى المسلمين فى الرمى فى بادىء الأمر أقل من مستوى الفرس الذين وصفهم الرسول ﷺ لأصحابه بقوله : « هم أكثر منكم رمية »(٦) فبلغ اهتمامه بتدريبهم على الرمى إلى حد أنه جعله « أساس القوة وجوهرها » ، فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر يوماً ، فقرأ قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ثم قال : « ألا إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى » (رواه مسلم) وكان عليه الصلاة والسلام يكرم الرماة المهرة من أصحابه ، يقول الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه : « ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك « هو سعد بن أبى وقاص » ، فإنه جعل يقول له يوم أحد : ارم فداك أبى وأمى » (رواه الشيخان والترمذى) .

وكان عليه الصلاة والسلام يحذر من الانقطاع عن التدريب على الرمى حتى لا ينخفض مستواهم فيه إلى حد أنه اعتبر ذلك من المعاصى أو جحود النعمة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « من ترك الرمى بعدما علمه فإنما هى نعمة جحدها » (رواه أبو داود وغيره) وقال : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا أو فقد عصى » (رواه أحمد ومسلم) .

وقد برع المسلمون فى الرمى نتيجة لهذه العناية الفائقة بتدريبهم عليه حتى استحقوا أن يطلق عليهم « رماة الحدق » أى أن الرامى منهم كان إذا صوب سهمه نحو عين عدوه لم يخطئها .

(٣) دعم تسليح الجيش بأسلحة جديدة :

وأضاف المسلمون إلى أسلحتهم أسلحة جديدة لم تكن لديهم من قبل وهى أسلحة الحصار ودك الحصون والأسوار وهى المجانيق والدبابات ، قال ابن هشام : « ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غَيْلان ابن سلمة ، كانا بجَرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضُّبُور »(٧) .

(٤) شهادة القادة البيزنطيين :

وقد اعترف للمسلمين بملاحقتهم لعصرهم فى هذه المجالات الامبراطور البيزنطى « ليو » ، فقد

(٥) موسوعة التاريخ العسكرى من ٣٥٠٠ قبل الميلاد حتى الوقت الحاضر ـ ط لندن ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٦) الإدريسى : التراتيب الإدارية ط فاس ١٣٤٦ هـ حـ ١ ص ٣٧٨ .

(٧) ابن هشام : القسم الثانى ص ٤٧٨ والضبور نوع من الدبابات وهى آلة من آلات الحرب تصنع من الخشب المغطى بالجلود ويدخل فيها الرجال فيدبون إلى الأسوار لينقبوها .

نقل عنه فون كريمر قوله : « إن الجندى العربى ما كان يفترق عن الجندى البيزنطى فى المؤن والسلاح » كما قال عنهم « إن العرب أمهر الشعوب الأجنبية وأبرعها على الإطلاق فى العمليات الحربية » .

النتائج الاستراتيجية لإدارة الصراع :

وقد كانت النتائج الاستراتيجية لجهاد المسلمين فى عصر النبوة نتائج بعيدة المدى أصبحت من الحقائق التاريخية نذكر منها مايلى ..

١ ـ تأمين الدعوة وقيام الدولة الإسلامية .

● فقريش العدو الرئيسى ، أقبلت على الإسلام بعد أن ظلت عشرين عاماً تصد عن سبيل الله بكل أساليب الضغط والإيذاء والحرب .

● والمستضعفون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، عادوا إلى بلدهم تحت أعلام الإسلام والسلام .

● وأتم الرسول ﷺ فى أول يوم لفتح مكة ـ ما دعا إليه منذ عشرين عاماً وما حاربته قريش أشد الحرب فيه ، أتم تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام .

● وتمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة العربية ، وتوفر الأمن والاستقرار للدولة الإسلامية لأداء رسالتها السامية لخير البشرية .

٢ ـ تحويل اتجاهات الأعداء نحو الإسلام :

● لقد برز خلال الصراع أمر بالغ الأهمية ينفرد به الإسلام ولا نظير له فى الصراعات عبر العصور بسبب ما يتصف به من سماحة وعدل ، فالصراع بين المسلمين وأعدائهم لم ينته باستسلام الأعداء فحسب ، بل إنه كان ينتهى بتحول الأعداء وتحول اتجاهاتهم من العداء للإسلام إلى الدخول فيه والحرص عليه ، بل ـ وأكثر من ذلك ـ إلى رفع راية الجهاد فى سبيل الله .

● وقد ظهر هذا الأمر واضحاً فى موقف قريش والقبائل العربية الأخرى بعد الفتح ، ثم ظهر واضحاً أيضاً بعد عصر النبوة فى الفتوحات الإسلامية حتى أن المشير مونتجمرى فى كتابه « الحرب عبر التاريخ » تنبه إلى هذه الظاهرة وأبدى دهشته منها فقال : « من العجيب أن القوة الرئيسية للجيوش الإسلامية فى فتح أسبانيا كانت مشكلة من الليبيين والتونسيين ! »(٨) .

٣ ـ استعداد المسلمين لمواجهة الفرس والروم :

فالرسول ﷺ لم يلق ربه إلا وكان جيش الإسلام معداً لمواجهة القوتين العظميين فى عصره وهما : فارس والروم ، وقد وقعت هذه المواجهة على الفور ومنذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

الإسلام دين قوة وسلام .

● وبعد .. « فإن الإسلام رسالة الخير والحق والمحبة والسلام ، قد ارتضاه الله دينا لتوجيه الناس إلى أقوم السبل ، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، ليصلوا منه إلى سعادتى الدنيا والآخرة ، والسلام فى مبادىء الإسلام أصل فى عقيدته ، وتحتل فكرته المقام الرئيسى بين أهداف الإسلام ومقاصده العامة .

● لكن الإسلام ـ فى الوقت نفسه ـ « دين عملى » يأخذ الحياة من واقعها ، فقد راعى طبائع الخلائق وميلها إلى المشاحنات ، من أجل ذلك اقتضت حكمة الله جل شأنه أن يكون

البقية ص ٣٧٨

(٨) فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ تعريب فتحى عبد الله النمر ـ القاهرة ١٩٧٢ جـ ٢ ص ١٨٨ .

الطبرى (٢)

إمام المؤرخين

أ.د. عبد العزيز غنيم

وقد رزق الله ابن جرير حسن الاختيار . فكان ينتقى من يسمع منهم ويتلقى عنهم ويضرب فى سبيل الوصول إليهم أكباد المطايا ويستهون المصاعب والعقبات . ولا يأخذ جانباً من العلم إلا من المنقطعين له والمتخصصين فيه .

وعلى سبيل[١] المثال فقد قرأ الفقه الظاهرى على داود .. وأخذ فقه الشافعى عن الربيع بن سليمان بمصر والحسن بن محمد الزعفرانى ببغداد ، وتلقى فقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى ، وبنى عبد الحكم محمد وعبد الرحمن وسعد ، وابن أخى وهب ، وأخذ فقه أهل العراق عن أبى مقاتل فى الرى ، وسمع الأسانيد فى مصر والشام وبغداد والكوفة والبصرة .

وصفوة القول أنه لم يدع إماماً نابه الذكر فى عصره إلا أقبل إليه واستفاد منه . وكما كان الرجل ينتقى أساتذته ومعلميه ، فقد كان ينتقى كذلك تلاميذه والمتفقهين على يديه ومنهم على سبيل المثال : عبد الله بن أحمد[٢] بن جعفر الفرغانى ، وعلى[٣] بن عبد العزيز بن محمد الدولابى ، وأبو بكر محمد أحمد الكاتب ، وأبو الحسن الدقيقى الحلوانى وأبو بكر بن كامل ، وأبو إسحق إبراهيم بن حبيب السفطى ، وأبو الفرج المعنى بن زكريا النهروانى .

ولم يكن ابن جرير نسيجا وحده فى تحصيل العلم وتدريسه وحسب . وإنما كان وحيد عصره . وفريد دهره فى التأليف والتصنيف . فقد لبث أربعين[٤] سنة من عمره يكتب فى كل يوم أربعين ورقة . وروى أن جماعة أحصوا ما كتبه وقسموه على أيام عمره الذى بلغ سبعاً وثمانين سنة فخص كل يوم منها أربع عشرة[٥] ورقة .. وقد يخيل إليك أن هذه الغزارة التى لا حدود لها فى التأليف قد كان سببها أن ابن جرير كان متساهلا فيما ينقل ومتساهلا فيما يكتب ، وليس كذلك فإن كل كتاب من كتبه التى كانت تربو على الثلاثين ، قد كان هو العمدة فى بابه والمرجع فى مادته وما لا يستغنى عنه فيما تضمنه واحتواه . وأنت إذا قرأت تأليفه فى التفسير والحديث والفقه

---

(١) الفهرست ـ لابن النديم ـ ص ٣٢٦ .

(٢) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٤ .

(٣) الفهرست ـ لابن النديم ـ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(٤) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٣ .

(٥) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٤ .

(٦) تاريخ ابن عساكر ٣٥٦/١٨

والقراءات والرجال والتاريخ وغيرها ، وطالعت تقارير الأئمة المتخصصين لها وثناءهم عليها ، لا يخامرك الشك فى أن الرجل قد كان لا يتلقى علمه عن نفسه . وإنما كان روح القدس يمده ويفيض عليه من علمه .

وقد كانت الصلة وثيقة بين ابن جرير وبين المولى عز وجل . فقد اتفق الرواة على انه كان ناسكاً زاهداً يخشى الله ويرجو رحمته ، ويقنع بما كان يأتيه من قبل أبيه فى الاستعانة على طلب العلم وتحصيل المعرفة ، ولو شاء العيش اللين والحياة الراضية لنال من ذلك مايحب . فقد كان يرفض المناصب (٦) التى كانت تعرض عليه والهدايا التى كانت تقدم إليه . طلب الخليفة المقتدر أن يكتب له كتاباً فى الوقف (٧) لا يختلف فيه الناس . فلما كان بين يديه قال له : ألك حاجة قال : لا . قال الخليفة : إنه لايقوم مقامك هذا إلا ويعطى جائزة أو تقضى له حاجة وأنت قد أبيت أن تأخذ شيئاً منهما . قال ابن جرير : فإذا كان ولا بد فأرجو أن يحول الخليفة بين السؤال وبين التردد على المقصورة فى المسجد يوم الجمعة حتى تنتهى الخطبة . ومن شدة خشية الرجل وخوفه من ربه أنه لما فكر فى تفسير القرآن طفق يستخير الله ثلاث سنين . ولما تبين له أن عمله هذا سوف يرضى ربه خرج على تلاميذه (٨) وقال : هل لكم فى تفسير كتاب الله ؟ قالوا : فى كم ورقة تريد إملاءه ؟ قال : فى عشرة آلاف . قالوا : إن هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه . فأملاه فى ثلاثة آلاف ورقة وضمنه زبدة ماوصل إليه من تفسير ابن عباس وغيره من أمثال السدى وابن عيينة وابن جريج .. إلى آخره . وأضاف إليه من المسائل اللغوية والنحوية والكلامية ماجعله أفضل التفاسير فى عصره والعصور التالية له ، وكان ابن جرير ذا صوت ندى وهو يتلو القرآن ، سمعه أبو بكر بن مجاهد وهو يقرأ سورة الرحمن فى صلاة التراويح فقال : « ماظننت أن الله تعالى خلق بشراً يحسن ، يقرأ هذه القراءة » ولم يكن الرجل على زهده وشدة مراقبته لربه متزمتاً متقطبا يحمل هموم الدنيا على كاهله وإنما كان فكهاً طريفاً حسن العشرة(٩) طيب السيرة يؤاكل أصحابه ويفاكههم ويخوض فيما يخوضون فيه من إنشاد الشعر وسماع النوادر بل لقد كان له شعر يفوق شعر العلماء ومنه قوله : ـ

إذا أعسرت لم يعلم رفيقى
وأستغنى فيستغنى صديقى(١٠)
حيائى حافظ لى ماء وجهى
ورفقى فى مطالبتى رفيقى
ولو أنى سمحت ببذل وجهى
لكنت إلى الغنى سهل الطريق

وقوله : ـ

خلقان لا أرضى طريقهما
بطر الغنى ومذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً
واذا افتقرت فته على الدهر

وواضح مما كتبه المؤرخون وأصحاب المعاجم والطبقات عن أبى جعفر أنه قد نشأ نشأة دينية وعلمية فى آمل وما حولها من قرى طبرستان والرى وأنه قد ألف الرحلة واعتاد السفر فزار مدن فارس والعراق والشام ومصر ، وأنه لم يدع إماماً مشهوراً ولا عالماً مذكورا فى عصره إلا ووطىء رحابه وطرق بابه وأخذ ماانضجته قريحته من ثمار العلم وأفاويق المعرفة . فكان من شيوخه ؛ المفسرون والمحدثون والفقهاء والقراء وأصحاب المغازى والمؤرخون وغيرهم من أقطاب

(٧) البداية والنهاية ـ لابن كثير ـ جـ ١١ ص ١٤٦ .
(٨) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٩) معجم الادباء جـ ١٨ ص ٨٩ .
(١٠) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

الطبرى إمام المؤرخين

العلوم النظرية والتطبيقية وأنه لم يكن متعجلاً فى دراسته . وإنما كان يوغل فى كل علم حتى يبلغ الغاية ويتجاوز النهاية وأنه كان لا يتردد فى ذكر الحق إذا عرفه ، لا يهاب فيه سطوة حاكم ولا شوكة أمير ، وقد يكون هذا هو السبب الذى من أجله اشتعل الخلاف بينه وبين الحنابلة[11] فقد سألوه عن إمامهم أحمد فذكر أنه كان من أهل الحديث ولم يكن من الفقهاء فرموه بالمحابر وقذفوا داره بالحجارة حتى علتها وأغلقت الطرق من حولها . ولولا تدخل الشرطة لأطفأ العامة هذا السراج الذى ما فتىء يضىء للناس سبل العلم حتى اليوم . ورأى ابن جرير من المتعصبين تحاملاً على علىّ ـ كرم الله وجهه ـ وإنكارهم حديث غدير خم [12] فألف مجلدين اثنين فى ذكر طرق هذا الحديث وامتحانها غير مبال بما سوف يناله على أيدى العامة من اضطهاد وظلم ، وهكذا جمع أبو جعفر المزايا التى يجب توافرها فى المؤرخ والأسلحة التى ينبغى أن تكون بين يديه والشروط التى لا تؤهله للتأليف فى التاريخ وحسب ، وإنما تجعل منه إماما لايرد له قول ولا يستغنى له عن مؤلف .

● كتابه فى التاريخ :

وكما كتب أبو جعفر كتابه الإمام فى التفسير فقد كتب كتابه الإمام كذلك فى التاريخ وسماه : « تاريخ الرسل والملوك » أو تاريخ « الأمم والملوك » وتناول فيه سيرة البشر من لدن آدم : حتى العام الثانى بعد الثلاثمائة من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام .

وجاء فى معجم الأدباء وغيره أن ابن جرير لما عزم على تأليف هذا الكتاب خرج إلى أصحابه وقال لهم[13] « أتنشطون لكتابة تاريخ العالم من آدم حتى اليوم قالوا : كم قدره ؟ قال : ثلاثون الف ورقة . قالوا : إن هذا مما يفنى الأعمار قبل أن يتم . فاختصره فى ثلاثة آلاف ، وقال : إنا لله ماتت الهمم » .

وقد وصف العلماء كتاب الرسل والملوك هذا فى عصره . فقال فيه المسعودى[14] « وأما تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى الزاهى على المؤلفات والزائد على الكتب والمصنفات فقد جمع أنواع الأخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته .

ونسج على هذا المنوال نفسه المؤرخون الذين جاءوا بعد هذا العصر فأطروا الكتاب ومدحوه وذكروا أنهم قد أفادوا منه واعتمدوا عليه ومنهم صاحب الكامل فى التاريخ وصاحب البداية والنهاية وصاحب وفيات الأعيان ، والذى يطالع كتاب الرسل والملوك يلاحظ أن صاحبه قد بدأه بالحديث عن الزمان والقلم . ثم انتقل إلى آدم ففصل سيرته وذكر أطرافاً من حياته وانتقل إلى الرسل فتناولهم واحداً بعد الآخر . وتناول الملوك الذين كانوا فى أزمانهم والشعوب الذين خضعوا لحكمهم وهكذا حتى انتهى إلى نسب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ففصل القول فيه وفصل القول كذلك فى سيرته ومغازيه ، وتحدث عن الخلفاء الراشدين وما كان فى أيامهم من الفتوحات والحروب التى دارت بين المسلمين بعضهم وبعض ، وأماط النقاب عن تاريخ بنى أمية وتاريخ بنى العباس وانتهى إلى السنة

(١١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٧ ، ٥٨ الكامل لابن الأثير جـ١ المقدمة .
(١٢) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٨٤ .
(١٣) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(١٤) مروج الذهب ـ للمسعودى ـ جـ ١ ص ١٥ .

الثانية بعد الثلاثمائة وقبل وفاته لثمانى سنين وقد جمع مادته التاريخية السابقة على الإسلام من القرآن والتوراة وروايات علماء أهل الكتاب من أمثال وهب وكعب وابن جريج وغيرهم وكانت إفادته من محمد بن إسحاق عظيمة .

وأما مادته التاريخية فى الإسلام . فقد استقاها من كتب الأحاديث والمغازى ومما ألفه الأخباريون من أمثال سيف بن عمر وأبى مخنف والمدائنى وعمر بن شبه والزبير بن بكار وهشام ابن السائب الكلبى وابنه محمد وأكثر هؤلاء قد ضاعت كتبهم ونسى علمهم . ولولا رواية ابن جرير عنهم . لما بقى لهم ذكر إلا فى صحف التاريخ من أمثال الفهرست لابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت وكشف الظنون لحاجى خليفة .. وقد انتفع الطبرى كذلك بمن سبقه من المؤرخين الكبار من أمثال اليعقوبى والدينورى وابن قتيبة ، إلى آخره . وقد التزم الطبرى فى الكتابة فى الفترة الإسلامية من تاريخه المنهج الحولى فكان يؤرخ للأحداث حسب السنين التى تقع فيها . فإذا كان الحدث كبيراً جزَّأه حسب أزمنة وقوعه . وربما أشار إليه فى البداية وفصله بعد ذلك . ولا جدال فى أن لهذا المنهج محاسنه ومساوئه فمن محاسنه سهولة البحث عن الحدث إذا عرف عامه الذى وقع فيه . ومن مساوئه بلبلة القارىء وتشتيت ذهنه ، وعدم قدرته على رسم صورة كاملة للحدث لاسيما إذا طال أمده وتعددت أزمنته .

وأشهد لقد قرأت الكثير مما ألف فى التاريخ من قبل هذا الكتاب ومن بعده وقد تبين لى أن تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى هو أهم هذه الكتب وأوثقها وهو أدقها وأصدقها وهو أغزرها مادة وأكثرها فائدة ومرجع هذا فيما أرى إلى أسباب :

أحدها : أنه هو الكتاب الذى انفرد بتفصيل أحداث عصرى الراشدين وبنى أمية وتسجيلها فى دقة وصدق ، وأن الكتب الأخرى التى تناولت هذين العصرين إما ناقصة عنه ، وإما مستقية منه .

وثانيها : أنه لم يسجل هذه الأحداث كما أرادها مؤلفوها كالدينورى واليعقوبى والمسعودى ، وإنما نقلها كما شاهدها رواتها ، وأثبتها كما رواها ناقلوها . وبعبارة أخرى أنه طرَّق الوقائع وأسند الأحداث ونسب كل خبر إلى صاحبه .

وثالثها : أنه لم يرو الحدث من طريق واحد ، ولم ينقله عن راوية بعينه ، وإنما سجله من طرق شتى وبأسانيد مختلفة ، مما يتيح الفرصة أمام الباحث للمقارنة والموازنة والاختيار ، ثم إصدار الحكم التاريخى بعد ذلك على أساس من العدل المطلق والحيدة التامة .

ورابعها : أن رواة هذا الكتاب هؤلاء لم يكونوا ذوى موطن واحد ، ولا مشرب واحد ، وإنما كانوا من أوطان شتى ومذاهب مختلفة ، فكانت له مدرسة فى الحجاز كان منها ابن إسحاق وأبو معشر والواقدى ، وكانت له مدرسة فى العراق كان منها كذلك محمد بن السائب الكلبى وأبو مخنف لوط بن يحيى وأبو على المدائنى ، وكان لكل مدرسة من هذه المدارس منهجها الذى التزمت به وهدفها الذى توخته وسعت إليه .

فمدرسة الحجاز قد كانت تتميز بكتابة التاريخ فى صورة ذكر للأحداث التى وقعت فى كل عام ، وكان ترتيبها لها حسب وقوعها وبأسلوب علمى بالغ الدقة ، غير أنها لم تكن تنقل عن الرواة مباشرة ، وإنما كان اعتمادها على ما حفظه العلماء وسجلوه .

ومدرسة العراق قد كانت على العكس من ذلك ، فكانت تروى الأحداث عمن شهدوها أو عمن رووها عمن شهدوها على الأقل ، ومن أجل هذا فإنها كانت تغفل بعض التواريخ وتخطىء فى

←

الطبرى إمام المؤرخين

بعضها وتكثر من ذكر التفاصيل التى كانت تسهم فى توضيحها وإزالة الغموض عنها .

وكانت المدرستان كلتاهما لا تميلان إلى الأمويين ، وإن كان التعصب لعلى ظاهرا فى رواة مدرسة العراق .

ولأن أبا مخنف قد كان من أهل الكوفة فإن اهتمامه قد كان واضحا فى تسجيل ما ينسب إلى هذه المدينة أو إلى رجالها ، وقل مثل ذلك فى المدائنى فقد كان راوية بصريا ، وكان اهتمامه ظاهرا كذلك بأخبار البصرة وخراسان .

وقد تسأل : وأين مدرسة أهل الشام ؟

والجواب : أن هؤلاء قد كانت لهم روايات ما فى هذا شك ، لكنها قد نسيت أو اندثرت ، ومن أجل هذا فإن الطبرى قد كان يستقى أخبار هذا الإقليم من راويين غير شاميين وهما أبو على المدائنى وعوانة الكلبى .

ويبقى السبب **الخامس** ، وهو أن تاريخ الرسل والملوك لم يكن ينقل عن كل راوية أو أخبارى هكذا كما يتفق . وإنما كان ينتقى ويختار ، وأنت إذا راجعت قائمة رواته رأيت أن أكثرها قد كانوا عدولا ، بل إن منهم من روى عنه البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح والمسانيد ، وذلك مثل الزهرى والشعبى .

وحتى الذين تكلم فيهم رجال الجرح والتعديل مثل ابن إسحاق وأبى معشر والواقدى فقد جرحهم فريق ، وعدلهم فريق شأنهم فى هذا شأن الكثيرين من رواة الحديث .

ولأن الطبرى قد كان يروى ما يكتبه كما رأيت عن رواة شتى ، ولأنه قد كان ينقل الحادثة الواحدة على السنة فريق من هؤلاء الرواة ، وينقلها بنفسها بوجه آخر وصورة أخرى على السنة فريق آخر ، فإن الأمانة العلمية تحتم علينا فى النقل عنه نسبة كل قول إلى أصحابه الذين رووه ، فنقول مثلا : روى عمر بن شبه أو سيف بن عمر ، ولا نقول روى الطبرى كما هى الحال فى أكثر كتب التاريخ ، فإن النسبة إلى الطبرى تحمل جميع الرواة الذين يروون الحدث تبعة ما فيه ، وقد يكون بعضهم قد أنكر بعضه وانحى باللائحة عليه فيبوء بإثمه وليس له فيه ذنب ولا جريرة .

وقد أتبع ابن جرير تاريخه الكبير هذا بكتاب آخر سماه « ذيل المذيل » وبدأ الكتابة فيه بعد هذا الكتاب مباشرة ، أى من العام الثانى بعد الثلاثمائة . وقد قال فيه ياقوت(١٥) : ومنها كتابه المسمى ذيل المذيل المشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله ﷺ فى حياته أو بعده على ترتيب الأقرب فالأقرب منه أو من قريش من القبائل ، ثم ذكر موت من مات من التابعين والسلف بعدهم ثم الخالفين إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم وجملا من أخبارهم ومذاهبهم ، وتكلم فى الذَّب عن ذوى الفضل منهم ، ممن رمى بمذهب هو برىء منه كنحو الحسن البصرى وقتادة وعكرمة وغيرهم ، وذكر صنف من نسب إلى ضعيف من الناقلين ولينه ، وفى آخره أبواب حسان من باب من حدث عنه الإخوة أو الرجل وولده ومن شهر بكنيته دون اسمه ، أو باسمه دون كنيته ، وهو من محاسن الكتب وأفاضلها يرغب فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ .

وأعود إلى تاريخ الرسل والملوك وأذكر أن المؤرخين قد أجلُّوه وأكبروه منذ خرج إلى هذه الدنيا فوصله فريق واختصره فريق ونقله بعد حذف أسانيده فريق ، وهم جميعا معترفون له بالصدارة وأنه لولاه لذهبت أحقاب بكاملها من التاريخ .

وأعتذر عما يمكن أن يكون فى هذا البحث القصير من القصور أو التقصير .

مشيخة علماء الأسكندرية

د. مجاهد توفيق الجندى

كنت كتبت هذا الموضوع صيف سنة ١٩٨٣ وأرجأ أستاذنا الدكتور على الخطيب نشره حتى نزيده توثيقا وتدقيقا ، ومن هذا المنطلق وأنا أراجع تاريخ الإمام محمد عبده للشيخ رشيد رضا ، وكذلك كتاب مجلس إدارة الأزهر وبعض الوثائق الأخرى ، عثرت على معلومات جديدة سوف تضيف الجديد للدارسين والباحثين والمهتمين بهذا النوع من الدراسة وقد جاءت على هذا النحو التالى :

فى ٢٩ المحرم سنة ١٣٢١ و ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٣ صدرت الإرادة السنية بإلحاق التدريس والامتحان في ثغر الأسكندرية بالجامع الأزهر ، ومضمونها (أن الجناب العالي وافقت إرادته العلية أن تكون الأسكندرية ملحقة بالأزهر في التدريس والعلوم والامتحان ، وأن مجلس إدارته يضع لها القوانين و« النظامات » ويرتب درجات العلماء الموجودين فيها وقت صدور هذه الإرادة ، ويحصر الأماكن التي تدرس فيها العلوم هناك وأن يكون ترتيب درجات علمائها بحضور ثلاثة من مشهوريهم الأقدمين) فبلغت نظارة الداخلية الأزهر هذه الإرادة ، ولم يكن إلا أن سافر شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية إلى الأسكندرية ، وشكلا لجنة تحت رئاسة شيخ الأزهر من أكابر علماء الأسكندرية ودعوا إليها الشيخ أحمد باشا ليعلم هل يقبل أن يكون الجامع الأنور الموقوف للتدريس من قبل جدهم الأعلى خاضعا لهذه النظامات الجديدة فى الأسكندرية أم لا ؟ فتردد في الأمر أولا ثم عاد إليهما وأمضى على المحضر بأنه قابل هذه التنظيمات ، وأن مسجد جده تسرى عليه الأحكام التى توضع لها « عن كتاب : أعمال مجلس إدارة الأزهر » .

حصر علماء الأسكندرية

اشتغلت اللجنة بعد ذلك فى حصر العلماء الموجودين وجعلت عمدتها فى عملها قائمة وقف الغزى الذى اشترط واقفه أن يصرف جزء من ريعه إلى العلماء ، ودفتر الجامع الأنور التابع لوقف أولاد الشيخ ؛ لأنه لم يكن ليدرج في قائمة وقف الغزي مستحق على أنه من العلماء إلا بعد امتحان وإذن بالتدريس ممن له الولاية في ذلك ، ولأن دفتر الجامع الأنور يقيد فيه من يؤذن له بالتدريس على ما وضعه واقفه من القواعد ، سواء كان بالامتحان أو الاختيار المصحح لصدور

←

مشيخة علماء الأسكندرية

إذن شيخه للطالب بالتدريس فيه ، فكل من اندرج في أحد هذين النوعين فقد حاز صفة العالمية في ذلك الثغر ، فله حق إطلاق هذا الاسم عليه فيه ، أما ترتيب درجاتهم (أولى وثانية وثالثة) فكانت عمدة اللجنة قد طلبت التثبت من حالة العالم في العلم والاشتغال به ومقدار عمله بالسؤال من أعضاء اللجنة الأسكندريين لأنهم أعرف بأنفسهم ، ودرجة الاشتغال لا تعرف إلا منهم ، فلا يعول في تقدير الدرجة للعالم إلا على أقوالهم ، وخصوصا أنهم من المشهورين ولهم على معظم علماء الثغر المشيخة في العلوم .

أمضى الشيخان في الأسكندرية ثلاثة أيام ، ثم عادا ومعهما محضر عملهما فاشتغل مجلس الإدارة بتقرير العلماء في الأسكندرية وحصرهم في عدد مخصوص ، وترتيب درجاتهم العلمية ، فصدر قراره بتاريخ ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٢١ (أواخر يونية سنة ١٩٠٣) قاضيا بحصر عدد العلماء الأسكندريين في سبعة وأربعين عالما : وأن منهم أحد عشر في الدرجة الأولى وتسعة عشر في الدرجة الثانية وسبعة عشر في الدرجة الثالثة ، وتضمن هذا القرار أيضا أن لا يدرج في سلك علماء الأسكندرية بعد أولئك المحصورين إلا من ينجح في امتحان التدريس على القاعدة الجديدة التي يوضع لها النظام الجديد ، وأن هؤلاء العلماء المحصورين يدرسون في الأسكندرية وغيرها من أماكن التدريس في القطر المصرى « عدا الجامع الأزهر » وأن من أراد منهم أن يدرس في الأزهر فعليه الدخول في امتحان التدريس فيه ، وأن من يتقدم لهذا الامتحان من علماء الأسكندرية يقدم على غيره من كل طالبيه ، وحدد في هذا القرار ما يدرسه أهل كل درجة في الأسكندرية من العلوم المتداول تدريسها فيها .

الشيخ محمود باشا والشيخ أحمد باشا

ولما كان تنفيذ هذه الأحكام يتوقف على وجود شيخ للعلماء هناك ، وكان لأولاد الشيخ إبراهيم باشا المنزلة الرفيعة بين أولئك العلماء ، لما لهم من الأوقاف ولمكانتهم من الثروة وَقِدَمِ بيتهم في العلم رأى مجلس الإدارة أن يعهد بتنفيذ هذه الأحكام إلى أكبر أولاد الشيخ الثلاثة ، فقرر تعيين الشيخ محمود باشا شيخا لعلماء الأسكندرية وتعيين الشيخ أحمد باشا وكيلا له ، لأنه كان في حالة شيخوخة لا يتمكن معها من ضبط الأعمال ، وأرسلت مشيخة الأزهر هذه القرارات إلى الشيخ ووكيله وعهدت إليهما بتنفيذها وانتظرت الجواب بأنهما سيعملان بما تضمنته هذه القرارات من الأحكام .

ثم اشتغل مجلس الإدارة بوضع قانون لسير التدريس والامتحان في الأسكندرية كما وضع لغيرها من الأماكن الملحقة به ، وبعد الفراغ من وضعه رأى شيخ الجامع تعيين أحد أعضاء الإدارة الأزهرية[1] ليذهب إلى الأسكندرية ومعه هذا النظام الجديد فيتذاكر فيه مع شيخ العلماء ووكيله هناك ، حتى إذا كان لهما عليه ملاحظات أصلح الحال فيها قبل التصديق الانتهائي عليه ، فكان كذلك وذهب هذا العضو في شهر أغسطس أو سبتمبر من سنة ١٩٠٣ واشترك مع الشيخ أحمد باشا في تلاوة ذلك النظام فلم يجد من ملاحظته عليه إلا ما يضمن المحافظة على كيان أوقاف أولاد الشيخ والتوقي من أن تمس

(١) يغلب على ظني أن هذا العضو هو الشيخ عبد الكريم سلمان رحمه الله .

بمحاسبة أو مراقبة من قبل المشيخة الأزهرية ، ثم لاحظوا على قرار حصر العلماء أنه ترك فيه ستة ممن يصح إدراجهم في أولئك العلماء وأن ترتيب درجات العلماء يحتاج إلى التعديل لأن بعضهم أعطى الثالثة وهو يستحق الثانية مثلا .

هذه كل ملحوظات أولاد الشيخ على النظام والقرارات ..... فبحث معهم مندوب المشيخة فيما طلبوه فتبين له بمراجعة دفاتر مسجدهم والتحقق من حالتها ، أن أولئك الستة الذين تركوا في حصر العلماء لهم الحق حقيقة في أن يدرجوا في سلكهم فوعدهم بإدراجهم بمجرد رجوعه إلى مصر . وأما تغيير الدرجات لبعض أولئك المحصورين سابقاً ، فلم يوافقهم عليه لأن التغيير في البعض بلا سبب يستلزم إجابة من يطلب تغيير درجته في المستقبل وإلا كان ترجيحا بلا مرجح ، ثم عاد مندوب المشيخة إلى مصر وعرض الأمر على الشيخ فقدمه إلى مجلس الإدارة وهو أصدر قراره بجعل هؤلاء الستة من العلماء وأن يكون واحد منهم فى الدرجة الثانية والخمسة في الدرجة الثالثة كما اتفق عليه المندوب مع أولاد الشيخ إبراهيم باشا ، فصار عدد علماء الأسكندرية الذين يسرى عليهم حكم القرار السابق ثلاثة وخمسين : أحد عشر درجتهم أولى ، وعشرون درجتهم ثانية ، واثنان وعشرون درجتهم ثالثة ، وتاريخ هذا القرار ٢١ ذى الحجة سنة ١٣٢١ و ٨ مارس سنة ١٩٠٤ .

إلا أن أولاد الشيخ إبراهيم باشا بدا لهم رفض ما قرره مجلس إدارة الأزهر من جعلهم تابعين له فى إدارته ونظامه وترك استقلالهم وانفرادهم بالرياسة العلمية في الأسكندرية ..... فقرر تعيين شيخ لمعهد الأسكندرية غير الشيخ محمود الباشا[٢] .

سبب تعيين الشيخ محمد شاكر شيخا لعلماء الأسكندرية

إن الله ـ تعالى ـ قد لطف بعباده العلماء وأراد ألا يُبقى حالة الأسكندرية على ماهى عليه من الخُلف وتعطيل الأعمال ، فساق الشيخ محمد شاكر قاضى قضاة السودان إلى مصر بالأجازة ، فجاء إليها وليس في نفسه إلا الاستراحة من حر السودان ومن العمل فيه أيام شدة القيظ ، ولم يكن يخطر على فكر أحد من شيخ الأزهر ولا أعضاء مجلس إدارته أنه بمقدمه ينحل هذا المشكل ، لأنه في وظيفة عالية بالسودان مرتبط فيها برأى غير رأي مصر والمصريين ، ولكن الحاجة تفتق الحيلة كما يقال ، ولأجلها فكر فيه بعض أعضاء المجلس وجس نبضه فوجد منه ارتياحا للقبول ، فأشار عليه أن يعمل ليصل إلى هذه الغاية فقام بالأمر خير قيام ، ومهد لذلك باسترضاء الجهتين : جهة السودان لتوافق على نقله منها ، وجهة مصر لترضى بتعيينه شيخا لعلماء الأسكندرية ، وكلل سعيه فيهما بالنجاح ، فقرر مجلس الإدارة فى ١٦ أبريل سنة ١٩٠٤ انتخابه لهذه الوظيفة الجليلة وأن يكتب إلى نظارة الداخلية لتستصدر الأمر العالى بذلك ، فكان ما طلبه المجلس وصدر الأمر العالي بتعيينه شيخا لعلماء الأسكندرية في يوم ١٠ صفر سنة ١٣٢٢ و ٢٦ إبريل سنة ١٩٠٤ وانحل ذلك المشكل العظيم .

عض أولاد الشيخ باشا بعد ذلك بنان الندم ..... ولكن هذا لم يكن بالنافع ، فقد فات وقته وما مضى لا يعود .

←

---

(٢) هناك تفصيل اكثر ليس هذا محله ، راجع كتاب مجلس إدارة الأزهر » .

مشيخة علماء الأسكندرية

قام شيخ علماء الأسكندرية الجديد بعمله أحسن قيام ، لما فيه من الفطنة وشدة الذكاء ، ولعلمه بما يجب لهذا الزمان الحاضر ، وعضده مجلس الإدارة الأزهرية وشيخ الأزهر أكبر التعضيد ، وسهل له الطريق فى استعمال فكرته ، ولم يقيده بنظام سوى نظام الأزهر نفسه ، ونسخ له صور القوانين والقرارات التى يجرى عليها العمل المستمر ، وقرر له كل ما طلبه فى سير الأعمال وضبط نظامها وتكليف العمال بما يطلبه منهم . فأمضى بقية سنته في ترتيب وتنظيم وفى تعويد العلماء على العمل وضبط المواعيد والمواظبة على إلقاء الدروس . واستصدر أخيراً من مجلس الإدارة قراراً بحصر المساجد التي يكون فيها التدريس في ثمانية مساجد ليس مسجد أولاد الشيخ إبراهيم باشا منها .. والحكمة في ذلك ظاهرة جداً ، لأنه يجب ألا يوجد معه من يشغله عن الجد في العمل ، وأن تزول عوائق المعارضات من بين يديه ، فأصدر المجلس هذا القرار المطلوب وبه استراح خاطر شيخ العلماء الجديد .....

وفى آخر السنة الدراسية ، الموافق تقريبا لأخريات سنة ١٩٠٤ قدم شيخ علماء الأسكندرية تقريراً إلى مشيخة الجامع الأزهر (نشرته جريدة المؤيد في حينه) فصل فيه أعماله في تلك المدة القصيرة وهي نحو ستة أشهر تفصيلا تضمن بيان أحوال العلماء والطلبة وما كانوا عليه وما صاروا إليه وما قرىء في تلك المدة من العلوم ، وكيفيات التدريس ومواعيده وأمكنته وأنواع العلوم التى قرئت هناك ومن اختارهم من العلماء لتدريس كل علم منها ، وختمه بأن لابد من إيجاد « نقود » كافية لكي يكمل الغرض المطلوب ويتمكن من إلزام العلماء والمتعلمين بالنظام ، لأنه يستحيل تقدم الأعمال بغير نقود . فوقع تقريره هذا عند مجلس الإدارة أحسن الوقع ، وتحقق أن العمل في الأسكندرية سيوصل إلى ما يرجوه من نفع المتعلمين ، وكلف شيخ العلماء بأن يبين حاجته من النقود ويضع لصرفها ميزانية مضبوطة فيعاونه فى تحقيق أمله بطلبها من لدن الجناب الكريم ، ففعل ما كلف به فى أقرب زمن ، وقدم منه نسخة إلى الجناب العالى ثم قدم نسخة أخرى إلى مشيخة الأزهر ، فلم يكن غير قليل من الزمن حتى وردت النسخة المرفوعة من الجناب العالى على الأزهر مع كتاب من رئيس الديوان الخديوى مطلوب فيه نظرها بمجلس الإدارة وتصديقه عليها بعد البحث وتحققه من الحاجة إلى ما فيها ، فبحث فيها المجلس ورآها كلها موافقة للصواب فأقرها على ما وضعت وصدر قراره الرسمى بذلك في يوم ٢٨ شعبان سنة ١٣٢٢ و ٦ نوفمبر سنة ١٩٠٤ ، وأبلغ هذا القرار في يوم صدوره إلى ديوان الأوقاف ليقرر المبالغ المطلوبة في ميزانية سنة ١٩٠٥ المقبلة ، أما مقدار المبلغ الذي طلبه الشيخ محمد شاكر وأقره مجلس الإدارة فهو ٤٣٧٤ جنيها مصريا فى العام ، وقد أقر عليه المجلس الأعلى بديوان الأوقاف المنعقد تحت رئاسة الجناب العالى حسب العادة ، وأدرج فى ميزانية سنة ١٩٠٥ ، وجاء بذلك كتاب إلى الأزهر وهو أبلغ الخبر إلى شيخ العلماء في أواخر ديسمبر سنة ١٩٠٤ ، وكلفه أن يضع لصرف هذا المبلغ قاعدة منتظمة حسبما يراه مفيداً للعلم والتعليم .

وضع شيخ علماء الأسكندرية ميزانيته وجعل فيها موضعاً لأربعة من علماء الأزهر ليكونوا عونا له على إدخال العلوم الحديثة التى تعلموها فى

البقية ص ٣٨٥

العمران في قرطبة زمن الإسلام

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

حالة العمران

وصلت مدينة قرطبة فى عصورها الزاهية إبان دولة الإسلام فى عدد أرباضها - أى ضواحيها - إلى واحد وعشرين ربضا : فى كل ربض منها من المساجد والأسواق والحمامات مايقوم بأهله ولا يحتاجون إلى غيره ، وكان يتبعها من خارجها ثلاثة آلاف قرية فى كل واحدة منها منبر وفقيه ومقلس - أى لابس القلنسوة - (وهو من تكون له الفتيا فى الأحكام والشرائع وتبصير الناس بأحوالهم وأمور دينهم) .

وكان لا يسمح للقالس بأداء هذه الوظيفة إلا لمن حفظ موطأ الامام مالك وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة .

وكان هؤلاء المقلسون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويطالعونه بأحوال القرية والرعية[1] .

قصور الحكم والأمراء :

وكان بها عدد من القصور الكبيرة الفخمة لإدارة البلاد أو لسكن حكامها وأمرائها أو للراحة والاستجمام من أشهرها :

١ - قصر الإمارة :

وهو قصر قديم تداوله الملوك السابقون على الفتح الإسلامى كما اتخذه الأمير عبد الرحمن الداخل مقراً للحكم ومركزاً لتصريف شئون

(١) كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تاليف الشيخ احمد بن محمد المقرى التلمسانى الجزء الثانى الباب الرابع الطبعة الاولى سنة ١٣٦٧هـ سنة ١٩٤٩م المكتبة التجارية الكبرى .

العمران في قرطبة

الدولة وكان يغلب عليه الطابع اليونانى والرومى والقوطى[٢] .

٢ ـ قصر الرصافة :

وقد ابتناه الأمير عبد الرحمن الداخل فى ضاحية الرصافة شمالى قرطبة منحرفة إلى الغرب وجعله لسكناه أكثر أوقاته ، وسمى تلك الضاحية بالرصافة تيمنا باسم رصافة جده هشام بن عبد الملك،تلك التى كانت ببلاد الشام .

٣ ـ قصر الدمشق :

وهو قصر شيده بنو أمية وأبدعوا بناءه بالصفاح ويقوم هيكله على أعمدة من الرخام وكان ميدان مراحهم وتسليتهم ومضمار أفراحهم حكوا به بعض قصورهم بالمشرق وأطنب الشعراء فى وصفه والتغنى بجماله وحسنه وقد أنشد فيه ابن عمار أحد الشعراء الأندلسيين قوله :

كل قصر بعد الدمشق يذم
فيه طاب الجنى ولذ المشم
منظر رائق وماء نمير
وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندى
عنبر أشهب ومسك أحم

٤ ـ قصر الروضة :

هذا القصر أقامه الأمير عبد الرحمن الناصر على بعض مرتفعات سيرا مورينا الشرقية على نهر الوادى الكبير إلى الشمال الغربى من موضع الزهراء وهى ضاحية من ضواحى قرطبة سماها باسم جارية أثيرة لديه تدعى الزهراء ، لذلك عرف القصر باسم الروضة أو بقصر الزهراء وكان يحوى أربعمائة حجرة عدا الأجنحة التى يأوى إليها آلاف الحراس والعبيد .

وقد أطنب المؤرخون العرب فى وصفه وما كان عليه من فخامة وجمال تثير الدهشة فقد ذكروا أن حيطانه كانت من الرخام السميك ومصفحة بألواح لازوردية تثير الدهشة وأن قراميدَهُ[٣] كانت من الذهب والفضة وكانت قبابه تقوم على ثلاثمائة وأربعة آلاف عمود من أنواع الرخام المنقوش نقشا متساويا ، وكانت عيون الماء العذب فى ردهاته تنصب وتغيب فى أحواض من الرخام الأبيض مختلفة الأشكال .

وكان من عجائب ذلك القصر بركة بها أوزة من ذهب معلق فى رأسها لؤلؤة كبيرة وصهريج مملوء بالزئبق فإذا أراد الخليفة أن يفزع أحداً من أهل مجلسه أومأ إلى أحد حراسه ليحرك الزئبق فيظهر فى المجلس لمعان كلمعان البرق من النور فيأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل لكل من فى المجلس أن المكان قد طار بهم مادام الزئبق يتحرك[٤] .

٥ ـ وكان هناك العديد من القصور الأخرى بقرطبة هى الكامل والمجدد والحائر والمعشوق والمبارك والفارسى والرشيق وقصر السرور والتاج والبديع وقد اكتفينا بذكر أسمائها خشية الإطالة لكن مما تجدر الإشارة إليه ذكر قنطرة قرطبة التى على نهرها فهى من أعظم آثار الأندلس وأعجبها بناها السمح بن مالك الخولانى عندما

---

(٢) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى من تأليف الدكتور جودة هلال ومحمد محمود صبح ـ طبعة أول نوفمبر سنة ١٩٦٢ ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٣) القرميد : الحجر المستخدم للبناء .

(٤) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى المرجع السابق .

كان أميراً للأندلس عصر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ثم زاد أمراء بنى أمية بعد ذلك فى بنائها وتحسينها مما جعلها إحدى أعاجيب الدنيا فى تلك العصور[٥] .

مساجد قرطبة ومسجدها الجامع :

بلغت مساجد قرطبة فى عددها أيام حكم الأمير عبد الرحمن الداخل أربعمائة وواحدا وتسعين مسجداً[٦] أشهرها المسجد الجامع الذى ابتناه المسلمون زمن فتح الأندلس وزاد فى توسعته عبد الرحمن الداخل ، وفى هذه الزيادة يقول الشاعر وجيه بن محمد البلونى من قصيدة له فى مدحه :

وانفق فى دين الإله ووجهه
ثمانين ألفاً من لجين وعسجد
توزعها فى مسجد أسه التقى
ومنهجه دين النبى محمد

ومات عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٠ هجرية قبل تمامه فأتمه خليفته هشام الأول بن عبد الرحمن الأموى ومن هذا التاريخ أصبح ذلك المسجد موضع اهتمام الخلفاء من بنى أمية ومحل رعايتهم هم ومن جاء بعدهم من غير البيت الأموى فقد تناولوه إما بالزيادة والتجديد أو الزخرفة أو النقش حتى بلغ طول المسجد بعد زيادة المنصور بن أبى عامر ثلاثين وثلاثمائة ذراع وأصبح عرضه ثلاثين ومائتى ذراع وبلغت أعمدته التى كانت من الرخام المكسو بالذهب واللازورد ثلاثة وتسعين ومائتين وألف عمود وأما (بواكيه)[٧] فبلغت تسع عشرة من الشرق إلى الغرب وإحدى وثلاثين من الشمال إلى الجنوب وصارت أبوابه واحداً وعشرين بابا كسيت بالنحاس الأصفر اللماع الرائع الصنع وكان الباب الأوسط منها مرصعا بصفائح من الذهب وبأعلاه ثلاث كرات مذهبة تعلوها رمانة من الذهب .

أما حوائط المحراب فكانت مكسوة بالفسيفساء وتجرى فيه الفضة ، ويذكر المؤرخون عن منبره أنه كان مصنوعاً من العاج ونفيس الأخشاب ويتألف من ست وثلاثين ألف حشوة (وهى القطعة الصغيرة من الخشب) سمرت بمسامير من الذهب والفضة كما كانت بعض هذه الحشوات محلاة بالأحجار النفيسة .

وإنارة ذلك المسجد العظيم فى الليل كانت تتم بسبعمائة وأربعة آلاف مصباح ويستنفد فى كل سنة أربعة وعشرين ألف رطل من الزيت وعشرين ومئة رطل من العنبر والند - أى العود - أما مصباح المحراب فكان مصنوعاً من الذهب الخالص .

وعلى خدمة المسجد كان يقوم بها حوالى ثلاثمائة رجل لإيقاد البخور من العنبر والعود وإعداد الزيت العطر لإضاءة عشرة آلاف فتيل للقناديل[٨] .

ويذكر المؤرخون أنه كان فى بيت منبره مصحف بخط الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه عليه حلية من ذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه أغشية الديباج وكان يوضع على

(٥) كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب المرجع السابق .
(٦) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - الجزء الرابع الأندلس الإسلامية - تأليف الدكتور أحمد شلبى ط الخامسة سنة ١٩٧٩ مكتبة النهضة المصرية .
(٧) يطلق المصريون كلمة (باكيه) على لون من الأعمدة يعلوه بين كل عمودين قوسٌ نصفُ دائرى .
(٨) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى المرجع السابق .

العمران فى قرطبة

كرسى من العود الرطب المسمر بمسامير الذهب[٩] .

وقد كان بالمسجد أربع ميضات للوضوء اقامها الأمير الحكم المستنصر بدلا من ميضأة المسجد القديمة اثنتان كبيرتان للرجال فى جهتيه الشرقية والغربية واثنتان صغيرتان للنساء ، وكان الماء يجرى فيها جميعهامن قناة تنساب من سفح جبل قرطبة وتصب ماءها الذى لا ينقطع ليلا ونهاراً فى أحواض رخامية وفضل ذلك الماء العذب يجرى إلى سقايات اتخذت على أبواب المسجد بجهاته الثلاث : الشرقية والغربية والشمالية إلى ثلاث جواب من الرخام[١٠] .

وأما صومعة[١١] المسجد فقد بلغ ارتفاعها ثلاثة وسبعين ذراعا فى عهد الأمير عبد الرحمن الناصر[١٢] .

كيف صار المسجد الجامع بعد سقوط قرطبة فى يد النصارى الأسبان :

لقد ظل هذا المسجد كعبة القصاد تهفو إليه القلوب المسلمة ويجذب إليه طلاب العلم والمعرفة من الشرق والغرب مسلمين وغير مسلمين لما ذاع ذكره بين الناس ونافس ما عداه من المساجد والمدارس فى بغداد والقاهرة وغيرهما من البلدان .

حتى إذا ما حلت سنة أربع وثلاثين وستمائة هجرية التى توافق سنة ١٢٣٦ ميلادية سقطت قرطبة فى يد الملك فرديناند الثالث ملك قشتالة من نصارى الشمال فى أسبانيا فبدأ فى محو معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس خصوصاً فى مساجدها الجامعة ومنها مسجد قرطبة إذ أمر بتحويله إلى كنيسة وبناء على ذلك تم إزالة جميع الميضات الخاصة بالوضوء وكذا إزالة قباب المسجد القديمة ماعدا القبة الرئيسية الوسطى وحلت محل القباب سقوف مضلعة على الطراز الكنسى تزينها من الداخل نقوش نصرانية كما أنشىء على طول جوانب الجامع الأربعة من الداخل هياكل ونصب فوقها الصلبان وتماثيل القديسين وصورهم وحتى منارة الجامع أزيلت واقيم على انقاضها برج الأجراس الحالى على نمط يشبه المنارة ثم أزيلت مقصورة الخليفة فى وسط المسجد بسقفها الأندلسى وأقيم مكانها هيكل كبير بمعرفة أسقف قرطبة سنة ١٥٢١ ميلادية مما أثار النقد الشديد من علماء الآثار الغربيين من أسبان وغيرهم ، وقد وصفه بعضهم بأنه أشنع عمل همجى ارتكب لتشويهه ولا أدل على ذلك من أن الامبراطور شارلكان عندما زار الجامع بعد ذلك التغيير أبدى سخطه واحتج على إقامة الهيكل النصرانى على هذا النحو فى وسط هذا الفراغ الرائع الذى تبدو فيه ملامح الفن الإسلامى الرفيع وأعلن بأن هذا التشويه للجامع قضى على ماكان أثرا وحيدا فى العالم[١٣] .

البقية ص ٤٠٣

(٩) كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المرجع السابق .
(١٠) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى المرجع السابق .
(١١) المنارة .
(١٢) موسوعة التاريخ الإسلامي . المرجع السابق .
(١٣) كتاب الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال تاليف المرحوم الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥هـ سنة ١٩٥٦م .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

توبة

في طريق العودة

العلوية

توبة

للشاعر: عمر موسى البرعى

إنى أتوب إليك من زلّاتى … ياماحى الأوزار بالحسنات
يامن يجير المستغيث إذا دعا … ويجيب فيه خالص الدعوات
مالى سواك به ألوذ وأحتمى … من شرٍّ ما أخشىٰ من الآفات
يارب عفوك أرتجيه لمسلك … أسرفت فيه بكثرة النزوات
وزرى ثقيل أشتكى من حمله … حتى لقد كثرت به علّاتى
أنا ما تركت من الذنوب صغيرها … وكبيرها فى سائر الأوقات
وغدوت والآثام تثقل كاهلى … وتسود المبيضَّ من صفحاتى
إنى أتيت إليك فاقبل توبتى … واغفر فإنك غافر الزلّات
ولقد ندمت ولن أعود فهل ترى … تُجدى لمحو مآثمى حسراتى ؟
إنى رجعت لباب عفوك راجيا … منك القبول لدعوتى وشَكاتى
إن لم تمن علىَّ بالعفو الذى … شمل الأنام بأرحم الرحمات
فبمن ألوذ وأنت من أسماؤك الـ … حسنى تفيض بأعظم الخيرات ؟
ومن الذى أرجوه إن لم تعفُ عن … ذنبى وفضلك ظاهر الآيات ؟
ياخالقى يارازقى يامالكى … ياعالم الأسرار والهمسات
كيف الخلاص من الذنوب وحملها … من ذا سواك يقيل من عثراتى ؟
مالى رجاء غير عفوك سيدى … فيه ألوذ وأرتجى لنجاتى
إن لم تسامحنى فإنى هالك … ومهدَّد بالويل والنكبات
فاجعل طريقى آمناً من عثرة … حتى أسير بقوة وثبات
وامنح رضاك تفضلاً وتكرما … فرضاك عندى غاية الغايات
أفنيت عمرى بالذنوب فعافنى … يارب واختم بالقبول حياتى

فى طريق العودة

شعر/ رشاد محمد يوسف

أعود إليك ياربى بكل ضراعة القلب
بكل تلهف الوجدان للغفران والتوب
بكل متاهة العصيان كل مرارة الذنب
بكل ضراوة الأيام كل القهر والجدب

●●●

أعود إليك والأوزار يملأ شوكها هدبى
أعود إليك بعد التيه من درب إلى درب
تشد خطاى أوهام من الفتنة والريب
وتمطرنى سماواتى بما يدمى ومايصبى

●●●

أعود إليك تواقاً إلى الإيمان والحب
لأغسل بالتقى الوجدان من إثم ومن ذنب
وليس سواك ياربّاه يكشف ظلمة الكرب
وليس سواك يشملنى بكل حنانه الرحب

●●●

أعود بكل أشواقى أتوق لوردك العذب
وتحملنى ضراعاتى إلى الأنوار والقرب
وبى أمل يظللنى غداة الموقف الصعب
فجُدْ بالصفح والغفران جُدْ بالعفو ياربى

العلوية

٢

للدكتور : حلمى محمد القاعود

(٤)

ولا ريب أن استخلاف عليّ ليلة الهجرة إلى المدينة المنورة ، كان من أبرز المواقف في حياته ، وحياة الإسلام بصفة عامة ، ولولا نومه مكان النبى ﷺ ليلة الهجرة ، ماتمّ التمويه على مشركي مكة الواقفين بباب النبي ، يترصدون خروجه للقضاء عليه بالقتل ! وقد آثر الشاعر أن يكتفى بسرد القصة منذ طلب النبى ﷺ ، من عليّ أن ينام في مكانه فداءً له ، فقبل عليّ وأرخص نفسه « فدىً لأخيه » ، ولم يخش السيوف التى جاءت تطلبه ، ولم يفزع منها ، « ولم تقلق بجفنيه مناماً » ..

هكذا تبدو الصورة بسيطة وخالية من الحوار الداخلي .. « طالب ومطلوب وشجاع » ويكمل الشاعر الصورة برسم ماجرى بعد نوم علي : أغشى الله عيون المشركين عن محمد ، خرج مع صاحبه ، غادر إلى المدينة (الزوراء) ترك علياً في مكة (أم القرى أو البطاح) ليسدّد ماعليه ، وهكذا ينتهى مشهد ليلة الهجرة بالنسبة لعلي من خلال المعجم اللغوي المميز لعبد المطلب :

فلـن ينسى النبـى لـه صنيـعـا
عشيـة ودع البيـت الحـرامـا
عشيـة سـامـه فى الله نفسـا
لـغـير الله تكبـر أن تسـامـا
فـأرخصـهـا فـدى لأخيـه ولـما
تسجـى فى حظـيرتـه ونـامـا
وأقبلـت الصـوارم والمنـايـا
لحـرب الله تنتحـم انتحـامـا(١)
فلـم يـأبـه لـهـا أنفـاً عـليٌّ
ولـم تقلـق بجفنيـه منـامـا
وأغشى الله أعينـهـم فـراحـت
ولـم تـر ذلـك البـدر التمـامـا
عمـوا عـن أحمـد ومضى نجيـاً
مـع الصـديـق يـدَّرع الظـلامـا
وغـادرت البطـاح بـه ركـابٌ
إلى الـزوراء تـعتـزم اعتـزامـا
وفى أم القـرى خـلّى أخـاه
عـلى وجـدٍ بـه يشكـو الأوامـا(٢)

(١) تنتحم : تخرج نَفَساً عالياً نتيجة لانفعال ما .

(٢) الأوام : شدة الشوق .

أقـام بـهـا ليقضيـهـا حقـوقـاً
عـلى طـه بها كـانـت لـزامـا

الصورة بسيطة ، كما قلنا ، يضاف إليها أنها ترسم من الخارج أو تحكي من الذاكرة قصة قصيرة لموقف كان يمكن أن يكون مليئاً بالحيوية والعمق والتدفق الشعري ، ولأن المفارقة تصنعه وتهيء له ، فهناك القتل يترصد محمداً ﷺ ، على الباب وهناك صبّى صغير قد يتعرض لهجمة مباغتة من القتلة ، ولكن الشاعر آثر أن يسجل شجاعة علي ، دون أن يصوّرها شعريا بالطريقة الملائمة ، ويبدو أنه كان يركز جهده فى مواضع أخرى بالمطولة ليبدي التعاطف مع على الإمام المفترى عليه ، أو قل إنها قدراته التعبيرية التى تشده إلى (النظم) أكثر مما تشده إلى (التصوير) ، لدرجة أننا نستشعر أنه يكمل بعض الأبيات عنوة ،. بالرغم من أنفها لتتساوى فى شطريها ، وتأمل مثلاً قوله :

وأغشى الله أعينـهـم فـراحـت
ولـم تـر ذلـك البـدر التمـامـا

وقوله :

وفى أم القـرى خـلّى أخـاه
عـلى وجـدٍ بـه يشكـو الأوامـا
أقـام بـهـا ليقضيـهـا حقـوقـا
عـلى طـه بـهـا كـانـت لـزامـا

فالبيت الأول ينتهى عملياً بقوله : « وأغشى الله أعينهم » وما بعده مجرد حشو دعت إليه ضرورة إكمال البيت ، وكذلك فى البيتين الأخيرين عندما يقول : « خلى أخاه على وجد به » ، فإن جملة « تشكو الأواما » تحصيل حاصل للمعنى السابق ، وربما كان المعنى السابق أقوى وأدق .

وكذلك قوله : « ليقضيها حقوقاً » ، فإن بقية البيت تكرار لا يضيف جديداً ، ويبدو أن طابع الإنشاء الذى كان سمة العصر ، كان يدفع الشعراء ـ وبخاصة عند إنشاء المطوّلات ـ إلى النظم الغزير حتى لو جاء على حساب الأداء الفني .. وقد يرتبط بهذه الظاهرة (الحشو) ظاهرة الحذف التى تتكرر عند الشاعر حيث يأتى ببعض المعانى غير كاملة ، ويترك لفطنة المستمع أو المتلقى إدراك المحذوف ، وأظن أن الظاهرتين إذا لم تكونا مبررتين فنياً فإنهما تمثلان عبئاً على الأداء الشعري ، والنص بصفة عامة .

(٢)

وإذا كان الاهتمام بالترتيب التاريخي لسيرة عليّ يبدو جلياً فى المراحل الأولى من القصيدة ، فإنه يمثل نوعاً من تشتيت اهتمام المتلقى بالملامح العلوية فى المراحل التالية ، فالحديث عن شجاعة على فى ليلة الهجرة كان يقتضي ـ من وجهة نظري ـ استمرار الحديث عن ملامح شجاعته الأخرى ليصور الفارس المقاتل الذى لا يهاب الفرسان والشجعان ، ولكن الشاعر يعود بنا إلى قصّ طرف من حياة الإمام فى المدينة ، وزواجه من فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وقيامهما بالليل ، وسيرتهما معاً ، ثم يعود إلى الحديث عن غزوة أحد ودور الإمام فيها ، وكذلك غزوة الخندق ، ويوم خيبر ، وقتله « مرحب بن منسية » وزعامته فى المواطن والمغازي .. ويترك ذلك كله ليتحدث عن المرحلة التى تفصل بين عهدين : عهد الجندي وعهد الحاكم ، والتى يسميها « على فى السلم » .

لقد كانت المطولة تسير في اتجاه تصاعدي ، كان يمكن أن يبلور صورة الإمام « شجاعاً » بإحكام شديد ، ولكنه ـ أي الشاعر ـ آثر أن يسير وفقاً لخط منكسر ، ولنقرأ هذه الأبيات من حديثه عن على فى المدينة :

فـإن يـك عـهـده فيـهـا وبـالاً
عـلى الطـاغـوت أو داء عُقـامـا

←

فكم طابت به للحق نفس
بطيبة حين أوطنها مُقاما
وكم شهدت له الزوراء يوماً
وكم حمد الحنيف له مقاما
فسائل في المواطن عن فتاها
إذا حبكت عواصفها القتاما(٣)
إذا لمعت سيوف الله فيها
تقطُّ خواصراً وتقدُّ قاما(٤)
وخيل الله في الجلبات شعثٌ
تدك السهل أو تَطِسُ الرِّضاما(٥)
سَلِ الرايات كم رادت عليًا
يصرِّف تحتها الجيش اللُّهاما(٦)

وبعدئذٍ ينقلنا « عبد المطلب » إلى « الوليد بن عتبة » ومصرعه في يوم بدر ، ثم ينقلنا إلى حديث المصاهرة بين عليّ والنبي ﷺ بزواجه من فاطمة رضي الله عنها :

وما صهر النبي إذا تنادوا
كمن يدعو ربيعة أو هشاما
ومن تُهدى البتول له عروساً
بنى في النجم بيتاً لا يسامى
بأمر الله زفُّوها إليه
عشية راح يخطبها وساما

ويستمر في عرض العلاقة بين علي وفاطمة ، حتى يعود مرة أخرى إلى الغزوات وشجاعة عليّ فيها ، فيتكلم عن غزوة أحد :

فسائل عنه في أُحَدَ العوالى
وقد حلك العجاجُ بها وأما ..

وإن كان الإنصاف يقتضينا أن نشير إلى توفيق الشاعر في تصوير قتل الإمام على لِمَرْحَب بن منسية اليهودي يوم خيبر ، فقد عرض لليهودي الفارس الذى كان يخشاه الفرسان ، وتحتمي به يهود ، وتعتبره بطل أبطالها ، ولكنه يخر صريعاً أمام على بعد لقاء درامي عنيف .. يصور « محمد عبد المطلب » الفارس اليهودي مرحب ، وهو يُقْبل في صلف وكبر ، عليه من الدروع مايستطيع أن يواجه به أي فارس آخر ، تسبقه شهرته في هزيمة أعدائه « يثنّى في الوغى سيفاً ولاما » ، ويشد على الإمام بسيفه حتى يزيل مجنّه ، ويكاد يقضي عليه ، ولكن علياً يرى باباً ضخماً ، لاتستطيع حمله العصبة من الرجال أولى القوة ، فيحمله عليّ ، ويتترّس به ، ويهوى على مرحب بضربة قاصمة تقضي عليه .

وأقبل مرحبٌ في البأس يحبو
وكان البأس صاحبه الأزاما(٧)
يميل إذا انتمى صلفاً وكبرا
كراكب لُجَّةٍ يشكو الهداما(٨)
ألم أك مرحباً يوم التنادي
إذا ما الليث من فزع ألاما
ألست لآل إسرائيل غوثاً
إذا نشدوا بي البطل الهُذاما(٩)
وما علم الفتى أن المنايا
خططن بذى الفقار له مناما
وأن له من الكرَّار يوماً
عبوس الوجه يحتبك الإياما(١٠)
سلا ابن الخيبرية يوم واف
وليث الله يرقبه رعاما(١١)

(٣) القتام : الغبار .
(٤) تَقُطُّ : تَقُدُّ : تقطع ، والمقصود : تهلك وتقتل - والقام : القامات .
(٥) تطس : تضرب بحوافرها ، الرضام : الحجارة .
(٦) اللهام : الغزير أو الكثير .
(٧) الأزام : الملازم .
(٨) الهُدَام : دوار البحر .
(٩) الهُذَام : الشجاع .
(١٠) الكرار : يقصد الإمام على ، يحتبك : يعقد ، الإيام ، الدخان .
(١١) رَعَام : يقصد حدّة النظر .

ضفـا حلـق الحـديـد عليـه مثنـى
وظـاهـر فـوق بيضتـه الـرخـامـا
ولـم أر قبـل مـرحـب مـن كمـيٍّ
يثنـى فى الـوغـى سيفـاً ولامـا
فشـدّ عـلى الإمـام بـذي سطـام
نضـاه لكل جـاحمـةٍ سِطـامـا(١٢)
فـزال مجـنٌّ حيـدر لا بـوهـنٍ
ولا ضـعفـت لمحملـه سُـلامـى(١٣)
ومـال بطـرفـه فـإذا رتـاجٌ
هنـاك تخـالـه جبـلاً تسـامـى
فسـل يسراه كيـف تلقفتـه
وقـد أعيـا تحمّلـه الفِئَـامـا(١٤)
يقبلـه بـهـا تـرسـاً ويـغشى
بيمنـاه الفتـى مـوتـاً زُؤَامـا
عـلاه بضربـة لـو أن رضـوى
تلقّـاهـا لـعـاد بـهـا هَيَـامـا
فلـم يـعصمـه مـن حـين رخـام
ولـم يجـد الحـديـد لـه عصـامـا
وليس أخـو اللئـام وإن تـزكـى
لسيـف اللـه فى الـهيجـا لئـامـا
رأى ابـن الخيبـريـة كيـف لاقـى
بحيـدر ذلـك الأسـد الـرِّزامـا(١٥)
وعـادت خيبـر لِلَّـهِ فيئـاً
يقسَّـم فى كتـائبـه اقتسـامـا

لقد أعطى « عبد المطلب » لنفسه الفرصة كي يصور مشهد الصراع بين مرحب وعلي ، بأن صور حالة كل منهما ، الأول فى غروره وصلفه وقوته ، والثانى في ترقبه وشجاعته وإصراره .. بل إنه صوّر لنا غرور مرحب من خلال حديثه عن نفسه عندما يهتف به قومه طلباً للنجدة ، باعتباره غوثاً لهم ، وفارسهم البطل الشجاع .. ويضيف إلى ذلك منظره وهو فى دروعه المضاعفة (حَلَقُ الحديد) ، ثم وهو يظاهر « فوق بيضته الرُّخاما » زيادة فى تأمين نفسه أمام عدوّه ، ثم وهو كميٌّ نادر المثال يُثنّى السيوف وعدّة الحرب التى يلبسها الفرسان .. ولكن هذا الفارس النادر المثال ، يتهاوى أمام عليّ حين يضربه ضربة قوية ، تكاد تزلزل أضخم الجبال ، وتحولها إلى تراب ، ولنتأمل إصرار الشاعر على تسمية عليّ باسم « حيدر » .. وفيه معنى شجاعة الأسد وبسالته ، كذلك ، ليعيد إلى الأذهان ماروى عن « مرحب بن منسية » عندما رأى في المنام أن ليثاً افترسه ، فلما سمع علياً يقول : أنا الذى « سمّتني أمي حيدرة » تحقق تأويل رؤياه ، وخرّ صريعاً ..

وعـادت خيبـرُ لله فيئـاً
يُقَسَّمُ فى كتـائبـه اقتسـامـا

وربما أراد « محمد عبد المطلب » من ذكر الفىء وتقسيمه ، تأكيد الهزيمة الساحقة التى لحقت باليهود يوم خيبر ، وإبراز الشجاعة الحقيقية النادرة للإمام فى تلك المعركة الخالدة ..

ومهما يكن من أمر ، فالشاعر قد صوّر بهذه القصة لقطة شعرية جيدة وموفقة فى مطوّلته ، أضاءت مَلْمَحاً من شخصية عليّ ، وأضاءت القصيدة أيضاً ..

(٦)

أراد محمد عبد المطلب أن يصوّر علياً إنساناً عادياً يمارس حياته اليومية ، فاختار المرحلة التى أشرنا إليها ،وهى مرحلة مابين الجندي

←

(١٢) ذى سطام : يقصد حدّ السيف ، سطام الثانية : مايقلب به الحداد نار الكير .
(١٣) المجنّ : الدرع أو مايحمي به الفارس نفسه من خصمه ، السّلامى : أصول الأصابع فى اليد .
(١٤) الفئام : الجماعة .
(١٥) الرِّزَام : البروك على الفريسة .

والحاكم .. وهي تمثل فيما يبدو الوجه المقابل لعلي المحارب المقاتل ، ولذا اختار لها عنوان « على في السلم » ، بينما الصورة فى الحقيقة تنطبق على عليّ فى حربه وسلمه معاً ، فهو كمسلم ملتزم بقيم الإسلام ، في كل الأحوال ، ولكن تقسيم الشاعر لمراحل حياته أو ملامح شخصيته ، فرضت عليه أن يُصنِّف هذه الملامح فى إطار الترتيب التاريخي الذى لم يطّرد تماماً .

يقدم الشاعر خمسة ملامح لعلي في سلمه هي : قلبه ونفسه ، ووجهه ، وجوده ، وقيامه الليل ، وتستغرق حيزاً قصيراً بالنسبة لبقية الملامح العلوية التى تحدث عنها .. وقد صاغها أيضا أو صاغ معظمها من الخارج ، أو بصيغة الحكاية الموجزة التى تشير خَطْفاً إلى وصف ما أو حالة ما ، دون أن يتغلغل إلى إعماق الملمح الذى يتناوله . فهو مثلاً عندما يتحدث عن « قلب » علي ، فإنه يشير إلى أن علياً يبتدر الناس بالسلام ، وأنه حوى علم النبوة فى فؤاده ، وأنه محب للحق ، ولم يضرب مثالاً واحداً لمواقفه التى تكشف عن قلب عليّ ، بالرغم من كثرة هذه المواقف التى تُدَلِّلُ على حبّه للسلام والعلم والحق .. إنه يكتفى بأن يأمر سامعه أن يسأل أهل السلام ليتحقق من حب عليّ للسلام :

وسـلْ أهـلَ السـلام تجـد علياً
أمـام النـاس يبتـدرُ السَّـلَامـا
حـوى علـم النبـوة فى فـؤادٍ
طَمَـا بـالـعلـم زخّـاراً فَطَـامَـا
سقـاه الحـق أفـواق المـعـانـى
وهيّمـه بـهـا حبّـاً فـهَـامَـا
وزوّده اليقـين بـه فكـانـت
أفـاويـق اليقـين لـه قَـوَامـا
رمـى فى عـالـم الأنـوار سبْحـاً
إلى سُـوح الجـلالِ بـه تـرامـى

وعندما يتحدث عن « جوده » ، فإنه يفلت من يده مادة غنيَّةً ودسمة ، وهي القصة(*) التى ذكرها القرآن الكريم عن إيثار على وفاطمة ، وإطعامهما للمسكين واليتيم والأسير ، بالرغم من أنهما كانا صائمين ، فجادا بالطعام ، وواصلا الصّيام ، لأن الجود الذى يصل إلى حد الإيثار طبع فى نفسيهما(١٦) .. لقد اكتفى محمد عبد المطلب بالإشارة إلى الجود كصفة ، وطلب من سامعه أو المتلقى أن يسأل القرآن أو جبريل ليعلم المكارم « العَلَوِيّة » التى لن تَفْنى ، ولن يصل إليها أحد ، دون أن يُجْرِى معها حواراً شعرياً يكشف عن طبيعة هذه المكارم وأعماقها :

وفيضُ يـدٍ مـن الـوسمـيّ أنـدى
إذا الحـيُّ اشتكى سَنَـةً أزامـا(١٧)
عـلى حـب الطـعـام يصـدُّ عنـه
ليطـعمـه الأرامـل واليتـامـى
سـل القـرآن أو جبـريـل تـعلـم
مكـارم لـن تبيـد ولـن تُـرامـا
مـن الأبـرار يـغتبقـون كـأسـاً
من الـرِّضـوان متـرعـةً وجـامـا

(*) أولا هذا الموضوع بالكتاب العزيز ليس قصة ، ثانيا : لا علاقة له بعلي وفاطمة - رضى الله عنهما - إطلاقا (الخطيب) .

(١٦) يقول الله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا . إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً . فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً . وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً . . . . ﴾ (الإنسان : ٧ - ١٢ ، وانظر الآيات التالية حتى ٢٢) .

(١٧) الوسمي : مطر الربيع الأولى ، والسنة الأَزَام : الشديدة من الأزم وهو العض .

عــلىٌّ والبتــول وكــوكبــاهُ
ضيــاء الأرض إن أفــق أغــامــا[18]
ثنــاءٌ فى الكتــاب لــه عبـيرٌ
تُقَصِّرُ عنــه أرواحُ الخُــزامــى[19]

بيد أن « محمدعبد المطلب » قد يقترب أحياناً من إعطاء الملمح الشخصي لعلى بن أبى طالب أبعاده المتعدّدة ، فعندما يتناول علياً وهو يقوم الليل ، فإنه يصوّره دامعاً خوفاً من الله ، ثم يُلقى على المشهد مهابةً وجلالاً حين يشير إلى الملائكة المحتشدة والمحتشمة ، حول المحراب عندما يُصلّى .. وصلاة الليل بالنسبة لعلىّ هي السَّحُور الذى يمهّد للصّوم فى النهار ، وبين الصبر والقناعة ، والخشوع والطاعة ، يحيا علىّ ويتغذّى ، دون أن تقهره شهوة الطعام أو الراحة .. ولذا فإن علياً قد حوى المجد كهلاً فى هيئة شيخ .. وهنا يأسى الشاعر على المظالم التى تعرّض لها علىّ ، ويمهّد بهذا الأسى للأحداث الدّامية التى بدأت عند مقتل عثمان رضوان الله عليه :

وكـم أجـرى عــلى المحـراب دمعــاً
لخــوف الله ينسجــم انسجــامــا
إذا مــا قــام فى المحــراب قــامــت
لــه زُمَــرُ المــلائكــة احتشــامــا
صــلاة الليــل يجــعلــهــا سحــوراً
إذا مــا فى الغــداةِ نــوى الصيــامــا
تــرى صبــر القنــوع لــه غــذاءً
جــرى دمــع الخشــوع لــه إدامــا
رأينــا فى الكــهــولــة منــه شيخــاً
حــوى المجــد اشتمــالاً واعتمــامــا
فمــا للــدَّهْــر لــم يعــرف حقــوقــاً
لــه شيخــاً ولــم يُنكــر ظِــلامــا[22]

وفى هذا المقطع يقدم الشاعـر أكثر من صـورة مبتكرة أو متميزة ، فها نحن نرى زمر الملائكة تقوم احتشاما ، متأثراً بالآية الكريمة :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا . . ﴾[21] .

واستخـدام لفظة « زُمَـر » لتصويـر جماعـات الملائكة وهم يقومون على الحفاوة والرعاية لعلىٍّ قائم الليل ، الخاشع ، المتبتل ؛ يعطى المشهد حالة من الـوقار والهيبـة التى تضع عليـاً فى منزلـة رفيعـة ونادرة .. ثم انظر تشبيهه لصلاة الليل بالسحور ، ليبيّن مدي زهادة الرجل وقناعته وتواضعـه ، وهو مـا يوضحـه فى صورة أعمق وأجمـل حين يصبـح « صبر القنوع غـذاء » ، ودمع الخشـوع إداما ، تدليلاً على طبيعة زاهدة قانعة صابرة .

ثم يكشف الشاعر عن بُعْـد من أبعاد عـلى حين يصير شيخاً وهو كهل ، تعبيراً عن حكمته المبكـرة ورزانته واتزانه ، ولذلك يصوغ جُماعاً لهذه الأبعاد فى إطار بدوى « حوى المجد اشتمـالاً واعتمامـاً » معتمداً على الشملة والعمامة كعنصرين من العناصر التى يستعين بهـا البدوي لاتقاء البرد والحر ، وهما فى الوقت نفسه الإطار الذى يحوى المجد أو صاحب المجد ..

وكأن الشاعر أراد بهذه الـوقفة المـوجزة أمـام شخصيــة « عــلى فى السلم » أن يبـيـن المبـررات والبراهين على خطأ خصوم على وانحـرافهم ، وهو ما يلح عليه بعدئذٍ فى سياق طويل وفضفاض تبرز فيه أحـاسيس الشاعـر وعـواطفـه ومشـاعـره تجـاه الطرفين : علىّ وخصومه ..

←

(18) البتول : فاطمة ، كوكباه : الحسن والحسين .
(19) يشير إلى الآيات الكريمة فى سورة « الإنسان » التى تحدثت عن على وفاطمة وإطعامهما الطعام على حبّه .
(20) ظِلاما : يقصد الظلم .
(21) الزمر : 73 ، وقد وردت اللفظة ايضاً فى الآية 71 .

العلـوية ..

ويجيء البيت الأخير فى المقطع السابق ، ليكون رابطـاً وصِلةً بـين مـا سبق من حـديث عن عـلى ، وما سوف يأتى ـ وهو الأهمّ لدى الشاعر ـ وكأنـه يقول : لماذا فعل الخصوم ما فعلوا حتى انتهى الأمر بمصرع الإمام ؟ .. ولذا يشير إلى « الدهر » مجازاً ـ كرمز للخصوم ـ فى عدم معرفة حقوق الإمام ، وعدم إنكار الظلم الذى تعرض له :

فمـا للـدهـر لـم يعـرف حقـوقـاً
لـه شيخـاً ولـم ينكـر ظِـلامـاً ؟

وواضح أن لفظه « شيخ » هنا تعبير عن المرحلة الأخيرة فى حياة علىّ ، التى شهدت مصرع عثمان ، وتوليه الخلافة ، والشـاعر يعتمـد كما أشرنـا على تقسيم حياة علىّ إلى مراحل (علىّ فى صباه وإسلامه ، على بالمدينة ، على فى السلم ، على فى كبـره) ، وإن كانت مرحلة السلم ، كما أوضحنا متداخلة مع بقية المراحل ..

والمـرحلة الأخـيرة ، وهى « على فى كبـره » هى مرحلة تَنكُّر الدهر له « شيخاً » ، كما جاء فى البيت وهى التى شهدت أخطر الحوادث التى أثرت عـلى مسيرة الدولة الإسلامية كلها ، ونقلتها من حال إلى حال .. ولذا نجد الشاعر يتوقف عند مصرع عثمان رضى الله عنه ، ويشير إلى الفتنة التى اشتعلت وأدت إلى مقتله الدامي والمـأساوي ، واستخـلاف علىّ ، وظهـور الصراع السياسي الـذى انتهى بـاغتيـال الإمام .

وفى هذه المرحلة ، يبدو الشاعر ، وقـد انتقل من واقع إلى واقع آخر ، ويريد فى الوقت ذاته أن يقطع مابين الواقعين ، ليحتشد للواقع الجديـد ، ويتهيأ له .. فيعلن لصاحبيه ـ وفقاً لتقليد فنى موروث ، أن يقفا وينتظراه ، بعد أن فقد القـدرة على الكـلام ، وضلت القوافى ، وما كان فَدْماً ولا حَصِراً .. ولكنه يبرر هذا الموقف بصروف الزمان وحوادثه التى تجعل « الفصيح » « عيياً » و « المُفْلِقُون » « فِداما » !

خليـلي أرْبَـعَـا وتنظـَّرانى
ضللـت القـوافى لا أجـد الكـلامـا
ومـا أنـا بـالـغُلَّـب فى القـوافي
ولا حَصِـراً بهـا يشكـو الفُحـامـا
ولكـن الـزمـان لـه صروفٌ
يـعـودُ المفْلِقُـون بـهـا فِـدَامـا

وهكذا يأسى الشاعر أولاً على ما أصـاب الإمام « شيخاً » ضاعت حقوقه وكثرت ظلاماته ، ثم يعلن ثانياً عن ذهوله وفقدانه القدرة على التعبـير بسبب صروف الزمان وتقلباته ، ويوضح ثالثاً مـا أصاب الإسلام والمسلمين بعـد وفاة النبى ﷺ ، ومـا حلّ بالخلافة من مصائب :

سجـا ليـل الحـوادث بـعـد طـه
فـعـمّ الـديـن والـدنيـا ظـلامـا
وحلّـت بـالخـلافـة مُـرْزِئـاتٌ
طـواحـنُ تحتسى النـاس التهـامـا
أهبـن بـهـا فما أجْلَـيْن حتـى
رأيت حبيكتهـا سـال انثمـامـا[٢٢]
قـواصم عىَّ ظهـر الـدين عنهـا
ولـولا الله لانقصـم انقصـامـا

إذاً الحديث عن مرحلة « على فى السلم » يقود إلى مرحلة « على فى الخلافة » أو فى الحكم ، وهى مرحلة حـافلة بـالكثير من البطـولات والخلافـات ، والدّم والدموع .

يتبع

---

(٢٢) انثمـاما : سيـلان مثل الـدهن شيئاً فشيئـاً ، الحبيـك : المعقود .

من أعلام الأزهر

المحدث العلامة الأستاذ

الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى

عضو هيئة كبار العلماء

للأستاذ / محمود عبد الرازق عقباوى

العلامة السمالوطى احد العلماء الأقطاب ، خطيب مفوه ، إذا صعد منبرا تدفَّقَ تدفُّقَ الأتىّ « اى مرتجل مبتدع » يحلق إلى رفيع الأجواء ، ويجتذب القلوب والأسماع .

ومحاضر تشهد موضوعاته بقوة استيعابه لموضوعه ، ووفرة إلمامه به وإتمامه .

لأسلوبه طريقته فى التماس مواطن التأثير فى نفس القارىء والسامع ، يطرقها بلطف فإذا هو يستهوى القلب ويستميل الفؤاد كما يسترعى الأبصار ويستوقف الأفكار .

ثم له من خفة روحه ، وصدق حديثه ، وبداهة قضاياه ما يثبت قوله ويفسح له لدى سامعيه وقارئيه .

اخلاقه وصفاته: غض الإهاب ، جميل الهندام ، بعيد النظر ، ثاقب الرأى ، سريع الخاطر ، نصير من يستنصره ، معين من يستنجده ، يحب الحق ولايكترث بظالم وسواء عنده أكثر أصحابه أم قلوا يدافع عن الفضيلة ويرد الرذيلة .

حياته : ولد المغفور له شمس الدين محمد بن إبراهيم بن على الحميدى السمالوطى من أبوين شريفين سنة (١٢٧٣) هـ فى سمالوط ـ محافظة المنيا ولم تستمر إقامته بها طويلا فسرعان ماجىء به إلى القاهرة وعمره نحو السنتين فنشأ بها وحفظ القرآن فى صغره وانتسب إلى الأزهر الشريف واشتغل بعلومه ويسرالله ـ تعالى ـ له ، أن يشرف عليه أخوه الشيخ عمر الذى عنى به فى مبدأ حياته العلمية عناية فائقة ، وكان يوصى به أكابر شيوخ عصره ، فحضر عليهم وتلقى منهم ، فجلس إلى الشيخ العلامة المحدث الشيخ سليم البشرى ، وكان بينهما نسب وصهر ، و إلى العلامة شمس الدين الأنبابى ، وعنه يروى صحيح البخارى وعلى شيخ المالكية الشيخ محمد عليش وهو شيخه فى الطريق الشاذلى بسنده إلى العلامة الأمير ، وبرع فى علوم الأزهر كما برع فى الفقه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، وانقطع لدروس الوعظ والتفسير والحديث (بالمسجد الزينبى) ، ثم نال شهادة العالمية فى أول شياخة الإمام الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر ـ رحمه الله وواصل العمل بالتدريس فى الأزهر ، وامتاز فى فنون الحديث وغيرها ، فانتخب عضوا بهيئة كبار العلماء .

واشتغل فى آخر أمره بتدريس الحديث والتفسير فى (المشهد الحسينى) وكان شديد الذكاء ، حديد الطبع ، ورث الحدة والغيرة على

←

من أعلام الأزهر

الدين عن شيخه الشيخ عليش ، وكان قوى العارضة ، حاضر البديهة ، معتزلا ذوى النفوذ وأرباب المناصب ، يخالط الناس فينفعهم ويغشى مجالسهم ليهذبهم ، لايحب إلا فى الله ولايبغض إلا فى الله .

وله تعاليق وحواش على كثير من الكتب التى قرأها وكان كثير السهر للمطالعة والمراجعة والتحصيل والكتابة ، وكثيرا ماكان يغلبه النوم فينام حيث هو دون أن ينتقل إلى مخدعه .

وكان يمارس النظم قليلا وله منظومة لطيفة فى ختم صحيح البخارى .

ومن عادة درسه فى ختم كتب الحديث أن يحتفل المشتغلون بالسماع عليه بيوم الختام احتفالا مهيبا يكثر فيه الزحام وَيَعْبَقُ فيه مسك الختام ، ويحضره القراء والعلماء والخطباء والشعراء يتبارون فى خطبهم وأشعارهم مدحا وتقديراً .

كان طوال حياته ـ عليه الرحمة ـ مصدر خير وبركة وفيض ، لم ينقطع عن الدرس والإفادة والاستفادة إلى أن حبسه مرضه الأخير بضعة أشهر بمنزله فاحتجب عن طلابه ومريديه وأصحابه وعارفيه إلى أن توفى بمنزله فى جزيرة الروضة عشاء ليلة السبت الساعة الثامنة فى الخامس من صفر ١٣٥٣ هـ الموافق ١٨ مايو ١٩٣٤ م واحتفل بتشييع جنازته من الروضة إلى المسجد الزينبى ، حيث صلى عليه هناك ثم إلى المشهد الحسينى حيث صلى عليه فيه أيضا ثم إلى الجامع الأزهر الشريف حيث حضر للصلاة عليه وتشييعه إلى مقره الأخير جموع حاشدة ضاقت بها رحبات الأزهر وجنباته ، ودفن (بالقرافة الصغرى) تجاه مدفن الشيخ محمد أبى الفضل الجيزاوى شيخ الجامع الأزهر ـ رحمه الله ـ بجوار ضريح سيدى (عمر بن الفارض) رضى الله عنه .

وقد استجازه من أهل المغرب جماعة منهم السيد عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسى قاضى (حدكورت) وقته ، وله تلاميذه الكثيرون من بعده ، رحمه الله رحمة واسعة ، ومن رثائه : قال الأستاذ سليمان الوكيل :

أتودع طيات الثرى يامحمد
وكم كنت تبنى للعلا وتشيد
فطب يافقيد العلم نفسا فإن فى
مآثركم عمراً لكم يتجدد

وقال الأستاذ أحمد محمد سالمان :

إن خطب الإسلام فيك جسيم
أيها العالم الهمام العظيم
نعم أجر المجاهدين جنود الـ
ـعلم رضوان ربهم والنعيم(١)

تصويب

وقع بعدد ربيع الأول ص ٢٧٥ فصل بين كلمتى (عدى وقرى) والصحيح أنهما معاً لتسمية واحدة ..

---

(١) انظر مجلة « الإسلام » عدد الجمعة ١٢ من صفر ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤/٥/٢٥ م و « نور الإسلام » المجلد الأول الخامس من المحرم وصفر ١٣٥٣ هـ مجلة الأزهر حاليا .

العلوم الكونية

حرارة الجو إلى أين ؟

إريتريا ومشاكلها

حرارة الجو إلى أين؟

٣

أ . د . أحمد فؤاد باشا

● حرارة الجوّ وتأثير « البيت الزجاجي »:

سبق أن علمنا[1] أن جوّ الأرض ، وخاصة في الطبقات المنخفضة ، لا يكتسب حرارته من الإشعاع الشمسي الذي يمر خلاله مباشرة ، لكنه يكتسبها بصورة رئيسية عن طريق الحرارة التي تنتقل إليه من سطح الأرض عندما يسخن ، وأيضاً عن طريق بخار الماء الذي يتصاعد من الأسطح المائية ويتكاثف في طبقة « التروبوسفير » المهيأة لإثارة معظم أنواع السحب . وينبغي الإشارة إلى أن معدل اكتساب أو فقد الأرض للحرارة يكون أعلى في حالة اليابسة منه في حالة الماء . ذلك لأن عملية الخلط الرأسي للمياه ، ناهيك عن شفافيتها ، تعمل على توزيع الحرارة الممتصة وانتشارها إلى أعماق أكبر مما يحدث في سطح اليابسة .

ويعتمد التفسير العلمي لحالة الاتـزان الحراري في الجو بالقرب من سطح الأرض على نظرية هامة تعـرف باسم « تـأثير البيت الزجاجي » أو « الصوبة » Greenhouse effect —

فمن المعلوم أن امتصاص الأشعة الحرارية في وسط مادي يعتمد على درجة سماحه لها بالنفاذ خلاله . ويعتبر الهواء وسطاً شفافاً للأشعة الحرارية إذا ما قورن مثلا بالخشب الذي يعتبر معتماً بالنسبة للأشعة الضوئية . أما الزجاج ، الذي تنسب إليه ظاهرة « الصوبة » التي نحن بصدد الحديث عنها ، فإنه يسمح بنفاذ الأشعة الحرارية الصادرة من جسم مضيء ذي درجة حرارة عالية مثل الشمس أو المصابيح الكهربية ، بينما لا يسمح بنفاذ الأشعة الحرارية الصادرة من الأجسام العادية عند ارتفاع درجة حرارتها ، ويعكسها . فالزجاج شفاف تماماً لإشعاع الضوء العادي وتخترقه موجات الإشعاع الشمسي القصيرة دون صعوبة ، بخلاف الحال بالنسبة للموجات الحرارية الأكثر طولاً فهي لا تستطيع اختراقه . وليست هذه الحقيقة العلمية مثيرة للعجب ، فجلد جسم الإنسان ـ على سبيل المثال ـ شفاف إلى حدٍّ ما بالنسبة لأشعة « إكس » ذات الموجات القصيرة جداً والتي تستخدم لتصوير العظام داخل جسم الإنسان ، ولكنه يحجب موجات الضوء المرئي الأكبر طولاً .

(١) راجع الجزءين الأول والثاني من هذا المقال في العددين السابقين من مجلة الأزهر .

وتستخدم هذه الخاصية للزجاج في الاستفادة من الطاقة الشمسية بإنشاء بيوت زجاجية للتدفئة في وقت الشتاء ، أو بتجهيز « صوبات » زجاجية لتربية النباتات وحفظها في درجة حرارة مناسبة ، حيث يكون الزجاج بمثابة عازل لكمية الحرارة المكتسبة ويحتفظ البيت الزجاجي بداخله بمعظم الطاقة الحرارية التي تصل إليه من الشمس .

ويعتقد العلماء أن جو الأرض يعمل بطريقة مشابهة تماماً لتأثير البيت الزجاجي . فقد أثبتت التجارب والدراسات أن غاز ثاني أكسيد الكربون يمكن أن يكون له هذا التأثير ، ورغم وجود هذا الغاز بنسبة ضئيلة في الهواء يبلغ متوسطها ٠٣, ٪ ، أي ثلاثة أجزاء في كل عشرة آلاف جزء من الهواء ، إلا أن كميته الكلية في الجو تعتبر هائلة ، وبذلك تكون له قدرة فائقة على الاحتفاظ بالأشعة الحرارية دون الحمراء الصادرة من مواد سطح الأرض ومنعها من التسرب إلى الفضاء . ومادامت أشعة الشمس تنفذ باستمرار إلى سطح الأرض ، فإن درجة حرارته تأخذ في الارتفاع حتى يكون مقدار ما يفقده سطح الأرض من الحرارة إلى الفضاء عن طريق الإشعاع معادلاً ذلك الذي يمتصه من أشعة الشمس . عندئذ تحدث حالة الاتزان الحراري ويعمل غاز ثاني أكسيد الكربون على حفظ كمية الحرارة المكتسبة في جو الأرض وتثبيت درجة الحرارة حول معدلها المناسب بالقرب من سطح الكوكب .

ويعزز هذه النظرية تلك البيانات التي أرسلتها حديثاً مركبات الأبحاث الفضائية عن كوكب عطارد الذي لا جوّ له ، وكوكب الزهرة الذي يحتوي غلافه الجوي على ما يقرب من حوالي ٩٠ ٪ من غاز ثاني أكسيد الكربون . فقد وجد أن أعلى متوسط لدرجة حرارة وجه عطارد المواجه للشمس يبلغ ٣٤٣°م ، أما درجة حرارة كوكب الزهرة فتبلغ ٣٧١°م بالرغم من أنها تبعد عن الشمس بحوالي ضِعْف بُعْد كوكب عطارد عنها .

من ناحية أخرى يتميز بخار الماء بأن له أيضاً « تأثير البيت الزجاجي » كما هي الحال بالنسبة لثاني أكسيد الكربون ، ولكن بنسبة أقل إلا أن تأثيره الشامل في جو الأرض له أهميته نظراً لتوافر كميات أكبر منه في الهواء . ونحن نلاحظ هذا التأثير عندما نشعر بدفء الجو في الأيام التي يزداد فيها تكون السحب شتاء ، لأن قطرات الماء المكونة لهذه السحب تعمل على السماح لأشعة الشمس بالنفاذ خلالها إلى سطح الأرض ، وينجم عن ذلك ارتفاع في درجة الحرارة يسبب الإحساس بالدفء ، كما يمكن ملاحظة تأثير « الصوبة » أو « البيت الزجاجي » لبخار الماء في المناطق ذات الرطوبة العالية عندما لا يسجل مقياس درجة الحرارة (الترمومتر) فروقاً كبيرة بين الليل والنهار .

ولعلنا الآن نستطيع إدراك بعض الحكمة من وجود مكونات الهواء الجوي بنسب ثابتة أو متغيرة في حدود لا تتعداها . ومن الطريف أن أحد العلماء قد تصور أثر زوال ثاني أكسيد الكربون فقط من الجو ، فوجد أنه بالنسبة لدرجة الحرارة سوف تنخفض بمقدار يبلغ ٣٨°م ويصحب هذا انخفاض آخر في كمية الرطوبة التي بالهواء ينجم عنه هبوط إضافي مقداره يبلغ ٣٦°م بالنسبة لمتوسط درجة حرارة الأرض . وبذلك يصبح مجموع النقص الكلي ٧٤°م ، وفيه ما يكفي لوضع سطح الأرض بكامله تحت درجة تجمد الماء بكثير . وباستطاعتنا أن نتخيل الحال ، من ناحية أخرى ، عند عكس هذا التصوّر ، فالغلاف الجوي بمكوناته وطبقاته يعتبر صمام الأمان الذي يتحكم في حرارة الأرض ويحمي أسباب الحياة عليها .

حرارة الجو إلى أين ؟

حرارة الجوّ وتغيرات المناخ الأرضي :

لا شك أن المناخ الأرضي تركيب معقد تحكمه قوى عديدة ومختلفة ومحاولة التعرف على طبيعة التفاعل بين هذه القوى ليست بالأمر اليسير . فما الغلاف الجوي والغلاف المائي والغلاف الحيوي[٢] إلا أجزاء محدودة من هذا التركيب المعجز ، وما نلاحظه فيها من تغيرات حتى الآن قد يكون ناجماً عن أحداث لم نفهمها بعد . لهذا يدور جدل مثير بين العلماء حول أسباب التغيرات الدورية أو الطارئة التي تحدث في مناخ الأرض . ويصل الخلاف في بعض الأحيان إلى حد التعارض بين النظريات المحلّلة لطبيعة تلك التغيرات . وبالنسبة لحرارة الجو واحتمالات ارتفاعها أو انخفاضها في المستقبل القريب أو البعيد فالنظريات المطروحة حتى الآن لا تتعدى أن تكون مجرد توقعات علمية ، يؤمل لها أن ترقى إلى مستوى أفضل بفضل الاهتمام المتزايد في مراكز الأبحاث العالمية بقضايا الطقس والمناخ[٣] . وهناك أسباب عديدة يقترحها المتخصصون لتفسير ما يلاحظونه من تغيرات مناخية في جو الأرض عموماً .

وفيما يتعلق باحتمالات ارتفاع حرارة الجو أو انخفاضها فإننا سنعرض لأهم أسبابها بإيجاز وتبسيط فيمايلي :

(١) تأثير النشاط البشري :

ويقصد به كل ما تسفر عنه نتائج تلك الثورة الصناعية الهائلة التي حققها الإنسان نتيجة ما أحرزه من تقدم علمي و « تقني » في مختلف مجالات الحياة . فهناك كميات هائلة من الطاقة الحرارية التي تنطلق إلى الجو مباشرة من المصانع ، ومحطات توليد الكهرباء التقليدية والنووية ، وحرائق الغاز الطبيعي في مناطق البترول ومصافي تكريره ، والمراجل المتنوعة ، ومراكز تحلية المياه ، وأماكن التفجير النووي ، ووسائل النقل ومختلف أجهزة الاحتراق الداخلي والخارجي ، وغيرها من الآلات الحرارية والنووية . وهذا كله من شأنه أن يسهم بطريقة مباشرة ، ولو بقدر ضئيل ، في رفع درجة حرارة كل من الغلافين الهوائي والمائي للأرض بصورة ضارة تعرف اليوم بظاهرة « التلوث الحراري » لبيئات الأرض .

من ناحية أخرى ، يؤدي التزايد المستمر في حرق كميات هائلة من الوقود الأحفوري (الفحم والنفط والغازات الطبيعية) إلى تزايد مطّرد في نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو ، حيث بلغت التغيرات في تركيزه خلال الثلاثين عاماً الماضية من ٠,٠٣١٥ ٪ في عام ١٩٥٨ إلى ٠,٠٣٥١٪ في عام ١٩٨٨ م. ويتوقع علماء المناخ أن يصل إلى ٠,٠٦ ٪ ، أي ضعف النسبة الطبيعية تقريباً ، خلال القرن المقبل إذا أخذنا بعين الاعتبار معدلات التزايد المطرد في استخدامات الوقود . وينتج عن هذا التزايد في تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون أخطار عديدة منها زيادة « تأثير البيت الزجاجي » التي تؤدي إلى ارتفاع مستمر في درجة حرارة الغلاف الجوي . ويبدو أن دراسات المناخيين قد كشفت

(٢) الغلاف الحيوي مصطلح علمي يقصد به عالم الكائنات الحية فوق سطح الأرض .

(٣) الطقس ليس هو المناخ . إذ يتضمن الطقس الأحوال اليومية ، وما إذا كان الجو بارداً أم حاراً ، عاصفاً أم مستقراً ، ممطراً أم جافاً . أما المناخ فهو ما يميز الطقس المميز لمكان ما في فترة زمنية طويلة ، مثل المناخ الاستوائي ومناخ البحر الأبيض المتوسط . انظر : الموسوعة المصورة للشباب ، ترجمة د. محمد أمين سليمان ود. أحمد فؤاد باشا ، ص ٢٨ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٦ .

بداية مثل هذا الاتجاه عندما لاحظوا زيادة حوالي نصف درجة مئوية في المتوسط الحراري للكون منذ بداية هذا القرن ، وهذا في الحدود المتوقعة بالنسبة لزيادة تأثير « الصوبة ». لكن التأكد من وضوح هذا الأثر يتطلب فترة أطول من الزمن نظراً للارتفاع الهائل في قدرة المحيطات على امتصاص الحرارة بما يعادل ٤٠ ضعفاً لقدرة الغلاف الجوي كله على الامتصاص .

ويحذر علماء البيئة والمناخ المشايعون لهذا التفسير مما يترتب على ارتفاع حرارة الجو من انصهار تدريجي للجليد المتجمع فوق القطبين وعلى القمم الجبلية المرتفعة ، وما يسفر عنه من ارتفاع في منسوب مياه البحار . والمحيطات وغمْر لمراكز الحضارة المنتشرة في السهول الساحلية والمنخفضة(٤).

ومن الجدير بالذكر أن الدراسات الحديثة قد كشفت عن غازات أخرى لها تأثير « الصوبة » مثل غاز « الميثان » الذي ينطلق من حقول الأرز ومناجم الفحم وأنابيب الغاز الطبيعي ومن حرق النباتات عند تنظيف الأراضي لزراعتها مجدَّداً .

(ب) تغيرات النشاط الشمسي :

ويأتي في مقدمتها ظاهرة البقع الشمسية التي أثبتت الدراسات الحديثة أثرها المباشر على تحولات الطقس والمناخ في الكرة الأرضية . وكل ما يعرف من أسباب ظاهرة البقع الشمسية Sun spots حتى اليوم هو أنها عبارة عن « نافورات » من غازات ملتهبة تندلع من الشمس وتمتد لمسافات كبيرة في الفضاء مكوّنة أعاصير جبارة يبلغ قطر الواحد منها حوالي خمسين ألف كيلومتر . وقد تمكن الفلكيون من رصد الاندلاعات المختلفة التي تحدث على سطح الشمس وفي جوّها ، وذلك بواسطة أجهزة خاصة مزوّدة بمرشحات ضوئية معينة تحجز جميع أطوال الموجات الضوئية المنبعثة من الشمس إلا مجموعة معينة ، وهو ما يعرف بطريقة التصوير الطيفي للشمس . وبتحميض هذه الصور ظهرت مناطق براقة أكثر التماعاً من المناطق المحيطة بها ، وأمكن التعرف على مناطق البقع المعتمة نسبياً والتي تبدو كأنها ثقوب داكنة غير منتظمة التوزيع على سطح الشمس ، وحقيقتها أنها « بقع » لا ينال فيها سطح الشمس معدّله الطبيعي من فيضان الطاقة خلال فترة معينة ، قد تكون أياماً أو عدة أسابيع .

وقد أظهرت سجلات النشاط الشمسى منذ حوالي عام ١٧٠٠ م ، مُقاساً عادة بحساب عدد البقع الشمسية المرئية على سطح الشمس ، وجود دورة للتغيرات مداها ١١ سنة تقريباً ، ولم يعرف حتى الآن التفسير العلمي لذلك . كما كشفت أخيراً سجلات تعود إلى ٩٠٠٠ سنة خلت ، وجود تغيرات بإيقاع يصل إلى ٢٣٠٠ سنة ، وأخرى بإيقاع يقل عن ١٠٠٠ سنة إلى جانب الدورات الأقصر التي تستمر ما بين ٨٠ و ٩٠ سنة والدورات التي تدوم ١١ سنة . ومن الطبيعي أن يستدل المرء على وجود علاقة وثيقة بين التغيرات المشاهدة في نشاط جو الأرض

←

(٤) انظر : د. زغلول راغب النجار ، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر ، ص ١٠١ وما بعدها ، كتاب الأمة ، اكتوبر ١٩٨٨ م.

ولحسن الحظ فإن علماء الجليد يعتقدون أن هذا الخطر مازال يكمن في المستقبل البعيد ، لكن الحذر يقضي باستمرارنا فى مراقبة تطور الأمور .فقد جاء في مؤتمر عقده برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة في مدينة « سبليت » اليوغوسلافية في مطلع اكتوبر عام ١٩٨٨ ان العلماء يتوقعون لمستوى البحر الأبيض المتوسط أن يرتفع بسبب تزايد سخونة الجو بما يتراوح بين ١٣ و ٥٥ سنتيمتراً قبل حلول عام ٢٠٢٥ م، وأن يرتفع بحدود مترين خلال قرن من الزمن . ومن ثم فإن هناك ثلاث مدن مشرفة على البحر المتوسط ستكون ـ اكثر من غيرها ـ مهددة بالغرق تقريباً ، وهي مدن الاسكندرية المصرية والبندقية الإيطالية وسبليت اليوغوسلافية (عن مجلة آفاق علمية ، ع ١٧ ، ص ٤٨ ، يناير ١٩٨٩).

حرارة الجو إلى أين؟

وبين ظهور البقع الشمسية . ذلك لأن تتابع حدوث النهايات العظمى والنهايات الصغرى في عدد البقع الشمسية يؤثر على قيمة الثبات الشمسي من آن لآخر ، ومن ثم يحدث تغير واضح في المناخ .

ويعتقد فريق من العلماء الذين لم يسلّموا بصحة ظاهرة « الصوبة » أن حرارة الجو تقل تبعاً لعودة البقع الشمسية للظهور . وأوضحت دراساتهم على حركة الرياح عند خط الاستواء أن بقع الشمس تكثر في السنوات التي تهب فيها هذه الرياح من الشرق إلى الغرب ، وترتفع حرارة الجو ، بينما تقل البقع في سنوات هبوب الرياح من الغرب إلى الشرق ، وتنخفض حرارة الجو .

(جـ) العصر الجليدي القادم :

فمن المعلوم أن الأرض قد شهدت خلال المليون سنة الماضية عدة عصور جليدية لم يُعرف لحدوثها سبب قاطع حتى الآن . فهناك من كان يعزى سببها إلى انقطاع الإشعاع الشمسي عن مدّ الأرض بالحرارة فترة من الزمن بفعل سحابة من التراب الكوني أحاطت بالمجموعة الشمسية ، أو بفعل سحابة من غبار بركاني أحاطت بالأرض في زمن البراكين العنيفة . وهناك من يعتقد أن ظاهرة الغمر الجليدي للأرض مرتبطة بدورات النشاط الشمسي ، أو أنها تحدث نتيجة تغيرات دورية طفيفة في ميل محور الأرض وفي هندسة مدارها حول الشمس . وأيا ما كان الأمر ، فثمة علامات تشير إلى أن هذا العصر الجليدي الكبير لم يأت إلى نهايته بعد ، ويحتمل أن تأتي فترة إضافية من البرد القارس قبل أن تعود حرارة الأرض إلى حالتها العادية .

لكن التساؤل حول احتمالات ارتفاع حرارة الجو أو انخفاضها لا يزال مطروحاً بإلحاح في ساحة البحث العلمي المكثف ، وأغلب الظن أنه سيظل لفترة طويلة في انتظار إجابات شافية . فصدق الله العظيم حيث يقول في محكم التنزيل : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٥).

إدارة الرسول للصراع . بقية

الإسلام « دين قوة أيضا » ليدافع بها عن نفسه ويرغم اعداءه على أن « يلزموا حدودهم » .

● إنه لا يفوت الباحث المدقق أن ذكر الجنوح للسلم ورد « بعد » الأمر بإعداد القوة والمرابطة فى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال ٦٠ ـ ٦١) فيفهم من ذلك مايلى :

(١) لا جنوح للسلم مع ضعف أو قلة ، أى لابد من استمرار وجود « القوة الرادعة » .

(٢) ولا جنوح للسلم مع تهاون أو غفلة ، أى لابد من استمرار وجود « الرباط » .

أى إن الجنوح للسلم فى الإسلام يكون مع قوة المسلمين الرادعة ومع يقظتهم التامة ، وان السلام الذى يدعو إليه الإسلام : سلام تحميه القوة والاستعداد ، لأنهما أقوى ضمان لتحقيق السلام بمعناه ، ولكى يتوافر له محتواه .

---

(٥) سورة الإسراء : ٨٥ .

قضية إريتريا

٢

للأستاذ: ماهر زكريا الشيمى

المراحل التاريخية

تسمية إريتريا : اطلق اليونانيون فى القرن الثالث قبل الميلاد تسمية « تريكون سينوس إريتريوم Trichone Sinus Erythraeum[1] على البحار الواقعة حول الجزيرة العربية وهى تعنى (البحر الأحمر) . وفسروا هذه التسمية بسبب كثرة الطحالب التى كانت تطفو على سطح مياه هذه البحار ، وكان يشاهدها البحارة اليونانيون تعكس على صفحة الماء لونا احمر ، كذلك اطلق الرومان اسم (إريتريوم) على البحر الأحمر وسواحله التى سيطروا عليها . وعندما احتل الإيطاليون أجزاء من الساحل الغربى للبحر الأحمر أطلقوا عليها اسم (إريتريا) تجديدا للتسمية الرومانية القديمة .

المجموعات الكوشية : ويعتقد بعض المؤرخين أن أول من سكن السواحل الإريترية هو العنصر المعروف باسم (كوش) نسبة إلى كوش بن حام ابن نوح ، ويرجحون أن يكون هؤلاء هم أيضا الأصول الأولى لقدماء المصريين ، وأنهم اتخذوا سواحل البحر الأحمر التى انتقلوا إليها من جنوب الجزيرة العربية قبل أكثر من عشرة آلاف سنة مَعْبراً لهم حتى وصلوا فى انتشارهم إلى وادى النيل واستقروا هناك . على أن أعدادا منهم استقرت فى المنطقة الساحلية عرفت بسواد البشرة مع ملامح غير زنجية ربما لاختلاطهم بأقوام أخرى من أصول أفريقية وبخاصة أن المؤرخين يذكرون انتقال بعض المجموعات البشرية من أعالى النيل ـ وهى المجموعات التى عرفت بالشعوب النيلية ـ إلى سهول (بركة) و (القاش) وأقامت فى غرب إريتريا حضارة زراعية ، واستقرت هناك حتى أجلتها موجات البجة الحامية النازحة منذ نحو الفى سنة من موطنها فى السهول والأودية لتتوغل فى هضبة (بارنتو) بحثا عن مأمن . وتنسب قبيلتا (الباريا) و (البازا) إلى هذه الأصول القديمة للشعوب النيلية .

وقد ظلت معظم المجموعات الكوشية فى سواحل إريتريا ومرتفعاتها تعتمد على الرعى والصيد حتى امتزجت بالنازحين الجدد من جنوب الجزيرة العربية الذين نقلوا منذ القرن

←

(١) تاريخ إريتريا ـ عثمان صالح سبى .

الخامس ق . م حضارتهم الزراعية وأقاموا ممالك مستقرة فى (اكلى قوزاى) وغيرها ، ويستدل من كتابات الفراعنة على وجود بعض الجاليات الزراعية والتجارية فى السواحل الإريترية فتشير كتابات (تحتمس الثالث) إلى أماكن فى سواحل البحر الأحمر تطلق عليها أسماء (أوتوليت Outoulit) و (حماسو Hamasu) و (تكارو Tekaro) التى يحتمل أن تكون أصول التسميات الحالية لـ (عدوليس) و (حماسين) و (تجرى)(٢)

العرب القدامى : ونقل النازحون من جنوب الجزيرة العربية حضارتهم ودماءهم إلى المنطقة عبر هجرات متواصلة بدأت منذ ثلاثة آلاف سنة حتى مشارف القرن العشرين . كما تلتهم فى العصور الوسطى هجرات لقبائل (البجة) الحامية نازحة من جنوب مصر وشرق السودان . وهكذا فإن سكان إريتريا هم ورثة الدماء المختلطة للشعوب (الحامية ـ السامية) ويظهر ذلك جليا فى عادات السكان ولهجاتهم المختلفة .

المصريون القدماء : وكان (المصريون القدماء) هم أول من خاض مياه البحر الأحمر للوصول إلى سواحل إريتريا والصومال وجنوب الجزيرة العربية للحصول على البخور والعطور وأنواع خاصة من الأخشاب ، وكلها كانت لازمة للمعابد والطقوس الدينية . فاتخذوا البحر الأحمر طريقا للوصول إلى تلك البلاد ، ويذكر التاريخ أن (ساحورع) من ملوك الأسرة الخامسة قد أنشأ مواصلات بحرية مع بلاد (بنت) وجلب منها المر والذهب والفضة . وكانت هذه البلاد على امتداد الساحل الإريترى .

الفينيقيون : وفى أواخر العصر الفرعونى كان الفينيقيون فى مقدمة من نزل حلبة التنافس على طرق التجارة فى البحر الأحمر حيث أرسل (حيرام) ملك صور سفنه إلى سواحل إريتريا لتأتى له بالذهب .

البطالمة : وقد تصارع البطالمة (خلفاء الاسكندر الأكبر فى مصر) مع التجار العرب للسيطرة على تجارة شرق أفريقيا والهند فبذلوا جهودهم ومحاولاتهم الدءوب لتوجيه التجارة من الموانىء العربية فى اليمن والحجاز وتحويلها إلى سواحل إريتريا ثم مصر . وكان بطليموس الثالث (٢٢٧ ـ ٢٢١ ق . م) قد أنشأ ميناء (عدوليس) على ساحل إريتريا (على بعد ٦٠ كم جنوب مصوع) .

الرومان : وفى القرن الأول ق . م قضى (الرومان) على حكم (البطالمة) فى مصر وورثوا اليونانيين وحلوا محلهم فى البحر الأحمر فاستولوا على ميناء (عدن) وميناء (عدوليس) فى إريتريا ووضعوا فى كل منهما حامية عسكرية ، كما وضعوا سفنا تحمل الرماة لمقاومة القراصنة الذين كانوا يتحرشون بالسفن الرومانية .

الفرس : وفى عام ٥٧٥ ميلادية تمكن الفرس بقيادة (وهزر) من غزو اليمن وسواحل البحر الأحمر وأخضعوا (عدوليس) وجزر (دهلك) لسيطرتهم وبنوا فيها الصهاريج التى لاتزال آثارها باقية . كما تحكموا فى مضايق البحر الأحمر .

العرب المسلمون : وجاء دور العرب لبسط سلطانهم على البحر الأحمر ومضايقه . إذ لم تمض خمسون عاما على حكم الفرس حتى اكتسحت الفتوحات العربية بعد ظهور الإسلام منطقة الشرق الأدنى(٣) واضعة بذلك نهاية

(٢) كلمة تجرى الآن تعنى لغة التجرى كما تعنى المتكلمين بها وتطلق أيضا على إقليم (تجراى) فى شمال أثيوبيا .

(٣) الإطلاق المستعمل حاليا على المنطقة ونعنى به (الشرق الأوسط) هو نتيجة اتخاذ المنطقة مركز تموين لقوات الحلفاء فى الشرق الأوسط حيث باكستان والغرب منها فأما منطقتنا هذه فهى منطقة الشرق الأدنى .

الامبراطورية الفارسية . كما انتزعت من الرومان ممتلكاتهم ابتداء من بلاد الشام والرافدين[٤] ثم مرورا بمصرحتى شمال أفريقيا وهكذا سيطر العرب المسلمون على المداخل الجنوبية والشمالية للبحر الأحمر وعلى أهم مواقع التجارة فى العالم القديم .

أما الساحل الأفريقي للبحر الأحمر فترجع صلة العرب به إلى بداية ظهور الإسلام . وذلك عندما أشار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن تعرضوا لأذى قريش ، فخرج من مكة المكرمة أحد عشر رجلا وقيل اثنا عشر ، أربعة منهم متزوجون ومعهم نساؤهم وعلى رأسهم الخليفة عثمان بن عفان وزوجته أم كلثوم بنت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث حملتهم سفينتان للتجار ، ورستا بهم في بلدة (معدر) على الساحل الإريترى جنوب (عدوليس) ثم ساروا إلى الحبشة حيث أكرم النجاشي وفادتهم . ثم تتابع بعد ذلك المهاجرون المسلمون الفارون بدينهم .

وعندما زاد النشاط التخريبى للقراصنة فى البحر الأحمر منطلقين من ميناء (عدوليس) و (جزر دهلك) التى جعلوا منها مأوى لهم ولسفنهم حتى أنهم شنوا غارة على جدة عام ٨٤ هـ (٧٠٢ م) وهددوا بتدمير مكة المكرمة ، لم يكن بوسع الخلفاء الأمويين إلا أن يجردوا حملة بحرية قضت على القراصنة واحتلت (جزر دهلك) و (الساحل الإريترى) وكان احتلال العرب المسلمين لهذا المركز الممتاز بداية لاستيلائهم على بقية المراكز البحرية على الساحل الشرقى لأفريقيا ، وعلى الانتشار التدريجى للإسلام فى مناطق شرق أفريقيا .

وقد انصهر العنصر العربى المهاجر مع السكان البجة وغيرهم ، وبرغم احتفاظ القبائل الإريترية بلهجاتها السامية والحامية والكوشية (تجري ـ تجرينا ـ دنكلية .. إلخ) إلا أنها ظلت تدعى انتسابها إلى أصول أولئك العرب النازحين فقبائل (البنى عامر) والبلو تدعى نسبها إلى بنى العباس . كما تنتسب قبائل (الساهو) فى الشرق إلى على بن أبى طالب . وتدعى قبائل (الباريا) فى المرتفعات الإريترية الانتساب إلى الأمويين . ويقول (سبنسر ترمنجهام)[٥] فى كتابه (الإسلام فى أثيوبيا) « إن إقامة تاجر أو عالم دينى عربى وسط قبيلة ما وانتشار الإسلام بينها بواسطته ، كان يجعل القبيلة تنتسب مع مرور الزمن إلى هذا العربى النازح » .

على أن انتشار الإسلام لم ينحصر فى السواحل الإريترية بل امتد عبر إريتريا إلى داخل الحبشة حتى تكونت سبع ممالك إسلامية عربية عرفت ببلاد الطراز الإسلامى[٦] .

ويقول ترمنجهام فى كتابه : (الإسلام فى أثيوبيا) « إن اعتناق هؤلاء للإسلام كان يشعرهم بالانتماء إلى أخوة عالمية دون أن يكلفهم ذلك الانسلاخ عن بيئتهم وعاداتهم التى كان دعاة الإسلام يتسامحون إزاءها » .

الأحباش : غير أن الكراهية والمرارة التى حملها الأحباش لجيرانهم من ممالك الطراز الإسلامى وممالك الساحل الإريترى والصومالى من (زيلع) حتى (سواكن) ، جعلتهم يدخلون ←

---

(٤) العراق .

(٥) «Islam in Ethiopia» – Spencer Termingham ·

(٦) هذه الممالك السبع هى : ايفات ، داورة ، أرابينى ، هدية ، شرخة ، بالى ، دارة . وقد امتدت من (زيلع) فى الصومال على خليج عدن إلى قلب هضبة (شوا) بالحبشة . وجاء تفصيل ذكرها فى كتاب (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمرى ، وكتاب (الإلمام بمن فى الحبشة من ملوك الإسلام) للمقريزى .

معهم فى سلسلة من الحروب الدينية ، وفى هذا يقول البصيلى فى مؤلفه[٧] : « إن هذه الكراهية كانت بسبب سيطرة المسلمين على التجارة فى داخل الحبشة وخارجها ، ولأنهم كانوا أيضا يسيطرون على الموانىء وعلى طرق القوافل » .

تمع أشد هذه الحروب ضراوة فى عام ١٤٢٠ م عندما أغارت جحافل الملك اسحق بن داود ملك الأمهرا على السواحل الإريترية.

ووصلت إلى ذروتها بتدخل البرتغال والأتراك .

البرتغال وتركيا : كانت البرتغال وتركيا فى ذلك الوقت القوتين البحريتين الأعظم ، وكانتا تطمعان فى السيطرة على طرق التجارة فى البحر الأحمر وبسط نفوذهما على سواحله . فعزم السلطان سليم الأول بعد أن استولى على مصر فى عام ١٥١٧ م على أن ينازل البرتغاليين الذين كانوا قد سيطروا على معظم موانىء الساحل الأفريقى : (سواكن) ، (مصوع) ، (زيلع) وأن يحقق أحلامه فى احتكار تجارة الشرق بعد أن وصلت فتوحاته إلى اليمن واحتلاله (عدن) فى عام ١٥٣٨ م وتمكن من إنزال الهزيمة بالأسطول البرتغالى فى موقع بين (مصوع) و (سواكن) واستولى عليهما فى عام ١٥٥٧ م ، وطرد البرتغاليين من المنطقة نهائيا ، وحلت السيادة العثمانية على طول سواحل البحر الأحمر . وكان مفهوم سكان هذه الجهات بالنسبة للدولة العثمانية أنها دولة تمثل كل المسلمين ، فلم يشعروا إزاءها بأى عداء أو أنها دولة محتلة .

مصر وإريتريا فى القرن التاسع عشر : فى يولية ١٨٢٠ م أصبح لمصر نوع من السيادة على ساحل البحر الأحمر . وكذلك استطاع الخديوى اسماعيل بمساعيه الطويلة لدى الباب العالى استصدار ثلاثة (فرمانات) عام ١٨٦٥ م حصلت مصر بمقتضاها على ميناء (مصوع) وميناء (سواكن) و (قائمقامتى مصوع وسواكن) وملحقاتهما . وفى مارس ١٨٦٦ ابتاعت الحكومة المصرية من شركة (إخوان باشترى) حقوق ملكية إقليم (عد) حتى يكون لها مطلق التصرف على الساحل الغربى للبحر الأحمر ، وكان هدف مصر من بسط سيطرتها على سواحل إريتريا أمنيا واقتصاديا بدرجة كبيرة ، ذلك أن حوض البحر الأحمر قد اكتسب أهمية استراتيجية دولية بعد فتح قناة السويس (١٨٦٩ م) ، فخشيت مصر أن تسبقها إلى هناك القوى الغربية الكبيرة وتطوقها من الخلف ، فضلا عن طموح الخديوى إسماعيل فى بناء امبراطورية مصرية ، ورغبته فى الحصول على الذهب الذى كان يسمع عن وفرته فى هذه البلاد لمواجهة أزمة مصر الاقتصادية فى ذلك الوقت . ومع ذلك فإن مصر لم تجن من هذه الفتوحات إلا الخسائر المادية الباهظة التى زادت من غرقها فى الديون . أما هذه البلاد التى دخلت تحت الإدارة المصرية فقد استفادت كثيرا فى المجالات التعليمية والعمرانية ، والاقتصادية والزراعية .

إيطاليا وإريتريا : سلكت إيطاليا مسلك الانجليز والفرنسيين فى الحصول على المستعمرات فيما وراء البحار . فتمكنت عام ١٨٦٩ من ابتياع (عصب) من السلطان إبراهيم باشا . وكانت تأمل بعد افتتاح قناة السويس للملاحة عام ١٨٦٩ م أن تؤسس محطة تجارية على ساحل خليج (عصب) . وتمكنت فى عام ١٨٨٥ من الاستيلاء على (مصوع) وأجزاء من الساحل الإريترى ، ولم تأبه بالاحتجاج المصرى على هذه التعديات .

وفى مايو ١٨٨٧ م مدت إيطاليا نفوذها على طول الساحل الإريترى إلى (رأس قصار) شمالا على حدود السودان بالاتفاق مع بريطانيا .

(٧) تاريخ حضارات السودان الشرقى والأوسط ـ الشاطر بصيلى عبد العزيز .

وفى يونية ١٨٨٩ احتلت القوات الإيطالية مدينة (كرن) ورفعت عليها العلم الإيطالى بعد أن أنزلت العلم المصرى .

وفى أغسطس ١٨٨٩ دخلت القوات الإيطالية (أسمرا) ونقلت الإدارة الإيطالية مكاتبها من (مصوع) إلى (أسمرا) لتصبح عاصمة البلاد . وكانت الإدارة المصرية فى حالة ضعف بعد الهزائم التى منيت بها فى حروبها مع الحبشة خصوصا بعد أن سحبت مصر جيشها من كل هذه المناطق من إريتريا (حيث حل محلها الجيش الإيطالى) وذلك لمواجهة الثورة المهدية فى السودان عام ١٨٨٠ .

وفى أول يناير ١٨٩٠ أصدر ملك إيطاليا[٨] مرسوما ملكيا بتأسيس مستعمرة (إريتريا) بعد توحيد الأقاليم المختلفة على ساحل البحر الأحمر والمرتفعات التى احتلها الجيش الإيطالى بعد قمع مقاومة الشعب الإريترى ، وملأت إيطاليا سجون جزيرة (نخرة) الرطبة - الموبوءة بالأمراض - بالمعتقلين من زعماء الحركة الوطنية .

وفى ١٠ يولية ١٩٠٠ وقعت إيطاليا وأثيوبيا فى أديس أبابا معاهدة لتخطيط الحدود بين إريتريا وأثيوبيا .

وفى ١٦ إبريل ١٩٠١ تم توقيع اتفاقية بين إيطاليا وبريطانيا لتخطيط الحدود بين مستعمرة إريتريا (الإيطالية) وبين السودان (المصرى الانجليزى) . وبذلك تكون حدود مستعمرة إريتريا قد استقرت نهائيا من ناحية السودان ومن ناحية أثيوبيا .

بريطانيا وإريتريا : وبهزيمة إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية احتلت قوات الحلفاء إريتريا عام ١٩٤١ . وتولت بريطانيا إدارتها ، فعينت حاكما عسكريا لإدارة البلاد وفق أنظمة عسكرية . وأنشأت عددا من المدارس الابتدائية لتوفير الأعداد اللازمة لهذه الإدارة من صغار الموظفين واستعانت فى ذلك بمدرسين من السودان . وجعلت اللغة العربية لغة التعليم فى المناطق الإسلامية ، واللغتين الانجليزية والتجرينية فى المناطق المسيحية . وذلك وفق هدف سياسى إذ أن السياسة البريطانية كانت قد حددت سلفا مصير إريتريا ، وذلك بتقسيمها على أساس دينى ، وذلك بضم المحافظات الإسلامية الثلاث التى أطلق عليها الانجليز (المنطقة الغربية) وهى (أغردات) ، (كرن) ، (نقفة) إلى السودان (المصرى الانجليزى) ، وضم الهضبة الإريترية بما فيها (أسمرا) و (السواحل) وميناءى : (مصوع) و (عصب) إلى أثيوبيا حليفة بريطانيا فى الحرب . وظهر ذلك واضحا فى مشروع الحاكم العسكرى البريطانى ، والذى أورده فى كتابه[٩] (مختصر تاريخ إريتريا) عام ١٩٤٥ .

ولم تكن فترة الاحتلال البريطانى لإريتريا (١٩٤١ - ١٩٥٢) فترة ازدهار اقتصادى ، فقد عاشت البلاد حالة من الركود الاقتصادى بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية ، وانتشرت البطالة نتيجة تسريح أعداد كبيرة ممن كانوا مجندين فى الجيش الإيطالى . ولكن جماهير الشعب الإريتري بدأت تعود إلى استصلاح الأراضى التى هجرتها فى عهد الاحتلال الإيطالى فانتعشت الزراعة . كما ساهمت خبرة رجال الأعمال الإيطاليين المستقرين بإريتريا فى إقامة كثير من الصناعات ومعظم المزارع المتخصصة فى زراعة المحاصيل القابلة للتصدير كالموز ، وبدأ الشعب الإريترى يبنى اقتصاده وسط موجة من الإرهاب الأثيوبى .

يتبع الجزء الثالث والأخير

---

(٨) همبرت الأول .

(٩) «Short History of Eritrea» Brigader General Longrig

طرائف ومواقف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« حقيقة »

قال حكيم : ليس لثلاث حيلة : فقر يخالطه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ، ومرض يمازجه هرم .

« تعاطى فعقر »

كان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام ، رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة قد أخذ منها بعض بنيه جناحا ، فلما أعيدت عليه بالغداة قال : من هذا الذى تعاطى فعقر ؟

فقيل له : ابنك الصغير ، فقطع أرزاق بنيه من أجله ، فلما طال ذلك منهم وأضر بهم الحال جاءه أكبرهم ، وقال : يا أبانا أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فأعجبه ذلك وأمر برد أرزاقهم إليهم .

« فلنحذر »

قال إبليس ـ لعنه الله :

إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها : إذا أعجب بنفسه ، واستكثر عمله ، ونسي ذنبه .

« حسن البديهة »

دخل المأمون يوما ديوان الإنشاء ، فلقى غلاما صبيح الوجه ، مليح الطلعة ، قد وضع قلمه فوق أذنه ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الناشىء فى دولتك ، المتقلب فى نعمتك ، المؤمل فى خدمتك ، الحسن بن رجاء . فقال المأمون : بحسن البديهة تتفاضل العقول ، ارفعوا هذا فوق مقامه .

« كيف تجدك ؟ »

وقال عبد الملك بن مروان للعريان بن الهيتم كيف تجدك ؟

قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين وقال :

سلنى أنبئك بآيات الكبر
نوم العشاء وسعال بالسحر

وقلة النوم إذ الليل اعتكر
وقلة الطعم إذا الزاد حضر

وسرعة الطرف وتحميج النظر
والناس يبلون كما تبلى الشجر

« مال الخيرين »

استدعى بعض الخلفاء شعراء مصر، فصادفهم شاعر فقير بيده جرة فارغة ذاهبا بها إلى البحر ليملأها ماء فتبعهم إلى أن وصلوا إلى دار الخلافة، فبالغ الخليفة في إكرامهم والإنعام عليهم، ورأى ذلك الرجل والجرة على كتفه، ونظر إلى ثيابه الرثة، وقال: من أنت؟ وما حاجتك؟

فأنشد:

ولما رأيت القوم شدوا رحالهم
إلى بحرك الطامى أتيت بجرتى

فقال الخليفة: املأوا له الجرة ذهبا وفضة. فحسده بعض الحاضرين، وقال: هذا فقير مجنون لا يعرف قيمة هذا المال، وربما أتلفه وضيعه.

فقال الخليفة: هو ماله يفعل به ما شاء، فملئت له ذهبا وفضة وخرج إلى الباب، ففرق الجميع، وبلغ الخليفة فاستدعاه وعاتبه على ذلك، فقال:

يجود علينا الخيرون بما لهم
ونحن بمال الخيرين نجود

« دعاء »

« اللهم اجعلنى شكورا، واجعلنى صبورا، واجعلنى فى عينى صغيرا، وفى أعين الناس كبيرا ».

مشيخة علماء الاسكندرية ـ بقية

الأزهر بالأسكندرية، فضلا عن تعليم العلوم الدينية المتداولة في الأزهر على الطريقة التى تضمنها قانون الجامع الأزهر وقرارات مجلس إدارته، فيكون تعليمها مفيدا للطلاب، وخصص قسما من المبلغ المقرر له ليصرف في « جرايات » للعلماء والطلاب، وقسما منه لإسكان « المجاورين » وقسما بعنوان مرتب شهرى للعلماء على اختلافهم فى الدرجات، وقسما بعنوان معونة لبعض العلماء الفقراء غير المشتغلين حق الاشتغال، فجعل مرتب العالم الأزهرى من الأربعة الذين طلبهم منه ثمانية جنيهات فى الشهر، ومرتب العالم من الدرجة الأولى الأسكندرانية خمسة جنيهات، ومرتب العالم من الدرجة الثانية منهم أربعة جنيهات، ومرتب العالم من الدرجة الثالثة منهم ثلاثة جنيهات، ومرتب العالم من ذوى المعونة منهم جنيها واحداً ـ وهذا عدا الجرايات ـ وأرسل ترتيبه هذا مع جدول ببيان الدروس التى تلقى في العام الدراسى المقبل (الذي نحن فيه الآن) وأمكنتها ومدرسيها وأوقات تدريسها هناك إلى الأزهر، فبحث فيه مجلس الإدارة بحثا مدققا وأصدر قراره مصدقا عليه بتمامه في ٨ ذى القعدة سنة ١٣٢٢ و ١٤ يناير ١٩٠٥ ثم انتخب له العلماء الأزهريين من أفضل علمائه الذين تخرجوا منه حديثا بعد دخول العلوم الحديثة فيه، وقرر أن تبقى مرتباتهم الأزهرية معهم مضمومة إلى المرتب الأسكندرى، وسافروا إلى الثغر الأسكندري قبيل « مسامحة[٣] » عيد الأضحى، وهاهم أولاء مع شيخ العلماء هناك يد واحدة يشتغلون ليل نهار فيما يعود على العلم بالترقى والتقدم، وفيما يعود على المتعلمين بالنجاح إن شاء الله تعالى.

(٣) اى اجازة.

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

الرفق فى العبادة

لفضيلة الشيخ فكرى ياسين

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

لاجدال فى ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان له مع ربه عز وجل ـ مثاليات فى عبادته ، وكثيرا ما ألح للمسلمين بها ولم يجهد اصحابه فى العبادة حتى لا يشق عليهم ورحم الله سيدنا عبد الله بن مسعود إذ قال : « من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحى لاتؤمن عليه الفتنة . أولئك اصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا افضل هذه الأمة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا . اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على اثرهم وتمسكوا بما استطعتم من اخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » قال الأستاذ رحمه الله :

أخرج الإمام احمد بإسناده عن رجل من باهلة ، قال : « أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحاجة مرة ، فقال : من أنت ؟ قلت : أما تعرفنى ؟ قال : ومن أنت ؟ قلت : أنا الباهلى الذى أتيتك عام أول ، فقال : إنك أتيتنى وجسمك ولونك وهيئتك حسنة ، فما بلغ بك ما أرى ؟ قلت : والله ما أفطرت بعدك إلا ليلا . قال : من أمرك أن تعذب نفسك ؟ من أمرك أن تعذب نفسك ؟ ثلاث مرات ؛ صم شهر الصبر ، قلت : إنى أجد قوة ، وإنى أحب أن تزيدنى ، قال : صم يوما من الشهر ، قلت : إنى أجد قوة ، وإنى أحب أن تزيدنى ، قال : فيومين من الشهر ، قلت : إنى أجد قوة ، وإنى أحب أن تزيدنى ، قال : ثلاثة أيام من الشهر ، قال : وألح عند الرابعة ، فما كاد ، فقلت : إنى أجد قوة ، وإنى أحب أن تزيدنى ، قال : صم الحرم وأفطر » .

من هذا الحديث نعلم أن الله ـ تعالى ـ نهى عن الإثقال فى الطاعات ، والمغالاة فيها ، وأمر بالرفق واليسر فى العمل بأحكام الدين ، وحث على ألا يفعل الإنسان مافعله ذلك الرجل الباهلى ، وما كان يفعله كثير من العباد والمتنسكين الذين كانوا يحمِّلون أنفسهم من العبادة ما يضر بأجسادهم ، ويشق على نفوسهم ، فهؤلاء وإن كانوا أهل صدق وجد واجتهاد ، إلا أنه ينبغى ألا يقتدى بهم فى هذا الإفراط والتشدد ، وإنما يقتدى بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فإن خير الهدى هديه وقد كان ينهى عن التعسير ، ويأمر

بالتيسير ، ودينه الذى بعث به يسر ، وكان يقول : خير دينكم أيسره ، وكان أكثر تطوعه - صلى الله عليه وسلم - ببر القلوب وطهارتها ، وسلامتها ، وقوة تعلقها بالله ، خشية له ، ومحبة ، وإجلالا ، وتعظيما ، ورغبة فيما عنده ، وزهدا فى الدنيا .

سئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز بعد وفاته عن عمله فقالت : والله ماكان أكثر الناس صلاة ، ولا أكثرهم صياما ، ولكن والله مارأيت أحدا أخوف لله من عمر ! لقد كان يذكر الله فى فراشه ، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف ، حتى نقول : ليصبحن الناس ولا خليفة لهم . وقال بعض السلف : ما بلغ من بلغ عندنا بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن بسخاوة النفوس ، وسلامة الصدور ، والنصح للأمة .

فالنبى - صلى الله عليه وسلم - لما رأى ذلك الرجل الباهلى ، وقد نهكه الصوم ، وغير هيئته ، وأضر به فى جسده ، أمره أولا أن يقتصر على صيام شهر الصبر ، وهو شهر رمضان ، فلما طلب منه أن يزيده من الصيام ، وأن يأمره بالتطوع ، قال له : صم يوما من الشهر ، فاستزاده ، فقال له : صم يومين ، فاستزاده ، فقال له : صم ثلاثة أيام ، فلما ألح عليه عند الثالثة ، ماكاد يزيده على الثلاثة أيام من الشهر .

وكذلك فعل النبى - صلى الله عليه وسلم - مع عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ ففى صحيح مسلم عنه : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال له : صم يوما - يعنى من الشهر - ولك أجر مابقى قال : إنى أطيق أكثر من ذلك ، قال : صم يومين ، ولك أجر مابقى ، قال : إنى أطيق أكثر من ذلك ، قال : صم ثلاثة أيام ، ولك أجر مابقى .

ووجه ذلك أن الصيام يضاعف ما لايضاعف غيره من الأعمال ، ولا يعلم منتهى مضاعفته إلا الله تعالى ، وكلما قوى الإخلاص فيه ، وإخفاؤه وتنزيهه من المحرمات والمكروهات ، كثرت مضاعفته ، فلا يستبعد أن يصوم الرجل يوما من الشهر ، فيضاعف له بثواب ثلاثين يوما ، فيكتب له صيام الشهر كله ، وكذلك إذا صام يومين من الشهر ، فأما إذا صام ثلاثة أيام فالأمر ظاهر ، لأن الحسنة بعشر أمثالها ، فاليوم بعشرة أيام .

وحديث الباهلى هذا ، يدل على أن التكلف فى العبادة بما يشق على النفس ، ويتأذى به الجسم ، غير مأمور به شرعا ؛ ولذلك قال له النبى - صلى الله عليه وسلم - : من أمرك أن تعذب نفسك ؟ وأعادها عليه ثلاث مرات .

وهذا كما قاله لمن رآه يمشى فى الحج ، وقد أجهد نفسه : إن الله لغنى عن تعذيب هذا نفسه ، فمروه فليركب .

وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص ، حيث كان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويختم القرآن فى كل ليلة ، ولا ينام مع أهله ، فأمره أن يصوم ويفطر ، ويقرأ القرآن فى كل سبع ، وقال له : « إن لنفسك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، فآت كل ذى حق حقه » .

ولما بلغه أن عثمان بن مظعون أراد التبتل قال له : أترغب عن سنتى ؟ قال : لا ، ولكن سنتك أريد ، قال : فإنى أنام وأصلى ، وأصوم وأفطر ، وأنكح النساء ، فاتق الله ياعثمان ، فإن لأهلك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، فصم وأفطر ، وصل ونم .

من روائع الماضى

وعزم جماعة من الصحابة أن يتبتلوا ، فجلسوا فى البيوت ، واعتزلوا النساء ، وحرموا طيبات الطعام واللباس ، وهموا بالاختصاء ، وأجمعوا لقيام الليل ، وصيام النهار ، فنزل فيهم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَاأَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَاتَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

وقد ورد النهى عن صيام الدهر ، والتشديد فيه . وهذا كله يدل على أن أفضل صيام التطوع هو ألا يضعف البدن ، حتى يعجز عما هو أفضل منه من القيام بحقوق الله تعالى ، أو حقوق عباده اللازمة ، فإن أضعف عن شىء من ذلك مما هو أفضل منه ، كان تركه أفضل ، فالأول مثل أن يضعف صيام التطوع عن الصلاة ، أو عن الذكر ، أو عن العلم . والثانى : مثل أن يضعف عن الكسب للعيال ، أو القيام بحقوق الزوجات ، فيكون تركه أفضل .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، يتوسط فى إعطاء نفسه حقها ، ويعدل فيها غاية العدل ، فيصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويأكل مايجد من الطيبات كالحلواء والعسل ، ولحم الدجاج ، وتارة يجوع حتى يربط على بطنه الحجر . وقال : عرض علىّ ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا ، يارب ، ولكن أجوع يوما ، وأشبع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك . فاختار ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعدل الأحوال ، ليجمع بين مقامات الشكر والصبر والرضا .

وقد ورد : « اكلفوا من العمل ماتطيقون ، فوالله لايمل الله حتى تملوا » . وورد : « أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » . فمن عمل عملا يقوى عليه بدنه فى طول عمره فى قوته وضعفه ، استقام سيره ؛ ومن تحمَل ما لايطيق ، فإنه قد يحدث له مرض يمنعه من العمل بالكلية ، وقد يسأم ويضجر ، فيقطع العمل ، فيصير كالمُنْبَتِّ ، لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

وقد ندم عبد الله بن عمرو بن العاص فى آخرة أمره حين عجز عن الاستمرار على ما أخذ بنفسه من قيام الليل وصيام النهار والإفراط فى العبادة وقال : ليتنى قبلت رخصة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد كان رجل فى زمن التابعين ، يصوم ويواصل ، حتى عجز عن القيام ، وكان يصلى الفجر جالسا ، فأنكروا ذلك عليه ، حتى قال عمرو بن ميمون : لو أدرك هذا أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجموه .

وكان ابن مسعود يقل صيام التطوع ، ويقول : إنه يضعفنى عن قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أحب إلىّ .

وأحرم رجل من الكوفة ، فقدم مكة ، وقد أصابه الجهد ، فرآه عمر بن الخطاب ، وهو سيىء الهيئة ؛ فأخذ عمر بيده ، وجعل يدور به الحلق ، ويقول للناس : انظروا إلى ما يصنع هذا بنفسه ، وقد وسع الله عليه ! .

ولعل السر فى مطالبة الإسلام (بالرفق فى العبادة) والاعتدال فى أعمال التطوع واضح كل الوضوح ، فإن الله ـ تعالى ـ خلق الإنسان محتاجا إلى مايقوم به بدنه من مأكل ومشرب وملبس ، وأباح له من ذلك كله ما هو طيب حلال تقوى به النفس ، ويصح به الجسم ، ويتعاونان على طاعة الله ؛ وحرم عليه ما هو ضار خبيث ، يوجب للنفس طغيانها وقسوتها وغفلتها وأشرها وبطرها ؛ فمن أطاع نفسه فى تناول ما تشتهيه

البقية ص ٤٠٠

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

على هامش النقد

كتاب الوحوش ٢

عن الأصمعي (رحمه الله)

تحقيق الأستاذ
أيمن محمد ميدان

(مُكَدَّحٍ من ضرخها بالأرجل) يحدو بحقب واسقات ذُبَّل[١]

وقال الشماخ : — الطويل —

كأني كسوت الرحل أحقب سهوقا أطاع له من رامتين حديق [٢]

ويقال للحمير بنات صعدة ، (والصلصال)[٣] والمصلصل الكثير النهاق والصلصلة : الصوت . ويقال للقناة صعدة ، وجماعها صعاد[٤]

(و) قال الأعشى : — الخفيف —

عنتريس تعدو إذا حرك الصوت كعدو المصلصل الجوال [٥]

(و)[٦] الجوال من الجولان ، من الذهاب والجيئة[٧] .

---

(١) ديوان العجاج ١٨٢ ، بتقديم البيت الثانى على الأول . ومابين القوسين ساقط من ت ، ج . والبيت الأول روى : مُلَدَّحٍ من ضربها بالأرجل .

(٢) ديوان الشماخ ٢٤٥ برواية : « أطاع له فى رامتين حديق » انظر تخريج البيت هناك السهوق : الطويل الساقين ، ويستعمل فى غير الرجال ، وأطاع له : أى اتسع له وأمكنه الرعى ورامتان : تثنية رامة . انظر معجم البلدان ٤/ ٢١٠ ، ٢١٢ ومعجم ما ستعجم ٢/٦٢٨ . والحديق : ماأعشب والتف من الرياض .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج ،

(٤) عبارة ت ، ج : « وجمعها صعائد » .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج . والبيت فى ديوان الأعشى ٧ والصبح المنير ٨ برواية : « إذا حُرِّك السوط » . وفى ت ، ج : « إذا مسها السوط » . وعنتريس : صلبة قوية ، والمصلصل صافى الصوت ، والجوال : من جال يجول أى طاف ولم يستقر . وعلق الأصمعى على هذا بقوله « ليس هذا بالوصف الجيد » .

(٦) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٧) عبارة ت : « من الجيئة والذهاب » . وعبارة ج : « من الجيأة والذهاب » .

ويقال النهاق والنهيق ، والسحال والسحيل ، والشحاج والشحيج ، وقال الشاعر (٨) : ـ الرجز ـ

كأن في فيه إذا ما شحجا عوداً دوين اللهوات مولجا (٩)

والتعشير أيضاً هو النهاق نفسه ، قال بعض الهذليين (١٠) : ـ المتقارب ـ

فصاح بتعشيره فانتحى جوائلها وهو كالمستجال (١١)

(واستجال : اعتمد عليه ، واستحالته : غيرَّته من القرع . وجوائلها ما جال منها) (١٢) . ومنها التولب ، والجمع التوالب وهي أولادها ، ويقال أيضاً تألب وعفو والجمع عفاء (١٣) .

قال الأعشى (وهو) (١٤) ينعت فرساً : ـ المتقارب ـ

يعادى النموص ومسحلها وعفوهما قبل أن يستحم (١٥)

يريد (١٦) قبل أن يعرق .

قال والحميم : العرق ؛ قال زهير (١٧) ـ الوافر ـ

كأن سحيله في كل فجر على أحساء نمؤود ودعاء (١٨)

[ويروى : في كل فج] (١٩)

←

---

(٨) عبارة ت ، ج : « قال الراجز » .

(٩) ديوان العجاج ٣٧٤ . « يقول : الحمار الوحشي إذا نهق كان فى فيه عودا ، يريد بذلك سعة شدقه ، وهو يستحب من الفرس ، وهو ها هنا يصف حماراً » .

(١٠) عبارة ت ، ج : « قال امية بن ابى عائذ الهزلى » . وأمية بن ابى عائذ شاعر هذلى مقدم انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٦٦٧ ، والأغانى ٢٠/١١٥ ـ ١١٦ ، وخزانة الأدب ١/٤١٧ ، ٤٢٢ ، والإصابة ١/١١٧ .

(١١) ديوان الهزليين ٢/١٧٩ لامية بن ابى عائذ الهذلى ، برواية : « فطاف بتعشيره وانتحى » وفى شرح أشعار الهزليين ٢/٥٠٢ وفى ت ، ج برواية : « فصاح بتعشيره وانتحى » . والمستجال : الذاهب العقل .

(١٢) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١٣) عبارة ت ، ج : « وعفو والجميع عفاء ، ويقال لولدها جحش وجحشة وجمعها جحاش. وتولب والجميع توالب ويقول تألبٌ ايضاً وعِفوٌ » .

(١٤) مابين القوسين ساقط من ت .

(١٥) ديوانه ٣٩ . وفى الصبح المنير ٣٢ برواية : يصيد النحوص ومسحلها وجحشهما قبل أن يستحم
واشار إلى رواية الأصل على انها رواية أبى عبيدة ، والنحوص : الحائل التى لم تحمل ، وهى أسرع جريا لأن بطنها لا تثقلها . والمسحل : الحمار الوحشى . ويستحم : أى يعرق من كثرة الجرى .

(١٦) عبارة ت ، ج : « أى قبل أن يعرق » .

(١٧) زهير بن أبى سلمى شاعر جاهلى مقدم ، لم يدرك الإسلام ، وأدركه ابناه كعب وبجير . انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ١٣٧ ـ ١٥٣ ، وطبقات فحول الشعراء ٢٥ والأغانى ٩/١٣٩ ـ ١٥١ والاشتقاق ١١١ ـ ١١٠ ، وخزانة الأدب ١/٣٧٥ ـ ٣٧٧ ، بلوغ الأرب ٢/٢٧٧ ، ٣/٨٨ ، ٩٧ ـ ١٠١ ، أسد الغابة ١/١٦٤ .

(١٨) ديوان زهير ١١ وشعر زهير لثعلب ٦٢ وشعر زهير للأعلم الشنتمرى ٣٣ وفى ت ، ج ورد البيت فيهم جميعا برواية « يمؤود » . يقول الأعلم : « السحيل : صوت الحمار وبه سمى مسحلا ويمؤود : اسم موضع . والأحساء : جمع حسى ، وهو موضع يكون به الماء ، وقوله « دعاء » شبه صوت الحمار بصوت إنسان يدعو صاحبه ويناديه ، وإنما يريد أنه فى وقت هياجه فهو يدعو الأُتُن ويجاوب الحمر » .

(١٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

قال أبو ذؤيب : - الكامل -

تأبى بدرتها إذا ما استكرهت إلا الحميم فإنه يتبضع[٢٠]

أي يجري ويسيل[٢١] .

والعرق أيضاً يقال له المسيح ، قال العجاج : - الرجز -

وفي الدهاس مضبرٌ ضروح إذا الجياد فضن بالمسيح[٢٢]

والنجد العرق من الكرب ، قال النابغة[٢٣] : - البسيط -

يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنجد[٢٤]

(والنجد : العرق)[٢٥] .

ويقال للقطيع من الحمير عانة ، و [الجميع][٢٦] عانات وعُونٌ مثل دارة ودور وقارة وقور[٢٧] ؛ قال الشماخ [بن ضرار : - الطويل -

يطرد عانات وينفى جحاشها كما حاز شذان البكار فنيق

وقال الشاعر أيضاً :][٢٨] - الطويل -

---

(٢٠) ديوان الهذليين ، وشرح أشعار الهذليين ١ / ٣٤ ، وفيه أشار السكرى إلى أن الأصمعى كان يرويه : « تأبى بدرتها إذا ما استغضبت » والدرة : درة العدو . يقول : تأبى أن تدر لك بما عندها من الجرى إذا استغضبتها ، والتبضع : السيلان . وعلق الأصمعى على هذا البيت بقوله : وهذا مما لا توصف به الخيل ، وقد أساء ، وإنما أراد بهذه شدة نفسها ، إلا أنه كان لا يجيد فى صفة الخيل ، وظن أن هذا مما توصف به .

(٢١) عبارة ت ، ج : « يقول يجرى ويسيل » .

(٢٢) ديوان العجاج ١٧٠ - ١٧١ يفصل بينهما : بِرِجْلٍ لاكَزٍّ ولا أنُوح .
الدهاس : اللين . ومِضْبَر : وثاب .. وفى ت « ضروخ » وهو تحريف .

(٢٣) عبارة ت ، ج : « وقال النابغة الذبيانى » .

(٢٤) ديوانه ٢٧ . وفى ت : « بين الأين والنجد » والضمير فى « خوفه » عائد على الفرات لاضطراب أمواجه وشدة هوله . والمعتصم : المستمسك . والخيزرانة : سكان الفينة والأين : الفترة والإعياء .

(٢٥) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٦) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٧) عبارة ت : « مثل دارة ودور ، وفارة وفور » .

(٢٨) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج ، وساقط من الأصل بسبب انتقال النظر . والبيت فى ديوان الشماخ بن ضرار ٢٤٦ برواية : « كما كان شذان البكار الفتيق » . شذان الإبل بضم الشين وفتحها - ما افترق منها ، والبكار جمع بكر - بفتح الباء وهو الفتى من الإبل والأنثى بكرة .

يطرد عانات برهبى فبطنه خميص كطى الزرافية (محنق (٢٩)

ويقال للحمير المعيوراء ممدود ، [والتألب - مهموز - ولد الحمار - وهو التولب أيضاً إذا قوى وطرَّد أُتُنه] (٣٠) .

ومن أسماء البقر وصفاتها (٣١)

يقال للذكر (٣٢) الثور ، والأنثى (٣٣) بقرة ويسمى الثور اللأى مثل (٣٤) الفتى والبقرة لآة مثل فتاة .

ويقال للأنثى ثورة في الشعر ، قال الشاعر (٣٥) : - الطويل -

جزى الله عني الأعودين ملامة وعبدة ثفر الثورة المتضاجم (٣٦)

الثفر : الحياء ، والمتضاجم : الأعوج .

(و) (٣٧) قال زهير : - البسيط -

خلج الأجرة فى أشداقها ضَجَمُ (٣٨)

والبقرة تسمى المهاة والعيناء [لعظم عينها] (٣٩) . ويقال للبقرة نعجة والجميع نعاج (٤٠) ، وقال

---

(٢٩) البيت منسوب لعلقمة بن عبدة التميمى فى معجم ما استعجم للبكرى ٤٢٦ . ولم يرد البيت فى طبعة ديوان علقمة الأوروبية وكذلك فى شرح ديوان علقمة بن عبدة للأعلم الشنتمرى ، ولم يرد فى ديوانه ضمن « العقد الثمين » على أن الشيخ « ابن محمد أبو شنب » الذى عنى بتصحيحه ونشره أضاف البيت إلى الشعر المنحول لعلقمة معتمدا على معجم البكرى ، حيث روى « .. فبطنه .. الرازقية » . رهبى : موضع فى ديار بنى تميم . وخميص : ضامر . والرازقية : ثياب كتان بيض ، ومحنق : أى قليل اللحم ، وهو الذى لذق بطنه بصلبه . وروى البيت فى ت : « وبطنه » .
علقمة بن عبدة الفحل ، لقب بذلك لانه نازع امرأ القيس الشعر . وقصة المنازعة أشهر من أن تذكر قال ابن سلام : « له ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر » . انظر ترجمته فى : طبقات فحول الشعراء ١٣٧ - ١٣٩ ، والشعر والشعراء ١/٢١٨ - ٢٢٢ ، وشرح المفضليات للأنبارى ٧٦٢ ، والأغانى ٨/١٩٠ - ١٩٤ وجمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، والموشح ٢٨ - ٣٢ خزانة الأدب ١/٥٦٥ - ٥٦٦ . والمؤتلف والمختلف ٢٢٧ .

(٣٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣١) عبارة ت ، ج : « أسماء البقر وصفاتها » .

(٣٢) عبارة ت « وللذكور الثور » .

(٣٣) عبارة ت ، ج : « وللأنثى» .

(٣٤) عبارة ت ، ج : « تقديره الفتى » .

(٣٥) البيت للأخطل ، وهو غياث بن غوث من بنى تغلب ، ويكنى أبا مالك ، وكان يشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبيانى .. انظر ترجمته فى : «الشعر والشعراء ٤٨٣ - ٤٩٦ ومقدمة ديوان الأخطل ، والأغانى ٧/١٧٥ والمحاسن والمساوىء ٢٣٤ ، وشعر تغلب فى الجاهلية . جمع وتحقيق . ونقائض جرير والأخطل .

(٣٦) شعر الأخطل ٢٧٧ ، برواية : « جزى الله فيها .. » وفى الحيوان ٢/٢٨٢ برواية : « جزى الله عنا .. وعبلة ثفر الثورة المتضاجم » .. وفى لسان العرب « ضجم » برواية : جزى الله عنا .. وفروة ثفر الثورة المتضاجم .. والمتضاجم : المعووج الفم .

(٣٧) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٣٨) ديوانه ٩٦ ، وشعر زهير « الأعلم الشنتمرى » ١٠٦ ، وصدره : « فهى تَبَلَّغُ بالأعناق يَتْبَعُهَا » ، وروى العجز فى شرح شعر زهير « ثعلب » ١٢١ : « خلج الأعنة فى أشداقها ضجم » . خلج : جذب ، يقال خلجه أى جذبه وصرفه ، وناقة خلوج إذا ذبح ولدها فذهب به . والأجرة ، جمع جرير وهو حبل من جلود . وضجم : ميل .

(٣٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٤٠) عبارة ت ، ج : « ويقال للجميع نعاج » .

الشاعر [الجعدى](٤١) : - المتقارب -

نعاج مطافيل في ربرب(٤٢)

(و)(٤٣) المطافيل اللاتي معها أولادها ، والواحدة مُطْفِلٌ ، ويقال أطفلت إذا صار معها طفل(٤٤) ؛

[وقال لبيد بن ربيعة الكلابي : - الكامل -

فعـلا فروع الأيهقـان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها](٤٥)

والطفل : الصغير .

قال أبو سعيد : والطفل الناعم ، والغضب ، والآرخ والجميع الآراخ(٤٦) .

---

(٤١) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وهو النابغة الجعدى ، عبد الله بن قيس .. وكان يكنى أبا ليلى .. وأتى رسول الله - ﷺ - فأنشده :

انبئت ان رسول إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله - ﷺ - إلى أين ياأبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة ، فقال رسول الله - ﷺ - إن شاء الله . ومات الجعدى بإصبهان وهو ابن مائتين وعشرين سنة . انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٢٨٩ . والاستيعاب ٣٢٠ - ٣٣٥ وأسد الغابة ٥/٢ - ٤ والروض الآنف ٥٣/١ ، وتاريخ إصبهان ٧٣/١ - ٧٤ ، والإصابة ٢١٨/٦ - ٢٢١ والمعمرين ٦٤ - ٦٦ وطبقات فحول الشعراء ٢٦ - ٢٨ والأغانى ١٢٧/٤ - ١٣٩ وخزانة الأدب ٥٠٩/١ - ٥١٥ ، وجمهرة أشعار العرب ١٤٥ - ١٤٨ ، ومعجم الشعراء ٣٢١ ، والموشح ٦٤ - ٦٧ .

(٤٢) ورد منسوبا للجعدى فى معجم ما استعجم ١٨٨/١ ، وصدره : « عليهن من وحش بينونة » .
بينونة : موضع بين عمان والبحرين وبىء .

(٤٣) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٤٤) عبارة ت ، ج : يقال : « أطفلت إذا صار لها طفل » .

(٤٥) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج ، وساقط من الأصل لانتقال النظر . لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى . ويكنى أبا عقيل ، من شعراء الجاهلية وفرسانهم .. قتله بنو أسد فى حرب بينهم وبين قومه . ادرك الإسلام ، وقدم على رسول الله - ﷺ - فى وفد بنى كلاب فأسلم ورجعوا إلي بلادهم .. ويقال إن وفاته كانت فى أول خلافة معاوية ، وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة .
انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ٢٧٤ - ٢٨٥ والتاريخ الكبير للبخارى ٢٤٩/٤ ، وطبقات ابن سعد ٢٠/٦ وأسد الغابة ٢٦٠/٤ - ٢٦٣ والإصابة ٩/٤ - ٥ والاستيعاب ٢٣٥ - ٢٣٧ والمعمرين ٦٠ - ٦٣ ، والأغانى ٩٠/١٤ - ٩٨ وخزانة الأدب ٣٣٤/١ - ٣٣٩ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . وطبقات فحول الشعراء ١٣٥/١ - ١٣٦ وكنى الشعراء ٢٨٨ والاشتقاق ٢٩٦ والمؤتلف والمختلف ٢٦٤ وأمالى المرتضى ١٨٩/١ - ١٩٤ وسمط اللآلىء ٣/١ .
البيت فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٢٤ . علا : ارتفع وطال ويروى : فغلا فروع الأيهقان » .. والغين رواية الأصمعى . والأيهقان : الجرجير .. والجهلتان : جبهتا الوادى ، وهو ما استقبلك من حروف الوادى .

(١١٦) عبارة ت ، ج : « والأرخ الثور والجميع أراخ » .

والله والليـاح : الأبيضـان ، [قال ذو الرمة : — الخفيف —

بعد ما آن الظل واكتن اللياح المشهر

و] (٤٧) قال زهير : — البسيط —

كسوتهن شبونا ناشطاً لهقا (٤٨)

[و](٤٩) قال العجاج :

حتى جلا عن لهق مشهور ليل تمام ثم مستحير بين الفرنداذين ضوء النور(٥٠)

والبلق الأبيض [أيضاً](٥١) ، قال أبو ذؤيب [الهذلي](٥٢) : — البسيط —

في ربـرب يلق حور مـدامعهـا كأنهن بجنبي حربة البرد (٥٣)

ويقال ثور مشب ومشبوب (٥٤) وشبب وهو كله المسن (٥٥) ، وقال أبو ذؤيب : — الكامل —

والـدهر لا يبقى عـلى حدثـانـه شبب أفزته الكلاب مروع (٥٦)

أفزته : استخفته وطردته (٥٧)

ويقال للثور ذيال ، أي طويل الذنب (٥٨) ؛ قال العجاج : — الرجز —

يتبعن ذيالاً موشى هبرجا (٥٩)

[والموشى من الشية ، والهبرجة الاختلاط في المشي](٦٠) ، والهبرج الذي يختلط في الشيء(٦١) .

---

(٤٧) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وفى . ج « كسوتهن ... »

(٤٨) فى كل من شرح شعر زهير لثعلب ٤٤ ، وشعر زهير للأعلم الشنتمرى ٦٩ « كَسَوْتُهُنَّ مُشِبًّا ناشطا لهقا » وصدره « كأن كورى وانساعى وميثرتى » وهذا البيت ضمن أبيات ستة عشر لم يروها ثعلب والأعلم الشنتمرى ، ورواها صعوداء ، وقال : « لم يروها أحد من الرواة غير حماد » . والكور : الرحل ، والأنساع : جمع نسع ، وهو سير يشد به الرحل . والميثرة : حشية يضعها الراكب تحته فوق الرحل . والمشب . الثور الوحشى المسن . والناشط الذى يخرج من بلد إلى آخر . واللهق . الشديد البياض »

(٤٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٥٠) ديوانه ٢٣٢ ، يفصل بين الشطرين الثانى والثالث شطر آخر هو : عكامس كالسندس المنشور » « اللهق : الأبيض ، ويعنى به الصبح . مستحير : متحير . وعكامس : متراكب « الفرنداذين : رملان مشهوران » .

(٥١) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٥٢) ما بين « المعقوفتين زيادة من ت . ج .

(٥٣) شرح أشعار الهذليين ٦١/١ وروى فى نظام الغريب ١٩٥ برواية ثانية : « بجنبى جرية البرد » .

(٥٤) اللفظة فى ت ، ج : « وشبوب » .

(٥٥) عبارة ت : وهو كله المُعَنَّى .

(٥٦) ديوان الهذليين ١١٤/٢ ، وشرح اشعار الهذليين ٢٦/١ ، وفى ت ، ج روى : « أفرته » بالراء . وحدثان الدهر : صروفه ونوائبه . والشبب : الثور المسن الذى قد تمت أسنانه . وأفزته : استحفته وطيرته وأذهبت قلبه .

(٥٧) عبارة ت ، ج : « أفرته : استخفته فطردته » .

(٥٨) عبارة ت ، ج : ويقال للثور ذيال للطويل الذنب » .

(٥٩) ديوان العجاج ٣٥٤ ولسان العرب « هَبْرَجٌ » . « وقوله موشى فى قوائمه خطوط من سواد . قال والهَبْرَجُ الذى يُخَلِّطُ فى مشيته يتبختر قال : ولم أسمعه إلا فى هذا البيت ـ أى الأصمعى ـ» وفى لسان العرب (هبرج) قال أبو النصر : سألت الأصمعى مرة أى شىء هبرج ؟ قال : يُخَلِّطُ فى مشيه . الأصمعى أيضا الهبرج : المختال » .

(٦٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . والشِّيَةُ : « سواد فى بياض أو بياض فى سواد الجوهرى وغيره : الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره » . لسان العرب « وشى » .

(٦١) عبارة ت ، ج : « والهبرج الذى يختلط فى مشيته » .

أبو العتاهية وروافد الزهد فى شعره

للأستاذ: السيد حسن قرون

لم يدر بخلد كبار شعراء العرب فى الجاهلية والإسلام حكاية السرقات الشعرية التى عرفها العصر العباسى فى أواخره ، حين ظهرت مقالات النقد والمؤلفات التى توازن بين شاعر وشاعر ، مع أنهم عبروا عن أحاسيسهم نحو المعانى والأفكار ، وأنهم سبقوا فيها ، من ذلك قول زهير وهو شاعر جاهلى من أصحاب المعلقات :

ما أرانا نقول إلا معارا
أو معادا من قولنا مكرورا

وقول عنترة وهو من أصحاب المعلقات وجاهلى أيضا :

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

ولكن هذا شىء والسرقات الشعرية شىء آخر ، ولم ينظر إلى أقوال الشعراء والموازنة بينها إلا بعد أن تحدد التراث الأدبى ، وصار الشعر مكتوبا ، وأصبح لكل شاعر ديوان ، وظهرت صناعة الكتابة والنسخ وظهرت طائفة الوراقين ، من هنا يستطيع الناقد المستوعب أن يقف على تراث مبسوط أمام النظر ، فيستطيع أن يوازن ويقارن ويخرج بنتائج لها أثرها فى التوجيه الأدبى ورسم صورة للشاعر المجيد والشعر الجيد .

وكان الأمر فى البدء بيان قدرة الشاعر واستفادته من أقوال من سبقه سواء أكان القول شعرا أم نثرا ؟

وقد تنبه محمد بن يزيد المبرد فأعطانا صورة عن أبى العتاهية : إسماعيل بن القاسم فى انتقائه الفكرة واستفادته من الحكمة والمثل والعظة النادرة لتكون فى نتاجه الشعرى ولاسيما زهدياته .

ولد أبو العتاهية فى أواخر العصر الأموى ونشأ نشأة عباسية فى أسرة من الموالى فقيرة بالكوفة ، ولكنه أتقن اللغة العربية فصار عربيا ، وعرف طريقه إلى الشعر ونبغ فيه وقال فى كل

أغراضه ، بيد أنه حبب إليه القول فى الزهد ، فكان يمثل اتجاها يعارض السرف والترف فى المجتمع الإسلامى ، وكانت وفاته سنة ٢١١ هـ .

والمبرد عربى أصيل من (ثمالة) ، و(ثمالة) من الأزد وهو أديب كبير ولغوى نحوى له تلاميذ ويمثل فى النحو المذهب البصرى فى العصر العباسى ، وكتابه « الكامل » أحد الكتب الأربعة التى جعلها ابن خلدون الغذاء الثقافى والأدبى لمن يريد أن يكون أديبا .
توفى المبرد سنة ٢٨٥ هـ .

وقد عرض فى الكامل شعرا لأبى العتاهية بين لنا فيه كيف استفاد من أقوال من سبقه من العرب وغير العرب . وإليك بعضا من تلك الدراسة الموطئة للدراسة النقدية والبلاغية لأبى هلال العسكرى صاحب « الصناعتين » والإمام عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه « أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز » وصار لنا علم اسمه البلاغة : « المعانى والبيان والبديع » قال أبو العتاهية فى الزهد :

يـاعجبا للنـاس لـو فكـروا
وحـاسبـوا أنفسـهـم أبصروا
وعبـروا الـدنيـا إلى غـيرهـا
فـإنمـا الـدنيـا لهم مَعْبـر

الخير مما ليس هو المعروف والشر هو المنكر
والموعد الموت وما بعده الحشر فذاك الموعد الأكبر

لافخـر إلا فخـر أهـل التقى
غـدا إذا ضمـهـم المحشر
ليـعلمـن النـاس أن التقـى
والبـر كانـا خـير مـا يـذخـر
عجبت لـلإنسـان فى فخـره
وهـو غـدا فى قبـره يقبـر
مـابـال مـن أولـه نطفـة
وجيفـة آخـره يفخـر ؟

أصبـح لا يملـك تقـديم مـا
يـرجـو ولا تـأخـير مـا يحـذر
وأصبـح الأمـر إلى غـيره
فى كـل مـايقضى ومـا يقـدر

هذا شعر أبى العتاهية ، فماذا قال المبرد فيه ؟ قال أما قوله :

ياعجبا للناس لو فكروا ـ البيت « مأخوذ من قولهم » الفكرة مرآة تريك حسنك من قبحك ومن قول لقمان لابنه : يابنى لا ينبغى لعاقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات : فوقت منها يناجى فيه ربه ، ووقت يحاسب فيه نفسه ، ووقت يكسب فيه لمعاشه ، ووقت يخلى فيه بين نفسه و لذتها ليستعين بذلك على سائر الأوقات .

وقوله : « وعبروا الدنيا إلى غيرها » .. البيت « مأخوذ من قول الحسن : اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولاتعمرها » و « معبر » بفتح الميم اسم مكان وبكسرها اسم آلة وكلاهما صحيح وقوله « الخير ليس يخفى .. البيت » مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعبد الله ، كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم ، وصار الناس هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ فقلت : مرنى يارسول الله ، فقال : خذ ما عرفت ودع ما نكرت ، وعليك بخويصة نفسك وإياك وعوامها ، الحثالة ، ما يبقى من روى الطعام وضربه مثلا ، ومعنى مرجت اختلطت وذهبت كل مذهب .
وقوله :
« ليـعلمن النـاس أن التقـى
والبـر كانـا خـير مـا يـدخـر
مأخوذ من قول أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

على هامش النقد

« إذا حشر الناس فى صعيد واحد نادى مناد من قبل العرش : ليعلمن أهل الموقف من أهل الكرم اليوم ؟ ليقم المتقون .. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم«إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله « ما بال من أوله نطفة .. البيت » مأخوذ من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : « وما ابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة ، لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه » والحتف الموت .

وهنا دخل المبرد فى شعر كثير لشعراء كثيرين يدور شعرهم حول هذا المعنى الذى طرقه الإمام على ووازن بينها .

وأنت ترى مما ذكرنا أن المبرد وضح المأخوذ فى كل بيت وأنه من السلف الصالح وفى المقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وإليك مثالا مما أخذه من غير العرب وسجله المبرد أيضا .

مات صديق أبى العتاهية « على بن ثابت » فأكثر البكاء عليه من ذلك قوله :

يا على بن ثابت بان منى
صاحب جل فقده يوم بنتا
يا على بن ثابت أين أنتا
أنت بين القبور حيث دفنتا

قد لعمري حكيت لى غصص المو
ت وحركتنى لها وسكنتا

وفى شعر آخر يقول :

بكيتك يا أخى بدمع عينى
فلم يغن البكاء عليك شيئا
كفى حزنا بدفنك ثم إنى
نفضت تراب قبرك من يديا

وكانت فى حياتك لى عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وعلق المبرد على هذا الشعر الباكى فقال : كان إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية) لا يكاد يخلى شعره مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ، ويسرقه أخفى سرقة ، فقوله « وأنت اليوم أوعظ منك حيا » أنما أخذه من قول الموبذ لقباذ الملك حيث مات فإنه قال فى ذلك الوقت « كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس » .

وأخذ قوله :

قد لعمرى حكيت لى غصص المو
ت وحركتنى لها وسكنتا

من قول نادب الاسكندر فإنه لما مات بكى من بحضرته ، فقال نادبه : « حركنا بسكونه » وأنت ترى أن المبرد فى هذا الموضع توسع فى النقد وتأمل الشعر ، وأرجع كل قول إلى صاحبه ، وبذلك أشار إلى موضوع من موضوعات النقد فى العصر العباسى وهو السرقات الشعرية بل إن المبرد مهد السبيل بقوله « فينظم الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة » وأنا لا أرى فى هذا الصنيع سرقة إنما هى الثقافة تغلب على الأديب فيصوغها شعرا أو يرسلها نثرا ، لينير السبيل للمتلقى فيهتدى ويحسن سلوكه ، وما جعل الأدب بجميع أجناسه وأغراضه وفنونه إلا للحفاظ على مكارم الأخلاق والتحلى بها .

من خير ما نشر

تقديم : عادل رفاعى خفاجة

الجبـــــن البلغـــــارى
للأستاذ : أحمد بهجت

منذ أيام سحبت أمريكا سفيرها فى بلغاريا احتجاجا على معاملة النظام الشيوعى البلغارى للأقلية المسلمة فيه : «الأقلية التركية» .

قبل ذلك اصدرت السعودية بيانا أدانت فيه المعاملة .. أما الكويت فقد سحبت سفيرها احتجاجا .. وباستثناء ذلك لم يقع من العالم العربى أو الإسلامى شىء يواجه ما يحدث فى بلغاريا تجاه المسلمين أو الأقلية التركية .. وما يحدث هناك رهيب

والسؤال الآن : ماذا فعلنا كعرب أو كمسلمين لمواجهة هذا الموقف ؟

إن الحكومات تستطيع أن تحتج بسحب سفرائها أو تقديم مذكرات الاحتجاج .. وهذا أمر مؤثر وهام ، ويبقى ما هو أهم منه وأعظم تـأثيـراً .. يبقى دور الشعـوب العـربيـة والإسلامية . إن مقاطعة الجبن البلغارى الشهير والبضائع البلغارية والمصايف البلغارية وأى تبادل تجارى مع بلغاريا .. هذا كله كفيل بأن يقنعهم أننا يجب أن نعامل معاملة أفضل .

إن الشعوب قوة هائلة ولكن الشعوب لا تجربها للأسف .. ولهذا السبب يطمع فينا الآخرون .

إن كمية التبادل التجارى بين الشعوب الإسلامية والعربية وبين بلغاريا تزيد على ٥٠٠ مليون دولار .. كيف يبيدون المسلمين ونقدم إليهم نقودنا ؟

مواقـــــف
للأستاذ : أنيس منصور

عندما انتصر المسلمون فى إحدى المعارك قال الرسول ﷺ : عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وسئل الرسول فقال : إن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس[١] .

←

(١) الحديث غير صحيح .. وإن كانت الكلمة ـ بعده ـ طيبة .

من خير مانشر

ونحن فرغنا من جهادنا الأصغر ضد العدوان والاحتلال الإسرائيلى لأرضنا وعدنا من ١٦ عاما إلى جهادنا الأكبر .

ونحن لا نزال نهون من قدر أنفسنا ونسد الأبواب فى وجوهنا بأيدينا والسبب هو ما أصابنا فى أعمق أعماقنا من هزيمة نفسية . هذه الهزيمة طالت واستطالت ، كأننا أردنا ذلك حتى لا نعمل .

إن الذى قال لنا قبل حرب أكتوبر أن النصر مستحيل لم يكن يعرف انه يريد أن يهزم جيشا قبل أن يحارب حتى لا يحارب ، وإنما تنبأ بما حدث لمصر بسبب الهزيمة وبسبب ما قاله هو وأمثاله من (ضاربى الودع السياسى) فقد غرقت مصر فى العجز .

وهذا هو الجهاد الأكبر الذى يجب أن نشارك فيه بكل قلم وكل فأس وكل سلاح .. فهى حرب ضد أنفسنا ومن أجل أنفسنا وإنقاذا لنا من أنفسنا .. فتحت أقدامنا كل ثروات الدنيا ، وفوق أكتافنا يكمن النور ومصدر النور فى كل حضارة .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

بقية

مما حرمه الله عليه ، فقد تعدى وظلم نفسه ، ومن منعها حقها من المباح حتى تضررت ، فقد ظلمها ومنعها حقها ؛ فمن تكلف من التطوع ما يتضرر به فى جسمه ، كما فعل ذلك الباهلى ، أو ما يمنع به حقا واجبا عليه ، كما فعل عبد الله بن عمرو ابن العاص وغيره ممن عزم على ترك المباحات فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فإنه ينهى عن ذلك ؛ ومن احتمل بدنه ذلك ، ولم يمنعه من حق واجب عليه ، لم ينه ، إلا أن يمنعه عما هو افضل ، فإنه يرشد إلى عمل الأفضل . وأحوال الناس تختلف فيما تتحمله أبدانهم ، وتتقبله نفوسهم ، فيرشد كل واحد إلى ما يناسب حالته .

وهذا كله يدل على سماحة الإسلام وسهولة احكامه ، وما أصدق مايروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إذ يقول : « إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

كما يدل على شفقة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورحمته بالمؤمنين ، إذ كان لايترك فرصة إلا تعهدهم فيها بالنصح والإرشاد ، وتوجيههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم فى دينهم ودنياهم ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

(المجلد التاسع عشر)

أنباء وآراء

إعداد: عبد المنعم فـودة
صفوت عبد الجـواد

الرئيس حسنى مبارك يكرم خمسمائة فائز فى المسابقات الدينية ويكرم تسعة علماء .

شهد الرئيس حسنى مبارك الاحتفال الدينى الذى أقامته وزارة الأوقاف بقاعة الإمام محمد عبده بجامع الأزهر بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف .. وقد قام الرئيس مبارك بتكريم خمسمائة فائز فى المسابقات الدينية كما قام بتكريم تسعة من العلماء الذين ساهموا بكتاباتهم فى سيرة الرسول محمد ﷺ .

احتفلت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية يوم الاثنين ١٦ من ربيع أول ١٤١٠ هـ الموافق ١٦ من أكتوبر ١٩٨٩ باختتام الدورة التدريسية العالمية الثانية للطلبة الوافدين من العالم الإسلامى والتى درس فيها أكثر من مائة وخمسين طالبا من مختلف دول أفريقيا وآسيا ، ومدة الدورة ثلاثة أشهر بدأت أول يوليو ١٩٨٩ وانتهت آخر سبتمبر ١٩٨٩ م

وقد قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتوزيع الشهادات على الطلبة الدارسين بالدورة ، ووجه كلمة إلى الطلبة حثهم فيها على الاشتغال بالدعوة عند رجوعهم إلى بلادهم .

وشكر فضيلته كلا من رابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة والاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية بالقاهرة على تعاونهما فى تنظيم الدورة مع الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية .

وقد حضر الحفل لفيف من أعضاء السلك الدبلوماسى الأفريقى والآسيوى بالقاهرة .

كلية بنات إسلامية بـالزقـازيق - جمهورية مصر العربية

وافق المجلس الأعلى للأزهر على إنشاء كلية بنات إسلامية بمدينة الزقازيق وطالب المجلس بأن يكون للجهود الذاتية دور بارز فى إنشاء الكلية .

حملات تصفية ضد طلاب بلغاريا المسلمين

مازال مسلسل الاضطهاد البلغارى ضد المسلمين قائما .

تمثل هذه المرة فى جامعة صوفيا ببلغاريا . حيث ذكر حسين مليش أوغلو الأستاذ بجامعة صوفيا ببلغاريا أن السلطات البلغارية مارست ضغوطا عليه خلال عمله بالجامعة ليشارك فى الحملة التى استهدفت تغيير أسماء الأقلية المسلمة التركية .

وأضاف الأستاذ/ حسين أوغلو أن عددا من

←

أنبـــاء وآراء

الأتراك المسلمين فى مدينة (غضوب) و(كرجعلى) لقوا حتفهم عندما حاولوا مقاومة السلطات .

بلغاريا أخرى فى جنوب شرق آسيا

دخلت أحوال المسلمين فى بورما مرحلة غاية فى الخطورة . فقد ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية بأن الحكومة فى بورما بدأت فى إحراق المساجد ومنع طباعة الكتب الإسلامية وتأميم أوقاف المسلمين وإغلاق المدارس الإسلامية ومصادرة الصحف والمجلات الإسلامية وتقسيم الجنسية إلى ثلاث درجات بحيث لا يمنح المسلم سوى الدرجتين الثانية أو الثالثة . وقد منع الأذان منذ عام ١٩٨٣ م .

وقد أجبرت الحكومة نصف مليون مسلم بورمى على النزوح إلى حدود بنجلاديش

وقد امتلأت السجون فى بورما بآلاف المسلمين دون محاكمة . ثم كانت مجزرة راح ضحيتها مئات المسلمين .

أطفال ضحايا من أفغانستان

شهد أحد مستشفيات بون فى ألمانيا الغربية حالة لطفل أفغانى مصاب من جراء الحرب يدعى (هدايت الله) تهشمت ساقه تماما بعد أن هاجمت إحدى الدوريات السوفيتية السيارة التى كانت تقل هذا الطفل مع أهله فى قرية أفغانية .

وكانت بعثة ألمانية قد زارت المخيم الذى يقيم فيه الطفل (هدايت الله) لمدة خمسة أعوام مع أهله ، وأثارت حالته الصحية السيئة استياء البعثة الألمانية فقررت نقله إلى ألمانيا للعلاج لكى يطلع العالم على النيران الشيوعية التى لا تفرق بين أطفال وشيوخ ونساء .

الإسلام دين رسمى بأسبانيا

أقرت لجنة الحريات الدينية بوزارة العدل الأسبانية اعتبار الدين الإسلامى دينا رسميا إلى جانب الديانات الأخرى . وبهذا الاعتراف يصبح الدين الإسلامى واحدا من أربعة أديان معترف بها فى أسبانيا .

ويبلغ عدد المسلمين الأسبان (٢٠٠) ألف نسمة وينتظر أن يكون العدد أضعاف ذلك .

مؤتمر عالمى عن الصحراء ، تشارك فيه مصر

تشارك مصر فى المؤتمر العالمى للصحراء الذى يعقد يوم ٦ نوفمبر القادم بمدينة تريست الإيطالية حيث توجد أكاديمية العلوم للعالم الثالث ويشترك فيه رؤساء مراكز الصحراء من ست وعشرين دولة وصرح الدكتور/ فاروق الباز بمركز أبحاث الفضاء بجامعة بوسطن الأمريكية بأن المؤتمر الذى سيستمر أسبوعا سيناقش كل مشروعات أبحاث العقد القادم ونقص المعلومات عن الصحارى فى السنوات العشر القادمة وإنشاء شبكة تبادل معلومات مقرها تريست لتغذيتها بالمعلومات اللازمة عن الصحارى

مؤتمر علمى لبحث التلوث وأثره على الحيوان والبيئة !

عقدت الجمعية الطبية البيطرية المصرية أول مؤتمر علمى بكلية الطب البيطرى ببنى سويف لبحث تلوث البيئة وأثره على تنمية الثروة الحيوانية كذلك تم بحث تلوث التربة والهواء والأنهار وأثر ذلك على فقدان كثير من الثروة الحيوانية . وقد شارك فى المؤتمر أربعون أستاذا جامعيا من المتخصصين قدموا أبحاثهم التى أكدت على أهمية الثروة الحيوانية التى يمثل عائدها ٧٥٠ مليون جنيه سنويا .

العمران فى قرطبة . بقية

وفى كلمة بليغة مؤثرة يستهل بها العلامة الأثرى الأسبانى النصرانى (أمادوردى لوس ديوس) كلامه عن تاريخ المسجد الجامع وهى فى الواقع أبلغ رثاء لهذا الأثر الإسلامى العظيم نجتزىء منها هذه الكلمات : (إنه لا الأوضاع النصرانية الفخمة التى تقوم اليوم فى وسط هذه العمد التى لا تحصى ولا ذخائر الفن التى أغدقه عليها أكابر الفنانين الذين أقاموها فى القرن السادس عشر ولا تلك السلسلة من المصلبات التى حشرت بجدران المسجد وشوهتها ولا الصور التى تغطى عقوده فى الجزء المخصص للمحراب ولا أولئك الملائكة ولا الكلمات الإنجيلية فى هذه العقود ذات البناء المحدث يمكن أن تبدد أو تمحى ذرة من جلال هذه الأشباح المتجولة التى تبحث عبثا فى زاوية المحراب عن ذلك الكتاب المقدس الذى غمست صحفه حسبما تقول الرواية المتوارثة بدم عثمان الزكى شهيد الإيمان وإنه بالرغم من كل التشويهات التى عملت وكل التغييرات التى أحدثت فإنه قد ختم عليها وفقا لقانون مختوم بخاتم الفن الذى أوحى بها وروح الأمة التى وضعت خطتها وأقامتها) .

وفى سنة ١٧٦٥ ميلادية زار قرطبة الغزال الفاسى سفير سلطان المغرب إلى ملك أسبانيا كارلوس الثالث وبكى على مسجدها الجامع فيقول : (ومذ عبرنا هذا المسجد لم تفتر لنا عبرة مما شاهدنا من عظمته وتذكرنا ما كان عليه عهد الإسلام وما قرىء فيه من العلوم وتليت فيه من الآيات وأقيمت به من الصلوات ، وقد تخيل فى الفكر أن حيطان المسجد وسواريه تسلم علينا وتهش إلينا من شدة ما وجدنا من الأسف ، حتى صرنا نخاطب الجمادات ونعانق كل سارية ونقبل سوارى المسجد وجداره) انتهى كلام السفير المغربى .

والعجيب أنه رغم ما هو ظاهر على جدران ذلك المسجد العظيم وواجهاته الخارجية من آثار الإهمال والقدم فإنه من يجوز إلى داخل فنائه الشاسع ويتأمل مدخله الرئيسى يدرك لأول وهلة أنه يواجه أثرا من أجل وأبدع الآثار الإسلامية الباقية لذلك فهو رغم تحويله إلى كنيسة نصرانية فإنه مازال الأسبان يسمونه حتى اليوم la Mezquita Algama de Cordoba أى المسجد الجامع فى قرطبة(١٤) .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

رجل المهام حذيفة بن اليمان . بقية

بمال إلى حذيفة بن اليمان وقال : انظر ما يصنع فقسمه حذيفة ؟؟ فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ لأصحابه : قد قلت لكم .

وهكذا عاش حذيفة ـ رضى الله عنه ـ حياة حافلة بالجهاد فى سبيل الله ـ عزوجل ـ بالنفس والمال والوجدان وظل كذلك حتى حضره الموت فقدم على ربه راضياً مرضياً .

وفاته رضى الله عنه

توفى هذا البطل الهمام ـ رضى الله عنه ـ سنة ست وثلاثين من الهجرة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه بأربعين ليلة ولما حضرته الوفاة .. قال : هذه آخر ساعة فى الدنيا ..

اللهم إنك تعلم أني أحبك فبارك لي في لقائك وبهذا اختتم البطل حياته رضوان الله عليه .

(١٤) كتاب الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال المرجع السابق .

الفهـــــــــرس

● الافتتاحية « اين المبادىء ؟! »
د . على أحمد الخطيب ٣٢١

● بمولد الرسول ﷺ ولدت امة وقامت دولة .
شيخ الأزهر ٣٢٣

● بشارة الإيمان والعمل الصالح .
د . محمد عبد المنعم القيعي ٣٢٦

● دعابة النبى ﷺ .
للأستاذ عبد الجواد محمد الخضري ٣٢٩

● رجل المهام حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .
للأستاذ زكريا أحمد نور ٣٣٢

● الربـا حـول مقالين .
د . عبد الرحمن تاج ٣٣٦

● الربـا والوديعـة المصرفية .
للأستاذ أحمد فهمى أبو سنة ٣٤٠

● إدارة الرسول ﷺ للصراع
لواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ ٣٤٣

● الطبرى إمام المؤرخين .
أ . د . عبد العزيز غنيم ٣٤٨

● مشيخة علماء الاسكندرية .
د . مجاهد توفيق الجندي ٣٥٣

● العمران فى قرطبـة .
للمستشار محمد عزت الطهطاوي ٣٥٧

الشعـر والشعـراء
اشـراف: د. حسـن جـاد

● « تـوبة »
للشـاعر عمر موسى البرعى ٣٦٢

● فى طريق العودة .
شعر / رشـاد محمد يوسف ٣٦٣

● العلـــوية .
د . حلمى محمد القاعود ٣٦٤

● من اعلام الازهر « الشيخ محمد ابراهيم السمالوطي » .
للأستاذ محمد عبد الرازق العقباوي ٣٧١

العلـوم الكـونية

● حرارة الجـو .. إلى اين ؟
أ . د . أحمد فؤاد باشا ٣٧٤

● قضية إريتريا .
للأستاذ ماهر زكريا الشيمي ٣٧٩

● طـرائف ومـواقف .
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٣٨٤

● من روائع الماضي لمجلة الأزهر .
الرفق فى العبـادة » .
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ٣٨٦

اللغـة والأدب والنقـد

● كتاب الوحوش عن الأصمعي ـ رضى الله عنه .
للأستاذ أيمن ميدان ٣٩٠

● على هامش النقد « ابو العتاهية » وروافد الزهد فى شعره »
للأستاذ السيد حسن قرون ٣٩٦

● من خير مانشر .
للأستاذ عادل رفاعي خفاجة ٣٩٩

● انباء وآراء .
إعداد : عبد المنعم فودة
صفوت عبد الجـواد ٤٠١

القسـم الانجـليزي
إشراف: د. أنس النجار

● المقالة الثانية :
للأستاذ سعد مصطفى مصطفى ٤٠٩

● المقالة الأولى :
د . أنس مصطفى النجار .... ٤١٤ .

as regards motives, methods, purpose and targets. That precept is fundamental; because if there was no intimate connection between the finite and the Absolute, and between creation and Creator; the whole progress of creation would deviate, disorganize, and be lost. People would become imprisoned in the ignorant devaluated superficial understanding of the affairs, causes, purposes and targets of life.

emotional consitution of love, hate, assistance, opposition, tolerance, resentment; and his personal conduct arising from notion and emotion. Based on such premise, two main forms of personalities emerge, namely, the committed and uncommitted. The former is committed to a specific principle or ideology towards life; and the latter is that personality whose formative elements are not founded on any principle or ideology. The disparity between the two types of personality is great. The committed personality forms an integrated unity of mind, body and soul which governs the symmetry of concepts and emotions, and regulates the harmony of behaviour and actions. There is no place for confused concepts, no struggle between the senses, and no inconsistant behaviour; unless incoherent elements are present in the principles of the ideology itself. The uncommitted personality has no feature of cohesion or conformity to unite its formative elements no precepts for its attitudes or opinions, no symmetry between its emotions, and no harmony between its behaviour and conduct.

The characteristics of the Islamic personality are structured by very well defined formative elements of very coherent commitment to the concepts and percepts of Muslim Theism. These are utilized and implemented as the principle theory of belief, basis for values, source of notion and emotion, and life's programme of all behaviour and all relationships. The secret of Islam's success in embodying its faith and its system of doctrines, is attributable to its simplicity, practicability, ecumenic universalism, and its intimate coherence with the natural disposition of mankind. Islamic precepts strike a just and delicate balance between the spiritual and material forms of life. This balance is perpetual and maintained by the proper comprehensive practice of Islamic teachings. These teachings give mankind his provisions of material life without overflooding the soul to drown it. The axiom of understanding is that the human soul is the master dominant organizer of human notion, emotion, behaviour and conduct. The preservation of the activity and functional faculty of the human soul is absolutely vital to the conservation of human inborn grace, propriety of social convention, and the upholding of values.

The Muslim teachings of understanding life affects the people's view in their living patterns and their involvement with society. Islam provides a real understanding of life, a cultural orientation of virtues, principles and methodologies. Indeed, the progess of mankind must, in the view of Islam, be totally connected with the submission to Allah and commitment to His Ordinances. There must be total coherence

The text of the Holy Quran is magnficently intricate and deep rooted. For the proper understanding of its verses, good knowledge of commentary "Tafsir" and interpretation "Ta'will" is necessary. It is also essential to know the inner and outer meanings of the Quran, that which abrogates "Nasikh" and that which is abrogated "Mansukh"; of that which is absolute "Muhkam", and that which is allegoric "Mutashabihat". Very few individuals are aware of the high stations of spiritual reality of the Holy Quran. Teaching of the Holy Quran should be started to children at an early age, and this forms the sound foundation for an Islamic education.

The recitation of the Holy Quran brings peace and blessings to the place. The Prophet said "Bring light into your homes by reading the Quran". Muslims are taught to strive to learn and teach the Holy Quran and to raise their children on the precepts of its Divine teachings.

The intimate knowledge of Allah is a responsibility of every individual. This knowledge is transformed into a willing obedience with appropriate mannerisms of conduct. The subject becomes in a status of trusting reliance on Allah without reliance on others. The person who realizes that he is fully accountable for his deeds and actions will live through life as a balanced individual, possessed with self knowledge and habituated to proper behaviour and discipline. Intimate knowledge of Allah leads to perfection of belief which is a state produced by spiritual connection to Allah and fulfilling His Commands. Steadfast belief through knowledge of the Divine Transcendant Providence of Allah's attributes, and the teachings of the Canon laws of Islamic Shariah as dictated in the Holy Quran, form the structure of mental, psychological and physical equilibrium and stability. There will be no dispair and breakdown over the random twists and turns of life. There will be no doubts or confusion, no uncertainties or mental dissociation, no parochialism or pigotry. With steadfast true belief through intelligent knowledge of Allah, the human mind and soul experience certainty, mental strength, self-assertion, serenity, patience, peaceful tranquility, and above all, confidence and strength by the intimate association and bond with the Creator.

The variations of religious creeds, philosophical opinions, intellectual attitudes, and political injunctions have a formative influence on the personality of the individual, as regards conceptual functions, emotional attitudes, and behavioural patterns. These aspects of personality will determine the individual's comprehension of theories about creation, universe, life and death; his

Islamic injunctions that deal with human life, aim at the purity of the self, cleanliness of body and soul, gentleness, bravery, compassion, love, friendship, truth, humbleness, contentment, and abstinence from afflicting others. The guidance of Islamic doctrinal teachings command mankind to goodness, gentleness and gratitude. This enlightment admonishes mankind to abandon unworthy attributes such as miserliness, hatred, envy, insincerity, corruption, cruelty, profanity, evil action; and to abstain from conduct which is not worthy of human propriety and decorum. Islamic teachings command the human mind to be ecumenical in thought,with the concept of perceiving the whole human creation as one unity. No distinction or discrimination is found in Islamic teachings, nor in their actual practice. It teaches us to care for loved ones, our neighbours and friends; and to understand well the value and preciousness of time and life. Islamic teachings urge the pursuit of knowledge, humbleness, piety and productive work.

The Islamic Seminary commands self confidence and self respect, maintain proper matrimonial relationships, and to abstain from indecency and flagrant actions. It also commands the Muslim to work hard to earn his living through permitted lawful means. It forbids waste of time, gossip, slander, suspicion, belligerence, arrogance, egoism and vanity. The Islamic religion estalbishes the proper manners, proper behaviour in all paths of human life, and has specified particular principles of conduct to regulate both the inner and outer forms of life. The root of all the Doctrinal teachings of Islam is to seek knowledge of Allah in true devotion and genuine servitude; to give respect to the Holy Quran and the Honorable Sunna of the Prophet, to make them the source of all guidance and all knowledge, which link all the Muslim Ummah to be united into one universal understanding of the true concepts of religion.

The Holy Quran is the primal and Divine Ordinance from Allah. It is for the education and guidance of mankind. It is the supreme criteria to distinguish between good and evil, virtue and vice. The words and letters of the Holy Quran are the light, the cure, the mercy, the proof and the guidance. They are the law and the doctrines, the knowledge and teachings. The Holy Quran has within it parables filled with meaning and chants of praise for Allah. It is a supplication; it is a protection, it is a paragon of doctrines; it is Tawhid, the declaration of the Absolute Being and the Reality; it is the most impeccable illustrious guide for mankind.

ISLAM AND HUMAN BEHAVIOUR

By : Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The submission to the Will of Allah is the essential and fundamental property of a Muslim, which builds up the structural framework of the manners of Islam as established by the Islamic law of jurisprudence. All Islamic teachings are basically directed to the purification of mankind and the cleansing of the human soul. The practice of Islamic manners will lead to disciplined proper behaviour, refiness of conduct, richness in character, confidence in personality, and beauty of the inner self.

The unfortunate state and disastrous conditions in which many socieities find themselves, as well as the confusion which has taken hold of many people, is the consequence of not following the manners and ways of conduct that are specified in Islamic Doctrinal teachings. Happiness is not related to wealth, position or external might. For many people, regardless of how well-off they live are far from the proper standards of conduct and find themselves in sorrowful and despicable conditions ending their lives in the most bitter of circumstances. The only thing that will bring splendor in this life to mankind and bring to him the light of guidance is the arranging of his life according to the code of proper conduct as established by the teachings of Islam.

The Islamic Doctrinal teachigns are Divine Ordinances that are legalized for the personal life, the life of the individual within the society, for the development of physical and spiritual health, for the culture and up-bringing of children, the education of the ignorant, and for the preservation of human rights, family structure, and the social integration of the female, elderly and juvenile sectors of the community. These Divine Ordinances have been instituted to regulate the relationship between one's self and the stranger, between the friend and the foe, between the old and the young, between the ruler and the ruled. In the precision of an integrated system, these Divine precepts deal with every aspect of human life both spiritual and physical.

to nominate his successor, and formulated the character, the personality, qualifications of the man, who was in his opinion most suitable to govern the affairs of the Muslim Ummah after his death. Abu bakre elected Omar ibn Al-Khattab to be his successor. He could not dictate his choice, he only advised the Muslim Ummah by his nomination of Omar ibn Al-Khattab. It was left to the Ummah of the Muhagereen and Ansars at Al-Madinah to proclaim fealty and allegiance to that man, or to deny it. The Muslim Ummah trusted Abu Bakre and were confident of his sagacity and wisdom in choice. They recognized the need of absolute unity and stability among the various fractions of the Ummah; and realized the great necessity for the continuity of an administration of similar pattern of governance as that of Abu Bakre. The entire Muslim nation was in great need of absolute cohesion projected upon them by that man who was to succeed Abu Bakre. The Muslim Ummah agreed, and gave concensus to the choice of Abu Bakre that Omar ibn Al-Khattab was to be his successor.

In the mind of Abu bakre Omar was the most eligible and qualified man to bear the grave responsibility of administrating the affairs of the Muslim nation after his death. The years that followed with all their major events during the reign of Omar ibn Al-Khattab gave absolute proof of the concrete justification of the choice of Abu Bakre. The foresight, perception, clairvoyance and exactness of choice were certainly beyond ordinary human capability; it was Divine Providence.

frank breach of Islamic law and such action must be confronted with exactness of discipline and remedial measures of punishment to any Muslim even if it was Khalid ibn Al-Walid, the reputed victorious commander that he was. The Muslim teachings in such matters do not at all differentiate between a layman, and a man of rank. Any tolerant leniency in such matters, inspite of all circumstance would undermine the real value of Islamic teachins, and give allowance to the furtherance of similar action. Abu Bakre Al-Siddiq, considered the matter with a different light of understanding. He conceived that the extreme criticality of the circumstances that prevailed at that time could not allow absoluteness of measures in such less important matters as compared to the magnitude of danger that was threatening the whole Muslim nation. Abu Bakre saw that Khalid was indispensible when the Muslim Ummah was at war. Omar ibn Al-Khattab believed that no man was indispensible, and what was correct must be implemented without circumstantial differentiation.

The political aptitudes of Omar ibn Al-Khattab were very different to those of Abu Bakre. Omar was analytically minded and processed every thought, action and decision through a delicate balance of rationality. He weighted matters with a precise judgement and adjustment without any bias or prejudice. There was clarity and simplicity in his thinking that prevented his mind to fall into the fog of distraction. With these unique characteristics of administration, Omar ibn Al-Khattab held the function of counselor to Abu Bakre Al-Siddiq to the level of extreme excellence, which placed him very close to the Khalifah of Rassu Allah, who enrriched him with his undisputed confidence. Differences in opinion in matters of state was never a cause to draw Omar distant from Abu Bakre. He very well conceived that Abu Bakre was the premier disciple of the Prophet; and was cultured, educated, trained, and tutored in Prophetic milieu. As Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre was given all the respect, confidence and esteem he deserved for his unique characters of stoicism, wisdom, and determination. With these characteristics both Abu Bakre Al-Siddiq and Omar ibn Al-Khattab developed a pattern of understanding synergism that was essentially based on the preservation and propagation of Islamic faith and the welfare and prospe ity of the Muslim Ummah. This relationship of mutual respect genuine understanding and unity of purpose remained the tight bond between the two men.

The conservation of Islam Theism was the paramount issue of concern in the mind of Abu-Bakre as be lay on his bed awaiting death. He also thought about the preservation of the theo-political unity of the Muslim Ummah. Abu Bakre decided

thoughts. For his extreme delicacy in justice, Omar ibn Al-Khattab was very renouned. Islamic culture and prophetic life and teaching which Omar expeirenced added to the majestic splendor of the concept of justice in the mind of Omar ibn Al-Khattab.

One of the major achievements during the office of Abu-bakre Al-Siddiq was the compilation of the Holy Quran. It was Omar ibn Al-Khattab who initially perceived the imminent threatening necessity for that action. He discussed at great length with Abu Bakre Al-Siddiq on that issue. Abu Bakre was very resistant to the idea, on the grounds that the Prophet himself did not compile the Holy Quran; how was Abu Bakre to do something the Prophet had not done? .

Omar ibn Al-Khattab finally succeeded in convincing Abu Bakre Al-Siddiq that the compilation of the Holy Quran was of absolute necessity for the intact preservation of the original text of the Holy Revelation. Abu Bakre was finally convinced and eager to act. He commissioned Zayed ibn Thabet the responsibility of that major undertaking. Omar ibn Al-Khattab was the man to recognize the importance of that action, was instrumental in obtaining the approval of Abu Bakre, and accomplishment of the task. The compilation of the Holy Quran is considered as one of the greatest achievements during the office of Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rassul Allah.

• Omar ibn Al-Khattab functioned as minister to Abu Bakre. In most situations, the opinion of Omar was well taken by Abu Bakre; and in some situations there was difference in opinion. The final decision in all matters of state was left to Abu Bakre alone, bearing all responsibility. One issue of difference between Abu Bakre and Omar that was always a continuous source of disagreement between the two men was the unorthodox personal conduct of Khalid ibn Al-Walid during the wars against the Apostates. Khalid ibn Al-Walid married the widow of Malik ibn Nuwayrah after sentencing her husband to death as an apostate. According to Islamic teachings, this was unorthodox and nonconformist conduct. Later, after the battle of Al-Yammah, Khalid wedded a girl; soon after the battle, while Muslim martyrs were still lying dead on the battlefield. Omar ibn Al-Khattab was of the opinion that Khalid ibn Al-Walid should be releaved from his duties as commander of Muslim forces fighting the apostate tribes. Abu Bakre saw differently. The difference in opinion between the two men regarding that matter, was actually a difference of political standpoint and circumstantial judgement. Omar ibn Al Khattab was a systemic rational justified thinker; considering that the conduct of Khalid ibn Al Walid was a

their mission; and asked Ussamah's permission to allow Omar ibn Al-Khattab to remain behind at Al-Madinah to be an aide to Abu Bakre. Ussamah ibn Zayd agreed to the humble request of Abu Bakre, and instructed Omar ibn Al-Khattab to fall out of the ranks to stay behind. Abu Bakre wanted Omar to assist him in the administration and governance of Muslims during the most crucial and adverse conditions facing the Muslim Ummah after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The allegiance of the Arab tribes to the authority of Al-Madinah suffered greatly after the death of the Prophet. These tribes had given their fealty and obedience to the Prophet as Messenger of Allah, they could not conceive the idea that the authority invested in Abu Bakre by the Muhagereen and Ansars as Khalifah of Rassul-Allah was in fact a continuation of Islamic propagation and the preservation of Islamic doctrinal teachings. Several of these tribes apostated, rejected Islamic practices, and some followed impostors that falsly alleged prophethood. Soon after the dispatch of Ussama's army, the whole Arab Peninsula was ablaze with mutiny against the authority of Abu-Bakre at Al-Madinah. Facing this incumbent situation, Omar ibn Al-Khattab stood firmly in support of Abu-Bakre, inspite of their difference in opinion regarding issues of importance. With immutable stoicism unyielding patient wisdom and piety. Abu Bakre Al-Siddiq succeeded to sudue the tribal insurgence within one year after his proclamation as the Khalifah of Rassul-Allah. During that period, Omar ibn Al-Khattab was the intimate aide of Abu Bakre, supporting by advice, candid in opinion, diligent to serve, didactic to instruct. Abu Bakre had commissioned Omar ibn Al-Khattab the responsibility of judiciary and tribunal affairs; besides consulting him in matters related to policy organization, decision making and issues pertaining to jurisdiction and jurisprudence of the state. At the end of one year, all the territories of the Arab Peninsula had resigned to the authority at Al-Madinah and proclaimed their allegiance and obediance to Abu Bakre as Khalifah of Rassul-Allah. This triumph over the forces of the apostate tribes came about after fierce fighting and much bloodshed. The eminent and reputed Muslim Commander of the campaigns against the apostates was Khalid ibn Al-Walid.

For two years, Omar ibn Al-Khattab was responsible for judiciary and tribunal matters. Omar was very well known for his meticulous justice; the concept of individual and communal justice was very well formulated and optimized in his mental framework. He perceived the Islamic premise of justice to the full dimensions of its meaning; and gave it a dominant functional position to control and govern his

OMAR IBN AL-KHATTAB

"The Counselor"

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D., Ph.D.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had died, and it was imperatively compelling for the Muslim community of the Muhagereen and Al-Ansars at Al-Madinah to decide in agreement on who was to become the successor of Rassul-Allah. The phase of prophethood had ended, and the Revelation of the Holy Quran had been completed; the man to succeed must be granted undisputed unanimous fealty. He must be endowed with unique qualities of wisdom, piety, and knowledge. The clans of Al-Ansars gathered at the Roofing of Bani Saaidah to proclaim Saad ibn Ubadah as successor of the Prophet. Abu Bakre Al-Siddiq, Omar ibn Al Khattab, and Ubaydah ibn Al-Garrah hurried to attend the gathering of Al-Ansars at the Roofing. After much debate between the three men of the Muhagereen, and the large gathering of the Ansars; the resolution was to proclaim Abu Bakre Al Siddiq as successor of the Prophet. Omar ibn Al-Khattab engineered the meeting and was instrumental in the proclamation of Abu Bakre as successor of the Prophet. He presented rational justification that convinced Al-Ansars to agree willingly to give fealty to Abu-Bakre. The following day at the Mosque, Abu Bakre Al-Siddiq was officially proclaimed by unanimous concensus, as Khalifah of Rassul-Allah. It was Omar ibn Al-Khattab who presented Abu Bakre as Khalifah to the Muslim populous.

Inspite of all antagonistic opinions, the first mandate of Abu Bakre was to excute the mission of Ussamah ibn Zayd to lead Muslim warriors to the North borders of the Arab Peninsula. That mission was arranged by the Prophet himself before his death, and was detained due to the illness of the Prophet. Omar ibn Al-Khattab was an ordinary member of the army, under the command of a much younger man Ussamah ibn Zayed. As the contingent marched out of Al-Madinah, Abu Bakre Al-Siddiq advised Ussamah and his men as to the purpose of

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART IV

RABIE AL AKHER 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

"The Counselor"

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Islam and Human Behaviour

By: Saad Moustafa Moustafa.

> "Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الأولى ١٤١٠ هـ
ديسمبر ١٩٨٩ م
الجزء الخامس
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

ومن منَّا فى عصمة من اختبار الله ـ سبحانه ـ له ؟!
ومن منَّا على يقين انه يجتاز اختباره ـ تعالى ـ بسلام ؟!

صدق نبى الله موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ فى مناجاته ربه ، وهو المعصوم ـ يقول :
﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ .

ويقول رسولنا ـ ﷺ :
«وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم» .

هذه النبوة ذات المنازل العلا لها هذا الشأن من الحذر .
فأين نحن البشر ؟!!

وما منا إلا خطاء لو استفتح ماضيه ذل .
لولا رحمة الله ، والثقة فى فضله ، وظن الحسنى به !!

←

← ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا

نسى قوم اختبار المولى ـ عز وجل ـ فأطلقوا لأنفسهم العنان ، فقال تعالى ـ عنهم :
﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ﴾ .

نسأل الله ـ سبحانه ـ أن يحفظنا من الجرأة على حرماته ، وأن يهدينا سواء السبيل ، فإن الأمر خطير والنجاة فى منهجه تعالى ، وفى الكتاب العزيز استمساك رسولنا ـ ﷺ ـ به :
﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ .
وفيه كذلك تحذيره :
﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ . . ﴾ وهذا خطاب لرسول الله ـ ﷺ .

فكيف بنا مع ما فيه شبهة ، أو زلل صريح !!
وأين منا التقوى .. وأين منا الورع .. ؟!
إن ضعف البشر وارد ، وله رحمة الله !
وحرمات الله واردة ، وفيها سخط الله !

ومن لطفه ـ تعالى ـ أن يقول رسول الله ـ ﷺ :
« إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه »(١) .
وفى هذين بمشيئة الله ثبات على النهج وهدى على صراط مستقيم وفيه ـ بمشيئته ـ النجاة من الزلل ، والفوز من العطب ، ففى البلاء «مستور» لا يعلمه إلا الله ، قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ بل يقول تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ .
وفى «النعم السابغة علينا» التى ترفل على أبداننا بلاء ، نسأل الله ـ فى كل ـ حسن العاقبة ، يقول تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ .
وفتنة المال أشد ذلك كله ..

نقص المال فوسوس الشيطان بالرذيلة طلبا لعوض سريع لا يبالى فيه المرء بعرض أو شرف .
أو زاد المال فطرق صاحبه سبل الطغيان وأحب زيادته بكل خبيث من أبواب الربا وسائر المحرمات .
وكل المحرمات مجتمعة لا تبلغ فى سوءاتها وسيئاتها ربح الربا .
نسأل الله ـ سبحانه ـ طهارة العرض ، وطهارة المال ، وزيادة الشرف .. إنه سميع قريب .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) سيدنا احمد بن حنبل ـ المسند ٥٠٨/٢ وانظر صحيح مسلم الحج ٤١٢ .

رسالة إلى الإمام الأكبر وجوابها

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ..

وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر رسالة من السيد المختار أحمد العيساوى من طرابلس - ليبيا ..

وتتضمن هذه الرسالة طلب الإجابة عن السؤالين الآتيين :

السؤال الأول :

هل يجوز لمن يشكو تعطيل البول من مسلكه الطبيعى ، وفتحت له فتحة وضع بها أنبوب بآخره كيس يتجمع به البول يحمله كلما تحرك :

فهل يجوز له أن يصلى بهذا الكيس ، والبول يتسرب من الأنبوب بدون انقطاع لأنه لا يستطيع إيقافه ، أم كيف يفعل والصلاة لا يجوز تركها ؟

السؤال الثانى :

ذكر الشيخ بخيت فى بعض رسائله أنه يجوز للمسلم فى بلاد الكفر أن يتعامل معهم بمثل ما يتعاملون به من ربا وغيره ، وأنه يجوز لوكيله أن يرسل المال إليه فى بلاد الإسلام :

ونسب هذا القول إلى أئمة الحنفية ، ربما لأبى يوسف ، أو محمد مع أن أحدهما يخالف رأى الآخر ..

وانتهت الرسالة إلى طلب بيان الحكم الشرعى فى ذلك ؟

(أ) عن السؤال الأول :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾(١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور »(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ »(٣) .

←

---

(١) من الآية ٦ من سورة المائدة .

(٢) رواه مسلم وأبو داود .

(٣) رواه البخارى .

وقد استظهر الفقهاء من نصوص القرآن والسنة أن من نواقض الوضوء ما يخرج من أحد السبيلين ـ القبل أو الدبر ـ من بول أو غائط أو ريح .

أما الخارج من غير السبيلين فقد اختلفت فيه كلمة الفقهاء :

فيرى فقهاء المالكية والشافعية أنه إذا انقطع الخروج من السبيلين أو من أحدهما أو انسد المخرج المعتاد لعارض فإن الخارج ينقض الوضوء (٤) .

كما يرى فقهاء الحنابلة أن الخارج من السبيلين أو من أحدهما ينقض مطلقا (٥) .

أما فقهاء الحنفية فيقولون : بأن الخارج النجس من غير السبيلين ينقض الوضوء (٦) إذا سال بحيث تجاوز موضع خروجه ، فإن استمر نزوله كان صاحبه معذورا .

هذا : ويشترط فى نقض الوضوء بالخارج مطلقا أن يكون خروجه فى حال الصحة فإن خرج فى حال المرض ـ كالسلس ـ كان صاحبه معذورا ..

كما أن الخارج من غير السبيلين يأخذ حكم المعذور .

ولقد اختلفت كلمة الفقهاء فى حكم صلاة المعذور .

والمستفاد من آرائهم فى ذلك أن من كان به سلس بول لازمه أغلب الأوقات أو استمر وقتا كاملا للصلاة حكمه أنه يتوضأ لوقت كل صلاة ، ولا يجب عليه الوضوء لكل فرض ، وله أن يصلى بهذا الوضوء ما شاء من الفرائض والنوافل ، كما أن عليه أن ينوى استباحة الصلاة ، لا رفع الحدث ، وأن يتحفظ بما يمنع نزول البول ، وأن من توضأ ثم خرج منه شىء لا ينتقض وضوؤه وله أن يصلى بهذا الوضوء حتى يخرج وقت الصلاة ، ويوالى بين الاستنجاء والوضوء والصلاة ، وإذا كان القيام للصلاة يؤدى إلى نزول البول يصلى قاعدا (٧) .

لما كان ذلك :

وكان الظاهر أن السؤال عن حكم من تعطل البول من مسلكه الطبيعى وفتحت له فتحة وضع بها أنبوب بآخره كيس يتجمع به البول يحمله كلما تحرك ، والبول يتسرب من الأنبوب بدون انقطاع ولا يستطيع إيقافه .

وإذا كان ذلك : فإنه ينطبق عليه حكم من به سلس بول ، وهو أنه يتوضأ لوقت كل صلاة ، ويوالى بين الاستنجاء والوضوء والصلاة ، وله أن يصلى بهذا الوضوء فى الوقت ما شاء من الفرائض والنوافل ، وعليه أن ينوى استباحة الصلاة ، وإذا كان القيام للصلاة يؤدى إلى نزول البول فله أن يصلى قاعدا وينتقض هذا الوضوء بانتهاء وقت الفرض الذى توضأ لصلاته .

---

(٤) المجموع للنووى الشافعى جـ ٢ ص ٦ ـ ٨ .
(٥) المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ ١ ص ١٦٣ .
(٦) حاشية الطهطاوى على مراقى الفلاح شرح نور الإيضاح ص ٥٦ وما بعدها .
(٧) فقه المذاهب الأربعة عبادات ط وزارة الأوقاف ص ٨٣ مبحث وضوء المعذور .

(ب) عن السؤال الثانى :

تمهيدا للإجابة عن هذا السؤال ينبغى الإجابة عن تساؤل آخر هو :

* هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ، أم لا ؟
* وهل تسرى وتنفذ عليهم فى دار الإسلام وخارجها أم لا ؟

اختلفت كلمة الفقهاء حول هذا الموضوع ، ومنشأ اختلافهم هو (٨) :

هل يشترط فى التكليف بالفعل أن يكون شرطه حاصلا حالة التكليف به .

فذهب جمهور أهل الفقه وأصوله إلى أنه لا يشترط ، وأنه لا مانع من ورود التكليف بالمشروط ، وتقديم شرطه عليه ، وهو جائز عقلا وواقع سمعا . فإذا تمت شرائط وجوب الفعل وفقد شرطه الشرعى صح التكليف به ، وعليه فيجوز أن يخاطب الكفار بفروع الإسلام ، كما يخاطب المحدث بالصلاة بشرط تقديم الوضوء .

وذهب الحنفية وبعض الشافعية إلى أنه يشترط فى التكليف بالفعل أن يكون شرطه حاصلا وقت التكليف ، ولذا فإنهم يقولون بأن الكفار غير مخاطبين بفروع الإسلام إذ لا تتصور العبادة مع الكفر فكيف يؤمر بها ، فالتكليف بالفروع غير ممكن الامتثال لاستحالة أدائها حال الكفر ، وامتناع أدائها بعد الإيمان لكونه مسقطا لها بالإجماع ، فالكفر مانع مع وجوب العبادات قبل الإيمان .

وقيل : إن الكفار مكلفون بالنهى فقط . وأما التكليف بالعقوبات والمعاملات فاتفاق بيننا وبينهم بمقتضى عقد الذمة ، ولا يلزم منه أن يكونوا مكلفين ديانة حتى يترتب عليه المؤاخذة فى الآخرة بفعل الحرام .

هذا : والأصل فى الشريعة الإسلامية أنها تسرى على كل المقيمين فى دار الإسلام مهما تعددت حكوماتها واختلفت نظم الحكم فى كل منها ، فيستوى أن تكون البلاد الإسلامية كلها خاضعة لحكومة واحدة ، كما كان الحال حتى عهد الدولة الأموية ، أو صارت دولا متعددة كما هو الحال اليوم .

ومن ثم فإن على من يقيمون فى دار الإسلام وإن تعددت حكوماتها الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة فى داخل ديار الإسلام وفى خارجها . ويكون المبدأ الشرعى العام هو سريان الشريعة على كافة الواقعات التى تحدث فى دار الإسلام أيا كان مقترفها ووصفها ، وكذلك على ما يقع فى دار الحرب من مسلم أو ذمى مقيم فى دار الإسلام ..

ولما كان الواقع لا يسمح بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية إلا فى بلاد المسلمين وعلى المقيمين بها اكتفى بتطبيق الشريعة على ما يحدث فى دار الإسلام من واقعات أيا كان فاعلها مسلما أو ذميا لأن ذلك ممكن ، ولا يمكن تطبيقها فى دار الحرب لانتفاء الولاية عليها من المسلمين حسب الواقع .

←

---

(٨) الأحكام فى أصول الإحكام للآمدى جـ ١ ص ٢٠٦ وما بعدها ط بمطبعة المعارف بمصر ١٩١٤ م والمستصفى للإمام الغزالى ص ٩١ ومعه فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت للعلامة عبد العلى الانصارى ص ١٢٨ ط المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢٢ هـ .

ومع هذا المبدأ العام اختلفت كلمة الفقهاء فى التطبيق على الوجه الذى نوجزه فيما يلى :

(أ) يرى الإمام أبو حنيفة أن الشريعة الإسلامية تطبق على كل ما يقع فى دار الإسلام ، أيا كانت الواقعة ، وأيا كان فاعلها مسلما أو ذميا ، فكلاهما ملتزم بها ، المسلم بحكم الإسلام ، والذمى بحكم عقد الذمة ..

أما إذا حدثت الواقعة خارج دار الإسلام من مسلم أو ذمى مقيم فى داخل دار الإسلام ثم سافر إلى دار الحرب وعاد أو وقعت من شخص كان يقيم فى دار الحرب ثم أقام بعد ذلك فى دار الإسلام فلا تطبق فى هذه الحال أحكام الشريعة الإسلامية لأن الأمر عند أبى حنيفة ليس مبناه التزام المسلم بإسلامه أحكام الإسلام أيا كان مقامه أو الذمى من دار الإسلام أحكام الإسلام بحكم عقد الذمة ..

وإنما الأمر يرجع إلى أن ولاية الحاكم المسلم فى الحكم فى الواقعات والقدرة على التنفيذ لا تمتد خارج دار الإسلام وإذا انعدمت القدرة لم تجب العقوبة ، ومعنى هذا أن القضاء يعتمد الولاية على محل الجريمة وقت ارتكابها ، ولا ولاية للدولة الإسلامية على محل ارتكاب الجريمة فى دار الحرب ، ومن ثم فقد نقل أن أبا حنيفة أجاز للمسلم والذمى من أهل دار الإسلام إذا دخلا دار الحرب ـ مستأمنين ـ أن يتعاقدا بربا مع حربى أو مسلم من أهل دار الحرب ، لم يهاجر إلى دار الإسلام لأن أخذ الربا فى هذه الحال فى معنى إتلاف المال رضاء ، واتلاف مال الحربى وبرضاه مباح حيث لا عصمة لدمه ولا لماله ..

وقد نقل أبو يوسف عن أبى حنيفة قوله : إن وجوب الشرائع يعتمد العلم بها فمن لم يعلمها ولم تبلغه فإن هذا لم تقم عليه حجة حكمية ، وعلى هذا إذا دخل مسلم أو ذمى دار الحرب بأمان فعاقد حربيا عقد الربا أو غيره من العقود الفاسدة فى حكم الإسلام جاز عند أبى حنيفة ومحمد رحمهما الله [٩] .

ولعل ما نقل عن أبى حنيفة ـ آنفا ـ هو ما يشير السؤال إلى نسبته إليه نقلا عن المرحوم الشيخ بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية الأسبق كما جاء فى رسالته فى أحكام السكورتاه (التأمين) حيث جاء فى هذه الرسالة ص ٧ ط مطبعة النيل بمصر : ١٣٢٤هـ/١٩٠٦ م .

وقد صرح فى شرح السير الكبير أن حكم الحربى المستأمن فى دار الإسلام حكم أهل الذمة إلا أنه لا قصاص على مسلم أو ذمى بقتل المستأمن ، وعلى هذا لا يحل أخذ ماله بعقد فاسد كما لا يحل أخذ مال الذمى به (أى بعقد فاسد) ثم قال : وقد صرحوا فى معتبرات المذهب بأن أخذ

---

(٩) فتح القدير للكمال بن الهمام الحنفى جـ ٤ ص : ١٥٢ ـ ١٥٦ وبدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى الحنفى جـ ٧ ص ١٣٠ ـ ١٣٤ وشرح السير الكبير للسرخسى حـ ٣ باب ما يحل فى دار الحرب مما لا يحل مثله فى دار الإسلام ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥ ، ص ٢٢٩ .

المسلم مال المستأمن فى غير دار الإسلام يحل له أن يأخذ مالهم برضاهم ولو بربا أو قمار فى غير دار الإسلام ، لأن المحرم هو الغدر والخيانة ، فما أخذ برضاهم وليس فيه غدر ولا خيانة يكون حلالا على أى وجه أخذه ، وقد صرحوا أيضا بأن دار الإسلام محل إجراء الأحكام الشرعية دون غير دار الإسلام ، ولا يجوز أن يأخذ من المستأمن الذى ليس من دار الإسلام شيئا فيها لا يلزم ذلك المستأمن شرعا وإن جرت بأخذه العادة إلا بسبب صحيح شرعا كالهبة (١٠) .

ومؤدى هذا القول المنسوب إلى أبى حنيفة إقليمية أحكام الشريعة الإسلامية العقابية فلا تمتد إلى خارج دار الإسلام ، وهذا هو ما تقول به القوانين الوضعية المعاصرة من حيث إقليمية القوانين بوجه عام ..

(ب) وقال الإمام أبو يوسف : لايجوز للمسلم فى دار الحرب إلا ما يجوز له فى دار الإسلام ، لأن حرمة الربا ثابتة فى حق العاقدين ، أما فى حق المسلم فبإسلامه ، وأما فى حق الحربى ، فلأن الكفار مخاطبون بالحرمات فقد قال تعالى : ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾(١١) ..

ولهذا حرم هذا التعاقد مع الذمى والحربى الذى دخل دار الإسلام بأمان ، ويتفق الإمام محمد مع الإمام أبى حنيفة تارة ، ومع الإمام أبى يوسف أخرى فى فروع فصلتها كتب المذهب (١٢) ..

(جـ) ويرى فقه الأئمة : مالك والشافعى وأحمد ، أن أحكام الشريعة الإسلامية بوجه عام تطبق فى داخل دار الإسلام على كل ما يقع فيها أيا كان الفاعل مسلما أو ذميا أو مستأمنا لأن المسلم ملتزم بإسلامه أحكام الإسلام والذمى ملتزم إياها بعقد الذمة ، والمستأمن ملتزم كذلك لمنحه الأمان بطلبه ، كما يعاقب المسلم والذمى على ما يرتكبانه فى دار الحرب ولو كان الفعل مباحا فيها كالربا والقمار ، تنفيذا لأحكام الشريعة (١٣) .

لما كان ذلك : كان ما أشار إليه السؤال الثانى قد عثر على ما يشير إليه فى رسالة السكورتاه للشيخ بخيت المطيعى اتباعا لما نقل عن أبى حنيفة ومحمد رحمهما الله (١٤) .

وقد صرح الكمال بن الهمام فى فتح القدير (١٥) بما يفيد أن وجوب حكم الشريعة على المسلم فى دار الحرب مشروط بالقدرة على تنفيذه عليه بها ولا قدرة للإمام عليه حال كونه فى دار الحرب ، فلا وجوب وإلا خلا عن الفائدة ، لأن المقصود من تطبيق الحكم الشرعى استيفاؤه ليحصل الزجر عند المخالفة والفرض ألا قدرة للإمام خارج دار الإسلام .

هذا : ويبدو أنه لا خلاف بين أئمة فقه المذهب الحنفى فى أن إثم التعامل بالزبا يلحق المسلم فى دار الحرب كما فى دار الإسلام وأن الخلاف إنما هو فى إمكان توقيع العقوبة على هذا التعامل إذا

←

---

(١٠) رسالة أحكام السكورتاه للشيخ بخيت المطيعى ص ٧ , ٨ .

(١١) من الآية : ١٦١ من سورة النساء .

(١٢) بدائع الصنائع جـ ٧ ص ١٣٢ .

(١٣) أسنى المطالب جـ ٤ ص ٢٠٤ ، ٢١٨ ، ومواهب الجليل جـ ٦ ص ٢٣١ , ٣٥٥ ، ٣٨٠/٣٦٠ والمغنى لابن قدامة جـ ١٠ ص ٤٣٩ ، ٥٣٧ ، ٥٧٨ ، والمهذب جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(١٤) بدائع الصنائع جـ ٧ ص ١٣٢ .

(١٥) جـ ٤ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

رسالة إلى الإمام الأكبر وجوابها

حدث من المسلم فى دار الحرب على ما تفيده عبارة الكمال بن الهمام سالفة الإشارة .

ومن ثم : فإنى أميل إلى الفتوى فى هذا الموضع بما نقل عن فقه الأئمة أبى يوسف ومالك والشافعى وأحمد على نحو ما تقدم ، فيحرم التعامل بالربا على المسلم أيا كان موقعه فى دار الإسلام أو فى دار الحرب بمقتضى إسلامه وعلى الذمى بمقتضى عقد الذمة كذلك ، إلا إذا كان مقترضا لضرورة أو حاجة ، ولا يحل إذا كان مقرضا ، لأن الإقراض بالربا لا تحله ضرورة ولا حاجة .

ولعل التعلات التى أوردها فقهاء المذهب الحنفى لما نقل عن الإمام أبى حنيفة تشير حسبما استظهر آنفا - إلى أن الخلاف فى التطبيق خارج دار الإسلام بالنسبة للعقوبة والقدرة على تنفيذها فى دار الحرب وأنه لا خلاف على وقوع الإثم على المسلم بارتكابه المحرمات كالربا والزنا والقمار وشرب الخمر سواء كان الوقوع فيها فى دار الإسلام أو فى دار الحرب حيث قد التزم بإسلامه كل أحكام الإسلام من الأوامر والنواهى ..

ففى شرح السير الكبير للإمام محمد بن الحسن وشرحه للسرخسى « ولو كانا مسلمين فى دار الحرب بأمان فعامل أحدهما صاحبه فهذا ، وما لو كانت المعاملة بينهما فى دار الإسلام سواء » لأن المسلم ملزم بحكم الإسلام حيثما يكون ، ومال كل واحد منهما مال معصوم متقوم فى حق صاحبه لبقاء الإحراز منه حكما ، وإن كان دخل بأمان فلهذا كان حالهما فى دار الحرب كحالهما فى دار الإسلام فى كل معاملة تجرى بينهما(١٦)

ولعلنا دائما نذكر أن الله سبحانه لم يهدد بالحرب من الله ورسوله فى كبيرة كما هدد بالنسبة للربا ، ذلك قول الله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ.فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(١٦) حـ ٤ ص ١٢٨

لقاء فضيلة الإمام الأكبر

ووفد من البرلمان السويدى

تلقى مكتب فضيلة الإمام الأكبر كتابا من السيد/ لارس أولوف سفير السويد بالقاهرة فى ١٩٨٩/١٠/٢٦ يعرب فيه سيادته عن رغبة وفد من البرلمان السويدى فى لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وإتاحة الفرصة لهم فى التعرف على التاريخ الإسلامى المشرق فى مصر وكذلك تاريخ الجامع الأزهر الشريف منارة الإسلام فى العالم ..

وقد وافق فضيلة الإمام على إتاحة الفرصة للقاء ، وتحدد الموعد الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الخميس ٣ من ربيع الثانى ١٤١٠ هـ الموافق ٢ من نوفمبر ١٩٨٩ م .

وقد بدأ اللقاء فى تمام الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، ورحب فضيلة الإمام بالضيوف وعلى رأسهم السيد انجمار الياسون رئيس الوفد وعضو البرلمان منذ عام ١٩٨٢ ، والسيد ارلنج باحر عضو البرلمان منذ ١٩٨١ ، والسيد كارل ايريك عضو البرلمان فى الفترة من ٦٥ ـ ١٩٨٨ ، والسيد لارس ليجنبرج عضو البرلمان منذ ١٩٨٥ ، والسيد أولى جراهن عضو البرلمان من ٧٧ ـ ١٩٨٨ ، والسيدة جيردن نوربرج عضو البرلمان منذ ١٩٨٥ ، والسيد بتحت روزن عضو البرلمان ١٩٨٥ وعدد آخر من المرافقين والمرافقات ..

ثم تحدث فضيلة الإمام ملخصا تلخيصا وافيا عن التاريخ الإسلامى ودخول الإسلام إلى مصر وإنشاء الجامع الأزهر ودور الأزهر العلمى قائلا :

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

أرحب بالسادة الحضور فى القاهرة وفى الأزهر ..

الإسلام كما هو معروف بدأ فى مكة حيث بعث النبى صلى الله عليه وسلم .. وكان أول ما أنزل من القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم آيات من سورة العلق :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ.خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ.اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ.الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ.عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾ ..

وهذه الآيات وهى أول ما أنزل من القرآن تدل على مبلغ تقدير الإسلام للعلم والتعليم لا سيما والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يجلس إلى معلم ولم يقرأ ولم يكتب . كما لم يطلع على تاريخ الأمم السابقة ..

وقد استمرت دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للإسلام فى مكة نحو ثلاثة عشر عاما . ثم انتقل بدعوته إلى المدينة حيث كان قد التقى فى مواسم الحج بوفود من المدينة عرض عليهم الإسلام وطلبوا منه الهجرة إليهم ، ثم كانت حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة نحو عشر سنوات استقر فيها الإسلام فى جزيرة العرب كلها .

وتم نزول القرآن وانتهى الوحى بوفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكانت دولة المسلمين قد اقيمت من حيث تأسيس كافة السلطات التشريعية والقضائية وغيرها ثم تتابع الخلفاء بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - على نظام الشورى التى شرعها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ .

ونظام الشورى فى الإسلام شبيه بنظام الديموقراطية المعاصر ولكن الشورى أشمل وأوسع وأعدل من الديمقراطية المنتشرة فى بعض دول العالم الآن ومن الأمثلة الجيدة فى الحكم بالشورى فى الإسلام كان عصر الخلفاء الأربعة الراشدين (أبو بكر - عمر - عثمان - على) ثم الخليفة الأموى (عمر بن عبد العزيز) .

والمصدر التشريعى والعقدى فى الإسلام أمران : القرآن الكريم وما أثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير وهذا ما يعرف بالسنة النبوية .

وفى القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ ومعناه أن القرآن يحوى نظام الأمة والأسرة والأفراد حياة وتشريعا فى كل شىء منذ ميلاد الإنسان حتى وفاته ، وإذا - كانت النظم المعاصرة قد اتخذت دساتير للحكم يرجع إليها عند التشريع فالقرآن هو دستور المسلمين ، وذلك لأن القرآن قد حوى القواعد العامة فى شأن التشريع .

ففى العبادات حوى كل أحكام العبادات التى هى أساس الإسلام كما جاء فى الحديث النبوى الشريف : (بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا) .

هذه العبادات هى الصلة بين المسلم وبين الله سبحانه وتعالى ، أما ما بين أفراد المسلمين كمجتمع وأحكام الأسرة والمعاملات ، ونظام الحكم وواجبات الحاكم ، وواجبات المحكوم فكل هذا جاء فى القرآن الكريم بقواعد عامة يمكن أن تتفرع الجزئيات لتواكب كل زمان ومكان .

ولقد عنى القرآن الكريم بالتفصيل فى بعض هذه الأمور وبالإجمال فى أمور أخرى ، فبالتفصيل فى أحكام الأسرة حيث أقر الصلة بين الرجل والمرأة على عقد الزواج ، وبين حقوق كل من الزوجين والأولاد والآباء ، وعقد الصلة بين أفراد الأسرة على وجه تتوثق به حياتهم ..

وبعد الوفاة نص على قسمة الميراث ، ونادى بالسلام الاجتماعى فى المجتمع فأوصى بحقوق الجيران وبحسن التعامل بينهم ، وفرض الزكاة على الأغنياء حقا واجبا للفقراء والمساكين ،

وقد أوصى فى الناحية الأخلاقية بالوفاء بالعهد والوعد ، وفى القرآن أصول التشريعات الجنائية والمدنية والتجارية وقد جاءت السنة مبينة للمجمل فى القرآن فأوضحت الكثير من أحكام التعامل فى التجارة والصناعة والزراعة كما حث القرآن على العمل والإنتاج وكذلك السنّة ..

وقد ساوى الإسلام بنصوص القرآن والسنة بين الناس جميعا ..

والإسلام ساوى بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات ، فكما أمر الرجل بالعبادات أمرت

المرأة بذلك ، وللمرأة فى الإسلام شخصيتها وذمتها المالية المستقلة ، ولقد كرم الإسلام المرأة وأوجب على الزوج أو الأب أو الأخ أن ينفق عليها ويرعاها وأن لا يعطل مهمتها الوظيفية ، كما احترم الإسلام رأى المرأة فى الزواج فلا تزوج إلا بموافقتها ..

والإسلام كما قلت نظم كل أمور الحياة أى أنه للدين والدنيا وحدد المسئوليات للحاكم والمحكوم ، وحدد الحلال والحرام فكان الحرام كل ما فيه ضرر للإنسان ، ومن المحرمات التى نص عليها الإسلام صراحة : القمار ، والخمر ، والزنا ، ومن المطعومات : حرم كل الأشياء الضارة بالإنسان .

ولقد دخلت مصر فى الإسلام فى العام العشرين من الهجرة فى فترة خلافة عمر بن الخطاب وعلى يدى عمرو بن العاص . وهو الذى أنشأ أول مسجد فى مصر فى الفسطاط ومازال جامع عمرو بن العاص فى القاهرة إلى الآن تؤدى فيه الصلوات ويعمره الناس بعبادة الله .

وفى القرن الرابع الهجرى كان الجامع الأزهر أنشأه جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وقد افتتح هذا الجامع للدراسة والعبادة فدرس فيه أولا فقه المذهب الشيعى الذى يتبعه الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، ثم بعد مائتى سنة من هذا التاريخ انتهى حكم الشيعة الفاطمية ، وقام الأزهر على تدريس مذاهب السنة الأربعة (المالكية - الحنفية - الشافعية - الحنبلية) وقد استمر - بحمد الله - الأزهر قائما على دراسة العلوم العربية والشرعية وغيرها من العلوم المتداولة فى كل عصر لأكثر من ألف عام وتوافد عليه علماء المسلمين من الشرق والغرب بعلومهم ومؤلفاتهم ..

ولعله لا يغيب عن الأذهان أن الحضارات الرومانية واليونانية قد اختلطت مع الحضارة الإسلامية وأنبتت أسس الحضارة الأوروبية الحديثة ودراسة الأزهر فى مختلف عصوره لم تكن مقصورة على اللغة العربية ، والعلوم الشرعية وإنما درست به كل المعارف والعلوم المتداولة فى عصره : كالفلسفة ، والطب ، والرياضة ، والفلك ، ولعلمائه العديد من المؤلفات فى كل هذه العلوم تحتويها مكتبة الأزهر الكائنة الآن فى الجامع الأزهر ..

والأزهر وهو المقر للدراسات العربية والإسلامية يفد إليه طلاب العلم من كافة بلاد الأمة الإسلامية ، وضمن مبانى الجامع الأزهر توجد مبانى الأروقة التى كان يسكنها طلاب العلم ، وهى فيما يعتقد الأساس للمدن الجامعية ، ولم تكن هذه الأروقة لمجرد السكن بل أيضا كان فيها إطعام الطلاب والقيام على شئونهم .

وقد استبدل بالأروقة مدينة البعوث الإسلامية لسكنى الطلاب الوافدين ، كما أنه يدرس بالأزهر الآن نحو ١٢ ألف طالب من الوافدين من خارج مصر فى مرحلة ما قبل الجامعة وفى الجامعة ، كما يوفد الأزهر علماءه إلى شعوب الأمة الإسلامية لتعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية .

وقد عرف الأزهر التنظيم الجامعى المعاصر منذ عام ١٩٣٠ حيث انقسمت الدراسة العالية فى الأزهر إلى كليات ثلاث : أصول الدين ، واللغة العربية ، والشريعة ..

←

ثم استحدث فى جامعة الأزهر كليات أخرى تحدد الدراسات التى كانت قائمة ككلية الطب ، والعلوم والزراعة ، والهندسة ، والصيدلة ، والتجارة ، وطب الأسنان ، وتوجد المعاهد الأزهرية (مرحلة الابتدائى ، ومرحلة الإعدادى ، والثانوى) . كما يوجد فرع خاص للبنات بالجامعة . وأيضا معاهد إعدادية وثانوية للبنات تابعة للأزهر تغذى هذا الفرع ..

ولعله معلوم للكافة أن الأزهر يعتبر الأب الشرعى لكافة الكليات والجامعات العربية والإسلامية فى الدول العربية والإسلامية ومازال علماؤه الكبار يعملون فى كافة الجامعات العربية والإسلامية وبين كافة الدول الإسلامية ..

مرة أخرى أرحب بكم .

رئيس الوفد : شكرا لفضيلة الإمام الأكبر على استقباله لنا ، وإنه لشرف كبير لنا أن نأخذ هذا الوقت الثمين ونستمع إلى هذه المحاضرة القيمة عن الإسلام ، وسيظل لقاؤنا هذا ذكرى جميلة طيلة حياتنا وقد ذكرتم فضيلتكم أن من أدوار الأزهر التى يقوم بهاهو العيش فى سلام مع الجيران ، وبصفتكم تمثلون القيادة الدينية فهل من الممكن المساهمة فى إيجاد صيغة للسلام فى هذه المنطقة من العالم ـ وإذا سمحتم بالإضافة ـ فإلى جانب الصراع بين اليهود والمسلمين فهناك صراع بين إيران والعراق فهل لزعماء الدين أن يساعدوا فى إيجاد صيغة سلام ؟

فضيلة الإمام : الإسلام بطبيعته سلام ، ولهذا فإن المسلمين عاشوا دائما تحت راية السلام ويدعون له ومن يتتبع التاريخ فى عصوره المختلفة يجد أن المسلمين اعتدى عليهم من الشرق والغرب دون أن ـ يكونوا معتدين ، ولا يغيب عن البال احتلال الرقعة الإسلامية من الاستعمار الغربى فى بداية هذا القرن وما يحدث الآن سواء بين العرب وإسرائيل أو بين العراق وإيران فهو أثر من آثار الاستعمار .

فوجود إسرائيل كما هو معروف كان بناء على وعد بلفور ، وإذا كان هذا قد حدث بالمخالفة لقواعد حقوق الإنسان فإن الآثار الناتجة عن ذلك يتحمل عبئها الآن المسلمون وما يحدث الآن فى إسرائيل من يلام عليه ؟ المعتدون أم المعتدى عليهم ؟. الذين احتلت أرضهم أم الذين احتلوا الأرض ؟..

ولعلى أضع هذا السؤال لنتحاكم إلى العقل من يلام فى الحرب المعتدى أم المعتدى عليه ؟

أما الحرب بين العراق وإيران فأمر مرجعه الخلاف على الأرض وهذا أمر ينبذه الإسلام ، والإسلام دائما يدعو إلى السلام فالله تعالى يقول : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وبهذا يتضح أن السبب فى النزاع سواء بين إسرائيل والعرب أو بين إيران والعراق كله راجع إلى الاستعمار الذى احتل البلاد .

، والمسلمون والإسلام لا يعادون اليهود بوصفهم يهوداً ، وعلى أرضنا وفى بلاد المسلمين يقيم اليهود فى أمان ولكن إسرائيل بوضعها وبوصفها هى التى اخترقت أمان المنطقة وأمنها ، ومع هذا

فإن الدعوة للسلام قائمة وها هو التنازل عن بعض الحقوق يعرضه العرب وهى تأبى ذلك .

ولا يوجد مسلم يعتدى على معبد أو كنيسة فالإسلام احترم دور العبادة ولكن إسرائيل تهدم المساجد وتحرقها ولا سيما « المسجد الأقصى » و « مسجد الخليل إبراهيم » كما أنها تعتدى أيضا على الكنائس وطردها راعى الكنيسة المصرية إلى الآن قائم وثابت ..

أما دور الأزهر فى السلام فالأزهر دائما ينادى ويوجه النداءات إلى هذه الجهات المتنازعة أن تركن إلى السلام وأن تعترف بحقوق الإنسان .

ولقد عرض شيخ الأزهر أن يتدخل فى الصلح بين إيران والعراق إذا وافقت إيران على ذلك ولم ترد إيران إلى الآن .

وبخصوص إسرائيل فأعتقد أن ما يعرضه القادة العرب والمسلمون الآن لإنهاء النزاع نهائيا أمر واضح على المستوى العالمى والأزهر يؤيد هذه الجهود ويأمل أن تنزل إسرائيل عند رأى المجتمع الدولى فى ذلك ، ولعلنا جميعا نذكر القرارات التى صدرت عن المنظمات الدولية ولم تنفذها إسرائيل .

والمأمول أن نساند جميعا احترام حقوق الإنسان وحق تقرير المصير لكل الشعوب ..

رئيس الوفد : شكرا جزيلا لفضيلة الإمام الأكبر على هذه الإجابة الشافية وعلى هذا التوضيح الشامل وأرجو أن أنوب عن الوفد فى تقديم الشكر على هذا اللقاء ومنحنا كل هذا الوقت الثمين واستماعنا لهذه المعلومات القيمة ..

فضيلة الإمام : مرة أخرى أهلا بكم فى الأزهر ..

سجل اللقاء

أحمد عبد الخالق محمد

المترجم بمكتب شيخ الأزهر

راجعه وصححه الشيخ/**عمر البسطويسى على**

بالشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر ..

مثل في الكتاب العزيز

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

قال الله تعالى :
﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ. الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

لو قرأت كبريات كتب التفسير فى هاتين الآيتين ، كالتفسير الكبير للفخر الرازى ، وروح المعانى للألوسى ، لما وجدت فيما يقتضيه هذا العصر من تفسير إلا يسيرا ، مع احتلال صاحبيهما مكانة عليا فى التفسير المناسب لعصرهما ، ولعلنا ندرك من هذا أن التفسير يختلف باختلاف العصور ومشاكلها وقضاياها ، وخير ما يفسر به القرآن هو الزمن ، وفى الآيتين قضايا :

١ ـ الحديث عن الله :

وتلك القضية لا حاكم فيها ولا مُكيِّف لها إلا علّام الغيوب ، وما أوحى به إلى رسله يعلمون الناس ما لا قدرة لهم على إدراكه على وجهه الصحيح ، فالعقيدة والعبادة تنبيه للإنسان إلى العنصر الروحى فيه ، وعروج إلى الموجود الخالد الذى احتوى الأزل والأبد .

وكل من العقيدة والعبادة قد خلا من التشبيه والتعقيد .

عقيدة صافية ، وعبادة مؤثرة لا يبعُد أن يمتد أثرها فى الكون كله ، وعلى المنكر أن يثبت ما يفتريه ويدعيه .

وصلة الآية بما قبلها من آيات ضرب فيها المثل للمنافقين بالذى استوقد نارا ، وبالصَيِّبِ ، أمر واضح ، وتوسط ما بين الأمثال ليس غريباً عن ضارب المثل ، وعن القرآن الذى ذكر فيه المثل ، وعن الوعيد والوعد لمن صدّق أو كذّب .

وَنَفْيُ استحياء الله من ضرب الأمثال ، يقتضى إثبات الحياء له سبحانه بما يتناسب معه ، وليس

كمثله شيء فى ذاته وصفاته وأفعاله .

والحياء فى الإنسان مروءة فهو يغاير الخجل الذى هو عيب ينقص من شخصية صاحبه ، وبالتالى يدل على نقص فيه .

٢ ـ ضرب الأمثال :

وذلك لتوضيح المعانى ، وإبراز المعقول فى صورة المحس ، والمتخيل فى صورة المتيقن ، وضرب الأمثال حافز على التفكير : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ ، ففى ضرب الأمثال فائدتان :

(أ) تحريك القوى الدافعة للرذيلة ، والحافزة على الفضيلة ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا ﴾ فالعقل وما يشتق منه يرمز به إلى تلك الخاصية فى عقل الإنسان .

(ب) الحض على التفكير ، واستنباط العبرة من المثل ، ويشير إلى ذلك فى القرآن بالفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم .

وخص البعوضة هنا لينبه الإنسان المغرور بصغر شأنه ، وحقارة قدره ، إذ يمثله فى مُضَرَّاة(١) البعوضة وما تحتها من ذرة أو خلية ، وما هو أعلى منها حجما من ذبابة وعنكبوت ونحو ذلك مما ضربه القرآن من أمثال تثبت العبرة : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

٣ ـ موقف الناس من القرآن وضرب الأمثال فيه :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ .

« الفاء » لترتيب موقف الناس على الموقف(٢) ، و« أما » تضمنت معنى الشرط ، ولذا وقعت الفاء فى جوابها .

والمؤمنون لهم موقف يتميزون به عن غيرهم ، فهم يعلمون ثم يعتقدون أنه الحق ، الذى لا يعتريه ريب فى ثبوته ، ولاشك فيما تضمنه من حكم ، فهم يعتقدون بعد علم ، ويتحققون بعد فكر ، وهم ناجون من غائلة الجهل والتقليد ، وعكس ذلك ثابت لغيرهم : ﴿ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ .

وفرق كبير بين منطق يسوده العقل مبتغيا الوصول إلى الحق ، وبين جدل تطلب به الغلبة والتشهى ، ومن أهم مظاهره الإغراء بالقشور ، وإثارة البغضاء بلا مبرر ، وإشاعة الخلاف فيما لا خلاف عليه ، وتلك مظاهر آفات الجدل الذى لا يريد صاحبه من وراء إثارته إلا إنكار الحق ، فضرب المثل مألوف معروف عند العرب وغيرهم ، وفيه إيجاز لما قد يطول ذكره ، وإبراز لإفحام

(١) أى ذراتها .

(٢) أى الحدث .

الحس الذى يعتمدون عليه ، وماهو أكثر تركيبا فالحس أقدر على استيعابه ، وما كان بسيطا فالعقل أقوى على دركه .

٤ ـ القضاء والسبب :

﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ .

الإضلال والهداية من الله سبحانه . والضلال والاهتداء من كسب العبد واختياره ، والدواء النافع يقدم إلى المرضى ، فيشفى بسببه من تناوله ، ويموت بسبب إعراضه من رفض تناوله ، فرافض الدواء يموت والدواء فى متناول يده ، ما أماته الدواء ولكن ، أماته الإعراض عن تناوله ، وتأمل قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ ، فالفاسق خرج عن طاعة الله باختياره وكسبه ، وإلقاء التبعة على غيره تنصل من المسئولية التى ناطها الله به ، وحمله إياها فى قوله : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ فالباء الأولى للسببية ، وهى داخلة على محذوف ، والثانية للسببية : أيضا وهى داخلة على الضمير وما يرجع إليه ، والتقدير :

يضل بإعراضهم كثيراً ، ويهدى بالانتفاع من أمثال القرآن كثيراً ، وكثرة الأولين الضالين عددية ، وكثرة الآخرين كيفية وإن كانوا قليلى العدد :

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

٥ ـ العـهـــد :

ما أشد حرص الإسلام على الوفاء بالعهود ، وما أشد نكيره من نقضها ، وقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة فى الوفاء بالعهد حينما قال نفر من المسلمين : « بيننا وبين من نحارب عهد فى الجاهلية ، ألا نقاتلهم » ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نفى لهم بالعهد ، ونستعين الله عليهم » .

ولشناعة ما عليه الناقضون قال : ﴿ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ أى توثيقه واستقراره ، وما من عهد بين العبد ونفسه ، أو العبد وغيره ، أو العبد وربه إلا والله رقيب فيه ، ينسبه إلى نفسه تأكيداً له ، وإعظاماً لحرمته ، والقاعدة فى الإسلام إيجاب ما يتمسك به الطرف الآخر فالسلام مع المسالمين ، والإحسان مع من يستحقون الإحسان ، وفوضى الإحسان جريمة يؤاخذ الإنسان عليها ، إذ الإحسان فى غير موضعه إساءة .

٦ ـ العلاقات الاجتماعية :

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

مانزلت الأديان ، ولا وضعت الشرائع ، إلا لتقرير واجبات ، وتحديد حقوق ، والواجبات تكاليف ، والحقوق مطالب ، وصلات الناس على أساس العدل مطلوبة شرعا ، والتعمير والبناء ـ لا الهدم والتخريب ـ مطلوب كذلك شرعاً ، وما أمر الله بوصله ، ونهى عن تقطيع أوصاله وكل من عاملك بمثل ما تعامل به غيرك عدل ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فبُعْدٌ ، والخير فضل لا تضن به ، ومقابلة الشر بالشر عدل فوقه الإحسان الذى من مقتضاه البعد عنه ، إن لم تستطع أن تدفع بالتى هى أحسن ، فإن استطعت ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

البقية ص ٥١١

رؤية إسلامية للديمقراطيات العربية

بقلم لواء أ.ح

د. فوزى محمد طايل

الأصول التاريخية :

لقد شاع استخدام كلمة « ديمقراطية » فى أيامنا هذه ولبست أثوابا وأقنعة شتى ، وأصبح يعبر بها عن النظام السياسى الصالح من وجهة نظر هذه الفئة أو تلك ، واختلطت الأمور فراح البعض يظنون أن وصف الدولة الإسلامية « بالديمقراطية » هو من قبيل تشريفها أو إظهارها بالمرونة والصلاحية لقبول كل الأفكار .

ورغم غموض لفظ « الديمقراطية » واستخدام النظم السياسية فى الشرق والغرب له إلا انه من الممكن تحديد مضمونه وفحواه ، وتحديد موقف الإسلام منه .

بادىء ذى بدء لنستبعد اصطلاح « الديمقراطيات الشعبية » ونعالج موقف الإسلام منه فى موضع آخر بإذن الله ، ونقصر حديثنا اليوم عن « الديمقراطيات الغربية » ... أى المذهب السياسى الذى تتبعه دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية .

لقد اشتق لفظ « الديمقراطية » من العبارة «الإغريقية » Demos Kratos والتى تعنى « حكومة الشعب » ، بمعنى أن يكون الحكام هم « الشعب » . بيد أن الشعب بمفهومه السياسى آنذاك كان لايتعدى معشار الشعب بمفهومه الاجتماعى ، إذ كان يخرج منه النساء والأطفال والعبيد والأجانب وطوائف أخرى . ورغم أن هذه الصورة من صور الحكم تعد هى الصورة المثلى لما يسمى «بالديمقراطية المباشرة» إلا أن «أفلاطون» (٤٢٨ ـ ٣٤٧ ق.م) وهو من يلقب بواضع (علم السياسة) هاجم هذه «الديمقراطية» واعتبرها بمثابة حكم «الرعاع والغوغاء» وفضل عليها حكم «الصفوة» من العلماء والفلاسفة ، كما أن تلميذه «أرسطو» (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) الذى يعتبر أهم أعلام «علم السياسة» القدامى ، رأى أن «النظام

الديمقراطى» نظام فاسد ، بيد أنه كان يقول إن السلطة تنبع من الجماعة ، وأنها للقانون وليست للحاكم .. وكان قوام الجماعة عنده «الطبقة المتوسطة» .

ورثت الامبراطورية الرومانية الفكر السياسى «الإغريقى» .. بيد أن سلطة الدولة كانت شاملة : سياسية ، وعسكرية ، وقضائية .

وقد شهدت الامبراطورية الرومانية فى الخمسة قرون الأولى بعد ميلاد المسيح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ فصلا كاملا بين الكنيسة وبين الدولة ، اتباعا لما جاء فى الإنجيل المتداول : «اعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله» لذا شهد المجتمع سلطتين : إحداهما «دينية» ، والثانية «مدنية» ، وكانت العلاقة بينهما علاقة سلام ، لخضوع السلطة الدينية للسلطة المدنية .

ما لبثت هذه الأوضاع أن تطورت إلى صراع بين السلطتين ، ويرجع ذلك أساسا إلى عدم احتواء «المسيحية» الكنسية على تنظيم شامل لنواحى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، كما هو الحال فى الإسلام ، بل إن جماع تعاليم هذه المسيحية كان يقتضى إلغاء الفكر السياسى ، هذا فضلا عن أنه قد نسب للمسيح أنه قال : «إن مملكتى ليست فى هذا العالم» .

عاشت أوروبا فى ظل صراع السلطة عهودا من التخلف والاضطراب فى الفترة التى يطلقون عليها «العصور الوسطى» ، والتى انتهت بنهاية القرن الخامس عشر الميلادى لتبدأ بعدها فترة زمنية مازالت تشهدها أوروبا حتى الآن تسمى «عصر النهضة» والتى يؤرخ لها ببداية القرن السادس عشر الميلادى .

المذهب الفردى الحر وظهور الديمقراطيات الغربية :

شهد القرن السادس عشر تحولات كبرى فى كل مجالات النشاط فى أوروبا : فنشطت حركات الاستكشاف والتجارة الخارجية «والامبريالية»[1] ، وظهر ما سمى «بالإصلاح الدينى» ، الذى كان يرمى إلى كسر القيود التى فرضتها المسيحية الكنسية قرونا طويلة على حرية الفكر وحرية البحث العلمى . وقد نال الفكر السياسى من التطور ما نال غيره فى شتى مجالات النشاط الإنسانى الأخرى .

ولعل أول من قدم فكرا سياسيا فى أوروبا فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى كان «نيقولا ماكيافيلى» (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧ م) الذى دعا إلى الحكم الملكى المطلق وإلى فصل السياسة عن الدين ، ووضع مبدأ لا أخلاقيا مازال سائدا فى الفكر السياسى الديمقراطى الغربى حتى الآن وهو : «الغاية تبرر الوسيلة» .

إذ قال إن «الأمير» يستطيع أن يلجأ إلى جميع الوسائل ، لو كانت منافية للأخلاق ومحرمة دينا من أجل تحقيق الغاية التى يهدف إليها . بيد أن فكر «ماكيافيلى» لم يكن مبرأ من التناقض إذ أشاد بالحرية كما أنه دعا إلى نبذ النظم الملكية

(١) كلمة امبريالية Imperialism مشتقة من كلمة Imperial بمعنى امبراطورى .. والكلمة المختارة أدق فى التعبير من لفظ «الاستعمار» المتعارف عليه ، لما له من معنى لغوى محمود لا يتفق وجوهر النشاط الغربى القائم على الاستغلال الاقتصادى والقهر الاجتماعى والغزو الثقافى والدينى .

وإقامة النظم الجمهورية القائمة على سيادة الشعب .

●●●

وقد اعتمد الفكر السياسى الأوروبى منذ ذلك الوقت على إعمال العقل المطلق دون الاستناد إلى قواعد أخلاقية أو دينية سماوية .. بيد أن الفلاسفة والمفكرين بعدما أعياهم البحث عن السند الذى يؤيد أفكارهم راحوا يختلقون النظريات الخيالية ، والأفكار الوهمية كفكرة «الحقوق والحريات الطبيعية السابقة على وجود الجماعة» ، ونظـرية «العقـد الاجتماعى» ، وانقسموا إلى فريقين .

الفريق الأول يحاول تأييد نظام الحكم المطلق مثل «هوبز» فى انجلترا ، و«بوسويه» فى فرنسا .

والفريق الثانى يحاول مستندا إلى نفس الحجج أن يدعو إلى «المبادىء الديمقراطية» مثل «جـون لوك» فى انجلتـرا ، و«فـولتـير»(٢) و«مونتسكييه» ، و«روسو» فى فرنسا ، وكان ذلك طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين .

وبرغم الصياغات المختلفة لنظرية «العقد الاجتماعى» ـ جوهر الديمقراطيات الغربية ـ إلا أنها تدور حول فكرة أن الإنسان كان يعيش حياة فطرية همجية يتمتع فيها بحقوق وحريات طبيعية ، فاتفق أفراد الجماعة ـ نظرياً ـ على أن يتنازلوا عن قدر من حرياتهم فى مقابل إقامة سلطة سياسية والانتقال إلى العيش فى جماعة يتمتعون فيها بالحقوق والحريات الطبيعية بشكل أفضل ، إذ ستحمى السلطة التى ستنشأ فى الجماعة بموجب العقد الاجتماعي التخيلي ممارسات الأفراد للحريات . ولكى يتم تنصيب السلطة السياسية ، فإن من الضرورى أن ينال الجميع «حق الاقتراع العام» ، هذا الأخير الذى سوف ينتج عنه بالضرورة «أغلبية» و«أقلية» ، و«الأغلبية» هى التى تعبر عن «الإرادة العامة» للجماعة .

وعلى الرغم من أن مقتضى نظرية العقد الاجتماعى أن يمارس الشعب حقوقه السياسية فى شكل «الديمقراطية المباشرة» ، إلا أن النظم السياسية الغربية قد أخذت فى هذه الجزئية بفكر «مونتسكييه» الذى هاجم فكرة «الديمقراطية المباشرة» ونادى بفكرة «الديمقراطية النيابية» ، كما أنه كان أفضل من صاغ مبدأ «الفصل بين السلطات» كضمانة من ضمانات الحفاظ على حقوق وحريات الأفراد .. هذا المبدأ الذى يعد تعديلا جوهريا فى نظرية «العقد الاجتماعى» التى صاغها بصفة نهائية «جان جاك روسو» والذى كان يرفض فكرة «الفصل بين السلطات» !!

لقد تعرضت نظرية العقد الاجتماعى للكثير من النقد الذى قد لا يتسع المقام لتوضيحه تفصيلا وإنما يكفينا أن «جان جاك روسو» واضع كتاب «العقد الاجتماعى» والذى يسمونه «إنجيل الثورة الفرنسية» قد وقع فى تناقضات تهدم نظريته من أساسها ، ولما أعيته الحيلة فى محاولاته لإزالة التناقضات صرح بأن نظريته مجرد «افتراض» لا يستند إلى واقع أو تاريخ أو منطق أو حقائق علمية فهى «محض خيال» !!

وقد شهد الربع الأخير من القرن السابع عشر بدء ظهور ركيزة هامة من ركائز «الديمقراطيات الغربية» ألا وهى الأحزاب السياسية التى

←

---

(٢) ڤولتير من أعدى أعداء الإسلام الذين هاجموه دون معرفة شيء عنه .

تتنافس فيما بينها للوصول إلى السلطة .. ثم ظهرت فكرة «العلمانية» Secularism التى تقوم على استبعاد الدين من مجالى السياسة والتعليم بمقولة التخلص من القيود الثقيلة التى فرضتها تعاليم المسيحية الكنسية على هذين المجالين فكانت سببا فى تخلفهما قرونا طويلة .

الراسمالية توءم الديمقراطية الغربية :

لئن كانت هذه هى الملامح الرئيسية للفكر السياسى الغربى ، فإن الفكر الاقتصادى «الرأسمالى» يشكل الشق الثانى ، بحيث يمكن القول بأن جناحى المذهب الفردى (الليبرالى) هما «الديمقراطية» ، و«الرأسمالية» . وقد ظهر هذا الفكر الاقتصادى منذ منتصف القرن الثامن عشر على يد «كينيه» فى فرنسا ، و«آدم سميث» فى انجلترا . وقوام هذا الفكر هو إطلاق الحريات الاقتصادية وعدم تقييدها بأى قيود سواء فى الداخل أو الخارج تحت الشعار الشهير «Lais-sez Faire Laissez Passer» أى «دعه يعمل دعه يمر» ، ولا توجد حدود لهذا المبدأ «فالربا» مباح فى نظرهم ، بل هو جوهر النشاط الاقتصادى الغربى ، والمنافسة لا تحدها أى قواعد دينية ، فهى متروكة للمبدأ الذى أتى به «داروين» : أن «البقاء للأصلح» ، فيجوز للقوى أن يسحق الضعيف ولا يبالى .. وقد كان هذا المبدأ بمثابة المبرر والحجة (الظالمة) لنهب وجلب ثروات البلاد التى احتلوها .. ووصل بهم الحد إلى اعتبار بعض تلكم البلدان أملاكا خاصة لهم يتصرفون فيها كيفما شاءوا .

هذا ، ولم يحتو المذهب الفردى «الليبرالى» التقليدى أية أفكار اجتماعية حتى بداية الثلث الثانى من القرن العشرين إذ بدأت دول الديمقراطيات الغربية تتدخل لتوفير «الحد الأدنى اللازم للمعيشة» للفقراء ومحدودى الرزق .

الديمقراطيات الغربية خارج بلادها :

ذلك ولا تقتصر «الديمقراطيات الغربية» على النشاط الداخلى بل إنها تعتمد بصفة أساسية على النشاط الخارجى الذى يقوم على مبدأين :

١ ـ **الامبريالية** : بمعنى السيطرة على مقدرات وثروات الأمم الأخرى وربطها اقتصاديا بها والعمل على إنهاكها واستنزاف مواردها بالحصول على المواد الخام منها بأرخص الأثمان ثم تصدير المنتجات المصنعة إليها بأفدح الأثمان ، ومنحها قروضا ربوية تفوق فوائدها المتراكمة أصول الديون .. وبذا تمكنت دول الديمقراطيات الغربية من قهر الأمم الأخرى ، ومنها شعوب الأمة الإسلامية ووضعها باستمرار فى موضع التبعية والاستجداء .

٢ ـ **«السيطرة الثقافية والتبشير الكنسى»** : فمن خلالهما يتم تشويه اللغة الأصلية للبلاد «المستَغَلّة» ، وطمس العقيدة الدينية بها ، وتربية أجيال مغتربة تفكر كما يفكر الغربيون ، ويتبنون أهدافهم ، ولا يرون مصلحة بلادهم إلا فى الارتباط بالغرب والعمل على تطبيق «ديمقراطيته» ، وينقلون دون وعى القيم الغربية دون نظر إلى أنها نبت غريب لا ينمو فى تربة أخرى خارج ذلك العالم الغربى ، فهم بذلك ـ دون وعى منهم ـ وكلاء عن أصحاب الديمقراطية الغربية وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

مرتكزات الليبرالية :

خلاصة القول إن المذهب الفردى (الليبرالى) .

الذى تعد الديمقراطيات الغربية شقه السياسى تقوم على المرتكزات التالية :

١ - اطلاق الحريات السياسية والاقتصادية للأفراد واعتبار المصلحة الفردية مقدمة على المصلحة العامة .

٢ - الدفاع عن حقوق الإنسان .

٣ - الدولة شر لابد منه يجب أن تنحصر وظائفها فى الدفاع والقضاء وأن يكون تدخلها فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى بغرض تمكين الأفراد من ممارسة حقوقهم وحرياتهم .

٤ - العلمانية بمعنى فصل الدين عن كل من السياسة والتعليم ، حتى لا تعوق المبادىء الدينية مسيرة التقدم ولا تفسد حرية الفكر والبحث العلمى .

٥ - تعدد الأحزاب السياسية وتنافسها للوصول إلى السلطة .

٦ - الفصل بين السلطات .

٧ - الحضارة الغربية هى الإطار الروحى فى الداخل ، والدافع على التحرك الخارجى . وهى حضارة تكونت فى ظل ظروف تاريخية واجتماعية ودينية خاصة بالدولة الرومانية وما أسفرت عنه بعد ذلك من دول أوروبية .

هذا وقد غدت الديمقراطية الغربية منحصرة فى ممارسة الشعب لحق الاقتراع يوم الانتخابات فقط ، وذلك لاعتبارات عملية وبسبب التقدم العلمى التقنى الهائل ، فصارت القرارات السياسية تتخذ بعيدا عن نواب الشعب ، فضلا عن أنها تتخذ بعيداً عن الشعب نفسه ، لدرجة اننا نجد احد كبار علم الاجتماع فى فرنسا ، وهو «جوستاف ليبون» ، يقول : «ليس هناك ما يحملنا على الاعتقاد بأن فرنسا بلد «ديمقراطى» اللهم إلا فى الخطب والكلمات» . ونجد إحدى المقالات الحديثة نسبيا فى جريدة «الجارديان الأسبوعية» البريطانية التى صدرت فى الخامس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٨٨ م تصف الديمقراطية بأنها «شعوذة القادة السياسيين» incantations of political leaders» .

تاثير الافكار الديمقراطية فى العالم الإسلامى المعاصر :

ومن عجب أن نجد بعضا من كبار المثقفين وذوى السلطان فى الأمة الإسلامية يتجاوز إعجابهم بالديمقراطيات الغربية الحد ، فيحاولون أن يصفوا الإسلام بأنه «ديمقراطى» ، أو انه جاء بالديمقراطية ، أو ان دولة الإسلام تتسع للتطبيق الديمقراطى على النمط الغربى ، ويحاول البعض تصوير «الشورى» التى جاء بها الإسلام على انها لا تعدو أن تكون تطبيقا من تطبيقات «الديمقراطية» ، أو هى أساس صالح لإقامة الديمقراطية الغربية فى أرض الإسلام .. لذا كان لزاما أن نتناول فى موضوعية علمية منطقية تحليل مرتكزات «الديمقراطيات الغربية» ، وبيان موقف الإسلام من كل منها حتى يتميز الباطل من الحق ، وحتى لا تلتبس علينا الأمور .. وحتى نلتقى فى المقال التالى لاستكمال الحديث فلنتذكر قول الحق تبارك وتعالى فى سورة المائدة (الآية ٤٨) :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

الربا والوديعة المصرفية

في ضوء حقائق الفقه وأدلته (٢)

للأستاذ الدكتور
أحمد فهمي أبو سنة

كنا كتبنا في عدد سابق تحت هذا العنوان عن ربا الدين المجمع على تحريمه ، وناقشنا ما دار حوله من آراء نشرت في الصحف ، ووعدنا بالكلام عن الوديعة المصرفية لنتبين حكم ما فيها من الفائدة والربح ، وفي هذه الكلمة ننجز موعدنا بإذن الله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ سورة النساء ـ ٥٨ والآية الكريمة بعمومها تدل على وجوب رد الأمانات إلى أصحابها ومن هذه الأمانات الودائع .

والوديعة هي : المال الذي يدفعه الإنسان إلى آخر ليحفظه له من غير أجر ، والعقد الذي بينهما يسمى عقد ايداع فإن كان الحفظ بأجر ، كان عقد إجارة : فحفظ من أودع عنده المال له وعدم تصرفه فيه : ركن من أركان عقد الإيداع وبتحقيق هذا الركن يسمى المال وديعة .

فإذا تصرف فيه بإذن المودع وكان مما يبقى بالاستعمال كالكتاب والسيارة خرج من أن يكون وديعة وأصبح عارية لها أحكامها .

وإن كان مما يستهلك بالاستعمال : كالأطعمة والنقود صار قرضا ، والنقود منه لأنها تخرج من يده إلى يد غيره ، وحينئذ يأخذ حكم القرض وهو أن هذا المال يصير مملوكا له ويتصرف فيه بأنواع التصرفات المشروعة وعليه رده إلى من كان أودعه عنده .

ذلك لأنه وإن كان وديعة في الظاهر فهو قرض في الواقع إذا الوديعة فقدت ركنها وهو الحفظ وعدم التصرف فيها والعبرة في العقود ، لمعانيها لا لألفاظها ، وهذا قدر متفق عليه بين الفقهاء ، لا فرق في ذلك بين الوديعة تحت الطلب والوديعة لأجل والوديعة الادخارية .

فإذا أودع الشخص ماله في المصرف على نحو من هذه الأنحاء ثم أخذ عن وديعته فائدة ٣٪ أو أكثر كان ذلك ربا صريحا لأنه أخذ فائدة زائدة عن القرض فينطبق عليه تعريف الربا .

وقد أبطلنا في مقال سابق كل المحاولات والتعلات التي أبداها من يحاولون احلال هذه الفائدة ولاسيما الحجة القائلة : إن المصرف يستفيد أكثر مما يعطى ذلك لأن الذي حرم الربا سبحانه لم يقيد التحريم بقيد .

ولو سلمنا أن المصرف يستفيد لا محالة لأنه يعطى المودع ٣٪ ثم يقرض هذه الودائع بـ ١٠٪ أو ١٦٪ فهذه الفائدة محرمة لأنها من ربا الجاهلية الذى قال الله فيه : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ سورة البقرة آية ٢٧٩ .

وقلنا إن هذه الفوائد لا تسمى ربحا لأن الربح ما كان عن بيع وشراء ونحوهما .

أما الوديعة الاستثمارية وهى التى تعطى للمصرف ليقوم فيها بعمل تجارى بنفسه أو بوكيله فالربح المستفاد منها حلال وبالتالى النصيب الذى يأخذه صاحب الوديعة حلال ، لأن هذا العمل وإن كان وديعة فى الظاهر لكنه عقد شركة فى الواقع وهى مشروعة وتسمى هذه الشركة مضاربة ، فإذا قام المصرف بالعمل التجارى بنفسه كان مضاربا وإذا وكل العمل التجارى إلى غيره كان هذا الغير مضاربا من قبل المضارب الأول أى المصرف .

ويشرف على هذه المصارف الاستثمارية مفتون عالمون بأحكام الشريعة الغراء تعرض عليهم معاملات المصرف لتوجيهه إلى ما هو الصحيح أو ما ليس بصحيح وما هو حلال وما ليس بحلال : فالمصارف الاستثمارية بحمد الله فى يد أمينة رغم ما يدعى المدعون لأنهم لا يفعلون ذلك إلا بغية صرف الناس عن هذا الكسب الحلال .

ومن هنا قلنا إنه إذا أريد بشهادات الاستثمار أن تكون عملا مشروعا وكسبه حلالا يجب أن يتوافر فيها أمران :

الأول : أن توظف الأموال المجموعة منها فى عمل تجارى .

الثانى : أن يكون الربح المستفاد منها شائعا بين الدولة وصاحب الشهادة كالنصف والربع .

وقد سمعنا ـ والأمل يملأ صدورنا أن يتحقق بتوفيق الله ما سمعناه ـ أن دار الإفتاء بدأت تنظم هذا النوع من الشهادات مع الوزارة المختصة ، هذا وننبه هنا على أن الوديعة الادخارية التى يحرم أخذ الفائدة عنها ما يسمى بدفاتر التوفير فإذا أخذت عنها فوائد ٣٪ أو أكثر كانت ربا وكما قلنا فى شهادات الاستثمار نقول هنا فلا تحل هذه الفوائد إلا إذا كان العمل فى أموال الدفاتر تجاريا وكان ما يأخذه أصحابها نصيبا من الربح غير محدد .

وبعد فنريد هنا أن ننوه بأمور :

١ ـ إن فوائد ودائع المصارف وشهادات الاستثمار أ ، ب من الربا الثابت بالأدلة القطعية : القرآن والسنة والإجماع ولا يسوغ الاجتهاد فى مقابلة هذه الأدلة ، فكل اجتهاد يدعى فى هذا النوع من الربا مردود .

٢ ـ إن هذا النوع من الربا لا يحل إلا للضرورة التى تبيح أكل الخنزير وشرب الخمر .

٣ ـ إن تنبيه العلماء المختصين بالفقه على الخطأ فى تطبيق هذا الحكم بالحجج النيرة قيام بأمر مفروض عليهم مهما كان شأن المخطىء وليس خروجا على قانون العقائد أو الأحكام او الآداب ، بل هو امتثال لنهى القرآن الكريم عن كتمان الحق وبُعد عن لعنة الله ، فالعلماء لا يعبأون فى هذا السبيل بلومة لائم

والله يهدى إلى الحق ويحفظ من المحرمات والشبهات .

من تراث الشيخ الطير

كيف يحيى الله الموتى؟

الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ . . . ﴾ الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

(البيـــــان)

قال الكسائى والفراء : هذه القصة معطوفة بحرف (أو) على القصة التى قبلها فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ والتقدير : هل رأيت كالذى حاج إبراهيم فى ربه ، أو كالذى مرَّ على قرية ؟

وهى والتى قبلها والتى بعدها مسوقة للدلالة على قدرة الله على إحياء الموتى ، وبعثهم للحساب والجزاء .

ولم يرد فى القرآن ولا السنة الصحيحة ما يعين صاحب هذه القصة ولا اسم القرية التى مرَّ عليها ، فلذا اختلف المفسرون فى بيانهما ، روى عن ابن عباس أن بختنصر غزا بنى إسرائيل فسبى منهم اناسا كثيرا ، فجاء بهم إلى بابل وفيهم عزير بن ترخيا ، وكان من علماء بنى إسرائيل ، فخرج عزير يوماً فى حاجة له ، إلى دير هرقل على شاطىء دجلة ، فوصل إلى شجرة هناك ، فربط الحمار تحت ظلها ، ثم طاف بالقرية فلم ير بها ساكنا ، وهى خاوية على عروشها فقال : «أنَّى يحيى هذه الله بعد موتها» ؟

وقال ابن زيد : هى القرية التى خرج منها ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا فمر عليهم رجل وهم عظام نخرة تَلُوح ، فوقف ينظر فقال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم أحياه .

ويرى ابن عطية أن ما قاله ابن زيد مخالف لنص الآية ، فقد تضمنت الآية أنه مر على قرية خاوية على عروشها ، ولم يرد فيها أنه مرَّ على قوم خرجوا من قريتهم وهم ألوف ، وقال آخرون : هى بيت المقدس بعد أن خربها بختنصر البابلى ، وقيل غير ذلك ونحن نقول : الأولى تفويض الأمر فى علمها وعلم الذى مرَّ عليها إلى علام الغيوب ، والسكوت عما أمسك القرآن عن بيانه ، كما سكتت عنه السنة الصحيحة ، والعبرة فى القصة

إنما هى فى إحياء موتاها ، لا فى اسمها وفى اسم الذى مرَّ عليها .

وقد وردت قصة هذه القرية فى الإصحاح السابع والثلاثين من سفر (حزقيا) على نحو ما جاء فى الآية الكريمة .

وسميت القرية قرية لاجتماع الناس فيها ، مِنْ قريت الماء أى جمعته ، والعروش السقوف ، جمع عريش ، وهو سقف البيت ، وكل ما يهيأ ليظل أو لِيُكِنَّ فهو عريش ومعنى (خاوية على عروشها) ساقطة على سقوفها ، بأن سقط السقف ثم سقطت الحيطان عليها ، أو معناها خالية من السكان مع بقاء عروشها عليها ، على حد قوله تعالى : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ من خوى البطن من الطعام - أى خلا ومعنى هذا الجزء من الآية الكريمة : وهل رأيت أيها الرسول مثل ذلك الرجل الذى مر على قرية مات أهلها ، وسقطت حيطانها على سقوفها، أو خالية من أهلها مع بقائها قائمة مع عروشها لم تنهدم ولم تسقط ، فقال فى نفسه متعجبا أو بلسان حاله : كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم ، أو كيف يرد الله الحياة إلى هذه القرية بعد أن خربت بموت أهلها .

﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ .

أى فجعله الله ميتا مائة سنة ، ثم أحياه مُهَيَّأً للحوار ، حيث أعاد إليه قواه الإدراكية ، ولم يذكر فى الآية الكريمة ما حدث لجسده فى فترة الموت ، هل بقى على حاله ، أم أصابه البلى والتحلل ، فالله أعلم بما كان عليه جسده فيها .

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ .

اختلف العلماء فيمن أجرى هذا الحوار معه بعد بعثه .

فقال بعضهم : إن الله تعالى هو الذى أجراه معه ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ وقال آخرون إن الحوار لم يكن من الله مباشرة ، لأنه تعالى يقول : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا . . . ﴾ وإنما كان على لسان نبى هذا الزمان ، وقيل على لسان ملك ، وقيل كان ذلك إلهاما - كما حدث لأم موسى عليه السلام - ولا يمنع هذا كله من نسبته إلى الله ، فهو الذى أمر به أو أحدثه فى نفس من يحاوره .

﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ .

أى قال على حسب ظنه : مكثت نائما وراقدا يوما أو بعض يوم ، ولعله قال ذلك لأنه لم يشاهد فى نفسه تغيرات تقتضى مكثه أكثر من ذلك ، ولهذا بعدت عن ذهنه فكرة الموت تماما .

قال ابن جريج وقتادة والربيع : أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب ، فظن هذا اليوم واحدا فقال لبثت يوما ، ثم رأى بقية من الشمس ، فخشى أن يكون كاذبا فقال : أو بعض يوم ، فقيل له : (بل لبثت مائة عام) ميتا وأنت لا تدرى ما حدث لك ، وقد أردنا بذلك أن نظهر لك ولغيرك قدرتنا على الإحياء بعد الموت ، ولكى يحقق له ذلك قيل له :

﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ .

أى إذا علمت أنك مكثت مائة سنة ثم بعثت ، فانظر فى تلك الآيات البينات : انظر إلى طعامك وشرابك اللذين كانا معك قبل الموت لم تغيره السنون والأعوام التى مضت عليك ميتاً ، بل هو باق على طراوته وسلامته من التلف والفساد ، مع أنه شأنه سرعة التغير والفساد ، وهذا دليل على أن المؤثر هو الله تعالى ، وليست الأسباب بذاتها .

﴿ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾ .

أمره الله أن ينظر إلى حماره الذى نخرت عظامه وتفرقت أوصاله ، على حين بقى طعامه وشرابه على حالهما من الصلاحية للتناول ، وتلك آية أخرى على قدرة الله تعالى والمعنى : وانظر إلى حمارك وقد مات وتفرقت عظامه ، فعلنا ما ذكر من إحيائك وحفظ طعامك وشرابك وإماتة حمارك وتفريق أوصاله ، لتدرك صدق إخبارنا أنك بقيت ميتاً مائة عام ، ولنجعلك أنت وهذه الأمور علامة للناس الموجودين وقت بعثك على قدرتنا على إحياء من فى القبور ، وليستدل على ذلك أيضاً من يأتى بعدهم ممن يؤمن بالوحى السماوى الذى يحكى هذه القصة .

﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ﴾ .

أمره الله أن ينظر إلى عظام حماره ، كيف يرفع بعضها على بعض ، كُلًّا فى موضعه تمهيدا لإحيائه ، والإنشاز «الرفع» ، والنشز الارتفاع ، ومنه نشوز المرأة ، وهو ارتفاعها عن موافقة زوجها ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا ﴾ أى وإذا قيل ارتفعوا وانضموا فامتثلوا .

والعظام لا تحيا على الانفراد ، حتى يرفع بعضها على بعض ويضم إليه .

والمعنى : وانظر إلى عظام حمارك كيف نرفعها من أماكنها فوق الأرض ، ونرفع بعضها فوق بعض ، على الشكل الذى كانت عليه قبل موت ذلك الحمار ، ثم نكسو بقدرتنا هذه العظام لحما ، ثم ننفخ فيه الروح ، فيعود كما كان جسما وصورة وحركة وصوتا ، ليعرف بالمشاهدة كيف يحيى الله هذه القرية بعد موتها كما سأل .

ويرى بعض المفسرين أن الحمار بقى حيا لم يمت كما مات صاحبه ، وأنه عاش هذه المدة دون أن يأكل أو يشرب ، وأن الله تعالى حفظه حيا كما حفظ الطعام غضا طيب الرائحة ، والشراب سائغا هنيا ، وأن العظام التى أمر الله أن ينظر إليها حين إعادتها وكسوتها باللحم هى عظام أهل هذه القرية التى مر عليها وهى خاوية على عروشها ، لأن التعجب الصادر منه كان بشأن إعادة سكانها إلى الحياة .

وسواء كان الإحياء للحمار أو القرية ، فكلاهما يقتضى قدرة الله على إحياء الموتىٰ ، ولابد أن تكون وفاة هذا الرجل بمخبأ فى جبل لا يراه فيه أحد ، كما صنع الله بأهل الكهف ، حتى يبقى الطعام والشراب بحالهما لا يمسهما أحد ، ويبقى الحمار نائما معه فى كهفه طيلة هذه المدة دون أن يأكل أو يشرب ، على رأى من قال إنه بقى حيا ، ويكون شأنه كشأن كلب أهل الكهف ، حيث بقى نائما باسطا ذراعيه بالوصيد مدة رقود أهل الكهف .

كيف كان هذا الرجل آية

قال الأعمش : موضع كونه آية هو أنه جاء شابا على حاله يوم مات ، فوجد الأبناء والحفدة شيوخا .

ويروى عن ابن عباس أنه قال : لما أحيا الله عزيرا ركب حماره فأتى محلته ، فأنكر الناس وأنكروه ، فوجد فى منزله عجوزا عمياء كانت أمة لهم ، خرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة ، فقال لها : أهذا منزل عزير ؟ فقالت : نعم ، ثم بكت وقالت : فارقنا عزير منذ كذا وكذا سنة ، قال : فأنا عزير ، قالت : إن عزيرا فقدناه منذ

مائة سنة ، قال : فالله أماتني مائة سنة ثم بعثني ، قالت : فعزير كان مستجاب الدعوة للمريض وصاحب البلاء فيفيق ، فادع الله أن يرد عليَّ بصري ، فدعا الله ومسح عينيها بيده فأبصرت ، ونشطت من عقال العمى ، وقالت أشهد أنك عزير ، ثم انطلقت إلى ملأ بني إسرائيل ، وفيهم ابن لعزير شيخ ابن مائة وثمان وعشرين سنة ، وبنو بنيه شيوخ ، فقالت : ياقوم ، هذا والله عزير ، فأقبل إليه ابنه مع الناس ، فقال ابنه ، كانت لأبى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه ، فنظرها فإذا هو عزير .

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

أى فلما اتضح له كيف يحيى الله الموتى ، بعد معاينته تلك الآيات الثلاث التى رأى فيها كيفية إحياء الله الموتى ـ فلما اتضح له ذلك ـ قال أعلم قبل مشاهدة هذه الآيات أن الله على كل شيء قدير ، وقد ازددت علما بهذه المشاهدة .

وبالجملة فالسائل كان مؤمنا بقدرة ربه على كل شيء ، ومن جملته إحياء هذه القرية بعد موتها ، ولم تنشىء فيه هذه المعاينة علما جديدا بذلك ، ولهذا عبر بصيغة المضارع (أعلم) المفيد للاستمرار ، وأن الذى تغير عنده هو وصف العلم ، فبعد أن كان ناشئا عن استدلال ، انتقل إلى علم ناشىء عن المشاهدة والعيان .

فسؤاله لا يقتضى أن يكون كافرا ـ كما ذهب إليه بعضهم ـ لأنه يقول : «أنى يحيى هذه الله بعد موتها» أى كيف يحيى هذه الله بعد موتها ، فهو سؤال عن الكيفية ، مع إيمانه بإحياء الله للموتى ، يشعر بأنه يريد معرفة طريقة الله فى إحيائهم بعد فناء لحومهم وبلى عظامهم ، ليزدادوا يقينا بقدرة الله على رد الحياة بعد الموت ، على حد قول إبراهيم عليه السلام لربه ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ .

وبعد فليس معقولا أن الإله الحكيم الذى خلق هذا الإنسان فى أحسن تقويم ، وفرض عليه أن يعبده ـ ليس معقولا ـ أن يتركه يفنى جيلا بعد جيل ، دون أن يعيده للحياة مرة ثانية ، لكى يجزى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

عزيزى القارىء

نحمد الله ـ سبحانه ـ ان وفقنا لأداء الرسالة العزيزة فطلبات الاستزادة فى طبع كميات أكثر يعتبر إلى حد بعيد المؤشر الصحيح على أن « المجلة » وبفضل الله ـ أدت دورها الذى أريد لها فى مختلف مجالاتها : الدينية والأدبية والعلمية .

ومعذرة ـ عزيزى القارىء ـ فنظراً لارتفاع أسعار الورق والطباعة ارتفاعا كبيرا لم نجد بدأ من مساهمتك مساهمة محتملة ليصبح ثمن النسخة بهديتها « أربعين قرشا » بدلا من « ثلاثين » وذلك ابتداء من الشهر الحالى ـ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ ـ ديسمبر ١٩٨٩ م .

والله الموفق .

العمل للآخرة

للأستاذ : محمد صابر البرديسى

عن سهل بن سعد الساعدى ، قال : قال رسول الله ﷺ :

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» .. رواه الإمام أحمد .

اولا : اللغة :

(١) اللهم : الميم عوض عن «يا» ولا يجتمعان . أى : ياالله .

(٢) لا عيش : أى لا عيش كاملا ، أو معتبرا .

(٣) إلا عيش الآخرة : العيش : الحياة - الآخرة : الباقية .

ثانيا : ما يشتمل عليه الحديث :

(١) الإنسان روح وجسد .

أ - يجب أن نقيد مطالب الجسد .

ب - كما يجب أن نقيد مطالب الروح .

(٢) لا فارق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، إذا قصد به وجه الله .

البيـــان

(١) الإنسان روح وجسد :

الإنسان روح وجسد ، ولكل منهما مطالب وواجبات ، والجمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد يحتاج إلى روية وحكمة ، وذلك بأن لا نطلق الحرية والعنان لكل منهما فى مطالبه .

أ - يجب أن نقيد مطالب الجسد :

وذلك بعدم الإضرار والإجحاف بمطالب الروح ، قال تعالى :

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ - سورة الكهف آية ٤٦ - وقال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ - سورة القصص آية ٧٧ - والمعنى أن من وسع الله عليه بالغنى بالمال فإن من واجبه أن يتزود من دنياه لآخرته ، فإن مال الإنسان ما قدم ، وفى الحديث (فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر) - رواه البخارى .

أما ما سوى ذلك فإن المرء ذاهب وتارك ماله للورثة ، ومن يدرى ، ماذا تفعل الورثة به ؟ والدنيا مزرعة للآخرة ، تزرع فيها الأعمال الصالحة ، ومن خرج منها فقيرا من الحسنات ، فإنه يرد على الآخرة فقيرا ، ومأواه جهنم وساءت مصيرا .

ومن وسع الله عليه بالغنى والمال فجعله أكبر همه ، وصرف إليه جل عقله ، وعظيم اهتمامه وعمله ، وترك لأجله فرائض ربه ، ونسى أمر آخرته ، فهذا لا يؤجر ، بالرغم من غناه بالمال ،

فهو فى الحقيقة فقير ، خسر دنياه وآخرته ، وخرج من الدنيا مذموما مدحورا ، فهو عبد الدينار والدرهم ، وقد ورد فى الحديث عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : (تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم) ـ رواه البخارى ـ ومثل هذا يندم ، حيث لا ينفعه الندم ، حيث يقول تعالى :

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ ـ سورة الحاقة آية ٢٨ .

ب ـ كما يجب أن نقيد مطالب الروح :

وذلك بالمحافظة على مطالب الجسد .. إن دين الإسلام دين سعى وكد وكسب يجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، ومصالح الروح والجسد ، فعلى المسلم أن يتزود من دنياه لآخرته ، وأن لا ينسى نصيبه من الكسب والسعى على الرزق الحلال ، وسائر أسباب الغنى ، والإسلام يمدح الذين يضرعون إلى الله فيقولون ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ ـ سورة البقرة آية ٢٠١ ـ فالإسلام يأمر بكسب الأموال وحفظها ، والتوسع فى فنون التجارة من وجوه حلها وفى الحديث : (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ـ رواه الترمذى عن أبى سعيد .

ولما سئل النبى (ﷺ) عن أفضل الكسب قال : (عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور) .

وروى الطبرانى عن ابن عمر (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : (إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف) .

إن المال فى نفسه ليس مذموما ، وأن العمل على كسبه فى ذاته ليس محظورا ، وأن زينة الحياة الدنيا سائغة لعباد الله ، إذا كانت طيبة خالصة من شوائب الحرام ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً ﴾ ـ سورة الأعراف : آية رقم ٣٢ .

فإذا كسب الإنسان المال من الحلال ، وصرفه فى الحلال ، كان ذلك أجدى على المجتمع وأنفع ممن يكتسب القليل لينتفع وحده ، وليكفى به خاصة نفسه ، فإن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس .

وقد صور لنا الرسول (ﷺ) هذا المعنى فقال :

(الدنيا خضرة حلوة ، من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى غير حقه ، أحله الله دار الهوان) ـ رواه البيهقى عن ابن عمر .

ومن أجل ذلك ، كان الغنى الشاكر ، وهو الذى يصرف المال فى مصارفه المشروعة أفضل من الفقير الصابر الذى لا يجد ما ينفقه .

وهذا معنى حديث رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، جاء فيه : إن فقراء المهاجرين أتوا إلى رسول الله (ﷺ) يشكون أن أصحاب الأموال الكثيرة قد فازوا بالدرجات العلا ، والنعيم المقيم ، لأنهم يساوونهم فى العبادات البدنية ، ويفضلونهم بالعبادات المالية : من صدقة وعتق ، فأرشدهم (ﷺ) إلى التسبيح والتكبير والتحميد ، عقب الصلوات المفروضة ، وعلم بذلك الأغنياء ، ففعلوا مثلهم : من تسبيح وتحميد وتكبير ، فعاد الفقراء إلى الشكوى ، فقال رسول الله (ﷺ) : (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) .

(٢) لا فرق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة إذا قصد به وجه الله :

إن السعى فى الحياة والجد فى طلب الرزق وزيادة المال من طرقه المشروعة أمر مشروع ومحمود فى نظر الدين لأنه وسيلة الإعمار فى الأرض والنهوض بما على الناس من تبعات نحو أهليهم ، ومن يعولونهم ، ونحو المجتمع فى تخفيف آلام البائسين ، وفى ذلك سعادة الدارين .

العمل للآخرة

إنه لا فارق ولا فاصل فى دين الإسلام ، بين العمل للدنيا والعمل للآخرة مادام كل منهما يقصد به وجه الله ، ومن أجل حياة أفضل ومطابق لتعاليم الإسلام .

وإنما الفارق والفاصل بين الحلال والحرام ، بين الظلم والعدل ، بين المحاباة والمساواة ، بين أن تعيش بكد يمين ، وأن تعيش على حساب الآخرين .

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ - سورة البقرة آية ٢٢٩ .

قال (ﷺ) : (نعما المال الصالح للمرء الصالح) - رواه الإمام أحمد عن عمرو بن العاص .

(٣) نظرة الإسلام إلى كسب المال :

روى أن رجلا جاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال : يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ؟

فقال : (ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس) .

- رواه ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدى - .

هذا التوجيه من رسول الله (ﷺ) لا يفيد ذم المال ، ولا ينهى عن كسبه ، والرسول (ﷺ) إنما خشى التنافس على المال ، لأنه سبب التقاتل والهلاك ، وحين حث (ﷺ) فى هذا الحديث على الزهد فى الدنيا ، والزهد فيما فى أيدى الناس ، إنما قصد البعد عن التطلع إلى ما فى أيدى الناس ، أو حسدهم عليه ، لأن ذلك يؤدى إلى ارتكاب جرائم الغش والنصب والتلصص والاحتيال قال تعالى :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ - سورة النساء : آية ٣٢ - .

وليس معنى الزهد كما فهمه بعض الناس بأن يقعد المرء عن طلب الرزق ويتخلى عن الدنيا كما فعل عاصم بن زيد الحارثى ، الذى لبس العمامة ، وتخلى عن الدنيا ، فقال له الإمام على (كرم الله وجهه) ياعدو نفسه ، لقد استهان بك الخبيث - الشيطان - أما رحمت أهلك وولدك ؟

أترى أن الله أحل لك الطيبات ، وهو يكره أن تأخذ منها ؟

قال سلمان الفارسى لأبى الدرداء :

(إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط لكل ذى حق حقه) .. فذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال : «صدق سلمان» - رواه البخارى - .

إن السعى من أجل النفس والأولاد كله لله والآخرة ، مادام حلالا .

قال رجل للإمام أبى جعفر الصادق إنى أحب الدنيا ، قال الإمام تصنع بها ماذا ؟ قال : اتزوج منها وأحج وأنفق على عيالى ، وأنيل إخوانى .. قال الإمام : ليس هذا من الدنيا ، هذا من الآخرة .

وهكذا .. كل ما جاء به القرآن الكريم وبينه رسول الله (ﷺ) فإنه يحقق أملا من آمال الإنسانية ، ويخطو إلى ما فيه صلاح الفرد والمجتمع وفيه خيرى الدنيا والآخرة .

وفق الله المسلمين لما فيه صلاحهم وفلاحهم .

والله الموفق .

حق المرأة فى الميراث

للدكتور: محمود محمد رسلان

قال الله جل ثناؤه : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ النساء : ٧ .

إن طمع الإنسان فيما لغيره متوقع ، وظلمه لأخيه غير محال ، من أجل ذلك حفظ الله ـ سبحانه ـ الحقوق ، ومن عدله سبحانه أوجب الميراث ، وتولى ـ عز وجل ـ قسمته ـ فى أنصبة معينة ، ليأخذ كل ذى حق حقه من الذكور والإناث على سواء ، ولم يترك ـ جل جلاله ـ هذا التقسيم لملك مقرب ، ولا لنبى مرسل فقال عز وجل ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ . . . ﴾ الآية .

ولقد جاءت النصوص القرآنية لتعمل فى كل جيل من أجيال البشرية ، وفى كل بيئة من بيئاتها فلا يأباها إلا جاحد ، رضى لنفسه الجحود والعصيان ؛ فأما من آمن ؛ فإنه لا يجادل فيها ، ولا يتحرر منها ومضمون هذه الآية الكريمة واجب التنفيذ ، وتوزيع الأنصباء على الورثة ـ على ما أراد الله سبحانه حق ، والتعلل للملص منه حجة داحضة ، وفى الكتاب العزيز : ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ النساء ١١ . ولقد ركن الجاهليون إلى هضم حق النساء فى الميراث كما هضموه فى غيره ، فذكر المولى ـ عز وجل ـ لهن حقوقهن ، وفى الآية بيان لذلك فى الميراث ، فذكر النساء ـ فى الآية ـ مع الرجال إيذان باستقلال حقهن ، وإشعار لكل مسلم بهذا الحق وإعلام له به ، وحث على الاعتناء بأمرهن ، وإلزام بإرثهن ، والإشارة ـ من أول الأمر ـ إلى تفاوت ما بين نصيبى الفريقين ، والتأكيد على إبطال أحكام جاهلية كانت قبل الإسلام . لقد كان لدى العرب فى الجاهلية بعض العادات التى تأباها العقول الراشدة والفطر السليمة كالشرك بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وعبادة الأوثان ، والتقرب إليها ، ووأد البنات والاستقسام بالأزلام إلى آخر ماعاث فى هذا المجتمع حتى هيمن عليه الإسلام .

كذلك كانت لهم بجانب ذلك تقاليد متوارثة فى المعاملات والبيوع والمناكحات والطلاق والمواريث . فلما بعث الله محمداً ﷺ بالإسلام دعاهم إلى الهدى ودين الحق ونبذ تلك المنكرات والضلالات ، وفصل الأحكام وأقام الحدود ، وأرسى القواعد هدى للناس وتبصرة ؛ وكم عانت المرأة من حقوق مضيعة منها الميراث ؛ فقد كانوا فى الجاهلية يتوارثون بالنسب والقرابة ولا يورثون النساء والصغار ، وإنما يورثون الذكور المقاتلين الذين يحوزون الغنيمة ويحمون الذمار ، وبهذه

حق المرأة فى الميراث

النظرة الضيقة والأنانية المفرطة استباحوا هضم حق المرأة ، فلما كان الإسلام قامت الشريعة العادلة ، فقال سبحانه : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ .. ﴾ الآية ..

ثم بين الله سبحانه هذا النصيب بقوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ النساء من الآية : ١١ ـ فأمر الله تعالى بتوريث النساء والصغار ، فدال بذلك ما كان فى الجاهلية من حرمانهن من الإرث ، ولا ريب أن هذا أعدل تشريع وأحكم ، وبه انتصف الله ـ تعالى ـ للضعيف ، ونالت المرأة حقها فى الأسرة والمجتمع وأمتعها ـ سبحانه ـ بالملك والمال الموروث كما أمتع بهما الرجل[١] .

روى أن أوس بن ثابت الأنصارى توفى ، وترك زوجته ، وثلاث بنات فجمع أبناء عمه ميراثه عنهن على سنة الجاهلية ، فجاءت زوجة أوس إلى رسول الله ﷺ فشكت إليه ما حدث من أبناء عم زوجها ، فقال لها : ارجعى حتى أنظر ما يحدثه الله تعالى فنزلت ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ الآية .

فأرسل ﷺ إلى ابنى عم أوس وأخبرهما أن الله قد جعل للنساء نصيبا ولم يُبَيِّنْ فلا تُفرِّقا من مال أوس شيئا حتى يبين فنزل : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ .. ﴾ الآية فأعطى رسول الله ﷺ الزوجة الثمن ، والبنات الثلثين والباقى لابنى العم .

وقوله تعالى : ﴿ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴾ بدل من « ما » الأخيرة بإعادة الجار ، وإليها يعود الضمير ، وفائدته : دفع توهم تخصيص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل ، وآلات الحرب للرجال ، وتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل ما جَلَّ ودَقَّ فى الميراث .

﴿ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ .

نصب على أنه مصدر مؤكد كما فى قوله تعالى : ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والأقربون حال كونه مفروضا أو نصب على الاختصاص ، أى : أعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم ولهن ، وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه[٢] فعلم أن النصيب المفروض هو الحق المعين المقطوع به ، لا محاباة فيه وليس لأحد أن ينقصهم منه شيئا .

يقول الشيخ رشيد رضا : « إن الأوامر والنواهى فى آيات المواريث واضحة فى بيان حقوق اليتامى والزوجات ومنع ظلمهن فمنع فيها أكل أموال اليتامى بضمها إلى أموال الأولياء ، أو بالاستبدال الذى يؤخذ فيه مال اليتيم ويعطى بدله رديئا ، كما منع أكل مهور النساء أو عضلهن[٣] . للتمتع بأموالهن أو تزويجهن بغير مهر أو الاستكثار منهن لأكل أموالهن وغير ذلك من ظلمهن . كذلك حرم الله فى هذه الآية منع توريث المرأة والصغير[٤] .

ومن عجب أن يلجأ اليوم بعض الآباء أو الأمهات ، أو الإخوة إلى حيل غريبة ووسائل متنوعة لكى يحرموا البنت أو الأخت ، أو الزوجة من حقها الشرعى فمن ذلك : أن يُرْضُوا المرأة

(١) راجع لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف : المواريث فى الشريعة الإسلامية ص ٤ ، ٥ .
(٢) راجع تفسير أبى السعود .
(٣) عَضْلُ المرأة : منعها من التزوج ظلما ، وفى التنزيل العزيز ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ .
(٤) تفسير المنار ٤/٣٢٤ .

أولاً ببعض المال حتى تُوقِّع على تنازل عن نصيبها ، ثم يهملونها ، والأدهى أن ترضى بعض الأمهات بذلك فتتفق مع أبنائها الذكور على حرمان بناتها من الميراث بحجة أن تظل أرض مورثهم فى حوزتهم فلا يتملكها الغرباء ، أى زوج البنت وعشيرته ، وهم يعلمون أن ابنتهم ترث زوجها المتوفى عنها ، فهلا خضعوا لأمر الله !

وآخرون يسطون على ميراث النساء لتكثر مساحة ما يمتلكون من أرض حين يطلبون منصبا قرويا بعينه كالعُمُدِّية ومشيخة البلد .. إلى حيل تورث الضغائن والأحقاد ، وربما ترتب عليها « زيجات » مصلحة ، لا عن رضا ورغبة فتكون النتيجة دمارا شاملا . فهلا فقهوا قوله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ فأعطوا كل ذى حق حقه ، لتتأتى العصمة ويحل الترابط .

ومن عجب أن المغتصب إنما يغتصب الضعيف ، طفلا أو امرأة ، وفى ذلك من خسة الخلق ، وضيعة الأمانة مايئول بصاحبه إلى حرمانه من الغاية التى يسعى إليها المؤمنون .. الجنة التى هى غاية الغايات ومنتهى آمال العقلاء .

قال - عليه الصلاة والسلام :
« من قطع ميراثا فرضه الله سبحانه وتعالى قطع الله ميراثه من الجنة(٥) » وليس من شك أن فاعل هذا الإثم متشبه بأهل الجاهلية من العرب وغيرهم ، من الرومان وبعض قوانين الغرب الحديثة ، راضيا بها ، ومن تشبه بقوم فهو منهم .

مايؤخذ من الآية الكريمة :

١ - أن السبب فى الميراث القرابة .

٢ - عموم القرابة كيفما تصرف من قريب أو بعيد .

٣ - تحذير الآباء من ظلم أبنائهم ، أو أخواتهم البنات .

٤ - تحرى الحلال الذى حث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .
والله ولى التوفيق ..

---

(٥) أخرجه سعيد بن منصور عن سليمان بن موسى مرسلا . راجع سنن سعيد بن منصور جـ ١ صـ ٩٦ تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى . دار الكتب العلمية بيروت - ط الأولى ١٤٠٥ هـ .

تعدد الزوجات فى الإسلام

والحكمة فى هذا التعدد

للأستاذ/ محمد بركات السيد

من المعلوم ضرورة أن الشريعة الإسلامية أباحت تعدد الزوجات ووقفت به عند حد معين وهو الأربع بعد أن كان مطلقا لا يقف عند حد . وأنها قيدت هذه الإباحة بشروط إذا روعيت تحققت المصلحة من هذا التعدد ، ولقد كان هذا التشريع مثار نقد وطعن على الشريعة من بعض الغربيين وممن تأثروا بأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم من المسلمين ، فقالوا : إن الإسلام يعمل على تقويض دعائم الأسرة وإثارة الشحناء بين أفرادها بإباحته تعدد الزوجات ـ متأثرين فى ذلك بعاداتهم ومخالفتهم لكتابهم وغلوهم فى تعظيم النساء وبما يسمعون ويعلمون من حال كثير من المسلمين الذين يتزوجون عدة زوجات لمجرد المتعة من غير تقيد بما قيد القرآن به جواز التعدد .

● **نظرة فى الماضى :**

والواقع أن هذه مسألة من المسائل الاجتماعية الكبرى التى لا يكفى فيها النظر السطحى دون البحث فى العوامل التى أدت إلى هذه الإباحة ـ ونحن إذا نظرنا إلى هذه العوامل وجدناها تتلخص فيما يأتى :

أولا : أنه بالبحث فى تاريخ نشوء البشر والأمم القديمة نجد الرجل لا يكتفى بامرأة واحدة وكانت النساء ولاتزال فى القبائل البدائية حقا مشاعا بلا عدد للرجال وكانت الأم فيما مضى هى رئيسة البيت لأن الأب كان فى الغالب غير معين . ولما تقدم الإنسان أخذ يشعر بضرر هذا الشيوع والاختلاط ويميل إلى الاختصاص فكان أول اختصاص فى القبيلة أن يكون نساؤها لرجالها دون رجال قبيلة أخرى ، ـ ولدى بنى إسرائيل شىء من ذلك ـ ومازالوا يرفضون حتى اختص الرجل الواحد بعدة نساء من غير تقيد بعدد معين .

● **دور الأب :**

وبهذا انتقل تاريخ الأسرة إلى دور جديد أصبح الأب فيه عمود النسب وأساس البيت ، ولم يكن هذا التعدد مقصورا على العرب بل كان منتشراً فى العالم ، فالعبرانيون كان يجرون عليه والأثينيون كانوا يفاخرون به ومثلهم الفارسيون والبابليون ، كان التعدد شائعا بينهم وقد حاول بعض البابليين تقييده بعدد معين ولكن لم تنجح المحاولة ، بقى التعدد مطلقا غير مقيد .

● مصـــر :

ولم يعرف التاريخ القديم إلا أمة واحدة هى التى كانت نظمها تمنع التعدد وهى مصر ، ويقول بعض المؤرخين إن نظام وحدة الزوجة سرى إلى الأوروبيين من مصر ، فإنه لم يعرف فى أوروبا إلا بعد دخول اليونان مصر واطلاعهم على حال قدماء المصريين فى حياتهم الزوجية والمعاملة بين الزوجين ، وهو قول ليس ببعيد عن الصدق ، لأن الأوروبيين تعلموا كثيراً من الأمور الحسنة فى مصر بعد دخول الاسكندر، إذ اختلطوا بالمصريين ورأوا ما لم يروا فى بلادهم من الأحكام والشرائع والنظم فنقلوا إلى بلادهم ما رأوه حسنا وليس لديهم نظير عندهم(١) .

ولما انتقل إلى أوروبا نظام الزوجة الواحدة وأخذ به الأوروبيون وقيد القانون الرومانى الزواج به اتسعت له الشرائع التى عاصرت هذا القانون فى أوروبا فنهى رجال الدين من اليهود عن التعدد ليتمكن الرجل من الانفاق لا لأن الشريعة تحرمه ، وارتضى رجال الكنيسة نظام الواحدة شرعا كنسيا وإن لم ينص فى الأناجيل الأربعة على منع التعدد ، ولكنه من آثار الآباء وتقاليد الكنيسة ، ولدى القوم أن ما اختطه الآباء له قوة المنصوص عليه .

● الإســــلام :

جاء الإسلام وظهر نوره فى الشرق فسلك مسلكا وسطا بين المبيحين إباحة مطلقة وبين المانعين منعا مطلقا ، فأباح تعدد الزوجات ووقف به عند عدد معين ، وقيده بقيود تتحقق بمراعاتها المصلحة من التعدد . ولاشك أن هذا المسلك الوسط هو الذى يتفق ومصلحة البشر لكل الأجناس والأجيال فى كل الأزمنة والأمكنة .

والشريعة التى يكون لها هذا الجواز لها من السعة والمرونة ما يرضى المعتدل ويهذب مزاج الحاد .

ثانيا : إن من الناس من يغلب عليه سلطان الشهوة فلا تندفع حاجته بزوجة واحدة فلو سددنا عليه باب التعدد لفتح لنفسه باب الزنا واتخاذ الخليلات بدل الحليلات فتنتهك الأعراض وتضيع الأنساب ويوجد الأولاد الذين لا آباء لهم و لاعائل يعولهم ـ وذلك شر عظيم ، لا يرضاه الإسلام ، وأن رضى به نساء الغرب وفضلت الزوجة الخليلة على حليلة تشاركها زوجها ، والإسلام فوق رغبات النساء بل والرجال معا لأنه يشرع للمصلحة ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

وإن من يتأمل الشرائع الوضعية التى لا تبيح تعدد الزوجات يجدها اضطرت إلى قبول ما هو شر منه وهو الاعتراف بمشروعية العلاقات الآثمة بين الجنسين وبمشروعية الوساطة فى هذه العلاقات ـ ثم انتهى أمر هذه الشرائع بقبول تعدد الزوجات ولكن تحت ستار المخادنة ، والرجل فى المخادنة لا يتقيد حيال المرأة بأى حق من الحقوق ، فتكون عرضة للطرد هى وأولادها فى أى وقت شاء دون حق لها عند الرجل الذى قد يكون عاشرها سنين عديدة . يقول شوبنهور الفيلسوف : «ولقد أصاب الشرقيون مرة أخرى فى تقديرهم لمبدأ تعدد الزوجات . لأنه مبدأ تحتمه وتبرره الإنسانية . والعجب أن الأوروبيين فى الوقت الذى يستنكرون فيه المبدأ يتبعونه عمليا .

←

(١) للأستاذ على جلال الحسينى بحث فى هذا الموضوع هو محاسن آثار الأولين فيما للنساء وما عليهن فى قوانين قدماء المصريين .

تعدد الزوجات فى الإسلام

فما أحسب أن بينهم من ينفذ مبدأ الزوجة الواحدة على وجهه الصحيح» .

ثالثا : إن التعدد قد يكون علاجا اجتماعيا لنقص يعرض للأمة فى رجالها وخاصة فى أعقاب الحروب فقد شاهدنا حربين عالميتين أفنت كل منهما ملايين الرجال - فإذا لم يبح للرجل أن يعول بالزواج أكثر من واحدة بقى عدد هائل من النساء بدون عائل يقوم بشئونهن ومن غير زوج يحصن نفوسهن فيكن عالة على المجتمع وشرا على الأمة .

ولقد نادت كثيرات من كاتبات الغرب بتعدد الزوجات حتى يكون لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال .

ونقل السيد رشيد رضا طائفة من أقوال الكاتبات فى تفسير المنار جـ ٤ - ص ٣٦٠ ولا مانع هنا من ذكر بعض مما جاء فيه :

قالت كاتبة فاضلة - لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك . وقلبى يتقطع شفقة عليهن وحزنا - وماذا عسى يفيدهن بثى وحزنى وتوجعى وتفجعى وإن شاركنى الناس فيه جميعا ؟ لا فائدة إلا فى العمل بما يمنع هذه الحالة السيئة - ولله در العالم الفاضل «تومس» فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الشافى وهو إباحة التزوج بأكثر من واحدة . وبهذه الإباحة يزول البلاء لا محالة - وتصبح بناتنا ربات بيوت فالبلاء كل البلاء فى إجبار الرجل الأوروبى على الاكتفاء بامرأة واحدة . فهذا التحديد هو الذى جعل بناتنا شوارد ، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال .

ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة أى ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين الذين أصبحوا كلا وعالة وعارا على المجتمع الإنسانى ؟

فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الأولاد وبأمهاتهم ماهم فيه من العذاب الهون ولسلم عرضهن وعرض أولادهن - فإن مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار . ألم تروا أن حال خلقتها تنادى بأن عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأما لأولاد شرعيين .

ونشرت الكاتبة (مس أن رود) مقالة فى جريدة «الايسترن ميل» فى العدد الصادر فى ١٠ مايو سنة ١٩٠١ نقتطف منها ما يأتى : لأن تشتغل بناتنا فى البيوت خدما أو كالخدم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المصانع حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد . الا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة .

رابعا : إن المرأة قد لا توافق طباعها طباع زوجها - أو تكون عقيما لا تلد أو تصاب بمرض يحول بينها وبين الحياة الزوجية الصحيحة - وتقوم ظروف يحرص الرجل فيها على هذه المرأة ولا يود فراقها - فمن لطف الله بعباده ورحمته بهم أن أباح لهم فى هذه الحال التزوج بأخرى للخلاص من هذا الحرج - حتى لا يلجأوا إلى سلوك طريق آخر .

التعدد للرجال فقط :

وإنما أبيح التعدد للرجال دون النساء لحكمة عالية ومصلحة اجتماعية كبيرة - ذلك أنه لو أبيح للمرأة أن تكون عند زوجين فأكثر لضاعت

الأنساب واشتدت الفتنة بين الرجال وساء حال المرأة التى يتنافس فيها الشركاء المتشاكسون ، وفقدت الدليل الذى يثبت أبوة الأبناء .

السر فى الاقتصار على الاربع :

والسر فى الاقتصار على الأربع أن للزوجة حقوقا على الرجل اقتضاها عقد الزواج إذا قصر فيها كان مؤاخذا أمام الله ـ فإن شارك الزوجة غيرها وجب على الزوج أن يعدل بينهما ، وهذا العدد أقرب إلى تحقق العدل مما لو زاد على ذلك ، وفى ذلك رحمة بالضرة إذ جعل غاية انقطاع زوجها عنها ثلاثة ثم يعود إليها .

قد يقال : إن التعدد يؤدى إلى فساد الأسرة : لأن العداوة بين الضرائر لا تنقطع . ولها أسوأ النتائج فى حل الروابط بين أفراد الأسرة .

ولأن أولاد الرجل الواحد من أمهات شتى ينشأون متباعدين متباغضين ولأن الرجل فى الغالب لا يستطيع العدل بين الزوجات فتكثر الخصومات والمنازعات !نقول:إن الشريعة لم تجعل التعدد واجبا ولا مستحبا وإنما أباحته لبعض الحاجات والضرورات اللازمة للطبيعة البشرية فهو تشريع يلجأ إليه عند الحاجة الملحة كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم حيث قيد إباحة التعدد بالقدرة على إقامة العدل بين الزوجات فمن خاف ألا يعدل بينهن فلا يباح له إلا واحدة .

وليس يضير الإسلام أن بعض المسلمين أساء استعمال هذا الحق ولم يطبق قواعده فذاك شأن البشر فى كل زمان ومكان ، أكثرهم يمرقون من القيم والقانون .

وجملة القول أن الإسلام أتى فى هذا الأمر بالكمال الذى لا كمال بعده .

محمد بركات السيد

مجلة الأزهر :

لا يقال : إن الإمام محمد عبده ـ رحمه الله ـ كان من أنصار تقييد التعدد تطبيقا لشروطه ، فإنا نقول : كم من عالم فاضل وشيخ جليل نادى بفكرة عن طيب قصد وحسن نية التوى بعده بها أقوام وخرجوا بها عن مقصدها وجلبوا بها على مجتمع المسلمين التعاسة ، وصاحب الفكر برىء من شرهم عار عن نزواتهم ، والله من وراء القصد .

عمر بن عبد العزيز

حياته - خلافته

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز غنيم

نسبه وولادته :

لم يتفق الباحثون على شيء قدر ما اتفقوا على أن عمر بن عبدالعزيز قد كان صنواً لجده لأمه عمر بن الخطاب . فقد كان يشبهه في زهده ونسكه . وكان يشبهه في عمله وخلقه ، وكان يرى في العدل مثل ما يراه فيه الفاروق . وهو انه أساس الملك وعماد الحكم ودعامة الاستقرار والأمن .

ولا خلاف بين النسابين وكتاب السير في أن عمر بن عبدالعزيز قد كان أموياً[1] من جهة أبيه . وكان عدوياً من جهة أمه فهو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن عدى .

تزوج ثلاث نسوة وهن : لميس بنت علي ، وفاطمة بنت عبدالملك ، وأم عثمان بنت شعيب وأنجب ثلاثة عشر ذكراً وثلاث بنات غير أن هؤلاء الابناء جميعاً لم يكونوا من نسائه الحرائر . وإنما كان بعضهم كذلك ، وكان البعض الآخر وهو الأكثر من (أمهات أولاد) . ومهما يكن من شيء فإن المؤرخين قد اختلفوا في مكان ولادة عمر . أهو مصر[2] أم المدينة[3] . وفي زمانه أهو التاسع والخمسون من الهجرة أم هو العام المكمل للستين أم الحادي والستون أم العام الذي يليه أو الذي يليه . والذي ينعم النظر في هذه الأقوال كافة يتبين له أن ولادته قد كانت في المدينة . لأن أباه لم تسند إليه ولاية مصر إلا في العام الخامس والستين للهجرة . أما زمن الولادة فهو العام الحادي والستون وهو العام الذي استشهد فيه الحسين بن علي - رضي الله عنه .

وقد تضاربت الأقوال في نشأته - رضي الله عنه - فقيل : إنها كانت في المدينة ، وقيل : إنها كانت في مصر ، ومن الرواة من لا يقر هذا ولا ذاك ويرى أنها كانت في الشام . ولا تعارض عندي بين هذه الأقوال ، فإن عمر قد بقي في المدينة بعد ولادته زماناً في حجر خاله عبدالله بن

(1) ابن سعد - الطبقات الكبرى (ط بيروت) ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م ، ٣٣٠/٥ ، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) مشاهير علماء الأمصار (ط القاهرة) ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م ص ١٨٧ .

(2) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٢ ، تحقيق أكرم ضياء العمري (ط بيروت) ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م .

(3) ابن عبد الحكم . سيرة عمر بن عبد العزيز / ص ٢٠ (ط دمشق) ١٣٧٣ - ١٩٥٤ م ص ١٩ - ٢٠ .

عمر بن الخطاب . وبعد رحيل أمه ليلى بنت عاصم إلى زوجها عبدالعزيز بن مروان في مصر وبعد فترة غير طويلة ذهب عمر إلى مصر للسلام عليه . فأقام عنده ماشاء الله أن يقيم ، ثم أرسل إلى الشام . حيث قصبة ملك آبائه وأجداده بني أمية ، ولما أراد أبوه العودة به إلى مصر : قال له : ياأبت أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك ؟

قال : وما هو ؟

قال : ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهائها وأتأدب بآدابهم . فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة وأرسل معه الخدام(٤) . وجاء في إحدى الروايات أن عبدالملك خصص له راتباً شهرياً قدره ألف دينار(٥)

حياته العلمية :

كان عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ ذا ذكاء حاد وذهن متوقد فلم يكد يلقى عصاه في المدينة حتى أتم حفظ القرآن وهو طفل ناعم الأظفار . ثم راح يختلف إلى علماء قريش ويدع شبابها ، وقد كانت المدينة آنذاك مجمع العلماء وملتقى الفقهاء ومهوى الأدباء والشعراء ، فأكب على كل فريق ينهل من علمه ويغترف من ثقافته حتى بلغ المدى وأدرك الغاية ، وقد اختار له أبوه صالح بن كيسان(٦) وهو أحد أئمة الحديث في عصره وفوض إليه أمر تأديبه وتهذيبه وكان نعم المعين له على تحقيق المهمة التي وضعها على عاتقه .

تأخر عمر يوماً عن الصلاة في الجماعة فقال له صالح بن كيسان : ما الذي أخرك ؟ قال : كانت مرجلتي تسكن شعري ! قال له : تقدم ذلك على الصلاة ؟! وكتب إلى أبيه في مصر فبعث إليه رسولاً . فلم يكلمه حتى حلق رأسه . وكان عمر شديد الطاعة لمن يجلس إليهم من العلماء . سمع عبيدالله بن عبدالله ـ وكان أحد أساتذة عمر ـ أنه يعيب عليَّ بن أبي طالب(٧) فسأل عنه . فعلم أنه يصلي . فانتظره حتى فرغ ، وقال له : يا عمر ، متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم ؟. ففهمها عمر وقال : معذرة إلى الله ثم إليك والله لا أعود .

قال الرواة : فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير . ولم يكن صالح بن كيسان ولا عبيدالله بن عبدالله هما اللذان كانا يجلس إليهما عمر في المدينة فقد كان يجلس إلى فقهائها السبعة وهم :

سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبو بكر بن عبدالرحمن وعبيدالله بن عبدالله ، وخارجة بن زيد ، وسلمان بن يسار ، والقاسم بن محمد وغيرهم كثير ومنهم على سبيل المثال :

عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن جعفر ، والسائب بن يزيد ، وأنس بن مالك ، ويوسف بن عبدالله .

ومن كان هؤلاء هم بعض أساتذته كان جديراً أن يجلس على أريكة العلم ويأخذ صولجان المعرفة . ويكون بين أقرانه كالشمس بين الكواكب . وهذا هو ما كان فقد حذق عمر علوم اللغة وعلوم الدين وقرض الشعر وعرف أيام العرب وشهد له مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما ممن انتهت إليهم الصدارة في الفقه والإمامة في العلم على كر الدهور ومر العصور .

قال عمر : لقد رأيتني وأنا في المدينة غلاماً من الغلمان . ثم تاقت نفسي إلى العلم إلى العربية فالشعر فأصبت منه حاجتي(٨) .

←

(٤) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ مكتبة المعارف حـ ٩/١٩٣ .
(٥) عبد الرحمن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز (ط المؤيد) ١٣٣١ ص ٢٠ ـ ٢١ . مصر .
(٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٢ هـ .
(٧) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ٩/١٩٣ .
(٨) عبد الرحمن الجوزى ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ١٣٣١ م ط . مصر .

وقد عرف الناس عنه ذلك فكانوا يسألونه فيما يعرض لهم وكانوا يستفتونه فيما يشكل عليهم، وكانوا يطمئنون إلى جوابه ويستريحون إلى علمه.

على مسرح السياسة:

وكما بز عمر أقرانه في العلم فقد بزهم كذلك في السياسة والحكم فقد ولاه عمه عبدالملك «خناصرة»[9]. وهي بليدة من أعمال «حلب» تحاذي «قنسرين» نحو البادية، وكان ذلك في العام الخامس والثمانين وقد بقي والياً عليها حتى توفى عبدالملك؛ ولأن هذه الولاية لم تكن ذات شأن. فإن المؤرخين لم يسجلوا من أعمال عمر فيها شيئاً. هذه حقيقة.

وحقيقة ثانية: وهي أن الفترة التي قضاها فيها عمر قد كانت صغيرة جداً فلم تتح له الفرصة لإظهار كفاءته وحسن إدارته، وعلى كل حال فإن الوليد قد نسج على منوال أبيه عبدالملك في حبه لعمر وإيثاره إياه ففي العام السادس والثمانين للهجرة أو العام الذي يليه، وفي شهر ربيع الأول أسند «الوليد» ولاية المدينة[10] إلى عمر وضم إليها بعد ذلك مكة والطائف، فاجتمع له إقليم الحجاز كله، وقد كان على المدينة قبل إسنادها إلى عمر، هشام بن إسماعيل المخزومي، ولأنه كان أحد الحكام الجائرين، فإن عمر بن عبدالعزيز لم يغادر دمشق إلى ولايته الجديدة إلا بعد أن طلب من «الوليد» ألا يحاسبه حساب من قبله وأن يُؤَمره على موسم الحج، وقد استجاب الخليفة للأمرين معاً،

وأقبل عمر إلى المدينة، وقد حمل أمتعته على ثلاثين بعيراً، ونزل دار جده مروان، وبعد صلاة الظهر دعا عشرة ممن انتهى إليهم العلم في المدينة. وهم: عروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبدالرحمن، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وعبدالله بن عبدالله بن عمر، وسالم بن عبدالله بن عمر، وسلمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وأبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة، وعبدالله بن عامر بن ربيعة. وخطب فيهم قائلاً: «إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه. وتكونون فيه أعواناً على الحق. ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم. أو برأي من حضر منكم. فإن رأيتم أحداً يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرج بالله على أحد بلغه ذلك إلا أبلغنى»[11] فأثنى عليه القوم وغادروا مجلسه إلى بيوتهم..

وقد صدق عمر ما عاهد الفقهاء عليه: فكان يشاورهم، وكان لا يقطع أمراً دون رأيهم. فساد العدل وانجاب الجور وعاش أهل المدينة الأعوام السبعة التى حكمها عمر عيشة وادعة آمنة أعاد فيها الرجل بناء مسجد[12] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووسعه وأخذ على أيدي الغواة والمفسدين. ولم يكن يؤخذ عليه ـ رضى الله عنه ـ غير تبختره في مشيته وتغاليه في ثيابه وطيبه حتى إن الجواري كن ينظرن إليه وهو يمشي فيقلدنه وحتى إنه كان يعرض عليه الثوب بسبعمائة درهم فيستخشنه، وحتى إن الناس كانوا يغسلون ثيابهم حيث يغسل فينالها من المسك والطيب[13] ما تظل رائحته إلى أوقات طويلة وقد أفاض ابن سعد وصاحب البداية والنهاية وغيرهما فيما كان عليه عمر قبل الخلافة من الترف فليرجع إليهم من يشاء.

(٩) ياقوت. معجم البلدان ٢٩٠/٢.
(١٠) أبو زرعة الدمشقي. تاريخ ٥١٨/١ ـ ٥١٩، الطبرى ـ تاريخ ٤٢٧/٦.
(١١) ابن الأثير ـ الكامل ٥٢٦/٤.
(١٢) الطبرى: تاريخ ٤٣٥/٦، احمد بن إسحاق بن جعفر المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤) تاريخ اليعقوبي (ط بيروت).
(١٣) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى، ص ٣٣٢ حـ ٥ وما بعده.

ويظهر أن رفق عمر وحسن معاملته لرعيته جعلت الناس يقبلون إلى الحجاز ليتفيأوا ظل عدالته وينشقوا عبير إنصافه وحدبه غير أن حكم عمر للمدينة لم يتجاوز العام الثالث والتسعين للهجرة . والسبب في هذا هو أن عمر كتب إلى الوليد(١٤) بن عبدالملك يشكو إليه ظلم الحجاج لرعيته وقسوته على من تحت سلطانه ، وعلم الحجاج ذلك فاطغن على عمر وكتب إلى الخليفة يقول : « إن من قبلي من مُرَّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا إلى المدينة ومكة ، وإن ذلك وهن » فكتب إليه الوليد : « أن أشر عليّ برجلين ، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبدالله » . فولى الأول على المدينة ، وولى الثاني على مكة .

وهكذا عزل عمر بن عبدالعزيز وأرخى الستار على نشاطه السياسي حتى تربع على كرسي الخلافة في العام التاسع والتسعين من الهجرة ، ولما حمل أمتعته وغادر المدينة ولى وجهه شطرها وبكى وقال : يا مزاحم(١٥) أخشى أن أكون ممن نفتهم المدينة ، فإنها تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد . فطمأن مزاحم قلب عمر وقال له : ألا تنظر إلى القمر ؟ ما أحسن استواءه في هذه الليلة . فنظر عمر فإذا القمر بالدبران فقال : كأنك أردت أن تعلمني أن القمر بالدبران : يا مزاحم ، إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار » . ومضى الرجل ومولاه حتى بلغوا أرض الشام حيث أبناء عمه عبدالملك ، ويظهر أن العلاقة لم تكن على ما يرام بين الوليد بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز بعد عزله إياه عن الحجاز والدليل على هذا مارواه عمر نفسه : قال : بعث إلى(١٦) الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه فإذا هو عابس ، فأشار إلى أن أجلس ، فجلست فقال : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أيقتل ؟ فسكت ثم عاد فسكت . ثم عاد فقلت : أقتل ياأمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سب ، فقلت : ينكل به ، فغضب وانصرف إلى أهله ، وقال لي ابن الريان السياف : اذهب ، قال : فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردني إليه .

وعلى عكس ما كانت عليه هذه العلاقة تماماً . كانت العلاقة بينه وبين أخيه سليمان في خلافته فقد كان يحب عمر ويشاوره ولا يقطع أمراً دونه حتى لقد كان من يرى انصياع سليمان له ونزوله على رأيه يخيل إليه أن الخلافة خلافة عمر وليست خلافة سليمان ، ومرجع هذا فيما أرى إلى أسباب أهمها اطمئنان سليمان إلى صلاح عمر وتقواه وإبائه على الوليد إخراج سليمان من ولاية العهد وإسنادها إلى ولده .

في خلافته ..

ولما دنا أجل سليمان لبس ثياباً خضراً من خز ونظر في المرآة وقال : أنا والله الملك الشاب(١٧) . وخرج فصلى بالناس صلاة الجمعة . فلم يرجع حتى وعك فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابن أيوب ، وهو غلام لم يبلغ : فقال له رجاء بن حيوة - وكان له بمنزلة الوزير : ما تصنع ياأمير المؤمنين ، إنه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح . وإن أيوب غلام لم يبلغ الحلم بعد . فاستشاره في داود بن سليمان ، فقال له : هو غائب بقسطنطينية وأنت لا تدري أحيٌّ هو أم ميت ، قال : يارجاء فمن ترى قلت : رأيك ياأمير المؤمنين . فاستشاره(١٨)

←

(١٤) الطبرى - تاريخ ٤٨١/٦ - ٤٨٢ ، ابن الأثير - الكامل ٥٧٧/٤ .

(١٥) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك وأصحابه - ص ١٧ - المكتبة العربية بدمشق .

(١٦) ابن كثير - البداية والنهاية ١٩٥/٩ .

(١٧) ابن سعد - الطبقات الكبرى ٣٣٥/٥ - ٣٣٨ ، الطبرى - تاريخ ١٢٨/٨ . ط دار القلم بيروت .

(١٨) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ١٢٨/٨ .

في عمر بن عبدالعزيز فأثنى عليه وأطرى دينه وخلقه ، ووافق سليمان رجاء على رأيه في عمر . غير انه رأى إن هو عهد إليه وحده : ألا يتركه ابناء عبدالملك حتى ينتزع الملك منه ، وهداه الله إلى استخلاف عمر على أن يكون يزيد بن عبدالملك ولى عهده وكتب سليمان عهده وجمع أهل بيته فأخذ بيعتهم على ما جاء في كتابه ومات سليمان وقبل أن يعلن رجاء نبأ وفاته . أخر الكتاب . وأخذ البيعة عليه من أبناء عبدالملك وغيرهم من بنى أمية ثم أعلن النبأ وفتح الكتاب فاعترض هشام بن عبدالملك[19] وأبى أن يبايع لعمر لولا أن رجاء هدده بضرب عنقه إذا هو لم يبايع فقام يتعثر فى ثيابه وبايع ابن عبد العزيز وجاء فى حديث رجاء بن حيوه : « أن عمر رضى الله عنه طلب منه أن يصرف سليمان عن العهد إليه إذا هو أراد ذلك أو أن يطلعه على من جاء فى الكتاب حتى يعتذر للخليفة ، إذا كان قد اختاره . ولكن رجاء لم يكشف له عن هذا السر ولا لهشام الذى كان شديد الطمع فى الخلافة حتى غادر سليمان هذه الحياة ، ولما تمت بيعة عمر جاءوه بمراكب الخلافة فأباها[20] وأصر أن يركب بغلته التى كان يركبها قبل أن يفضى إليه الأمر وقد اعتلى ـ رضى الله عنه ـ المنبر وخطب المسلمين خطبة جاء فيها :

« اما[21] بعد فإنه ليس بعد نبيكم نبى ، ولا بعد الكتاب الذى انزل عليه كتاب ، ألا إن ما احل الله حلال إلى يوم القيامة ،وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة ، الا إنى لست بقاضٍ ولكنى منفذ ، ألا إنى لست بمبتدع ولكنى متبع ، الا إنه ليس لأحد ان يطاع فى معصية الله ، الا إنى لست بخيركم ولكنى رجل منكم غير ان الله جعلنى اثقلكم حملاً » .

والذى ينعم النظر فى هذه الخطبة يلاحظ :

أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قد أعلن تمسكه بكتاب الله تعالى وسنة نبيه .

وأنه ملتزم بتطبيقها بالقول والعمل .

وأنه لا طاعة لمن يعصى الله ورسوله ويتعدى حدودهما .

وقد وافى الرجل بكل ما عهد الله والناس عليه ؛ فعزل حكام الجور واختار من العمال من كان شعاره التقوى ودثاره الله والدار الآخرة ، ورفع المظالم[22] عن الناس وبدأ فى ذلك بنفسه وأهله والبيت الأموى كافة وأزال الجزية عمن كانت تؤخذ منهم من أهل الذمة الذين دخلوا فى الإسلام فى عهد الحجاج وغيره . وكتب كتبه وأرسل دعاته لنشر الإسلام وشرح تعاليمه ومبادئه ، وكان نعم المثل الأعلى والأسوة الحسنة والقدوة الصالحة فارتفعت فى عهده ألوية العدالة وعلت كلمة الحق وسادة الجزية والمساواة فلم يهضم ضعيفاً لضعفه ولم ينصر قوياً لقوته .. وإنما كان الناس فى خلافته سواء أمام شريعة الله وقانونه المنزل من فوق سبع سماوات .

ولما كان رفع الجور وإحقاق الحق قد ألقى على الدولة أعباء مالية ضخمة ؛ فقد كتب إليه أحد عماله يخوفه العاقبة ويطلب منه أن يسير فى المال سيرة من سبقوه . فكتب إليه رضى الله عنه يقول له : قبح الله رأيك فإن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً .

وجاء فى إحدى الروايات : أن عمر أراد أن

(١٩) الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك . ٨/١٣٠ .

(٢٠) المرجع السابق ٨/١٣٠ .

(٢١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ٥/٣٤٠ ، ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ٣٥ ـ ٣٦ ، ابن الجوزى ، سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٣ ـ ٥٤ ، ٥٦ .

(٢٢) ابن عبد الحكم ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣١ ـ ٣٢ ، خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣١٨ .

يوزع الزكاة فى أحد الأعوام فلم يجد من الرعية من يستحقها ، وهكذا يزول الفقر وينتشر الخير إذا صفت قلوب الناس واشتد عطف بعضهم على بعض وإنما يكون ذلك إذا عدل الحاكم وصلح الراعي وطبق الدين الحق من غير أثرة ولا ظلم ولا محاباة .

والدليل على حَدَب عمر على رعيته وإحساسه بهم وحرصه على رخائهم وأمنهم هذه الخطبة وكانت آخر خطبة له .

« أيها[٢٣] الناس الحقوا ببلادكم فإنى أذكركم فى بلادكم وانساكم عندي ، ألا وإني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هم شر منهم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي ، والله لئن منعت هذا المال نفسي وأهلي ثم بخلت به عليكم إني إذن لضنين ، والله لولا أن أنعش سنه أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقاً » .

وإن ينس التاريخ فلا ينس أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قد كرم آل بيت النبي ﷺ ورفع الظلم عنهم وأعاد إليهم حقوقهم وأبطل سب على[٢٤] ـ رضى الله عنه ـ على أعواد المنابر ، وكان الخطباء قد أكثروا منه حتى صار عادة ينمو عليها الصغير ويشب الكبير حتى لقد قيل : إنه لما توجه إلى عماله بذلك قال الناس إنه قد أحيا البدعة وأمات السنة ، وقد شاء الله ألا يعمر هذا الخليفة الصالح طويلاً فقد اشتكى لهلال رجب من السنة الحادية بعد المائة من الهجرة ولقى ربه بعد عشرين يوماً من بدء مرضه ، وله من العمر تسع وثلاثون[٢٥] سنة وأشهر ، وقد سمع عند موته وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وقد سئل رضى الله عنه أن يوصى بأهله من يرعاهم ويقوم على أمرهم فتلا قوله تعالى ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ .

وسألته امرأته فاطمة بنت عبد الملك عن سبب مرضه فذكر أنه الخوف من الله والخشية من عذابه ولم ينس رضى الله عنه رعيته وهو فى سكرات الموت : فقد كتب إلى ولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن عبد الملك يقول « سلام عليك ، أما بعد فإنى لا أرانى إلا لما بى ولا أرى الأمر إلا سيفضى إليك ، والله الله فى أمة محمد النبي ﷺ ، فتدع الدنيا لمن لا يحمدك وتفضى إلى من لا يعذرك ، والسلام عليكم »[٢٦] .

رحم الله عمر بن عبد العزيز وأثابه عن المسلمين ثواب من حكم فعدل وعهد فصدق ووضع ربه نصب عينيه حتى أتاه اليقين .

---

(٢٣) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ٥/٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٢٤) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ٥/٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٢٥) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ٥/٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٢٦) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ٥/٤٠٧ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية ٩/٢١٠ .

أضواء على

رحلات اليهود من الشرق

للدكتور محمد حسن عبد الخالق

يرجع بعض المؤرخين أصل اليهود الشرقيين (السفارد)* إلى يهود بابل** الذين انتشروا فى البلاد الآسيوية والأفريقية ، ومع أن انتشارهم قد تم ببطء وبأعداد قليلة إلا أنهم انتشروا شرقا عبر وسط وجنوب آسيا حتى بلغوا شرق الصين ، أما انتشارهم غربا فقد كان عبر شمال أفريقيا حتى وصلوا المغرب ومنها إلى أسبانيا ، وهناك من يرجع وجود اليهود فى أسبانيا إلى أيام الملك سليمان(1) أى منذ القرن التاسع قبل الميلاد .

فى حين يرى البعض الآخر أن وصولهم إلى أسبانيا قد تم عن طريق اختلاطهم بالفينيقيين ، وكما هو معروف فإن الشعب الفينيقى كان شعبا تجاريا بحريا يقيم فى كثير من مدنه الفينيقية ، وعندما وصل إلى أسبانيا سكن بعض اليهود الذين كانوا يرافقونهم فى رحلاتهم فيها ، وبهذا ترجع إقامتهم فى أسبانيا إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، وظلوا بها حتى جاء الرومان وتغلبوا على الفينيقيين وخاصة بعد انتصارهم على «هانيبال» الفينيقى وسقوط «قرطاجنة» واستيلاء الرومان عليها عام ١٤٦ م ، إلا أن اليهود لم يغادروها .

وأخذ عددهم يزداد على مر السنين بأسبانيا ، حتى أصبحت أسبانيا يسكنها أكبر جالية يهودية فى أوروبا ، ويرجع إقبال اليهود على الهجرة إلى أسبانيا إلى أن ملوك القوط الوثنيين الذين حكموا أسبانيا قبل دخول المسيحية منحوهم حريات حرموا منها فى البلاد الأخرى . وبدخول المسيحية أسبانيا تغيرت المعاملة بالنسبة لليهود وبدأت الاضطهادات ضدهم خصوصا بعد القرارات التى اتخذها المجلس الكنسى عام ٣٠٣ م ، والتى تجددت بعد اعتناق الملك «ريكاردو» المسيحية عام ٥٨٩ م بطليطلة(2) وقد عانى اليهود من الاضطهاد وسوء المعاملة وخاصة فى عهد (فسيجوس) الذى قضى عليه

---

* كلمة (سفارد) تعنى أسبانى وشاع هذا اللفظ بعد طرد اليهود من أسبانيا عام ١٤٩٢ م ، وأصبح يطلق على اليهود الشرقيين ووردت الكلمة فى سفر عوبديا ١ ـ ٢٠ .

** ويؤكد هذا طقوسهم الدينية التى نقلوها معهم ، والتى تعد استمرارا للتقاليد الدينية التى نشأت وتطورت فى بابل . راجع :

(Cecil Roth : The Concise Jewish Encyclopedia, 1980 , P, 478).

(1) Encyclopedia Judaica, Jerusalem, Vol. (14), 1978, P, 1164.

(٢) عبدالمجيد . محمد بحر : اليهود فى الأندلس ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

نهائيا بفتح العرب لهذه البلاد عام ٧١١ م بقيادة طارق بن زياد .

ويعتبر العصر الإسلامى هو العصر الذهبى لليهود حيث مارسوا الديانة اليهودية فى سهولة ويسر ومزجوا ثقافتهم اليهودية بالثقافة العربية وظهر منهم الشعراء والأطباء والفلاسفة .

وقد ارتبطت حياة اليهود فى أسبانيا بالمراكز المسيحية عام ١١٤٨ م حيث تظاهروا باعتناقهم للمسيحية بسبب تعرضهم للاضطهاد الدينى ، لكنهم حافظوا على يهوديتهم ، وقاموا بالعبادات والطقوس الدينية سرا ، مارس أولادهم نفس الشىء(٣) .

وبعد طردهم من أسبانيا ١٩٤٢ تحول بعضهم إلى العقيدة المسيحية ، أما الذين تشبثوا بعقيدتهم اليهودية فقد هاجروا وتحركوا لبلاد شمال أفريقية وتركيا حيث فتحت هذه البلاد أبوابها لهم وسمحت لهم بالإقامة فيها ،وكانت نتيجة هذا الأمر «دياسبورا* السفارد» كما تسميه المصادر اليهودية .

ولم يكن يعنى اليهود فى تلك الفترة التطلع إلى فلسطين كوطن قومى لهم أكثر مما يعنيهم بالدرجة الأولى الإقامة مرة أخرى فى أسبانيا(٤) فقد حملوا معهم اللغة الأسبانية وردوا الأغانى الشعبية الأسبانية فى المناطق التى استوطنوها على طول ساحل شمال أفريقيا وخاصة مراكش كما هاجرت مجموعات منهم إلى مصر وفلسطين وسوريا ، وكذلك البلقان والأقاليم المركزية للامبراطورية العثمانية ، وأقاموا مجتمعات فى أماكن عدة مثل سالونيك والقسطنطينية وغيرهما .

وبمرور الزمن اندمجوا مع اليهود الذين جاءوا من أماكن أخرى حيث تعلموا لغتهم وعاداتهم وطقوسهم وأصبحوا جزءا من المجتمع السفاردى كما كوّن (المارانيون) مجتمعات سفاردية فى أمستردام ولندن وهامبورج وبرزيل وأماكن أخرى فى أوروبا وجزر الهند العربية وأمريكا(٥) .

وأقامت طائفة سفاردية مستقلة فى القدس عام ١٥٠٩ م أيام الحكم التركى حيث بلغ عددها عند بداية القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر حوالى ٣٠٠٠ نسمة لأن الهجرة اليهودية السفاردية كانت قد توقفت ، بمعنى أنه لم تكن هناك هجرات منتظمة شأنها شأن الطائفة الاشكنازية(٦) .

وكان السفارديم فى أقطار البحر المتوسط يفضلون العيش فى عزلة عن بقية الطوائف الأخرى ويتحدثون «اللادينو»* التى كتبوا بها أدبهم . أما المركز الثقافى لحياة السفارديم حتى العصر الحديث فكان فى إقليم «سالونيك» إلى أن دمر على يد النازية ١٩٤٣ م(٧) .

وقد رأى يهود أسبانيا فى أنفسهم أنهم أصحاب مكانة محترمة تعلو على طوائف اليهود السفارد الأخرى(٨) ، حيث كانت لهم الأفضلية على بقية أبناء الطوائف الأخرى فى تأليف الأغانى والمقالات المنمقة(٩) .

كما أخذ اليهود السفارد فى التحدث عن

(3) Encyclopedia Judaica, P, 1164.

* أى تشتت اليهود السفارد وأهم يهود الشرق .

(٤) المصدر السابق ص ١١٦٥ .

(5) Roth Cecil : The Stqndard Jewish Encyclopedia, Garden City, New Yorkm 1959, P, 1685.

(٦) دائرة المعارف العبرية (هانسيكلوبديا همفريت) - تل أبيب ١٩٤٩ ، ص ٤١٠ .

* اللادينو وهى عبرية غير خالصة .

(7) Roth Cecil : 1686 .

(٨) شاطل . ابراهام : توترات طائفية فى شعب إسرائيل (متحيم بين عدتييم بعم يسرائيل) دار نشر من هموفيد ، عم عوفيد ، ١٩٧٩ ، ص ١٣ .

(٩) شاطل : المصدر السابق ، ص ١٤ .

أضواء على رحلات اليهود

أصولهم التاريخية التى تدعم ارتقاءهم على أبناء الطوائف الأخرى ، وأسسوا طوائف خاصة بهم ولم يختلطوا (بالاشكناز) ، أو يسمحوا لهم بالاقتراب من طوائفهم ، وتطلعوا إليهم من أعلى كأصحاب نسب رفيع .

وقد عكست هذه العلاقة بتوالى الأجيال الفروق الثقافية والاجتماعية التى كانت قائمة ، فقد كان السفارد أكثر تضلعا فى اليهودية والعلوم الدينية وكان وضعهم الاقتصادى أسوأ بكثير من وضع الاشكناز[١٠] .

وفى الأماكن التى كانت فيها الطائفة السفاردية كبيرة وقوية ، جاهدت لرفض الاشكناز أو التغلب عليهم ، أما الأماكن التى كانت تضم أقلية فقد حاولت الحفاظ على وضعها واحترامها عن طريق العزلة[١١] .

وتحكم السفارد بعد كفاح فى عديد من طوائف اليهود فى بلاد الشرق ، وأصبحت الطوائف الكبيرة فى الامبراطورية العثمانية وأفريقيا الشمالية «سفاردية» طبقا لطريقة تنظيمها وعاداتها ، وأسلوب صلاتها ولغتها ، ونتيجة لذلك اندمجت طوائف محلية وسط السفارديم ، وانتشر خطأ تسمية كل يهودى غير اشكنازى باسم «سفاردى» حتى وإن كان من تونس أو من العراق ، رغم أن هؤلاء وإن كانوا يمارسون عاداتهم طبقا لأسلوب السفارديم ـ إلا أنهم ليسوا منهم . وفى أماكن كالقسطنطينية ، وسالونيك والقدس ساد الأساس السفاردى فى العبادات واكتسب اليهود المحليون ـ أو حتى الذين وصلوا إلى هذه الأماكن بمرور السنين ـ لغة وعادات السفارديم وتحولوا إلى جزء منهم ، وفى أماكن أخرى ذاب السفارديم بين اليهود المحليين ولم تتحدث ذريتهم السفاردية اليهودية «اللادينو» مثلما حدث فى مصر وسوريا والمنطقة الشمالية من المغرب ، تلك التى كانت خاضعة للحكم الأسبانى لفترات مختلفة[١٢] .

وقد بدأ اليهود السفارد بكافة انتماءاتهم فى الهجرة إلى فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، تحت مسميات مختلفة مثل عملية «البساط السحرى» فى اليمن وعملية «عزرا ونحميا» فى العراق وعمليات الهجرة من المغرب وليبيا وبلاد أخرى فى شمال أفريقيا وهجرة اليهود الإيرانيين .

وحملت هذه الهجرات إلى فلسطين مليونا من السكان : أصحاء ومرضى ، أطفالا وشيوخا ، مبصرين ومكفوفين* وكانوا فى غالبيتهم يخضعون لتقاليد ومعايير دينية معينة ، وفى نفس الوقت محرومين من المهارات التكنولوجية المختلفة[١٣] التى كان يتميز بها اليهود الاشكناز مما أدى بعد ذلك وبمرور الوقت إلى وجود ازدواجية فى الوجود اليهودى تعتمد على الانتماء الحضارى حيث أصبح يهود الشرق فى المرتبة الثانية نتيجة لتخلفهم الثقافى والاجتماعى والاقتصادى عن يهود الغرب .

ولقد وجد مهاجرو الشرق أنفسهم أمام رجال غرباء عنهم لا يعرفون لغتهم ولا عاداتهم ، بعكس المهاجرين فى تلك الفترة من بلاد أوروبا حيث وجد هؤلاء المهاجرون وبسرعة لغة مشتركة

---

(١٠) شاطل : المصدر السابق ، ص ١٧ .

(١١) شاطل : المصدر السابق ، ص ١٩ .

(١٢) شاطل : المصدر السابق ، ص ١٦ .

* لم يتحقق ذلك للاشكنازيم ، حيث تمت هجرتهم بموجب اختبارات كثيرة أشرفت عليها القيادة الصهيونية بالتعاون مع الدول الامبريالية .

(١٣) الشامى ، رشاد عبدالله (دكتور) : الشخصية اليهودية الإسرائيلية ، والروح العدوانية ، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب ـ الكويت ١٩٨٦ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

بينهم وهى «البيدش»(١٤)*

ونرى هذا واضحا فى رواية «شلومو شوارتس» بعنوان «مكان ليس له اسم» ، حيث يصف فيها الحياة فى معسكرات الانتقال** ويتحدث عن أحد عمالها المدعو «صابر» وهو يحاول تحسين لغة «البيدش» التى سمعها من جدته كى يسهل عليه التعامل مع مهاجرى أوروبا .

ويقول مهاجر من العراق :

(وعندما أسمع لغة «البيدش» التى يرطنون بها يعترينى الاشمئزاز) ومن هنا التصق التعبير «فوس فوس» بالاشكنازى طبقا للنغمة البغيضة التى يتحدثون بها(١٥) .

وكان بعض هؤلاء المهاجرين أصحاب مهارات حرفية وتعليمية واسعة فى حين كان البعض الآخر يعوزه كل شىء ، فاليهود الذين وصلوا من مدن الشرق مثل بغداد ودمشق والقاهرة والأسكندرية ، كانوا أصحاب مهارات وقدرة على التكيف فى المجتمع اليهودى بالإضافة إلى وفرة الأموال لديهم ، إلا أنها قد تناقصت بمرور الوقت .

وهناك عدد من المهاجرين جاءوا من مناطق قروية وجبلية ، ومدن صغيرة حيث كان نظام الحياة بسيطا وبدائيا تقريبا ، وقد قابلتهم ظروف صعبة بعد هجرتهم إلى فلسطين بسبب بساطة حرفهم بالنسبة للحرف الأخرى التى حولهم(١٦) وجهلهم بالعبرية حيث كان ذلك عائقا أمام توليهم المناصب .

وهكذا وجد يهود الشرق أنفسهم أسفل السلم الاجتماعى(١٧) ، وإذا كان عدد منهم قد هاجر إلى فلسطين محاولة منه لحل مشاكله فإن هذه الهجرة قد غمستهم فى حياة الأقلية الطبقية(١٨) .

ويقول الفريد ليلينتال :

«إن اليهود الشرقيين الذين اقتنعوا بعد عام ١٩٤٨ بالهجرة إلى فلسطين سرعان ما وجدوا أنفسهم ضحايا التعصب . ومع أنهم أصبحوا يشكلون فى النهاية حوالى نصف مجموع سكان «فلسطين» إلا أن اليهود المسيطرين من أوروبا الشرقية والغربية يعتبرونهم فئة أدنى(١٩) .

وإذا نظرنا إلى أبناء وبنات المهاجرين من الدول العربية وأحيانا أحفادهم وجدنا الفقر متوارثا بينهم وكل جيل أفقر من الذى يليه حتى ليقول أحد المهاجرين : «وما شعورك عندما تسكن فى بيت تنقصه التدفئة بالإضافة إلى

البقية ص ٤٩٢

---

* البيدش : كانت فى أساسها اللغة الألمانية المستعملة فى القرون الوسطى بعد أن ادخلت عليها بعض المفردات العبرية وغيرها من المفردات الأجنبية وخرجت عن اللهجة الألمانية الأصلية وتكونت لها لهجات اختلفت باختلاف المناطق واللغات الأخرى المحيطة ، وتكتب هذه اللغة بالحروف العبرية لأن هذه الجماعات وهى من السلاف والجرمان اقتبست الدين اليهودى والكتابة العبرية معا ، إذ لم تكن لهم كتابة وقت اقتباسهم الدين اليهودى ، وقد جعل يهود بولونيا منها لغة أدبية ومع ذلك ظلت اللغة العبرية قائمة إلى جانب لغة البيدش

(١٤) شناطل : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

** اختاروا معسكرات الانتقال أو المعابر فى الأماكن التى تتوافر فيها فرص العمل فى ضواحى المدن ، وبعد عام من إنشائها ، بلغ عدد من فيها حوالى ربع مليون مهاجر . راجع .

Jewish Observer and Middle East Review, vol. (13), 1964, p, 23.

(١٥) شاطل : مصدر سابق ، ص ٤٣ .

(١٦) مشاكل السفارديم فى إسرائيل (بعيوت هسفرديم بيسرائيل) الاتحاد العالمى للطوائف السفاردية ، الإدارة الإسرائيلية ، ١٩٧٦ ، ص ٦ .

(١٧) نفس المصدر ، ص ٧ .

(١٨) بيرس يوحنان : علاقات الطوائف فى إسرائيل (يحسى عيدوت بيسرائيل) ، دار نشر سفريت بوعليم وجامعة تل ابيب ، ١٩٧٦ ، ص ٥٢ .

(١٩) ليلنتال (الفريد) : ثمن إسرائيل ، ترجمة حبيب نحولى ، وياسر هوارى ، دار الآفاق ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨١ ، ص ٦٠ .

الفتاوى

للشيخ علي حامد

المصارعة وغيرها .. وكشف العورة

س : تنوعت الألعاب الرياضية ، ومنها المصارعة الحرة التى يسمح فيها بارتداء ملابس لا تستر العورة المخففة للرجال .. أعنى من السرة إلى الركبة . فما حكم الشرع الشريف فى هذا الشأن ؟

جـ : أما ما يتعلق بالمصارعة فإن الإسلام لا يقرها بين شخصين ولا بين حيوانين لما فى ذلك من الضرر والتعذيب ، والنبى ﷺ يقول : لا ضرر ، ولا ضرار .

وأما ما يتعلق بستر العورة فقد اختلف الفقهاء فى تقديرها ـ بعد أن اتفقوا على أن جسم المرأة كله عورة ما عدا الوجه والكفين .

فقد ذهب الشافعية والحنفية إلى أن عورة الرجل من السرة إلى الركبة ، وكذلك المالكية .

وللإمام أحمد روايتان: رواية كرواية الجمهور ورواية تقول : إن عورة الرجل السوءتان فقط ـ وبهذه الرواية أخذ الظاهرية .

العمليات الجراحية التى ينسبونها إلى الأولياء

س : انتشرت فى بلدتنا ظاهرة غريبة ، وهى أن الناس ينسبون إلى بعض الأولياء القيام بعمليات جراحية للمرضى والمعوقين . فما موقف الإسلام من ذلك ؟

وجيه يعقوب السيد
المنزلة ـ الفروسات

جـ : لا نقر هذه الدعاوى إلا عن يقين ، ولا يثبت اليقين فى مثل هذه الأحوال إلا عن طريق دراسة دقيقة من قبل لجنة طبية مختصة فى مثل هذه العمليات التى يدعى الناس إجراءها بنجاح . وهذا هو الذى يعول عليه .

ما يؤخذ بدلا عن التأمين الصحى

س : بعض الناس يعطى لغيره حق العلاج بنظام التأمين الصحى . بدلا عنه ـ فى مقابل

سلعة يأخذها كصابون وروائح عطرية وغير ذلك .

أفيدونا عن الحكم .

س . ا . ع - الفيوم

جـ : هذا عمل فيه إضرار بالغير ، وغش للدولة والنبى ﷺ يقول : من غشنا فليس منا .

والمؤمن صادق الإيمان لا يلجأ إلى هذه الطريقة لما فيها من مخالفات لمبادىء الإسلام .

لقطة مكة والمدينة

س : رجل كان يؤدى مناسك الحج ، فوقع عليه ثوب جديد مما تلبسه النساء الباكستانيات ، وبحث عن صاحبته فلم يجدها . فأعطاه لأرملة . ثم وجد فى المدينة خمسة ريالات وأيضاً أعطاها لمسكينة تجاوره فى مصر . فما الحكم ؟

حسن هاشم - روز اليوسف

جـ : هذا كله يعد من اللقطة ، وحكم اللقطة أنه إذا لم يجد صاحبها تصدق بها على فقير محتاج .

ولا يرد على هذا ما يراه بعض الفقهاء من خبر يفيد أن لقطة المسجد الحرام لا تحل لأحد .

التكسب من الأغانى والتمثيل

س : ما حكم الدين فى التكسب من الأغانى والتمثيل ؟

س - م - ع القاهرة

جـ : من المعلوم أن الله سخر لنا ما فى السماوات وما فى الأرض لنستفيد منه ، وحرم علينا بعض الأشياء لضررها ، وحثنا على تتبع الحلال لنأكل منه فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ وقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ .

ومن وسائل كسب العيش التجارة ، قال تعالى :﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

إن الباب مفتوح لكل نشاط فى أى ميدان والواجب هو اختيار الميدان الحلال .

ومعلوم أن بعض الأغانى وبعض التمثيل حلال ، والبعض الآخر حرام فإذا كانت مادة الغناء حلالا كمدح الرسول ﷺ والأداء جديا ليس فيه خروج ، والمغنى ملتزم بالآداب فى الملبس والحركة ، ولم يصاحب الغناء محرم كاختلاط الجنسين ، ولم يؤد ذلك إلى فوات واجب كان التكسب منه غير محرم ، فإذا تخلف شرط من هذه الشروط كان حراما .

وكذلك التمثيل إن كان صادقا فى مادته ، شريفا فى غايته ، خاليا من محرم كعرى وتقبيل ، وغير مؤدٍ إلى التقصير فى واجب كان حلالا وإلا فهو حرام .

حكم الكشف عن وجه الميت

س : هل يمكن الكشف عن وجه الميت الذى وضع فى قبره ليراه من لم يره من أقاربه .

ناجى يوسف حسن

جـ : لم يرد نص بتحريم النظر إلى وجه الميت غير أن هذا العمل مما يدعو إلى زيادة الأسى والحزن على المتوفى وهو محظور شرعا .

من أعلام الأزهر

الشافعى الصغير

الشيخ محمد حسن فقرة

بقلم : حسين خضيرى موسى

مقدمة :

الحديث عن الأخيار الأبرار ، ليس بالأمر الهين ولا اليسير ، وبخاصة إذا كانوا من هؤلاء الذين عاشوا للمبادىء ، يبذرون بذورها ، ويغرسون أشجارها ، ويتعهدون ما بذروا ويحافظون على ما غرسوا ، وهم بعيدون عن تسلط الأضواء وبمناى عن السمعة وحب الثناء ، يجدون متعتهم وكامل لذتهم فى نمو بذرهم ، ونتاج غراسهم ، أولئك الذين صدقت نواياهم ، وخلصت طواياهم ، فقضوا أيام حياتهم وعاشوا سنى أعمارهم فى بذل وعطاء ، دون التطلع فى الدنيا إلى أجر أو جزاء ، واثقين كل الثقة ، بأن أجرهم الأكمل وجزاءهم الأشمل مدخر لهم فى دار الخلود ، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ .

من هذا النوع المتفرد فى طبعه ، المتميز فى وضعه ، العالم العامل « الشيخ محمد حسن فقره » الذى أسلم قياده منذ نعومة أظفاره للجد والاجتهاد ، ونزل ساحة العلم متعبداً فى جنباته ، متبتلاً فى ردهاته ، لا تستهويه شهوة ، ولا تجرفه نزوة ، يتسامى بروحه وحصافة عقله عن كل مايغرى وجميع مايلهى .

فأخلص له إخلاصه ، وكافأه عمله وكفاحه ، وتوجه بتاج الكمال والجلال ، فبز أقرانه وفاق خلانه ، حتى كان أول دفعته فى الشهادة العالية ، وكان لها آنذاك ماكان ، من رفعة المكانة وسمو المكان .

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ .

نشأته :

ولد الشيخ فى قرية ريفية ، من قرى الشرقية تسمى « ميت بشار » مركز منيا القمح من أسرة مكافحة عصامية فى عام ١٩١٦ ميلادية ، وحفظ القرآن الكريم صغيراً ، وقد لازمه هذا الحفظ طول حياته ، ما نسى منه حرفا ، ولا ضاعت من ذاكرته آية ، وكأنه قد سطر على صدره ، ونقش على قلبه ، فكان من أهله وخاصته ، لم يلحن فيه ولم يتلعثم متقنا لتجويده ، ملماً بأحكامه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو بهذا قد ظفر ببشارة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الماهر بالقرآن مع السفرة ، الكرام البررة » .

والتحق بمعهد الزقازيق الدينى ، يرتضع من أفاويق العلم ، ويغترف من بحار المعرفة على أيدى كبار العلماء من أمثال الشيخ محمد أبو النجا والشيخ على ندا والشيخ على خاطر

وغيرهم من الراسخين فى العلم ، والمخلصين فى البذل ، فأثروا فيه وتأثر بهم ، ووجد فيهم ضالته المنشودة وغايته المرجوة .

رســالــة وامــانــة :

ويتدرج الطالب المبتدىء فى سنوات دراسته بهمة قوية وعزيمة فتية ، يحفزه إلى ذلك ذكاء حاد وعمل جاد ، وفوق كل هذا توفيق من الله وإرشاد إلى أقوم الطرق وأهدى السبل .

وللطالب الريفى انجذاب قلبى نحو قريته ، وانعطاف روحى إلى بيئته ، ولاسيما إذا كانت القرية لا تبعد كثيراً عن المعهد الذى يتلقى فيه تعليمه ، بل هى قريبة منه وإنه ليستطيع العودة إليها يوميا إن هو أراد .

وفى مقتبل حياته ، يحس الطالب بذاته ، ويشعر بأنه قد حمل رسالة بعد أن حمل على رأسه العمامة ، ولابد لهذه الرسالة أن تؤدى بأمانة ، فيجلس فى مسجد القرية بين أهله وذويه ، وأحبابه ومريديه ، وينقل لهم من العلم ما تلقاه عن أشياخه ومدرسيه فتلتف حوله القلوب ، ويظفر باحترام الصغير والكبير ، ويصبح محط أنظار الجميع ، ويذيع صيته ، ويحرص الناس على الحضور لسماع درس ووعظ الشيخ الطالب محمد حسن فقره ، ومنذ هذا الوقت بدأ نجمه يتألق ويتوقع الجميع له مستقبلاً ماجداً راشداً .

وإذا رأيت من الهلال نموه
أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً

مــواصلــة المسيــرة :

وعلى درب العلم يواصل الشيخ مسيرته ، وبعد أن يكمل تعليمه الثانوي ينتقل إلى مرحلة التعليم العالية ، وفى كلية الشريعة يظل ممسكاً بمقود التقدم ، وتنداح أمامه آفاق جديدة من المثابرة ، فيبدو وقد دانت له الصعاب . ووضحت أمامه المسالك والشعاب ، وتعده مواهبه لأن

يكون فقيه عصره فى غير اعتلاء ولا خيلاء ، ويجد كل تقدير واحترام من أساتذته الذين لمسوا فيه الخير الكثير والنفع الوفير من أمثال الشيخ عبد الله موسى والشيخ الدفتار والشيخ موسى اللباد ، وينهل شيخنا من منابع العلم الصافية فقها وأصولاً وتفسيرا وحديثا وغيرها من العلوم الدينية والعربية وفى عام ١٩٤٢ ميلادية ينال الشيخ محمد حسن فقره الشهادة العالية وكان ترتيبه الأول على دفعته ، لا ينازعه هذا الترتيب منازع ، ولا يسابقه فى تلك المنزلة متسابق ، ثم يلتحق بقسم تخصص التدريس ويقضى فيه عامين ليتخرج منه مدرسا بالمعاهد الدينية مربياً لأبناء المسلمين .

حيــاتــه العمليــة :

انخرط الشيخ فى سلك التدريس وتجول فى معاهد صعيد مصر ، ثم استقر به المقام فى معهد الزقازيق ، والحق يقال ؛ إن الألسنة لم تجتمع على إطراء أحد مثلما اجتمعت على إطراء هذا الرجل ، فكان لا يكل ولا يمل ، مخلصاً فى عمله ، وفيا لطلابه ، مراقباً لله حق المراقبة ، واشتهر بالصدق وبذل الجهد فى منفعة طلابه ، وكان - إلى علمه - مربيا حازما ، حتى إن البعض كان

←

يصفه بالشدة والقسوة ، وكان مرجعا حقيقيا لجميع المستفسرين والمستوضحين عما غمض وأبهم فهمه من أبواب العلم والمعرفة ، وأنشأ لجنة للفتوى ، للرد على أسئلة السائلين وإيضاح الحقائق أمام الحائرين ، كل هذا وهو يحتسب عمله عند الله لا يريد من أحد جزاء ولا شكورا ومع ما اشتهر به من الشدة والصلابة مع الطلاب ، فقد كان مثالا يحتذى فى التواضع والأدب والحياء مع الزملاء ، وما كان يتطلع أبداً إلى المناصب ولا يجرى وراء المناقب حتى عين وكيلاً لمعهد الزقازيق ، وأخيراً صار شيخاً لهذا المعهد ، ولقد سمعته يقول ـ والله على ما أقول شهيد : لأن أعود مدرساً بجدول كامل خير لى من مشيخة المعهد وهكذا شأن الأخيار الأبرار ، الذين يصدق عليهم قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة » .

أعماله وعلاقاته الاجتماعية :

كان الشيخ غيوراً على تحفيظ القرآن الكريم ونشر العلم ، فعمل جاهداً على إقامة جمعية تحفيظ القرآن الكريم فى قريته ، وكان يشرف عليها شخصيا ، فخرجت الكثيرين من حفظة كتاب الله ، وآتت ثمارها بسبب إخلاص هذا الشيخ ، ثم سعى لإقامة معهد دينى بها ، وكان يواصل اتصالاته ليلاً ونهاراً ، ولم ييأس حتى حقق الله له مطلبه ، وأقيم المعهد فى بلده ، يؤدى رسالته على أكمل وجه وأتم قياس .

وأما عن علاقاته الاجتماعية ، فهو يعتبر أسوة حسنة وقدوة طيبة فى أداء الواجب والمشاركة الوجدانية لجميع معارفه ، وبلدته ـ ميت بشار ـ بها الكثير من المسيحيين ، على وُدٍّ معهم ، يزورهم فى مناسباتهم فكانوا يقدرونه ويبادلونه هذا الشعور الطيب الكريم .

رحـلاتــه العلميـة :

اختير الشيخ فقره مبعوثا للأزهر فى دولة الكويت ، فمثل بلاده وأزهره خير تمثيل وفى عام ١٩٧٥ ميلادية تعاقدت معه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ليعمل أستاذاً فى كلياتها ، وهناك تجمع عليه جمع غفير من الطلاب المسلمين الوافدين من جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية ، يتلقون العلم على يديه ، فترتبط به قلوبهم وتأنس له نفوسهم ، ويفيض الرجل عليهم مما أفاض الله عليه من العلم ، بإخلاصه المعروف وصدقه المألوف ومع أنه لم يجنح نحو الكتابة والتأليف إلا أنه ترك بحثا قيما فى علم مصطلح الحديث وقد وفاه حقه من الدقة والتفصيل .

نهـايــة البـدايــة :

ظل الرجل يواصل نشر تعاليم الإسلام ، حتى داهمه المرض وهو قائم يؤدى صلاة الفجر فى حرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ويقع عن طوله بلا مقدمات ، فتجزع القلوب عليه وتضرع بالدعاء له ، ويظل تحت العلاج المكثف ، والأسى يرتسم على وجوه عارفى فضله من السعوديين والمصريين ، وهو صابر غير متضجر ولا متألم ، بل كان يقول لعواده من أحبابه وزواره ، حينما يرى الوجوم على وجوههم « أتصبرون » حتى لبى نداء ربه فى يوم الخميس الثالث عشر من يناير ١٩٨٦ .

وهكذا طويت صفحة عالم عابد مخلص ، ووري جثمانه الطاهر الثرى ورحم الله « الشافعى الصغير » كما كان يطلق عليه فى حياته .

وما قصدت بكتابة هذه السطور المدح والثناء ، وإنما ابتغيت التأسى وحسن الاقتداء ولو كان الشيخ حيا ـ فيما نعلم عنه ـ ماقبل أن يكتب عنه سطر واحد ، لأنه يؤمن بأن ﴿ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ رحمه الله رحمة واسعة .

العلوم الكونية

المدخل الإسلامي للطب

قضية إدرايتريا

المدخل الإسلامي للطب

تقديم الإمام الأكبر شيخ الأزهر

تأليف : أ.د. إبراهيم عبد الحميد الصياد

عرض وتحليل : أ.د. أحمد فؤاد باشا

إن الإسلام هو المنهج الإلهى الذى تراعى فيه مصلحة الإنسان فى كل زمان ومكان ، بغض النظر عن فوارق الجنس واللون والموطن والعقيدة . ولذا فإن المنهج الإسلامى هو وحده المؤهل لأن يكون موضع تأمل عميق فى عقلية إنسان العصر ، وتهيئته لاستيعاب كل ماتأتى به حضارة العلم والتقنية فى المستقبل القريب أو البعيد ولا شك أن التصحيح الإسلامى لواقع الفكر المعاصر سوف يفتح الطريق أمام مستقبل أفضل للإنسانية ، وسيكون له أجل الأثر فى تصحيح وِجْهةِ العلوم المعاصرة لدى عقلاء العالم ومفكريه ، إذا ما درسوا الإسلام فى حقائقه وإستفادوا منه فى إصلاح شئون حضارتهم .

وعندئذ سيكون التفكير العلمى لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقَّة بوصفه بحثا موضوعيا نزيها ، يعلو على كل ضروب الهوى والتحيّز ، ويزن كل شيء بميزان واحد ، هو ميزان الإسلام ، لكل ميزاته وخصائصه التى قامت عليها قواعده الاعتقادية والعلمية . ونحن نرى أن أى إسهام علمى فى هذا المجال يكون بمثابة خطوة جديدة على طريق الصحوة الإسلامية المنشودة والتطبيق الإسلامى للفكر العصرى المستنير .

من هنا جاءت أهمية اختيارنا لكتاب « المدخل الإسلامى للطب » للدكتور إبراهيم عبد الحميد الصياد ، والذى صدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م ، وحظى بمقدمتين لفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر دلّنا على أهمية الموضوع ومكانة الكاتب . ويقع الكتاب فى ٢٤٧ صفحة من القطع المتوسط .

وإذا انتقلنا إلى عرض محتويات الكتاب فإن المؤلف قد أوضح الخطة التى سار عليها فى تمهيد موجز يستند إلى ما تعارفت عليه معاهد التعليم الطبى من اتخاذ الكتاب الطبى والمريض ركيزتين لدراسة الطب . فكتاب الطب هو المرجع إلى فهم تكوين الجسم ووظائفه وما يصيبه من مرض ، وكيف يمكن إعادته إلى حالته الطبيعية .

أما المريض فهو مادة الدراسة وموضوع الفحص والعلاج الذى تطبق عليه ما فى الكتب من

نظريات . لذلك تناول المؤلف فى الباب الأول الأسس الإسلامية التى تقوم عليها دراسة الطب حتى يدرك الطالب المسلم غايته من هذه الدراسة ، ويكون على هدى من أمره فى تناولها .

وفى الباب الثانى تناول المريض من حيث هو إنسان ، فلابد للطبيب أن يعرف مادة دراسته وماله من حقوق حتى يلتزم بها فى تعامله مع أفضل مخلوقات الله على الأرض .

وفى الباب الثالث تناول هذا الإنسان بعد أن ألم به المرض ، واستعرض نظرة المريض لنفسه ونظرة الناس له وما يجب أن يكون عليه موقف الطبيب منه .

وفى الباب الرابع والأخير حاول المؤلف أن يتبين موقع الرعاية الصحية من النظرة الإسلامية الشاملة للكون والحياة ، وأوضح كيف ترتبط مفاهيم الوقاية والعلاج برسالة الإنسان الذى استخلفه الله فى الأرض ، والصحة من مقومات العبادة ، وأداة القيام بواجبات الخلافة . وهذا المفهوم ينقل موضوع الصحة من دائرة ضيقة تشمل الطبيب والمريض إلى النظرة الشمولية الواسعة للطب الإسلامي التى تربط العقيدة بالشريعة بالنشاط الإنسانى بصحة الفرد والبيئة والمحافظة عليهما وإصلاحهما .

ينقسم الباب الأول إلى أربعة مباحث خصصها المؤلف لعرض أربعة مداخل ينطلق منها الإنسان المسلم فى دراسته للطب تطبيقا لنظرة الإسلام إلى كافة الأنشطة فى الحياة .

أما المبحث الأول فيتناول أهمية الطب باعتباره علما نافعا يهدف إلى صحة العقل والبدن التى تعين على توفير كافة المقاصد الرئيسية للشريعة كما يراها الفقهاء ، وهى بترتيب أهميتها : الدين والنفس والعقل والنسل والمال . وعندما يطلب المسلم علما على النهج الإسلامى يكون فهمه للحياة والكون طريقا للوصول إلى الله سبحانه وتعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة آل عمران : ١٩١) .

وتكون وجهته دائما لعمل الخير انطلاقا من القاعدة العامة فى ضرورة الربط بين النظرية والتطبيق : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الصف : ٢ ، ٣) ويدلل المؤلف على أن قيمة العلم النافع تتسع فى أبعاد كثيرة ، فهى تتعدى حدود العمر ، حيث إن ثواب العلم النافع يصير صدقة جارية بعد وفاة صاحبه ، وهى تتعدى حدود المصدر حيث إن منهل العلم النافع مباح من أى مصدر ، كما أنها تتعدى حدود الفضل حيث ترتفع درجة طالب العلم النافع ليحيى به الإسلام حتى يقترب من درجات الأنبياء .

ويعرض المبحث الثانى من هذا الباب لدراسة الطب باعتبارها فرض كفاية يحقق مصلحة الجماعة ويرفع راية الدين . والمكلف فى فرض الكفاية هو المجتمع كشخصية اعتبارية ، فالجميع مؤهل لأداء وظيفته ، كلٌ حسب قدرته وطاقته ، وكل ميسر لما خلق له . والبناء الاجتماعى للأمة يستوجب اختلاف القدرات والمواهب بين الناس ، فيقوم التخصص فى المجتمع بما يؤدى إلى التعاون لتلبية احتياجات المجموع وأداء الفروض الكفائية . وبذلك يجتاز المجتمع تجربة الابتلاء بنجاح .

وكل علم يحتاجه المسلمون فرض كفاية ، فإن لم يوجد بينهم من يحسنه فالكل آثمون . وليست الكفاية أن يوجد من يعرفه ، بل فى وجود المجموعة التى تغطى احتياجات الأمة . ويفند المؤلف خطأ الظن بأن الاشتغال بالعلوم (التقنية) هو من أمور الدنيا فقط وليس من

← المدخل الإسلامى للطب

أمور الدين ، موضحاً كيف أدى ذلك الظن إلى إهمال تخصصات هامة تلزم المجتمع المسلم . فبغير أداء المصالح الدنيوية يضعف شأن المسلمين ولا تستقيم أمور الدين ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . لذلك فإن كل أصول الصناعات والعلوم التطبيقية النافعة من فروض الكفاية . والحقوق الكفائية تخدم بعضها البعض ، إذ هى سلسلة من الاحتياجات والضرورات تخدم كل واحدة منها الأخرى ، كما تخدم العلوم الأساسية العلوم التطبيقية . فالتخصصات العلمية المختلفة ضرورية لكل مجتمع ، والإخلال بأحدها يؤدى إلى الإخلال بالواجب الكفائى الأعظم وهو عبادة الله حق عبادته وإعلاء كلمته فى الأرض .

وانطلاقاً من مفهوم الكفاية يبرز المؤلف جزئية هامة تتعلق بحسن تنظيم العمل الإسلامى ، فلا يجوز أن يتجه كل الدارسين إلى تخصصات معينة طمعاً فى ربح مادى أوفر ، أو مركز اجتماعى أفضل ، أو ممارسة فعلية أقل مشقة ، بل يجب أن يكون مفهوم الكفاية هو تجسيد للروح الجماعية والبذل فى سبيل الله . فإذا أقبل عليها المسلم بهذه النيّة فإنه فى دراسته وممارسته يكون عابدا لله حق عبادته .

فى المبحث الثالث انتقل المؤلف إلى موضوع دراسة الطب كمدخل إلى قوة الإيمان بالله ، وناقش هذه القضية من خلال تناوله خمسة جوانب هامة هى :

أولاً : مصادر المعرفة من وجهة النظر الإسلامية تقوم على أساس زوجية الكون المتمثلة فى عالم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله تعالى وعالم الشهادة الذى نشهده أمامنا بما فيه من كائنات .

ويتبع هذا أن تصنف العلوم إلى قسمين : يشمل أولهما العلوم البحتة والتطبيقية التى تقوم على المشاهدة والتجربة والتعليل ، مثل علوم الكيمياء والفيزياء والطب والزراعة وغيرها . ويشمل القسم الثانى العلوم التى لا يمكن للمسلم إلا أن يتلقاها من مصدر ربانى ، وهى العلوم المتعلقة بالعقيدة والعبادة والقيم والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية ونظام المجتمع .

ثانياً : التفسير الإسلامى للحياة البشرية والغاية منها لا تقتصر على حياة الإنسان فى الدنيا ، وإنما يتناول دورة وجوده الكاملة التى لا يمكن للبشر إدراكها إلا بهدى من الوحى الكريم :

﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٢٨) .

ثالثاً : الأخطاء البشرية فى تناول مناهج المعرفة أدت إما إلى الشرك بالله أو إلى عصيان أوامره فقد كان من نتيجة خلط الناس لمصادر المعرفة أن حاولوا اقتحام عالم الغيب بالوسائل التى لا تصلح إلا لعالم الشهادة ، ودنسوا الفطرة الحنيفة المؤمنة الموحدة لله . وظهرت العلمانية فى العالم الغربى لتضع حدًّا فاصلاً بين العلم والدين ، وتحصر اللاهوت الكنسى فى جانب محدود من العلاقة بين الفرد وربه . وكان من نتائج هذا الفصل أن فقدت العلوم أساسها الأخلاقى ، وظهرت النظريات والمذاهب الوضعية لتكون منهجاً ودينا للمجتمعات التى تعتنقها . وانتقلت عدوى هذه النظريات إلى الفكر الإسلامى فى عهود الاستعمار للدول الإسلامية ، وخلت الكتب الطبية من أية إشارة إلى حكمة الله فى جسم الإنسان ، وتجاهلت القوة الخالقة التى تسير وظائفه بهذه الدقة البالغة ، ونسبتها إلى مسميات خيالية كالطبيعة والقوة الذاتية والغريزة وغيرها مما لا يتفق مع التصور الإسلامى . كذلك تخلف المسلمون بسبب تخليهم عن النظر فى عالم

الشهادة بالمنهج التجريبى الذى كان للإسلام الفضل فى ظهوره ، وبذلك توقف تقدم العلوم التطبيقية ووقفوا منه موقف المتفرج .

ويرتب المؤلف على هذه النتيجة ظهور اتجاهات مارست صوفية على غير حقيقتها فصرفت جانباً من المسلمين عن الدنيا وسلبت منهم مقومات القوة . وينسب المؤلف بصورة قاطعة ـ لنا عليها بعض التحفظ ـ مظاهر ضعف المسلمين وانسحابهم من مجابهة المشاكل العملية فى مجال الحياة ومجال العلم إلى هذا التأثير الذى جعلهم يعتمدون على ما ينتجه غيرهم من غذاء البدن والعقل (راجع : قضية التصوف المنقذ من الضلال ، د . عبد الحليم محمود ، ط٢ ، دار المعارف ١٩٨٥ ، خاصة الفصل الرابع) .

رابعاً : تأثير التقدم العلمى على المفاهيم البشرية .

خامساً : الغاية الإيمانية من دراسة الطب والعلوم الطبيعية . وفى هذين الجانبين يعود المؤلف إلى تكرار الكثير من الأفكار التى سبق له أن عرضها ، ولكننا لا نرى فى ذلك عيباً كبيراً طالما أنه يساعد على تعميق المفاهيم الإيمانية والتصورات الإسلامية .

أما المبحث الرابع من هذا الباب فيخصصه المؤلف للدعوة إلى أن يكون التعليم الطبى المستمر صفة لازمة للطبيب المسلم حتى يقدم للناس أفضل رعاية طبية ممكنة ويكون على صلة بكل جديد فى مجال تخصصه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (سورة طه : ١١٤) . وقد سأل البيرونى من حوله عن مسألة علمية وهو فى فراش الموت ، فقالوا : مالك وهذا وأنت فيما أنت فيه ، فقال : لأن ألقى الله وأنا أعرفها خير من أن ألقاه وأنا أجهلها .

وانتقل المؤلف فى الباب الثانى إلى تناول نظرة الطبيب المسلم للحياة البشرية من عدة جوانب عالجها فى سبعة مباحث هى :

١ ـ حماية حق الحياة البشرية باعتبارها هبة من الله تعالى ، تكسب قدسيتها من النفخة الإلهية الكريمة ، وبذلك صارت حقاً مقدساً لا يجوز لأحد أن يسلبه إلا بحق الله تعالى ، ويتساوى فى ذلك كل البشر فى جميع مراحل حياتهم مهما كان جنسهم ولونهم ودينهم .

وهنا يوضح المؤلف كيف يمتد المفهوم الإسلامى للحياة البشرية إلى الجنين داخل الرحم ، فيجعل له كياناً مستقلاً وحقوقاً مستقلة عن حقوق والدته رغم أنه مازال جزءاً منها ، فإذا اعتدى أحد على امرأة حامل فأجهضها فإنه يكون قد ارتكب جريمتين : جريمة الاعتداء عليها وجريمة قتل الجنين .

ومن مظاهر احترام حق الحياة فى الإسلام تفضيل صيانة الحياة على اعتبارات شرعية . ولا يشترط أن يصل الضرر إلى حد الخطر حتى يكون مبرراً للتخفيف ، بل إن المشقة تستوجب التيسير تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج : ٧٨) .

٢ ـ حماية مقومات الحياة البشرية ومنها تلك الحقوق التى تنعكس على الصحة البدنية والنفسية ، مثل حق العلاج واللباس والطعام والسكن والزواج والتعلم والعمل ، وأيضاً حق الكفالة فى أحوال المرض والعجز والشيخوخة وفقد العائل ، ولكل منها أسانيده فى السنة النبوية الشريفة .

٣ ـ توفير الكرامة البشرية التى منحها الله تعالى للإنسان بقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء : ٧٠) . فقد حرَّم الإسلام الإيذاء البدنى أو النفسى بغير وجه حق . بل إن الإسلام يكفل كرامة الجسد حتى بعد خروج الحياة منه ، بل وفى ذكراه أيضاً . وقد يستدعى العمل الطبى تشريح الجثة لأغراض الطب الشرعى ، أو

المدخل الإسلامى للطب

لدراسة الصفة التشريحية للمرض المؤدى للوفاة ، والأعضاء التى تقطع من الجسد فى عملية التشريح يجب أن تعامل بالطريقة التى حددها الشرع فى معاملة الجسد الكامل بحيث تدفن ولا تلقى كأنها فضلات غير آدمية . وإذا تداول طالب الطب عظام الميت أو أجزاء من جسده بقصد الدراسة النافعة فلابد أن يحفظ لها كرامتها . عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كسر عظم الميت ككسر عظم الحى فى الإثم » (الموطأ ، أبو داود ، ابن ماجه : الجنائـز ، أحمد : ٥٨/٦) . وإذا كان العمل الطبى يضع الإنسان وسط أعداد لا تنتهى من المرضى والموتى فيجب ألا ينسيه ذلك احترام الموت ومراعاة حرمة الموتى ، ولا يؤدى تكرار مشاهدة الموتى إلى التعود ، بل إلى العبرة والعظة . روى الخمسة إلا الترمذى عن جابر رضى الله عنه : « مرت جنازة فقام لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلنا : يارسول الله إنها يهودية فقال : إن الموت فزع فإذا رأيتم الجنازة فقوموا ، وفى رواية قال : « أليست نفسا » .

٤ ـ الضوابط الشرعية المتعلقة بالحياة فى أمور الانتحار والاعتداء والقصاص تلزم العبد بألا يفرط فى هذه الحياة ، وليس لغيره أن يعتدى عليها أو يعرضها للخطر بفعل إيجابى أو إهمال سلبى . فإذا مات شخص فى الزحام فالدية على جميع من حضر أو على بيت المال ، وإذا مات إنسان جوعاً فى بلد مسلم فيؤدى أهل البلد جميعاً الدية متضامنين إلى أهل الميت . والعاملون فى الحقل الطبى مسئولون عن أرواح الناس ، وقد يهلك المريض من إلقاء بعضهم المسئولية على البعض الآخر ، ولو استشعر كل واحد منهم أن كثرة العدد لا تخلى من المسئولية لتعامل كل منهم مع المريض كما لو كان هو وحده مسئولا عن حياته .

وكرامة الإنسان لا تسمح للعاملين فى البحث الطبى أن يجعلوه فى موقع حيوانات التجارب إذا كان فى ذلك أدنى خطر عليه ، فليس لهم حق تعريضه للأذى المحتمل وليس له أن يقبل التصرف فى نفسه . وعندما يعرض المؤلف لقضية هامة تتعلق بأصحاب الحقوق فى الجسم البشرى فإنه يدلل على أن سلامة الجسد من الحقوق المشتركة للعبد ولله تعالى ، وليس للفرد أن يتصرف فى جسده أو يأذن لغيره بالاعتداء على نفسه . وكنا نود من المؤلف فى هذا الشأن أن يدلى بدلوه فيما يتعلق ببعض القضايا المعاصرة التى يختلف حولها الفقهاء مثل نقل الأعضاء ومشروعية بيعها أو التبرع بها . وإن كان سيتطرق إليها بإيجاز بعد ذلك .

٥ ـ عناصر المساواة والتفضيل بين البشر ، وانعكاس ذلك على موقف العباد بعضهم من بعض ، يجعل البناء الأخلاقى والاجتماعى فى التصور الإسلامى مرتبطا ارتباطا وثيقـا بالعقيدة ، بمعنى أن المسلم يعامل غيره من الناس كما أمره الله تعالى على أساس سلوكهم وأفعالهم الاختيارية ، وليس على أساس صفاتهم الجبرية التى لا اختيار لهم فيها مثل : اللون والغنى والقوة والجنس والوطن والعنصر .. إلخ قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) .

٦ ـ حماية حق الحياة لغير المسلم انطلاقاً من القاعدة العامة « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » .

البقية ص ٥١٥

قضية أريتريا

٣

للأستاذ: ماهر زكريا الشيمى

الحركات الوطنية فى إريتريا

ظهرت الحركات الوطنية والمقاومة الشعبية فى اعقاب كل مرحلة من المراحل التاريخية التى تعرضت لها إريتريا خاصة بعد الغزو الإيطالى وإعلان إريتريا مستعمرة إيطالية عام ١٨٩٠ اما الأحزاب السياسية فبدأت عام ١٩٤٣ حين قام بعض الشبان المثقفين فى أسمرا بتاسيس جمعية اطلقوا عليها (مجر فقرى هجر) اى جمعية حب الوطن(١) وكانت تضم الإريتريين بمختلف طوائفهم واقاليمهم. وكان المؤسسون اثنى عشر شخصا : ستة منهم مسلمون وستة مسيحيون، وقد تعاهدوا على العمل معا لخدمة قضايا الوطن دون تمييز. وركزت هذه الجمعية اهتمامها فى الإصلاحات الاجتماعية والثقافية، وكان من بين منجزاتها إلغاء قانون التميز العنصرى الإيطالى. وتشجيع الحركة التعليمية والثقافية وتشجيع وحدة الشعب الإريترى بمختلف طوائفه.

ولم تكن هذه الحركة الوطنية الناشئة والتى كانت تفتقر إلى الخبرة والتجربة بعيدة عن المؤامرات البريطانية الأثيوبية فقد كانت (أثيوبيا) تطمع فى ضم إريتريا إليها لتحقيق احلامها التاريخية واطماعها التوسعية. فقامت الإدارة البريطانية بتدبير المكائد التى تثير العداءات الدينية لتكريس الانقسام وتنفيذ مخططاتها لتمزيق وحدة البلاد ولتحول دون وحدة الشعب الإريترى فى مطالبته بالاستقلال، وتجلت هذه المكائد فى مذبحة (أسمرا) البشعة التى قتل فيها نحو خمسين مواطنا مسيحيا بأيدى القوة التابعة للجيش البريطانى المرابطة فى (أسمرا) كذلك تدخلت أثيوبيا بالعناصر الإرهابية الموالية لها وتمكنت من القضاء على هذه الجمعية فى عام ١٩٤٦ وقد أطلقت الإدارة البريطانية يد أثيوبيا فى إريتريا فتم حشد مئات من رجال العصابات وتنظيمهم وتدريبهم فى أثيوبيا وتزويدهم بالسلاح وإرسالهم بعد ذلك إلى إريتريا ليعملوا فيها قتلا وذبحا وحرقا وتخريبا،

* الكاتب : الوكيل الثقافى لمنطقة القاهرة ـ الأزهر الشريف.

(١) تاريخ إريتريا ـ عثمان صالح سبى.

← قضيـــة إريتـريـــا

وكانت هذه الأعمال الإرهابية الأنجلو - أثيوبية تتم تحت سمع وبصر أعضاء لجنة التحقيق الدولية التى زارت إريتريا فى عام ١٩٥٠ واتسع نطاق هذه الأعمال أثناء المشاورات التى كان يجريها مندوب الأمم المتحدة مع شعب إريتريا عام ١٩٥١(٢) كذلك جندت أثيوبيا بعض رجال الكنيسة فى (إريتريا) للدعاية لأهدافها التوسعية بضم إريتريا إليها وتمكنت من إنشاء حزب موال لها هو (حزب الاتحاد مع أثيوبيا) قاعدته العريضة من المسيحيين . وكان رد الزعماء المسلمين على ذلك عام ١٩٤٧ أن قاموا بتأسيس (حزب الرابطة الإسلامية الإريترية) وحددوا هدفهم بالاستقلال التام والحفاظ على وحدة التراب الإريترى أى ضد مشروع التقسيم البريطانى . ولم يرفض الحزب فكرة الوصاية الدولية لمدة محددة أقصاها عشر سنوات إذا ما ادعوا أن الشعب الإريترى يحتاج إلى فترة تأهيل تمكنه من تولى زمام أموره واستقلاله . بل إن الحزب فضل أن تكون الوصاية والإشراف لبريطانيا وذلك طمعا فى كسب تأييدهم لهم وتجنبا للاضطراب الذى سينشأ إذا ما تغيرت الإدارة البريطانية التى كانت قائمة آنذاك وجاءت إدارة أخرى لإريتريا .

وهكذا انقسم الشعب الإريترى على أساس دينى طائفى غير أن هذا الانقسام الطائفى لم يكن حادا قاطعا إذ كانت هناك تداخلات تتمثل فى أحزاب صغيرة منها (الحزب التقدمى الحر) ومعظم أعضائه من الأسر الحاكمة القديمة فى (اكلى قوزاى) وكان جميع أعضائه مسيحيين .

وقد تحالف هذا الحزب مع ستة أحزاب أخرى صغيرة هى :

١ - حزب إريتريا الجديدة .
٢ - الجمعية الإريترية الإيطالية .
٣ - حزب المحاربين القدماء .
٤ - حزب المثقفين .
٥ - حزب إريتريا المستقلة .
٦ - الحزب الوطنى .

وشكلوا فى عام ١٩٤٩ (الكتلة الاستقلالية الإريترية) مع احتفاظ الأحزاب بكياناتها القديمة . وشهدت الأعوام الستة (١٩٤٦ - ١٩٥٢) صراعات سياسية حادة . وانشأت الأحزاب السياسية صحفا خاصة بها بعد أن منحتها الإدارة البريطانية قسطا كبيرا من الحرية ، وكثرت الخصومات السياسية وكثر معها العنف وسالت الدماء . وخضعت بعض هذه الأحزاب لإيطاليا أو لأثيوبيا التى كانت تدعمها ماديا . غير أن هذه الأحزاب تحالفت مع حزب الرابطة الإسلامية عندما أيدت إيطاليا دعوة الاستقلال وذلك لتوافق مصالح الطرفين ، ففى الوقت الذى كانت فيه الرابطة بحاجة إلى مساندة سياسية أمام هيئة الأمم المتحدة كانت إيطاليا تطمع فى أن تجنى من وراء تأييدها للاستقلال بعض الفوائد الاقتصادية والاستراتيجية ، وخاصة أن لها جالية كبيرة فى إريتريا تمتلك الكثير من مصادر الثروة الزراعية والصناعية والصادرات والواردات ، فضلا عن أن أفراد هذه الجالية كانوا يتعرضون لكثير من الهجمات والاغتيالات من قبل حزب الاتحاد .

قضية إريتريا والأمم المتحدة

وقد أحيلت قضية إريتريا إلى الأمم المتحدة فى دورتها العادية الثالثة عام ١٩٤٨ بناء على اتفاق

(٢) «إريتريا» ضحية قرار الأمم المتحدة والعدوان الأثيوبى - جبهة التحرير الإريترية .

الدول الأربع الكبرى المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية وهى : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا ، وذلك بعد فشل لجنة التحقيق التى كونتها هذه الدول لبحث التصفية النهائية لمتلكات إيطاليا الإقليمية فى أفريقيا بما فيها إريتريا . وكان هذا الفشل بسبب تضارب مصالح هذه الدول وعدم اتفاقهم حول مستقبل المستعمرات الإيطالية .

واستمر تداول قضية إريتريا فى الأمم المتحدة توجهها المصالح الاستعمارية إلى أن تمت الموافقة على مشروع القرار الأمريكى الخاص بإنشاء «اتحاد فيدرالى اثيوبى وإريترى» فى ٢ ديسمبر عام ١٩٥٠ . فقد استطاعت الولايات المتحدة بما لها من نفوذ هائل فى الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تحصل على موافقة ٤٦ دولة واعترضت ١٠ دول وامتنعت ٤ دول عن التصويت . وأرسلت الأمم المتحدة مندوبها لإريتريا لبحث إمكانية تنفيذ مشروع القرار ، فأعلن المندوب أنه مشروع وسط يرضى هؤلاء الذين يرغبون فى الاستقلال ، وهؤلاء الذين يرغبون فى الوحدة مع أثيوبيا ، وكذلك يرضى أثيوبيا بتحقيق حاجتها لمنفذ على البحر الأحمر .

ومما يبعث على الدهشة أن امبراطور اثيوبيا الذى أعرب عن إصراره على ضم إريتريا إلى بلاده وجعلها جزءا من امبراطوريته يتم اختياره على أنه أفضل شخص أو سلطة مناسبة لتنفيذ مشروع الأمم المتحدة بطريقة محايدة !! وقد كان مشروع القرار يهدف إلى تحقيق هدفين رئيسيين :

الأول : إنشاء حكومة ديمقراطية فى إريتريا .

والثانى : إنشاء كيان (فيدرالى) تكون فيه إريتريا عضوا متمتعا بحكم ذاتى .

وكاد يتم تحقيق الهدف الأول بإصدار دستور إريترى ديمقراطى ، أما الهدف الثانى فكان سيتم تحقيقه بتنفيذ قانون فيدرالى وارد فى مشروع قرار الأمم المتحدة .

ونتيجة لرضا مندوب الأمم المتحدة لإرادة الامبراطور فقد صدر الدستور الإريترى غير متضمن نصوصا محددة لمشاركة الإريتريين فى الفروع الفيدرالية وكذلك لم يتم وضع دستور فيدرالى . كما أصر الامبراطور أثناء صياغة الدستور الإريترى على تعيين ممثل له فى إريتريا برغم أن هذه الوظيفة لم ينص عليها فى مشروع القرار أو فى القانون الفيدرالى . وطلب له سلطات وأسعة فى حكومة إريتريا مثل تعيين رئيس الحكومة الإريترية أو الموافقة على تعيينه ، وأيضاً وقف سن القوانين أو الاعتراض على القوانين التى تقرها الجمعية الإريترية أو تأييد تعيين القضاة . وقد احتج ممثلو الجبهة الديمقراطية الإريترية بشدة وأعربوا عن قلقهم الشديد إزاء احتمال مؤكد لاستغلال المندوب الامبراطورى مركزه للتدخل فى اختصاص حكومة إريتريا ذات الحكم الذاتى وإزاء هذه المخاوف وعد الامبراطور مندوب الأمم المتحدة بتقديم الضمانات الكافية ، ولكنه لم يف بوعده بعد أن غادر هذا المندوب البلاد .

لقد أصيب عمل الحكومة الإريترية ونشاطها بالشلل وكذلك شلت جميع الضمانات الديمقراطية للقانون الفيدرالى ذلك لأن ممثل الامبراطور (وهو صهره) قد جاء إلى إريتريا لا كممثل ولكن كحاكم على ولاية بلد أصبح فعلا محتلا بأكثر من عشرين ألفا من أحسن الجنود الأثيوبيين المسلحين بأجود الأسلحة ، فضلا عن أنه قد جمع بيده فى السنوات التالية جميع مقاليد الحكم التى هى من اختصاص حكومة إريتريا . وقد أعلن دستور إريترى ولكن ما لبث أن أصبح أداة عاجزة نتيجة لوجود دستور أثيوبى . وبذلك اغتصب الامبراطور سلطات حكومة إريتريا عن

←

قضيـة إريتريـا

طريق ممثله فى إريتريا الذى يمارس أعماله استنادا على جيش الاحتلال . وبدأ ينفذ سياسة ضم إريتريا إلى أثيوبيا فاستولى على جميع المرافق كالسكك الحديدية والبريد والبرق والجمارك والمطارات والموانى . وقام بحل جميع الأحزاب المعارضة لأثيوبيا وأبقى على الحزب الاتحادى الموالى لها . وحرمت أثيوبيا تدريس اللغة العربية ومنعت دخول الكتب العربية والمدرسين الذين كانت ترسلهم الدول العربية لتعليم الشعب الإريترى . وفى عام ١٩٥٩ انزل العلم الإريترى وبقى العلم الأثيوبى وحده بعد ان كانا يرفعان معا .

وبدأت أثيوبيا فى توطين المسيحيين فى المناطق الإسلامية والأراضى الزراعية الخصبة وفى ميناءى (عصب) و(مصوع) بسرعة كبيرة . كما قامت بتوثيق علاقاتها بإسرائيل ومنحت اليهود امتيازات كبيرة فى الأراضى الزراعية الخصبة ، وسمحت للسفن الإسرائيلية بالصيد على طول السواحل الإريترية البالغ طولها ألف كيلومتر ، ومنحت إسرائيل تسهيلات كثيرة فى موانيها .

وليس من السهل على شعب أعزل تماما يعيش تحت الاحتلال العسكرى وفى ظل إرهاب واضطهاد مستمرين أن يرد بالعنف اللازم ومن ثم كان الشعب الإريترى مضطرا إلى قصر نشاطه على الشكاوى للمنظمة الدولية والقيام بالمظاهرات ضد الأعمال الوحشية الاستبدادية التى تمارسها حكومة أثيوبيا ضده ، ولذلك بعثت الأحزاب السياسية الإريترية - التى كانت تمارس نشاطها سرا - وفدا إلى هيئة الأمم المتحدة لتقديم شكوى ضد خرق أثيوبيا قرار الأمم المتحدة وطالبها بالتدخل . كذلك أرسلت برقية إلى سكرتير عام الأمم المتحدة (داج همرشولد) تحتج فيها على الوضع فى إريتريا وتطلب إليه اتخاذ تدابير عاجلة لوقف الانتهاكات الأثيوبية المستمرة لقرار الأمم المتحدة والدستور الإريترى غير أن سكرتير عام الأمم المتحدة تجاهل هذه الشكاوى .

وفى ١٤ نوفمبر عام ١٩٦٢ تلا رئيس الحكومة[٣] بيانا مكتوبا على أعضاء الجمعية الإريترية هذا نصه : «إن البيان الذى سأتلوه عليكم هو آخر مسألة فى القضية الإريترية . وليس ثمة ما تستطيعون عمله سوى قبوله على علاته ، لقد اعتبرنا الاتحاد باطلا والغيناه وأصبحنا منذ الآن متحدين تماما مع وطننا الأم» . وقد استخدم نائب ممثل الامبراطور اللغة الأمهرية مع أن غالبية الأعضاء لم تكن تفهمها . ولقد أصيب أعضاء الجمعية بالذهول وانصرفوا بين صفين من الجنود المسلحين دون أن يتفوهوا بكلمة واحدة .

وفى الخامس عشر من نوفمبر ١٩٦٢ أذاع راديو أديس أبابا أن إريتريا أصبحت الولاية الرابعة عشرة فى الامبراطورية الأثيوبية .

الكفاح المسلح :

وكان من الطبيعى بعد أن فشلت جهود الشعب الإريترى المتواصلة لحماية حقه المشروع فى الحرية وتقرير المصير أن يلجأ إلى القوة فقامت الثورة بقيادة جبهة التحرير الإريترية تعبيرا عن استياء الشعب الذى قمعت حقوقه بوحشية . ثم تطور الكفاح المسلح طوال العشرة أعوام التالية لقيام الثورة إلى ثورة شعبية واسعة النطاق

(٣) وهو فى الوقت نفسه نائب ممثل امبراطور أثيوبيا .

شملت جميع السكان . واستمرت أثيوبيا فى سياسة القتل والتخريب بدون تمييز فكانت طائرات السلاح الجوى الأثيوبى ترسل إلى القرى الإريترية لتشن عليها حرب إبادة فتدكها وتسويها بالأرض أو تحرقها بما فيها من سكان وحيوانات ومزروعات . كما كانت تعتقل الآلاف وتملأ بهم السجون ويظلون بها بلا محاكمة لعدة سنوات متعرضين لجميع وسائل التعذيب مستعينين بخبراء إسرائيليين فى هذا المجال . وقد أكد الامبراطور الأثيوبى فى خطاب ألقاه فى أسمرا فى ١٩٦٢/٦/٢٨ : «إن أثيوبيا لن تتخلى عن إريتريا التى جاءنا الغزاة دوما عبرها» .

ولقد تطور الكفاح المسلح للشعب الإريترى وحاز انتصارات عدة حتى أصبحت قوات التحرير الشعبية تسيطر على معظم الريف الإريترى وتشتبك فى معارك ضارية ضد القوات الأثيوبية مستهدفة تحقيق الاستقلال الوطنى الكامل . حتى أن أثيوبيا أعلنت أن الحرب الإريترية تكلف خزينتها أكثر من ثلث إيراداتها . وقد كانت هذه الحرب أحد الأسباب القوية التى قضت على حكم هيلاسلاسى حيث قام (منجستو هيلامريام) عام ١٩٧٤ بالانقلاب ضده ، وأقصى الامبراطور عن العرش وأعلن الجمهورية بعد حكم ملكى دام حوالى ثلاثة آلاف عام . وقام بقمع الثورة فى إريتريا التى شهدت مذابح عديدة مما جعل الكفاح المسلح للشعب الإريترى يدخل مرحلة جديدة أكثر عنفا ، ولذا لجأت الحكومة العسكرية فى أثيوبيا إلى الولايات المتحدة التى أقامت جسرا جويا لنقل العتاد الحربى إلى أثيوبيا لإخماد الثورة فى إريتريا ذلك أن السياسة الأمريكية - التى ترمى إلى السيطرة على المواقع الاستراتيجية فى العالم - كانت ترغب فى دعم أثيوبيا الصديقة وتساعدها على ضم إريتريا إليها منفذها الوحيد على مياه البحر الأحمر ومضيق باب المندب لتضمن بذلك سلامة واستمرار مرور البترول الخارج إلى الغرب ، ولتقضى على دولة إسلامية قد تنشأ .

ورغم الكوارث التى حلت بسكان إريتريا بسبب حرب الإبادة هذه فإن الثورة الإريترية قد قضت على الفرقة بين المواطن المسلم والمواطن المسيحى وأصبح الشعور بالمواطنة الإريترية هو الغالب . وإذا كانت تجربة الاتحاد الفيدرالى المريرة قد علمت الشعب الإريترى درسا فهو أنه لا خلاص له إلا بوحدته الوطنية وبتجاوز تناقضاته الثانوية .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن مشكلة إريتريا قد دخلت فى الصراع العربى الإسرائيلى ، فقد أعلن الأدميرال (ابراهام بوتزر) القائد السابق للبحرية الإسرائيلية : «إنه إذا نالت إريتريا استقلالها فإن كل البحر الأحمر سيصبح بحيرة عربية ولن تستطيع السفن الإسرائيلية أن ترسو فى أى ميناء على طول هذا الممر البحرى الهام» . وبذلك تكون قضية إريتريا قد دخلت فى حزام الأمن العربى وارتبطت بضرورة وقف التسلل الإسرائيلى إلى أفريقيا وآسيا عبر باب المندب ، ذلك التسلل الذى استفحل بفضل التسهيلات التى منحتها أثيوبيا لإسرائيل فى جزر وسواحل وموانى إريتريا . ولاشك أن هذا الارتباط يضع أمام الدول العربية مسئولية تأييد حق الشعب الإريترى فى الاستقلال . كما انه من ناحية اخرى يضع أمام جميع الدول العربية المطلة على البحر الأحمر وعلى مدخله الجنوبى مسئولية وضع استراتيجية أمن موحدة فى هذه البحيرة العربية على حد الوصف الإسرائيلى .

ومازال شعب إريتريا يتطلع إلى الدول الإسلامية ويهيب بالمنظمة العالمية للأمم المتحدة أن تتبنى قضيته وترسل لجنة تحقيق إلى إريتريا .

قضيـة إريتـريـا

آخر التطورات :

ومما يذكر أن نائب وزير خارجية الاتحاد السوفيتى صرح[٤] فى ١٩٨٩/٧/١٣ بأن مسئولين سوفييت أجروا اتصالات مؤخرا ولأول مرة مع ممثلى جبهة تحرير إريتريا بهدف إنهاء الحرب الأهلية الأثيوبية ، وقال : إن هذه الاتصالات تمت فى لندن وأنها جرت بموافقة الحكومة الأثيوبية .

ونشر[٥] أن مصر قامت مؤخرا باتصالات مكثفة مع قادة الثورة الإريترية لمعرفة مطالبهم وذلك لوضع الخطوط العريضة للمفاوضات التى ستتم مع الحكومة الأثيوبية لوضع حد لمأساة الحرب التى دامت أكثر من عشرين عاما تكبدت خلالها أثيوبيا خسائر مادية وبشرية جسيمة . وكانت أثيوبيا قد طلبت من مصر والسعودية والعراق إقناع الثوار الإريتريين بوقف القتال مع القوات الأثيوبية وبدء حوار غير مشروط لإنهاء حالة الحرب بين الطرفين ، وقد نجحت جهود الدول الثلاث فى الوصول إلى اتفاق بوقف القتال وبدء المفاوضات قريباً .

وكذلك أعلن (هيرمان كوهين)[٦] وكيل الخارجية الأمريكية المساعد للشئون الأفريقية : «إن الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر سيتوجه إلى أديس أبابا (يوم الأربعاء القادم) للتوسط فى النزاع بين الحكومة الأثيوبية وثوار إريتريا». وذكر المسئول الأمريكى«أن أثيوبيا قد وافقت على بدء مفاوضات مع الثوار دون شروط ، وأن واشنطن ترحب بمثل هذه المفاوضات» .

وقد صرح الرئيس الأثيوبى منجستو هيلامريام[٧] لرؤساء تحرير الصحف المصرية المرافقين للرئيس حسنى مبارك فى مؤتمر القمة الأفريقية بأديس أبابا (٢٤ يولية ١٩٨٩)[٨] بالآتى : «تعرفون أن الحكومة الأثيوبية بذلت جهودا مكثفة لحل المشكلة الإريترية ، ولكن لسوء الحظ لم تجد هذه الجهود قبولا من جانب الانفصاليين ، ولكننا الآن كثفنا جهودنا ووضعنا خططا لإزالة كل الأشواك التى كانت تعوق طريقنا وقدمنا نقاط السلام التى وجدت قبولا لدى العالم ولدى الإريتريين ، وعلينا أن نتجه إلى العمل ونحن مستعدون» .

وقد وصل إلى القاهرة «أمس»[٩] (اسياس افوركى) أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا . وأشاد بالدور الفعال الذى تؤديه مصر فى علاج مختلف القضايا والصراعات الأفريقية وبخاصة بعد تولى الرئيس محمد حسنى مبارك رئاسة منظمة الوحدة الأفريقية .

وأعلن افوركى «إن المباحثات بين الحكومة الأثيوبية وجبهة تحرير إريتريا سوف تبدأ يوم ٧ سبتمبر القادم بهدف بحث إمكان التوصل إلى تسوية سلمية وإنهاء النزاع المسلح بين الجانبين» .

---

(٤) الأهرام العدد (٣٧٤٧٣) الصادر فى ١٤ يوليو ١٩٨٩ ص ٤ عمود ٤ .

(٥) جريدة «الحقيقة» العدد ٥٩ السبت ١٩٨٩/٧/٢٢ ص ١ عمود ٤ ، ٥ .

(٦) جريدة «الأهرام» العدد ٣٧٤٨٢ الأحد ١٩٨٩/٧/٢٣ ص ٦ عمود ٤ .

(٧) جريدة «الأهرام» العدد ٣٧٤٨٥ الأربعاء ١٩٨٩/٧/٢٦ ص ٣ عمود ٥ .

(٨) الدورة الخامسة والعشرون لمؤتمر منظمة الدول الأفريقية المنعقد فى أديس أبابا فى الفترة من ٢٤ ـ ٢٦ يوليو ١٩٨٩ برئاسة الرئيس محمد حسنى مبارك .

(٩) جريدة الأهرام العدد ٣٧٥١٣ بتاريخ ٨٩/٨/٢٣ عمود ٤ ، ٥ ص ١

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

يارب

الثقافة الأشبال

العلوية

يارب

شعر: أحمد المنشاوى الوردانى

هذى عطاياك لا مَنٌّ ولا كدرُ ... لو جئت احصرها ينتابنى الحصر

كم قد مددت يدا للعبد حانية ... وقد غفرت له ماليس يُغتفر

وحين اكرمته استغنى وحرّضه ... على معاصيك شيطان له خطر

مشى به فى فجاج ليس يسلكها ... إلا غوىّ دنىء ليس يزدجر

اعمته وسوسة منه وورطه ... فى مهلك ليس منجىً منه او وزر

وحين بان عن المسكين صاحبه ... وضاقت الارض واستشرى به الخطر

لم يلق غيرك ياربـاه فابتدرت ... دموعه ترتجى والقلب منفطر

ومن سواك له يامن له خضعت ... تلك الطبيعة والأملاك والبشر

فى هداة الليل كم عانٍ إليك رنا ... والقلب والدمع اوّاب ومنهمر

مستمطراً فضل من فاضت خزائنه ... للبائسين ومن اضنتهم الغير

قاموا ببابك فى ذل ومسكنة ... وفى الصدور لهيب الذنب يستعر

هيهات يرجع محزونا من ارتفعت ... يداه .. نحوك او يحلل به الكدر

رباه يامالك الأكوان اجمعها ... نحن الضعاف فلا حول ولا قَدَرُ

وقد وسعت البرايا رحمة وقِرًى ... من آمنوا بك ياربى ومن كفروا

انت الغنى فما الابرار إن صلحوا ... هم نافعوك ولا الفجار إن فجروا

مننت بالخير فاشفع ما مننت به ... بالعفو ، واعطف علينا إننا بشر

ووفق الناس للحسنى فكلهم ... إلى جزيل العطايا منك مفتقر

انتفاضة الأشبال

في فلسطين

شعر: عمر موسى البرعي

ضرام ليس يخبو او يرق ... سلاح لغلاه احجار وحرق
تلاقى منه إسرائيل ويلا ... ويدهمها به سحق ومحق
فلسطين بها الأشبال ثاروا ... ولم يقعد بهم لين ورفق
إذا هموا بامر انفذوه ... وليس يخيفهم سجن وشنق
ابادوا بالحرائق كل زرع ... وكان لباسهم فى الحرق طرق
لقد شهروا الحجارة ثم راحوا ... وقد اغراهمو للثار ربق
واوفوا عهدهم لله صدقا ... وكم اخذوا بما لم يستحقوا
شباب فى البلاد لهم حقوق ... وهم بتراب ارضهمو احق
هم الاحرار ضاقوا باصطبار ... وقد اضناهمو قيد ورق
شبول غير انهمو اسود ... إذا زارت اصاب القوم صعق
وإسرائيل ضاقت بالضحايا ... وقد اودى بهم حرق ورشق
هم المستعمرون لها اغتصابا ... وقلب القدس انات وخفق
فهم من دنسوا وجه المغانى ... ومن عدوانهم يسودُّ افق
وبالإرهاب قد هاموا وامسى ... لهم بالفتك والإرهاب عشق
اضاعوا الحق واغتصبوا حماه ... وعز عليهمو فى الحق نطق
فلسطين بها شعب ابى ... له فى ان يعيد الأرض حق
وللثوار فيها كل عزم ... كعزم السيف قد جلّاه مشق
وكل ترابها در وتبر ... واهل القبلتين بها احق
سترجع بالكفاح الحر يوما ... فليس يضيع حق مستحق

العلوية

٣

د. حلمي محمد القاعود

يدفع الشاعر عن عليّ مظنة السوء أو الإساءة إلى عثمان ، فقد كان عليٌّ أول من وقاه ، وذاد عنه الردى ، ولكنها الفتنة التى اشتعلت فلم تُبق مكاناً إلا واضطرمت فيه ، واختلف المسلمون بعد عثمان .. طائفة قرت في بيتها واخلدت للسكينة ، وأخرى بايعت علياً .. وثالثة رفعت السيف في وجهه وعندما استبانت الحق بايعت علياً (اهل الجمل) اما (اهل صفين) فقد كان لهم موقف آخر ، ملىء بالصراع والاضطراب ..

وعند هذا الموقف يتروى « محمد عبد المطلب » ويتتبع تفاصيل الفتنة ، ويسهب فى الحديث عن أطماع ابن حرب (معاوية بن أبي سفيان) ، ويشير إلى زخارف الدنيا التى خدعت أتباعه ودفعتهم إلى الخلاف وإشعال الفتنة ، ثم يتوقف بصفة خاصة عند « التحكيم » بعد رفع المصاحف ، ونتيجة هذا التحكيم التى لم تكن على المستوى المطلوب ، أو المنهج المستقيم ، فجاءت على عكس المطلوب منها وهو إنصاف الخليفة الإمام ، لتشق صف المسلمين ، وتنتج فتنة وخوارج .. بالرغم من أن عليا كاد ينتصر على خصومه بحد السيف الذى رفعوه فى وجهه :

فلما كاد حكم السيف يمضي
ولّى الجمع واستبقوا الخياما

أثاب إلى الكتاب دهاءُ عمرو
دهاء يأكل السيف الحساما
وأقبلت المصاحف مُشْرَعاتٍ
يهلّل تحتها الجيش ارتساما
وما هم بالكتاب أبرّ منه
ولا أولى بحكمته ائتماما
عباب البحر تنقص منه قدراً
إذا شبّهته قلبا ذماما[1]
ولكن حيلة جرّت بلاءً
على الدنيا وأياما وخاما
إذا الحكمان بالأمر استقلا
فليتهما على النهج استقاما
لقد قرنوا أبا موسى بعمرو
وما أدراك ما عمرو إذا ما

---

(١) القلب الذمام : البئر الصغيرة .

أرى فحلاً يقاس به حلامٌ
وكيف تقيس بالفحل الحُلاَّما ؟(٢)

مضى الحكمان ماحسما خلافا
ولافضا لمشكلة ختاما

ولا يُخفى « محمد عبد المطلب » مشاعره وعواطفه تجاه أطراف الصراع ، فهو حانق على « عمرو بن العاص » بسبب خدعته الكبرى حين أمر جنود « معاوية » أن يرفعوا المصاحف عندما بدت هزيمتهم واضحة ، لأنه يعلم أن عليا لن يستمر فى القتال إذا رأى المصاحف ، ويرى « عبد المطلب » أن هذه الخدعة قد جرت بلاءً عظيماً . فقد تبعتها عملية التحكيم التى أُسْنِدت إلى « أبى موسى الأشعرى » و « عمرو بن العاص » ، وهو تحكيم لم يكن موفقاً . ويفسر ذلك بأن عمرو بن العاص لم يكن كفؤاً لأبى موسى ، ولذا جاء التحكيم مائعاً ، مكّن لأعداء علىّ من التقاط الأنفاس وتحقيق كسب معنوى ومادى ، مع إنزال هزيمة معنوية بعلى وأنصاره حيث تمزقوا ونشأت طائفة الخوارج التى اقترفت الكثير من المآثم والمجازر ، مما تفيض به كتب السيرة والتاريخ ..

ويلاحظ أن الشاعر يعتمد هنا إلى حدّ ما على « المثل » كعنصر من عناصر تأييد آرائه وتصوراته ، كما نرى فى مقارنته بين البحر الكبير والبئر الصغيرة للتدليل على الفارق بين « علي بن أبى طالب » فى علمه بالقرآن ومنزلته وحفاظه على مكانته ، وبين أتباع « معاوية » حين زعموا حرصهم على القرآن برفع المصاحف :

عبابُ البحر تُنْقِصُ منه قدراً
إذا شبّهته قلبا ذماما

كذلك يقارن بين أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص من خلال « مثل » أو مايشبه « المثل » ، فيصور الأول بالفحل فى ضخامته وفتوته ، ويصور الثانى بالجدى الصغير فى ضآلته وضعفه ..

أرى فحلاً يقاس به حُلامٌ
وكيف تقيسُ بالفحل الحُلاَّما ؟

ويبدو هذا التصوير فجا ، بل فظا ، حين ندرك مكانة كل من الصحابيين الجليلين وسموهما عن أن يشبها بالفحل والجدى (الحلام) .. ولكنها طبيعة الشاعر الذى يوغل فى عمق التاريخ ليصل إلى اللغة فى صورتها البدوية تشكيلا وتصويرا ، باعتبار هذه اللغة ، هى الفصاحة فى أوضح صورها ، ولكن الذوق اللغوى ، فى أيامنا على الأقل يرفض تصوير الصحابيين الجليلين بالفحل والجدى ..

كذلك يلاحظ أن الشاعر فى الأبيات يلجأ إلى الحذف معتمداً على فطنة القارىء وذكائه ، وإن كنت أرى ذلك نوعاً من القصور التعبيرى الذى فرضته القافية ..

لقد قرنوا أبا موسى بعمرو
وما أدراك ما عمرو إذا ما

يريد أن يقول : وما أدراك ما عمرو إذا ما قرن بأبى موسى ؟ إنه سيكون بجانبه ضئيلا ، ويبدو لى أن حضور العقل القوى والذهن الحاد ، فى أثناء النظم ، قد أفقد الشاعر كثيراً من « الطبيعية » فى الأداء ، وألجأته إلى مثل هذه المآزق التعبيرية ..

ومع إحساسه بالإخفاق والإحباط إزاء ما جرى فى عملية التحكيم باعتبارها « حيلة جرت بلاء » ، فإنه يلتفت إلى أمير المؤمنين « علىّ » ، ويخاطبه فيما يشبه التحسر والتوجع والأسى ، حيث انقلب الزمان وأقبل بالوفاء على « معاوية » الذى لا يستحق الخلافة من وجهة نظره ، حتى لو كان ينتمى إلى أصول عظيمة :

أمير المؤمنين أرى زماناً
لحزبك هزّ مِخْذَمه وَشَاما(٣)
وأقبل بالوفاء على « ابن حرب »
يصافيه المودة والوئاما

←

(٢) الحلام : الجدى الصغير .

(٣) المخذم : السيف ، وشامة =سله .

ولـم يـك بـالإمـامـة منـك أولى

وإن هـو فى أرومتـه تسـامـى(٤)

ويستطرد فى الإلحاح عـلى الجانب « العـائلى » أو جانب الحسب فى ترجيح من هو أحق بالخلافة ، ويقارن بين أصول كل من على ومعاوية ليرى أن علياً أطول باعاً فى هذا المجال ، وأظن أن المسألة أيامئذ لم تكن مطروحة بهذا التصور ، بل كانت قائمة أساساً حـول « ثـارات عثمـان » وضرورة أن يقتص أمـير المؤمنين من قاتليه . وكان لها جوانب أخرى عقدية وفكرية ومكانية ، فضـلا عن التطلعات السيـاسية لمعاوية ، وأهل الشام .. ولكن إلحاح الشاعـر على جانب « الأرومة قد قلل ـ فيما يبدو لى ـ من جـلال الموقف الذى وقفه علىّ ـ وهو يواجه باطلاً ـ يتوهم أنه حق ..

ولم يمنعه الإلحاح على هذا الجانب من الإشارة إلى الناحية العقدية عندما أشار إلى ضلال القوم ، وسوء الخلف ، وسيادة البـاطل ، وزهـو الدنيـا ، وانتصار الشيطان :

بـلى إن الـزمـان لفـى ضـلال

لـوى فى الحق وانتهك الـزمـامـا

طـوى السلف الكـرام وجـاء قـوم

فكـانوا بعـد من سلفوا قمـامـا(٥)

إذا أخـذ الإمـام بـأمـر حـرام

رأيت الخلف والـرأى الكـهـامـا

زهـاهم زخـرف الـدنيـا فهـامـوا

مـع الشيطـان بـالـدنيـا غـرامـا

وليس لطـالـب الـدنيـا دواء

إذا كـانت له الـدنيـا سقـامـا ...

ولكنه ـ نفس الشاعر ـ يواصل فيما يشبه الأنين والنواح سرد النهاية المأساوية لمصرع الإمـام على رضى الله عنه ، منذ ترسخت جـذور الانقسام بـين المسلمين ، والاحتكام إلى الهوى ، وعدم الانصياع إلى الحق ، بالرغم من سطوعه على لسان الإمام .. ويشـير إلى تخاذل أهـل الشـام عن نصرة الحق ، ومـوالاتهم للباطـل ، ثم يعرض لظهـور الخـوارج وقيامهم بالدور المشين فى التآمر على أمير المؤمنين ، وقتله بيد عبد الله بن ملجم ، وهنـا يرتفـع صوت الشاعر بالسخط والحنق على هذه الفعلة الشنعـاء ويراها شؤما على الإسلام فقد كانت « غراب بين » أو نحساً يتطير منـه النـاس (فـألاً لجامـا = سمك تتشاءم منه العـرب) ، ويشبه الشـاعر ابن ملجم تشبيها طريفاً وساخراً حين يصوره بالحمار المصاب بالحمى فى رأسه :

جـرى طـير ابن ملجمهـا علينـا

غـراب البـين والفـأل اللجـامـا

كـأنـى بـالخبيـث حمـار سـوء

يعـانى من وسـاوسـه حمـامـا

ويستغرق المشهد الأخـير لمصرع الإمام أبيـاتاً كثيرة ، تئن وتنوح ، حزناً وأسفاً ، ويبرز من خلالها مدى هيبة علىّ وشموخه ، وأن السيف لو كان يعلم أن « القتيل » هو « علىّ » لمات فى غمده خجلا ، ولو كان له خيار لانثلم عن جرح الإمام أو إصابته بأذى .. بل كان قد مضى فى قلب قاتله .. ويستمر فى هذا المنوال يرثى عليا وينوح عليه حتى يصور اللحظات التى نعى فيها الناعى أمير المؤمنين بعد الجريمة الغادرة :

نعى النـاعى أبـا حسن فمـالـتْ

رواسى الأرض تنـدك انـهـجـامـا

نعى النـاعى أبـا حسن فـراحتْ

بـواكى الـدين تلتـدم التـدامـا

لقـد سلـب الحمـام بنـى لـؤى

أبـا سـلام والشيـخ الحمـامـا

بـروحـى غـرة يجـرى عليـهـا

دم أزكـى من المسـك اشتمـامـا

(٤) الأرومة : الأصل .

(٥) قمام : جمع قمامة وهى الكناسة .

جبـين زاده بـالمـوت نـورا
لقـاء اللـه فـائتلـق ابتسـامـا
بـروحـى إذ يجـود بخـير نفس
تخـاف على الحنيفـة أن تضـامـا
بنى العـدل إن شئتم قصـاصـا
كفـى بكتـاب ربكـم إمـامـا
كتـاب اللـه لا تـغلـوا فـإنـى
أخـاف عليكـم الا يقـامـا
مضى زيـن الصحـابـة فى سبيـل
إلى مـلأ بجـيرتـه استـهـامـا
إلى دار السـلام مضى عـلى
وجـاور فى منـازلـهـا السـلامـا

ويبدو الشاعر من خلال نواحه على الإمام، يريد أن يكيد لأعدائـه، حين يضفى عليـه من الصفات ما يحول شهادته إلى خير عميم بالنسبة له، وإن كان الحدث كما صوره من قبل يمثل كارثة، أو قاصمة من القـواصم التى عى ظهر الـدين بحملها.. بيـد أن الصور التى صور بها الإمام الشهيد، تبدو أيضا نوعا من التعزية، تصعـه فى هالـة من النور والألق والأنس يفتقدها الذين قتلوه وغدروا به أو حرضوا عليه أو أثاروا الفتنة من حوله:

جبـين زاده بـالمـوت نـورا
لقـاء اللـه فـائتلـق ابتسـامـا

وكأنه يقول لهم: ها هو الشهيد يبتسم سعيداً، لأنه سيلقى ربه، فقد حققتم له أمنية غالية، ويؤكد ذلك حين يعود فى بيت آخر ليتحدث عن الجيرة المحبة والمحبوبة.

مضى زيـن الصحـابـة فى سبيـل
إلى مـلأ بجـيرتـه استـهـامـا

ثم يكرر المعنى بطريقة ما فى آخر أبيات المطولة حين يراه قـد ذهب بشهادتـه إلى دار السلام حيث السلام الأبدى بعيداً عن الصراع والفتن والأحقاد:

إلى دار السـلام مضى عـلىّ
وجـاور فى منـازلـهـا السـلامـا

وهكذا تنتهى «العلوية» نهايـة تحمل الحـزن والعزاء معا:

لقد أثارت هذه المطولة العواطف والمشاعر، كما أثـارت عند إنشـادها مفهـوم قضية التجـديـد فى الشعر، لدى فريقين، أحـدهما محـافظ، يرى فى النموذج القديم الموغل فى القدم منذ الجاهلية الصورة المثلى للتجديد لفظا وصـورة وموسيقى وبنـاء وهو مايؤمن به صاحب العلوية، وثانيهما: يرى المسألة عـلى العكس من ذلك، مـرتبطة بـالشعور والحس والتجربة والوحدة العضوية والمـوضوعيـة، وهو ماتؤمن به مدرسة الديوان وعلى رأسها العقاد.

وقد كانت القصيدة مناسبة لأن يعبر العقاد عن رأيه فى مفهوم التجديد الشعـرى على النحـو الذى سبقت الإشارة إليه.. وإن كنا نودّ التأكيد على رأى العقاد فيما نسبه إلى عبد المطلب من فضل الابتعاد بلغته عن مزالق البديعيات المتكلفة إلى حضن اللغة الصافية والصياغة المستقيمـة من منطلق دينى، يقـول العقاد «ولكن عبـد المطلب كـان وحيـداً فى مدرسته الأدبية التى استقامت لها صحة الأسلوب من طريق الدعوة الدينية، وكان أوضح دليل عـلى فائدة الدعوة الإسلامية قبـل نيف وستين سنـة فى إراحة العربية من أفات البهارج والطلاوات»(٦).

وإذا كان عبد المطلب قد أراح العربية من آفات البهـارج والطلاوات، فـإنـه بعث كمـا كبـيراً من المفردات المهجورة، والتى لايكاد يخلو منها بيت، وإذا كانت هذه المفردات تدل على قدرته وتمكنه من السيطرة على المعجم العربى، فإنهـا تثير صعـوبة واضحة لدى المتلقى، وبخاصة إذا كان مستمعا،

البقية ص ٥١٥

(٦) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى، ص ٤٢..

طرائف ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

مــوطنان

● موطنان ابك فيهما ولا حرج :
طاعة فاتتك بعد أن واتتك .
ومعصية ركبتك بعد أن تركتك .

● وموطنان افرح فيهما ولا حرج :
معروف هديت إليه ، وخير دللت عليه .

● وموطنان أكثر فيهما من الاعتبار :
قوى ظالم قصمه الله .
وعالم فاجر فضحه الله .

● وموطنان لا تطل الوقوف عندهما :
ذنب مع الله مضى ، وإحسان إلى الناس سلف .

● وموطنان لا تندم فيهما : فضل لك جحده قرباؤك ، وعفو منك أنكره عتقاؤك .

● وموطنان لا تشمت فيهما :
موت الأعداء وضلال المهتدين .

● وموطنان أكثر منهما ما استطعت :
طلب العلم ، وفعل المكرمات .

● وموطنان لا تجزع من مشهد البكاء فيهما :
بكاء المرأة حين تتظلم ، وبكاء المتهم حين يقبض عليه .

● وموطنان لا يغرنك الضحك فيهما :
ضحك الطاغية لك ، وضحك المحزون عندك .

لهم لا لك

افتخر بعض الأغنياء عند بعض الحكماء بالآباء والأجداد وزخارف المال المستفاد .
فقال له ذلك الحكيم :

إن كان فى هذه فخر فينبغى أن يكون الفخر لها لا لك . وإن كان آباؤك كما ذكرت أشرافا فالفخر لهم لا لك .

مأثورات عن بعض ملوك الفرس

قال : سرت فى نور الشمس والقمر والمصباح فلم أستضىء بشىء أذكى من قلبى .

وقد وقعت من أبعاد مختلفة فلم يرهقنى مثل سقطات لسانى .

ومشيت على الجمر ووطئت الرمضاء فلم أر نارا أحر على من غضبى .

وشربت المر ولعقت الصبر فلم أر أمر من الفقر .

ونقلت الصخور وحملت الأثقال فلم أحمل أثقل من الدين .

وتحملت ذل السجن ، فلم أر أشد إيلاما للنفس من ذل السؤال .

وشُدِدْتُ فى القيود وجلدت بالسياط فلم يهدنى سوى الحزن ، ولم يقهرنى سوى الغم .

وتصدقت بالذخائر وبذلت فى العطايا فلم أر صدقة أنفع من رد ذى ضلالة إلى هدى .

الطرب

الطرب : يذهب الناس إلى أنه فى الفرح دون الجزع ، وليس كذلك ، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع ، قال النابغة الجعدى :

وأرانى طربا فى إثرهم
طرب الواله أو كالمختبل

وقال آخر :

يقلن لقد بكيت فقلت كلا
وهل يبكى من الطرب الجليد

صحيح البخارى

صحيح البخارى لو أنصفوه
لما خط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين الهدى والعمى
هو السد دون العنا والعطب
أسانيد مثل نجوم السماء
أمام متون كمثل الشهب
به قام ميزان دين النبى
ودان له العجم بعد العرب
حجاب من النار لاشك فيه
يميز بين الرضا والغضب
وخير رفيق إلى المصطفى
ونور مبين لكشف الريب

الحسد

أول الحساد إبليس ، حسد سيدنا آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الجنة .

قال بعض العلماء : أول ذنب عصى الله به فى الأرض وفى السماء : الحسد .

دعاء

بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت ، الله ربى لا أشرك به أحدا ، اللهم أسألك خيرا من خيرك الذى لا يعطيه غيرك ، عز جارك وجل ثناؤك ، ولا إله إلا أنت ، اجعلنى فى عياذك وجوارك من كل سوء ، ومن الشيطان الرجيم .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

نظر الإسلام

إلى النفاق والمنافقين

لفضيلة الأستاذ الجليل
الشيخ أبو الوفا المراغى
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

النفاق خلق ذميم . يفتح الباب لخصال اشد ذمامة ياباها الدين والذوق السليم . من اجل ذلك أنكر الإسلام النفاق وكره المنافقين . بل وسلكهم فى سمت الكافرين وتوعدهم بشديد العذاب وسوء المآب .

قال الأستاذ رحمه الله :

النفاق داء قديم ابتلى به الناس ، وأغلب الظن أنه نشأ مع الإنسان ؛ فقد فطر الله الناس مختلفى الطبائع قوة وضعفا ، وشجاعة وجبنا ؛ والنفاق فى أكثر الأحيان يلازم ذوى النفوس الضعيفة التى يسهل تلوينها بوسائل الإغراء . وقد عرف العلماء النفاق بعبارات كثيرة .

فعن الحسن :

النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج .

وعن عبدالله بن جراد : المنافق يملك عينه يبكى كما يشاء . قال المناوى لأنه ذو لونين باطن وظاهر ، ويقين وشك ، وإخلاص ورياء ، وصدق وكذب ، وصبر وجذع . وإن أشهر هذه العبارات وأجمعها ما عرفه به بعضهم ، وهو : أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن . فإذا أظهر الإنسان خلاف ما أبطن من عقيدة التوحيد بالله وبأنبيائه وباليوم الآخر ، فهو منافق كافر ؛ وإذا أظهر خلاف ما أبطن من غير ذلك ، فهو منافق مخادع .

وعلى هذا فالرياء ، والخداع ، والتدليس ، والمصانعة ، والمداهنة : كلها أفراد لهذا الجنس البغيض ؛ أعنى النفاق .

وقد تحدث الإسلام كثيرا عن نوع خاص من النفاق ، وهو النفاق فى العقائد ؛ وهو أن يظهر الإنسان الإسلام ويبطن الكفر ؛ لأنه أشد أنواعه خطرا على الأمة . والمنافقون على هذا الوجه من

شر ما تبتلى بهم الأمم والجماعات ؛ لأنهم يظاهرون أعداءها ، ويدلونهم على مواطن الضعف فيها ، وهم على بينة منها .

وقد قسا القرآن وقست السنة فى عقاب هؤلاء ، وسلكاهم فى نظام الكافرين ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ بل جعلهم القرآن شرا من الكافرين ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ .

وعن النبى ﷺ : «تجد من شرار الناس يوم القيامة ذا الوجهين : الذى يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » . وعن أبى فضالة قال : كان بعض المهاجرين يقول : والله ما أخاف المسلم ولا أخاف الكافر ؛ أما المسلم فيحجزه إسلامه ، وأما الكافر فقد أذله الله عز وجل ، ولكن كيف لى بالمنافق ؟

وقد يصح تسمية هؤلاء «الطابور الخامس» بلغة العصر الحديث . وقد أدركت الأمم شر هذا الطابور وفرضت عليه أقسى العقوبات .

وقد استنكر الإسلام النفاق فى الأقوال والأعمال فى أى صورة من صوره وعلى أى وجه من وجوهه ، لسوء أثره فى حياة الأمم والأفراد . فالنفاق رذيلة اجتماعية خطيرة ، ترفع الثقة بين الناس فى شئونهم ، وبالتالى تذهب بالتعاون بينهم ، وإذا انعدمت الثقة بين الناس وفقد بينهم التعاون ، وقفت عجلة الحياة فيهم ، وركدت ريحهم ، وحل بهم الجمود والبوار . فعلى هذين الركنين ، أعنى الثقة والتعاون ، تقوم صروح التجارة والصناعة والعلم ، ومظاهر الحضارة عامة .

وبهذين الجناحين طارت أمم فى سبيل المجد وعزت وسادت ، وبدونهما تخلف عن ركب الحضارة من الأمم من تخلف .

والنفاق فى ذاته خلق ذميم ، وهو مدعاة لطائفة أخرى من الأخلاق الذميمة ؛ كالغدر والكذب ، والخيانة ، والرشوة ، والتجسس ، والنميمة ، والفجور ، والجبن ؛ وهذه كلها أدواء تفتك بجسم الأمة فتحيلها هيكلا متخاذلا ، لا تنهض برسالتها ، ولا تصلح لمنافسة الأمم ومزاحمتها .

لهذا كله انكر الإسلام النفاق ، وكره المنافقين ، وصورهم فى أشنع الصور وأقبحها ، وأنذرهم شديد العذاب وسوء المآب ؛ ولم يعتد بأعمالهم لمجانبتها الاخلاص والقصد الحسن إلى ثواب الله وجزائه .

قال تعالى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

وعن النبى ﷺ : «إن المنافق ليصلى فيكذبه الله عز وجل ، ويصوم فيكذبه الله عز وجل ، ويتصدق فيكذبه الله ، ويقاتل فيقتل فيجعل فى النار» . وعنه عليه الصلاة والسلام : «المنافق يعبد هواه ، لا يهوى شيئا إلا ركبه» . وعن عمر رضى الله عنه : «ما أخاف عليكم أحد رجلين : رجل مؤمن قد تبين إيمانه ، ورجل كافر قد تبين كفره ، ولكن أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره» . وعن عبدالله بن عمر . أنه رأى الناس يدخلون المسجد فقال مستفهما : إن رأوا منكراً انكروه وإن رأوا معروفا أمروا به ؟ قالوا : لا ، قال : فما يصنعون ؟ قالوا : يمدحونه ثم يسبونه إذا خرجوا من عنده . فقال ابن عمر : إن كنا لنعد النفاق على عهد رسول الله فيما دون هذا . وعن بلال بن سعد : المنافق يقول بما يعرف ، ويعمل بما ينكر .

هذا نظر الإسلام إلى النفاق والمنافقين ، وهذا

من روائع الماضى

موقفه منهم ؛ وإنه لموقف حازم وصارم هم جديرون به ؛ لأنهم جراثيم فى أجسام الأمم يفتكون بها ويسلبونها أمنها واستقرارها .

وقد راجت سوق النفاق فى هذا العصر ، وساعد على رواجها روح التسلط فى الأمم ، وشهوة الأفراد القوية فى الربح المادى من أى وجه وبكل حيلة ، فأصبحت الأمم القوية تخادع الأمم الضعيفة عن حرياتها ، وتساومها فى مصائرها ، وأصبح الأفراد يخادع بعضهم بعضا ، وشاع النفاق فى كل شأن من شئون الناس ، وصار غير مستغرب ولا مستنكر أن يعد الرجل ولا يفى ، ويستقرض ولا يؤدى ، ويقول ولا يعمل ، ويهنىء وكان من أمانيه أن يعزى ، ويتظاهر بالصداقة وقلبه مملوء بالحقد والضغينة .

وقد ضاقت الأمم والأفراد ذرعا بهذه الحال ؛ إذ تجلت لهم أخطارها ، وتكشفت مآسيها ، فساءت علاقات الأمم وساورتها الشكوك والريب ، وقلت ثقتها بالعهود والمواثيق ، ونظر بعضها إلى بعض نظرة الحذر والوجل ، وكذلك نظر الأفراد بعضهم إلى بعض .

وحاولت المدنية الحديثة أن تبرر النفاق وتضفى عليه ألوانا براقة تُخفى شَينه وتغطى عيبه ، فسمّته مرة «دبلوماسية» ، ومرة «لباقة» ، وثالثة «مرونة» ، ورابعة «مجاملة» إلى غير ذلك من الأسماء ؛ ولكنها محاولة فاشلة ، هيهات أن تقلب حقيقته ، وتقى الناس شره وأخطاره ؛ وهيهات أن تغير من نظر الإسلام إليه نظرا يكافى هذه الشرور والأخطار !

المجلد التاسع عشر

أضواء على رحلات اليهود - بقية

الرطوبة التى تغلف حوائطه ، أو تنام فى سرير مع اثنين من إخوتك ولا تستحم لأوقات قريبة ، لأنه ليس بمقدور والدتك أن تسخن الماء على النار كى يستحم عدد كبير من الأطفال ، فعندما تكبر سوف تكون عصبيا وسريع الغضب نتيجة للظروف التى مررت بها»[٢٠] .

وإنسان كهذا غير مكيف كما يبدو كى يتصارع مع مشاكل الحياة ومن الصعب عليه البحث عن حياة كريمة وظروف معيشية أفضل ، وهكذا أصبحت هذه الطوائف تعيش فى فقر هى ومن جاء بعدها من أجيال .

ومن هنا كان يهود الشرق (السفارد) مادة خصبة تناولها الأدباء اليهود فى انتاجاتهم بالدراسة والتحليل ومن هؤلاء الأدباء يهودا بورلا الذى سنقوم بدراسة يهود الشرق من خلال إنتاجاته الأدبية فى الفصول القادمة .

وفى الجزء التالى من هذه الخلفية سأتعرض لتاريخ ثلاث من طوائف يهود الشرق وهم يهود اليمن ، يهود المغرب ، يهود سوريا حيث إن هذه الطوائف تظهر على نحو مكثف فى أدب بورلا ، فقد كتب رواية «نغمة» عن يهود اليمن ورواية «الزوجة المكروهة» عن يهود المغرب ، وقصتى «الملكة» ، «هبة» عن يهود سوريا حتى يتسنى لنا معرفة مدى صدق الأديب بين الصورة التى وصف فيها هذه الطوائف وما ذكرته المراجع عنهم .

(٢٠) مشاكل السفارديم فى إسرائيل (عبرى) ، مرجع سابق ،

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

الإمام علي

المخدرات من القلق إلى الاستعباد

كتاب الوحوش

عن الأصمعى - رحمه الله

تحقيق
أ. أيمن محمد ميدان

ومن أسماء أولادها

البرغز والجميع البراغز ، والجؤذر والجميع الجآذر . ويقال جؤذر .

(وجؤذر)(٦٦) ، وقال ذو الرمة :

- الطويل -

كأنا رمتنا بالعيون التى بدت جآذر حوضى من عيون البراقع(٦٧)

(قال أبو سعيد)(٦٨) : كان فى كتابى البرغز والبرغر جميعا ، فقال لى الرياشى :(٦٩) أيهما سمعت من الأصمعى ، الفتح أم الضم ؟ فقلت له : فأيهما تختار ؟ فقال : مثل البرغز الفرقد ، ومثل البرغز الجوذر . فقلت : فى كتابى جميعا . فقال : لا تغيره ، فإنى سمعت أبا حاتم(٧٠) يقول : البرغز بالفتح . قال أبو بكر بن دريد :(٧١) جميعا بَرْغَز وبَرْغُز)(٧٢) .

ويقال له الذَّرَعُ والجميع الذِّرْعَان ، قال الأعشى :

- البسيط -

---

(٦٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٦٧) ديوانه ٣٥٧ برواية :

كأنا رمتنا بالعيون التى بدت جآذر حوضى من جيوب البراقع

وفى ت ، ج برواية : « .... إذا بدت ... » . فى اللسان (حوض) ، برواية : « ... التى نرى ... »

الجآذر : أولاد البقر ، يقول : كأن عيونهن - أى النسوة - عيون الجآذر من جيوب البراقع . وحوضى : موضع .

(٦٨) يعنى أبا سعيد النفاط .

(٦٩) الرياشى (أبوالفضل العباس بن الفرج الرياشى) . توفى ٢٥٧ هـ . انظر ترجمته فى بغية الوعاة ٢/٢٧ ، وإنباه الرواة ٢/١٩٨ ، ونزهة الألباء ٧٧ ، ووفيات الأعيان ٢/٣٤٤ والأنساب للسمعانى ٢٤٢ أ ، وتاريخ بغداد ١٠/٤١٠ واشتقاق الأسماء ١٩ .

(٧٠) أبوحاتم السجستانى (سهل بن محمد بن محمد بن عثمان بن القاسم السجستانى توفى ٢٥٠ هـ . انظر ترجمته فى بغية الوعاة ١/٦٠٦ ، ومصادر ترجمة الرياشى السابق ذكرها .

(٧١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد . انظر ترجمته فى مقدمة كتاب الاشتقاق التى صنعها محقق الكتاب الشيخ العلامة : عبدالسلام محمد هارون .

(٧٢) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

كـأنـهـا بـعـدمـا أفضى النجـاد بـهـا   بـالشُّيُطـيْنِ مـهـاة تبتـغـى ذرعـا[٧٣]

وقال آخر[٧٤]   ـ البسيط ـ

إذا نصبنا لقوم لا نَدُبُّ لهم   كمـا يـدب إلى الـوحشيـة الـذرع[٧٥]

وقال الحطيئة :   ـ الطويل ـ

(عفـا مسحـلان من سليمى فحـامـره)   تمشى لـه ذرعـانـه ويـعـافـره[٧٦]

(قال أبو سعيد : أنشدنى الرياشى ذرعانه ، وكان فى كتابى ذرعانه على مثال حمل وحملان ، وبرق وبرقان . قال أبو بكر : جميعاً ذِرعانه وذُرعانه)[٧٧] . واليعافر : الظباء .

والبحزج والجمع[٧٨] البحازج ، قال العجاج :   ـ الرجز ـ

وكل عيناء تزجِّى بَحْزَجاً[٧٩]

ويقال له العجل والجميع العِجَلة ، ويقال عِجَّول والجميع العجاجيل[٨٠] ويقال له الحَسيل والجميع الحُسْل[٨١] (والواحدة حَسِيلة ، قال : وهو مثل حصير وحصر و)[٨٢]

قال الشاعر :

ـ الطويل :

تراها كأذناب الحسيل صوادرا   وقـد نـهـلت مـن الـدمـاء وعلـت[٨٣]

ولا يقال ذلك إلا للأهلىِّ .

ويقال له الفرقد (والخَزُومة)[٨٤] قال طرفة :   ـ الطويل ـ

←

---

(٧٣) ديوانه ١٠٥ ، والصبح المنير ٨٤ ، وديوان العجاج ، والمذكر والمؤنث ٩٤ . والنجاد : الارتفاع . والشُّيُطان : واديان معذبان . ومهاة : بقرة وحشية .

(٧٤) فى ت : (وقال الشاعر) ، وفى ج : (قال الشاعر) .

(٧٥) لم نعثر للبيت على قائل ، وورد برواية ثانية وبلا نسبة فى لسان العرب (ذرع)

« الذريعة .. جمل يختل به الصيد ، يمشى الصياد إلى جنبه فيستتر به ، ويرمى الصيد إذا أمكنه .. قال ابن الاعرابى .. والذريعة ، سمى بها البعير ، ثم جعلت الذريعة مثلاً لكل شىء أدنى من شىء وقرب منه ، وانشد :

للمنية أسباب تقربها   كما تقرب للوحشية الذراع .

(٧٦) ديوانه ١٨٠ ، وصدره ساقط من الأصل ، واضيف من ت ، ج ، وفى ج : « ذرعانه » بكسر الذال . وروى البيت فى الديوان :

عفا مسحلان من سليمى فحامره   تمشى به ظلمانه ويعافره

ومسحلان وحامره : واديان فى الشام . وتمشى : تكثر المشى .

(٧٧) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

فى اللسان (برق) : « البرق : الحمل فارسى معرَّب ، وجمعه أبراق وبِرقان وبُرقان » .

(٧٨) اللفظة فى ت ، ج : « والجميع » .

(٧٩) ديوانه ٣٥٢ . تزجى : تدفعه قليلاً قليلاً وتهيئه للمشى .

(٨٠)عبارة ت ، ج : « والجميع العجلة ، والعِجُول والجميع العجاجيل » .

(٨١) عبارة ت ، ج : « ويقال لها الحسيلة والجميع الحسيل » .

(٨٢) مابين القوسين ساقط من ت ، ج : وكلمة « الواحدة » مكانها فى الأصل كلمة غير واضحة ، وأثبتناها هنا اعتماداً على السياق .

(٨٣) البيت للشنفرى ، شاعر جاهلى من الأزد ، والشنفرى اسمه ، وقيل لقب له ، ومعناه عظيم الشفة ، ضرب به المثل فقالت العرب : « أعدى من الشنفرى ، نشر الأستاذ الميمنى شعره فى مجموعة الطرائف الأدبية . انظر ترجمته فى : الطرائف الأدبية ، وجمهرة أنساب العرب ٣٨٦ والاغانى ١٧٩/٦ ، وأسماء المغتالين ٢٣١ ، وشرح المفضليات ١٩٥ ـ ٢٠٠ ، وخزانة الادب ١٤/٢ ـ ١٨ ، والبيت فى المفضليات ١١١ « شبه السيوف بأذناب أولاد البقر إذا رأت أمهاتها فجعلت تحرك أذنابها » .

(٨٤) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

طحودان عوار القذى فتراهما كمَكْمُوَاتَى مذعورة أو فرقد[٨٥]
أو يقال[٨٦] له الفرير ، والفرير (أيضاً)[٨٧] الخزوف والبقرة ونجرى مجرى النعجة ،

قال لبيد (بن ربيعة الكلابى)[٨٨] : الكامل

رزقت مرابيع النجوم وصابها وَدْقُ الرواعد ، جودها ورهامها
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم عرض الشقائق طوفها وبغامها[٨٩]

والخنساء التى قد خنس أنفها فى رأسها[٩٠] .

والغز ولد البقرة ، قال زهير (بن أبى سلمى) :[٩١] ـ البسيط ـ

كما استغاث بسىء فزُّ غيطلة خاف العيون فلم ينظر به الحشك[٩٢]

(السىء : اللبن . والسىء قفر من الأرض . قال :)[٩٣] وإنما هو الحشك ، فاحتاج فحرك ، قال : والسىء : اللبن الذى يكون فى الضرع قبل الدرة .[٩٤] .

والفز ولد البقرة (والذى نظر فى)[٩٥] الغيطلة ، قال : إما أن تكون أمه وضعته فى شجر ، ويقول بعض الناس : انها بقرة[٩٦] . والحشك دفع اللبن ، والاجتهاد .

---

(٨٥) عبارة ت ، ج : « وقال طرفة فى ذلك » . والبيت فى ديوانه (على الجندى) ٤٢ برواية : « كمكحولتى مذعورة أم فرقد » . الطحوران : الدفوعان الطرودان . وعوار القذى : قطعة من الرمد ، والقذى : وسخ العين . وقوله « كمكحولتى مذعورة » يريد كعينى بقرة مذعورة ، وإذا كانت مذعورة كان أحدًّ لنظرها وأبين لحسن عينيها .

(٨٦) فى ت ، ج : « ويقال له الفرير » .

(٨٧) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٨٨) عبارة ت ، ج : « والبقرة تجرى مجرى النعجة » . ومابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

البيت الأول ورد فى الأصل : « رزقت مرابيع النجوم وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها » .

وهو خلط وقع فيه الناسخ . والتصحيح من جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام ١/ ٣٤٩ ، وهذا البيت لم يرد فى ت ، ج . والبيت الثانى ورد فى الأصل مصحَّفاً ومحرفاً . وفى ت ، ج : « ... فلم ترم .. عرض .... » .

(٨٩) عبارة ت ، ج : « وقال الخنساء التى قد خنس أنفها فى رأسها » .

(٩٠) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٩١) ديوان زهير ٥٠ ، ديوان العجاج ، وشرح شعر زهير لثعلب ١٣٤ ، وللأعلم الشنتمرى ٨٦ ، وفى لسان العرب (سيأ) . وأشار إلى أن البيت يروى على الوجهين لكلمة السَّىْءُ ، والسَّىءُ » .

(٩٢) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٩٣) فى ت : « الدِرة » بكسر الدال .

(٩٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وعبارة ت ، ج قلقة وهى : « والذى نظر فى الغيطلة » .

(٩٥) عبارة ت ، ج : « قال : أمّا أن تكون أمه وضعته فى شجرة ، فيقول بعض الناس ... » . ويعنى ببعض الناس أباعبيدة وثعلب ، .ففى شرح شعر زهير لثعلب علق على البيت السابق بما يأتى : « والغيطلة : شجر ملتف ، قال الأصمعى : الذى أظن فى الغيطلة أن تكون أمه وضعته فى شجر ملتف . خاف العيون أى خاف أن يراه الناس ... أبو عبيدة : الغيطلة البقرة » . وفى لسان العرب (غطل) : « قال أبوعبيدة : الغيطلة البقرة الوحشية ، وقال ثعلب : هى البقرة فلم يخص الوحشية من غيرها .. » .

(٩٦) ديوانه ٧٥ ، وشرح شعر زهير لثعلب ١٧ ، وشعر زهير للأعلم ١٠ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٢٣٩ وقصيدة زهير المشهورة بالمعلقة مع شرحها للنحاس ٥ . « العين : الواسعات العيون . والآرام : جمع رئم ، وهى الظبى الأبيض الخالص البياض . والأطلاء جمع الطلا ، وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية ويستعار لولد الإنسان ، ويكون هذا الاسم للولد من حين يولد إلى شهر أو أكثر منه » .

والطلا الولد ساعة ترمى به أمه من البقر والظباء ، قال زهير : ـ الطويل ـ

بـهـا الـعـين والآرام يمشـين خلفـه وأطـلاؤهـا ينهضن مـن كـل مجثم(٩٧)

وقوله خلفة أى هذه ثم هذه(٩٨) .

قال ذو الرمة (فى الطلا) :(٩٩) ـ الطويل ـ

وقـد خلفت فى السـير نـاقـة صـاحبى طـلاً مـوتت أوصـالـه فهـو يشهق(١٠٠)

(يقال شهق يشهق)(١٠١) .

ويقال للبقرة الخزومة ، وجماعها الخزوم ؛ وقال الراجز :(١٠٢)

ـ الرجز ـ

أرباب شاء وخزوم ونعم(١٠٣)

وقال آخر(١٠٤) : ـ الرجز ـ

أهل خزومات وشحاج صحب

وعازب أقلح فوه كالخرب(١٠٥)

العازب يعنى داعيا . والأقلح الذى على أسنانه حبرة وهى الصفرة والخضرة(١٠٦) .

(ويقال لها الخيزمة (والجماع الخيزم)(١٠٧) قال عمرو بن معدى كرب : ـ الطويل ـ

تبـدل أدمـا مـن ظبـاء وخيـزمـا فأصبحت فى أطلالهـا اليوم حـابساً(١٠٨)

←

---

(٩٧) عبارة ت ، ج : « خلفة أى تجىء هذه بعد هذه ، أى بعض بعد بعض » .

(٩٨) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٩٩) ديوانه ٣٩٥ ، برواية : « وقد غادرت .. موتت أوصاله .. » .. وفى ت ، ج برواية « وقد غادرت .. مزقت أوصاله .. » . خلفت : غادرت وتركت . وموتت أوصاله :

لاتتحرك من أعضائه شىء فهو يشهق أى ينزع وهو نزع الموت

(١٠٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٠١) عبارة ت ، ج : « جماعها الخزوم ، قال الراجز » .

(١٠٢) البيت بلانسبة لشاعر أو خلاف الرواية فى : ماخالف فيه الإنسان البهيمة فى أسماء الوحوش وصفاتها بقطرب ٣١ ، ولسان العرب (خزم) .

(١٠٣) فى ت ، ج : « قال الآخر » . والبيتان لأبى ذرة الهذلى فى شرح أشعار الهذليين ٦٢٤ ، وبه بعض أخباره .

(١٠٤) شرح أشعار الهذليين ٦٢٤ ، والبيت الثانى فيه وفى ت ، ج : « أو عازب .. » . الشحاج : الحمار

قال السكرى : « أقلح : مصفر الأسنان بال قد هرم ، وتساقطت أسنانه . أبو عمرو : عازب عبد راع قد عزب عن أهله . ويروى : « كالخرب » وهو ذكر الحبارى » .

(١٠٥) عبارة ت ، ج : « والأقلح الذى على أسنانه عفر الصفرة أو الخضرة » . فى لسان العرب (حبر) : « قال شمر : الحبر صفرة فى الأسنان ، فإذا كبرت وغلظت واسودت واخضرت فهو القلح » .

(١٠٦) مابين القوسين ساقط من ت .

(١٠٧) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . عمرو بن معدى كرب .. يكنى أبا ثور ، أحد فرسان العرب المشهورين بالقوة والبأس ، قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ارتد بعد وفاته فيمن ارتد من أهل اليمن ثم هاجر إلى العراق ، وعاد إلى الإسلام ، وشهد القادسية ، وأبلى فيها بلاءً حسناً . انظر ترجمته فى مقدمة ديوانه . والشعر والشعراء ١/٣٧٢ ـ ٣٥٧ . والاشتقاق ٤١١ . والأغانى ١٥/٢٠٨ . والمؤتلف والمختلف ٢٣٤ ، ومعجم الشعراء ١٥ ـ ١٧ ، وعنوان المراقصات ٢١ .

(١٠٨) اللفظة فى ج : « الأجل » بكسر الهمزة وفتحها . وعبارة ت ، ج : « الأجل القطيع من البقر والظباء والجميع الآجال » .

ومن أسماء أقاطيعها

الإجْل(١٠٩) وهو القطيع من البقر، وجَماعه الآجال، وقال ذو الرُّمَّة: (يذكر ذلك)(١١٠): — الطويل —

بها فرق الآجال فوضى كأنها خناطيل آجال غُريزية زهر(١١١)

ومنها الربرب وهو القطيع(١١٢) منها، قال الشماخ: — الرجز —

يارب ثور برمال عالج
كأنه طرة نجم خارج
فى ربرب مثل مُلاء الناسج(١١٣)

(طرة النجم: حسنه)(١١٤)، ويقال رجل طرير أى حسن.

(ومنها الصوار)(١١٥) وهو القطيع منها، (ويقال عن أبى عبيدة إنه قال: الصُّوار والصُّوار)(١١٦).

والسرب وهو القطيع منها ومن الظباء؛ قال الشاعر:(١١٧) — الطويل —

فلم تر عينى مثل سرب رأيته خرجن علينا من زقاق بن واقف(١١٨)

---

(١٠٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت، ج.

(١١٠) ديوانه ٢١٢ برواية: «خناطيل أهمال ....» وكذا فى ت، ج. فرق: قطع. والآجال: الواحد إجل، وهى قطيع البقر والظباء، وفوضى: مختلطة، وخناطيل: واحدها خنطلة وهو القطيع وغريزته: منسوبة إلى غرير حى من مهرة، وزهر: أبيض.

(١١١) اللفظة فى ت، ج: «قطيع».

(١١٢) ديوانه ٣٦٢. «عالج: رمل يقطع بين جبلى طىء وارض فزازة فى الدهناء» صفة جزيرة العرب ١٧٤. وطرة النجم: رواؤه وحسن منظره. وربرب: القطيع من بقر الوحش لا واحد له وملاء جمع ملاءة: وهى الريطة والملحفة، و لا تكون الريطة إلا بيضاء. وفى ت، ج: «من رمال ..»

وعن أرجوزة الأبيات وغيرها من أراجيز ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى، يقرر الدكتور صلاح الدين الهادى محقق الديوان أن: «اغلب الظن أن هذه الأبيات إنما نسبت للشماخ خطأ، وأن الذى نسبها إليه لما رآها فى ديوانه دون أن يعرف حكاية هذه الأراجيز الواردة فيه لغير الشماخ ظنها له، وهكذا كل ما نسب إلى الشماخ فى المصادر من هذه الأراجيز».

(١١٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ت، ج.

(١١٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت، ج.

(١١٥) مابين القوسين ساقط من ت، ج.

(١١٦) عبارة ت، ج: «والسرب وهو القطيع منها، ومن النساء والظباء ومن الطير؛ قال هدبة العذرى». هدبة بن خشرم .. من بنى عذرة ويكنى أبا سليمان، شاعر إسلامى متقدم، كثير الأمثال فى شعره، يقال إنه أول من أقيد فى الإسلام. انظر ترجمته فى: الشعر والشعراء ٢/٦٩١ ـ ٦٩٤ والأغانى ٢١/٢٥٤ ـ ٢٧٤، ومعجم الشعراء ٤٦٠ ـ ٤٦١، وسمط اللآلى ١/٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، ٢/٦٣٩، وخزانة الأدب ٤ ـ ٨٤ ـ ٨٧ والحماسة وشرحها للتبريزى ٢/٤٤ ـ ٥٢.

(١١٧) الأغانى ٢١/٢٦٧ لهدبة العذرى، وروى فى ت، ج: «ولم تر .....». وفى الهامش علق محققا هذا الجزء من كتاب الأغانى: «فى البيت إقواء وفى بعض النسخ: «خرجن علينا حين إذ أنا واقف» وعليه فلا إقواء، ويرجح هذه الرواية قول المؤلف فيما يلى: ليس هناك زقاق يحمل هذا الاسم».

(١١٨) عبارة ت، ج: «والجميع الخناطل والخناطيل».

والخنطلة قطعة من البقر والغنم والخيل ، والجميع الخناطيل والخناطل،[119] (والخنطلة البقرة)[120] . (والخيط سرب من البقر والنعام)[121]
ويقال بقرة وثورة .

والعرْج وهو القطيع منها ، والجميع عروج[122] .
والقوط وهو القطيع (منها ومن الغنم أيضاً ، قال أبو دؤاد[123] : — الخفيف —
أوحشت من سروب قومى تعار[124]
(يريد جماعتهم)[125] .

(١١٩) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .
(١٢٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(١٢١) عبارة ت ، ج : « قال : والجميع عروج وأعراج » . وفى لسان العرب (عرج) : « والعِرج والعَرج ... » بكسر العين وفتحها .. انظر لسان العرب (عرج) .
(١٢٢) هو جارية بن حمران بن بحر بن عصام .... بن إياد ، وهو شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان مرؤ القيس يتكىء عليه فى شعره ، وراوية له . وكانت قبيلة إياد ترى فى أبى دؤاد شاعرها المقدم ، بل أبعدت فزعمت أنه أول من قصد القصائد . انظر فى ترجمته : فى مقدمة شعره التى صنعها : غوستاف فون غرنباوم فى كتابه « دراسات فى الأدب العربى » والذى ترجمه كل من الدكاترة : إحسان عباس وانيس فريخة ومحمد يوسف نجم .
(١٢٣) شعر أبى دؤاد ٣١٦ ، وصفة جزيرة العرب ٢٢٣ ، وبرواية ثانية : « سروب » بفتح السين فى معجم ما استعجم ٣١٣/١ .
وعجز البيت :
فأرومٌ فشابةٌ فالستارُ
أوحشت : أقفرت . وسروب جمع سرب وهو المال السارح . وتعار : جبل لا ينبت فيه شىء وأروم وشابة والستار كلها أماكن .
(١٢٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(١٢٥) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

المخدرات من القلق إلى الاستعباد

تأليف : د. محمد محمود الهوارى
عرض وتقديم : أحمد تقى الدين

● الحوادث المفجعة مرتبطة بالحشيش وإدمانه
● بسبب المخدرات .. دولة تفقد ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون ساعة عمل سنويا
● انتشار الإدمان يتعلق بالبيئة التى تحيط بالفرد
● التليفزيون مسئول
● الفقهاء يقولون : كل ما يغيب العقل يحرم

إن سبل الضلالة والغواية كثيرة والداعون إليها بأساليب متنوعة لا يحصون ، وإذا كان لكل عصر آفة ، فآفة عصرنا الحاضر المخدرات ، ومما ينذر بالشر أن تعاطيها منتشر بين الشباب والشابات والمراهقين والمراهقات .

والأسباب التى تؤدى إلى انتشار تعاطيها كثيرة ومتنوعة غير أنه لا يتفاقم خطرها إلا إذا توافر لها واقع اجتماعى معين ، ومناخ أخلاقى محدد على مستوى الفرد والجماعة ، وهذا المناخ الأخلاقى وذلك الواقع الاجتماعى لا يتأتيان إلا عندما يغيب الجانب الفكرى الإسلامى ، وآنئذ يعود الفرد إلى طبيعته الحيوانية ، فإذا انتهى الأمر بالإنسان إلى نقطة الخواء الروحى والفراغ الأخلاقى ، وأصبح قلقا مضطربا وذلك بداية الانحدار إلى الأمراض العصبية والنفسية والسعى وراء المسكرات والمخدرات .

ومن هنا يكتسب الكتاب الذى أعده الدكتور محمد محمود الهوارى مدير المركز الإسلامى بألمانيا وجعل عنوانه : (المخدرات من القلق إلى الاستعباد) أهميته .

يقع الكتاب فى مائتى صفحة من القطع المتوسط ويتألف من مقدمة وثلاثة أقسام .

فى المقدمة بين الباحث الأسباب والدوافع المختلفة التى دفعته إلى اختيار هذا الموضوع بعينه حيث نبه على ضرورة اطلاع الشباب على أخطار هذه السموم ، فيتقوها قبل أن يقعوا فيها ويساهموا مساهمة فعالة فى بناء أمتهم فى عصر

تحتاج فيه الأمة إلى طاقات أبنائها وجهودهم فى عملية البناء والتنمية .

ثم استعرض المؤلف تاريخ ظهور المخدرات وانتشارها عبر العصور التاريخية المتوالية حتى القرن العشرين .

فى القسم الأول من الكتاب تحدث المؤلف عن (المخدرات التقليدية) المعروفة لدى غالبية الناس عموما مثل : الأفيون والمورفين ومشتقاته والحشيش والكوكايين والقات و«المهلوسات» و«المهدئات» و«الامفيتامينات» .. الخ مبينا الأعراض التى ترافق العوز للمدمنين على الأفيونات بصفة عامة والتى تتمثل فى أربع مراحل يمر بها الشخص المدمن وهى :

- الشعور بالجوع .
- الحاجة للعقار .
- القلق .
- فقدان الشهية وانخفاض الوزن بنسبة تصل إلى ٢ كيلو جرام يومياً وقصور كلوى وظيفى وفرط سكر الدم .

ويتحدث المؤلف عن القنب الهندى الذى يعطى المادة المسببة للإدمان وهى : الحشيش فيذكر أن المقادير المرتفعة من هذا النبات المخدر تسبب الهلوسة وتؤدى عند الكثيرين إلى الغثيان والإسهال والخوف والقلق وبعض الاكتئابات المزعجة .

وتشير «حوادث السير» فى أمريكا إلى أن كثيراً من الحوادث المفجعة مرتبطة بالحشيش وإدمانه كما أن زيادة المقادير أو الكميات المأخوذة منه تؤدى إلى القهر والاعتياد والإذعان لما يمليه الغير ، ومن ثم يصل الفرد إلى مرحلة الانحطاط فى المجتمع .

وبالمثل «الكوكايين» «Cocaine» الذى يستخرج من أوراق نبات الكوكا فى أمريكا الجنوبية وهو سام لجميع أنسجة البدن الحى ، ويؤدى إلى الموت السريع إذا تجاوز المقادير الطبية المسموحة .

وكذلك «القات CATH» وهو شجيرة تنمو فى الجزيرة العربية وكذلك فى أفريقيا الشرقية وتشبه كثيرا شجرة الشاى ، ويشكل القات اليوم حالة واسعة المدى فى جنوبى الجزيرة العربية والصومال والحبشة وكينيا وافغانستان .

● **عواقب الإدمان :**

ويوضح المؤلف عواقب الإدمان على القات ويقسمها إلى قسمين : الأول طبى - والثانى اجتماعى .

فبالنسبة للأثر الطبى يشكو مدمن القات من حدوث اضطرابات هضمية تؤدى إلى «شلل القولون الغليظ» وفقدان الشهية والإمساك ، والتهاب المعدة ، وجفاف البراز ، وسيلان اللعاب وهيجان البواسير ، والنوم العميق ، والأرق ، وحدة المزاج ، وكثرة الحزن .

أما النتائج الاجتماعية فتتمثل فى حالات الحرمان والبطالة عن العمل واتجاه المدمن إلى إنفاق كل ما يحصل عليه من مال للحصول على ما يلزمه من «قات» بدلا من إنفاقها فى الحصول على ضرورات الحياة وهو ما يعود على المدمنين بالبؤس والفقر وسوء التغذية .

ويؤكد الدكتور الهوارى على أن الجمهورية العربية اليمنية تخسر سنويا حسب آخر الإحصائيات ما يزيد على ثلاثة آلاف وخمسمائة

←

المخدرات من القلق

مليون ساعة عمل ، هى الوقت الهائل الذى يضيع على أبناء اليمن بسبب مضغهم أوراق القات وتخزينه .

● **متفرقات تولد الإدمان :**

ويتحدث الباحث عما أسماه (متفرقات تولد الإدمان) حيث حصرها فى ستة أنواع هى : الغول - المذيبات الطائرة - الصموغ - الأسبرين - جوزة الطيب - السكر - البويرز .

وأشد هذه المتفرقات أو الأنواع خطرا هى الغول والمذيبات الطائرة .

● **الغـــول :**

فالغول يتصدر قائمة العقاقير المخدرة الخطيرة وهو مادة معروفة منذ القدم ومنتشرة فى كل أصقاع الأرض وأنواعه لا حصر لها ، إذ يمكن تحضيره من تخمير جميع أشكال الحبوب والفواكه المعروفة وهو وحده المسئول عن أعداد هائلة من الوفيات تفوق تلك الوفيات الناجمة عن أضرار جميع المخدرات الأخرى الخطيرة .

كما تنسب إليه ما يزيد على نصف وفيات حوادث الطرق فى العالم ، وما يزيد على نصف الحوادث الإجرامية وبشكل خاص حوادث الاعتداء كالاغتصاب والاعتداءات الجنسية المختلفة .

ويؤكد المؤلف على أن الإفراط فى تناول الغول المشروب يؤدى إلى نوع من الإدمان والإذعان الجسمى والنفسى .

● **المذيبات الطائرة :**

ويستنكر الباحث عادة خبيثة انتشرت فى السنوات الأخيرة بين الشباب والفتيات وهى استنشاق بعض السوائل والمذيبـات ومن أشهرها : المركبات الطيارة المشتقة من البترول كالبنزين والإسيتون ، والكلوروفورم ، وغازات العبوات البخاخة ، وبعض مذيبات الصموغ ، والورنيش وغازات «الولاعات» وكثير من مذيبات الدهانات المختلفة .

● **سلوك عدوانى :**

ويبين المؤلف الآثار الجانبية المترتبة على تعاطى المدمنين هذه المركبات الستة وهى : السعال الشديد ، وآلام الرأس والقلب ، والقىء المتكرر والميل الشديد إلى النوم حيث ينتهى الأمر بفقدان الوعى خاصة إذا كان تركيز تلك المركبات عاليا فى «الخلايا الدماغية» للشخص المتعاطى لها.

فضلا عن أن تعاطى هذه السموم يؤدى إلى سلوك عدوانى وأخلاق اجتماعية شرسة جداً ، وقد تنعكس هذه الأخلاق على المرء نفسه ، فيقوم بأعمال طائشة تكاد تقضى على حياته هو نفسه وقد يفضى به الأمر إلى الاعتداء على رفاقه وأعز أصدقائه بل وعلى أفراد أسرته .

ويفجر المؤلف مفاجأة مذهلة حيث أكد على أن أكثر المدمنين لهذا الأنواع هم من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة والثالثة عشرة وينتمون إلى مختلف الطبقات الاجتماعية وبصفة خاصة أطفال العائلات المفككة وغير المتزنة .

● **الإدمان ... لماذا ؟**

ويأتى القسم الثانى بعنوان (الإدمان .. لماذا ؟) وفيه يتساءل المؤلف عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة التى تدعو الشباب اليوم إلى إدمان هذه السموم الفتاكة ؟

يقدم الدكتور محمد الهوارى الإجابة على هذا السؤال من واقع ما كشف عنه الخبراء النفسيون من أسباب انتشار الإدمان فمنها ما يتعلق بالبيئة التى تحيط بالمرء وتفعل فيه فعلا شديدا كالبيت والمدرسة وما فيها من عدم مبالاة وانحراف عن القيم الأخلاقية ، والمجتمع وما فيه من شرور ومآسٍ .

فالفشل الدراسى مثلا أخذ يتزايد يوما بعد يوم بين الصغار فى كثير من بلدان العالم مما يؤدى إلى شعورهم بالنقص والضعف وبالتالى يشعرون بالحاجة الماسة إلى ما ينسيهم ما هم عليه فيلجأون إلى هذه السموم الخطيرة ويؤدى ذلك إلى سوء أخلاقهم واحتقارهم لهذه الحياة وكل ما يحيط بهم لأنهم لا يرون فيها إلا السأمة والضجر .

● **اضرار التليفزيون :**

وينبه المؤلف إلى ما تضمنته الإحصاءات الأخيرة التى أكدت أن كثيراً من المدمنين ينتمون إلى ما يزيد على ٩٠٪ من العائلات التى تفككت أواصرها وتلاشت الروابط الزوجية فيها ، وخلفت هؤلاء الأولاد ليكونوا فريسة الفراغ والملل ، وليس لهم من وسائل التسلية إلا التافه منها كالتليفزيون ، الذى يغرق حياتهم بما يقدمه من مشاهد يومية مليئة بصور العنف والإجرام والجنس والحض عليه ، وما يتبقى لهم من الوقت يقضونه مع هذه السموم التى تئد حياتهم وهم فى مقتبل العمر .

● **التدخين أول الطريق إلى الإدمان :**

وفى نهاية هذا القسم يعرض المؤلف بعض نتائج الدراسة الإحصائية التى قام بها فريق من الباحثين الأوروبيين لدراسة مشكلة المخدرات على النحو التالى :

١ ـ الحشيش والماريجوانا هما المخدران المفضلان عند الشباب الذين لم يتجاوزوا الرابعة والعشرين من عمرهم ثم تتجه اهتماماتهم نحو المخدرات الأشد كالهيروين والمورفين .

٢ ـ أخطر الأعمار التى تبتدىء فيها عادة تعاطى المخدرات هى سن البلوغ اعتبارا من سن الخامسة عشرة وتتجلى بصورة أكثر خطورة اعتبارا من سن العشرين ، والذكور أكثر ميلا للتعاطى من الإناث .

٣ ـ ينتمى المدمنون إلى فئات اجتماعية مختلفة ، وتشتد خطورة الإدمان فى الأفراد الذين ينتمون إلى عائلات مفككة اجتماعيا وبخاصة ذات الموارد المحدودة ، ولا يمنع أن نجد نسبة من الأولاد المدمنين ينتمون إلى أسر غنية .

٤ ـ أول الطريق إلى المخدرات هو الحشيش والماريجوانا ولما كان استخدامها يتم غالبا مع التبغ (الدخان) لذا فإن ابتداء الأطفال والفتيان فى ممارسة عادة التدخين سيقودهم إلى حظيرة المخدرات .

● **المخدرات بين الفقه والقانون :**

ويأتى القسم الثالث بعنوان «المخدرات بين الفقه والقانون» فيتناول المؤلف ثلاث جزئيات هى :

١ ـ أقوال الفقهاء فى المخدرات .
٢ ـ الاستعمال الدوائى للمخدرات .
٣ ـ المخدرات والقانون .

● **الفقهـــاء :**

بالنسبة للجزئية الأولى تناول المؤلف بحث أقوال الفقهاء فى مشكلة المخدرات وأحكامهم التى انطلقت من قواعد أصولية تستند إلى الكتاب والسنة .

←

← المخدرات من القلق

ويورد المؤلف حديثا أقوال عدد من الفقهاء فى هذا الصدد منهم الإمام القرافى فى كتابه «الفروق» حيث عرف المخدر بقوله «ماغيب العقل والحواس دون أن يصحب ذلك نشوة وسرور ، أما إذا صحب ذلك نشوة وسرور فهو المسكر ، وجعل من فصيلة المرقدات (المسكرات) الأفيون والبنج والشيكران» .

وفى «فتح البارى» لابن حجر العسقلانى استدل بمطلق قوله ﷺ : (كل مسكر حرام) على تحريم ما يسكر ولو لم يكن شرابا فيدخل فى ذلك الحشيشة وغيرها .

وقد جزم النووى وغيره بأنها مسكرة ، وجزم آخرون بأنها مخدرة وهى مكابرة ، لأنها تحدث بالمشاهدة ما يحدث الخمر من الطرب والنشوة والمداومة عليها والانهماك فيها .

وقال النووى فى (المجموع) : «وأما ما يزيل العقل من غير الأشربة والأدوية كالبنج وهذه الحشيشة المعروفة فحكمه حكم الخمر فى التحريم ووجوب قضاء الصلاة ويجب فيه التعزير دون الحد والله أعلم» .

● **كل ما يغيب العقل يحرم :**

ويعقب الدكتور الهوارى على هذه الآراء بقوله : «والذى نراه أن المخدرات بعد أن تعددت مصادرها وتنوعت آثارها وأشكالها منها :

ما تصحبه السكينة والهمود النفسى .

ومنها ما تصحبه الرعونة والشراسة والعدوان .

ومنها ما يرافقه الغيبوبة وفتور الأعضاء . ولا يزال يطلع علينا كل يوم منها الجديد بمواصفات وآثار جديدة وتشترك جميعها بأنها مفسدة للعقل ومخربة للبدن ومضيعة للمال والجهد والإنتاج ، مخربة للشخصية ومجلبة للضرر ، ولا ريب أن سادتنا الفقهاء لو اطلعوا على آثارها المعاصرة بعد أن تنوعت أشكالها وما تفعله فى الفرد والمجتمع لأجمعوا على تحريمها بلا خلاف ولأجمعوا كذلك على إنزال أشد العقوبات بمرتكبيها ومروجيها وكل من يؤدى بأى سبب من الأسباب إلى تسهيل تعاطيها» ويسوق المؤلف فتوى لشيخ الإسلام (ابن تيمية) يعضد بها رأيه حيث يقول : «إن كل ما يغيب العقل يحرم باتفاق المسلمين» .

الاستعمال الدوائى للمخدرات

إنه لابد من التفريق بين أنواع المخدرات فى هذا المجال فبعضها لا يصلح أن يكون دواء فضلا عن أن يدخل فى تركيب أحد الأدوية كالحشيش مثلا الذى ثبت عدم وجود أية فائدة طبية له .

ومن ثم طالب الدكتور الهوارى المجامع الفقهية المعتبرة بتشكيل لجنة الأطباء الذين يوثق بدينهم وعلمهم تتولى تحديد قائمة بالعقاقير المخدرة ، والأدوية التى يجوز اللجوء إليها عند الحاجة تحت الرقابة الطبية والصحية الشديدة ، ثم تصدر هذه المجامع الفقهية فتواها على ضوء الدراسات العلمية المؤكدة فى هذا المجال وتحديد البدائل إن وجدت .

● **المخدرات والقانون :**

وفى نهاية الدراسة يتحدث الباحث عن (المخدرات والقانون) مشيراً إلى استهجان وتأثيم وما تفرضه القوانين من عقوبات فى أغلب بلدان العالم لعادة تعاطى المخدرات والاتجار فيها أو تسهيل الحصول عليها للراغبين فيها من أماكنها المختلفة .

وقد أجازت بعض البلدان العربية والإسلامية وغيرها تطبيق عقوبة الإعدام للممولين والمهربين والمتجرين بالمخدرات كما أجازت مصادرة أموالهم وممتلكاتهم وخاصة إذا ثبت أنها تضخمت من جراء تهريب المخدرات أو الاتجار بها ، ومن ذلك أن هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية قد أقرت وجوب تطبيق عقوبة الإعدام بهذه الفئات من المفسدين فى الأرض .

كما أجازت بعض الدول الأوروبية عقوبة الحبس من سنتين إلى عشر سنوات وبالغرامة المالية التى تتراوح ما بين ألفى دولار إلى مليونين من الدولارات لكل من خالف القوانين والتشريعات المتعلقة بحيازة وإنتاج ونقل واستيراد وتصدير واستعمال المركبات أو النباتات أو زراعة النباتات المصنعة تحت اسم العقاقير السامة والمخدرة ، وشملت العقوبة كل من يسهل للغير استعمال المركبات أو النباتات المخدرة مقابل المال أو بالمجان أو يهيىء مكانا لتعاطى هذه المخدرات أو بأية وسيلة أخرى ، وأيضاً كل من يقدم وصفه طبية مزورة أو وصفة طبية مجاملة أو كل من حصل أو حاول الحصول على هذه المخدرات .

● **تعقيـــب**

من الواضح أن الكتاب فى مجمله يشكل إضافة للمكتبة الإسلامية وكنا نود لو استفاض حديث الباحث عن تدخين التبغ وضرره الذى اجمعت عليه البحوث الطبية من حيث إضعاف الصحة العامة وزيادة الأمراض وبالتالى رفع معدل الوفيات ، يضاف إلى ذلك أن التدخين يعتبر شكلا من اشكال التلوث يلحق الضرر بالبيئة عامة وبالقطاع البشرى منها على وجه الخصوص ، ولا ننسى أن الآثار الضارة للتدخين لا تقتصر على من يمارس التدخين وحده وإنما تتعداه إلى عائلته وزملائه وغيرهم ممن يشاركونه فى البيئة ويكرهون على التعرض للتلوث من خلال عملية التدخين القسرى .

ويبدو أن الكاتب لم يسترسل فى حديثه عن الخمر مكتفيا - والله أعلم - بما ورد فيها من نص جعل حرمتها لا خلاف فيها .

وفضلا عن ذلك فقد اتفق الفقهاء على حرمة كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالإنسان عملا بقول رسول الله ﷺ «لا ضرر ولا ضرار» رواه البخارى وقول الله عز وجل ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة ١٩٥ .

ولذلك فقد كان الواجب على الباحث أن يفرد مبحثا فى كتابه يبين فيه هذه الأمور .

كذلك يلاحظ أن المؤلف اهتم بتضمين كتابه العديد من الاحصائيات الغربية التى تتناول أعداد المدمنين فيها فى حين لم يذكر إحصائيات حول حجم ومدى انتشار ظاهرة الإدمان فى العالم العربى والإسلامى ، ولعل ذلك راجع إلى أن هذه البلاد لم تقدم إحصائياتها من هذا القبيل .

وعلى أى الأحوال فإن هذه الملاحظات لا تعنى الانتقاص من القيمة العلمية للكتاب إذ تميزت الدراسة بغزارة المادة العلمية التى تفتقدها المكتبة العربية والإسلامية .

الإمام علي

كرم الله وجهه

للأستاذ: السيد حسن قرون

نِعَمُ الله على « علي »

مما أنعم الله به على علي بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه كان فى حجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الإسلام وأظله الإسلام وهو فى كنفه .

قال ابن إسحاق : كان من نعمة الله على علي بن أبى طالب ، ومما صنع الله له وأراده له من الخير أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعباس عمه ، وكان من أيسر بنى هاشم : ياعباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ماترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ، فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ أنت رجلا ، فنكفلهما عنه . فقال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه ، فقال أبو طالب : إذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ماشئتما ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليا فضمه إليه ، فلم يزل علي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بعثه الله تعالى نبياً ، فاتبعه علي - رضى الله عنه - وآمن به وصدقه .. ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

ويذكر العقاد فى «عبقرية الإمام» أن العباس أخذ طالبا ، وحمزة وجعفرا .وأخذ النبى - صلى الله عليه وسلم - عليا وتركوا عقيلا لأبيه .

والروايات المتعددة تذكر أنه أول من أسلم من الذكور وأول من صلى ، وأنه حين عرض عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - الإسلام أمره أن يأخذ رأى أبيه فأبى قائلا : حين خلقنى الله لم يأخذ رأى أبى وقالوا عنه : إنه مجدود أى محظوظ ، فقد كاد يولد مسلما ، ولد فى داخل الكعبة ، وكرم الله وجهه عن السجود لأصنامها ، فكأنما كان ميلاده إيذانا بعهد جديد للكعبة والعبادة حولها .

وبنو هاشم أهل رياسة وسيادة ، وقد نال مجد هاشم من طرفيه ، فأبوه أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكان يعتز بهذا النسب ويفخر به مع

تواضع فيه ، وهذا النسب له صفات يقر بها الأعداء كما يعترف بها الأحباء ، وفى مقدمتها الفصاحة والصباحة والسماحة والشجاعة ولقد اجتمع لعلي هذا ومثله معه ، فهو البطل وهو الخطيب وهو العالم وهو أبو القضاء ، انظر إليه يخاطب معاوية بن أبى سفيان حين تلكأ فى الشام عن مبايعته وراسله ليقتسم بلاد المسلمين معه بعد حرب صفين الطاحنة ، فرفع من شأن آبائه وجعل بنى أمية دون بنى هاشم ، ثم وصفه بأنه من الطلقاء .

وكان مع إيمانه المكين وعقيدته الراسخة قوى الجسم شديد الأيْد ، لا فارس يقوم له ، ولاقرن ينازله إلا صرعه .

وفى أيام النبوة اشترك فى الغزوات كلها ماعدا غزوة تبوك ، وكان فى كل معركة الفارس المعلم والبطل المغوار الذى تهابه الأبطال وتنكص عن لقائه الرجال ، وكان يحس ذلك من نفسه ، ويعبر

عن شجاعته وشمائله فلو عددت من جدَّ لهم بسيفه فى غزوة بدر لوجدته يضارع أكثر من فارس وفى غزوة أحد أعجب بفعاله ، وتحدث عن خصاله قال لزوجه فاطمة بنت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما ناولها سيفه : اغسلى عنه دمه ، فوالله لقد صدقنى اليوم : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة ، وكان يقال لسيف رسول الله ذو الفقار ورووا فى تلك الغزوة : نادى مناد يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على

ومن المشهور عن شجاعته وحسن صحابته وحبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه ليلة الهجرة نام فى فراش رسول الله ليفديه بنفسه فَتَسَجَّى بغطائه ، وهال الكفار أن يروه حيث

نظروا إليه ، يقول : لما خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة فى الهجرة أمرنى أن أقيم بعده حتى أؤدى ودائع كانت عنده للناس ، ولذا كان يسمى « الأمين » فأقمت ثلاثاً فكنت أظهر ماتغيبت يوماً واحداً ، ثم خرجت ، فجعلت اتبع طريق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى قدمت بنى عمرو بن عوف ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقيم ، فنزلت على « كلثوم بن الهدم » وهنالك منزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال الراوى : قدم عليّ للنصف من شهر ربيع الأول ورسول الله بقُبَاء لم يَرِمْ بَعْدُ .

وحين كان خليفة المسلمين كان يعامل الخارجين على الشريعة بما تأمر به ، فهو يعمل على استتباب الأمن وكانوا يهربون من وجهه ويخشون عقابه . قال بعض لصوص بنى طيىء :

ولما أن رأيت ابْنَىْ شُمَيْطٍ
بسكة طيىء والباب دونى
تجللت العصا وعلمت أنى
رهين مُخَيَّسٍ إن ادركونى
ولو أنى لبثتُ لهم قَليلاً
لجرونى إلى شيخ بطين
شديد مجامع الكتفين باقٍ
على الحدثان مُختلف الشئون

فابنا شميط من شرطة الإمام علي رآهما اللص الشاعر فركب فرسه خوف السجن .. « والمخيس » .. اسم حبس بناه على ـ كرم الله وجهه ـ فى الكوفة .. والبيتان الأخيران وصف لقوة علي وجلده ومتانة جسمه وأنه كبير البطن ، وسئل عنه فقال : أعلاه علم وأسفله طعام ، ومختلف الشئون ـ هنا المعنى أن طرائقه كثيرة فى

الإمام علي رضي الله عنه

زهده وعلمه وبأسه وإقدامه فى ذات الله تعالى . قالوا : ولما بلغ عليا قوله هذا قال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو ظفرت به لصدقت ظنه .

ولذلك جاء فى وصفه جسمياً : كان على ضخم البطن ، ضخم مشاشة المنكب ، ضخم عضلة الذراع ، دقيق مستدقها ، ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها .

ومن صفاته النفسية والخلقية العلم والذكاء ومعرفة الكتابة ، وفن الخطابة ارتقى به إلى الأداء الفنى ـ كما يقول العقاد ـ وله من الحكم والأمثال ما يهدى وينير .

التحكيــــم :

منى الإمام علي بفكرة التحكيم ، كان له جيش قوى من أهل العراق ومن تابعه ودارت المعارك مع جيش الشام أتباع معاوية وجرى ما جرى من سماحته وبذله وفضله ، فلما كان الماء فى حوزة معاوية منع جيش علي من الشرب واستعمال الماء ، ولما حاز هو الماء سمح لأهل الشام ومعاوية بالشرب والانتفاع به ، وكاد جيش الشام ينهزم ، فأشار عمرو بن العاص بالرأى لمعاوية وهو رفع المصاحف ليجعلوا مافيها الحكم بين المتحاربين ، ولم يقبل الإمام أولاً،وعدها خدعة ولكن أصحابه أجبروه على وقف القتال ، وأداروا الأمر وتداعوا إلى الصلح وحكَّموا الحكمين ، فحكَّم الإمامُ أبا موسى الأشعرى وحكَّم معاوية عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتاباً أن يوافوا رأس الحول « بأذرح » فينظروا فى أمر هذه الأمة ، وافترق الناس ، فرجع معاوية بالألفة من أهل الشام ، وانصرف علي إلى الكوفة بالاختلاف والعداوة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كانوا معه وقالوا « لا حكم إلا لله » وعسكروا بحروراء فسموا « الحرورية » ، وهم أول من تطرفوا فى المسلك العقدى ، واجتمع الناس بأذرح فى شعبان سنة ثمان وثلاثين وحضرها أفاضل القوم وبعض الأخيار ، فقدم عمرو أبا موسى فتكلم فخلع عليا ، وتكلم عمرو فأقر معاوية وبايع له فتفرق الناس ولم يحسم الأمر ، وبعد أن كان هم الإمام علي ، الشام ومعاوية صار همه فيمن خرج عليه وروع الآمنين . بعث إليهم ابن عمه عبدالله ابن عباس فناظرهم وأقام عليهم الحجة ولكنهم لم يرجعوا ، فذهب إليهم بنفسه وناظرهم فاقتنع كثير منهم ولج بعضهم فى العناد وتمادوا فى الشر فكانت الحرب بينه وبينهم وأوقع بهم يوم النهروان وقيعة كبيرة .. ومن يومها وهم يتربصون به الدوائر ...

استشـــهاده :

روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لعلي : ياعلي مَن أشقى الأولين والآخرين ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أشقى الأولين عاقر الناقة (ناقة صالح) وأشقى الآخرين الذى يطعنك ياعلي وأشار إلى حيث يطعن .(١)

وكان حين يضيق بأصحابه وقعودهم عن نصرته يقول : ما يحبس أشقاها لتخضبن أو لتصبغن هذه من هذا (يعنى لحيته من رأسه) ويتمثل بهذين البيتين :

أشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت آتيكا
ولا تجزع من القتل ... إذا حلَّ بواديكا

(١) الطبقات الكبرى جـ ٣ « البدريين » .

قالوا : اتفق ثلاثة نفر من الخوارج هم : عبدالرحمن بن ملجم الرادى ـ وهو من حمير وعداده فى مراد ـ والبُرَك بن عبدالله التميمى ، وعمرو بن بكير التميمي على قتل علي بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، فاجتمعوا فى مكة وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة ويريحن العباد منهم ، فقال عبدالرحمن ابن ملجم : أنا لكم بعلي ، وقال البرك : وأنا لكم بمعاوية ، وقال عمرو بن بكير أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، واتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، ثم توجه كل منهم إلى المصر الذى فيه صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة فلقى أصحابه من الخوارج فكاتمهم مايريد ، وتزاور معهم فزار يوماً نفرا من تيم الرباب فرأى امرأة منهم يقال لها « قطام » من تيم الرباب وكان علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان فأعجبته فخطبها ، فجعلت مهرها ثلاثة آلاف وقتل علي بن أبى طالب ، وحلف لها أنه ماجاء إلا لقتله ، وفى ليلة الجريمة صحب معه خارجياً آخر اسمه شبيب بن بجرة الأشجعى ، وفى الفجر كانا فى انتظاره أمام المسجد حيث يصلى .

يقول الحسن بن علي ـ رضى الله عنهما ـ : أتيته سحراً فجلست إليه فقال : إنى بت الليلة أوقظ أهلى فملكتنى النوم وأنا جالس فسنح لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يارسول الله مالقيت من أمتك من الأود واللدد أى العوج والعداوة ! فقال لى : ادع الله عليهم ، فقلت : اللهم أبدلنى بهم خيراً لى منهم ، وأبدلهم شراً لهم منى ، ودخل المؤذن على ذلك فقال : الصلاة ، فأخذت بيده فقام يمشى والمؤذن بين يديه وأنا خلفه ، فلما خرج من الباب نادى : أيها الناس ، الصلاة ، الصلاة ، كذلك كان يفعل كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس ، فاعترضه الرجلان فقال بعض من حضر ذلك ، فرأيت بريق السيف ، وسمعت قائلاً يقول : « لله الحكم ياعلي لا لك » ، ثم رأيت سيفاً ثانياً فضربا جميعاً . فأما سيف عبدالرحمن بن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه [٢] ووصل إلى دماغه ، وأما سيف شبيب فوقع فى الطاق ، وسمعت عليا يقول : لا يفوتنكم الرجل ، وشد الناس عليهما من كل جانب ، فأما شبيب فأفلت وأخذ ابن ملجم فأدخل على الإمام فقال : أطيبوا طعامه وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا أولى بدمه عفوا وقصاصاً ، وإن أمت فألحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين .

وهكذا قضى الخارجى على رجل من عباد الله الصالحين ، أشار إلى فضله ابنه الحسن فى أول خطبة له قبل مبايعته بالخلافة : أيها الناس قد قبض الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون ، قد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله فلا ينثنى حتى يفتح الله له ، وماترك إلا سبعمائة درهم أراد أن يشترى بها خادماً .

مكث فى الخلافة أربع سنوات وتسعة أشهر وأستشهد وقد بلغ ثلاثا وستين سنة ، سنة أربعين من الهجرة . رحم الله أبا الحسن . فلقد كان كما وصفه الحسن .

(٢) القرن من رأس الإنسان جانبه ، وموضع القرن منه .

من خير ما نشر

للأستاذ/عادل رفاعى خفاجة

علامة استفهام

للأستاذ عبد السلام داود

من الأمور المطروحة على الساحة الاقتصادية المصرية مدى مطابقة « الفائدة البنكية » لشرع الله . وهذا الموضوع قديم حديث ، ولعل الأبحاث فى هذا الموضوع تأرجحت بين التحليل والتحريم لكثير من معاملات البنوك التقليدية .

ولا يخفى على دارس اقتصادى مبتدىء الأمور التالية :

١ ـ الأصل اليهودى لنشأة البنوك وارتباط أغلب معاملاتها بهذا الأصل .

٢ ـ الارتباط الوثيق بين نظرية السوق وسعر الفائدة كمحرك للنشاط الاقتصادى ومدى الفشل الذى تواجهه هذه النظرية فى تجنب النظام الرأسمالى مخاطر التضخم والكساد والبطالة والاحتكارات الدولية .

٣ ـ فشل نظرية القيمة لكارل ماركس فى معالجة مساوىء الرأسمالية حيث ثبت بُعْدها عن أرض الواقع ، والدليل مايحدث اليوم فى العالم الشيوعى .

ليس غريباً أن يستخدم المستعمر سلاحه الحديث القديم وهو الفائدة المغرية لأثرياء العالم الثالث لإيداع أموالهم لديه حيث يستخدم نفس هذه الأموال فى إقراض دولهم وإغراقها فى الديون وبالتالى فرض سيطرته على هذه الدول وإلا فسلاح الجوع جاهز لذا أرفع صرخة إنسان عادى لعلمائنا الأفاضل من الاقتصاديين وعلماء الشريعة لوضع النظرية الاقتصادية المتكاملة موضع التطبيق ، من منبركم أدعو لهذا التجمع واضعاً كل جهدى فى سبيل تحقيق هذا الهدف السامى[١] .

ارسل هذه الكلمة المحاسب المعروف
الأستاذ/ عشرى محمد عبد الجليل

تحريض على الفسق

للأستاذ / محمد العزب موسى

تنتشر بين أصحاب السيارات تقليعة سيئة هى فى حقيقتها تحريض علنى على الفسق والفجور ، إذ يلصق بعضهم ـ من

---

(١) فأما علماء الشريعة وعلماء الاقتصاد والذين اتخذوا من مجلة الأزهر منبراً فقد وضعوا الحل فى بساطة لا يدركها غموض ، وقد أشارت مجلة الأزهر إلى ذلك فى مقالاتها حيث رأوا أن تتحول البنوك إلى شركات تباشر عملها التجارى الشرعى فى السوق لا فى الاوراق المالية ...

الشباب عادة ـ ملصقات على زجاج السيارة الخلفى تحتوى عبارات لا يمكن أن تخرج عن ذلك المعنى البغيض . وهذه العبارات التحريضية ليست مكتوبة بلغة نادرة وإنما هى مكتوبة بلغة إنجليزية بسيطة جداً يستطيع أن يفهمها تلاميذ وتلميذات المرحلة الابتدائية .

والهدف من هذه العبارات أن تكون وسيلة (لجر الكلام) مع شخص من الجنس الآخر . ويعلم الشيطان أى مدى يمكن أن يؤدى إليه هذا الكلام .

وهذه التقليعة مستوردة طبعاً من الغرب وهى تذكرنى بتقليعة أخرى انتشرت بين فتيات الطبقات الشعبية منذ سنوات وهى ارتداء « بلوڤرات » عليها عبارات خارجة باللغة الانجليزية ، ومعظمهن بريئات عن معرفة معناها ، إذ لا يمكن أن تبلغ الجسارة بفتاة مهما كانت سيئة الخلق أن تحمل هذه العبارات .

وهذه البلوڤرات أصلاً تبيعها محلات معينة فى الغرب جميع روادها من حثالة المجتمع ولا ترتديها بالطبع أى فتاة محترمة . ونحمد الله أن هذه التقليعة المخزية قد انتهت ، ولا أدرى لماذا لا يتصدى رجال المرور للتقليعة الجديدة ؟

أين رجال المرور الآن ليخلصونا من هذه التقليعة التى تحرض على الفسق والفجور .

مثل فى الكتاب العزيز - بقية

وكل من القطيعة والإفساد ، قد يتخذان مظهراً ماديا ، وقد يتخذان مظهراً غير مادى ، كتخريب العقول بوسائل مادية ، أو بأفكار يصبغها أصحابها بصبغة الإصلاح ، وإن المحافظة على المركب تتطلب المحافظة على سائر أجزائه ، والذى يتطلبه الفرد هو الحرية والتبعة ، والذى يتطلبه المجموع هو التعاون والاتصال ، ولا كرامة لقوم يعرفون الإباحة ، ولا يعرفون ضوابط الشهوات ، وحسب العقيدة الصالحة من صلاح ، أنها تنهض بالعقل والقريحة ولا تصدهما عن سبيل العلم والصناعة ، ولا تحول بين معتقديها وبين التقدم فى الحضارة وأطوار الاجتماع ، وهى ضرورة لا غنى للإنسان عنها ، توجهه وتبصره بما يخفى عليه ، وإن أسرارها أعمق وأصدق مما يدور بأوهام المنكرين لها ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾.فهى ذخيرة من القوة وحوافز الحياة التى تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمده من غيرها وقد اختل التوازن فى المدنية الحديثة فى عقلها وضئول قلبها ، سطت عليها المادة ، فسلبتها الروح ، وحرمتها القلب ، وكانت أشبه بسعير الآخرة ، تنضج الجلود . ولا تزهق الأنفس ، والإنسان بملامح وجدانه ، وقسمات ضميره :

هو فى نظر الماديين عملة اقتصادية فى سوق الصناعة والتجارة ، تعلو وتهبط فى طبقاتها بمعيار العرض والطلب وصفقات الرواج والكساد .

وهو فى نظر الإسلام يملكه القصاص لنفسه ، ثم يفاوضه إحسانا بصلة من قطعه ، والإحسان لمن أساء إليه ، وأجره على الله .

أنباء وآراء

إعداد: عبد المنعم فـــودة
صفوت عبد الجـــواد

اجتماع المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة

تم بحضور فضيلة الإمام الأكبر بحث القضايا المتعلقة بدعم الدعوة والإغاثة على مستوى الشعوب الإسلامية إلى جانب قضية مسلمى بلغاريا ومشكلة لبنان وقضية فلسطين والعدوان الإسرائيلى على المقدسات الإسلامية، وذلك خلال اجتماع هيئة رياسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة المنعقد مؤخرا بالكويت.

كما اتخذ فى ذلك قرارات وتوصيات فى سبيلها إلى التنفيذ من بينها توصية بالشكر إلى السيد محمد حسنى مبارك لرعايته للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وللجهود التى يبذلها لحل مشكلة السنغال وموريتانيا.

اعتراف جريدة بريطانية بأن المسلمين خير أمة

اعترفت جريدة (الديلى ميل) اللندنية بوجود فتح إسلامى جديد للامبراطورية التى كانت لا تغيب عنها الشمس.

فقد قام فريق صحفى من الجريدة بعمل سلسلة من التحقيقات الصحفية مع المسلمين فى بريطانيا والتقوا بهم فى مساجدهم وبيوتهم ومجال أعمالهم.

وأكدت التقارير التى وردت من فريق التحقيقات أن المسلمين فى بريطانيا خير فئات المجتمع لأنهم متفانون فى أعمالهم. مخلصون لذويهم وأسرهم. متمسكون بتقاليدهم وشريعتهم عن اقتناع وإيمان. ويعملون ١٤ ساعة يومياً. ولا يزيدهم تفكك المجتمع البريطانى إلا تماسكا.

والفضل ما شهدت به الأعداء.

انتصار الاسلام ممثلا فى قضية لبس الحجاب فى أوروبا

أخيرا حُسمت قضية طرد الثلاث طالبات من إحدى مدارس شمال فرنسا بسبب ارتدائهن الحجاب.

فقد وافق مؤخرا بعد ضغوط كبيرة من المسلمين فى فرنسا وزير التعليم بفرنسا (السيد / ليونيل جوزبين) على ارتداء الحجاب فى مؤسسات التعليم بفرنسا وأصدر قرارا بعودة الثلاث طالبات المفصولات بسبب لبسهن الحجاب إلى مدرستهن فى شمال فرنسا.

وقد صرح مصدر تعليمى مسئول فى بريطانيا

بأن من حق أى طالب أو طالبة أن يلبس الذى يريده واعفاء الطلبة المسلمين من حضور الدروس التى تخالف تعاليم دينهم .

المجـر تعتـرف بالديـن الاسـلامى

أعلنت المجر اعترافها بالدين الإسلامى رسميا . ويرجع هذا الاعتراف إلى تزايد عدد المسلمين فى المجر وإلى ماتتطلبه الشريعة السمحة من تمسك كامل بالعقيدة الإسلامية من جانب المسلمين .

التبشير يجتاح أندونيسيا المسلمة

أكدت وكالة الأنباء الإسلامية فى خبر لها من جاكرتا أنه لا يوجد فى عاصمة (جاوة الوسطى) سوى مسجدين فى مقابل ٦١ كنيسة ، وحذر الدكتور حيدر بن حيدر رئيس مجلس إدارة مؤسسة السلطان الكبير للدعوة الإسلامية بأندونيسيا من نتيجة التهاون فى مواجهة الأنشطة المريبة للإرساليات التنصيرية فى الدول الإسلامية وغير الإسلامية .

وقال الدكتور حيدر إن كثيراً من هذه الإرساليات قد تسللت بالفعل إلى عقول بعض الفقراء من خلال المساعدات الطبية والاجتماعية والثقافية والإنسانية الأخرى .

ملاحظة : للعلم أن المسلمين فى أندونيسيا يشكلون ٩٩,٥٪ من عدد السكان أى حوالى ١٣٠ مليون نسمة .

أول جامعـة اسـلامية بالمراسـلة بألمانيا الاتحادية

وافقت الحكومة الألمانية الاتحادية على إنشاء جامعة إسلامية بالمراسلة فى مدينة أخن . تعد الأولى فى العالم ، وذلك بالتعاون مع الأزهر الشريف .

صرح بذلك الدكتور / نديم إلياس عضو مجلس إدارة المركز الإسلامى فى ألمانيا الاتحادية . وقال إن وفدا من المركز الإسلامى سيقوم بزيارة الأزهر الشريف قريبا للوقوف على المناهج التى تدرس بالجامعة .

ماليزيا تصدر صحيفة باللغة العربية

أصدرت المؤسسة الإسلامية فى ولاية كلنتن الماليزية أول صحيفة باللغة العربية فى ماليزيا بغرض مساعدة مدرسى وطلبة اللغة العربية فى المعاهد الماليزية التى تدرس اللغة العربية وزيادة انتشارها لدى المسلمين فى ماليزيا .

جـامعة الأزهـر
تشارك فى مؤتمر دولي
للأمراض الجلدية ..

انعقد المؤتمر الدولي لرابطة الأمراض الجلدية والتناسلية فى الفترة من ١٣ ـ ١٦ نوفمبر بفندق ماريوت ، وقد حضر المؤتمر وفود من جميع الدول العربية ولفيف من أطباء العالم المهتمين بهذا الفرع من الأمراض .

شاركت جامعة الأزهر فى المؤتمر ببحثين القاهما الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم عبد العال أستاذ ورئيس قسم الأمراض الجلدية بطب الأزهر . البحث الأول : عن علاقة العلم والطب بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

←

أنباء وآراء

حيث تحدث القرآن فى العديد من الآيات التى بها إشارات إلى طب الأمراض الجلدية والتناسلية والتربية الجنسية . والثاني : عن سكر الفيكوز الذى ثبت أنه يحتوى على بعض خواص الكورتيزون ولكن ليست له مضاعفاته .

اكتشاف علمي يوفر لمصر خمسة ملايين دولار سنويا !..

توصل فريق من الباحثين المصريين العاملين بكلية الطب البيطري ـ جامعة القاهرة ـ إلى كشف علمي هام له أثر كبير فى القضاء على « البلهارسيا » .

يكمن الكشف فى مسحوق نبات الأقحوان الذى أثبتت تجربة نصف حقلية على فعاليته الممتازة فى القضاء على قواقع البلهارسيا فى الماء فقد وصلت درجة إبادته إلى ١٠٠٪ .

وهو من ناحية أخرى ليست له أضرار « البيلوسين » المستخدم حالياً ضد البلهارسيا ، وتتوافر زراعته فى مصر ، مع قلة تكاليفه مما يوفر على الدولة خمسة ملايين دولار سنوياً كانت تستخدم فى استيراد البيلوسين من أمريكا .

كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم وتخصيص ٥٠٠ فدان لجامعة الأزهر

طالب المستشار عبد الفتاح علوش محافظ بنى سويف بضرورة الاهتمام بكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم والتوسع فى إنشائها ، وأضاف إن المحافظة سوف تقدم كل عون من أجل خدمة كتاب الله وتربية النشء تربية إسلامية .. وأضاف إن المحافظة سوف تساهم مساهمة كبيرة من أجل افتتاح كليات لجامعة الأزهر حيث تم تخصيص ٥٠٠ فدان لجامعة الأزهر لتكون ركيزة لإنشاء كليات نظرية وعملية وذلك بالتعاون مع الأزهر الشريف بمشيئة الله .

حجب جائزة المستشار عبدالحليم الجندي هذا العام !

قررت لجنة جائزة المستشار عبد الحليم الجندي لخدمة الدعوة والفقه الإسلامي حجب الجائزة هذا العام لعدم وصول البحوث المقدمة للمستوى المطلوب ، وصرف قيمتها لطلاب الدراسات العليا بجامعة الأزهر بمعرفة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وقررت اللجنة كذلك تخصيص مبلغ الفى جنيه مصري لأحسن بحث يخدم الدعوة الإسلامية ، ومثلها لأحسن بحث فى الفقه الإسلامي .

العلوية ـ بقية

لأن القارىء العادى بل المثقف يحتاج إلى معجم كى يكشف عند سماع كل بيت عن أكثر من معنى لأكثر من كلمة ، ويبدو لى أن إيقاع القصيدة هو سبب تلك الصعوبة التى أضعفت من قيمتها ، وقللت من تأثيرها ، وانتشارها أيضا .

تمضى القصيدة على موسيقى بحر « الوافر » (مفاعلتن) ثلاث مرات فى كل شطر ، والتفعيلة الثالثة يدخلها « العطف » (مفاعلتن تتحول إلى مفاعل = فعولن) وواضح أن الرتابة التى يحققها إيقاع البحر (باعتباره من البحور الصافية) لاتتناسب ، من وجهة نظرى ، مع طبيعة الموضوع الحافلة بالأحداث العاصفة ، ولعل بحرا من البحور المركبة كان اقرب إلى الأداء الطبيعى .

كذلك ، فإن القافية ، ولها تأثير عظيم فى صعوبة المطولة ، وقلة تأثيرها ، وعدم انتشارها كانت محور الضعف فى بناء القصيدة ، فأغلب القوافى يبدو وكأن الشاعر قد نحته من صخر . ولذا جاءت غريبة بل وحشية .

ويمكن أن نضيف إلى ماسبق حضور عقل الشاعر بصورة حولت القصيدة إلى عمل مصنوع أكثر منه عملا مطبوعا ، فكثر فيها الحشو . والحذف مما أضعف أبياتا كثيرة حتى بدا الشاعر مجهدا ومكدودا .

وينطبق الأمر على الصورة الفنية فى « العلوية » فهى بأستثناء ذكر الطيارة أوكما سماها «بنت الهواء أوذات أجنحة وقطر البخار ، فإننا نعيش البادية بمفرداتها وملامحها وإيقاعها ، والصورة بصفة عامة « بدوية » تنتمى إلى المحفوظ أكثر مما تنتمى إلى الواقع الذى عاصره الشاعر ، وإن لم يمنعه ذلك من تكوين بعض الصور الجيدة ، و"طريقة التى أشرنا إليها من قبل .

لقد حاول « محمد عبد المطلب » أن يعارض « حافظ إبراهيم » فى عمريته و « عبد الحليم المصرى » فى بكريته ، فلم يستطع التفوق عليهما فنيا وإن كان بحق أول من قدم الإمام على ـ فيما أعلم ـ بهذا الاهتمام والتعاطف والنفس الطويل .

وإذا كان « عبد المطلب » لم يحلق كما كنا نود فى « العلوية » فإنه تسامى فى « ظل البردة » التى وقفها على سيدنا محمد ﷺ معارضا للبوصيرى ...

وله فى كل الأحوال فضل الريادة فى الوقوف أمام الشخصية العلوية من زواياها المتعددة ، فجلاها بالشعر ، وخلدها فى مطولة تحمل أسمه إلى يومنا .

المدخل الاسلامى للطب ـ بقية

ويمتد البر والعدل إلى غير المسلم سواء فى ديار الإسلام أو حتى فى مجال المعركة بين الحق والباطل . فالرعاية الطبية حق للأسير ، وقد أمر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أتباعه بعد معركة بدر أن يكرموا الأسرى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغذاء .

٧ ـ صيانة الحياة غير البشرية فى الحيوان والطير . وإذا كانت التجارب على الحيوانات عاملاً فى تقدم الطب والعلاج ، فإن ذلك لابد أن يتم فى حدود الرحمة التى أقرها الإسلام لكل كائن حى .

وينتهى المؤلف فى هذا الباب إلى تحديد التوجيهات الإسلامية التى يستهدى بها الطبيب المسلم فى سلوكه المهنى ، فلا يقوم بعمل إيجابى من شأنه انتهاك حرمة الحياة ، وتمتد رعايته بالمريض مهما كانت حالته ميئوسا من إنقاذها ، فليس هناك فى الإسلام ما يسمى القتل بدافع الشفقة على المريض الميئوس من شفائه ، فالروح ملك لله تعالى والحياة هبة من الله ، وليس لأى كائن حق التصرف فيها .

فهرس العدد

الافتتاحية « ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً »
د / على الخطيب ٤١٧
مع الإمام الأكبر « رسالة إلى الإمام الأكبر وجوابها » ٤١٩
لقاء فضيلة الإمام الأكبر ووفد من البرلمان السويدى ٤٢٥

مثل فى الكتاب العزيز
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعى ٤٣٠
رؤية إسلامية للديمقراطيات الغربية
لواء أ . ح د . فوزى محمد طايل ٤٣٣
الربا والوديعة المصرفية
د . أحمد فهمى أبو سنة ٤٣٨

من تراث الشيخ الطير « كيف يحيى الله الموتى »
للشيخ مصطفى محمد الحديدى ٤٤٠
العمل للآخرة
للأستاذ محمد صابر الرديسى ٤٤٤
حق المرأة فى الميراث
د . محمود محمد رسلان ٤٤٧
تعدد الزوجات فى الإسلام
للأستاذ محمد بركات السيد ٤٥٠
عمر بن عبد العزيز « حياته ـ خلافته »
للأستاذ الدكتور عبد العزيز غنيم ٤٥٤
أضواء على رحلات اليهود
للدكتور محمد حسن عبد الخالق ٤٦٠

الفتاوى
للشيخ على حامد ٤٦٤
من أعلام الأزهر «الشافعى الصغير»
للأستاذ حسين خضيرى موسى ٤٦٦

العلوم الكونية

المدخل الإسلامى للطب
تقديم الإمام الأكبر شيخ الأزهر
تأليف : أ . د . إبراهيم عبد الحميد الصياد
عرض وتحليل : أ . د . أحمد فؤاد باشا ٤٧٠
قضيــة اريتـــريـــا
للأستاذ ماهر زكريا الشيمى ٤٧٥

الشعر والشعراء
إشراف د . حسن جاد

يـــــــارب
شعر : أحمد المنشاوى ٤٨٢
انتفاضة الأشبال فى فلسطين
شعر : عمر موسى البرعى ٤٨٣
العنــويــة
د . حلمى محمد القاعود ٤٨٤
طـرائــف .. ومواقــف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٤٨٨
من روائع الماضى بمجلة الأزهر « نظر الإسلام إلى النفاق والمنافقين » .
إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات ٤٩٠

اللغة والأدب والنقد

كتـاب الوحـوش
تحقيق أيمن محمد ميدان ٤٩٤
المخدرات من القلق إلى الاستعباد
تأليف : د . محمد محمود الهوارى
عرض وتقديم : أحمد تقى الدين ٥٠٠
الإمام على كرم الله وجهه
للأستاذ السيد حسن قرون ٥٠٦
مـن خيـر مـانشـر
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ٥١٠
أنبـــاء وآراء
للأستاذ عبد المنعم فودة
صفوت عبد الجواد ٥١٢

القسم الانجليزى
إعداد : د . انس مصطفى النجار

المقالة الثانية
بقلم / لطفى على سلطان ٥٢٢
المقالة الأولى
بقلم / د . أنس مصطفى النجار ٥٢٦

universe, and that all mankind equal. Discrimination based on race, colour, class, sex or territory is unfounded and illusory. It is a remnant of the days of darkness and ignorance which had chained men down to servitude. Humanity is ALlah's family, one single family, and there can be no sanction for those barriers. Islam gives the revolutionary concept of the unity and equality of mankind. Islam came to unite humanity on Allah's Word, to restore man's dignity and to establish all the known human values, principles and rights.

The establishment and application of these social rights and precepts were fully developed and practiced long before contemporary civilization began to think of them. Islam established equality, freedom, fraternity, cooperation, and justice, as well as many other principles of human values, fourteen centuries ago. The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) preached them and put them fully into practice.

The unity of mankind was, and still is a fundamental doctrine enunciated by Islamic teachings. Having shown man his rightful place in the scheme of Creation and given him knowledge of his inherent purity and goodness; the universal unity of mankind became a major requirement. The fraternity of man dissolves inequalities and distinctions of race, colour, sect or creed. Some of the cleavages were the result of man's selfishness and arrogance, and his superiority and distinction over others in matters of powers and skill.

Islam is distinguished that it preached effectively that all mankind is an integrated brotherhood, that they are all the progeny of Adam, and that mankind is of clay. A moral obligation is incubent upon every Muslim male or female, to be mindful of the interest and welfare of others. To eliminate friction and to promote unity, love and abiding fraternal relationship between man and man, both the Qur'an and the traditions of the Prophet call upon mankind to develop the sense of catholicity in life and care for each other : "O you mankind ! Surely, we have created you a male and female, and made you peoples and tribes that you may identify and care for each other; surely the noblest of you in the sight of Allah is the one among you most God-fearing and most mindful of his duty (Surat Al-Hijurat, XLIX, 13).

Islam alone enjoins upon its followers to believe in all the previous prophets and apostles - including, of course, Moses and Jesus, without any reservation. Centuries of education and advancement and contact with Islam had led other peoples also to regard man as man, but even today to many, it is only an ideology to which lip service is occasionally paid. The feeling of fraternity is yet to be imbibed by the majority of men.

Islam presents a unified view of the world and offers to vision of an integrated universe. It is not a mere metaphysical concept or just a jumble of barren words. it is a dynamic belief and a revolutionary doctrine. It indicates that all men are the creatures and subjects of Allah, the One, the Almighty, the Creator, the Sovereign of the

state of society and it continued to flourish even when the progress of material civilization had done away with its necessity .... Christianity, as a system and creed, raised no protest against slavery, enforced no rule, inculcated no principle for the mitigation of the evil".

This evil was so intertwinded with the economic and social life of the people that it could not be eliminated only by a decree against the usage or by sudden emancipation of the slaves.

Before the coming of Islam, a large section of mankind gave a very low place to iself in the Scheme of Creation. The age of science and understanding of the forces of nature and their application to man's service had not till then dawned.

The discoveries of science, the harnessing of the forces of nature to man's own service, inventions and mastery of space and the seas. The ingenuity and skill have made mankind more confident of himself and made him realise that he is far superior to all other creatures. Although this fear and reverence of the mighty forces of nature may now seem unbelievably yet even today quite a large section of mankind has not rationally examined its beliefs. The doctrines of Islam raised humanity to the dignity which was its due and proclaimed in a resounding voice "that mankind was the vicegerent of Allah on earth. The human creation was specifically qualified with knowledge, intelligence, innovation, thought, judgement, understanding and initiation. The whole cosmic universe was created to be subservient to mankind.

In several verses of the Glorious Qur'an, Allah revealed to man his true position and status in the Scheme of Creation, and exhorted him not to fear and not to worship anything or anyone save Allah, the Almighty Creator. Mankind should indeed challenge his true inner honesty of thought and build up a rationale justification of the Scheme of Creation, and identify his position and purpose in that collossal structure of the Inifinite Universe. The teachings of Islam devoted a dignified place for man in its message and approach. It is this principle that was the foundation of human rights convenants in the modern age. Islam also incorporated its principles and rules on man's dignity and human justice which are now known as public freedoms and interests. It has further established a tight relation between these ordinances and the basic belief of the Oneness of Allah. This relationship is the cornerstone for the Islamic message.

his message, he found his countrymen, in general, slaves to the most gross and stupefied idolatry. The paganism of the Sabians had overrun almost the whole nation. From Persia, the eastern tribes had caught much of the superstitions of the Magians. There were indeed numbers of Jews and Christians. The former had several considerable establishments and many whole tribes had embrased the Mosaic Creed or the Gospel; "but their conduct and principles" - writes Professor Standish Grove Grady - " little deserved the titles they assumed." "And the Eastern Churches" continues Prof. Grady, "were divided and convulsed by scholastic disputes in which, instead of the mild and forbearing spirits of Christianity, nothing but mutual rancour, malice and uncharitableness prevailed, whilst the pure and simple worship inculcated by its Divine Author had degenerated into mere outward show, expressive only of a debasing and idolatrous superstition".

Severity, injustice, tribal feuds and wars were rampant everywhere, and assertion of superiority of one over the other was the order of the day. Professor Bosworth Smith remarks "As to the Pagan Arabs, the nice distinctions of property were imperfectly understood; each tribe was governed by its own law and disputed causes were either referred to the determination of the chief or (more frequently) decided by an appeal to the sword. Private revenge was not merely tolerated, but encouraged, and its justice and necessity inculcated. Hence, every dissension was the occasion of either a single combat or of civil war.

Indeed, half pagan half Christian, half civilised and half barbarian, it was given to Muhammad in a marvellous degree to unite the peculiar excellences of the one with the peculiar excellences of the other.

When Islam appeared in Arabia, women held a very low position in the society. They were treated not only as social inferiors but like slaves and chattel. When a man having many wives died, the latter were inherited by his sons as moveable property. It was a mark of dishonour and disgrace for any man to have a daughter, and many preferred to bury alive their female children rather than face social opprobrium.

Slavery with all its attendant evils was a well entrenched institution in the economic and social life of Arabia as in so many other parts of the world. It had existed from times immemorial. As Amir Ali says in his book "Spirit of Islam". The practice of slavery is coeval with human existance. Historically. its traces are visible in every age and in every nation. Its germs were developed in a savage

liberty, equality, social justice and human fraternity, at a time when world humanity suffers so terribly at their hands and undergoes disputes, wars, revolutions, poverty and social instability.

Throughout the history of mankind, the human race has always endeavoured to organize a system by which human individuals may live in libery, equality, justice and freedom. Examples of the Magna Charta, the Ancient Egyptians, the Helenic Empire, the Roman Empire, more recently the French revolution and several others and the Declaration of Human Rights proclaimed by the United Nations Organization in 1948. The ultimate result was and remains to be that all these man-made systems always proved impractical, incomplete and a failure. Nothing was permanently achieved and nothing was sustained. Everything collapsed and vanished. Nothing remains of the system except the barren stones of their monuments.

Divine Messages were dissiminated to mankind on the tongues of selected Apostles and Prophets, starting from Adam and ending by Muhammad (peace and blessings from Allah upon them all). Each of these messages comprised a code of practice for the life of mankind at that particular stage. That code was simple and specific in commandment to accomodate to the mental faculty at the time. As the human mental capacity developed; Divine Messages became more elaborate; Judiasm, Christianity were much more constitutive than previous Divine Messages. The genesis of religious development terminated by the Divine Message of the Holy Quran, as the most complete and comprehensively integrated system to govern every detail of human life.

Before the coming of Muhammad, the Prophet of Islam, in 610 A.D., the sixth century was an age of ignorance - in Arabia and elsewhere - in which moral rectitude and the spiritual code had long been forgotton. The tenets of religious codes and divine revelations, which the Prophets had brought to every nation in different ages and climes, had been replaced by superstitious rites and dogmas. The pages of history reveal that the whole world in that age was plunged in barbarism, ignorance, illiteracy, conceit, cruelty, envy, pride, arrogance, power and self-aggrandizement. That was not all. Man was set against man, creed against creed, cause against cause, race against race, and colour against colour. That was the nadir of degradation to which mankind had fallen.

In Arabia, when the Prophet of Islam started to preach

ISLAM AND HUMAN VALUES

BY : Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons), M.Ed., M.A.

The most important values and principles which the enlightened consensus of mankind upholds in the twentieth century are briefly summarized in the following aspects of human life. Equality, Dignity, and Fraternity. Freedom of individual and society, Freedom from slavery and exploitation. The preservation of Feminine rights and their spiritual equality. The integration of mankind in a feeling of unity, irrespective of their differences regarding race, colour, and social rank. The practice of Religious tolerence, the value of universal education and scientific knowledge. The dignity of manual labour, the renunciation of arrogance and false pride, the foundation of society on the priciples of Justice and Human Rights. It is really a great pity that in this age of learning, progress, enlightenment and civilization; one observes that though humanity has achieved vast material progress, yet all this is aimed at as lust for power, conquest and domination. Humanity seems to be reverting to the early ages of ignorance and unprofundity.

Might is held to be the major aim of civilization. It would be quite well and desirable to wield might to prevent oppression, aggression, and persecution, in order to protect and safeguard right and right owners from tyranny and defeat. Unfortunately, this mighty power is used to humiliate the less powerful and exploit their natural resources. This results in humanity falling completely in the grip of the strong whose greed for domination knows no bounds; makers of war machines and destrctive weapons; and designers of space conquest for more sovereignty over the inhabitants of other nations.

Such policy is characteristic of major powers that influence the international relations of nations of the world to their favour, therefore, hampering genuine endevours towards real mutual understanding and actual peaceful co-existence. The catastrophe lies in the fakery that such powers exhibit when they spuriously support the values of

tyranny or any form of subjugation. The Christians of Negran were left free in their faith, free to choose other land, outside the Arab Peninsula and were granted absolute total freedom of worship.

The Muslim populous at Al-Madinah were not surprised that Omar ibn Al-Khattab evacuated the Christians of Negran, and were expecting that Omar would also evacuate the Jews from Khaybar. Such decisions were understood as being towards the total theopolitical unity of the Muslim Nation in the Arab Peninsula. The Muslim populous were, however, surprised that Omar chose Abu Ubayd Al-Thaqafi as commander of the Muslim forces marching to Iraq. They expected that Omar would nominate one of the Muhagereen or Ansars, but Omar insisted to give the command to Abu Ubayd because he was the first to volunteer for the Iraq campaign, when for three days, nobody advanced to volunteer. The Muslim Ummah at Al-Madinah were still were surprised that Omar ibn Al-Khattab removed Khalid ibn Al-Walid from the command **of** the Muslim forces in Syria, at a time when conditions were very critical against the Roman legions. The Muslims Ummah at Al-Madinah did not welcome the dictate of Omar that all prisoners from the Apostate wars were to be freed and sent to their tribes.

During the very early period of the region of Omar ibn Al-Khattab, certain compelling issues were to be resolved. The directives and decisions resolved by Omar regarding these issues were contrary to all expectations. The Muslim Ummah, however, knew the sagacity, forsight, and strength of Omar. He was correct and just. They rememberd his days as companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and his days as counselor to Abu Bakre when in the office of Khalifat Rassul Allah. His total devotion, and absolute sincerety were a significant side of his character. They did not challenge his resolutions, they supplicated Allah for his guidance and success; for in his success as the man in office, would be the prosperity of the whole nation.

As Abu Ubayd was marching out of Al-Madinah to Iraq, he stopped at the Masjid to take leave from Omar. Abu Ubayd and several others addressed Omar as "Khalifat Khalifat Rassul Allah". The title was too heavy repetitive and monotonous. As the crowd gathered, someone came up with the title "Ameer Al-Mumineen". This was very much welcomed, and from that day on, Omar ibn Al-Khattab was called Ameer Al-Mumineen.

Syrian Crusades. This would entitle them to have a share in the spoils of wars similar to other Muslim warriors. This dictate was not favourable to the tribes of Quraysh and the Ansars who had fought the battles against the Apostates. However, inspite of their resentment to the instructions of Omar ibn Al-Khattab, they could do nothing but obey. All prisoners from the wars against the Apostates were returned to their tribes.

A fourth issue emerged as an immediate problem during the early phase of Omar's office. That issue was the status of the Christians of Negran. At the time of the Prophet, the Christians of Negran had sent to the Prophet deputies to settle truce terms with Muslims. The main provision of terms was that the Christians would pay a recompense (Jizhiah) to ascertain protection and freedom of faith. During the reign of Abu Bakre, the same conditions of truce continued. When Omar ibn Al-Khattab came to office, he considered the issue from a different prospective. He sent Yailla ibn Ummayah to evacuate them from Negran. Omar instructed ibn Ummayah to evacuate all who remained in the Christian faith, to survey the land taken from those who are evacuated, give them preference to choose other lands for relocation, and do not subdue nor tyrannize them, and inform them that their evacuation is conforming with the injunctions given by Allah and His Messenger that there should not be two faiths in the Arab Peninsula.

This action of Omar ibn Al-Khattab was certainly a resolution of great achievement towards the complete theopolitical unity of the Arab Nation in the Arab Peninsula. It was very essential in the mind of Omar that the legislative constitution of the Muslim Nation should be consolidated into one main constitution without infringement because any particular sect of the population. The Arab nation at that time enjoyed theopolitical unity under the constitution of Islamic Doctrines. This Islamic law was basically different to some Christian precepts. Islam prophibits usury, and Christianity does not; Islam prohibits intoxicants, and Christianity does not; Islam is belief in Monotheism, and Christianity is a belief in Tritheism. These Islamic injunctions at that time were the essential elements of the constitution and the solid foundations of the nations unity. It was vital not to have a sector of the society who were not adherents to these Islamic injunctions. Omar ibn Al-Khattab deserves praise for his action. He excuted his policy to achieve maximum unity and cohesion between the various elements of the society. This was done without despotism,

several hundred men from the people of Al-Madinah. Omar insisted to appoint the first to volunteer to command this contingent of thousand men, who were dispatched to strengthen the Muslim forces at Al-Hirah in Iraq. Omar appointed Abu Ubayd Al-Thaqafi to command the army and advised him, and ordered Al-Muthana back to Al-Hirah to wait the reinforcement. The dispatch of reinforcements to Iraq was the first of the several problems facing Omar ibn Al-Khattab in his new function as head of the Muslim state.

The second problem was the Syrian campaign, where the Muslim forces were making no progress whatsoever against the Roman legions. The situation was stagnant, and Muslim warriors were becoming restless and lossing their enthusiasm. On the other hand, Omar ibn Al-Khattab did not approve of Khalid ibn Al-Walid to remain in command of Muslim troops on the Syrian front. Several instances of unorthodox conduct on the part of Khalid during the wars against the Apostates, were still vivid in the mind of Omar. During the reign of Abu Bakre, Omar was not in a position to take radical action, and Abu Bakre had his justification of weighing issues at the time. Now, Omar was in office and he decided to relieve Khalid from the command of Muslim forces in Syria. Omar wrote to Abu Ubaydah ibn Al-Garrah to command all Muslim forces in Syria and that Khalid was to command only the army which Abu Ubaydah had commanded. Several postulations have been presented to explain the reality of why Omar ibn Al-Khattab removed Khalid ibn Al-Walid from the command of Muslim forces in Syria at a time when Khalid was at the summit of his success as a military commander, and with a full record in battle that supported that eminent reputation. The exact justification could not in reality be conceived, however, the facts were that there was absolute loss of confidence between the two men and lack of mutual trend of thought. Such attitudes could not continue between the head of state and the commander of its fighting forces. Khalid ibn Al-Walid was replaced by Ubaydah ibn Al-Garrah as commander. These orders were dispatched to Abu-Abaydah ibn Al-Garrah by a special courier Mahmiah ibn Zaniem and Shaddad ibn Aus.

The third dictate that took place soon after Omar ibn Al-Khattab came to office; was that he ordered that all men women and children who were taken prisoners during the Apostate wars, to be freed and sent back to their tribes. These tribes had come back into Islam and confessed allegiance to the authority of Abu Bakre at Al-Madinah.

This action was inducive to great jubilation among the tribes who became willing to take active role in the Iraq and

OMAR IBN AL-KHATTAB

COMPELLING ISSUES

By : Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., ph.D

Abu Bakre Al-Siddiq died at sunset on the twenty first of Jummadah Al-Akhira of the thirteen year of Al-Hijrah (22nd August, 632 AD). He was buried in the same place as the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Omar ibn Al-Khattab took part in the burial of the late Khalifah of Rassul Allah. After the interment was complete, Omar walked home alone, thinking of what the morning had to bring. He was now the successor of Abu Bakre in the office as Head of the Muslim State. The following day will witness the throngs of the Muhagereen and Ansars crowding into the Mosque to give him fealty and officially announce him the Head of the State. How was he to face the heavy burden of his new function. There were compelling issues of major importance that had to be given immediate attention. In some, he was to follow the same policy as his predecessor, and in other issues, Omar was to follow his own mental aptitudes and understanding.

Al-Muthana ibn Harithah Al-Shaibani was at Al-Madinah. He had come from Iraq to convene with Abu Bakre to supply him with reinforcements in order to confront the Persian forces that were gathering against Muslim troops in Iraq. The Muslims were at Al-Hirah unable to advance, and in a position where even defence strategy may prove very difficult. Abu Bakre had specifically indicated to Omar to give first priority to the requirements of Al-Muthana, and to send forces in support of Muslim warriors in Iraq. After noon prayer, when the Muslim congregation had ended their prayers, Omar announced his request for volunteers for the Iraq campaign, there was no response. This had a depressing effect on Omar and Al-Muthana. The same request was announced on the following day, again with the same negative response. No body was willing and eager to volunteer for the Iraq campaign. On the third day, both Omar and Al-Muthana spoke to the people motivating and urging them to volunteer to join the Muslim forces at Al-Hirah in Iraq. Finally, Abu Ubayd Amrc ibn Massoud Al-Thaqafi and Saleet ibn Qays, were the first two men to volunteer for the Iraq campaign. They were followed by

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART V

JUMMADAH AL-ULLA 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

"Compelling Issues"

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Islam and Human Values

By: Loutfi Ali Sultan.

> "Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ
يناير ١٩٩٠ م

الجزء السادس
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

المكتبة الأزهرية

إلى جولة جديدة .. !

تردد كثيراً على لسان بعض المصرفيين ، ومن والاهم من رجال الاقتصاد ومحبى اعمال البنوك ان الحديث فى اعمال البنوك من وجهة احكام الشرع الشريف فى حاجة إلى تؤدة ووقت ودراسة !!

لمـــاذا ؟!

القرآن جديد سوف يَتَنَزَّل ...؟

ام ان دراسة الفقهاء المستمدة من مصدريها الشريفين : الكتاب والسنة ستتغير ..؟

ام لهُدًى يَهْدى به الله ـ سبحانه ـ هذا البعض من رجال الاقتصاد فيجنحون باعمال البنوك إلى الشريعة فتمارس البنوك اعمالها على قواعدها الشريفة فتطهر من رجس الربا ، وذل اقبح المعصية وامقتها إلى المولى ـ جل وعز ..؟!

فأما الأولى فما إليها من سبيل ؛ فقد ختم الله الرسالات ، وصَدَّق على الإسلام بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ وختمت النبوة فلا نبى بعد محمد ـ صلى الله عليه وسلم : فهو « رسول الله وخاتم النبيين » .

إذن لا قرآن جديد ، و « لا تبديل لكلمات الله » .

﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ .

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ .

وأما الثانية فلن يُحْدِث فيها إلا « زائغ » فأما « الفقيه المختص » الذى توفر على شروط العلم بالأحكام ودرس مذاهبها ، وتعمق فى اختصاصه فأحاط بمعالمها بسند المصدرين الشريفين ، فلن يزيغ عن أحكامها ولن يقول لأى الناس ما يرضون ، ثم ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وهل منعت أحكام الشرع الشريف محبى الربا من التعامل به ..؟!

ما كان ذلك ..؟

فَلِمَ الحرص ـ إذاً ـ على كلمة باسم الدّين تهوى بالناس إلى الجحيم ؟!

لا علينـا !!

فأما الثالثة ..؟

تلك التى نرجوها ، ونتمناها أمنية طيبة تتبدل خلالها (تُرُوس) العمل بالبنوك .. وتتغير معها ممارسة العمل القائمة إلى تطبيقات هذه الشريعة ، فتطمئن القلوب ويرضى الناس .. كُلُّ الناس !

وما المانــع ؟

أليس أولى بالمجادلين أن يتركوا ما فيه هذا العناء إلى الطيب من العمل والحلال من المال ..؟

إن « الغراب » أسود .. ولن يكون « أبيض » بحال ، فذروا ما بقى من الرّبا إن أردتم رضوان الله ، ولا تطلبوا المستحيل ، ثم إن أردتموه فاطلبوه فى غير كتاب الله ـ تعالى ، وبعيداً عن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وهل كان نظام البنوك إلا رباطاً فوق رباط من فوق رباط اختنق به العالم الثالث ، وهو صاحب النعمة التى تسيل من تحت قدميه ؟ فضلاً عما فيه من ظلمات بعضها فوق بعض .؟

وبعــد :

أيها السادة : ما تقولون فى « جوائز اليانصيب » ؟

أليست حراماً بلا جدال !!

كذلك هى جوائز شهادات الاستثمار « جوائز اليانصيب » .

ليست تلك شهادتى .

إنها كلمة الدكتور عاطف صدقى والدكتور محمد الرزاز فى كتابهما:« الوجيز فى المالية العامة » ص (٢٦٥) .

د. على أحمد الخطيب

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق

التى ألقاها فى الاجتماع الثالث "للجمعية العامة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية" بالكويت فى ٢٦ من شهر ربيع الأول ١٤١٠هـ - ٢٦/١٠/١٩٨٩ م

● **الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ...**

وبعد ،،

فهذا هو الانعقاد الثالث « للجمعية العامة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » الذى عمر بهذا الجمع الكريم من اهل الخير ورواده الذين جاءوا فرحين مستبشرين بما أفاء الله به على رجال هذه الهيئة من توفيق إلى عمل الخير الذى استهدفته ، وفى سبيله قد نهضت إلى معاونة اليتامى والفقراء وذوى الحاجة ومن نكبوا فى الكوارث والمجاعات ، كما عملت وتعمل على نشر الثقافة الإسلامية والتعريف بقيم واخلاقيات الإسلام .

وفى سبيل تيسير تحقيق هذه الأهداف تقوم بإعداد الدراسات العلمية التى تتعرف بها على واقع المسلمين ، وبوضع الخطط والبرامج المناسبة للواقع الذى تستظهره هذه الدراسات .

ولما كان للعلم دوره الفائق فى النهوض بالمجتمعات وكان الإسلام قد حث على طلب العلم والمزيد من التعليم ، نشطت « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » إلى إنشاء المساجد والمؤسسات التعليمية والاجتماعية والصحية والثقافية ودعم القائم منها مادياً ، وتطوير وتنشيط رسالتها ، كما تبادر إلى تقديم المعونات النقدية والعينية فى حالات المجاعات والكوارث ثم تكوين الجماعات العاملة المنتجة المعتمدة فى حياتها على العمل المثمر ، صناعة أو زراعة أو تجارة ، فلم تشجع على قيام مجتمع اليد السفلى وإنما تقيم دائماً مجتمعات اليد العليا .

وعملا بمبدأ التعاون على البر والتقوى حرصت « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » على التنسيق مع المؤسسات والهيئات العاملة فى هذا الحقل .

وكانت بحمد الله من الهيئات الهامة التى سارعت إلى المشاركة فى تأسيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الذى انعقدت هيئته التأسيسية لأول مرة فى سبتمبر ١٩٨٨ « بالأزهر الشريف » بالقاهرة .

←

كما تم الانعقاد الثانى لهذه الهيئة فى سبتمبر ١٩٨٩ .

إن المتتبع لنشأة « الهيئة الخيرية » وخططها وبرامجها يجد أنها مع الشعوب الإسلامية فى كل مكان :

فهى تدعم المسلمين فى « سنغافورة » بمشروعات التعليم وتقديم المساعدات كما قامت على دعم « المجلس الأعلى الاندونيسى للدعوة الإسلامية » فى مشروعاته التعليمية الإسلامية ومساندته فى مشروعاته .

وفى « الفلبين » اقامت مستوصفا تابعا لمركز الشباب المسلم فى مدينة « مراوى » .

ولقد امتد نشاط « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » إلى « السويد » حيث ساندت المسلمين هناك فى إقامة المركز الإسلامي بمؤسساته المتنوعة والذى كان أملا ، فصار حقيقة واقعة ـ يقوم بمهامه فى خدمة الإسلام والمسلمين ـ حيث يعمل على حفظ الدين ويعينهم على إقامة شعائر الإسلام فى تلك البلاد .

ولقد توالى بريق « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » إلى « السودان » و« مصر » و« مالى » و« اليمن الشمالى » و« أسبانيا » و« أنقرة فى تركيا » وإلى غير هذا من أوطان المسلمين .

إن الذين احتسبوا أنفسهم وجهودهم لعمل الخير والدعوة إليه والسعى للتعرف على حاجات المسلمين وقضائها وتخفيف الويلات عن المنكوبين وإغاثتهم حفاظا على أنفسهم وعلى دينهم الإسلامى أحق بالتقدير وبالمساندة بالجهد وبالمال وبالفكر المثمر المحقق للأهداف والمقاصد الإسلامية .

وتمتد ثمرات جهد « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » إلى المجاهدين فى « افغانستان » وإلى الأبطال الكبار الصغار الذين فجروا ثورة الحجارة فى « فلسطين » يفتدون المقدسات الإسلامية بارواحهم ويحمونها باجسادهم من أولئك الذين فقدوا مقومات الإنسانية ، وبغوا وافتروا على الله وعلى الناس كذبا ، هؤلاء الأطفال الأبطال فى حاجة ماسة إلى وقفة تشد من ازرهم وتظاهرهم إلى النصر المرتقب بإذن الله .

إن « المسجد الأقصى » وكل « فلسطين » فى حاجة إلى دعم مادى ومعنوى يثبت فيهم الاقدام فى هذه المعركة غير المتكافئة بين أطفال عزل إلا من الإيمان الذى وقر فى قلوبهم فامتلأت صدورهم بالشجاعة والإصرار على طلب حقوقهم ، وقد صبروا وصابروا ومنهم من قضى نحبه راضياً مرضياً ، ومنهم من ينتظر مثابراً محتسباً جهاده فى الدفاع عن حرمات « الأقصى » وسائر المقدسات وللدفاع عن عرض المسلمين عامة .

فكونوا أيها السادة معهم بكل عون وتأييد وناصروهم فى المحافل الدولية فإنهم منكم وإنهم يواجهون عدوا فقد كل المقومات الإنسانية إذ يطارد بقواته المسلحة بكل آليات الدمار والقتل أولئك الصغار الأبطال العزل إلا من الثقة والإيمان بنصر الله .

قولوا للعالم كله أن ينتصر للمظلوم بالتأييد والحماية ، وأن يمنع المعتدى الظالم من الاستمرار فى قسوته وظلمه ، وتدارسوا فى جمعكم هذا ماذا أنتم فاعلون لنصرة « الأقصى » واستنقاذه وصيانة أرواح بنى الإنسان فى « فلسطين » .

إن ميدان أعمال الخير متسع فى حاجة إلى كل جهد يبذل وإلى المال الذى تقضى به الحاجات وتقام المشروعات ويتكاثر الخير ويصل إلى مستحقيه ويعود ثوابه إلى من قدمه خالصا لوجه الله سبحانه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ ـ التوبة .

إن استباق الخيرات والتنافس فى مجالها يحمده الإسلام لأنه السبيل إلى التواصل والمحبة ، وخير الناس أنفعهم للناس ، ـ وصدق الله فقد أثنى على فريق من أهل الخير ـ أهل الإيثار ـ فقال سبحانه فى سورة الإنسان : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً . إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرًا . فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ .

باسم الوفود التى جاءت شاهدة هذا الانعقاد الثالث « للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » أحيى حضرة صاحب السمو أمير الكويت راعى الخير ومؤيد الخيرين العاملين من مواطنى هذا البلد الأمين .

وباسم هذا الحفل الكريم نقدر خطوات سموه نحو حماية الأقليات الإسلامية المضطهدة فى دينها وسماتها الإسلامية ونامل ان تتخذ منظمة المؤتمر الإسلامى برياسة سموه إجراءات حاسمة لوقف العدوان الإسرائيلى فى « القدس » وسائر « فلسطين » وحماية الشعب الفلسطينى وتمكينه من إقامة دولته على ارضه .

وباسم هذا الحفل الكريم نحيى ذلك الجهد المثمر الذى قامت به اللجنة العليا الثلاثية فى شأن مشكلة « لبنان » وما انتهى إليه اجتماع النواب اللبنانيين فى « الطائف » بالوفاق وذلك برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز .

ونأمل أن تنزل كل الأطراف فى « لبنان » عند هذا الوفاق وتلتزم به حتى يعود شعب « لبنان » سيد نفسه على أرضه وعضواً نافعاً فى موقعه من الأمة العربية ، وحتى ينتهى هذا الحال الذى ساد « لبنان » أعواماً مريرة انصرف فيها العرب والمسلمون عن القضية الأولى والهامة « فلسطين » ، وأنصح كل الأطراف فى « لبنان » بأن الصلح خير وأن النزاع يستتبع الفشل والهلاك .

مرة أخرى أشكر حضرة صاحب السمو أمير دولة « الكويت » وحكومته برياسة صاحب السمو ولى العهد على مايبذل « الكويت » على أرضه ومن خيراته لصالح الإسلام والمسلمين .

والأمل بفضل الله وتزايد النعم أن تتوحد جهود « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » عطاء للبر والخير متعاونة مع سائر الهيئات والمنظمات العاملة فى مجال الدعوة والإغاثة .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بوفد القساوسة الأمريكى برياسة الأسقف

روجى مايكل ماهونى

يوم الثلاثاء الثامن من ذى الحجة ١٤٠٩ هـ

الموافق الحادى عشر من يوليه ١٩٨٩م

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بوفد القساوسة الأمريكى فى مكتب فضيلته وهذا الوفد يتكون من :

١ ـ الأسقف روجى مايكل ماهونى أسقف لوس انجلوس ورئيس الوفد .
٢ ـ القس وليم هنرى كيلر .
٣ ـ القس روبر ايسترن .
٤ ـ القس ابريان هاير .
٥ ـ القس كونيلى .

ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر قائلا : لعل الرحلة إلى المشرق كانت مريحة .

فرد السيد رئيس الوفد قائلا : لقد زرنا العديد من الدول وهذه هى آخر مرحلة فى رحلتنا . وسنغادر القاهرة غدا إلى روما ، ويسعدنا أن نلتقى بفضيلتكم عشية وقفة عيد الأضحى عيد الفداء ..

وقال فضيلة الإمام الأكبر : شكرا لكم ومرحبا بكم فى الأزهر ونحن نفخر أن نكون فى مصر مسلمين وأقباطاً آمنين ، وهم أولاً وأخيراً أخوة مصريون وكل يعبد الله بطريقته ..

وقال السيد رئيس الوفد : إن أحد أهدافنا فى الشرق الأوسط هو البحث عن دور الدين فى إحلال السلام فى منطقة الشرق الأوسط ..

وقال فضيلة الإمام الأكبر : المعروف أن الإسلام من السلام ، وهو لغوياً مشتق من السلم والسلام ، والمسلمون دائما فى مصر وغير مصر يعملون على السلام ، سواء مع الله أو مع الناس ونسأل الله أن تنعم الإنسانية جمعاء بالسلام ، ولا يفوتنى أن أشير إلى أن الإسلام يؤكد على الأخوة الإنسانية كما يؤكد على الأخوة الدينية ..

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . ولكن السلام يجب أن يكون بمنطق العدل فلا يطلب من المظلوم

ما يطلب من المعتدى الظالم وأنتم تعرفون ما أعنى ، ولعل ما أشير إليه أننا فى الشرق ـ وفى مصر بوجه خاص ـ سواء كنا مسلمين أو أقباطا نعمل جميعا من أجل السلام ، ونأمل أن يعلم هؤلاء الذين يقتلون ويشردون ويخرجون الناس من ديارهم أن ينضموا إلينا فى الدعوة إلى السلام .

وقال السيد رئيس الوفد : إننا نشارككم الرؤية من أجل ذلك ..

وقال فضيلة الإمام الأكبر : يجب أن تتدخل الشعوب ـ ليس بالكلام وإنما بالعمل ـ من أجل السلام وكان بالأمس مستر « جى . سى جاكسون » فى زيارة لى هنا بمكتبى وخرج لزيارة أطفال انتفاضة الحجارة الجرحى الفلسطينيين ، وطلبت منه أن ينقل للشعب الأمريكى صور هؤلاء الأطفال لأننا نعلم أن الشعب الأمريكى على قدر عال من مناصرة الإنسانية ، ومرة أخرى أخاطب الشعب الأمريكى فى أشخاصكم ، أن العلاقة الإنسانية قبل العلاقة الدينية . ومرة أخرى أقول : إنه علينا أن نسعى لإقرار السلام فى جميع أنحاء العالم ..

وقال السيد رئيس الوفد : هذه هى روح الرسالة التى ينادى بها البابا جون بول الثانى وهى الحفاظ على كرامة الإنسان . وفى أثناء زيارتنا لإسرائيل قمنا بزيارة القرى والنجوع وشاهدنا كيف أن الناس متعطشون لإقرار السلام . وعند عودتنا إلى بلدنا سوف ننقل لهم تلك التجربة وكيف يتوق الناس إلى إقرار السلام .

وقال فضيلة الإمام الأكبر : المهم أن يتبادل الناس الرأى والعمل من أجل إقرار السلام بطريقة جدية ، وأعتقد أنه كان جميلا أن تتجمع أمريكا وأوروبا من أجل الاحتجاج على الصين عندما حاولت قمع اضطرابات داخلية بطريقة غير إنسانية حتى أن الأمر وصل إلى حد التهديد باتخاذ إجراءات فى حين أن الانتفاضة التى استمرت أكثر من عام لم يحدث أى ـ شىء مماثل ضد إسرائيل . مع أن انتهاك حقوق الإنسان فى الصين وفى الأراضى المحتلة أمر واحد فأمريكا عليها عبء أن تقف بجانب المظلومين وليس بجانب الظالمين ، لأنها الدولة العظمى التى على رأس الدول الديمقراطية . وحين يتوجه كل منا إلى مسجده أو معبده يدعو الله تعالى أن ينقذ الإنسانية ، لكن الإيمان بلا عمل لا جدوى فيه . والإيمان بأن هناك ظلما يجب أن نعمل جميعا على رفعه ، وهذا ما آمل أن يقوم به الوفد الكريم باطلاع الشعب الأمريكى على ما رآه ، بل وما سمع به عن كارثة لبنان من مآس يندى لها جبين الإنسانية ..

مرة أخرى أرحب بحضراتكم فى الأزهر الشريف ..

واختتم السيد رئيس الوفد حديثه قائلا : نشكر لفضيلتكم كرمكم وندعو الله أن يعم بركاته علينا ..

حضر اللقـــاء
مجــدى الأنــــور
المترجم بمكتب شيخ الأزهر
راجعه وصححه/الشيخ/عمر البسطويسى على
بالشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر

من نعم الله علينا

الإحياء .. والتسخير

للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

قال سبحانه وتعالى من سورة البقرة : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

يسأل بـ « كيف » عن الحال ، وهى إحدى أدوات الاستفهام التى بها يطلب المتكلم أن يفهم من السامع أو من المخاطب ، فإن سأل عن الزمان قال : « متى » ، وإن سأل عن المكان ، قال : « أين » ، وإن سأل عن ذوات العقلاء قال ماقاله القرآن : ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَى ﴾ وإن سأل عن غير العقلاء وصفاتهم ، أو صفات العقلاء قال ما حكاه القرآن فى قصة البقرة : ﴿ مَا لَوْنُهَا ﴾ .

فإن ورد الاستفهام من الله انتقل من معنى طلب الفهم إلى معانٍ أخرى كالتوبيخ ، ولفت النظر ، وأهمية المستفهم عنه ، وغير ذلك مما يحدده السياق ، ويقتضيه المقام ..

وباب الاستفهام وأسلوبه وأغراضه من عظائم المهمات ولزوم ذلك لمن يريد أن يتدبر الكتاب العزيز .

وهاتان الآيتان تتحدثان عن نعمتين ، نعمة الإحياء ، ونعمة التسخير والانتفاع ، والمنعم سبحانه هو الذى أمدنا بالنعم فقال : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، وهذا النص الكريم يوضح لنا أن النعمة من الله تفضلٌ على المنعَم عليه وبلا مقابل ، وأين كنا حين قابلتنا عنايته ، وشملتنا رعايته ، ولم يكن فى أزله وجود أعمال ولا شهود أحوال ، بل لم يكن منه إلا محض الإفضال وعظيم النوال ..

وهو سبحانه يوبخ المعرضين عن المنعم عليهم ويذكرهم بنعمته فيقول : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ، وهذا يدل على أن كفر الكافر كان بمحض اختيار العبد ، فالله سبحانه خلق النافع والضار ، وترك للعبد الاختيار بعد أن بيّنهما له وقال : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً

﴿ وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ، ويُطلق الكفر على الكفران بالنعمة ، كما يُطلق على الكفر بالمنعِم وقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، ولا إحسان أنقى من إحسان الله ، إذ العباد كثيراً ما يحسنون فى مقابل ما يُعوضون به ، ولو احسنوا بلا مقابل فإنهم لا يقدرون على أن ينفعوا العبد الذى أحسنوا له ..

والنعم إما مادية كالمال ، وإما معنوية مثل : النعم الكامنة وراء العمل المادى مثل حنان الأبوين ..

والإحياء هنا مادى يتمثل فى الإيجاد من العدم ، ومعنوى يتمثل فى الإيمان الذى هو حياة القلوب ، وغذاء الأرواح ..

ومعنى قوله : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ أى منعدمين ، فأخرجكم من العدم إلى الوجود إذ الوجود أشرف من العدم ، وكون بعض الناس يفضلون العدم على الوجود جهلاً منهم فإن ذلك لا يبرر أن يكون العدم أفضل من الوجود ، وما ينسب إلى سيدنا عمر فى ذلك باطل لا أصل له ، فكفى الوجود نعمة أن يكون الموجود عارفاً لربه ، عابداً له يكل أعماله وانشطته ..

والتعبير بـ « الفاء » لسرعة الاقتدار ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ وليس الإيجاد متوقفاً على قول الله : ﴿ كُن ﴾ بل قدرته على التنفيذ أسرع من ذلك وقد أراد بما قاله تقريب المعنى للأذهان ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ قال المفسرون : لما كان الموت يتأخر عطفه بحرف (ثم) بخلاف الإحياء الأول المعطوف بالفاء ، والتعبير عن الموت الذى هو واقع لا محالة التعبير عن ذلك بالفعل المضارع الذى يدل على الحدوث والتجدد أراه بذلك يشير إلى حدوث موتات للقلب بسبب المعاصى التى تسوده وتران عليه . أما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ فإنه يحتمل أن يكون فى القبر ، كما يحتمل أن يكون عند البعث والنشور ، وقد ثبت عذاب القبر بالأحاديث الصحيحة ..

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، لا يعنى أن العباد قبل ذلك لم يكونوا فى قبضته سبحانه ، وإنما يعنى أن الرجوع هو الحساب والجزاء ، فالدنيا دار ابتلاء واختبار ، وقل ما يكون فيها الحساب العادل ، وإنما هو بين يدى أحكم الحاكمين ، وأصدق القائلين .

والناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وتستعمل (إلى) للغاية المكانية مثل قوله : ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، وللغاية الزمانية مثل قوله : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، وللغاية المعنوية كما قال : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ .

وقد خاطب القرآن الإنسان عملاً بظنه وأوهامه ، وإلا متى كان ذلك الإنسان خارجاً عن سلطان الله ، فنحن منه وإليه ، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ .

النعمة الثانية : نعمة التسخير ، نراها واضحة فى قوله : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ، وما كان الإنسان ليعرف ما يحتاج إليه لولا أن الله خلقه لنا ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ، ومعنى ﴿ مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ، أن الأشياء مباحة للإنسان فى حدود عدم الإضرار بغيره ، وجعل ما فى الأرض مباحاً يلفتنا إلى ما فى باطنها من كنوز ، وما على ظاهرها مما هو متاح لنا وعلى المسلمين أن يستنطقوا ما فى الطبيعة من كنوز وأسرار أودعها الله فيها للانتفاع بها واستغلالها لا لمجرد التأمل والتنعم بظواهرها ، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ .

يتأمل المتأملون ثم يأوون إلى فروشهم قانعين

←

من نعم الله علينا

بما استمتعت به أعينهم وغيرهم يجوب الأرض ويغوص فى البحار ، ولا حياة كريمة للمسلم إلا بما أمره الله ، فلا معنى للتسخير ما لم يكن المسلم قادراً على الانتفاع والاستغلال ، ولا مانع من أن يكون لفظ ﴿ جَمِيعاً ﴾ ، لجميع الناس وجميع الثروات ..

وكيف يستوطىء المسلمون العجز وفى أول دينهم تسخير الطبيعة ؟ ، وكيف يركنون إلى الجهل ، وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟ ، وكيف يستمدون الراحة وفى صدر تاريخهم عمل ما كان يعجز عنه غيرهم ؟ ، والحق أن العزة : ما وهبها الله المؤمنين إلا لأنهم أهل لها ، ويوم يكون قوتهم على غيرهم ، وما يحتاجون إليه فى يد سواهم ، فإن طلبهم للعزة ضرب من الخبال والتخبط والإعراض عما طلبه الله منهم وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ ، معنى ذلك تمام عناية الله بخلقه ، حيث أواهم وأظلهم ، والبحث فى أيهما خلق أولاً ، الأرض أو السماء لا يعنينا ، فحرف (ثم) كما يحتمل الترتيب والتراخى فى الإيجاد ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك للترتيب الذكرى ومعنى استوى إلى ، قصد ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ..

وتطلق السماء على كل ما علاك ، والتسوية هى الخلق والإبداع على أحسن نظام ، وقد أبهم ثم فسر فى قوله : ﴿ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ وكل ما وصل إليه العلم من تقدم لاأراه وصولاً إلى السماء الدنيا ، فقد قال سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ والذى يهمنا هو استغلال ما أتيح لنا لننعم به ولا نشقى على حساب مدنية فى جانب ، وإهمال جوانب أخرى . ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يغيب عن علمه شىء ، فبعلمه كشف ، وبإرادته خصص ، وبقدرته نفذ ، وانظر إلى صيغة المبالغة فى قوله : ﴿ عَلِيمٌ ﴾ لبيان أنه سبحانه أحاط بكل شىء علما ، ماغابت عنه جزئية كما ادعت الفلاسفة ﴿ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ . وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وقد قال علماء القرآن :

كل عام قابل للتخصيص إلا قوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ علم الواجب والجائز والمستحيل ، فهو سبحانه يعلم أن ليس له ولد ، وليس له شريك فى ملكه ، ويعلم كذلك أنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ويعلم كذلك ماكان ، وماهو كائن ، وما سيكون ، وما شاهده الخلق ، ومالم يشاهدوه : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَافِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ .

وبعد .. فقد ذكر كلًّا من الموت والإحياء مرتين ثم ذكر الرجوع إليه ، لينبه الإنسان إلى أن أهم خصائصه أن يقدر الأشياء حق قدرها ، وأن يشعر بأن أهم ما يميزه عن غيره هو أنه كائن مسئول ، وعليه أن يدرك أن مسئوليته ممتدة إلى الطبيعة التى هُيِّأت وسخرت له ، فإن قصر فى تضييع شىء فهو مسئول لا محالة ، إذ هو مكلف ، وكما أن الأوامر الإلهية تتعلق بأداء الشعائر ، هى كذلك تتعلق باستغلال الثروات المتاحة ، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ وإن الرجاء لغير المسلمين لهو علامة الخراب فى أخلاقهم ، إذ الرجاء يشع فى الراجى

ذل السؤال ، ويشع فى المرجو صلف المتصدق ، وإذا كان الزمن هو المادة (الخامة) لاستغلال المال وتحصيل العلم وكسب الصحة ، فكم أضعنا من كل ذلك ! ، إذ ليس هناك عقل يطلب الغذاء الروحى ولكن معدة تضج بالتخمة ، وغذاء العقول عندنا ـ فى الإسلام ـ بالعلم والبحث ، أما المعدة فإنها قد تضج وتصيح من ألم الجوع ، ومن العار أن ينسب ذلك إلى الإسلام الذى يشيع الحياة حتى فى الجامد الأصم ، وليت عندنا نفوس تألم من الجهل بدلاً من أجسام تخلد إلى الراحة .

والخطأ فى فهم السعادة يجىء من جهات : إما من تصورها على غير وجهها الصحيح ، وإما بمقياسها الفردى ، كأن الفرد آلة مستقلة لا أنهم تروس فى آلات ، وقد مُنح المؤمن من الحواس الباطنة والذوق ما قصر عن إدراكه القياس والدليل ، وفى العقيدة مد خيوط بين العقل والقلب ، وبين الأثمار والأشجار وبين الواقع والحس : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ ولن تفلح الأمة من غير ذخيرة تعتز بها ، ومجد تليد تعتد به ، ونعرة دينية تدعوها إلى الفخر والإعجاب ، وتباً لهؤلاء الذين يخلعون قلوبنا بالموت فنكون طعمة لمن يحبون الحياة ، وليس لنا من الماضى إلا ما يصلح للمستقبل بعد تنقيته وإبعاد ما فسد منه ، والمصلح يجب أن يرفض لبس تاج الفخر إلا أن يكون من نسيج ما سعى إلى تحقيقه ، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الاشتراك سنوياً

١ - جمهورية مصر العربية (٤,٨٠) اربعة جنيهات وثمانون قرشاً .
٢ - اتحاد البريد العربي الافريقي [بالبريد الجوي] (٣٥) خمسة وثلاثون دولاراً او ما يعادلها .
٣ - باقى دول العالم (٧٠) سبعون دولاراً او ما يعادلها .
وتطلب راساً من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر ..

الحمد لله .. والشكر لله

للأستاذ : محمد صابر البرديسى

عن ابى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
« كلمتان خفيفتان على اللسان ،ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .. رواه البخارى ، والإمام احمد ..

أولاً : اللغـــة :

(١) كلمتان : أى عبارتان أو جملتان ، وأراد بالكلمة الكلام من قبيل كلمة الشهادة .

(٢) خفيفتان : أى مستعارة للسهولة مع كونها تثقل فى الميزان .

(٣) حبيبتان : أى محبوبتان ، والمراد قائلها محبوب .

(٤) الرحمن : أى واسع الرحمة يجازى على العمل القليل بثواب جزيل .

(٥) سبحان الله : أى تنزيهه عما لا يليق .

ثانياً : ما يشتمل عليه الحديث :

(١) معنى الحمد والشكر .

« أ » معنى الحمد « ب » معنى الشكر

(٢) الشكر من دعائم سعادة الفرد والمجتمع .

(٣) شكر النعمة يزيدها .

البيـــــان

(١) معنى الحمد والشكر :

« أ » معنى الحمـــــد :

الحمد والشكر متقاربان ، والحمد أعمهما ، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية ، وعلى عطائه ، ولا تشكره على صفاته .

قال - صلى الله عليه وسلم - « الحمد رأس الشكر ، ماشكر الله عبد لا يحمده » .. وإنما كان رأس الشكر لأن فيه اظهار النعمة ، والإشادة بها ، ولأنه أعم منه ، فهو شكر وزيادة .

والحمد لله ، هو الشعور الذى يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله ، فإن وجود الحمد ابتداء ليس إلا فيضا من فيوضات النعمة الإلهية ، التى تحرك فى النفس الحمد والثناء ، وفى كل لمحة وفى كل لحظة وفى كل خطوة تتوالى نعم الله على الإنسان وتتجمع وتغمر خلائقه كلها ، ومن هنا

كان الحمد لله ابتداء ، وكان الحمد لله ختاما أساسا وقاعدة من قواعد التصور الإسلامي المباشر ﴿ وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ﴾ - سورة القصص آية رقم ٧٠ - .

وقد بلغ من فضل الله (سبحانه) وفيضه على عبده المؤمن ، أنه إذا قال الحمد لله كتبها له حسنة ترجح كل الموازين .

روى ابن ماجه ، عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدثهم أن عبدا من عباد الله قال : (يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك) فعضلت الملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى الله فقالا : ياربنا ، إن عبدا قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ، قال الله : - وهو أعلم بما قال عبده - « وما الذى قال عبدى ؟ » قالا : يارب إنه قال : لك الحمد يارب كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فقال الله لهما : (اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها) .. أى : اشتدت على الملكين هذه الكلمة فلم يعلما مقدار ما يكتب لها من الثواب ليكتباه لقائلها ، لأن أجرها عظيم لا يعلمها إلا الله تعالى ، ولم يطلعهما على مقداره .

والإنسان يحمد الله على كل حال فى السراء والضراء مع سعة العيش وفى الأمـراض والمصائب ، فهو راض من الله تعالى فى كل حال .

ونظر رجل إلى قرحة فى رِجْلِ ابن واسع فقال : (إنى لأرحمك) ، قال له ابن واسع : (إنى لأحمد الله عليها منذ خرجت ، إذ لم تخرج فى عيني) .

عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أول من يُدْعى إلى الجنة الحَّمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء » . رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى ..

وفى الحديث الذي بدأنا به « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان .. » فى ذلك تعريض بأن جميع التكاليف صعبة شاقة على النفس ، ثقيلة ، وهى (أى الكلمتان) خفيفة سهلة عليها مع أنها تثقل فى الميزان ثقل غيرها من التكاليف فلا يليق تركها .

(ب) معنــى الشــكر :

عرف العلماء الشكر بأنه ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة .

فالشاكر من يكون لسانه مشتغلاً بالثناء على ربه معترفاً له بنعمه ، ويكون قلبه مملوءاً محبة لله على هذه النعم ، وشهوداً بأنها منه فضل وإحسان ، وتكون جوارحه مشتغلة بطاعة الله استسلاما له وانقيادا .

لهذا كان الشكر من مظاهر العبادة التى دعا إليها القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ - سورة البقرة آية ١٧٢ - ..

والشكر طاعة مخصوصة يقدمها الإنسان لله على ماأولاه من نعم وماأجزل له من عطاء وهو شريك الصبر فى الفضل والكرامة ، وقرينه فى الشرف والمنزلة ، ونظيره فى الأجر والثواب ، لأن الإسلام نصفه شكر ونصفه صبر ، ولذلك ذكرهما الله معاً فى القرآن الكريم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ سورة لقمان آية رقم ٣١ - ..

وإذا كان الصبر من أكرم أخلاق المؤمنين ، فالشكر من أجل صفاتهم ، لأنه عنوان على كمال الإيمان ، ودليل على صفاء النفس ، وبرهان على قوة اليقين ، وتمام التوفيق .

فالشكر مفتاح سعادة الإنسان ، وسبب زيادة النعمة ، والحارس الأمين على دوامها ومن أقوى الروابط التى تربط الإنسان بالله ، قال تعالى :

الحمد لله .. والشكر لله ..

﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ ﴾ ـ سورة آل عمران آية رقم ١٤٥ ـ .

وكلمة الشكر من الكلم الجوامع التى تنتظم كل خير ، وتشمل كل مايصلح به قلب الإنسان ولسانه وجوارحه ، فالذى لا يحب الله ولا يشهد قلبه بأن مافيه من النعم إنما هو من فضل الله وإحسانه فهو ليس بشاكر .

(٢) الشكر من دعائم سعادة الفرد والمجتمع :

شكر النعمة يوطد دعائم الأمة ويصلح حال الفرد والجماعة .

أما كفران النعمة فيعرض الفرد للضياع والأمة للزوال ويهدد الجماعة ، والإنسان الذى يكفر نعمة الله ويكون غير مبال بها ويبددها بدون منفعة ويتلفها فى غير فائدة ويسير على غير المنهج الذى رسمه له الخالق فإنه يؤدى ذلك إلى غضب الله عليه والبعد عن رحمته .

والقرآن يخبر بأن ضياع الفرد والجماعة خراب الأمم كان سببه كفران النعم وعدم الشكر لله ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ـ سورة النحل آية ١١٢ ـ ..

فالشكر من دعائم سعادة الأمم ، والتنكب عنه يجلب الدمار والخراب ..

(٣) شكر النعمة يزيدها :

إن شكر النعمة يزيدها وهذا دليل على صدق الإنسان مع ربه ونحب أن نبين أن زيادة النعمة تكون بالشكر ، وزوالها يكون بالجحود والكفر ، ثم مايترتب على جحود النعمة من العذاب الشديد ونحب أن تطمئن القلوب أن الله وعد بذلك حيث يقول : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ ـ سورة إبراهيم آية رقم ٧ ـ ..

ولابد أن يتحقق وعد الله على أية حال ، إننا إذا أردنا أن نرى مصداق ذلك فى الحياة فإننا لانَبْعُدُ كثيرا فى تلمس الأسباب ، عندما نبحث عن الأسباب .

إن شكر النعمة دليل على اطمئنان النفس البشرية ، وإيمانها بالله ، فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعى فى الفطرة المستقيمة ولدى النفس المؤمنة .

إن النفس التى تشكر الله على نعمه تراقبه فى التصرف بهذه النعمة بلا بطر وبلا استعلاء على خلق الله ، وبلا استخدام للنعمة فى الأذى والشر .

والإنسان عليه واجب الشكر نحو خالقه فإن لم يفعل كان بذلك مقترفا أشنع أنواع الجحود والنكران ، ولا يمكن أن نكون مقربين إلى الله من غير شكره ، وهذا ما أمر الله به فى كتابه قال تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ـ سورة الجاثية آية رقم ١٢ ـ ..

ولكن الناس أمام هذه النعم قليلا مايشكرون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَايَشْكُرُونَ ﴾ ـ سورة يونس آية رقم ٦٠ ـ .

إن الحمد والشكر للمنعم سواء كان قولا أو عملا أو تسبيحا أو صلاة أو صدقة لايعود على الله (سبحانه وتعالى) من ذلك شىء ، كما لاتضره (جل شأنه) المعصية ، ولا كفر الكافر وإنما فائدة ذلك للعبد الشاكر ، والله غنى عن العباد .

البقية ص ٥٩٤

التابعون تلامذة الصحابة
عكرمة - رضى الله عنه

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

وبعد : فلما كان الصحابة - رضى الله عنهم - نجوما لا تخبو اضواؤها ولن تطمس شبهات الضلال انوارها فقد كثرت الكتابة عنهم ، لانهم خير قرن شاهد رسول الله ﷺ - ثم جاء التابعون الذين رأوا الصحابة ولم يروا رسول الله ﷺ فكانوا على منوالهم فعمهم الخير وكانوا خير قرن يلونهم ، أراد الله - توفيقا منه - أن نتحف القارىء بذكر نُبَذٍ ترشد إلى معرفة بعض تراجمهم ، لتكون انيسا عند كثرة الفتن وتذكرة للمقتدين برسول الله ﷺ وصحابته .

وسنتابع - بتوفيق الله تعالى - الحديث عن كبار التابعين من اصحاب عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - ثم أصحاب غيره الذين كان لهم قدم راسخة فى العلم وقدوة حسنة لمن جاء بعدهم فمنهم عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما :

اسمه : عكرمة بن عبد الله ، وكنيته أبو عبد الله ولقبه « البربرى » من البربر من أهل المغرب ، ثم المدنى الهاشمى ، كان مولى لحصين بن أبى الحُرِّ جد عبيد الله بن الحسين العنبرى قاضى البصرة ، فوهبه لابن عباس حين كان واليا على البصرة فى إمارة الخليفة الراشد على بن أبى طالب - كرم الله وجهه .

روى عكرمة عن أولئك الصحابة وسمع منهم :

عبد الله بن عباس وعائشة ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن عُمَر ، وعلى بن أبى طالب ، والحسن بن على ، وعبد الله بن عَمْرو ، وأبى سعيد ، وعقبة بن عامر ، والحجاج بن عمرو بن غزية ومعاوية بن أبى سفيان وصفوان بن أمية ، وجابر بن عبد الله ، ويعلى بن أمية ، وأبى قتادة وحمنة بنت جحش وأم عمارة ، ويحيى بن يعمر .

قال عكرمة عن نفسه : أدركت مائتين من ←

◄ـ عكرمة. رضى الله عنه

أصحاب النبى ﷺ فى هذا المسجد .

وروى عن عكرمة :

إبراهيم النخعى ومات قبله ، وأبو الشعثاء : جابر بن زيد والشعبى ، وهما من أقرانه ، وأبو اسحق السبيعى ، وأبو الزبير ، وقتادة وسماك بن حرب ، وعاصم بن بهدلة ، وعبد الكريم الجزرى ، وعبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل ، وأيوب ، وخالد الحذاء ، وداود بن أبى هند ، وعاصم الأحول ، وحصين بن عبد الرحمن ، وحميد الطويل ، وإسماعيل بن أبى خالد ، وإسماعيل السُدى ، وعمرو بن أبى عمر ومولى المطلب ، وموسى بن عقبة ، وعمرو بن دينار ، عطاء بن السائب ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، ويزيد بن أبى حبيب ، وأبو اسحق الشيبانى ، وهشام بن حسان ، ويحيى بن أبى كثير ، وثور بن يزيد الديلى ، والحكم بن أبان ، والحكم بن عتبة ، وخصيف الجزرى ، وداود بن الحصين ، والزبير بن الخِرِّيت ، وسفيان بن زياد ، والعصفرى ، وعبَّاد بن منصور ، وأبو حريز قاضى سجستان ، وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعبد العزيز بن أبى روَّاد ، وعبد الملك بن أبى بشير المدائنى ، وعثمان بن غياث ، وعثمان بن سعد الكاتب ، وعمارة بن أبى حقصة ، وعمرو بن هرم الأسدى ، وفضيل بن غُزوان ، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ، ومحمد بن أبى يحيى الأسلمى ، ومهدى بن أبى مهدى الهجرى ، ومحمد بن على بن يزيد بن ركانة ، وهلال بن خباب ، ويزيد بن أبى زياد ، والحسن بن زيد بن الحسن بن على ، وسلمة بن وهران ، وليث بن أبى سليم ، والنضر أبو عمر الخراز ، وأبو سعد البقال ، وخلق كثير .

قال ابن منده ـ فى صحيحه :

روى عنه زهاء ثلاثمائة رجل من البلدان منهم زيادة عن سبعين رجلاً من خيار التابعين ورفعائهم .

منزلته العلمية :

قال أبو نُعَيم عنه : مفسر الآيات المحكمة ، ومنور الروايات المبهمة وكان فى البلاد جوالاً ، ومن علمه للعباد بذالا .

وقال الشعبى : ما بقى أحد أعلم بكتاب الله منه .

وقيل لسعيد بن جبير : تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال : نعم . عكرمة .

وكان سفيان الثورى يقول بالكوفة فى روايتين عنه : خذوا التفسير عن خمسة .

عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، والضحاك .

وقال قتادة : أعلمهم بالتفسير عكرمة ، وأفتى عكرمة فى حياة ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ ..

وقال عكرمة عن نفسه : طلبت العلم أربعين سنة وكان ابن عباس يجعل فى رجلى الكَبْل ـ أى الحديد ـ ويعلمنى القرآن والسنن .

وقال فى رواية أخرى قال لى : انطلق فأفت الناس وأنا لك عون ، قال : فقلت له : لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لأفتيتهم . قال : فانطلق فأفتهم ، فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته . ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته ، فإنك تطرح عنك ثلثى مؤنة الناس .

وكان خالد الحذاء يسأل عكرمة فسكت خالد . فقال عكرمة : مالك اُجْبَلْت[1] ؟ قال : تعبت .

البقية ص ٦١٢

١ ـ أجبل الرجل : أخفق ، وأجبل : فشل ..

الدِّينُ القَيِّم وَالفكر المستنير

للأستاذ الدكتور السيد تقي الدين

إذا اردنا ان نحدد التدين المطلوب من الإنسان فلا بد من ان نعرف حقيقة الدين ومدى موافقته للفكر المستنير ، وذلك أن الدين فى العصر الحديث قد تعرض لهزات عنيفة ، فقامت ضده ثورات رُغْنٌ حاولت إطفاء نور الله لكن حدة الثورات انكسرت وظل نور الله ساطعا .

ومن ثم فنحن بحاجة إلى ان نعرف الأساس الذى يقوم عليه الدين القيم ونحن بحاجة إلى ان نعرف اهمية الإيمان بالله ، وكيف يتم الاتصال بين الله والناس ، ونحن بحاجة إلى نظرة تاملية فى الكون والطبيعة والإنسان من خلال القرآن الكريم وسيقودنا ذلك إلى الحديث عن العلم والدين والفرق بين المنهج العلمى والمنهج الإيمانى .

إننا إذا استطعنا ان نكشف النقاب عن وجه الحقيقة تجاه هذه القضايا نكون بذلك قد حددنا العلاقة بين الدين القيم والفكر المستنير .

ومن ثم يتضح التدين المطلوب من الإنسان العصرى .

فأولا : يقول الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ « الروم ٣٠ »

إلام تدعو هذه الآية ؟

وهل فى التاريخ الحديث مايؤيد هذه الدعوة ؟

هذه الآية تدعو إلى الإيمان بالله وحده ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ وهذه الدعوة تمثل ماركز فى طبيعة الإنسان من إيمان بالإله مهما انحرف العقل وطغى المنطق ولهذا ترى كثيرا من العلماء قد كفرت عقولهم وآمنت قلوبهم ، قد تختلف صورة الإله باختلاف عقلية الأمم واختلافها فى البداوة والحضارة والعلم والجهل ؛ ولكنها كلها تشترك فى النزوع الفطرى إلى إله له القوة والسلطان وبيده الأمر ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ لقد جاءت الثورة الفرنسية فرأت مافعله رجال الكنيسة من اضطهاد للعقل ، وغول الفكر والتدخل فيما ليس من شأنهم ، وإظلام الحياة حولهم فثار رجال الثورة عليهم وعلى

دينهم ، وأعلنوا أنهم يريدون إلغاء وجود الله ، ولكن ماذا كان ؟ هدأت الثورة وخمدت النار ، ورجع الناس إلى ربهم ، ولم يلغ الله ولكن ألغيت تعاليم الثورة فى هذا الشأن لأنها ضد طبيعة الإنسان .

وحاول بعض رجال الثورة فى تركيا إلغاء الدين وإلغاء عبادة الله ثم ذهبت دعوتهم مع الريح وذهبوا هم وبقى الدين ، وبقى الناس مع الدين .

وجاءت الثورة الروسية أول أمرها داعية إلى إلغاء وجود (الله) وإلغاء الحرية ، وإلغاء فكرة الخلود ثم مالبث الدين أن عاد تغير شكله وبقى جوهره وذهبت تركيبته وبقيت سماحته ويسره ، وعلى كل حال فهو الدين وهو الله ﴿ لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وثانيا : ما الذى لفت الإنسان إلى الله ؟ وهل الإيمان بالله جزء أساسى فى حياة الإنسان ؟

لفته أولا شعوره ، والشعور جزء مهم من تكوينه ، ومصدر صحيح من مصادر معارفه ، وعليه يعتمد فى كثير من شئون حياته فما الصداقة ؟ وما الأبوة ؟ وما الأمومة ؟ وما الحب والكره والإحسان والإنسانية لولا الشعور ولو انعدم الشعور لكانت حياتنا جافة لا طعم لها بل لم تكن حياة أصلا فالشعور بالله جزء مكون لحياتنا كسائر ما ندرك بالشعور .

ثم اهتدى إليه العقل بعدما اهتدى إليه الشعور .

لقد كان من أهم ما استكشفه الإنسان إدراكه أن العالم وَحْدَةٌ ، وأنه يتبع نظاما فى منتهى الدقة يدركه الإنسان أول وهلة فى تعاقب الليل والنهار والصيف والشتاء ، وحركات الشمس والقمر ، ثم كلما زاد تعمقه فى دراسة الطبيعة ازداد إيمانا بالنظام الكونى فالفلكيون أشد الناس إيمانا بنظام الكواكب ، وعلماء الحيوان فى الحيوان ، وعلماء النبات فى النبات ، وعلماء وظائف الأعضاء فى وظائف الأعضاء وأطباء العيون فى العيون ... وهكذا : كل يدرك أنه أتم نظام وأدقه فى نوعه ، والفيلسوف يدرك ذلك فى العالم كوحدة بل يدرك أنه لولا نظام ناحية من نواحى العالم ما كان لها علم ، فالعلم معناه جملة من القوانين المنظمة تتعلق بجانب من جوانب الحياة كالنبات والحيوان والفلك حتى الجسم فى مقاومته المرض يفعل الأعاجيب فى نظامه ، ولولا ذلك ما كان طب ثم كل جزء من أجزاء العالم مرتبط بأجزائه الأخرى ، يخضع هو وهى لنظام علم كعلاقة الخلية فى الجسم بالجسم كله ، وكلها تكون نظاما واحدا وتخضع لقوانين واحدة حتى إن العالم الدقيق النظر لو تعمق فى دراسة جزءمن أجزاء العالم أعانه ذلك على فهم سائر أجزائه لشبه القوانين ووحدة النظام فكيف يسير هذا العالم وفق هذا النظام الذى رأينا ولا يكون له عقل يصرفه وروح ينظمه .

إن الله (عقل) العالم وروحه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ الروم ٢٢ .

كيف يتم الاتصال بين الله والناس ؟ وهل هذا الاتصال مستمر إلى يوم القيامة ؟

كل من وهب نفحة من الروحانية المستعدة

لتلقى الإلهام اظهرها حسب استعداده وميوله كالكهرباء تُكَوِّنُ مرة حرارة ، ومرة تبريدا ومرة ضوءا ، والنبى ارقى إلهاما لأن مايتلقى من الضوء اقوى ونوعه اكمل ونوره الذى يعكسه أعم نفعا وأهدى للحقيقة فى صميمها وهو فوق ذلك كله وكل الذين ادعوا النبوة صادقين كانوا من هذا الطراز ، اختارهم المولى وإن رغمت انوف ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ القصص ٦٨

وهؤلاء بشر ورسل ، وهم صفوة الله من خلقه وإنما كان للرسول هذا التميز لقرب اتصاله بالروح الأعلى وقوة ضوئه الذى يعكسه فينير مناحى الحياة المختلفة نور كشاف يضىء قلوب من وقعت عليه أشعته ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى ٥٢ .

وأياً ما كان شكل الوحى الذى بينته الكتب المقدسة ، من صوت يسمع ، أو ملك يرى ، أو نحو ذلك فإنما هو القلب المتلقى يرهف حتى تكون له عين تبصر وأذن تسمع وحتى ينجلى بهما الحق اقوى مما يتجلى بالأذن الحسية والعيون فى وجوهنا ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ الشورى ٥١ . هذا هو الرسول الذى يكلف بالتلقى عن ربه بالاستقبال والإذاعة وآخر هؤلاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ الأحزاب ٤٠ .

فبموت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ختم هذا النوع من الاتصال ولكن رب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حى لا يموت كما قال أبو بكر رضى الله عنه :

من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران ١٤٤ .

فالله باق وهو ينادى عباده : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر ٦٠ . وعباده يدعونه ومن ثم فالاتصال بين الله والناس على هذا النحو مستمر إلى أن يرث الله الأرض وماعليها .

لماذا كثر حديث القرآن عن الطبيعة ومظاهرها من أرض وسماء وشمس وقمر ونجوم ومطر وزرع وفاكهة ؟ أذلك أدب الطبيعة فى القرآن ؟ أم هو جزء من منهج القرآن فى الدعوة إلى الإيمان ؟

هذه دعوة لطيفة إلى العبادة ، عندما تجد آثار قدرة الله فى جمال الطبيعة ، وتعبده بالنظر إلى سمائه وارضه وفى جميع خلقه ، تقرأ فى ذلك فنًا دونه كل فن ، وتشعر بنبض الحياة موسيقى وانغاما وجمالا وانسجاما وإبداعا فى التكوين ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه ٥٠ .

وكل من أصحاب الفن رأى جمال الطبيعة من زاوية وتعشقه فى نفسه وقلده فى فنه ، وفنى فيه فحيى نتاجه ، ورأى جمال الله فيما تخصص فيه فآمن ولو كان ملحدا وآية إيمانه إقراره بأن جمال الطبيعة فوق جمال فنه ، وجلاله فوق جلاله ، وإحناؤه رأسه علامة الخضوع والإقرار بالعجز عن بلوغ شأوه . غصون وأوراق وأزهار وجبال ووديان وبحار وأسماك ونجوم وسماء كلها تحيا

←

حياة واحدة وإن تنوعت أسماؤها وصفاتها ، نس إنسانية هى أعجب العجب وكل ذلك وحدة تبطة الأجزاء هى أدب الطبيعة فى القرآن وهى الوقت نفسه جزء من منهج القرآن فى الإيمان والتعريف بالمولى عز وجل اقرءوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام ٩٥ ـ ٩٩ .

هل هناك تعارض حقيقى بين العلم والدين ؟ أم أن لكل منهما ميدانه وإن سعادة الإنسان تتحقق حين يتعاون العلم مع الدين

ما هذه الحياة ؟ من أين أتت وإلى أين تصير ؟ لايعرف العلم الطبيعى شيئا ونشأتها محوطة بظلمة البطن ونهايتها محوطة بظلمة القبر وهى نور بين ظلمتين ، ونهار بين لَيْلَيْن ومهما اجتمع « الفيزيقيون » و « الكيماويون » فلن يستطيعوا أن يبعثوا الحياة فى خلية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ الحج ٧٣ .

إن العلم يستطيع أن يشرح لنا بناء الجسم الحى من نبات وحيوان ومم يتكون ؟ ، ويضع لنا المصطلحات لكل جزء ، ولكن إلى هنا ويقف .

أما كيف دبت الحياة إلى الخلية ؟ وكيف تنتج خلايا شجرة الورد خلايا مثلها ؟ ، وكيف تخالفها شجرة الياسمين فتنتج ياسمين ؟ وكيف يختلف الحيوان فى ذلك عن النبات فتكون الخلايا بقرا وغنما وقردا وإنسانا فذلك مالا يستطيعه العلم ، ثم هو عاجز أيضا أن يفسر لنا ظاهرة الموت .

إن الدين هو الذى يفسر لنا الحياة والموت عن طريق العقيدة فالله واهب الحياة ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ الروم ١٩ ـ ٢٠ .

وهو ممد الحياة أثناء الحياة وهو سالب الحياة بالموت وهو باعثها من جديد ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ . وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ . وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الروم ٢٥ ـ ٢٧ .

فأما من آمن وعمل لإسعاد نفسه وإسعاد من حوله وإسعاد الإنسانية على قدرما يستطيع فقد فاز برضوان الله ، وسعد بالشعور باتصال حياته بإلهه وبالشعور بخلود النفس وأن الموت ليس إلا ظاهرة مادية كظاهرة الولادة ، وأن الروح التى أتت مع الولادة ستظل الموت وتبقى بعده ، وأما

من اَلْحَدَ فالمستقبل مظلم والفناء سريع ولا شىء يخلد .

إن الدين يقرر إلها واحداً كاملا فى صفاته ، ويقرر عظمه الله وحسن الصلة بين الإنسان وربه بإقامة الشعائر ، وحسن الصلة بين الإنسان والإنسان بإتباع القواعد والأخلاق ، وأخيرا يقرر بقاء الروح والحياة بعد الموت .

ماالفرق بين المنهج العلمى والمنهج الإيمانى ؟ وهل يمكن تلاقيهما ؟

إن كثيرا من العلماء اعتقدوا أن المنهج العلمى من ملاحظة وتجربة وبرهان هو المنهج الوحيد لكل شىء ، وفاتهم أنهم بمنهجهم العلمى قد اتجهوا صحيحا نحو عجلة العالم يفحصونها ويجربونها ويمتحنونها ولكنهم لم يتجهوا نحو محرك العجلة ، والدقيق النظر الواسع الفكر لا يقف فى بحثه عند العجلة ودورانها ، بل يبحث ما وراءها ، لا يقف عند المادة ولكن يبحث ما وراء المادة .

إن العلم الطبيعى منهج صحيح للمادة ولكنه ليس المنهج الصحيح لغير المادة ، هو منهج صحيح من جملة مناهج ولكنه ليس المنهج الوحيد الصحيح إن شئت فانظر إلى (الفنانين) من شعراء ومصورين وغيرهم وكيف يدركون من العالم ما لايدرك العقليون ثم ينقلون إلينا ذلك الشعور بشعرهم وتصويرهم ومختلف فنهم فتهتز عقولنا هزة عميقة لا يبلغها قول علمى ولا بحث فلسفى ، بل أدرك هؤلاء الفنانون من حقائق العالم ما لم يدركه الفلاسفة والعلماء إلا بعد ذلك بأزمان ، وقديما قالوا : إن الفن إرهاص للفلسفة . إن منهج هذه الفنون الاعتماد على الإلهام وصفاء النفس وتفتح القلب ، وهو منهج صحيح أيضا كالمنهج العلمى له دائرته وله سبحاته التى لا تنكر ، والاقتصار على المنهج العلمى فى فهم العالم خطأ ، فالمنهج الإيمانى القائم على الإلهام وصفاء النفس وتفتح القلب ، جرى عليه الذين ملأ قلوبهم الشعور الدينى من أنبياء ومؤمنين صادقين فهؤلاء قد أدركوا بما لهم من إلهام من حقائق العالم وخالقه ومحركه ، ما لايقل شأنا عما أدركه العلماء بمنهجهم وأثروا فى تاريخ الإنسان إثراء لا يقل عما أثرى العلم ، وأن هذا الإلهام وسيلة صحيحة من وسائل الوصول إلى الحق كما أن التجربة والملاحظة وسيلتان كذلك ، ولكل دائرته ولكل اختصاصه ، فالعلم ، يكمل الدين والدين يكمل العلم وكلاهما يكشف عن قسم من حقائق هذا العالم ، وكلاهما غذاء صالح لملكات الإنسان المختلفة المتنوعة حتى تتعادل ملكاته كلها وتتوازن وتسير إلى غايتها .

فالعلم الحق والدين الحق كلاهما غايته حب الحقيقة وإن اختلف منهجاهما ووسائلهما ، وكلاهما يصل بالإنسان إلى كماله وإلى فهم ما يحيط به هذا فى ماديته وهذا فى روحانيته .

الرِّبَا والوَديعة المصرفية

فى ضوء حقائق الفقه وأدلته

٣

لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنّة

نشر فى صحيفة الأهرام ٢ من نوفمبر سنة ١٩٨٩م مقال لصديقنا الدكتور معروف الدواليبى بعنوان « بحث عن الشريعة والبنوك ».

ورأى فى هذا المقال : أن القرض بفائدة فى المصارف جائز للغنى ، وأن المصرف مؤسسة تجارية مع المقترض بفائدة .

وقدم له باستعراض مقدمة جعلها الأساس لرايه هى : أن فائدة القرض من ربا الفضل الذى ثبت تحريمه بالسنة أى بحديث أبى سعيد الخدرى ، وأبى عبيدة عنه ﷺ أنه قال : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة ... إلى ان قال : مثلا بمثل يداً بيد » .

وليس من ربا النسيئة أى ربا الجاهلية الذى نزل به القرآن وقطع العلماء بأنه هو المراد بقوله تعالى : ﴿ وحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

وقال : إن الزيادة الأولى فى القرض عند عقده غيرالزيادة فيه عند عجز المدين ، فالأولى من ربا الفضل أما إذا حل أجل القرض وأجّله الدائن مرة أخرى فى مقابلة الزيادة كان ذلك من ربا النسيئة ، نقل هذا عن الشيخ رشيد رضا ، ثم قال : إن ربا الفضل جائز للمصلحة أى للحاجة ونحن نناقش هذه القضايا فيما يأتى :ـ

أولا : قررنا فى مقال سابق أن فائدة القرض فى معنى ربا الجاهلية والقطع بتحريمها كالقطع بتحريم الصورة المروية فى ربا الجاهلية : لأن كلا منهما زيادة قابلة للتضعيف فى مقابلة الأجل ، والفرق بأن الزيادة تشترط عند العجز عن أداء الدين أو تشترط فى أول الأمر عند عقد المداينة بالقرض : مقطوع بإلغائه بقاعدة تنقيح المناط كما قالوا فى الأعرابى الذى مس أهله فى نهار رمضان أو هو ملحق به بقياس فى معنى الأصل ، فإن أئمة الفقه أجمعوا على أن الحضرى كالأعرابى فى حكم الكفارة ، وقد اعتبر الدكتور القرض من باب البيع الذى ثبت فيه ربا الفضل وليس من باب الدين الذى ثبت فيه ربا النسيئة ، وأنا وإن لم أظفر بكلام للشيخ رشيد بهذا المعنى فى تفسير المنار لكن كلام أئمة الفقه الذين فهموا القرآن بعقولهم النيرة والذين وصلوا إلى رتبة

الاجتهاد فى استنباط الأحكام من الأدلة قرروا أن القرض بفائدة من ربا الجاهلية لامن ربا الفضل وأنه من باب الدين لا من باب البيع .

وما قاله مخالف لما قرره الفقهاء فى كتبهم أيضا قال : أبوبكر الجصاص فى أحكام القرآن « فمن الربا ماهو بيع ومنه ماليس ببيع وهو ربا الجاهلية وهو القرض المشروط فيه الأجل وزيادة مال على المستقرض وقال أيضا : والربا الذى كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به ولم يكونوا يعرفون البيع بالنقد »[(١)].

وقال القاضى أبو الوليد الباجى : وتحريم ربا الجاهلية من جهة المعنى أى التعليل أنه سلف بنفع لأنه يؤخره على أن يزيده فى دينه وذلك مما اتفق على تحريمه كما لو أعطاه عشرة دنانير فى عشرين إلى أجل[(٢)] .

يقول : إن العلة فى تحريم ربا الجاهلية أنه قرض بفائدة سواء شرطت عند عقد القرض أو عند العجز ومثل للقرض بفائدة بإعطاء عشرة ليأخذ عشرين إلى أجل .

وقرر ابن حزم فى المحلى [(٣)] أن القرض من ربا الدين الثابت بالقرآن لامن ربا البيع الثابت بالسنة وأنه لا يجوز إلا رد مثله ولا تجوز الزيادة فيه قال :

« والقرض جائز فى كل مايحل تملكه وتمليكه بهبة أو غيرها سواء جاز بيعه أو لم يجز لأن القرض غير البيع . لأن البيع لا يجوز إلا بثمن ويجوز بغير نوع مابعت ، ولا يجوز فى القرض إلارد مثل مااقترض لاسوى نوعه أصلا » فأثبت بذلك أن القرض من الدين الذى ثبت فى الذمة لامن البيع ومعلوم أن ربا الفضل إنما يكون فى البيع لا فى الدين وبالتالى لا يكون فى القرض وقال محمد بن رشد فى بداية المجتهد : « واتفق العلماء على أن الربا يوجد فى شيئين فى البيع وفيما تقرر فى الذمة من بيع أو سلف أو غير ذلك » فبين أن السلف أى القرض مما تقرر فى الذمة أى من ربا الدين لا من ربا البيع فلا تكون فائدته من ربا الفضل .

بهذه النصوص وغيرها مما زخرت به كتب الفقه والتفسير والحديث تبين : أن القرض من ربا الجاهلية الجلىّ المقطوع بتحريمه لامن ربا الفضل الخفى الثابت بالسنّة .

ومن المعلوم أن المحرم بالأدلة القطعية لايحل إلا للمصلحة الضرورية التى تبيح أكل الخنزير وشرب الخمر سواء أكانت ضرورة إلى طعام أو إلى الكسوة أو المسكن أو غيرها ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّاحَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ ولايجوز لمجرد الحاجة .

هذا وإنى لم أظفر فى تفسير « الشيخ رشيد » بما يدل على أن الزيادة فى القرض من ربا الفضل ، بل ذكر فيه عبارات تدل على أن القرض من ربا الجاهلية منها تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ قال فى تفسيره : « ومن حجتهم أى الذين يسوون بين البيع والربا أن البيع مثل الربا فكما يجوز أن يبيع الإنسان السلعة التى ثمنها عشرة دراهم نقدا بعشرين درهما نسيئة يجوز له أن يعطى المحتاج العشرة الدراهم على أن يرد إليه بعد سنة عشرين درهما لأن السبب فى كل من الزيادتين الأجل هكذا يحتج الناس فى أنفسهم كما تحتج الحكومات بأنها لو لم تأخذ المال بالربا لاضطرت إلى تعطيل مصالحها أو خراب أرضها »[(٤)] .

فتشبيه اليهود البيع مع زيادة الثمن عند

---

(١) أحكام القرآن لأبى بكر الجصاص ـ حـ ١ ص ٤٦٩ .
(٢) المنتقى شرح موطأ مالك ـ حـ٥ ص٦٥ .
(٣) ابن حزم ـ المحلى ـ المسألة ١١٩١ .
(٤) تفسير المنار ـ حـ ٣ ص ١٠٧ .

التأجيل : بإعطاء عشرة على أن يرد إليه عشرين ليس إلا تشبيها بالقرض بفائدة ، والذى تقوله الحكومات وتفعله ليس إلا القرض بفائدة .

على أنه نقل عن الأستاذ الشيخ محمد عبده (٥)قوله : « إن بلادنا قد قل فيها الراحم منذ فشى الربا » فما هو الربا الذى فشى فيها إلا القرض بفائدة عند العقد ، وهل اعتاد الناس الآن أن يقولوا إما أن تعطى وإما أن تربى كما كان الحال فى الجاهلية ، وقد أطلت الحديث هنا لدفع شبهة أن فائدة القرض من ربا الفضل لأن الدكتور جعلها أساسا لحل الربا فى المصارف وترددت على السنة كثيرين ممن يكتبون فى الأهرام وغيرها ، أن قرض الإنتاج بالفائدة جائز .

وبعد إثبات أن القرض بفائدة من الحرام المقطوع بحرمته وأنه لا يحل إلا للضرورة لا محل للحديث عن المصالح والمفاسد فإن ماقاله ابن القيم وابن قدامة مسلم لكن على النحو الذى قدمنا .

ثانيا : قسم الكاتب الناس إلى أغنياء وفقراء وقال إن قرض الفقراء بفائدة من الربا الذى حرمه القرآن لأنه من الظلم الذى هو حكمة تحريم الربا والفقير يدفع الفائدة بلا مقابل - أما الغنى فإنه يقترض بفائدة من المصارف وهذا من باب التجارة لأن المصارف مؤسسات تجارية .

وكلامه عَن الفقراء مسلم إلا أنه تناقض حيث اعتبر القرض بفائدة من ربا الفضل وربا الفضل يجوز للحاجة ثم منعه مع الفقير بحجة أنه من الربا القرآنى المقطوع بحرمته ، ولأنه يدفع الفائدة بلا مقابل ولأن الدائن ينمى ماله على حساب الفقير وجعل القرض مع الغنى بيعا وتجارة ومع الفقير ربا .

وهذا الفرق غير صحيح .

أولا : لعموم النص القرآنى إذ لم يفرق القرآن فى قوله : « وحرم الربا » بين الغنى والفقير وبالتالى لم يخصه بالفقير .

ثانيا : لأن حكمة تحريم الربا وهى الظلم متحققة فيهما - أما فى الفقير فلأنها فائدة بلا مقابل وأما فى الغنى فلعدم التعادل بين الفائدة التى يأخذ المصرف والربح الذى ينتظره المقترض من مشروعه الذى اقترض من أجل إنجازه : فإن مايأخذه المصرف المقرض فائدة محققة ومايستفيده المقترض من مشروعه متردد بين وجوده وعدمه وبين قلته وكثرته .

قال الفخر الرازى فى تفسيره : « فإن قيل لم لايجوز أن يكون لبقاء رأس المال فى يده مدة مديدة عوض عن الدرهم الزائد وذلك لأن رأس المال لو بقى فى يده هذه المدة لكان يمكن للمالك أن يتجر فيه ويستفيد بسبب تلك التجارة ربحا فلما تركه فى يد المديون وانتفع به المديون لم يبعد أن يدفع إلى رب المال ذلك الدرهم الزائد عوضا عن انتفاعه بماله . قلنا : إن هذا الانتفاع الذى ذكرتم أمر موهوم قد يحصل وقد لايحصل وأخذ الدرهم الزائد أمر متيقن فتفويت المتيقن لأجل الأمر الموهوم لا ينفك عن نوع الضرر »(٦) .

وهكذا كانت فائدة المقرض المتحققة فى مقابلة ربح المقترض الموهوم من الربا الذى حُرِّم الربا من أجله ويأتى له مزيد بيان .

ثالثا : إن المصارف تقرض الفقراء والأغنياء فتصويرها بأنها تاجر صغير يحتفظ بالسيولة ولا يستطيع الاستثمار ، وأن المقترض الغنى تاجر كبير لديه مشاريع ولايجد سيولة ينفقها عليها . هذا التصوير بعيد عن الواقع ، أولا : لأن المصارف تقرض الغنى والفقير وهى فى إقراضها للفقير تستحوذ على فوائد بدون مقابل ومَن هنا كانت ظالمة وتحققت فيها حكمة تحريم

(٥) ص ١٠٩ .

(٦) تفسير الفخر الرازى - حـ ٧ - ص ٨٧ .

الربا ، وهى فى إقراضها للغنى شركة غير متوازنة إذ بينما تستحوذ منه على الفوائد هى كسب لها محقق ، يعمل الغنى فى مشاريعه وربحه ليس محققا بل هو متردد بين الربح والخسارة والإفلاس ، وأحاديث المشاريع المتعثرة ليست بعيدة عن العالمين بشئون الاقتصاد ، ومن هنا كانت المصارف أيضا ظالمة ، وتحققت فيها حكمة تحريم الربا .

ونظير ذلك ما حرمه الشارع بالإجماع والسنة من الشركة أو المضاربة مع تحديد الربح وهى المعاملة التى لهج الكتاب البعيدون عن معرفة الفقة الإسلامى بالقول بحلها .

يقول الدكتور : «إن بين المقترض والمصرف عقدا رضائيا : فيجوز » وهذا غير مسلم ولا يحل هذه الشركة بين المصرف والمقترض أن القرض الذى أنشأها عقد رضائى ، إذ ليس كل عقد توفر فيه الرضا يكون صحيحاً ، بل لابد من سلامته من المفسدات كالغرر والربا والرشوة والقمار والغبن ، وقد تبين أن هذا عقد رضائى مشتمل على الربا القرآنى المقطوع بتحريمه . وكفى به استغلالا .

والدكتور يقيسه على عقد المضاربة والفرق شاسع بين مقرض الغنى بفائدة من المصارف ، وبين عقد المضاربة ، فإن عقد المضاربة فيه التوازن الكامل بين رب المال والعامل لأن الربح شائع بينهما وكل منهما عرضة للحرمان من الربح وللربح القليل والكثير ، بخلاف القرض بالفائدة ، فإن الكسب فيه محقق للمقرض وهو المصرف ، وكسب المقترض محتمل كما قدمنا .

وبعد هذا كله فدعوى أن إقراض الأغنياء من المصرف تجارة من نوع جديد تعارفها الناس ودعت إليها حاجاتهم مردودة من وجهين :

الأول : أنه تعارف فاسد ، لأنه على خلاف ماشرع الله إذ هو الربا القرآنى كما بينا .

والثانى : أن القول بحاجة الناس إليها مردود إذ يوجد عنها فى الشرع بديل ، بل أكثر من بديل وهو عقد المضاربة بين المصرف وأرباب الأموال ، وشركة العنان وشركة المفاوضة والمعاملات الكثيرة التى طبقتها المصارف الإسلامية ، وهذا يغنينا أيضا عن القياس على السلم وغيره من العقود الواردة على خلاف القواعد العامة ،فاللهم أغننا بحلالك عن حرامك ، على أن دعوى جواز قرض الإنتاج بفائدة طالما رددها المقلدون للرأسماليين ، ونسبوا الفتوى بحل هذا القرض إلى الشيخ محمد عبده وهو منه براء كما أثبتنا ، وقالوا إنه من ضروريات الحياة الاقتصادية ، وقد ثبت بالقاطع شمول الربا القرآنى لقرض الإنتاج .

وأثبتت تجربة العلماء الاقتصاديين الإسلاميين زيفه وبطلانه بإنشاء المصارف الإسلامية .

وبهذا تبين أن ماسماه الدكتور معاملة تجارية جديدة هو من الربا لا من البيع .

وإذا كنا جميعا نؤكد على جلب المصالح ودرأ المفاسد فمصلحة المسلمين موجودة فى الشركات والمعاملات المشروعة التى تنفذها المصارف الإسلامية توفر ضروراتهم وحاجاتهم وتدرأ عنهم مفسدة الربا القرآنى ، وتريح نفوس أرباب الأموال بإدارة المصارف الحازمة .

وبعد : فقد تبين بما قدمنا :

١ ـ أن القرض بفائدة من ربا الدين أو من الربا القرآنى المقطوع بتحريمه لامن ربا الفضل .

٢ـ أن قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ عام للقرض بفائدة مع الفقراء والأغنياء . وهما أمران أجمع عليهما أهل العلم من المجتهدين وكبار رجال الفتوى من السلف الصالح .

٣ـ أن الأغنياء ليست بهم ضرورة ولاحاجة إلى التعامل مع المصارف على أساس القرض بفائدة .

والله أعلم ..

(يتبع)

وما توفيقى إلا بالله

للأستاذ : عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

يضرع كل منا إلى الله أن يُهبه التوفيق ، وتجرى كلمة التوفيق على ألسنتنا حينما ندعو للكبير والصغير قائلين : وفقك الله ، وكل منا يقر بأن الله وحده هو ولى التوفيق .
وهذا إقرار صادر من عقيدة المؤمن الذى يعرف أن كل شىء من الله ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، إن تيسر شىء فبتيسيره ، وإن تعسر شىء فبتقديره .
ويدعونا هذا إلى أن نتعرف على معنى كلمة « التوفيق » الذى يلمسه المؤمنون ويدركه الناجحون ويطمح إليه الساعون والمجاهدون ، ويُحْرَمه المخذولون .

التوفيق فى القرآن واللغة :

وردت مادة « وفق » فى القرآن الكريم فى أربعة مواضع :

فى قوله تعالى : ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا ﴾ النساء ٣٥ .

وفى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ النبأ ٢٥ ـ ٢٦ .

وفى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ النساء ٦٢ .

وفى قوله تعالى : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللهِ ﴾ هود ٨٨ .

وتؤدى كلمة « وفق » فى اللغة معانى متعددة .

قال ابن منظور فى لسان العرب : الوفاق : الموافقة ، والتوافق : الاتفاق والتظاهر ، ووفق الشىء مالاءمه ، والموافقة المصادفة ، والوفق بين الشيئين كالالتحام بينهما ، والتوفيق بمعنى الإلهام ، تقول : وفقه الله للخير أى ألهمه ، وتقول : استوفقت الله أى طلبت منه التوفيق . وفلان وفق فى أمره أى رشد .. هذا بعض ما جاء فى معنى المادة .

ونستطيع أن نتتبع معناها فى الآيات المذكورة :

فمعنى « يوفق » فى الآية الأولى يصلح ويلائم .

ومعنى « وفاقا » فى الآية الثانية : موافقا أى جزاء موافقا وملائما لأعمالهم .

ومعنى « توفيقا » فى الآية الثالثة : إصلاحا وموافقة للحق . وقد وردت هذه الآية فى مناسبة توضح معناها : ذكر القرطبى فى تفسيره قال : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود

خصومة ، فدعا اليهودى المنافق إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة فى حكمه ، ودعا المنافقُ اليهوديَّ إلى حكامهم من اليهود لأنهم يقبلون الرشوة . فأبى اليهودى إلا الاحتكام للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذهبا إليه فقضى لليهودى ـ فلم يعجب المنافق ، فمضيا إلى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ فقضى لليهودى أيضاً ، فلم يعجبْ المنافق ، فمضيا إلى عمر ـ رضى الله عنه ـ وقصا عليه القصة ، فقال لهما : انتظرا حتى آتيكما ، فدخل وخرج بسيفه فقتل به المنافق ، وهرب اليهودى . وجاء قوم المنافق يطلبون ديته قائلين : ما نريد بطلب ديته إلا الإحسان وموافقة الحق . أو ما أردنا بالعدول عنك فى المحاكمة إلا التوفيق بين الخصوم .

وحديثنا عن التوفيق الذى نقصده ينصرف إلى الآية الرابعة ، التى أوردها القرآن الكريم على لسان شعيب ـ عليه السلام ـ الذى كان يلقب بخطيب الأنبياء . وقد بعثه الله فى قوم مفسدين يطففون الكيل والميزان ويصدون عن سبيل الله .

فدعاهم إلى الله وقال لهم : أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم .. ولما كان أهل الظلم يستعينون على ظلمهم بتركيب الحجج وذرابة اللسان والقدرة على التمويه والتحيل ، حتى ليكاد يخفى وجه الحق على البصير ، وتعمى سبل الرشد أمام القائد الخبير ، قال لهم ـ عليه السلام ـ وما توفيقى على إصلاح شأنكم إلا بالله ..

والتوفيق هنا : الرشد وسداد الأمر وتحقيق النجح .

وهذا ما نعنيه بالحديث ..

والتوفيق بهذا المعنى ـ وهو إصابة الهدف والرشد إليه ـ لم يرد فى القرآن الكريم إلا فى هذه الآية الكريمة التى وردت على لسان شعيب ـ عليه السلام ـ .

ويستدل أهل الذوق بذلك على ندرة التوفيق ، وعلى أن الموفقين قليلون .

ويقابل التوفيق الخذلان ـ نعوذ بالله منه ـ وهو الفشل فى إصابة الهدف والنكوص دون تحقيق الغرض ، وسلوك سبل الغي والضلال .

من علامات التوفيق :

وللتوفيق علامات فى حياة صاحبه تظهر فى تيسير أموره ، والوصول إلى قصده من أقرب طريق ، وانبساط الأسباب التى تعينه على بلوغ هدفه ، وفى الاستجابة لدعائه ، ومساعدة القدر له على تحقيق ما يريد من أهداف الخير وغايات الفلاح .

وإنك تستطيع أن تلتمس الأمثلة الدالة على التوفيق فى مسائل الدنيا ، كأن تهدف للقاء شخص فتجده فى طريقك ، أو تلتمس الوسيلة لقضاء مصلحة عند مسئول فتجدك تعرفه بغير وساطة ، أو تتحرك لديك دواعى السفر إلى جهة ما فتتيسر أمامك المواصلات وتتمهد لك الطرق وتطوى المسافات ، أو تدخل الامتحان فى مادة عويصة ، قد تعبت فى استذكارها فتجد أول سؤال هو ماراجعته قبل دخول الامتحان بدقائق ..

قد تجد التوفيق فى صدفة نادرة ، أو فرصة مواتية أو إلهام رائع ، أو تأليف بارع ، وقد تجده فى الخطرة المشرقة واللمحة المثمرة ، والاختراع النافع والاكتشاف المفيد . وقد تجده فى غير ذلك مما نراه ملموساً فى حياتنا ، ونجد أثره طيباً مباركاً فى نفوسنا ، حتى نتحدث به أمام أصدقائنا ومعارفنا على أن ما حدث مما يسر الله هو من دلائل التوفيق ومن نعم الله التى لا تعد ولا تحصى .

ولا نتحدث عن أثر ذلك فى نفوسنا ، فإن السعادة التى تملأ جوانح الإنسان حين يجد أمامه أبواب الآمال مفتوحة وسبل الغايات ميسرة ، لا يمكن أن يعبر عنها اللسان .. فما

← وما توفيقي إلا بالله

بالك إذا كان هذا التوفيق مصاحبا للإنسان فى رحلته إلى الله ؟؟

التوفيق للمؤمن :

إن التوفيق هو الذى جعل الصديق - رضى الله عنه - أول من يستجيب لدعوة الهدى ، ويتجنب بذلك عوامل الشقاء والردى .

والتوفيق هو الذى صاحب عمر فهداه إلى الإيمان بعد حيرة الضلالة واستبداد الكفر ، فاسمعه القرآن الذى كان على قلبه شفاء وفى عينه ضياء وفى روحه نوراً وضّاء .

والتوفيق هو الذى رفع بلالا الحبشى إلى الدرجات العلى ..

كما أن الخذلان هو الذى أورد أبا لهب موارد الردى والشقاء ..

إن نجاح الإنسان فى الحياة الدنيا لا يعد شيئا بجانب نجاحه فى الآخرة ، وأول علامة من علامات التوفيق هى الإيمان .

فكل مؤمن موفق ، لأن الله هداه برحمته للإيمان . ولما كان التوفيق ليس من صنع الإنسان ، بل هو من هبات المنان قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ ﴾ آل عمران ٧٣ .

وقال - تعالى - على لسان المؤمنين فى الجنة : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾ الأعراف ٤٣ .

ويزداد التوفيق اتصالاً بالمؤمن إذا قوى إيمانه ، فتسدد خطاه فى طريق الحق ، ويعلو كعبه فى التوكل على الله واللجوء إليه ، كما قال شعيب - عليه السلام - : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

وربما صاحبته الخوارق تكريما وتسديدا لخطاه ، ولا تصيب المؤمن نعمة إلا ردها إلى الله شاكرا له أنعمه ، ولا تصيبه ضراء إلا لجأ إليه طالبا كشفها عنه فيكشفها برحمته عنه .. فالله وحده وليه ﴿ اللهُ وَلِىُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ البقرة ٢٥٧ .

من الآثار فى التوفيق :

جاء فى كتاب « النصائح » لابن ظفر أن أَمَةً لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - اسمها زائدة . وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يازائدة إنك لموفقة » .

فأتته يوما فقالت : يارسول الله ، إنى عجنت عجينا لأهلى ثم ذهبت أحتطب فاحتطبت وأكثرت ، فرأيت فارسا على جواد ، لم أر قط أحسن منه وجها وملبسا وجوادا ، ولا أطيب ريحا ، فأتانى وسلم على ، وقال : كيف أنت يازائدة ؟ قلت : بخير والحمد لله . قال : وكيف محمد ؟ قلت : بخير وينذر الناس بأمر الله .

قال : إذا أتيت محمداً فاقرئيه منى السلام ، وقولى له : رضوان خازن الجنة يقرئك السلام ، ويقول لك : ما فرح أحد بمبعثك ما فرحت به ، فإن الله جعل أمتك ثلاث فرق ، فرقة يدخلون الجنة بغير حساب ، وفرقة يحاسبون حسابا يسيرا ويدخلون الجنة ، وفرقة تشفع لهم فتشفع فيهم فيدخلون الجنة .

قلت : نعم ، ثم ولَّى عنى ، فأخذت فى رفع حطبى فثقل علىّ ، فالتفت إلىّ ، وقال : يازائدة ، أثقل عليك حطبك ؟ قلت : نعم بأبى وأمى ، فعطف على وغمز الحزمة بقضيب أحمر فى يده فرفعها ، ونظر ، فإذا هو بصخرة عظيمة ، فوضع الحزمة بالقضيب عليها ، وقال : اذهبى ياصخرة بالحطب معها .

فجعلت الصخرة تدهده - تتدحرج - حتى أتيت .

فسجد النبى - صلى الله عليه وسلم - شكرا وحمداً لله تعالى - على بشرى رضوان ، ثم قال لأصحابه : قوموا لننظر ، فقاموا وانطلقوا إلى الصخرة فرأوها وعاينوها .

وقد أورد هذا الخبر ابن الأثير فى « أسد الغابة » جـ ٧ ص ١٢٢ الترجمة رقم ٦٩٣٧ ولكنه ذكر بأن الذى جاء لزائدة هو الخضر .

كما أورده بالصورة التى ذكرناها الدميرى فى كتابه حياة الحيوان مادة جواد ، والدميرى من أئمة الحديث ومدرسيه كما ذكر ابن شهبة عنه .

ولا غرابة فى رؤية زائدة الملك ، فكثير من الصحابة رأوا الملائكة ، وقد أوردت كتب الصحاح أخباراً فى ذلك . وهذا من علامات التوفيق .

ومن ذلك ما أخرجه ابن أبى الدنيا والطبرانى وابن عساكر عن العرباض بن سارية - رضى الله عنه - وكان شيخاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان يجب أن يقبض - فكان يدعو قائلاً : اللهم كبرت سنى ووهن عظمى فاقبضنى إليك .

قال : فبينا أنا يوماً فى مسجد دمشق وأنا أصلى وأدعو أن أقبض ، إذا أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه دُوَّاج أخضر . فقال : ماهذا الذى تدعو به ؟ قلت : وكيف أدعو ياابن أخى ؟

قال : قل اللهم حسن العمل وبلغ الأجل .

قلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : انا « رتائيل » الذى يسل الحزن من صدور المؤمنين . ثم التفت فلم أر أحداً .

والدواج - بوزن رمان وغراب - اللحاف الذى يلبس - القاموس - .

الطاعة توفيق :

وإنك لتستطيع أن تلمس التوفيق العظيم فى حياة من ينشأ على طاعة الله ، فلا تجد له شغلا يلهيه عنه ، وليس كل الشباب كذلك - وبخاصة فى هذه الأيام التى كثر فيها اللهو واستشرى الفساد ، ولكن الموفق حقاً من نأى بجانبه عن كل هذه الزخارف الباطلة ، ووجد أنسه كله فى عمله الذى يؤديه مخلصاً لوجه الله ، وفى حبه للتقرب إلى الله بأداء فرائضه ونوافله واجتناب نواهيه ، وفى مصاحبة القرآن الكريم حافظا وتاليا ودارسا ومتدبراً . وفى كل عمل صالح يقوم به .

وقد جعل النبى - صلى الله عليه وسلم - هذا الشاب ضمن السبعة الموفقين فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ، وهؤلاء السبعة أشار إليهم الحديث المشهور : « **سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله** .... » .

وقد خصصنا هذا الشاب بالذكر تذكيراً لشبابنا الذى أضلتهم هذه المدنية الوافدة ، فاغتروا بها ، وشغلتهم عن كل شىء ، عن ماضيهم التليد وحاضرهم الذى هو فى حاجة إلى جهودهم ، ومستقبلهم الذى يهتف بهم أن يصلوه بالماضى العظيم الذى شيدته سواعد شباب مسلمة موفقة .

الأصمعى يقص قصة :

روى الأصمعى قال : بينا أسير فى طريق اليمن إذا بغلام واقف يهتف شعراً منه :

يـافاطـر الخلق البديـع وكـافـلا
رزق الجميع سحاب جودك هاطل
فاغفر لعبدك مامضى وارزقه توفيقا لما ترضى
ففضلك كامل

قال : فدنوت منه وسلمت عليه . فرد السلام ودعانى إلى خيمته .. فإذا له أخت سمعتها طول الليل تتلو القرآن .. فسألت أخاها عنها فى الصباح فقال : هذه أختى وهذا شأنها كل ليلة ..

فقلت له : ياغلام كنت أنت أحق منها بهذا العمل - أى بقيام الليل - إذ أنت رجل وهى امرأة .

فقال الغلام : ويحك ، أما علمت أنه موفق ومخذول ، ومقرب ومبعد ؟

أجل .. إنه توفيق من الله ..

نرجو الله أن يمنحنا إياه ، وأن يشملنا بعفوه ورضاه ..

فما التوفيق إلا منه ... عليه توكلت وإليه أنيب .

رؤية إسلامية

للديمقراطيات الغربية

٢

بقلم ا.ح د. فوزى محمد طايل

الحقوق والحريات الفردية جوهر الديمقراطيات الغربية :-

ظهر الفكر السياسى « الديمقراطى » فى اوروبا كرد فعل وكنتاج لعهود من التخلف والظلم الاجتماعى ، كانت تسود اوروبا بعد انهيار الامبراطورية الرومانية ، وطغيان الاقطاع ، الذى كان فيه السيد يملك الارض ومن عليها ، وكرد فعل لانعدام حرية الفكر ، واستئثار رجال الدين المسيحى باسرار العقيدة ، وإدخالهم الكثير من الامور التى لم يكن يقبلها دين او عقل ، كإصدار « قرارات الحرمان » ، وكبيع « صكوك الغفران » ، وما إلى ذلك ، واتهامهم بالكفر كل من يلج بابا من ابواب العلم ، وقضائهم عليه بالموت او السجن . وللتخلص من هذا الواقع الذى اضعف سلطان الدولة ، واهدر كرامة الإنسان وقيد ملكاته ، ظهرت الافكار الفلسفية الخيالية عن الحقوق والحريات .

فالحريات والحقوق ـ فى مفهوم الديمقراطيات الغربية ـ هى أمور (طبيعية) لصيقة بالإنسان وسابقة فى وجودها على وجود المجتمع .. بل إن الدولة ماقامت ، وما أصبح لها سلطان على الأفراد إلا لتحمى حقوقهم وحرياتهم ولتنسق بين ممارسات الأفراد لحقوقهم وحرياتهم التى كانوا يمارسونها بشكل مطلق فى حياة (العزلة) السابقة على الجماعة ، لذا فإنهم يعرفون الحرية تعريفا « سلبيا » بأنها غياب القيود Con-strains أو العوائق « فالإنسان » « حر إلى أقصى الحدود فى ألا تعوق تصرفاته وخياراته أفعال الآخرين » . كما أنهم يرون أن الإنسان يمكن أن يكون له حق دون أن يقابل ذلك واجب يحمل به شخص آخر : « A person can have a right without there being a corresponding duty upon anyone else » كما أن الحريات غير مرتبطة بالواجبات « Liberties are not corelative with duties » هذا ، ويحد حرية الفرد عندهم عدم جواز الاضرار بالآخرين ، لذا فمن الواجب أن تقتصر سلطة الدولة على وضع القوانين لمنع الاعتداء على حقوق وحريات الأفراد .

إن مفهوم الحريات فى الإسلام جد مختلف ، فالحريات فى الإسلام هى نتاج توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به ، وعدم جواز العبودية إلا لله وحده يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى

﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر/٦٥) . كما أنها نتاج تكريم الله تعالى للإنسان فى قوله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ . . .﴾ . (الإسراء /٧٠) ، وآية ذلك تسخير الله الكون للإنسان فى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (لقمان/٢٠) .

ذلك وأن الله تعالى وهو خالق الإنسان لم يتركه هكذا طليقا دون ضابط إذ يقول سبحانه :﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة/٣٦) ، فالإنسان منذ نزل إلى الأرض قد دخل فى نظام ربانى كامل محكم ، فلم يعش الفرد حياة عزلة كما تصوره « الديمقراطية الغربية » وإنما دخل منذ اللحظة الأولى فى مجتمع أراده الله تعالى له فى قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات/١٣) . وهذه الآية الكريمة تدحض نظريات « العقد الاجتماعى » ونظريات « النشوء والتطور » وماإليها من النظريات الفاسدة التى تقوم عليها الديمقراطية الغربية .. لا لأنها منزلة من لدن عليم خبير فحسب ، بل لأن التاريخ البشرى شاهد على صدقها ، والطبيعة البشرية تثبت صحتها بالدليل العملى .

ولما كان الإنسان قد عاش حياة اجتماعية منذ اللحظة الأولى لوجوده على الأرض فقد كلفه خالقه بتكاليف عليه أن يأتى بها وحرم عليه أمورا عليه أن يجتنبها ، فإذا فعل ذلك فقد مارس فى « إيجابية » عملا من شأنه أن يحفظ على أخيه الإنسان حقوقه وحرياته .. وأكثر من ذلك فإن المسلم مكلف بأن يحفظ أخيه المسلم حفظه لحقوقه .. فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » . (متفق عليه) .

فالحرية فى الإسلام هى أن تقوم بعمل « إيجابى » يتناسب مع ماكرم الله تعالى به الإنسان .. والحرية ليست مطلقة دون قيود أو حدود ، فهى لاتتصور فى الإسلام إلا مقيدة ومحددة من قبل مانحها وهو الله تعالى ، وليس من قبل القانون الوضعى كما هو شأنها فى نظر الديمقراطيات الغربية .. فلا يملك ولى الأمر فى الدولة الإسلامية تقييد حريات الأفراد أو سلبهم حقوقهم إلا بسند شرعى من قرآن كريم أو سنة نبوية شريفة .. فلا تتوقف ممارسة الحقوق والحريات فى الإسلام على تقدير أو هوى السلطة الحاكمة ، ولو كانت سلطة سن القوانين .

وعلى قدر اهتمام الإسلام بالحقوق والحريات الفردية جميعا ، والتى تسمى فى الإسلام « تكريم الإنسان وصيانة حرماته » من : « دين ونفس وعقل ونسل ومال » ، فإن الإسلام يعطى « الحريات الاجتماعية » أو « التكافل الاجتماعى » وهو التسمية الإسلامية ، أهمية كبرى ، ليس لها مثيل فى الفكر « الديمقراطى التقليدى » ، وقد نجد لها قدرا متواضعا من الاعتبار فى الفكر « الديمقراطى الجديد » بشكل لايرقى ولايقارن بما قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرنا فى هذا المجال .. وللحريات الاجتماعية فى الإسلام أو « التكافل الاجتماعى » شقان ؛ الشق المادى ويتمثل فى الزكاة والصدقات والنفقات وماإليها .

والشق المعنوى ويتمثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وهو أمر لم يعرفه حتى الآن نظام سياسى وضعى .

أما عن « الحريات الاقتصادية » فقد سبق أن أوضحنا فى مقال تحت هذا العنوان أن الإسلام قد أقرها بصورة تختلف تماما عن

←

رؤية إسلامية للديمقراطيات الغربية

الصورة التى تصورها « الرأسمالية الغربية » ، فقد برأها الإسلام من كل استغلال وغبن ، ومن كل ما يثير الحقد والضغينة فى نفس الإنسان تجاه أخيه الإنسان ، فلا ربا ولا غرر ، ولا استغلال ، ولا إسراف ، ولا احتكار أو تلاعب فى حرية السوق ، فالاسلام يضمن حرية التعامل الاقتصادى ويحميها من كل مايشوبها من أمور قد تراها « الرأسمالية » من مقتضيات ومسلمات نظامها ... لذا فإن الإسلام قد أتى بأمور لاتعرفها « الرأسمالية » يمكن أن نطلق عليها « أخلاقيات وقيم التعامل الاقتصادى الإسلامى » .

هذا ولايوجد فى التاريخ الإسلامى كله مايشير إلى أن المسلمين غزوا وفتحوا من أجل مصادرة حريات البشر ، أو استغلال الشعوب ، أو قهرهم ، أو استنزاف ثرواتهم ، أو إفقارهم وإذلالهم ، أو إجبارهم على اعتناق الإسلام تحت دعوى نشر الحضارة أو الارتقاء بمستواهم الإنسانى .. الخ من الشعارات المضللة التى تفرض بها « الديمقراطية الغربية » على الشعوب وسوف نستشهد فى هذه المرة بماجاء فى دائرة المعارف البريطانية عن انتشار الإسلام فى مصر (التى كانت من أوائل الشعوب التى فتح الله عليها بالإسلام ، إذ تقول :

« There was no attempt to force or even to persuade the egyptians to convert to Islam, the Arabs even pledged to preserve the christian churches ».

وترجمة هذا أنه « لم تكن هناك أية محاولة لقهر أو إجبار المصريين كى يتحولوا إلى الإسلام ، بل إن (العرب) قد تولوا المحافظة على كنائس المسيحيين » .

وهذا المسلك هو قمة احترام حرية العقيدة بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلا .

خلاصة قولنا أن مفهوم ومضمون وممارسة الحقوق والحريات فى الإسلام يختلف عن ذلك الذى تقول به « الديمقراطيات الغربية » ... فهذه الأخيرة تكتفى بأن (يشعر) الإنسان بالحرية ، والحرية فى مفهوم الديمقراطيات الغربية حكر على مواطنى الدولة .. بل على القادرين منهم . أما مواطنو الدول الأخرى فقد تكفلت « الامبريالية » - الوجه الخارجى للديمقراطيات الغربية - بسلبهم كل حقوقهم وحرياتهم . وأما الإسلام فيمنح الفرد « القدرات » و« المكنات » التى تجعله يمارس حياته فى حدود ماشرع الله له ، وتتكفل الدولة وكل المجتمع الإسلامى بأن يتمتع كل فرد فيه بحقوقه وأن تصان كرامته ولا تمس حرماته ، لذا فالحرية فى الإسلام تبدأ من ضبط النفس ومنعها عن الهوى . يقول الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(الشمس /٧ - ١٠) ويقول سبحانه : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾(النازعات/ ٤٠ - ٤١) وتنتهى برعاية حقوق الناس والرفق بهم والتعاون معهم . يقول الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة/٧١) ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه (البخارى ومسلم) : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ... إن من مقتضى تكريم الله تعالى للإنسان ... ومن مقتضى

الأخوة الإنسانية أن يحترم المسلمون حقوق وحرمات الآخرين فلا يعتدون عليها امتثالا لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة/١٩٠) .. فالنفس الإنسانية أيا كانت لها احترامها وتكريمها ، كما أن المسلمين لايعتدون على حرية العقيدة لدى غيرهم لقول الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ . . . ﴾ (البقرة/٢٥٦) ويقول جل شأنه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(يونس/٩٩) ... بل إن للمسلمين أن يبروا غير المسلمين ممن لم يقاتلوهم في الدين لقول الله تعالى :﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة/٨) . وتعبير « البر » هنا هو أكثر المعاملات مودة ورحمة فمنه « بر الوالدين » ، وهو أكثر من مجرد العدل في المعاملة .. لذا فالعجب كل العجب أن يمن الله تعالى على المسلمين بهذا المنهاج القويم ، ثم يتخذه البعض وراءهم ظهريا ليستبدلوا به أفكارا وضعية زائفة قائمة على مجرد الظن والافتراض .

موقف الإسلام من فكرة حقوق الإنسان

تحتل فكرة « حقوق الإنسان » منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادى مكانة هامة فى الفكر الديمقراطى إذ تمخضت عنها كل من « الثورة الأمريكية »، « والثورة الفرنسية » . وقد تأكدت هذه الفكرة كقيمة سياسية حينما أصدرت منظمة « الأمم المتحدة » مايسمى « بالإعلان العالمى لحقوق الإنسان » فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨م .

ورغم أن تعبير « حقوق الإنسان » هو تعبير محبب إلى نفس المستمع إلا أن مضمونه فى « الفكر الغربى » مضمون معيب لايتفق وماجاء به الإسلام ، بل لا يتفق وما جاءت به الشرائع السماوية فى أمور جوهرية :ـ

١ ـ تنطلق فكرتا الحقوق والحريات ، وحقوق الإنسان بمفهوميها الغربى من مبدأ « المساواة » التامة بين بنى البشر ، وقد عبر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان عن هذه الفكرة فى أكثر من موضع ... ويركز الإعلان على مايطلقون عليه « مساواة المرأة بالرجل » وكأنما لم يخلق الله تعالى الذكر والانثى ! بل واختص كلا من الجنسين بصفات ومكنات وحمّل كلا منهما بمسئوليات تجاه المجتمع ... يقول الله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف / ٣٢)

إن فكرة المساواة المطلقة فكرة وهمية خادعة ، لا تتفق وأهم القيم التى عرفتها الإنسانية ، والتى أمر الله تعالى بها وهى « العدل » ، فالإسلام وسائر الشرائع السماوية أمرت « بالعدل » ، فبالعدل تطمئن النفوس وترضى بماقسم الله لها ، ولا تنازع الآخرين فى فضل الله . يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ . . . ﴾ (النساء/٣٢) والإسلام لا يقر المساواة المطلقة ، ومرد ذلك إلى الاختلاف بين بنى البشر بطبيعة خلقهم ، وبسبب تفضيل الله تعالى بعض الناس على بعض فى الرزق ، وفى القدرة الجسمية ، وفى الذكاء ، وفى العلم والحكمة ، وفى التقوى والإيمان ، لكن هذا التفضيل قد قدره الله تعالى لحكمة مؤداها قيام كل فرد فى المجتمع بوظيفة تتناسب وما اختصه الحكم العدل به من قدرات وملكات ، وحتى يتكامل أعضاء المجتمع فيتعاونوا لا أن يتشابهوا فيتصارعوا ، حتى يبلو الله كلا فيما آتاه يقول الله تعالى :

﴿ . . . نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الانعام/٨٣) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الانعام/١٦٥) .

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة/١١) .

﴿ لَّايَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء/٩٥) .

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّايَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة/ ١٨) .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر/ ٩) . بل إن الله تعالى لم يسو بين رسله عليهم السلام أجمعين فى قوله تعالى :-

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ (البقرة/ ٢٥٣) ... كما أن الله تعالى لم يسو بين الرجال والنساء فى قوله تعالى :-

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ... ﴾(النساء/٣٤) ، ولكنه سبحانه عدل بين الفريقين فى قوله : ﴿ .... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(البقرة/٢٢٨) .

إنه لايتصور أن تسير الأمور فى مجتمع تسوده المساواة المطلقة .. إن مقتضى « العدل » ألا تكون المساواة مطلقة ، وإنما تكون هناك فرص متكافئة ، وتكافل اجتماعى فرضه الله تعالى ، واعتبار لمعايير التفضيل التى قدرها الله تعالى بسابق علمه وحكمته ، وهى التقوى ، والعلم ، والجهاد فى سبيل الله ... ويبقى بعد ذلك أن الناس جميعا عباد الله تعالى وأنهم جميعا مخاطبون بأحكام شريعة الله تعالى ... كل حسب قدرته ... ﴿ لَايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾ (البقرة/٢٨٦) .

من هذا يتضح لنا أن الإسلام يعتبر « العدل » - لا المساواة المطلقة - هو القيمة العليا التى أمر الله تعالى بها فى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل/٩٠) .

والعدل فى نظر الإسلام هو العدل المطلق الذى لاتمييز فيه بسبب جنس أو لون أو لغة أو دين أو رأى أو أصل وطنى أو اجتماعى أو ثروة أو نسب بل إن الإسلام بلغ بمفهوم العدل مبلغا هيهام للبشرية أن تدركه وهو العدل مع « الأعداء » لقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة/٨) وقد طبق المسلمون الأوائل العدل بهذا المفهوم .

٢ - تقرر المادة السادسة عشرة من الإعلان المذكور أنه : « للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أى قيد بسبب الجنس أو الدين ، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله » .

وهذه المادة تخالف الشرع والإسلام على التفصيل التالى :-

(أ) يحرم على المسلمة الزواج بغير المسلم مطلقا ، حتى ولو كان من أهل الكتاب (يهوديا أو نصرانيا) لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ . . ﴾ (الممتحنة/١٠) وفى هذا صون للأسرة من الانحلال بسبب الاختلاف فى الدين عند عدم احترام الزوج بموجب عقيدته - وهو الأقوى فى داخل الأسرة - لعقيدة ومقدسات زوجه ، كما أن الأولاد سوف يتبعون أباهم فى الغالب .

(ب) يحرم زواج المسلم بمن لا تدين بدين سماوى .... وذلك لعموم قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ . . . ﴾ (البقرة/ ٢٢١) لأن مثل هذا الزواج يجعل الحياة الأسرية غير مستقيمة إلا على أساس التهاون بأمر الدين .

(جـ) الحقوق المتبادلة بين الزوجين متوازنة تماما لقول الله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ . . ﴾ (البقرة/٢٢٨) لكن الحقوق المتقابلة ليست من جنس واحد لاختلاف مسئولية كلا الطرفين داخل الأسرة .

٣ - تقرر المادة الثامنة عشرة من الإعلان : « حرية تغيير الديانة أو العقيدة ..» والإسلام دين لكل البشر لقول الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا . . . ﴾ (سبأ/ ٢٨) ،لكن الارتداد عن الإسلام محرم حفظا للعقيدة وقدسيتها وعدم اتخاذها لهوا ولعبا ... وذلك لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل زنى بعد إحصان فعليه الرجم ، أو قتل عمدا فعليه القود ، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل » (رواه النسائى) ، والردة هنا تعنى الرجوع عن الإسلام ... يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة/٢١٧) .

ذلك ولم يستطع المجتمع الإنسان - فى ظل هذا الإعلان - أن يحصل إلا على قدر ضئيل من حماية كرامته أو حتى حقوقه التى منحها الله تعالى له ، فلم تقر الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية - على قصورها - إلا منذ الثالث من يناير عام ١٩٧٦م .

وما بالنا نبتغى الهداية فى غير كتاب الله وسنة رسوله وقد أرسل الله تعالى رسوله بما ينفعنا فى الدنيا والآخرة ..

إن من يعيد قراءة خطبة حجة الوداع لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليجد فيها تتمة حقوق الإنسان التى أتى بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان بشكل لم تصل إليه الإنسانية إلى الآن .. ولنعرض لبعض ماجاء بهذه الخطبة الجامعة فيما ركزت عليه من أهم أمور تصون كرامة الإنسان وتحقق سعادته وأمنه :

١ - « أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم .. » .

٢ - « فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها » .

٣ - « وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون . قضى الله أنه لاربا » .

٤ - « ... وأن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم .. » فهذا المبدأ يقرر حق الإنسانية فى أن تعيش فى سلام أربعة أشهر كل عام منها ثلاثة متصلة .. لعل الساسة أن

البقية ص ٥٧٥

عبد الله بن عباس

ترجمان القرآن

للأستاذ الدكتور: عبد العزيز غنيم

في حياة النبي ..

في مكة البلد الحرام وفي شِعْب عبد المطلب بن هاشم ولد حبر الأمة الإسلامية وصدر علمائها وفقهائها عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وامه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية ، ويكاد يتفق الرواة على أن ولادته قد كانت اثناء مقاطعة قريش للنبي عليه الصلاة والسلام واقاربه من بني هاشم وبني المطلب غير انهم قد اختلفوا[1] في العام الذي ولد فيه اهو العام العاشر للبعثة النبوية ام ان هذه الولادة قد كانت قبل ذلك بعامين .

وقد تفرع عن هذا الخلاف خلاف آخر حول سنه عند وفاة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فذهب فريق إلى أنه قد كان في الثالثة عشرة ، وذهب فريق آخر إلى أنه قد كان في الخامسة عشرة وسواء أصح هذا الرأى أو ذاك فإن ابن عباس قد كان قريبا إلى قلب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان يتوسم فيه الخير ويرى أنه سوف يكون له مكانة في دنيا العلم وعالم المعرفة ، قدموه إليه إثر ولادته فحنكه ومسح على شعره وجسمه وقال : اللهم[2] فقهه في الدين وعلمه الحكمة أو قال : وعلمه التأويل . وقد كان ابن عباس هذا ذا شفافية منذ نعومة أظفاره ، فقد روى عنه أنه رأى جبريل مرتين[3] وهذه منزلة لا يتبوؤها إلا من سلمت نفسه ورق حسه ورفعت الحجب عنه وهيأه الله تعالى لاستكناه أسرار وحيه واستخراج كنوز كتابه ، وهو ما تحقق له

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ٢/٣٣٠ ط / دار الفكر .
(٢) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ٢/٣٦٥ ط دار بيروت للطباعة والنشر .
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ٢/٣٣٠ .

بعد ما بلغ أشده ونضج فكره واستوى على أريكة العلم والمعرفة فى زمانه ، وسوف نعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى - إن شاء الله - ونحن نتحدث عن منزلته بين علماء عصره وما أشك فى أن ابن عباس هذا قد كان شديد الملازمة للنبى - عليه الصلاة والسلام - وكثير التردد عليه والتلقى عنه والسماع منه وهذا هو السر فى نبوغه المبكر فى الحديث والتفسير والإفتاء وهى الجوانب الثلاثة التى لم يكن يشبهه فيها غيره .

والتى جعلت أصحاب النبى أنفسهم يلجعون[٤] إليه وينهلون من علومه ومعارفه ولأن النبى - عليه الصلاة والسلام - قد كان يتوسم فى عبد الله هذا التفوق والنبوغ فى الدين والدنيا ، فإنه قد كان يتخوله بالموعظة ويتعهده بالنصيحة ويفضى إليه بما ييسر له أمره ويعينه على المهام التى سوف توضع على عاتقه من رعاية كتاب الله وسنة رسوله ، رآه يوماً يمشى فى الطريق فأردفه خلفه وقال له : ياغلام[٥] إنى معلمك كلمات : فاحفظهن « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك . وإن اجتمعوا على أن يضروك . لم يضروك بشىء إلا بشىء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وواضح من هذه النصيحة البليغة التى نقشها رسول الله فى فؤاد ابن عمه أنه قد جعل الله تعالى كل شىء فى حياته ، فإذا سأل فلا يسأل إلا الله ، وإذا استعان فلا يستعين إلا به سبحانه فهو وحده الآمر الناهى وهو وحده النافع الضار والناس جميعاً بالنسبة له لا يملكون شيئاً وإن قل ولا يدفعون شراً وإن ضؤل وكل ما هو كائن مكتوب ، وما الناس فى جلب النفع ودرء الضر إلا وسائل وأدوات لتنفيذ ما أمر الله أن يكون ومنع ما أراد ألا يكون ، وما فى علم الله لا يقبل التغيير ولا التبديل رفعت الأقلام وجفت الصحف .

وإذا كان نشاط ابن عباس وتفوقه فى دنيا العلم والمعرفة لم يتضح فى حياة النبى - عليه الصلاة والسلام - فقد كان ذلك لأنه كان طفلاً لم تبرز مواهبه ولا كشفت الأيام عن مزاياه وملامح العظمة فيه - أما فى عهد الراشدين فإن ابن عباس قد برزت عبقريته ومخايل ذكائه فقد حرص أول ما حرص إثر وفاة النبى - عليه الصلاة والسلام - على جمع سنته[٦] ولأنه كان يعلم أن أكثر أحاديثه عند الأنصار فإنه كان يأتيهم ويسألهم عما يحفظون مما سمعوا من الرسول ، وكان إذا علم أن أحدهم عنده حديث ليس عند غيره بحث عنه حتى يأتيه وكان يضرب أكباد الإبل من أجل ذلك غير مبال بما يعانى من لأىٍ ولا ما يكابد من نصب ، وإذا عرفت أن الأنصار قد انخرطوا فى الجيوش التى حشدها الراشدون للفتح وأن الكثيرين منهم قد اقاموا فى البلاد التى رفرفت عليها رايات الإسلام من أملاك الفرس والروم تبينت لك الجهود المضنية التى عاناها ابن عباس والمتاعب الشاقة التى قاساها فى جمع السنة وحفظها واسمع ماروواه عكرمة عن ابن عباس فى ذلك :

- قال ابن عباس[٧] . لما قبض رسول الله ، ﷺ ، قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ، ﷺ فإنهم اليوم كثير ، قال فقال : وعجبا لك يا ابن عباس : أترى الناس يفتقرون إليك وفى الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، من فيهم ، قال فتركت ذلك وأقبلت أسأل

←

(٤) أسد الغابة - ٢٩١/٣ ط/ الشعب .
(٥) أسد الغابة - ٢٩٣/٣ ط/ الشعب .

(٦) الطبقات الكبرى - لابن سعد ٣٦٧/٢ .
(٧) الطبقات الكبرى - ابن سعد ٣٦٨/٣٦٧/٢

عبد الله بن عباس

أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث فإن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل فآتى بابه وهو قائل فأتوسد ردائى على بابه تسفى الريح على التراب فيخرج فيرانى فيقول لى : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ألا أرسلت إلى فآتيك ؟ فأقول : لا : أنا أحق أن آتيك : فأسأله عن الحديث ، فعاش ذلك الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى ليسألونى فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى !

وكما كان ابن عباس أمة وحده فى حفظ سنة رسول الله وجمعها وإصدار الأحكام والفتاوى على مقتضاها فقد كان أمة وحده كذلك فى فهم كتاب الله تعالى وتأويله ومعرفة مافيه من الحلال والحرام وغيرهما ، حتى كان الناس يطلقون عليه فى عصره وفيما بعد عصره ترجمان القرآن[٨] وحتى نشأت على يديه مدرسة فى التفسير لها مزاياها وسماتها ولها أساتذتها وتلاميذها . وقد تسأل وكيف أدرك ابن عباس هذا الأوج الذى لا يدرك فى فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام والفتاوى منهما ؟!

والجواب : أن السر فى هذا هو :

أولا : قربه من النبى - عليه الصلاة والسلام - وتأدبه على يديه وهو كنز الحكمة وبحر المعرفة .

ثانيا : ثقافته التى لا حد لها بأشعار العرب وأيامهم مما كان له الأثر الذى لا ينكر فى الاستحواذ على اللغة وامتلاك ناصيتها .

ثالثا : ما آتاه الله تعالى من لسان فصيح وعقل رجيح .

رابعا : جلوسه الطويل إلى كبار أصحاب النبى حتى علم علمهم وخبر فقههم وعرك تجاربهم وخبراتهم وأخيرا وليس آخراً هذا الدعاء[٩] الذى خصه به النبى - عليه الصلاة والسلام - أكثر من مرة وهو : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » ، وقد كان ابن عباس لا يكتم علمه الذى علمه الله إياه ولا كانْ يتقاضى أجراً على نشره وإذاعته ، فكان يجلس للناس فى المساجد وهى يومئذ مراكز العلم والمعرفة فيتفجر كما يتفجر البحر ويتدفق كما يتدفق السيل وكان هواة المعرفة على اختلاف أهوائهم واختلاف مشاربهم وآرائهم يتحلقون حوله ، فيخوض مع كل فريق منهم فيما يعلم ويخاطبه بما يهوى ويفهم وقد تضافرت الروايات على أنه كان يخصص لكل جانب من العلم يوماً يتحدث فيه ، فللحديث يوم وللتفسير يوم ولأشعار العرب يوم ولأيامهم يوم .. الأمر الذى يدل على أن الرجل قد احتوى ثقافات عصره وجمع معارف زمانه ، وكان إماماً يرجع إليه ونبراساً يستضاء به ودائرة عامة يجد فيها كل راغب ما يحقق رغبته ويشبع هوايته ، وقد شهد له أقطاب عصره وأعلم علماء زمانه ومنهم - على سبيل المثال[١٠] - عائشة وأم سلمة زوجتا رسول الله ﷺ وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم كثيرون من علماء الصحابة والتابعين وعلماء أهل الكتاب . ولأن ابن عباس كما ترى قد كان أحد أقطاب العلم وأعلامه فإن عمر وعثمان - رضى الله عنهما - كانا لا يستغنيان عنه إذا عرضت لهما قضية أو صادفتهما مشكلة ، وكان عمر على سبيل الخصوص إذا أذن لأهل بدر[١١] فى

(٨) الإصابة فى تمييز الصحابة ٢/ ٣٣١ .
(٩) البداية والنهاية - ابن كثير ٨/ ٢٩٩ ط/ مكتبة المعارف بيروت .
(١٠) الطبقات الكبرى - ابن سعد ٢/ ٣٦٩ .
(١١) الطبقات الكبرى - ابن سعد ٢/ ٣٦٥ .

الدخول عليه ، أذن له معهم ويظهر أن بعضهم قد كلمه فى ذلك لحداثة ابن عباس وصغر سنه ، فسألهم فى مسائل من العلم وسأله فعجزوا وأجاب ، فقال عمر ولهذا فإنى أذنت له فى الدخول معكم ، وقد كان عمر يفكر فى إسناد إحدى الوظائف الرئيسية فى الدولة الإسلامية إلى ابن عباس غير أنه كف ولم يفعل وقد جرى بين الرجلين حوار حول هذه القضية جاء فيه :

« قال عمر لقد هممت أن أستعملك . قال ابن عباس وما الذى يمنعك يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر : لقد رأيت النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد ولى الناس ولم يولكم ووالله ماأدرى أضن بكم عن العمل فأنتم له أهل أم اخشى من أن تقولوا هلم إلينا ولا هلم إليكم وحدكم .

وواضح من هذا الحوار أن عمر قد كان على اقتناع أن عبد الله بن عباس كفء للعمل وأنه لم يمنعه من إسناد بعض الوظائف الهامة إليه إلا شكه فى السبب الذى من أجله لم يستعملهم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد أسند عثمان إلى ابن عباس إمرة الحج[١٢] فى العام الذى استشهد فيه . أما على رضى الله عنه فإنه قد ولاه حكم البصرة[١٣] غير أنه لم يبق فيها إلا يسيرا حتى نشب الخلاف بين على وبينه فاستقال[١٤] من عمله وولى إلى مكة فى حماية أخواله وفى خلافه الحسن بن على عاد عبد الله بن عباس إلى العراق وتولى إمرة الجيش الذى أعده الحسن لقتال معاوية وقد ادعى فريق من المؤرخين أنه تخابر مع ابن أبى سفيان وأخذ منه مالاً وصالحه ، وخرج ليلاً حتى انضم إليه ووضع يده فى يده ، والحق أن الذى تولى إمرة الجيش وانضم إلى معاوية ليس هو عبد الله بن عباس وإنما هو أخوه عبيد الله وقد انضم عبد الله بن عباس إلى المعارضين فى ولايته العهد إلى يزيد بن معاوية ورفض بيعته لكنه مالبث أن قبلها ووضع يده فى يده ، وكان ابن عباس يزور معاوية فى دمشق ويقبل جوائزه ولما خرج الحسين وابن الزبير من المدينة ولجأ إلى مكة فراراً من بيعة يزيد ، وقف ابن عباس إلى جوار الحسين ينصحه ويمحضه مشورته ورأيه ، ولما عزم الحسين على الخروج من مكة إلى الكوفة لم يألُ ابن عباس[١٥] جهدا فى نصح الحسين وتوجيهه وكشف النقاب عن الأخطار التى تنتظره ، وقد عاتب ابن الزبير عتابا شديداً لأنه كان من المشيرين عليه بالخروج إلى العراق .

ولم ينته دور ابن عباس السياسى عند هذا الحد وحسب وإنما كان له موقف من ابن الزبير[١٦] ذكره الرواة : ونترك القاضى الحسين ابن الحسن يحدث عن جده حول هذا الموقف فيقول : « لما وقعت[١٧] الفتنة بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان . ارتحل عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية بأولادهما ونسائهما ، حتى نزلوا مكة ، فبعث عبد الله بن الزبير إليهما : تبايعان . فأبيا وقالا : أنت وشأنك لا نعرض لك ولا لغيرك فأبى وألح عليهما إلحاحاً شديداً ، فقال لهما فيما يقول لتبايعانى أو لأحرقكما بالنار . فبعثا أبا الطفيل إلى شيعتهم بالكوفة وقالا : إنا لا نأمن هذا الرجل فانتدب أربعة آلاف فدخلوا مكة ، فكبروا تكبيرة سمعها أهل مكة وابن الزبير ، فانطلق هاربا حتى دخل دار الندوة . ويقال : تعلق بأستار الكعبة وقال :

(١٢) اسد الغابة ٣/٢٩٤ .

(١٣) اسد الغابة ٣/٢٩١ .

(١٤) الطبرى تاريخ الأمم والملوك ٦/٨١ ط دار القلم بيروت .

(١٥) الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك ٥/٣٨٣ .

(١٦) الإمامة والسياسة : ٢٧٢ ـ ٢٧٥ ط/ النيل بالقاهرة .

(١٧) اسد الغابة ـ ٣/٢٩٣ .

عبد الله بن عباس

أنا عائذ بالبيت . قال : ثم ملنا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابهما ، وهم فى دور قريب من المسجد ، قد جمع الحطب فأحاط بهم حتى بلغ رءوس الجدر ، لو أن ناراً تقع فيه ما نجا منهم أحد . فأحزناه عن الأبواب وقلنا لابن عباس : ذرنا نريح الناس منه .. فقال : لا هذا بلد حرام حرمه الله . ما أحله عز وجل لأحد إلا النبى ﷺ ساعة ، فامنعونا وأجيزونا قال : فتحملوا وإن منادياً ينادى فى الخيل . ماغنمت سرية بعد نبيها ، ما غنمت هذه السرية . إن السرايا تغنم الذهب والفضة ، وإنما غنمت دماءنا . فخرجوا بهم حتى انزلوهم منى ، فأقاموا ماشاء الله . ثم خرجوا بهم إلى الطائف .

وظاهر من هذا النص الذى نقله ابن الأثير عن القاضى الحسين أن ابن عباس وابن الحنفية كليهما قد رفضا بيعة ابن الزبير والسبب فى هذا هو أنهما كانا يريان رأى عبد الله بن عمر . وهو الا يبايع لرجل حتى تدخل الأمة كلها فى طاعته وقد كانت الأمة آنذاك منقسمة بين ابن الزبير وعبد الملك بن مروان وعلى الرغم من أن ابن الزبير قد جمع الحطب وهدد بإحراق عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية ، فإنهما رفضا قتال ابن الزبير فى مكة وأبيا أن يخليا بين شيعتهما وبينه ليقتلوه ويريحوا الناس منه وآثرا الخروج من مكة والذهاب إلى الطائف على إراقة دماء المسلمين فى بلد الله وحول بيته وحرمه ، ولاجدال فيما يدل عليه هذا الموقف من إيثار الرجلين لدينهما وعدم التعلق بأهداب السلطة التى لم تكن تساوى عندهما شيئاً أمام إيثار الله والدار الآخرة ، وبعد سبعين عاماً قضاها هذا الصحابى الكريم عاكفاً على العلم متفرغاً له مكرساً الوقت والجهد فى سبيله غادر هذه الدنيا راضية نفسه صافية روحه ، وقد قال لعواده وهو فى مرض موته : إنى أموت فى خير عصابة على وجه الأرض . أحبهم إلى الله ، وأكرمهم عليه وأقربهم إلى الله زلفى ، فإن مت فيكم فأنتم هم . فما لبث إلا ثمانى ليال[١٨] بعد هذا القول حتى توفى وصلى عليه محمد بن الحنفية .

ومن دلائل النبوة فى هذا الصحابى الكريم أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما علم أنه رأى جبريل أخبر أنه سيؤتى علماً وأنه سيصاب فى بصره وكان القول كما أخبر فقد كان ابن عباس أعلم أهل زمانه كما عرفت وقد أصيب فى بصره فى نهاية عمره وله فى ذلك شعر جاء فيه :

إن يأخذ الله من عينى نورهما
ففى لسانى وسمعى منهما نور[١٩]
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل
وفى فمى صارم كالسيف مأثور

وكما بارك الله لعبد الله بن عباس فى علمه فقد بارك له فى نسله[٢٠] فقد أنجب خمسة ذكور وهم العباس وعلى ومحمد والفضل وعبد الله وابنة واحدة وهى أسماء ، وأمها أم ولد .

ويقول الرواة : إن عبد الله بن عباس قد احتوى علم الصحابة فأساتذته إذن كثيرون غير أن المعهم ثلاثة وهم على وعمر وأبى بن كعب ، وكذلك كان تلاميذه ومنهم مواليه وأشهرهم عكرمة وشعبة .. ويقول ابن كثير إنه أسند الفين وستمائة وسبعين حديثاً فرحم الله حبر الأمة بن عباس وبحر علومها وترجمان قرآنها وجامع سنة نبيها .

---

(١٨) أسد الغابة ـ ٣/٢٩٣ ـ ٢٩٤ .
(١٩) أسد الغابة ٣/٢٩٤ .
(٢٠) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ٨/٢٩٥ .

الإخلاص روح التقوى

للدكتور: زكى مشعل

سبحانك ربنا اهدنا برحمتك إلى احسن الأخلاق وأكرمها فلا يهدى إليها إلا انت سبحانك .

« تقوى الله عز وجل اعظم مصادر الطاقة » .

إن البشرية لم تستطع بعد أن تمتلك أَهَمَّ مصادر الطاقة المحركة ، التى تبنى الإنسان قبل أن تبنى المصنع فإن عليها أن تبدع الوجدان قبل أن تصنع الصاروخ وأعنى بهذه الطاقة الإنسانية ... طاقة الإيمان الصادق . وهذا كلام لا يفهمه الماديون ... بل إنهم قد يضيقون به ذرعاً ... وربما اتهموا قائله بالرجعية أو الغيبية ...

إن هؤلاء الماديين أعداء ما جهلوا ... وأن الطاقات المادية جميعاً قد عجزت إلى الآن - برغم ازدهارها الجنونى - عن أن تهيىء للإنسان حاجته من السكينة والأمن والسلام وحتى نفجر طاقة الإيمان مُحرِّكة بانية خلاقة لا بد أن نتعهدها بتمهيد التوبة النفسية وهذا التمهيد النفسى لا يتم إلا بتقوى الله تعالى ومعنى التقوى أن يقى الإنسان نفسه من بأس الله وعقابه .. وذلك باجتناب نواهيه وامتثال أوامره ، وقد عرف بعض العلماء تقوى الله تعالى بأنها : « طاعته بلا عصيان وشكره بلا كفران » ، ولما كانت التقوى بهذا المعنى المطلق قد شقت على كثير من الناس فقد اقتضت حكمة الرءوف الرحيم التخفيف عن عباده ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

وقد تواترت آيات القرآن الكريم ، تتحدث عن تقوى الله سبحانه ، وتأمر بها وتجلى آثارها كقوة ذاتية دافعة فى حياة الفرد والجماعة يقول الحق جل شأنه : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة - ١٩٧) ويقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٢) وإنما تكرر أمر الله سبحانه وتعالى بالتقوى والحث عليها ، للدلالة على أنها تلك القوة البناءة فى تهذيب الحياة وعلاجها من العلل والأوجاع .

ولنتأمل بعض آيات التقوى فى القرآن الحكيم لندرك ما لها من آثار وتجليات ، إنها تنير القلب وتهذب النفس وتكفر السيئة وتغفر الذنب

←

الإخلاص روح التقوى

وتستجلب الرحمة وتصلح العمل وانظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحديد ـ ٢٨) والتقوى تفرج الأزمات والضوائق وتستجلب الرزق ، وذلك مصداق قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ وقوله ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ (الطلاق ـ ٤) .

وللتقوى أيضاً أثرها الواضح فى بركة الذرية وحفظها وحمايتها : مصداق ذلك قول العزيز الرحيم : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ (النساء ـ ٩) . وإذا كانت التقوى هى أعلى مراتب الإيمان وغاية العبادات ؛ فإن للتقوى مراتب أعلاها التبتيل الذى هو فضيلة من فضائل الإيمان الخالص ، وقد ورد ذكر التبتيل فى آية واحدة من القرآن الكريم ، خاطب الله فيها رسوله محمداً صلوات الحق وتسليمه عليه بقوله :

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ (المزمل ـ ٨) ومن أقوال المفسرين فى هذه الآية الكريمة أن الأمر بذكر الله معناه الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى ، والتبتيل معناه الإنقطاع إلى الله والتفرغ لعبادته إذا فرغ المرء من شغله وما يحتاج إليه من أمور دنياه . كما قال الحق سبحانه ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ أى إذا فرغت من أشغالك فانصب فى طاعته وعبادته لتكون فارغ البال عن اشتغالك إلا به .

ويقول الفخر الرازى : أما الذكر فاعلم أنه إنما قال ها هنا ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ وقال فى آية أخرى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ﴾ لأنه لا بد فى أول الأمر من ذكر الاسم باللسان مرة ، ثم ذكر المسمى بعد ذلك . وأما التبتيل إلى الله ، فهو الانقطاع عن كل ماسوى الله ، والاشتغال به وحده عما سواه .

التوبة من الذنوب

ومن مراتب التقوى أيضا ، مرتبة التوبة من الذنوب والاستغفار من الآثام والإنابة إلى الله وعدم القنوط من رحمته ، فهذه كلها من دلائل الطاقة والاستقامة والتقوى ، وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا ـ صلوات الرحمن عليه وتسليمه ، أن يبشر الطائعين المستغفرين بأجزل الثواب فى الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران ـ ١٥)

كما أمر الحق سبحانه وتعالى نبيه هوداً ـ عليه السلام ـ أن يهيب بقومه : ﴿ وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ هود ـ ٥٢)

ولقد وعى سلفنا الصالح ما للاستغفار من فضل ومكانة ، فكان وسيلتهم إلى الله تعالى فى كل ضيق ونازلة ، روى أن رجلاً شكا الجدب إلى سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ فقال له : استغفر الله ، وشكا آخر الفقر ، وشكا إليه ثالث قلة النسل ، ورابع قلة ريع الأرض ، فأمرهم جميعاً بالاستغفار ، فقال له الربيع بن صبيح : أتاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار ، فتلا عمر قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل

لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ نوح (١٠ ـ ١٢) .

هذه هى تقوى الله ، طريق الإيمان الصادق وثمرته طاقة القوة المحركة المبدعة لأنها من قوة خالق الكون ومحركه ومبدعه ، وخليق بأهل هذا الزمان أن يرتادوا مصادر هذه الطاقة الهائلة إذا أرادوا الفلاح والرشاد ، وإذا أرادوا بناء حضارة حقيقية للإنسان قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف ـ ٩٦) .

واتجاه المسلم إلى الإيمان الحق اليوم مستجيراً به من عاديات الزمن ، مستنجداً به مما يصيبه من أيامه ، مستعينا بإيمانه على حل مشاكله ووضع الحلول الحاسمة لما قد يصادفه منها إنما هو اتجاه لما قد يحدد أمامه الغاية ، ويضع له الهدف فى حاضره ، وفى مستقبله ويجسد له الأمل ويحقق له الأمان فى كل أموره ، بل ويجعل لحياته معنى ، ولخطه المستقيم فيها غاية تجعله يحرص على الخير ويأخذ نفسه به ، ويدرب نفسه على الاستجابة إليه .

والإنسان تحيط به شهوات ، تغريه بتجاوز الاعتدال والوقوع فى المنكرات وكل ما هو ذميم . فإذا راقب ربه فيما وكل إليه وائتمن عليه تحققت الرقابة الحقة يقول الحق تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ . (الأنفال ـ ٢٩)

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾. (النساء ـ ٥٨) .

ويقول رسول الحق ـ صلوات الحق عليه وسلامه ـ من غشنا فليس منا[1] يستعيذ رسول الرحمن ـ صلوات الرحمن عليه وسلامه من الخيانة فيقول « اللهم إنى أعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة »[2] فالخيانة رذيلة تدل على خلق سىء ونفس فاسدة شديدة لا تراقب الله ولا تخشاه وضد الخيانة الأمانة وبقدر ما أعد الله للخائن من احتقار فى الدنيا بقدر ما تكفل للأمين بالإجلال والتقدير فى دنياه وحسن الثواب فى أخراه . يقول رسول الحق ـ صلوات الرحمن عليه « اضمنوا لى ستا أضمن لكم الجنة ، أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا عاهدتم وأدوا إذا ائتمنتم ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا أيديكم »[3] .

والأمانة أن يؤدى الإنسان حقوق ربه عليه فالدين أمانة ، والعبادات أمانة ولذلك كان عدم أداء العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مع القدرة خيانة وانحرافا قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال ـ ٢٧) ونظراً لأن العبادة أمانة والدين أمانة نجد عمر بن الخطاب يحرص على أداء العبادة وضمان ماعليه من دَيْن عندما أخذت روحه فى العودة إلى خالقها بطعنة أبى لؤلؤة المجوسى .

وصدق الله رب العالمين ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال ـ ٤ . والأمانة أن يؤدى الإنسان حقوق الناس التى هى عليه ولذلك كانت المعاملات أمانة وكانت الأعراض أمانة وكانت الوعود أمانة ، وكانت المجالس بأسرارها أمانة وكانت

←

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه النسائى .
(٣) رواه مسلم .

الإخلاص روح التقوى

الودائع أمانة ، وعدم ردها خيانة ، وعدم أداء الدَّيْن مع القدرة خيانة وعدم الوفاء بالوعود والاتفاقات خيانة .

يقول رسول الرحمن ـ صلوات الرحمن وسلامه عليه ـ « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له »[٤] .

والأمانة أن يؤدى الإنسان حقوق النفس عليه فيوجه جوارحه إلى الخير الذى أمر الله به ويبتعد بها عن الشر الذى نهى الله عنه ، فلا يمكن أن يستوى فى التقدير يد عابثة تقتل وتسرق وتظلم ، بيد تساعد المحتاج وتمسح دمعة يتيم أو فقير ، أو مريض ، وصدق قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء ـ ١٠٧) وما أعظم الحكمة : (إذا أمكنتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك) ويقول الرسول صلوات الحق عليه : « أعمل ماشئت كما تدين تدان »[٥] ولا يمكن أن يستوى فى التقدير قدم تسعى إلى المساجد لتؤدى الفريضة وتسعى لتقوية العلاقات بين الناس ، وتمشى لزيارة مريض وتوديع أخ فى الله ، بقدم تمشى إلى الملاهى لترتكب ماحرم الله

يقول رسول الحق صلوات الحق عليه وتسليمه « من عاد مريضاً أو زار أخاً له فى الله ناداه مناد من قبل الله أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة مقعداً[٦] ».

ولا تستوى عين حاقدة وحاسدة يغريها شيطان فتنظر إلى ما حرم الله ، بعين فاحصة تتدبر فى ملكوت الله بعين راضية تنتج ما يسعد الناس ويرضى عنه الله .

ولا يستوى لسان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحمد الله ويشكره على نعمه التى لا تحصى ـ بلسان كذوب يسعى بالغيبة والنميمة وشهادة الزور ويلصق التهم بالأبرياء فيسىء إلى صاحبه ويوقعه فى الإثم والضلال ويسىء إلى الآخرين .

---

(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه النسائى .
وأبو داود والترمذى .
(٦) رواه ابن ماجه ومسلم .

الفتاوى

إعداد الشيخ على حامد عبد الرحيم

مكر الله وكيف يكون؟

س ١ : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ كيف يكون مكر الله عز وجل وكيف نأمن هذا المكر ؟

وهل إذا شعرنا بالخوف من مكر الله يعتبر هذا سوء ظن به سبحانه وتعالى .. ؟

يحيى جادالله - أسيوط

جـ ١ : هذا جزء من الآية الثلاثين من سورة الأنفال . وفيها يقول عز من قائل : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

قال الإمام القرطبى : المكر هو التدبير فى الأمر فى خفية ، والمكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون .

وجاء فى تفسير المنار : المكر هو التدبير الخفى لإيصال المكروه إلى الممكور به من حيث لا يحتسب ، ووقاية الممكور له من المكروه كذلك ، والغالب فى عادات البشر أن يكون المكر فيما يسوء ويذم من الكذب والحيل ، ولذلك تأول المفسرون ماأسند إلى الله جل شأنه من المكر فى هذه الآية وغيرها بأنه من باب المشاكلة بمعنى أن مكر الله هنا هو تجنب مسعى المشركين ومجازاتهم على أفعالهم .

فالمكر قد يكون سيئاً وشراً كما قال تعالى فى سورة فاطر : ﴿ اسْتِكْبَاراً فِى الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

وقد يكون المكر حسناً كما جاء فى الدعاء المرفوع الذى رواه أبو داود « وامكر لى ولا تمكر علىّ » .

ومن مكر الله الاستدراج بالنعمة ، والمؤمن مطالب أن يكون بين الرجاء والخوف ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

ولا ينبغى للمؤمن أن يسىء الظن بالله تبارك وتعالى فهو القائل فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى » فلا يعتبر عدم الأمن من مكر الله سوء ظن به سبحانه .

←

الفتــاوى

وقد نهى الإسلام نهياً شديداً عن إساءة الظن بالله تبارك وتعالى .

لك حق التصرف فى ملكك

س ٢ : امتلك منزلين مساحة الأول ١٠٢ متر ومساحة الثانى ٦٠ مترا وكلا المنزلين من ثلاثة طوابق . قمت بكتابة البيت الأول لابنى ، فهل يجوز لى ان اكتب المنزل الثانى لابنتى وزوجتى . افيدونى ..

محمد وهيب نوارة ـ كفر العاب ـ دمياط

جـ ٢ : للسائل الحق فى أن يتصرف فيما يملكه الآن بالبيع أو الهبة لوارث أو لغير وارث ، وله حرية التصرف فى أن يخص بعض الورثة بسبب مشروع كمرض الوارث أو كثرة أولاده أو بره بوالديه ، فإن خص أحد الورثة بغير سبب مشروع جاز مع الكراهة عند الجمهور .

وبناء على ماتقدم يجوز لك أن تكتب المنزل الثانى لابنتك وزوجتك ، حيث إن ابنك قد أخذ أكثر من حقه الشرعى .

تـارك الصــلاة

س ٣ : توفيت وهى غير مؤدية للصلاة ، فما حكم الإسلام فى شانها علماً بانها كانت تتصف بحسن الأخلاق ..

ناجى يوسف حسن

جـ ٣ : الصلاة فرض على كل مسلم ومسلمة ، فمن تركها مع العلم بالفرضية حرم عليه ذلك ، وعوقب لترك هذا الفرض عقوبة شديدة ، لأن فرضيته ثبتت بدليل قطعى الثبوت والدلالة وهو قوله تعالى : ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ .. ﴾

ولقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بنى الإسلام على خمس وذكر من بينها الصلاة » ..

فمن مات مع ترك الصلاة فأمره مفوض إلى ربه إن شاء عاقبه بعدله ، وإن شاء عفا عنه برحمته .

فى زكاة التجارة

س ٤ : هل يجوز احتساب نسبة من الأرباح فى ميعاد إخراج الزكاة ـ كزكاة المال ـ ام لابد من جرد البضاعة كل عام واحتساب زكاتها كعروض التجارة ؟

وهل تحسب الأصول كالماكينات وقيمة العين المؤجرة ؟

س . خ . م القاهرة

جـ ٤ : الأصول الصناعية والزراعية والتجارية لا زكاة عليها ، وإنما الزكاة على الإيراد إذا بلغ نصابا .

فتقوم العروض التجارية المتحركة كالبضائع والسلع وتضم إلى ذلك مالديك من نقود ومالك من ديون مضمونة التحصيل ، وتخرج عن ذلك كله ٢,٥٪ قيمة الزكاة .

ـ والله أعلـــم ـ

رؤية اسلامية للديمقراطية الغربية - بقية -

يراجعوا أنفسهم فتسوى أسباب الصراع بين الأخوة من بنى البشر .

« أما بعد أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق : لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم غيركم ، ولايدخلن أحدا تكرهونه إلا بإذنكم ولايأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لايملكن لأ نفسهن شيئا وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا ... » فأى وضوح وتراحم فى علاقات الأسرة بعد هذا ؟

٦ - « أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولايحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه » .

يتكامل هذا المبدأ مع المبدأ الثانى ليقررا الاستقرار والأمن الاقتصادى فى العالم بأسلوب لم ترق إليه الإنسانية بعد .

٧ - أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب . أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى .»

إن المبدأ العالمى ينكر التمييز العنصرى والتعالى الذى نشهده بين الشعوب وفى داخلها . إذ يقسمون العالم إلى عالم متقدم يعيش فيه جنس راق ، وعالم متخلف يسمونه بالعالم الثالث يعيش فيه أجناس أقل درجة ... لقد أنكر الإسلام هذا التمايز الذى وضعه بنو البشر ممن أصبحت لهم الغلبة فى أيامنا هذه فأنكروا بذلك خلق الناس من نفس واحدة ، وأصبحوا وهم يستذلون غيرهم تحت راية حقوق الإنسان !

٨ - « أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث » .

٩ - إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية . ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث . والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

إن هذين المبدأين ليقران الأمن والسلام داخل الأسرة ، وتثبيت دعائم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية فيها ، وعدم ترك ذلك للشهوات ، فيظلم القوى الضعيف أو تختلط الأمور ولا تراعى الأنساب فتهدر قيم التراحم والتكافل .. وباستقرار نظام الأسرة يستقر المجتمع الإنسانى ويتميز عن غيره من مجتمعات الحيوانات أو الحشرات .... فهيهات للإعلان العالمى لحقوق الإنسان أن يصل إلى هذا .

إن مما جاء فى هذه الخطبة العظيمة قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «فإنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنة نبيه . الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

يتبع

الشيخ أحمد محمد شاكر
الملقب بشمس الأئمة أبو الأشبال

إمام من أئمة الحديث فى هذا العصر

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

قمة عالية من تواضع العلماء كان يبتغى الشاردة من العلم فى ادنى مواقعها ، كما يتطلبها فى اعلى مجاليها درس علوم الإسلام جميعها فكان عالماً فى فنون كثيرة .

فهو فقيه ومحقق واديب وناقد ، لكنه برز فى علم الحديث الذى اولاه من نفسه دراسة وافية حتى صار إماماً من ائمته فى هذا العصر رغم اشتغاله باعمال القضاء الذى تدرج فيه حتى وصل إلى عضوية المحكمة العليا الشرعية

ذلك هو الشيخ احمد محمد شاكر بن العالم الأزهرى الجليل الشيخ محمد شاكر والذى كان وكيلاً للأزهر الشريف فى العقد الثانى من هذا القرن الميلادى ، من أسرة أبى علياء عائلة شريفة المحتد تقطن مدينة جرجا من أعمال محافظة سوهاج ، ينتهى نسبها إلى الإمام الحسين بن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه .

مولده ونشأته :

كان ميلاد الشيخ احمد محمد شاكر بعد فجر يوم الجمعة ٢٩ من جمادى الآخرة ١٣٠٩ هـ الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٨٩٢ ميلادية بمدينة القاهرة ، حيث كان والده الشيخ محمد شاكر يعمل أميناً للفتوى مع أستاذه الشيخ العباسى المهدى مفتى الديار المصرية وقتئذ .

ولما شب الغلام عن الطوق وبلغ من عمره ثمانى سنوات صدرت أوامر الدولة إلى والده بالعمل فى السودان حيث أسند إليه منصب قاضى القضاة هناك بتاريخ ١١ من مارس سنة ١٩٠٠ ميلادية عقب خمود الثورة المهدية .

وفى الخرطوم عاصمة السودان ألحق ابنه صاحب هذه الترجمة بكلية « غوردون » واستمر بها حتى عاد به والده إلى مصر إثر نقله لتولى مشيخة علماء الأسكندرية فى ٢٦ من أبريل سنة ١٩٠٤ ميلادية فألحقه بمعهد الأسكندرية

الدينى والذى كان شيخاً له .

وعندما عين والده وكيلاً للأزهر فى ٢٩ من أبريل سنة ١٩٠٩ ميلادية عاد بابنه إلى القاهرة حيث انتظم ضمن طلاب الأزهر الشريف واستمر فى الدراسة حتى جاز شهادة العالمية فى سنة ١٩١٧ ميلادية .

اساتذته الذين تلقى العلم على أيديهم :

كان من حظ الشيخ أحمد شاكر وقت دراسته بالأزهر الشريف ومعاهده أن التقى فى الأسكندرية وفى القاهرة بالكثير من علماء المسلمين فى هذا العصر مصريين وغير مصريين نذكر منهم :

١ ـ الشيخ محمود ابو دقيقة .

أحد علماء معهد الأسكندرية وعضو جماعة كبار العلماء فيما بعد فقد حبب إليه الفقه وأصوله ودربه وخرجه فيه حتى تمكن منه .

٢ ـ والده الشيخ محمد شاكر :

فقد قرأ له ولزملائه فى معهد الأسكندرية التفسير مرتين ، مرة فى تفسير « البغوى » وأخرى فى تفسير « النسفى » ، كما قرأ لهم صحيح الإمام « مسلم » ، « وسنن » الإمام الترمذى ، و « شمائل » الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشيئاً من صحيح الإمام « البخارى » .

وفى الأصول قرأ لهم « جمع الجوامع » وشرح « الأسنوى على المنهاج » .

وفى المنطق قرأ لهم شرح الخبيص وشرح القطب على الشمسية .

وفى البيان قرأ لهم « الرسالة البيانية » .

وفى فقه الحنفية قرأ لهم كتاب « الهداية » على طريقة السلف فى استقلال الرأى وحرية الفكر ونبذ العصبية لمذهب معين .

الشيخ احمد محمد شاكر

٣ ـ السيد عبد الله بن إدريس السنوسى .

عالم المغرب ومحدثها فقد تلقى عنه الشيخ أحمد شاكر طائفة كبيرة من صحيح الإمام « البخارى » وأجازه بروايته ورواية باقى الكتب الستة .

٤ ـ الشيخ محمد الامين الشنقيطى .

اخذ عنه كتاب « بلوغ المرام » وأجازه به وبالكتب الستة .

٥ ـ الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطى .

عالم القبائل الملثمة وقد أجازه بجميع علمه .

٦ ـ الشيخ شاكر العراقى .

سمع منه الحديث فأجازه بجميع الكتب الستة .

من أعلام الأزهر

٧ ـ الشيخ طاهر الجزائرى .
عالم السنة المتنقل .

٨ ـ السيد محمد رشيد رضا .
صاحب « دار المنار » وأحد تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده .

٩ ـ الشيخ سليم البشرى .
والذى كان شيخاً للأزهر اخذ عنه « شرح الموطأ » .

١٠ ـ الشيخ حبيب الله الشنقيطى .
أخذ عنه « زاد المسلم » .

كما لقى خلاف من سبق ذكرهم كثيرا من علماء السنة سمع منهم أو قرأوا عليه فكان من أثر هذا اللقاء المتتابع للعلماء أن مهد له أن يستقل بمذهب فى علم الحديث ، استطاع به أخيرا أن يقف فى منتصف هذا القرن الميلادى من زماننا المعاصر علما مشهورا فى إمامة التحديث .

وكان أعظم ما استفاده من دراسة الحديث هو ذلك المسلك الخلقى النزيه الذى لزمه فى مناقشة الآراء العلمية إذ كان يرجع إلى الصواب حيث رآه ، كما جعل الأمانة العلمية سبيله الأكيد .

بعده عن التعصب لمذهب معين وسعة نظره :

على الرغم من أن الشيخ أحمد شاكر عند طلبه للعلم تفقه على مذهب الإمام « أبى حنيفة » ونال شهادة العالمية من الأزهر الشريف حنفيا ، وولى القضاء الشرعى يحكم فيه على مذهب الأحناف لكنه قام بدراسة السنة النبوية أثناء طلب العلم وبعده مدة ثلاثين سنة ، درس فيها أخبار العلماء والأئمة ، ولم يتعصب لواحد منهم ، ولم يحد عن سنة الحق فيما بدا له ، لذلك فهو يقول عن الإمام محمد بن إدريس « الشافعى » فى مقدمة رسالته التى حققها «فإنى أعتقد غير غالٍ ولا مسرف أن « الشافعى » لم يظهر مثله فى علماء الإسلام فى فقه الكتاب والسنة ونفوذ النظر فيهما ودقة الاستنباط مع قوة العارضة ونور البصيرة والإبداع فى إقامة الحجة وإفحام مناظره ، فهو صحيح اللسان ناصع البيان ، فى الذروة العالية من البلاغة ، تأدب بآداب البادية وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر حتى سما عن كل عالم قبله وبعده ».

وكان الشيخ أحمد شاكر واسع النظر حين درس فقه الشيعة واعتمد عليه فى مسألة خالصة هى وجوب الإشهاد على الطلاق أخذا بقول الله عز وجل ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ سورة الطلاق آية(٢) ، ومستندا إلى قول الإمام عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه ـ فى تفسيره ثم كشف اللثام عن صحة وقوع الطلاق المثلث مرة واحدة بأدلة حصيفة ذات نظر محكم وهو اجتهاد منه يحسب له .

رأيه فى الحساب الفلكى :

عندما كان المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق رئيساً للمحكمة الشرعية العليا رأى أن يكون الحساب الفلكى بديلاً عن الرؤية الشخصية فى إثبات أوائل الشهور العربية ، فنهض لمخالفته فريق من كبار العلماء كان فى طليعتهم الشيخ محمد شاكر

(والد صاحب الترجمة) وكان الشيخ أحمد شاكر ممن اعتقد بدءا بصواب فتوى والده الكبير فكتب من المقالات ما يؤيد منحاه عن ثقة جازمة .

ثم بدا له بعد التحقيق والتريث ما يخالف وجهة نظر والده ، فلم يفقد أمانته العلمية بل خرج على الناس برسالته التى كتبها فى حياة أبيه ذكر فيها انتصاره لرأى الشيخ محمد مصطفى المراغى ويعلن صراحة أنه كان على صواب ويزيد هو عليه فى وجوب إثبات الأهلة بالحساب الفلكى فى كل الأحوال إلا لمن استعصى عليه العلم .

الكتب التى قام بتحقيقها ونشرها :

كانت هذه الكتب كثيرة ومتشعبة فى فنون كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ رسالة الإمام محمد بن إدريس الشافعى عن أصل تلميذه الربيع بن سليمان الذى كتبه بخط يده فى حياة الشافعى ، ومن إملائه وهو أول كتاب عرف به الشيخ أحمد شاكر فى دنيا التحقيق مع إتقانه لفهارسها والإبداع فيها مما لا يكاد يعرف نظيره وهى فى ثلاثة أجزاء مع المقدمة والسماعات واللوحات والاستدراك وجريدة المراجع والمفاتيح وقد بلغت ثمانية فهارس .

٢ ـ « مسند الإمام أحمد بن حنبل » بذل فى إحيائه وإخراجه أقصى ما يستطيع عالم من جهد فى الضبط والتحقيق والتعليق والتنظيم ، لكن المنية عاجلته دون أن يتمكن من تمام إخراجه كاملاً وإن كان قدم منه خمسة عشر سفرا فقط .

٣ ـ أخرج الجزء الأول من « مسند ابن حبان » وجزءين من « الجامع الصحيح » للترمذى كما شارك فى إخراج تهذيب « سنن أبى داود » .

٤ ـ قام بشرح مستفيض لكتاب « الحافظ ابن كثير » (اختصار علوم الحديث) فى مجلد كبير عظيم النفع لعلماء الحديث وطلابه جلَّى فيه الكثير من الغوامض وأزال فيه كثيراً من الشبهات .

٥ ـ وفى مجال التفسير قام بإعداد (عمدة التفسير) تهذيبا لتفسير ابن كثير وقد أتم منه خمسة أجزاء ، كما شارك فى تفسير « الطبرى » فخرج أحاديثه إلى الجزء التاسع وعلق على بعضها إلى الجزء الثالث عشر .

٦ ـ أما فى مجال الفقه وأصوله فقد شارك فى نشر كتاب (الإحكام) لابن حزم الأندلسى ، وجزءين من (المحلى) لابن حزم أيضا وكتاب (العمدة فى الأحكام) للحافظ عبد الغنى المقدسى ، وكتاب « جماع العلم » للإمام محمد بن إدريس الشافعى .

٧ ـ وفى الدراسات الأدبية شارك فى إخراج (المفضليات للمفضل الضبى) و(الأصمعيات للأصمعى) وهما كتابان يحتلان مكانا مرموقا فى الدراسات الأدبية المعاصرة للتراث ، كما أخرج كتاب (الشعر والشعراء لابن قتيبة) وكتاب (لباب الآداب لأسامة بن منقذ) .

٨ ـ وفى مجال اللغة لاينسى اللغويون جهده فى إخراج كتاب (المعرب للجواليقى) نشرا علميا دقيقا .

الكتب التى ألفها :

١ ـ كتاب (نظام الطلاق فى الإسلام) وهو من أهم ماألفه الشيخ أحمد محمد شاكر ، دل فيه على اجتهاد صائب وبحث حر فلم يتعصب

لمذهب من المذاهب بل سار على طريقة السلف إذا استخرج نظام الطلاق من نص القرآن الكريم ومن بيان السنة المطهرة فيه .

٢ ـ كتاب (الكتاب والسنة) وهو فى الدعوة إلى وجوب أخذ القوانين من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

٣ ـ كتاب « كلمة الحق » وهو فى شئون المسلمين وحرب الوثنية والشرك والدفاع عن القرآن الكريم وعن السنة النبوية ويبدو أنه مقالات كتبها الشيخ أحمد شاكر فى مجلة (الهدى النبوى) جمعت بعد وفاته إحياء لذكراه .

٤ ـ كتاب (كلمة الفصل فى قتل مدمنى الخمر) وفيه يستحث ملوك المسلمين وزعماءهم ضد الخمور وتجارها ومدمنيها .

٥ ـ وله فى جميع ما ألفه أو نشره تعليقات دافع فيها عن أحكام الإسلام وآدابه دفاعا تفرد به ونطق فيه بالحق الذى يراه .

الوظائف التى اسندت إليه حتى تاريخ وفاته :

بعد أن نال الشيخ أحمد شاكر شهادة العالمية من الأزهر الشريف فى سنة ١٩١٧ ميلادية كما قدمنا فى صدر هذا المقال ، عين بمعهد عثمان ماهر لكنه لم يستمر فيه غير أربعة أشهر فقط إذ الحق بالوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية ، ثم قاضيا بها ، وظل فى ساحة القضاء الشرعى يتدرج فيه إلى أن بلغ فى وظائفه درجة العضوية بالمحكمة العليا ثم أحيل إلى التقاعد فى سنة ١٩٥١ ميلادية عند بلوغه سن الستين ، لكنه كان فى كل يوم من أيام حياته الوظيفية وبعدها لايترك البحث العلمى محققا ومؤلفا فى الفقه والحديث واللغة والأدب ، حتى لقى ربه راضيا مرضيا فى فجر يوم السبت ٢٦من ذى القعدة سنة ١٩٧٧ هجرية الموافق ١٤ من يونية سنة ١٩٥٨ ميلادية .

من أعلام الثقافة الإسلامية في نيجيريا

إعداد المحاضر
سليمان موسى

الحمد لله الذى قال فى كتابه العزيز : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1] . وافضل الصلاة واتم التسليم على أشرف المرسلين القائل « إن العلماء ورثة الانبياء »[2] .

لقد طلعت شمس الإسلام على الوطن الذى نعرفه اليوم بـ « نيجيريا » قبل القرن الحادى عشر الميلادى . ولم يكن هذا الوطن معروفاً بهذا الاسم فى ذلك القرن ، وإنما يعرفه المؤرخون بارض السودان الغربية . تلك الأرض التى تشمل ـ غرب جمهورية السودان ـ تشاد ونيجيريا وما والاها من البلدان اليوم ، فكان السودان هو تلك البلاد الواقعة جنوب الصحراء من المحيط الأطلنطى غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً .

وفى القرن التاسع عشر احتل المستعمرون البريطانيون الدولة المكتية ومملكة برنو وأزالوا الراية الإسلامية التى لكل منهما وضموا أراضيهما إلى ارض الوثنيين وسموها بما يعرف الآن بنيجيريا . على رغم هذا التجمع بين المسلمين وغيرهم فشعائر الإسلام واضحة فى بعض إمارات نيجيريا حتى الآن .

وقد برز أعلام الثقافة العربية الإسلامية فى نيجيريا وذلك بعد اتصال الوطن بالإسلام .

وفى هذه المقالة نبذة يسيرة عن حياة بعض علماء نيجيريا الذين اشتهر صيتهم فى العلم والتقوى وساهموا مساهمة فعالة فى نشر الإسلام عن طريق الدعوة والإرشاد والتأليف . ومن العلماء الذين أوردنا تراجمهم :

١) الشيخ أبو بكر بن عبد القادر بوبى .
٢) الشيخ أبو بكر محمود جومى .
٣) الشيخ آدم عبد الله الألورى .
٤) الشيخ أحمد الرفاعى .

---

* الكاتب محاضر بمركز الدراسات الإسلامية ـ جامعة عثمان ابن فودى ـ سكتو ـ نيجيريا .

(١) فاطر ٢٨ .
(٢) رواه البخارى وأحمد .

من أعلام الثقافة الإسلامية

٥) الشيخ محمد بن إبراهيم النفوى .
٦) الشيخ محمد الناصر كبرى .
٧) الدكتور جنيد بن محمد البخارى .

(١) الشيخ أبو بكر بن عبد القادر بوبى :

ومن شيوخ الإسلام الشيخ أبو بكر بن عبد القادر بوبى سكتو . هو العالم المعروف بلقبه (بوبى) . اسم والده عبد القادر ، ولد فى مسام وهى قرية فى شرق (جواندوا) حوالى سنة ١٢٨٨ هـ . وهو من قبيلة الفلانى .

نشأ العالم أبو بكر بوبى فى بيئة تهتم بالعلم والعلماء وتعليم الثقافة الدينية والأدبية . فبلدة (جواندوا) فى ذلك الوقت مركز للثقافة العربية والدراسات الإسلامية ، وهى مدرسة قديمة للشيخ عبد الله بن فودى الأخ الشقيق لمجدد الدين شيخ عثمان بن فودى تغمدهما الله برحمته .

بدأ الأستاذ أبو بكر تعلمه بقراءة القرآن ، كما كانت عادة أهل هذه البلاد . وقد قرأ القرآن على يد عالم يسمى أحمد بن سعد قاضى غندو . تلميذ الشيخ عبد الله بن فودى . ثم تصدى لتعليم علوم اللغة والأدب والدراسات الإسلامية وتعلمها .

وقد تتلمذ عليه كثير من الطلبة . فمنهم من يأتى إليه من مكان بعيد ـ ليأخذ العلم عنه . ومن أبرز تلاميذه العالم عبد القادر بن محمد البخارى وزير سكتو سابقاً الأخ الأكبر للوزير جنيد الحالى ، والعالم إبراهيم بن محمد الطاهر ، وعالم أمين سالامى ، والدكتور جنيد وزير سكتو حالياً .

ولم يكن الأستاذ أبو بكر بوبى مدرساً فقط بل أدى دوراً كبيراً فى السياسة . وقد تولى منصب القضاء والإمامة ثم بعد ذلك عزل لشدة زهده . وبعد ذلك تفرغ ـ للإمامة وكان ذلك فى قرية سنينا وهى قرية تتبع إمارة غندو .

للشيخ أبى بكر بوبى مؤلفات كثيرة وديوان يجمع عدة قصائد فى فنون شتى . ومن أشهر مؤلفاته كتاب الرسوخ .

توفى الأستاذ أبو بكر بوبى فى شهر شعبان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعد الألف (١٣٥١ هـ) الموافق عام ١٩٣١ الميلادى . وكان ذلك فى عهد أمير المؤمنين الحسن بن معاذ تغمدهما الله برحمته .

(٢) الشيخ ابو بكر جومى :

الشيخ أبو بكر محمود جومى من علماء القرن العشرين فى (نيجيريا) بذل إسهاماً كبيراً فى نشر الإسلام والدعوة إليه .

ولد الشيخ فى قرية (جومى) التابعة لحكومة جومى المحلية بولاية سكتو فى نيجيريا يوم الجمعة سنة ١٩٢٢ ميلادية . والده محمود قاضى (جومى) وهو من أشهر العلماء آنذاك فى ولاية سكتو .

بدأ الشيخ تعليمه الابتدائى فى (دوغن داجى) ثم التحق بالمدرسة الوسطى بسكتو وتخرج منها مدرساً بشهادة المعلمين المرتبة الرابعة . وفى سنة ١٩٤٣ م ـ التحق بمدرسة الحقوق المعروفة اليوم بمدرسة العلوم العربية بكنو . وفيها تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لمدة خمس سنوات . وفى السنة ١٩٤٧ م عاد إلى سكتو فعمل قاضياً فى إحدى قراها .

عاد الشيخ إلى مدرسة العلوم العربية بكنو للتدريس فيها عام ١٩٥١ م ومن هناك انتقل إلى (مرو) فى ولاية سكتو للتدريس .

وبعد فترة قصيرة وجد بعثة تعليمية فى (بخت الرضا) بالسودان وقضى فيها ثلاث سنوات وذلك من سنة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ م .

ادى هذا الشيخ دوراً كبيراً فى التعليم والإدارة . ومن أبرز المناصب التى شغلها :
١) أمير حجاج شمال نيجيريا من ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠ م .

٢) نائب رئيس قضاة شمال نيجيريا ١٩٦٢ ـ ١٩٧٥ م .
٣) عضو مجلس جماعة نصر الإسلام بنيجيريا .
٤) عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى نيجيريا .

٥) عضو مجلس رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .
٦) عضو مجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ومن الدرجات التى يحملها الشيخ :
١) الدكتوراه الفخرية من (جامعة أحمد بللو) زاريا نيجيريا .

٢) الدكتوراه الفخرية من (جامعة أبادن) نيجيريا .

٣) الدرجة العثمانية التى منحه رئيس وزراء شمال نيجيريا سابقاً المرحوم الحاج أحمد بللو .
٤) جائزة الملك فيصل بن عبد العزيز العالمية عام ١٩٨٧ ميلادية .

٥) الدرجة الفخرية الوطنية من حكومة نيجيريا الفيدرالية .

وللشيخ مؤلفات كثيرة منها :
١) رد الأذهان إلى معانى القرآن الكريم (تفسير القرآن الكريم) .

٢) ترجمة معانى القرآن إلى اللغة الهوساوية .

٣) ترجمة الأربعين حديثاً النووية إلى اللغة الهوساوية .

٤) ترجمة (نور الألباب) تأليف الشيخ عثمان بن فودى إلى اللغة الهوساوية .

٥) العقيدة الصحيحة بموافقة السنة .
٦) الإسلام وما يبطله .
وإضافة إلى هذه الأعمال فالشيخ يقوم بتعليم طلاب العلم فى منزله ، ويقوم بالدعوة والإرشاد . وقد أسلم على يده جمع غفير من النصارى والوثنيين . وشجع عدداً كبيراً من الشبان والكبار على التفقه فى الدين . فمنزله فى (كدونا) مركز من المراكز الإسلامية فى نيجيريا . ترى فيه أجناساً مختلفة من الطلبة الذين جاءوا من أماكن شتى لطلب العلم ، وحتى اليوم يقضى الشيخ معظم أوقاته فى التعليم والإرشاد وحضور الاجتماعات الدينية .

ولا زال الشيخ على قيد الحياة . نسأل الله أن يطيل فى عمره ويجازيه عنا وعن الإسلام خيراً .

(٣) الشيخ آدم عبد الله الألورى :

هو آدم بن عبد الباقى بن حبيب الألورى ،

يتصل نسبه من جهة أمه بالداهومى . تعلم الشيخ على يد مشايخ نيجيريين منهم : الشيخ صالح الواعظ . الحاج عمر الإمام . الشيخ آدم

←

نماج الكنوى . وقد رحل إلى أماكن كثيرة للتعليم ؛ والتثقيف بهذه البلاد . وفي رحلاته اتصل بشيوخ الإسلام .

وقد اشترك الشيخ في المؤتمرات الإسلامية بالقدس وصوماليا والحرمين ونيجيريا وغيرها من الدول الإسلامية وقدم بحوثاً قيمة في معظم هذه البلدان .

وإضافة إلى ذلك فهو مربٍّ ومدرس . عمل مدرساً حتى تخرج على يديه نحو خمسمائة من أبناء نيجيريا والداهومى وغيرها . فالشيخ هو مدير مركز التعليم العربي الذى أسس في (اغيغى) بـ « لاجوس » . وهو أيضاً إمام مسجد المركز . يخطب فيه الجمعة ويلقى فيه الدروس الدينية في ليالي رمضان المباركة . وقد كان يحضر مجلس وعظه حوالى ثلاثة آلاف ما بين رجال ونساء .

للشيخ آدم مؤلفات في اللغة العربية وآدابها وفي الإسلاميات . ومن أشهر مؤلفاته :

١ ـ الإسلام في نيجيريا .
٢ ـ موجز تاريخ نيجيريا .
٣ ـ تاريخ الدعوة الإسلامية .
٤ ـ نظام التعليم العربي .
٥ ـ الإسلام اليوم وغداً .
٦ ـ نسيم الصبا في أخبار علماء بلاد يوربا .

والشيخ ـ والحمد لله ـ على قيد الحياة وهو رئيس رابطة العلماء والأئمة في بلاد (يوربا) بـ (نيجيريا) .

(٤) الشيخ احمد الرفاعي .

ومن شيوخ الإسلام في نيجيريا الأستاذ أحمد الرفاعي صلاتي الألورى . وهو الشيخ أحمد الرفاعي بن أبي بكر قطب الطريقة القادرية في جميع بلاد الشرق والغرب في (نيجيريا) . وهو من أحفاد الشيخ أبو بكر بوبى . وهو مشهور بلقب « اندا صلاتى » وكلمة (نوفاوية) ومعناها (الشيخ الكبير) . وكلمة « صلاتى » مأخوذة من بيت الشعر الذى كان يردده هذا الشيخ في كثير من الحفلات والمناسبات الدينية وهو يقول :

صلاتى وتسليمى وأذكى تحياتى
على المصطفى المختار خير البريات

نشأ رحمه الله وتربى في حجر جده لأمه الشيخ محمد خليل . ومنه تلقى مبادئ الدراسات الإسلامية . ثم استمع للشيخ أمين ساورمى .

توفى رحمه الله يوم السبت صباحاً في مدينة الورن سنة ١٩٦٦ ميلادية .

يتبع

مراجع هذا الجزء :

انظر لـ :

شيخو أحمد سعيد غلادنث : حركة اللغة العربية في نيجيريا وآدابها . المطبعة دار المعارف ، القاهرة . سنة ١٩٨٢ م . ص ٢١ .

يحيى محمد الأمين : أبى بكر بوبى صكة ، حياته وإنتاجاته الشعرية ، أطروحة الليسانس في جامعة صكتو ـ نيجيريا في عام ١٩٨٣ ، ص ٣ .

محمد أحمد سنوسى غمبى : سيرة الشيخ أبو بكر محمود جومى ، الجزء الأول ـ ص ٢ .

آدم عبد الله الألوى : الإسلام في نيجيريا ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م ، ص ٤ .

شافعى محمد الورى : تعليم اللغة العربية في مدينة (الورن) ، أطروحة الليسانس في جامعة سكتو ، سنة ١٩٨٢ م ، ص ٧٨ .

العلوم الكونية

المدخل الإسلامي للطب

الانشطار النووي

المدخل الإسلامى للطب

تقديم : فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
تأليف : أ . د . إبراهيم عبد الحميد الصياد
عرض وتحليل : أ . د . أحمد فؤاد باشا

٢

اما الباب الثالث من هذا الكتاب الهام فقد خصصه المؤلف لعرض وجهة نظر الإسلام فى المرض والمريض . فأوضح أن حياة الإنسان سلسلة من التجارب الإبتلائية ، سواء ما كان منها مبهجاً أو مؤلماً ، وأن المرض ابتلاء من الله تعالى ينفذ بقضائه ، كما أن تجنب المرض إذا وقع أو الشفاء منه ، كلاهما من قدر الله تعالى .

وهنا يشير المؤلف إلى ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديثين الشريفين : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » و « لا يورد ممرض على مصح » . فعلى الرغم من أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينهى عن اختلاط المريض بالصحيح ، إلا أن ذلك ليس هو السبب الوحيد لحدوث المرض ، وقوله « لا عدوى » ينفى أن يكون مجرد الاختلاط ، هو سبب المرض ، وإنما يدعونا لتدبر أسباب أخرى للمرض غير مجرد الاختلاط ، وحيث إن طاقة البشر محصورة فى الأسباب الدنيوية المنظورة ، فعليهم التماس هذه الأسباب للوقاية من المرض أو علاجه .

وعلى المسلم أن يتقبل المرض كأى قضاء ، خيراً كان أو شراً ، ويصبر عليه فقد يكون تطهيراً له وتكفيراً عن ذنوبه فى الدنيا .

روى أبو داود عن أم العلاء قالت : « عادنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا مريضة فقال : ابشرى ياأم العلاء ، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة » . ولا يعنى هذا أن يستسلم المسلم لمرضه ويتقاعس عن علاجه ، بل عليه أن يطرق أسباب العلاج الطبى المتوافر حسب مستوى تقدم الطب فى المجتمع ، وإذا تدهورت صحته إلى حد يعتقد فيه أن شفاءه غير محتمل ، فإن عليه أن يتعلق بالأمل المتواصل .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف : ٨٧) ، وهذا الأمل المتواصل حاجز طبيعى من الانهيار فى أى ظرف من الظروف الدنيوية ، فلا يكون المرض البدنى سبباً فى تولد المرض النفسى أو الاضطرابات العضوية النفسية ، بل إن صلابة النفس كثيراً ما تساعد فى شفاء أمراض البدن .

والمسلم فى حال المرض مأجور بصبره مغفور له بابتلائه .

وفى حال الشفاء مأجور بشكره على نعمة العافية .

وتتجلى هذه المعانى فى دعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما : « اللهم اقسم لنا من طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن اليقين ما تهون به مصيبات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا » .

وبعد أن يشرح المؤلف خصائص المجتمع المسلم المتحاب المتكافل ، ويبين التصور الإسلامى لموقف الإنسان المسلم من أخيه المريض ، بدءا بزيارته والاهتمام بأمره وانتهاء بقضاء حاجته ورعاية أسرته ، ينتقل إلى إيضاح موقف الطبيب المسلم من المريض .

وهنا يؤكد المؤلف على الكثير من المبادىء والمعانى والقيم الإسلامية التى يجب أن يقوم عليها فكر الطبيب المسلم وسلوكه تجاه المريض . فإذا كانت الرحمة صفة من صفات المسلم فإنها للطبيب أولى وألزم ، وتقديم الرعاية الطبية للمريض أداء لزكاة العلم والحكمة ، فالله تعالى قد رزق الطبيب علماً نافعاً ومهنته لازمة للمجتمع . ومفهوم الزكاة فى الإسلام أوسع من زكاة المال ، فزكاة المهنة أن ينفع بها الناس وكل القدرات والطاقات التى أنعم الله بها على المسلم لابد أن تسخر لغايتها ، وهى الخير والبر . ولتجسيد هذا المعنى يؤكد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن كل جزء من جسم الإنسان وقدراته عليه كل يوم صدقة يؤديها للناس .

روى الشيخان عن أبى هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « كل سلامى (عظام الأصابع) من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ... » . وزكاة العلم النافع ألا يكتمه المسلم بل ينشره وينفع به .

ومهنة الطب تجعل صاحبها معرضاً لاستدعائه لنجدة المريض فى أى وقت ، وإذا كان هذا عبئا على راحته ووقته فى ظاهر الأمر ، إلا أنه يعتبر فضلاً من الله لأنه يرفع منزلة صاحبه عند ربه .

أخرج الطبرانى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن لله عبادا اختصهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله » .

ولا يفوت المؤلف أن يوضح فى هذا المجال أن رعاية الطبيب المسلم لمريض غير مسلم تسهم فى تقديم صورة طيبة للإسلام ، ورعايته للمريض المسلم تعينه على استعادة قوته وعافيته ، فالسلامة البدنية ضرورية للعبادة واستيفاء مقاصد الشريعة ، والطبيب بعلاجه للمريض المسلم يساعده على العبادة وعمل الخير ، وبذلك يكون له أجر الخير الذى يفعله المريض بعد شفائه دون أن ينقص ذلك من أجر المريض شيئاً .

ويختتم المؤلف هذا الباب مؤكداً على أن إدراك الطبيب لمغزى عمله وكنه رسالته السامية يجعل هدفه فى تخفيف آلام المريض أسمى من الرغبة فى الأجر والجزاء الدنيوى ، ويكون دائم الصلة بالله تعالى يسأله التوفيق فى عمله . فذلك يقيه من لذة الشعور بالمهارة فى المهنة عند نجاحه فى عمله لأن ذلك يحبط العمل وينقص الأجر . وعلى الطبيب المسلم أن يكون على دراية بحقيقة موقفه فى العملية العلاجية ، متمثلة فى أنه أداة الرحمة الإلهية والوسيلة التى يخفف الله بها آلام الناس . فعندما قال أبو رمثة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : دعنى أعالج ما بظهرك فإنى طبيب ، قال له ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « أنت رفيق والله طبيب » (أخرجه أحمد فى المسند) .

المدخل الإسلامي للطب

أما الباب الرابع والأخير فيعتبر أهم أبواب هذا الكتاب القيم ، وقد خصص له المؤلف مساحة كبيرة بلغت مائة صفحة ، أى قرابة نصف الحجم الفعلى لمحتويات الكتاب . ولهذا لجأ إلى تقديمه وتقسيمه كما لو كان كتيباً مستقلاً . وجعل عنوانه « الطب فى التصور الإسلامى » ، وذكر فى بدايته الأساس الفكرى الذى اعتمد عليه ، فأوضح أن الإسلام يضع تصوراً عاماً للحياة والكون ، ينبثق من العقيدة ويهتدى بهداها .

وفى ضوء هذا التصور يقدم منهجاً متميزاً للاقتصاد الإسلامى ، والطب الإسلامى ، وكافة أنشطة الحياة ، ومن العسير على الثقافات الغربية والشرقية أن تربط كل عمل يمارسه الناس بالدين ، أما المسلمون فيؤمنون بالتوافق التام بين عقيدة الإسلام وتحقيق سعادة المجتمع ، لذا فهم يحرصون على ربط العقيدة بكل نشاط إنسانى . فالإسلام عند المسلم عقيدة روحية ، ومذهبية اجتماعية ، أى أنها شرعة ومنهاج يسلكه فى أمور دينه ودنياه . وعلى هذا الأساس شرع المؤلف فى استعراض خصائص التصور الإسلامى قبل أن يوضح انعكاسات هذا التصور على النظرية الطبية فى الإسلام . وجعل ذلك فى قسمين كبيرين ينقسم كل منهما بدوره إلى عدة موضوعات ومباحث أو مستويات .

أما القسم الأول وعنوانه « شرعة الإسلام » فيعرض بالتفصيل لما تتميز به المثالية الإسلامية من أنها تفسر للإنسان دوره فى الكون ، والغاية من وجوده ، ووسائل الوجود لهذه الغاية ، لذلك نسميها « شرعة » لتمييزها عن المناهج والنظريات الوضعية . يقول تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (المائدة : ٤٨) .

ويتناول المؤلف شرح المبادىء التى تقوم عليها شرعة الإسلام ، متمثلة فى توحيد الخالق ، ووحدة المخلوقات ، ووحدة الأمة ، والاستخلاف فى الأرض ، ثم يركز الضوء على موضوع الاستخلاف فى الأرض من حيث تعريفه ومقوماته وضوابطه ومتطلباته ، مؤكداً على أن وسائل تحقيق الخلافة تتمثل فى العلم النافع والتطبيق العملى لهذا العلم فى استنباط خيرات الأرض وعمارتها وحيازة عناصر القوة . ويرى المؤلف أن عناصر الاستخلاف تقوم على ثلاثة عناصر هى :

١ ـ إعمار الأرض وإقامة الحضارة .

٢ ـ حماية هذه الحضارة من الإفساد .

٣ ـ إصلاح أى فساد قد يطرأ عليها .

وقد أفرد المؤلف لكل عنصر مبحثاً خاصاً ، وخلص من مناقشة هذه العناصر الثلاثة إلى صياغة نظرية إسلامية فى الطب تتطابق مع هذا الإطار العام ، وتتألف من ثلاثة مستويات هى :

١ ـ بناء الجسم وتحسين الصحة .

٢ ـ حماية الصحة أو الحفاظ عليها ، وهو ما يعرف بالطب الوقائى .

٣ ـ إصلاح البدن من الأمراض ، وهو ما يعرف بالطب العلاجى والتأهيل .

وفى القسم الثانى ناقش المؤلف هذه المستويات الثلاثة التى تؤلف إطارا عاما لما أسماه بالنظرية الطبية الإسلامية ، واستشهد بالعديد من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين بوضوح كيف يرتكز منهج الطب الإسلامى على ضرورة التداوى مع تجنب المحرمات فى العلاج والاهتداء بالقواعد الشرعية التى تحض على اجتلاب المصالح ودرء المفسدة واجتناب المضار . فإذا كانت إزالة الضرر يعقبها أثر يخلفه ، أُجريت الموازنة بين الضررين لاختيار أخفهما ، وإذا كانت هذه القواعد الكلية الفقهية من اختصاص علماء أصول الفقه ، إلا أن الطبيب يلزمه إلمام بما

يحتاج إليه من هذه الأحكام الشرعية فى ممارسة مهنته حتى تتحقق معالم الطب الإسلامى بخصائصه المميزة من نظرة شمولية ، وعدل فى الحكم وإحسان فى العمل . وقد أوضح المؤلف التوجيهات الشرعية للإجراءات الطبية على النحو التالى :

أولاً : قواعد المصلحة :

١ ـ الأصل فى المنافع الإباحة : وهذه القاعدة تجعل كل ما فيه نفع للناس مباحاً ما لم يرد فيه نص بتحريمه ، أو يكون قياساً على محرم . وينطبق ذلك على وسائل العلاج .

٢ ـ الأصل فى المضار التحريم : وهذه القاعدة تحرم أى إجراء علاجى يكون الضرر فيه خالصاً ، أو هو الغالب الراجح . ولا عبرة بالنفع الضئيل المؤقت فى جانب الضرر الغالب الدائم .

ثانياً : قواعد تجنب الضرر :

١ ـ « لا ضرر ولا ضرار » (أخرجه مالك وابن ماجة والدارقطنى) . والضرر هو حصول الأذى ابتداء ، والضرار حصوله على سبيل رد الفعل .

٢ ـ الضرر يدفع بقدر الإمكان : وهذا أساس كافة إجراءات الطب الوقائى .

٣ ـ الضرر يزال : وهذه القاعدة هى أساس العلاج والتأهيل فلا يجوز ترك المرض بلا علاج أو ترك العاهة بلا تأهيل .

٤ ـ الضرر لا يكون قديماً : أى لا يكتسب صورة الأمر الواقع بمرور الزمن ، وهذه القاعدة تجعل حالات العجز والعاهات غير ميئوس منها .

٥ ـ الضرر لا يزال بمثله : فإذا كانت مضاعفات الإجراء العلاجى تؤدى إلى حالة مساوية للحالة قبل العلاج فلا داعى له .

٦ ـ الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف : إذا كانت المضاعفات الناتجة عن العلاج أقل خطورة من حالة المريض قبل العلاج ، يكون العمل الطبى مباحاً .

٧ ـ يختار أهون الشرين : فلا يجوز أن تكون أضرار العلاج أكثر خطراً من المرض نفسه ، وعندئذ فالعلاج لا مبرر له .

٨ ـ إذا تعارضت مفسدتان روعى أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما : وهذه القاعدة توجه الطبيب فى الاختيار بين وسيلتين من وسائل العلاج لاختيار أقلهما ضرراً .

٩ ـ يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام : وهذه القاعدة تطبق فى حالة الأمراض الانتقالية ، بحيث تبيح الحجر على حركة مريض إذا كان فيه خطر على الآخرين . ويمكن تطبيقها فى الجسد الواحد لاستئصال عضو إذا كان تركه سيضر باقى أجزاء الجسم .

١٠ ـ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح : فما أمكن علاجه بالغذاء لا يعالج بالدواء ، وما يعالج بالدواء لا يعالج بالجراحة ، وما يمكن فيه الجراحة لا يجوز فيه البتر . ومن هذه القاعدة يمكن التوسع فى الاستفادة بوسائل العلاج الطبيعى والنباتات الطبية إذا كانت أقل ضرراً من المواد الكيماوية المصنعة .

ثالثاً : قواعد دفع الحرج ومراعاة الضرورة :

١ ـ **المشقة تجلب التيسير** : وهذا يعطى كثيراً من الرخص للمريض فى حدود طاقته .

٢ ـ **الضرورات تبيح المحظورات** : وهذه القاعدة تبيح علاج الرجل للمرأة ، وبالعكس ، وكشف العورة عند الضرورة .

٣ ـ **الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة أو خاصة** : فيباح نقل عضو من جسم الميت إذا كان ضرورياً لحياة إنسان آخر .

٤ ـ **الضرورات تقدر بقدرها** : فلا يجوز التوسع فى رخصة إلا فى حدود حجم الضرورة . فإذا لم تكن العملية الجراحية ضرورية لتحقيق درجة كافية من المصلحة ، وخاصة عمليات التجميل ، فلا ضرورة لها . فما يباح لفتاة صغيرة قد لا يباح لرجل مُسِنّ .

المدخل الإسلامي للطب

٥ ـ ما جاز لعذر بطل بزواله : فإذا توافرت الطبيبة فيفضل أن تعالج هي النساء .

رابعاً : قواعد الحقوق :

١ ـ لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير بلا إذن : وجسم الإنسان ملك لله تعالى ومع ذلك فيه حق للعبد نفسه . وبذلك لا يجوز التبرع بعضو من جسم إنسان حي إذا أمكن الحصول عليه من جسد ميت ، ولا يجوز إجراء التجارب على جسد الإنسان إذا كان في ذلك ضرر عليه حتى ولو وافق على ذلك .

٢ ـ الاضطرار لا يبطل حق الغير : وهذه القاعدة تضع قيوداً على الإذن الشرعي . فنقل عضو بشرى إلى مريض بدافع الضرورة لايجوز أن يتعارض مع حقوق صاحب العضو الأصلي ، سواء كان حيا أو ميتا .

٣ ـ الجواز الشرعي ينافي الضمان : فإذا حدث للمريض ضرر بدون تقصير أو تعد من الطبيب المؤهل للعلاج فإن الطبيب لايكون ضامنا ، أي لاتقع عليه مسئولية جزائية .

وأخيرا يختتم المؤلف هذا الباب والكتاب بدعوة المسلمين إلى العمل الصحي التطوعي ، موضحا آفاقه العديدة مثل التبرع بالدم ، ورعاية المعوقين ، ورعاية الطفولة والأمومة ، وإسعاف المرضى والمصابين ، وزيارة المرضى ، والإنقاذ في حالات الكوارث ، وإشادات المرور للوقاية من الحوادث ، والإشراف على نظافة البيئة وسلامتها ، وغير ذلك من المجالات . ويشير المؤلف إلى أن تقاعس المسلمين عن الأعمال التطوعية إنما هو نتيجة طبيعية لابتعادهم عن المنهج الصحيح للإسلام . وعجزهم عن استيعاب تعاليمه ، فالإسلام يحاول أن يرفع المسلمين من مستوى الحب السلبي للجماعة إلى مستوى العمل الإيجابي لصالحها .

وفي ختام عرضنا للكتاب نود أن نشير إلى غفلة المؤلف عن تحديد أو تصحيح مواقع بعض الآيات القرآنية في المصحف الشريف (في صفحتي ١٧ ، ١٠٩) ، وإلى بعض الأخطاء المطبعية (في الصفحات ٤٤ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٢٣٤ ، وإلى أحاديث نبوية كثيرة لم يبين مدى صحتها أو الاتفاق عليها (مثلا في صفحات ١٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، .....) . إلا أن هذه الملاحظات ، بالإضافة إلى ماأسلفناه في ثنايا التحليل ، لايمكن أن تقلل من جهد الكاتب أو قيمة الكتاب ، الذي يعتبر إضافة هامة للمكتبة العربية الإسلامية في مجال إسلامية العلوم ، فهو كتاب للعام والخاص ، ويفصل ويؤصل الكثير من وصايا الإسلام وتعاليمه التي شرعها للإنسان لتصلح شأنه ، وتحفظ حياته النفسية والجسدية ، وتملأ الحياة بالصلاح والمودة والرحمة ، وهو خليق بأن تحتويه صدور الأطباء ، وتتشربه نفوسهم وعقولهم ، ليزدادوا علما برسالة الإسلام إلى الإنسان .

الكتاب من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
« سلسلة البحوث الإسلامية »

الانشطار النووى

فى توليد الكهرباء

للأستاذ الدكتور
محمد عبد الرحمن سلامة

الذرّة هى اصغر جزء من العناصر التى تتكون منها المواد المشكلة للكون مثل الماء والغازات المختلفة والمعادن .. إلخ . وكل عنصر يتكون من ذرات متناهية الصغر كل ذرة منها تشتمل على نواة موجبة الشحنة هى « التجمع الحقيقى للمادة » تدور حولها بسرعة كبيرة جسيمات صغيرة مشحونة بكهرباء سالبة تسمى « الكترونات » . ويوجد داخل هذه النواة نوعان من الجسيمات هما « البروتونات » التى تحمل شحنات كهربية موجبة . والنيوترونات متعادلة الشحنة الكهربية .

والذرات التى تحتوى أنويتها على نفس عدد البروتونات وان اختلف عدد النيوترونات تسمى « نظائر » . وعنصر اليورانيوم هو أحد العناصر الموجودة أساساً فى الطبيعة على شكل نظيرين : أحدهما يسمى اليورانيوم ـ ٢٣٥ ، ويحتوى على ٩٢ « بروتون » ، ١٤٣ « نيوترون » والآخر يسمى اليورانيوم ـ ٢٣٨ ويحتوى على ٩٢ بروتون ، ١٤٦ نيوترون . وأهم هذين النظيرين هو اليورانيوم ٢٣٥ حيث تتميز نواة هذا النظير بقابليتها للانشطار بمعنى أنها تنشط تحت تأثير اصطدامها بالنيوترونات . وينتج عن هذا الانشطار نواتا عنصرين مختلفين يطلق عليهما نـواتج الانشطـار همـا الـزِّينُـون ١٤٠ ، والاسترنشيوم ٩٠ وتسمى هذه الظاهـرة بالانشطار النووى « شكل ١ »

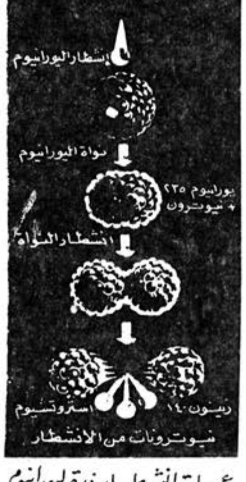

عملية انشطار ذرة اليورانيوم

شكل

بالإضافة إلى ذلك تنطلق فى عملية الانشطار كمية هائلة من الطاقة تعادل الفرق فى الكتلة بين الأجسام الداخلة فى الانشطار ومجموع الأجسام الناتجة منه . ويظهر هذا الكم من الطاقة فى صورة طاقة حركية تنطلق بها . وسرعان ما تتحول معظم هذه الطاقة الحركية إلى طاقة حرارية نتيجة اصطدام نواتج الانشطار بأنوية الذرات الأخرى المحيطة بها . وهذا يفسر لنا تولد الطاقة الحرارية العالية من الانشطار النووى وينطلق عدد يتراوح بين ٢ ، ٣ نيوترون تتحرك بسرعات عالية جداً تصل إلى ٢٠ ألف كيلو متر فى الثانية . وهذه النيوترونات تسبب بدورها انشطارات نووية متسلسلة ويحدث ما يسمى بالتفاعل الانشطارى المتسلسل .

فإذا فرضنا انطلاق نيوترونين فى الانشطار الأول فإنه ينتج عنه انشطاران جديدان فى الجيل الأول وفى الجيل الثانى ٤ ، وفى الثالث ٨ وفى الرابع ١٦ وفى العاشر ١٠٢٤ وفى العشرين ١٠٤٨٥٧٦ نيوترونا . مع العلم بأن الوقت بين جيل والجيل التالى لا يزيد على جزء من الثانية . وعلى هذا الاعتبار نستطيع أن نتخيل مقدار الطاقة التى يمكن الحصول عليها بسرعة بواسطة هذا التفاعل . فإذا علمنا أنه يخرج نيوترون واحد فقط فى المتوسط قادر على الدخول فى انشطار جديد فإن عدد النيوترونات القادرة على الدخول فى وقت ما يساوى عدد النيوترونات المسببة للانشطار فى الجيل الأول ويسمى هذا بالتفاعل المتسلسل « شكل ٢ » .

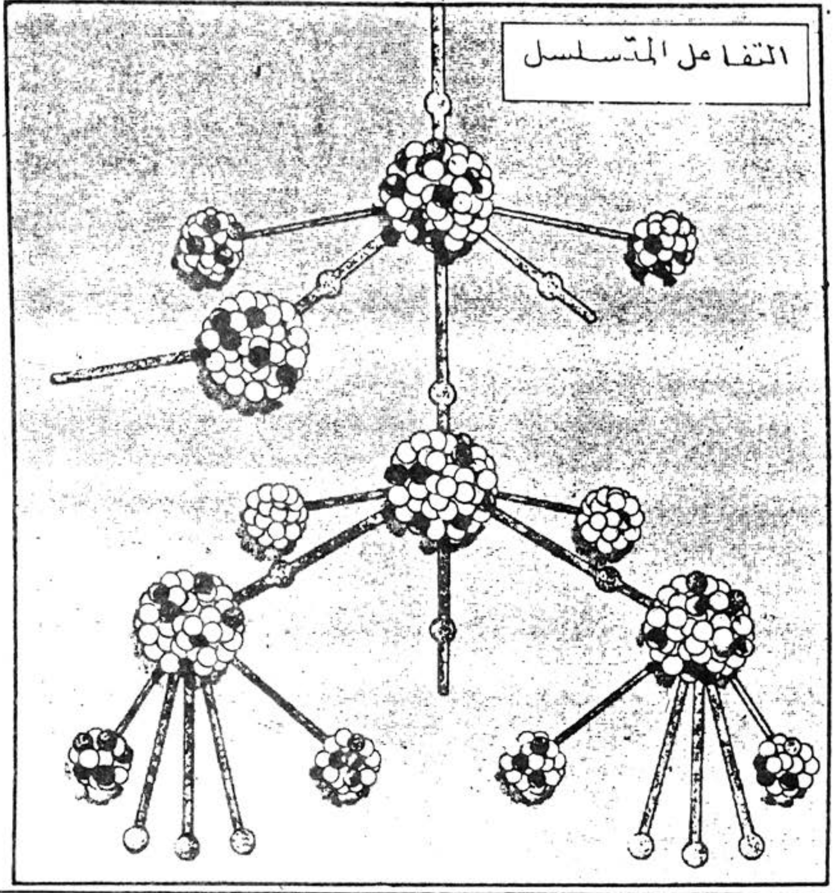

ولضمان حدوث التفاعل الانشطارى وتوفير المصدر المستمر للطاقة فإنه يلزم وجود كتلة معينة من اليورانيوم مناظرة لشكل هندسى معين بحيث يكون عدد النيوترونات الناتجة فى أى انشطار مساويا لعدد النيوترونات المسببة للانشطار السابق له وتسمى هذه الكتلة بالكتلة الحرجة .

إن الانشطار الكامل لجميع الذرات التى يحتويها جرام واحد من اليورانيوم ـ ٢٣٥ يعطى طاقة حرارية تكافىء واحد ميجاوات يوم . ولما كانت نسبة اليورانيوم ـ ٢٣٥ القابل للانشطار تبلغ ٠,٧٪ فى اليورانيوم الطبيعى وبفرض أن نصف هذه الكمية فقط ينشطر ، فإن احتراق رطل من اليورانيوم الطبيعى يكافىء ١٠٠٠٠ (عشرة آلاف)طن فحم .

ويبين الجدول التالى كميات الوقود السنوى وبدائله اللازمة لتشغيل محطات توليد كهرباء مختلفة الأنواع قدرة كل منها ١٠٠٠ ميجاوات :

١ ـ اليورانيوم	٣٣ طنا
٢ ـ الفحم	٢,٣ مليون طن
٣ ـ البترول	١٠ ملايين برميل
٤ ـ الغاز الطبيعى	٦٤ بليون قدم « ١,٨ بليون متر مكعب »
٥ ـ الخلايا الشمسية	١٠٠ مليون متر مربع « ٢٣٨٠٠ فدان »

ليست هناك صعوبة فى إيقاف التفاعل المتسلسل وإنما الصعوبة فى الحفاظ على استمراره لأن بعض النيوترونات الناتجة من الانشطار تخرج خارج منطقة التفاعل وبعضها تمتصه نويدات أخرى غير قابلة للانشطار مثل نظائر اليورانيوم الأخرى وأهمها اليورانيوم ـ ٢٣٨ والمواد الأخرى الموجودة مع اليورانيوم الطبيعى ، ومن ناحية أخرى فإن احتمال حدوث الانشطار يتوقف على سرعة النيوترونات المسببة له ، حيث تتم عملية الانشطار بسهولة أكثر كلما كانت النيوترونات ذات سرعات بطيئة . وقد يكون فى شرح أسباب ذلك عسر أو تعقيد وللتقريب إلى الذهن نتصور أن النيوترون الذى يبطىء السير على مقربة فى نواة قابلة للانشطار تكون فرصة امتصاصه بواسطة هذه النواة وحدوث الانشطار أكبر بكثير مما يتاح لذلك النيوترون الذى يسرع السير داخل منطقة النواة . فإذا علمنا أن النيوترونات التى تخرج من الانشطار تكون ذات سرعات عالية تقدر بحوالى ٢٠ألف كم/ثانية فإنه يتضح مدى الحاجة إلى استخدام مهدىء لهذه النيوترونات يعمل على الإقلال من سرعتها لزيادة احتمال دخولها فى انشطار جديد .

المهدىء المناسب يجب أن يتكون من مواد ذات نويدات خفيفة لأن النيوترونات تتصرف فى هذه الحالة كما لو كانت كرات منطلقة بسرعة كبيرة ، فهى تقف إذا اصطدمت بأجسام ثقيلة وتفقد جزءاً من سرعتها إذا اصطدمت بأجسام لها كتلة قريبة نسبياً من كتلتها . وتعتبر مادة الجرافيت والماء الثقيل والماء العادى من المهدئات التى يكثر استخدامها .

للتحكم فى معدل الانشطار المتسلسل ، وبالتالى التحكم فى معدل الطاقة الحرارية المتولدة منه ، فإنه يلزم التحكم فى معدل النيوترونات المتاحة للانشطار ، ويتم ذلك باستخدام قضبان التحكم التى تصنع من مواد لها خاصية الامتصاص الشره للنيوترونات . ومن أمثلة تلك المواد « البورون » و« الكادميوم » . وعليه فإنه

الانشطار النووى

يمكن زيادة معدل امتصاص النيوترونات بتحريك هذه القضبان إلى داخل وقود اليورانيوم وبذلك يقل معدل الانشطار المتسلسل . أما تحريك القضبان إلى الخارج فإنه يقلل من معدل امتصاص النيوترونات ، وبالتالى يزداد معدل الانشطار ، وبهذه الطريقة يتم التحكم فى معدل توليد الطاقة الحرارية من الانشطار .

تستخدم محطات القوى النووية مثل محطة القوى التقليدية الطاقة الحرارية لتوليد البخار الذى يستخدم بعد ذلك فى إدارة التوربينات التى تدير بدورها مولدات الكهرباء ، الاختلاف الرئيسى بينهما هو فى مصدر الطاقة الحرارية لتوليد البخار . فبينما تعتمد محطات القوى التقليدية على حرق الفحم أو البترول أو الغاز الطبيعى لتوليد هذه الطاقة الحرارية فإن محطات القوى النووية تعتمد على انشطار الوقود النووى لتوليد هذه الطاقة الحرارية .

الحمد لله .. والشكر لله - بقية

والشكر يطهر النفوس ويقربها من الله ، ويوجه إرادتها إلى الوجهة الصالحة فى إنفاق النعم فى وجوهها المشروعة ، ولهذا يقول سبحانه : ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ ـ سورة لقمان آية رقم ١٢ ـ .

أما كفران النعم فيعرضها للزوال لأنها تجعل المرء غير مبال بها ويبددها بدون منفعة ، ويتلف ما أنعم الله به عليه من نعم الصحة والعافية ، ويسير على غير المنهج الذى جاء به القرآن فيؤدى به إلى غضب الله والبعد عن رحمته .

والشكر لله درجات ، تبدأ بالاعتراف بفضله ، والحياء من معصيته ، وتنتهى بالتجرد لشكره ، والقصد إلى هذا الشكر لله ، فى كل لفظة لسان ، وفى كل خفقة قلب ، وفى كل خطرة جنان .

وفق الله المسلمين للاعتراف بفضله ، والتجرد لشكره .

والله الموفق ..

محمد صابر البرديسى

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

أهلاً .. وسهلاً

عائشة

صحوة العودة

أهلاً.. وسهلاً

للطالب / عايض علوش عوض المطيرى
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر (الكويت)

اهلا وسهلا بشيوخ كبار ** قد علمونا منذ كنا صغار
اهلا بابناء البلاد التى ** بجهدكم قد اصبحت نعم دار
انتم مصابيح الهدى والتقى ** من غير شمس لا يضاء النهار
علومكم منقوشة فى الحجى ** منا كنقش الخط فوق الحجار
لا غزوَ من ازهرنا جئتم ** والأزهر المعمور مهد الفخار
قرونه العشر مضت وهو ما ** زال لأهل العلم اعلى منار
فى كل علم باعه اطول ** ينهل منه نشؤنا والكبار
شرفت به ارض الكنانة مصر ** ولمصر فى النفس الف اعتبار
كنانة الله به اشرقت ** وعم منها النور كل الديار

● بمناسبة زيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لدولة الكويت الشقيق لحضور الإجتماع الثالث « للجمعية العامة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » أرسل الطالب هذه القصيدة إلى « مجلة الأزهر » تحية حب وتقدير إلى الأزهر الشريف ممثلا فى شخصية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق « شيخ الأزهر » .

عائشة رضي الله عنها

للشاعرة: علية الجعار

نجم يضيء فيقبس العلماء ... نبع يفيض فينهل الفقهاء
من مثل عائشة النبوة من له ... فى الدين فقه مثلها وعطاء
حسناء فى عمر الزهور يزينها ... عقل كبير ناضج وذكاء
تلميذة فى بيت خير معلم ... تقتات منه العلم كيف تشاء
جبريل يوحى والنبى مرتل ... آى الكتاب وكلها إصغاء
وهى النقاء مؤكدا ومجسدا ... فالطهر تاج والعفاف رداء
لما رَمَتْها فى المدينة عصبة ... بالإفك راحوا يهمسون وجاءوا
الله برأها وأعلى قدرها ... وملائك شهدت لها وسماء
ياأيها التاريخ قل عن زهدها ... ما هز من أركانه أهواء
أم لكل المؤمنين ولم يكن ... منها ببيت المصطفى أبناء
حازت لدى قلب النبى مكانة ... ما طاولتها فى الفؤاد نساء
فهى ابنة الصديق صاحب أحمد ... والخير فيما أنجب الكرماء

صحوة العودة

للأستاذ رشاد محمد يوسف

قومى ولا تتهربى واستغفرى وتقربى
وقفى بمحراب الصلاة ذليلة وتأدبى
واسترجعى ما فات من خطو ضليل مذنب
وتوضئى بدموع نادمة وقلب متعب
فلكم شربت مع الغواة وبالسوء المشرب
ولكم خطوت إلى الضلال بدون أى تحسب
ولكم خدعت الآخرين ببسمة وبمخلب
وأكلت لحم أخيك ميتا ما رضيت بطيب

ماذا إذا حُمَّ القضاء وغاب نورُ الكوكب ؟
ماذا إذا ذاب الضياء وحان حين المغرب ؟
ماذا إذا فُض الغطاء وبان كل محجب ؟
ودنا الحساب وما به إلا ضلال المأرب ؟

يانفس هل من صحوة من عودة وتقرب
عودى فقد طال العناء على الطريق المجدب
عودى إلى النبع الطهور إلى الرحيق الأعذب
وخذى بآيات الكتاب هدى وأنوار النبى
فالله يدعو الغافلين عن الهدى فى غيهب
والله يدعو التائهين إلى صباح أرحب
وإليه نرجع فى الختام وما لنا من مهرب
فتقدمى وتهذبى وتبتلى وتقربى

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

حرية الرأى فى الإسلام

لفضيلة الشيخ : صادق إبراهيم عرجون

إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

حرية الراى معلم من معالم الإسلام ، وسمة من سماته الأساسية وقد فهمها المسلمون الأولون على هذا الأساس . فاوجد منهم امة ناهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض فى زمن لايمكن أن ينهض بهذا السلطان القاهر لو كانت الأمة القائمة على امره حبيسة العقل مقيدة التفكير .

قال الأستاذ :

شرع الله تعالى الإسلام دينا للإنسانية عاما خالدا ، وجعله خاتم حلقات سلسلة الوحى المتلاحقة فى سجل التاريخ الإنسانى من لدن آدم إلى محمد صلوات الله عليه ، فكان هو الحلقة المكملة لتنزيل الرحمة التشريعية إلى الإنسان فى هذه الأرض .

وقد شاءت حكمة الله أن تكون كل حلقة من حلقات التشريع الإلهى على قدر استعداد الجماعة التى تأتى لها فى تكوينها الطبعى والخلقى والاجتماعى ، وكأنما نظم الله الإنسانية بالوحى عقدا اجتماعيا متماثل الحلقات فى كل جيل وقبيل ، وإن اختلفت فى الوضع والتصوير ، لتتفق مع وضع الأمة فى مكانها من الحياة ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَاوَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ حتى إذا اكتملت الإنسانية فى حقيقتها المطلقة وتهيأت للوحدة الفكرية والاتجاه العقلى ، جاءها الاسلام مهيمنا على زمامها ، ليرشدها إلى ما أعدت له من الكمال الذى يسمو بها عن حضيض الأرض إلى ملكوت السماء .

ومن ثم كانت الشرائع السابقة إنما تخاطب عقلا خاصا محدودا خطابا خاصا محدودا ،

←

حرية الرأى فى الإسلام

لا يتعدى هذا الجيل من الناس إلى غيره من الأجيال ، ولا هذا القبيل إلى سواه من المجتمع ، ولا ذلك التشريع إلى تشريع أوسع وأعمق ، لأن العقل الإنسانى العام لم يكن صالحا حينئذ لهذا الخطاب العام . لكن الإسلام عمد إلى هذا العقل الإنسانى العام بعد أن تهيأ فى تكوينه إلى الاضطلاع بعبء الحياة ، وخاطبه خطاب المرشد إلى الطريق الأقوم ، وجعله قيما على شئون الحياة كلها ، وأبى الإسلام أن يقبل سلطانا غير سلطان العقل ، وشدد النكير على الذين استسلموا لبلادة الحس ، وأناموا عقولهم عن النظر والتفكير ، فقال فى دستوره ناعيا عليهم ازدراء عقولهم وتشبثهم بالغباء فى اتباع آبائهم على ضلالاتهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيهِ آبَاءَنَا . أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ . وقال فى هذا الباب أيضا على مهيع آخر : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ فهذا التسفيه البالغ حد التحقير للمخاطبين أشد إيلاما لنفوسهم ، وألذع فى أفئدتهم ، وقد مهد له القرآن بقضية من بدائه الفطر لا تختلف فيها العقول سيقت للتنبيه على موطن الخطأ العقلى فى مسلكهم ، حيث تعبدوا أنفسهم لما لا يستحق الحياة ، بله العبادة والتقديس . هم يعلمون أن الأصنام ليست لها أرجل تمشى بها ، ولا أيد تبطش بها ، ولا أعين تبصر بها ، ولا آذان تسمع بها ، ولكن فى نفى هذا المعلوم بداهة على طريق الاستفهام إزراء على عقولهم بأبدع أسلوب ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

وقد أراد القرآن الكريم بهذا المبدأ السامى إيقاظ العقل وتنبيهه إلى أداء مهمته وإبراء النفس الإنسانية من مرض التقليد الأصم ، وتربية القوى الفكرية على الاعتداد بالنفس واستقلال الرأى وحرية التفكير ، ولذلك أثنى على الذين أيقظوا عقولهم وتفلتوا من قيود التقليد إلى ساحات النظر فى آيات الله فى الأنفس والآفاق ، وساروا بسير العلم غير ملتفتين إلا إلى الحق فلم يقولوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ ولا اعتذروا اعتذار العاجز الذليل ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

هذا النوع من التشريع الفكرى من أهم ماعنى به القرآن الحكيم ، فردده كثيرا فى آيات بينات على أنحاء شتى ، تعظيما لقدر الإنسانية ، وإجلالا لمقام العقل العام ، فى حدود تكبح من جماحه إذا تطلع إلى تعدى طوره ، ومجاوزة حده . وهو يطلعنا على أخص خصائص الإسلام وأعظم مميزاته على الشرائع الأخرى إطلاقا ، تلك الخصيصة هى أن الإسلام أقام من العقل الإنسانى حارسا على الإنسانية ، وملك الإنسانية الحياة لتكون حية نامية ، والنمو رقى فى مدارج الكمال . وهو بهذه الروح الهادئة القوية ضمن لنفسه البقاء والهيمنة على ماسواه : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

فهم المسلمن الأولون الاسلام على هذا الأساس ، فعظموا حرية الرأى تعظيما جعل

منهم أمة ناهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض فى زمن لايمكن أن ينهض بهذا السلطان القاهر لو كانت الأمة القائمة على أمره حبيسة العقل مقيدة التفكير . وليس مبدأ الشورى الذى جاء به الإسلام وجعله مناط الثناء على المؤمنين فقال : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ وامر الله به نبيه ﷺ وليجعله دستورا بينه وبين أمته فقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ إلا قاعدة من قواعد حرية الرأى وتقديسها ، فاستمع الرسول أمر ربه ، وجرى على هذه السنن فيما لم ينزل عليه وحى فيه . روى البخارى فى صحيحه « أن رسول الله ﷺ قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال رسول الله ﷺ : معى من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين . إما السبى ، وإما المال ، وقد كنت استأنيت بكم ـ وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ـ فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين ، قالوا : فإنا نختار سبينا ، فقام رسول الله ﷺ فى المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فان إخوانكم قد جاءونا تائبين وإنى قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل ، فقال الناس :

قد طيبنا ذلك يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لاندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم ، فرجع الناس ، فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا » .

هذا الحديث الشريف يصور أقصى ماتبلغ إليه الأمم الناهضة من حرية الرأى ونظلم النيابة الفاضلة ومحو الاستبداد . وفيه من الفوائد العظيمة التى تدنو منا فى عصرنا هذا ، عصر الحرية الفكرية واستقلال الرأى ، مايجل عن الوصف . ولنتحدث منه فيما يمس موضوع (حرية الرأى) الذي عقدنا هذا المقال لأجله :

أول مايبيده القارىء من هذا الحديث قول النبى صلوات الله عليه لهؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام جددا : « معى من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدقه » ليشعرهم بقانون الإسلام العام ، وهو احترام الحقوق وتقديس حرية الرأى ، والتجافى عن روح الاستبداد ، والحكم الفردى ، فكأنه يقول : إن الأمر صار إلى الأمة ، ولابد من أخذ رأيها ، مع أنه لو فعل شيئا ماطرفت عين بمخالفته ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

ثانيا ـ لم يشأ صلوات الله عليه أن يجبر هوازن بعد أن استأنى بها وقطع عذرها على قبول طائفة بعينها ، بل خيرهم بين إحدى الطائفتين : إما المال ، وإما السبى ، وفى ذلك من احترام الرأى مالايحتاج إلى بيان .

ثالثا ـ عرض الأمر على أصحابه ، وذكر لهم توبة إخوانهم ، وقال لهم : إنى قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم ، ثم أطلق لهم حرية الرأى ، وأبان أنه لايحكم إلا بما تطيب به نفوسهم ، فقالوا قد طيبنا ذلك ، افتراه ـ وهو الرسول الأمين ـ قام إلى سبى هوازن فرده إليهم اتكالا على إجابة عامة من حشد المسلمين ، كيف ؟ ولعل فى غمار المسلمين من لم يؤبه له ، ولا يعرف رأيه فى هذا الجمع العظيم ، والمسلمون سواء أمام التشريع العام ، لكل مسلم رأيه ، ولكل رأى اعتباره ، لا ، لم يتفرد النبى برأيه ، ولكنه عمد إلى أدق نظم حرية الرأى ، وأحراها بالعدالة فجرى عليها : أمرهم أن يرجعوا إلى أنفسهم ، ويتعرفوا منها الرضا ، أو الإباء ، وينضجوا رأيهم ، ويتفاوضوا مع نوابهم ، ثم يرفعوا إليه ما استقر عليه رأيهم .

حرية الرأى فى الإسلام

نظام بلغ أسمى آيات (الديمقراطية) كما يقولون فى أمة حديثة ناشئة ، أليس هو أحدث ماتطمح إليه الأمم الناهضة لتعيش فى ظله ؟ فليتبصر الذين لايعرفون من الإسلام إلا قشورا منثورة هنا وهناك ليست من الإسلام فى الصميم .

اشترع النبى ﷺ هذه الشرعة النقية الطاهرة فى حرية الرأى ، فاستن بسنته خلفاؤه الراشدون من بعده ، فهذا هو الخليفة الأول ابوبكر الصديق رضى الله عنه قد ملكه المسلمون رقابهم وأموالهم ، وبايعوه بالخلافة بيعة رضا واطمئنان .

ولقد سرت تعاليم الإسلام فى المسلمين ، فكان من أثرها أن يقوم رجل من عرض المسلمين يقول لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد قوله : من رأى منكم فىَّ اعوجاجا فليقومه : «والله ولو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا» ، فيقول عمر : الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم عوج عمر ! إنما حمد الله عمر لأنه رأى فى الأمة روح الاعتداد بالنفس ساريا فاطمأن على أنه يتأمر أمة لاتلين لها فى الحق قناة .

وإذا تأملنا فى أن رسول الله ﷺ صعد إلى الرفيق الأعلى ولم يخلف على المسلمين رجلا بعينه ، وهذا كان ميسورا وحاسما ، علمنا أن ذلك أثر من آثار حرية الرأى فى الإسلام . وأبو بكر رضى الله عنه لم يخلف عمر بن الخطاب إلا بعد أن فوض إليه المسلمون ذلك . روى ابن الجوزى « أنه لما ثقل ابو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس إليه فقال : إنه قد نزل بى ماترون ، ولا اظنننى إلا ميتا لما بى ، وقد أطلق الله إيمانكم من بيعتى ، وحل عنكم عقدتى ، ورد عليكم أمركم ، فأمروا عليكم من احببتم ، فإنكم إن أمرتم فى حياة منى كان أجدر أن لاتختلفوا بعدى » فقاموا فى ذلك وخلوا عليه ، فلم تستقم لهم ، فرجعوا إليه ، فقالوا : رأينا ياخليفة رسول الله رأيك ، قال : فلعلكم تختلفون ، قالوا : لا ، قال : فعليكم عهد الله على الرضا ، قالوا : نعم ، قال : فأمهلونى حتى أنظر لله ولدينه ولعباده .

فإذا كانت حرية الرأى فى الإسلام تتجلى فى أخطر مسألة يدور عليها كيان الأمة ، ويترك لكل مسلم أن يقول فيها رأيه فى أحرج المواقف ، كانت أحرى أن تتمشى مع الأمة فى مراحلها التشريعية والاجتماعية : فأما التشريع فحسب القارىء الاطلاع على تاريخ فجر النهضة الإسلامية ليعلم كم كان من المجتهدين الذين لا يصدرون فى رأى إلا عن كتاب الله أو سنة الرسول الصحيحة ، حتى أن الأصوليين يختلفون فى أصحاب رسول الله : هل جميعهم مجتهدون ؟ وكتب الفقه والأصول مليئة بالفروع التى وقع فيها الخلاف بين الأئمة ، وما عاب أحد منهم على أحد اجتهاده ، ولاحجر عليه رأيه .

حرية الرأى أساس فهم عمومية الدين ، وهيمنته على سائر الأديان ، وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وأنه لا حاجة معها إلى قانون آخر . قال العلامة ابن القيم :« ومن له ذوق فى الشريعة واطلاع على كمالاتها ، وأنها لغاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، ومجيئها بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ماتضمنته من المصالح ، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها ، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها مواضعها ، وحسن فهمه فيها ، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة » .

ومن البداهة بالمكان الأول أننا لا نعنى بحرية الرأى مايفهم من كلمة (الفوضى) حتى يباح لكل متعلم فضلا عن شبه المتعلم أن يقول فى الشريعة برأيه ، وإنما نعنى أن العالم الثقة إذا فهم فى الشريعة فهما وساق بين يديه دليله ، فلا سبيل عليه ، ولا تحجير على فضل الله .

طرائف ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

لا تحب مع الله سواه

كان للفضل بن عياض ابنة صغيرة اصاب كفها وجع ، فسالها يوما وقال : يابنية ، ما حال كفك ؟ فقالت : بخير ياأبت . فقال لها : ارينى ، فارته ، فقبّله ، فقالت : ياأبت ، انشدك الله ، هل تحبنى ؟ قال : اللهم نعم .

فقالت : سواة لك من الله ، والله ما ظننت انك تحب مع الله سواه ، فصاح قائلاً : ياسيدى ، صبية صغيرة تعاتبنى فى حبى لغيرك ، وعزتك وجلالك ، ما أحببت معك سواك .

كلمات لأمراء المؤمنين

● كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله عدى بن ارطاة :

أما بعد : فقد أمكنتك القدرة على المخلوق ، فاذكر قدرة الخالق عليك ، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للرعية عندك .

● وقال المنصور لولده المهدى ، وقد تولى الخلافة بعده : لا ترم أمراً حتى تفكر فيه ، فإن فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته . واعلم ان الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وانقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .

ما أوتيت بما أكره

كان ابن خارجة يقول : ما اتانى أحد بما اكره ، إلا اخذت عليه بثلاث خصال : فإن كان فوقى عرفت له فضل التقدم فاتبعته .

وإن كان دونى صنت نفسى عنه .

وإن كان مثلى تفضلت عليه .

الخنا قادمون .

قيل لبعض المجانين ، وقد أقبل من المقبرة من أين جئت ؟

قال : من هذه القافلة النازلة .

قيل : ماذا قلت لهم ؟!

قال : قلت لهم متى ترحلون ؟

فقالوا : حين علينا تقدمون .

طـرائــف ومـواقــف

هـى لـك

قال رجل من البخلاء لأولاده ، اشتروا لى لحما فاشتروه ، فامر بطبخه ، فلما نضج أكله جميعه ، حتى لم يبق فى يده إلا عظمة ، وعيون أولاده ترمقه ، فقال : ما أعطى أحداً منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها .

فقال ولده الأكبر : امشمشها وامصها حتى لا ادع للذر فيها مقيلا .

قال : لست بصاحبها .

فقال الأوسط : الوكها ياأبت والحسها ، حتى لا يدرى أحد العام هى أم لعامين .

قال : لست بصاحبها .

فقال الأصغر : ياأبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا .

قال : إنك صاحبها ، وهى لك زادك الله معرفة وحزما .

وصـف ثقيـل

قال أبو بكر الخوارزمى فى وصف ثقيل :

فلان أثقل من موت الخناق ، وكتاب الطلاق ، وفقد الحبيب ، وطلعة الرقيب ، وأشد من خراج بلا غلة ، ودواء بلا علة ، ورؤية الموت عند الكافر ، وقد ختم أعماله بالكبائر .

فلان وخز فى الأكباد ، وسقم فى الأجساد .

قـالـوا ....

● الكريم أوسع مايكون مغفرة إذا ضاقت بالمسىء المعذرة .

● العفو يفسد من اللئيم بقدر مايصلح من الكريم .

● من طلب عزا بباطل وجور أورثه الله ذلا بإنصاف وعدل .

● كل إنسان يأنس إلى شكله ، كما أن كل طير يطير مع جنسه .

● الأمُ الناس سعيد لا تسعد به جيرانه ، ولا تسلم منه إخوانه .

● ما استغنى أحد بالله إلا وافتقر الناس إليه .

● ليس حسن الجوار كف الأذى ولكنه الصبر على الأذى .

● الجبن خير أخلاق النساء ، وشر أخلاق الرجال .

دعـــاء

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله ، واجعل اليقين فى قلبى ، والنور فى بصرى ، والنصيحة فى صدرى ، وذكرك على لسانى .

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

حول التأثير السلبي للدراما

مأساة الزعامة في حياة إمام النحاة

كتاب الوحوش

عن الأصمعي - رحمه الله

تحقيق
أ. أيمن محمد ميدان

ومن أسماء الظباء (وصفاتها)(١٢٦)

يقال للذكر الظبي واليعفور . والأنثى(١٢٧) ظبية ويعفورة ، وجماع اليعفور اليعافير . (والعفر أضعف ظباء عدواً وإنما يطمع فيها الفهد ولا يطمع في الأدماء لسرعتها)(١٢٨) ،

وقال الشاعر : — البسيط —

وقد تحرز ملحر اليعافير(١٢٩)

وفي الظباء المشدن وهي التي معها غزال ، والغزال الصغير ، وقال ذو الرمة :(١٣٠)

— الوافر —

فلم أر مثلها نظراً وعيناً ولا أم الغزال ولا الغزالا(١٣١)

وقال زهير (بن أبي سلمى :)(١٣٢) — البسيط —

بجيد مغزلة أدماء خاذلة من الظباء تراعي شادنا خرقا(١٣٣)

---

(١٢٦) اللفظة في ت ، ج : « وللأنثى » .
(١٢٧) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(١٢٨) في ت ، ج : « قال الشاعر : وقد تحرز من حر اليعافير » .
(١٢٩) عبارة ت ، ج : « ومن الظباء المشدن وهي التي معها ولدمقد شدن وتحرك ، ومنها المغزل وهي التي معها غزال ، والغزال الصغير منها ؛ قال ذو الرمة : » .
(١٣٠) ديوانه ٤٣٦
(١٣١) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(١٣٢) ديوانه ٣٩ وشرح شعر زهير لثعلب ٣٨ .
الأدماء : الخالصة البياض ومساكنها الجبال . والخاذلة : المتأخرة عن ركب الظباء ، والشادن : الصغير الذي قد قوى وتحرك واشتد لحمه . والخرق : الصغير اللاصق بالأرض ، لا يقدر أن يتحرك ، ولايدرى كيف يأخذ من ضعفه وصغره .
(١٣٣) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

ويقال ظبى أشعب وهو البعيد (ما)(١٣٤) بين القرنين (كما يقال شاة قعساء إذا كانت كذلك ، و)(١٣٥) قال الشاعر : - الهزج -

وقُصْرى شنج الأنساء نباح من الشعبْ(١٣٦)

(القصرى آخر الضلوع ، يقال لها ضلع الخلف)(١٣٧) ويقال للظبى إذا أسن نبيح(١٣٨) والفور الظباء ، ولم أسمع لها بواحد(١٣٩) ، قال أوس بن حجر : - البسيط -

يلبسن ريطا وديباجا واكسية شتى بها اللون إلا أنها فور(١٤٠)

ومن الظباء العفر وهى البيض اللواتى يعلو بياضها حمرة ، (وكذلك الكثيب الأعفر الذى تعلوه حمرة)(١٤١) .

ومنها الأدم(١٤٢) وهو الذى يخالف لون ظهره لون بطنه . والعواهج الكحل الطوال القوائم . والعوهج الطويل العنق ، قال العجاج(١٤٣) : - الرجز -

فى شملة أو ذات زف عوهجا(١٤٤)

يريد طويلة العنق ، ويصف نعامة(١٤٥) ، والزف : الريش(١٤٦) .

ومنها الأرآم وهى (الظباء)(١٤٧) الخالصة البياض ، والواحد رئم .

ويقال للظبية إذا كانت بنت ستة أشهر أو سبعة جدَّاية ، قال طفيل (الغنوى)(١٤٨) : - الطويل -

---

(١٣٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٣٥) البيت لأبى دؤاد الإيادى فى شعره ٢٨٨ وفى الاقتضاب ، ٣٣٢ - ٣٣٣ وأدب الكتاب ١٢٢ والحيوان ١/ ١٧٠ ولسان العرب (قصر) ، (نبح) . القصرى : أسفل الأضلاع ، وشنج الأنساء : منقبض الجلد والنبح : صوت الكلب والظبى والتيس والحين . والشعب : الظباء التى طالت قرونها وتشعبت . وفى لسان العرب (نبح) : « .... رواه الجاحظ ... نباح من الشعب . وفسره يعنى من جهة الشعب » . وورد البيت فى الأصل : « .... شيخ .... من الشعب » وما أثبتناه هنا من شعر أبى دؤاد ٢٨٨ و ت ، ج .

(١٣٦) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٣٧) عبارة ت ، ج : « ويقال للظبى إذا أسن وغلظ صوته ينبح » .

(١٣٨) فى لسان العرب (فور) : « الفور - بالضم - الظباء واحد لها من لفظها ، هذا قول يعقوب . وقال كراع : واحدها فائر » .

(١٣٩) ديوانه ٤٠ برواية : « لبسن ... » وفى ت ، ج : « يشى » . وبرواية الأصل فى إصلاح المنطق ١٢٥ . والريط : جمع ريطة و الملاءة إذا لم تشق إلى لفقين . والديباج والدِّيباج : ضرب من الثياب المزينة بالنقوش ، وهو فارسى معرب .

(١٤٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وساقط من الأصل بسبب انتقال النظر .

(١٤١) فى ج : « والادم » .

(١٤٢) عبارة ت، ج : والعوهج طويل العنق ، وقال العجاج » .

(١٤٣) البيت فى ديوان العجاج ٣٥١ .

(١٤٤) عبارة ت ، ج : « وهى الطويل العنق ، يصف نعامة » .

(١٤٥) ديوان العجاج ٣٥١ : « قال أبو حاتم : سمعت الأصمعى قال : والزف الريش اللين الذى يكون فى بطن النعامة » .

(١٤٦) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١٤٧) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٤٨) مابين القوسين ساقط من ت ، ج . والبيت فى ديوانه ٣٤ برواية : « من الأدم خمصان الحشا غير خثيل » . وفى ت ، ج : « من الوحش خلصاء الحشا .... » . والجداية : بنت شهرين أو ثلاثة من الظباء والذكر والانثى . والخثيل : العظيمة البطن ، ولم أسمعه إلا فى المؤنث ... والخمصان الخميصة البطن . والحشا : البطن » . عن ديوانه رواية أبى حاتم السجستانى عن الأصمعى طفيل بن كعب الغنوى : شاعر جاهلى أبدع فى وصف الخيل ، وكان يقال له فى الجاهلية « المحبِّر » لحسن شعره ، انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ١/ ٤٥٣ والاشتقاق ٢٧٠ والأغانى ١٥/ ٣٤٩ - ٣٥٥ والمؤتلف والمختلف ٢١٧ وسمط اللآلى ١/ ٢١٠ - ٢١١ وكنى الشعراء ٢٩٣ والقاب الشعراء ٣١٠ وخزانة الأدب ٣/ ٢ - ٦٤ ومقدمة ديوانه .

(رعته سعاد إذ سعاد) جداية من الوحش خمصان الحشا غير خنثل[149]
(الخنثل : العظيم البطن ومسترخيه)[150] .

(قال أبو سعيد : قال أبو الفضل الرياشي : سمعت الأصمعي يقول : الظباء على ثلاثة ألوان : فإذا كان خالص البياض لا يدخله لون فهو رئم ، والجماع أرآم ، فإذا دخل بياضه حمرة فهو أعفر والأنثى عفراء ، والجميع عفر . وإذا كان أسود الظهر ، شديد بياض البطن ، أكحل العينين ، طويل العنق والقوائم فهو أَدَمُ .

قال أبو بكر بن دريد : الظباء بألوان أرضها ، فما رعى الصحراء والقيعان فهو[151] العفر لأن ألوانها كلون تلك الأرض . ومارعت الغلظ والحزون فهى أرآم . ومارعت السفوح فهى الأدم)[152] .

ومن أسماء أولادها

الخِشف والغزال والجحش فى لغة هذيل ، والشادن الذى قد شدن أى قوى وتحرك . ويقال لولد الظبى الرشأ (مهموز)[153] .

(قال أبو ذؤيب فى الجحش وهو يذكر الظبية : ـ الطويل ـ
بأسفل ذات الدير أفرد جحشها فقد ولهت يومين فهى خلوج[154]
ويقال لولد الظبية الطلا ، والشصر مثل الجدى من الغنم ، والرشأ والغزال ـ الكامل ـ والجحش ، فإذا أتى عليها ستة أشهر أو سبعة فهى جداية ، قال الشاعر :[155]

(١٤٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وفى ج : « الخنتل » .

(١٥٠) كتب الناسخ فوق « فهو العفر » كلمة « فهى » .

(١٥١) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١٥٢) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٥٣) ورد البيت برواية : « ذات الدير » فى الجبال والأمكنة والمياه ٩٧ والإبل ١٠٥ . وفى معجم ماستعجم ٢/٥٤١ : « قرىء يوما على الأصمعى من شعر أبى ذؤيب : بأسفل ذات الدير ـ بالياء ـ فقال أعرابى بالحضرة للقارىء : ضل ضلالك ، إنما هو الدبر ، وهى ثنية عندنا ، فأخذ الأصمعى بذلك بعد ..وفى الصحاح (دبر) ولسان العرب (دبر) نقلاً عن ابن الاعرابى : وقد صحّفه الأصمعى فقال : ذات الدَّير . وورد فى ديوان الهذليين برواية :
بأسفل ذات الدَّبر أُفْرِد خشفها وقد طُرِّدَتْ يومين فهى خلوج
الدَّبْر : النحل .. والخلوج : التى نزع عنها ولدها ، واختلج عنها إما بذبح وإما بفصال .. ولهت ذهب عقلها من شدة وجدها .

(١٥٤) البيت لعنترة بن شداد العبسى الفارس المعروف بالبأس والشدة ، وهو من أصحاب المعلقات انظر ترجمته فى : طبقات فحول الشعراء ١/١٥٢ ، والشعر والشعراء ١/٢٥٠ ـ ٢٥٤ ، وألقاب الشعراء ٣١٠ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٢٩٣ ـ ٢٩٤ والاغانى ٨/٢٣٧ ـ ٢٤٥ . ومقدمة ديوانه .

(١٥٥) شرح ديوانه ١٢٥ برواية : « جداية وشرح المعلقات السبع للزوزنى فى ١٢٧ برواية : « وكأنها » الحُرُّ : الحسن العتيق ، والأرثم : الذى فى شفته العليا وأنفه بياض ، وقيل : الذى فى شفته العليا بياض أو سواد ، فإن كان فى السفلى فهو ألمظ ولمظاء .

وكــأنمــا التفتــت بجيــد جــدايــة رشــأ مــن الــغــزلان حــر أرثــم[١٥٦]

والظبى ثنى[١٥٧] أبدا لا تزيد سنه .

قال أبو سعيد : والظباء ثلاثة : الرئم وجمعه أرام مهموز ، وهو أشد الظباء بياضا لا يخلطه شيء ، والعفر واحدها أعفر ، والأنثى عفراء ، وهى البيض تعلو بياضها حمرة ، ويقال للكثيب الأعفر إذا كانت[١٥٨] تعلو بياضه حمرة .

والأدم واحدها آدم ، والأنثى أدماء وأدمانة ، وهى التى خالف لون ظهرها (لون)[١٥٩] بطنها ، والأدم هى العواهج)[١٦٠] .

---

(١٥٦) اللفظ فى ت : « ثنىء » .

(١٥٧) عبارة ت : « إذا كان تعلو بياضه حمرة » .

(١٥٨) مابين القوسين ساقط من ت .

(١٥٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت . ج ، وسقط من الأصل بسبب انتقال النظر .

(١٦٠) المستقصى فى أمثال العرب ١/ ٢٧٩ الأروى : مساكنها الجبال ، فقل ماتمر بالناس يضرب للمبطىء الزيارة ، ويروى . كخارج الأروى قليلاً ماترى . فيضرب فيما لا يقدر عليه ، ولا يكاد يدرك .

على هامش النقد

التعقية

للأستاذ: السيد حسن قرون

« عقّى » لم يرد هذا الفعل فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى الشعر ، وقد اهتم به أبو على القالى فى كتابه « الأمالى » ، ويرجع الاهتمام به إلى انه يسجل تقليدا للعرب فى الجاهلية حين الرضا باخذ الدية ، وقد اورد النص عن طريق الرواية قال : سالت ابا بكر بن دريد عن معنى قول المتنخل الهذلى :

عَقَّوْا بسهم فلم يشعر به احدٌ
ثم استفاءوا وقالوا حبَّذ الوضحُ

وبين التقليد الذى حواه البيت قائلا : يقال عقَّى بسهم إذا رمى به نحو السماء لا يريد به أحدا ، وإذا اجتمع الفريقان للقتال ، ثم بدا لأحد الفريقين وأرادوا الصلح رموا بسهم نحو السماء ، فعلم الفريق الثانى أنهم يريدون الصلح فتراسَلوا فى ذلك ، واستفاءوا رجعوا عما كانوا عليه وقالوا : حبذ الوضح أى اللبن ، أى حبذ الإبل والغنم أخذها فى الدية كما قال الآخر :

ظفـرت بهجمـة سُـودٍ وحُمْـرٍ
تُسَرُّ بمـا يُسَـاءُ بـه اللبيب

أى فرحتَ بالدية .. والهجمة الجماعة من الإبل .

وأبو على القالى القادم من بغداد إلى الأندلس سنة ٣٢٨ هـ والمتوفى بها سنة ٣٥٦ هـ فهم التقليد العربى وأداه بعبارة تحتاج إلى توضيح ، لأن فهم الراوى لم يكن كما ينبغى أو أن العبارة لم تأت كاشفة المعنى ، لذلك وجدنا عالما لغويا كبيرا يتعقب أبا على ويوضح لنا المراد من الشعر ، ونحن نعلم أن العرب فى جاهليتها كان فرسانها أحلاس خيل وأرباب سلاح ، ومعاركهم تنجلى عن قتلى وجرحى ويسعون إلى الصلح وللصلح فيه تسليم القاتل لأولياء الدم أو دفع الجزية إذا رضى الأولياء بالدية .

وجاء الإسلام فكان التشريع الذى يحفظ للناس حياتهم ويشيع الأمن بينهم ، ولينالوا حظا من متع الحياة والتمهيد لسعادة الآخرة ، وكان القصاص . قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الآية ١٧٩ سورة البقرة) .

وأباح الإسلام لأهل القتيل فى العمد المطالبة بقتل القاتل أو الدية أو العفو ، وهذا من مزايا الإسلام للتخفيف عن الناس ، ومَنْ قبل الدية ثم اعتدى فله خزى الدنيا والآخرة .قال[1] رسول

---

(١) الحديث رواه ابن كثير عن تفسير الآية ١٧٩ من سورة البقرة ..

الله صلى الله عليه وسلم : « لا أعافى رجلا قتل بعد أخذ الدية » يعنى لا أقبل منه الدية بل أقتله . وبهذا التشريع تطيب الحياة ويستتب الأمن ، وقد أعلى الإسلام من فضيلة العفو فقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (الآية ٤٣ سورة الشورى) . بعد قوله فيها ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ وصار القصاص من شأن الحاكم ، فالحاكم يقوم بدل الأفراد بالمطالبة بدم القتيل ، والعالم اليوم جعل الصلح عن طريق المنظمات الدولية ، فكانت محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن وجمعية الأمم المتحدة العامة وما إلى ذلك مما يحفظ الحقوق ويزيل الضغائن ..

وأعود إلى التقليد العربى الجاهلى وأبى على القالى وقد أثبت فى صدر المقال شرحه لمعنى « التعقية » لم يقبل أبو عبيد البكرى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ ما ذهب إليه أبو على فأورد فى كتابه « التنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه » رأيه فى هذا التقليد فقال راويا عن غيره من علماء اللغة وبدأ كلامه هكذا : لم يعلم أبو على ـ رحمه الله ـ معنى التعقية ومذهب العرب فيها ، قال أبو العباس ثعلب ـ رحمه الله ـ سألت ابن الأعرابى ـ رحمه الله ـ عن التعقية وهو سهم الاعتذار فقال : قالت الأعراب : إن أصل هذا أن يقتل الرجل من القبيلة فيطالب القاتل بدمه ، فيجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم العفو وقبول الدية ، فإن كان أولياؤه ذوى قوة أبوا ذلك وإلا قالوا لهم : إن بيننا وبين خالقنا علاقة للأمر والنهى فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون أن نأخذ سهما فنرمى به نحو السماء ، فإن رجع إلينا مضرجا دماً فقد نهينا عن أخذ الدية ، وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها ، قال ابن الأعرابى فما رجع هذا السهم قط إلا نقيا ، ولكنهم لهم فى هذا المقال عذر عند الجهال ـ هذا معنى « عقوا بسهم » وما أورده أبو على ـ رحمه الله ـ والبيت الذى أنشده من شعر المتنخل يهجو به ناسا من قومه كانوا مع ابنه « حجاج » يوم قتل ، وقبل البيت :

لا ينسىء الله منا معشرا شهدوا
يوم الأُمَيلح لا غابوا ولا جرحوا
لا غيبوا شلو حجاج وقد شهدوا
حم القتال فلا تسأل بما افتضحوا
لكن كبير بن هند يوم ذلكم
فتخ الشمائل فى أيمانهم روح
عقوا بسهم فلم يشعر به أحد
ثم استفاءوا وقالوا حبذ الوضح

وأبو عبيد البكرى مثل أبى على القالى لغوى وأديب عنى بشرح ألفاظ الأبيات فقال : قوله لا ينسىء الله أى لا يؤخر موتهم ، وشلو كل شىء بقيته ، وحم القتال وحم كل شىء معظمه ، و « كبير بن هند » قبيلة من هذيل ، واستفاءوا رجعوا عما كانوا عليه ، وقالوا حبذ الوضح أى حبذ الإبل والغنم أخذها فى الدية ويعنى بالوضح اللبن لبياضه ، ولم يشرح فتخ الشمائل أى لين الطباع . وروح ومعناها الارتخاء مما يفيد ضعف العزيمة ، ونحن هنا مع هذيل وهى قبيلة مضرية ترجع إلى « الياس بن مضر » وقبائل هذيل كما يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد لا ينسب إليها أبناؤها ، لأنها ليست جمجمة بل ينسبون إلى الجد الأعلى « هذيل » .

والأبيات التى أوردها أبو عبيد البكرى التى تنتهى ببيت التعفف هى هجاء يحمل غضبة المتنخل على قومه الذين شهدوا مقتل ابنه فلم يقوموا بشأنه ، ولا أخذوا ثأره ولا قاموا بدفنه ولا سيما قبيلة « كبير بن هند » التى لا عزيمة لها قبلت الدية عن طريق التعقية وقد شرحها أبو عبيد البكرى بالرواية عن ابن الأعرابى ،

على هامش النقد

فهى تحفظ الوجوه وتكون عذرا عند الجهال ، وتبقى الحقيقة مرة فى أفواه الرجال .

بان لنا مما تقدم أن عقى كلمة تاريخية لها مكانها عند العرب ويفهمها الأعراب كل الفهم ، وقد أغنانا الله عنها بأن كتب علينا القصاص وقد أشرنا إليه آنفا ، أنترك تلك الكلمة فى بطون المعاجم والكتب فلا تستخدم أم لنا أن نستخدمها ، ونبعثها قوية فى الشعر والنثر والخطب ؟

إننى أضن بها أن تذبل أو تختفى ولها من مادتها « ع ق » أخت لها هى أعقى تقول أعقيت الشىء إذا أزلته من فيك لمرارته ، وفى المثل « لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى » وأنت ترى أن عقى فعل ثلاثى زيد بالتضعيف ، وأن أعقى ثلاثى زيد بالهمزة ، ومعناهما متقارب فالمضعف يفيد الرمى والمبدوء بالهمزة يفيد الإزالة ، وفى الحالين شىء يطرح . وأهل الأدب لهم القدرة على استعمال الفعلين فى الحقيقة والمجاز ، ويكفى تلك المادة « عقا » منزلة أن منها « العقيان » وهو الذهب الخالص ..

ومع ذلك فالبيت الذى يحوى الهجاء المقذع والذى دار حوله البحث لم يبعد بنا عن عزة العرب وتجافيهم عن الرضا بالضيم ، فهم إذا ضعفوا ستروا الضعف واحتالوا على الخروج منه بكل السبل الممكنة ومنها التعقية .

لكننا اليوم لسنا فى حاجة إليها فلنا من الإسلام ما يقينا من الذل والهوان ، وإنما ذكرناها حبا فى اللغة وعناية بالشعر وبعثا للتاريخ من جديد ، واستجابة لمنهج الآباء والأجداد ..

التابعون تلامذة الصحابة ـ بقية

ولما قدم عكرمة جرجان قال الناس لشهر بن حوشب ألا نأتيه ؟ فقال : ائتوه ، فإنه لم تكن أمة إلا وقد كان لها حبر ، وإن مولى هذا كان حبر هذه الأمة .

وحدث سفيان عن عمرو قال : كنت إذا سمعت من عكرمة يُحَدِّث عن المغازى كأنه مشرف عليهم ينظر كيف كانوا يصنعون ويقتتلون .

وقال عكرمة : إنى لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فيُفتتحُ له خمسون بابا من العلم .

وكان الحسن البصرى إذا قدم عكرمة البصرة امسك عن التفسير والفتيا مادام عكرمة بالبصرة .

قال الذهبى فى دول الإسلام(٢) : العلامة عكرمة البربرى مولى ابن عباس كان من بحور العلم فى زمانه .

وإلى حديث آخر نكمل أخباره إن شاء الله تعالى .

٢ ـ جزء (١) ص ٧٥

مأساة الزعامة

فى حياة إمامى النحاة

بقلم : د/عبد الرءوف محمد عثمان

● إمام نحاة البصرة ومؤسس مدرستها - غير منازع - هو سيبويه (ت ١٨٠ هـ) وهو لقب اعجمى فارسى فكلمة (سيب) معناها تفاح ، وكلمة (ويه) معناها رائحة بتقديم المضاف إليه على المضاف ، فإذا ارجعنا الإضافة إلى عربيتنا بتقديم المضاف على المضاف إليه فإن معنى سيبويه يكون (رائحة التفاح) فهو إذاً - ومن مضمون الاسم الذى غلب عليه مع انه لقب له - من اصل فارسى ، اما اسمه الحقيقى فهو عمرو بن عثمان بن قنبر .

والحديث عن سيبويه فى الغالب حديث عن كتابه المسمى (بالكتاب) فقد قالوا[1] : إن كتابه كان أول وضع شامل لقواعد اللغة العربية ، لم تغير الأجيال المتأخرة شيئا من أسسه وقواعده . وقد كان أهل البصرة يفتخرون بالكتاب ويطلقون عليه « قرآن النحو » ، وسماه المبرد « البحر » ، وأن الفراء وهو غريم سيبويه قد مات وتحت راسه (الكتاب) ، ومن المؤكد ان سيبويه بدأ تاليف الكتاب بعد وفاة أستاذه الخليل ، إذ تراه فى بعض المواضع يعقب على ذكره لاسمه بعبارة (رحمه الله) ولقد كان الفضل فى ذيوع (الكتاب) ونشره للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه .

وهذا عبد القاهر صاحب دلائل الإعجاز يشهد له بالزعامة وينقل عنه ثم يقول بعد نقله عنه « قال شيخنا رحمه الله ... »[2]

وإذا كنا قد أطلقنا على سيبويه إمام نحاة البصرة فقد ذهب الدكتور على النجدى ناصف إلى ابعد من ذلك فسماه إمام النحاة وعنون لذلك كتابه (سيبويه إمام النحاة) .

←

(١) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر للدكتور عبد الفتاح لاشين دار المريخ الرياض .

(٢) عبد القاهر الجرجانى دلائل الإعجاز ص ٥٣ ، ٥٤ .

دأساة الزعامة فى حياة إمامى النحاة

وعندما ألف أبو عبيدة (ت ٢٠٧هـ) كتابه (مجاز القرآن) حاول فيه أن يبين ما فى الجملة العربية من تقديم أو تأخير ، أو حذف أو إضمار إلى غير ذلك من وجوه التعبير ، ولقد كان بابا من النحو جديد أن يفتح ، وخطوة حرية أن تتبع الخطوة الأولى فى الكشف عن علل الإعراب ، لكن النحاة كانوا قد شغلوا بكتاب سيبويه ، حتى قال أبو عثمان المازنى (ت ٢٤٧ هـ) «من أراد أن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ» فلم تتم عنايتهم إلى ماكشف عنه أبو عبيدة وأهمل كتابه ونسى (٣) .

وظل سيبويه وكتابه هما حديث الناس حتى يومنا هذا وبخاصة أهل اللغة والنحو وإذا كان سيبويه هو إمام نحاة البصرة ، فإن إماما آخر كان فى الكوفة حاز نفس اللقب ولكن لنحاة الكوفة ، فكان على بن حمزة الكسائى هو إمام نحاة الكوفة ، وهو من أصل فارسى كذلك (ولد بالكوفة فى سنة تسع عشرة ومائة للهجرة ، وعادة تذكر كتب التراجم أولية النحو الكوفى مجسدة فى أبى جعفر الرواسى ، ومعاذ الهراء ولكن فى حقيقة الأمر إنما يبدأ النحو الكوفى بدءا حقيقيا بالكسائى وتلميذه الفراء (ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ) فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أسسه وأصوله ، وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التى يستقل بها عن النحو البصرى ، مرتبين لمقدماته ، ومدققين فى قواعده ومتخذين له الأسباب التى ترفع بنيانه(٤) .

وقد اعترف له بالإمامة أبو الطيب اللغوى فى كتابه(٥) إذ يقول « كان عالم الكوفة وإمامهم ، إليه ينتهون بعلمهم ، وعليه يعولون فى روايتهم »

ولم تكن إمامة الكسائى لنحاة الكوفة عبثا أو مجاملة ، ولكن لأنه رسم منهج النحو الكوفى على أسس ثلاثة (٦):

(١) الاتساع فى الرواية بحيث تفتح الأبواب على مصاريعها لرواية الأشعار والأقوال والقراءات الشاذة .

(٢) الاتساع فى القياس بحيث يعتد فى قواعد النحو بالشاذ والقليل والنادر .

(٣) الاتساع فى مخالفة البصريين اتساعا قد يؤول إلى مد القواعد وبسطها بآراء لاتسندها الشواهد اللغوية ، بل قد يؤول أحيانا إلى رفض المسموع الشائع .

هذان الإمامان الجليلان والبحران الزاخران عاشا حياة عريضة وشهرة ذائعة الصيت طبقت الآفاق وملأت الأسماع والأبصار . ولكن حياة كل منهما انتهت بمأساة دامية كانت ثمنا لهذه الإمامة والزعامة .

فلقد طمحت نفس سيبويه إلى الشخوص إلى بغداد أملا ، فى الحظوة عند الخلفاء والأمراء (٧) ، فارتحل إليها وهو لايدرى ما خبأه الغيب له ، فرب ساع لحتفه ونزل ضيفا عند يحيى بن خالد البرمكى وزير هارون الرشيد ، فاعتزم يحيى الجمع بينه وبين الكسائى ، بعد أن عرف الرشيد جلية الأمر ، وعين لذلك يوما فى دار

---

(٣) إحياء النحو ص ١٠ .

(٤) المدارس النحوية للدكتور شوقى ضيف ص ١٥٤ .

(٥) مراتب النحويين حققه الأستاذ الكبير محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٦) المدارس النحوية .

(٧) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى .

الرشيد ، فحضر سيبويه أولا ، وتلاقى مع تلاميذ الكسائى الفراء والأحمر ، وهشام بن معاوية الضرير ، ومحمد بن سعدان ، وسأله الأحمر عن مسائل وكلما أجابه بجواب قال له أخطأت يابصرى ، ثم جاء الكسائى ومعه طائفة من عرب الحطمة (وهم عشيرة من بنى القيس نزلت ببغداد) وقد غصت الدار بالحضور على مشهد من يحيى وابنه جعفر . ثم بدأ الكسائى الحديث وقال له كيف تقول : خرجت فإذا زيد قائم ، فنطق بها سيبويه ، فقال له الكسائى . أيجوز فإذا زيد قائما ؟ فقال سيبويه : لا ، لأن العرب الفصحاء لا ينطقون (قائما) فى هذا المثال ونحوه إلا مرفوعة وفى القرآن الكريم ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾[8] ، وقوله تعالى أيضا ﴿ .... فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[9] .

اى أن مابعد إذا فى هذه الأمثلة مبتدأ وخبر مرفوعان ، وأظهر الكسائى تعجبه من رفضه لنصب كلمة (قائم) وقال فلنرجع إلى من يحضرنا من العرب وهم من عرب الحطمة كما أسلفنا ، وكان البصريون لايعتدون بلغتهم لأنهم من العرب المتحضرين الذين يمكن أن يكون قد دخل الفساد على ألسنتهم فسألهم الكسائى كيف تقولون : (قد كنت أحسب أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور إياها) فقال نفر منهم « فإذا الزنبور هى » وقال آخرون « فإذا الزنبور إياها » وأصر سيبويه على موقفه من الرفع ، وقال الكسائى : العرب ترفع ذلك وتنصبه ، وقد اقتنع يحيى بما قاله الكسائى بعد أن أيده عرب الحطمة على مرأى من سيبويه ومسمع ، فأقبل على سيبويه وقال له : قد تسمع أيها الرجل فاستكان سيبويه عند ذلك وانقبض خاطره ، فقال الكسائى ليحيى : أصلح الله الوزير ، إنه قدم إليك راغبا فإن أردت ألا ترده خائبا ، فرق له يحيى وجبر كسره فخرج من بغداد وتوجه تلقاء فارس يتوارى من الناس من سوء مالحقه ، ولم يقدر أن يعود إلى البصرة فمات غما فى ريعان شبابه وقال قرب احتضاره متمثلا :

يؤمل دنيا لتبقى له

فوافى المنية دون الأمل

حثيثا يروى أصول الفسيل

فعاش الفسيل ومات الرجل[10]

وقد رويت هذه المناظرة على صور مختلفة ، ويرى جمهرة العلماء أن إصبع السياسة لعبت دورا كبيرا فى هذه الحادثة الخطيرة لأنها حكم بين المصرين (البصرة والكوفة) لابين الرجلين ، وما وافق العرب الكسائى إلا لعلمهم أنه ذو حظوة عند الرشيد وحاشيته ، وهم على يقين بن الحق مع سيبويه والقرآن الكريم أصدق شاهد له كما سبق فى الآيتين ، ولو ثبت النصب لكان خارجا عن القياس واستعمال الفصحاء ، ولذا تمحل النحويون فى تخريج هذا النصب وشغل هذا أذهان النحويين فى تخريج هذا النصب على أوجه ثم تعقبوها ذكر بعضها الرضى فى شرح الكافية باب الظروف ، وأفاض القول فيها الأعلم الشنتمرى ونقل كلامه المقرى فى نفح الطيب فى فصل برأسه الجزء الثانى ، عنوانه « المسألة الزنبورية »[11] .

ولقد أجاد التفصيل ابن هشام فى كتابه المغنى فى مبحث (إذا) فذكر لهذه المسألة أوجها

(٨) الآية ٣٣ من سورة الشعراء .

(٩) الآية ٢٠ من سورة طه .

(١٠) حثيثا مسرعا ، الفسيل النخل الصغير يقطع من أمه فيغرس واحدته فسيلة .

(١١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة .

مأساة الزعامة فى حياة إمامى النحاة

خمسة مع التعقيب على كل وجه بما يفنده .

الوجه الأول : أن الظرف وهو إذا نصب الضمير لأن فيه معنى وجدت .

الوجه الثانى : أن الضمير المنصوب استعير من مكان ضمير الرفع .

الوجه الثالث : أن الضمير مفعول به والأصل فإذا هو يساويها ثم حذف الفعل فانفصل الضمير .

الوجه الرابع : أن الضمير مفعول مطلق والأصل فإذا هو يلسع لسعتها .

الوجه الخامس : أن الضمير مفعول منصوب على الحال من الضمير فى الخبر المحذوف والأصل فإذا هو ثابت مثلها ، ثم حذف المضاف فانفصل الضمير .

ولئن ظفر الكسائى بسيبويه فى هذه المناظرة ظلما ، لقد ثُئر له منه على يد اليزيدى فى المناظرة التى اندحر فيه الكسائى ، فلقد اجتمع الكسائى واليزيدى : عند الرشيد فجرت بينهما مسائل كثيرة فقال له اليزيدى أتجيز هذين البيتين ؟

مارأيت خربا نقـــر عنه البيض صقر
لايكـون الـعـير مـهـرا
لايكـون ، المهر مهـر (١٢)

فقال الكسائى : يجوز على الإقواء ، وحقه لايكون المهر مهرا .

فقال له اليزيدى : فانظر جيدا ، فنظر ثم أعاد القول فقال اليزيدى : لا يكون المهر مهرا محال فى الإعراب ، والبيتان جيدان . وإنما ابتدأ الشاعر فقال : المهر مهر ، وضرب بقلنسوته الأرض ، وقال : أنا أبو محمد فقال له يحيى بن خالد : خطأ الكسائى مع حسن أدبه أحب إلينا من صوابك مع سوء أدبك ، اتكتنى قدام أمير المؤمنين وتكشف رأسك ؟

فقال إن حلاوة الظفر وعز الغلبة أذهبا عنى التحفظ .

ولقد أخطأ الكسائى خطأ عروضيا أيضا فى إجابته ، ولعل نشوة النصر عند اليزيدى جعلته لا يلحظه ، وهو التعبير بالإقواء وحقه أن يعبر بالاصراف .

فالإقواء : اختلاف حركة الروى فى قصيدة واحدة وهو أن يجىء بيت مرفوعا ، وآخر مجرورا نحو قول النابغة :

أمن آل أمية رائح ، أو مفتدى
عجلان ، ذا زاد ، وغير مزود .

ثم قال :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الأسود .

أما الإصراف فهو إذا كان مع المرفوع أو المجرور منصوب مثل :

أطعمت جابان حتى اشتد مغرضه
وكـاد ينقد لـولا أنـه طـافـا
فقـل لجابـان يتـركنـا لطيتـه
نوم الضحى بعد نـوم الليل إسراف(١٣)

والخليل لايجيز هذا ولااصحابه (١٤)

وهكذا كانت النهاية بل المأساة فى حياة هذين العلمين المبزين ، والعلمين الخفاقين للمصرين بسبب الإمامة أو الزعامة النحوية .

---

(١٢) الخرب = ذكر الحبارى ، نقر = نقب البيض لخروج الفرخ ، و (لايكون) فى أول الشطر الثانى تاكيد لفظى .

(١٣) جابان اسم رجل ، والمغرض = أسفل البطن ، وطاف = برز لقضاء الحاجة

(١٤) الوافى فى العروض والقوافى صنعة الخطيب التبريزى .

حول التأثير السلبي للــدرامـــا

للأستاذ/ عاطف شحاته زهران

للتليفزيون والسينما فاعلية فريدة وتأثير بالغ لاعتمادهما على حاستي السمع والبصر معاً ، ولذا تستحوذ هاتان الوسيلتان على اهتمام كامل من جانب الجماهير خاصة اهتمام الأطفال . وكشفت بعض الدراسات عن أن أغلب الأطفال وكثيراً من الكبار يميلون إلى قبول جميع المعلومات التي تظهر في الأفلام وتبدو واقعية - بدون تساؤل - ويتذكرون تلك المواد بشكل أفضل ..

قد يقبل البعض هذا القول . وقد يرفضه البعض ، ظانا أننا نبالغ مع أن تأثير وسائل الإعلام أضحى من البدهيات التي لا تناقش ومن ثم أعدت الدول عدتها لاستغلالها في تحقيق أهداف خاصة والتأثير على جمهور وسائل الاتصال الحديثة العريض بطرق شتى .

وللدراما على وجه الخصوص تأثير قوي على متلقيها لأسباب عديدة . من هنا ينبغي على الموجهين للمواد الدرامية تنقيتها مما يؤثر بطريقة سلبية على جماهير المشاهدين وله أسلوبه الذي يشيع فاحشة أو ينشر فساداً ..

وكم قرأنا شكاوى عديدة عن تأثير الدراما السلبي على الأطفال والشباب دون مجيب ولا مقدر لعواقب الأمور .

ونسوق هنا شكوى جاءت على لسان فتاة في سن الزواج تقول فيها : « في مشهد من فيلم تليفزيوني دار حوار بين البطل والبطلة .

قالت له : وهبتك نفسي ، .

فقال : وأنا قبلت الزواج منك .

فتساءلتْ : بدون شهود !؟

فنظر إلى السماء وقال يشهد الله والطيور على ذاك الزواج .

ثم تستطرد الفتاة قائلة :

بعد قليل من عرض هذا الفيلم في التليفزيون فوجئنا ببعض الفتيان والفتيات يكررن ذاك المشهد - حقيقة لا تمثيلاً - حتى أن ابن صاحب المصنع الذي تعمل فيه - والذي وقعت فيه هذه الزيجات - طلب منى أن أهب له نفسي على سنة الله ورسوله (كذا) ! ..»*

وهذه الشكوى تطرح قضية على جانب كبير من الأهمية ، هي أن التليفزيون قد نشر مفهوماً

←

* أذيعت في برنامج « ماذا تفعل لوكنت مكاني » من إذاعة القاهرة في ١٩٨٨/١١/٢٧

حول التأثير السلبي « للدراما »

دينياً خاطئاً عن الزواج على عين الموجهين له والمسئولين عنه والرقابة التي سمحت بعرض ذاك المشهد بما له من تأثير خطير على ملايين المشاهدين .

وتنجم خطورة عرض المشهد من ناحيتين هما :

الفهم الخاطىء لزواج الهبة والذي أجمع العلماء على عدم جوازه قال الإمام القرطبي في تفسيره :

أجمع العلماء على أن هبة المرأة نفسها غير جائز ، وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح إلا ما روى عن أبي حنيفة وصاحبيه فإنهم قالوا : إذا وهبت فأشهد على نفسه بمهر فذلك جائز . قال ابن عطية : فليس في تجويزهم إلا العبارة ولفظة الهبة . وإلا فالأفعال التي اشترطوها هي أفعال النكاح بعينه[1] .

وقال المراغي في تفسيره :

﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأحزاب / ٥٠ . أي أحللنا لك التمتع بالمرأة التي تهب نفسها لك بلا مهر إن أردت ذلك . وهذه الإباحة خاصة لك من دون المؤمنين . فلو وهبت امرأة نفسها لرجل وَجَبَ عليه لها مهرُ مثلها كما حكم بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم[2] .

ثانياً : الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي يواجهها بعض الشباب قد تضطرهم لسلوك ذلك الدرب الذي لا يعلم منتهاه إلا الله وحده .. دون معرفة منهم بهذا الحكم بسبب أميتهم التي تحول بينهم وبين مطالعة الصحف والكتب . أو عدم إقبالهم على المواد الدينية في الإذاعة والتليفزيون والصحف . وفي هذه الحالة ليس إلا التليفزيون هو مصدرهم الرئيسي لاستقاء المعلومات . أو قل إن شئت : قد تصبح الدراما بالذات ـ الفيلم والمسلسل والتمثيلية والقصة وغيرها ـ هي مصدر استقاء المعلومات بالنسبة للكثيرين منهم .

وثمة مسألة أخرى يجب عدم إغفالها . وهي أن الأفلام التليفزيونية ـ إلا القليل منها ـ سبق عرضها مرات عديدة ولأيام طويلة في السينما وشاهدها جمهور عريض وهو وإن كان دون جمهور التلفزيون إلا أن المؤكد أن تأثيراً ما قد حدث على مشاهدي تلك الأفلام ممن لم تتح لهم المعرفة الدينية الصحيحة أو الثقافة الدينية المناسبة من الأسرة والمدرسة التي تحصنهم ضد خاطىء الأفكار وضلال الرأي .

وهذه الشكوى التي تقدمت بصدر المقال ليست إلا حالة واحدة من حالات لم يفكر أصحابها في نشرها أو الاستفسار عن صحة ما جاء بها وإن صح ما تقوله صاحبة الرسالة . فكم من الجرائم ترتكب بسببك أيها التليفزيون !؟

وقد نحسن الظن بالتليفزيون أو نلتمس العذر لكن .. أفي الأحكام الشرعية ؟ ومن ذا الذي يتحملها ؟.. وما ترتب على إشاعة الخطأ والتغرير من فساد يعلق بأعراض الناس .. من ذا الذي يقوم لله تعالى .. فيقول : اعْفُ عنه ياربنا ..!! حاش لله .

والمفروض أن التليفزيون الذي دخل عامة

(١) انظر تفسير القرطبى جـ ١٤ ص ٢١١

(٢) تفسير المراغى جـ ٢٢ ص ٢٣

البيوت تقريباً أداة تنوير بعد دخول الألوان التي تزيد من فعاليته لما له من خصائص لا تتوافر لغيره من وسائل الإعلام الأخرى . فالوضوح الذي تعرض به اللقطات والقدرة على جذب الانتباه والتركيز على دقائق الصورة الفنية .. كل هذه المميزات تجعله وسيلة فعالة للثقافة والإرشاد والتوجيه علاوة على كونه وسيلة هامة للتسلية والترفيه ..

إن الإنسان يكتسب ثمانية أعشار معلوماته عن طريق حاسة البصر . كما أن استيعابه للمعلومات يزداد بنسبة ٣٥ ٪ عند استخدام الصورة والصوت في وقت واحد ، كما تطول مدة الاحتفاظ بهذه المعلومات عندئذ بنسبة ٥٥ ٪ ..

وهذه الحقائق التي أثبتتها الدراسات الإعلامية العديدة تجعلنا على حذر دائم حتى لا نسيىء من حيث نريد الإحسان .

وحين يتساهل التليفزيون في عرض أمثال ذاك المشهد إنما يوقع فتياتنا ضحايا .. والضحايا هنا غير محددين ولا معروفين فقد يكن من دنيا الفئات أو من أعلاها إذا استوى الجميع في ضحالة الثقافة الدينية وعدم تمييز الجائز من الممنوع .

ولقد كان من الممكن الاستفسار عن حكم زواج الهبة بالرجوع إلى أهل الذكر وهم كثير بفضل الله . أو إلى تفسير معتمد أو أحد كتب الفقه المشتهرة لمعرفة الحكم : كيف يكون ..؟

ولقد آن الأوان إلى التماس معرفة القدر الثقافي من المعلومات الدينية لدى كتاب هذه القصص والمسرحيات .. ومنذ أُولِيَ الأزهر أمر الاطلاع على بعض النصوص ومناقشة كاتبيها .. رأينا العجب .

العجب الذي يحسن السكوت عليه فاتقوا الله معاشر المؤلفين والمنتجين والمعدين للمواد الدرامية ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ الأحزاب ٧٠ ، ٧١ .

إن الله سبحانه سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النور ١٩ .

وبعـــد :

فنحن على أعتاب عصر جديد يشهد قفزات فى صناعة الاتصال أكثر من هائلة . وحسبنا أننا على بعد خطوات أو أيام معدودات من البث المباشر من أجهزة الإعلام فى مشارق الأرض أو مغاربها عبر الأقمار الصناعية والتى تمثل أخطر مراحل الغزو الفكرى حيث تقدم لنا تلك القنوات ما تريد هى وما تحب لا ما نريده نحن أو نحبه . فيه من النفع الكثير ، ومن الخطر ما هو أكثر فلا أقل من أن تلتزم وسائل إعلامنا نحن وتستعد وتعد المواطن لمواجهة الغزو الإعلامى القادم من بعيد وتساعد وتعمل على حراسة القيم والمثل لا تقويضها . وتقوية الجسد الإسلامى بتحصينه ضد الطعنات التى ستأتيه من جهات عديدة لا إضعافه وإنهاكه حتى يسقط فريسة من الجولة الأولى أسير أفكار وآراء غريبة عنه .

أدركوه قبل أن يتسع الخرق على الراقع .

فتحملوا ـ معاشر المنتجين للدراما ـ مسئولياتكم كاملة أمام الله والمجتمع والناس والتاريخ ولا تضيعوا أوقاتنا وأوقاتكم فى تافهات الأمور فالوقت يمضى وساعة الصفر تقترب .

عفا الله عنا وهدانا لما فيه خيرنا .

من خير ما نشر

عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين

تحت عنوان «قرآن وسنة» «الجمهورية» كتب الأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى

تطرفنا «مجلة الأزهر» فوق ما تحوى من مقالات جيدة ، بكتيب نافع جيد .

وشكر الله للأستاذ الفاضل الشيخ أحمد رجب ما يبذل من جهد فى تحقيق هذه الكتيبات أو بعثها من مرقدها .

وكان من طرف المجلة التى حققها الشيخ رجب كتاب «تنزيه الأنبياء من تسفيه الأغبياء» للإمام جلال الدين السيوطى ، وهو مبنى على أصول وفوائد ذكرها القاضى عياض فى كتاب «الشفاء» . وتناولها بعده الشراح .

والكتاب مبنى على حادث وقع من الشيخ شمس الدين الحمصانى إمام الجامع الطولونى فى عهد السيوطى ، وذلك أن شخصين تسابا ، فعير أحدهما الآخر بأنه يرعى المعزى ، وكان هذا ابن الشيخ شمس .

فقال الرجل الساب : الأنبياء رعوا المعزى ، أو ما من نبى إلا رعى المعزى ، وكان ذلك بسوق الغزل بجوار الجامع .

وقال قاضى القضاة المالكى : لو رفع إلى هذا الرجل ضربته بالسياط .

وقال آخرون بأنه يستحق أن يعزر التعزير البليغ ، لأن مقام الأنبياء أجل من أن يضرب ، أو يتخذ حجة لآحاد الناس .

وذهب الشيخ السيوطى ينقل عن القاضى عياض أحوال من يقول مثل هذا الكلام وجزاءه فى كل حالة ، وفى حديثه نقل عن السابقين من الفقهاء وحالات الكبار الحكام . ومن ذلك أن عمر بن عبدالعزيز طلب كاتبا يكون أبوه عربيا ، فقال أحد كتابه : «كان أبو رسول الله كافرا» فقال له عمر : أجعلت هذا مثلا ؟ لا تكتب لى بعد هذا أبدا ، وعزله .

وذكر أيضاً أن أبا نواس أنشد هارون الرشيد بقوله :

فإن يك باق سحر فرعون فيكمو
فإن عصا موسى بكف خصيب

فأنكر عليه هذا القول وقال له : يا ابن اللخناء أنت المستهزىء بعصا موسى وأمر بإخراجه من عسكره هذه الليلة «واللخناء : هى المرأة كريهة الرائحة» .

ولخص حديثه أخيرا بأنه يجب احترام الأنبياء ، وأنه لا يجوز ذكر ما فيه تنقيص لهم ، وقد أفاض القاضى عياض فى هذا .

وأعجبتنى كلمة الشيخ أحمد رجب فى تقديم الكتاب إذ قال : إن أولى الناس بفهم هذا الكتاب هم طبقة الممثلين الذين يتفكهون فى أحاديثهم لاضحاك الناس بذكر الله تعالى ورسوله ، وكم عبارة يسوقونها متصلة بالعقيدة فى صورة خالية من الإجلال .

ويذكرنى هذا بما جاء فى كتاب تاريخ الأنبياء فى القرآن للدكتور أحمد منصور ، وقد ذهب عنى هذا الكتاب ونفضت يدى منه ويستطيع صاحبه أن يقرأ هذا الكتاب الذى ذكرت ليفيد حين يريد ن يكتب عن الأنبياء .

عن مكافحة المخدرات

كتب الأستاذ مرسى طنطاوى . الأخبار

برغم الجهود المثمرة والمضنية والمكثفة من رجال الشرطة ، للقضاء على تجارة السموم البيضاء بكل ما تحتويه من أنواع المخدرات الطبيعية ، والمخدرات المخلقة والمستحدثة ، إلا أن الواقع يؤكد أننا «نحرث فى ماء البحر» فلازالت وستظل هذه التجارة المهلكة طالما بقى تجار جملة لهم عيون ونفوذ .. وتجار تجزئة منتشرون كالنار فى كل أوساط المدمنين وقد ينكمش التجار بعض الوقت أمام تلك الحملة الشجاعة من رجال الشرطة ولكنهم ـ أى التجار ـ سريعا ما يستردون رباطة الجأش أمام بريق الذهب . والمدمن الذى فقد ذاته وأسرته ومستقبله وحياته لن يفيق ولن يشفى .

إذن ستبقى الدائرة مغلقة .. ولن تنكسر أو تتحطم إلا إذا تعاون المواطنون مع الشرطة ، وحتى يؤتى هذا التعاون أكله ينبغى أن تخصص مكافأة مالية بنسبة مئوية من المبالغ النقدية المضبوطة لدى تاجر الجملة أو تاجر التجزئة ، لكل من يدلى بمعلومات تؤدى إلى القبض على هؤلاء الأشرار أو أحدهم دون الكشف عن اسم من نال المكافأة حتى لا يتعرض هو أو ذووه للانتقام. شرط ألا نعفيه من المسئولية إذا ثبت عدم صحة البلاغ أو الإرشاد .

إن صرف المكافأة للمرشد أو المبلغ سوف يساهم إلى حد كبير فى محاصرة هؤلاء القتلة .

كــل يــوم

للأستاذ عبد المنعم قنديل . أخبار اليوم

امنية تراود خيالى منذ سنوات أن أؤلف مكتبة دينية للأطفال تضم قصصا عن شمائل النبى ﷺ وعن حياة الأنبياء ، كما وردت فى القرآن الكريم .. وعن تاريخنا الإسلامى .

فلاشك أن أولادنا بحاجة إلى تعريفهم بهذه الشمائل عن طريق قصص يجمع بين حقائق التاريخ وبين السلاسة ، حتى يتربوا على الآداب النبوية السامية . فكل الانحرافات التى حدثت للشباب سببها عدم تنشئتهم على هذه الشمائل ، وبعدهم عن السيرة النبوية وقيمها وآدابها .

إنهم بحاجة إلى معرفة ما كان يتحلى به النبى ـ ﷺ ـ من أمانة وصدق وصبر وتواضع وحلم وعفة وحياء وشجاعة وعلم وجود .. وغير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره .

من خير ما نشر

فأولادنا بحاجة إلى مكتبة دينية فى كل بيت لكى نربى فيهم الفضائل التى تجعل منهم جيلاً بعيداً عن الغلو والتشدد والقصص الدينى هو خير وسيلة لهذه الثقافة .

المستشرقون دسوا السم فى العسل

تحت عنوان «يهدى الله لنوره من يشاء» كتب الأستاذ حسن مناع رئيس تحرير مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية فى عدد جمادى الأولى ١٤١٠ هـ محذرا من خطورة الفكر الاستشراقى قائلا :

« ... من أجل قهر المسلمين والسيطرة عليهم فكريا نشطت حركة الاستشراق فى العالم الإسلامى بدعم من المؤسسات الدينية ، ومساندة المؤسسات السياسية لها ضمانا لاستمرار المستشرقين فى براعة الظهور وقوة الانتشار ، ووصولا إلى نتائج تهدف إلى رسم صورة مشوهة عن الإسلام فى نظر القراء غير المسلمين وإلى إثارة ضباب الشك والتضليل بالنسبة للقارىء المسلم الذى لا يعرف الإسلام معرفة واعية !

ومن المؤسف حقا أن بعض المسلمين سحرهم ما قدمه المستشرقون من أبحاث ودراسات ، وبهرهم ما قاموا به من جهد وما بذلوه من فكر وقد غاب عنهم أنهم دسوا السم فى العسل وأن كتاباتهم ظاهرها عطاء علمى وإخلاص للتراث الإسلامى ، وفى باطنها سوء القصد وسهام الغدر .

هذا وكان المستشرقون فى ممارسة البحث والدراسة وفى ميدان الفكر ثلاثة تشكيلات ـ المجموعة الأولى منهم كانت فى بداية حركة الاستشراق وكانت كتاباتهم تطفح بالحقد الفاجر والهجوم السافر على الإسلام ، وهذه الهجمة الشرسة لقيت القبول لدى أهل الشرق الملحد والغرب الصليبى المتربص ، ولكنها قوبلت فى بلاد المسلمين بالرفض القوى والمقاومة الصادقة ، وخاصة فى القضايا التى تتصل بالعقيدة وتمس قدسية القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة ، لأن المسلم يغار على دينه ويتغالى فى الدفاع عن عقيدته مهما كانت عنده رقة فى الدين أو انحراف فى السلوك ـ الأمر الذى جعل الغزو الفكرى عاجزا عن الوصول إلى هدفه الخبيث .

مما جعل المجموعة الثانية تغير الخطة والأسلوب ، بعد أن رأت فشل الهجوم المباشر على الإسلام وحضارته ، فالتزمت بعرض الأبحاث الإسلامية فى لون من المكر والدهاء ، وابتكرت معالجة جديدة من شأنها توفير المودة والائتلاف وكسب ثقة المسلمين من جديد ، عن طريق الإشادة بالإسلام ورسوله .

هذا الاتجاه نشّط الإقبال على قراءة ما يكتبه المستشرقون من غير حذر من جانب القارىء المسلم ، فهو يتقبلها على أنها حق وهو لا يدرى أن المستشرق المرائى يدس فى ثنايا بحثه طعنا محجبا وهجوما غير مباشر !

هذه المجموعة من المستشرقين أشد خطراً وأقوى تدميراً من سابقتها ، ولذا كان المنافقون المخادعون أخوف من الكافرين المجاهرين بكفرهم .

الشباب المسلم بين واقعه وتطلعاته

ونشرت مجلة «المنهل» السعودية فى عددها رقم

٤٧٤ مقالا للأستاذ قاسم الخطاط بعنوان «الشباب المسلم بين واقعه وتطلعاته» جاء فيه :

كيف نبدأ الطريق إلى الإصلاح وما هى الأساليب التى علينا أن نتبعها فى الدعوة إلى تعاليم الإسلام ، وإلى نبذ الممارسات المخالفة للإسلام فى المجتمعات التى نعيش فيها ؟ إن خير قدوة يمكن أن يتطلع إليها الشباب المسلم وهو يبحث عن الطريق إلى الإصلاح هو شخص النبى ﷺ والأساليب التى اتبعها واستطاع بها أن يحول أهل الجاهلية من القبائل المتناحرة المتقاتلة إلى قوة حطمت الأكاسرة والقياصرة وما يمثلونه من ظلم واستبداد ، ونشرت فى أرجاء الأرض أعظم وأرقى ما عرفته الإنسانية من المثل العليا ، وأرست دعائم الحق والخير والحرية واحترام آدمية الإنسان .

يجب علينا أن نستيقظ من سباتنا العميق لنستقبل حياة جديدة ، ونتطلع إلى المركز الذى ينبغى أن تكون فيه أمتنا الإسلامية ، وننظر من خلال التاريخ إلى ما كان لها فى سابق الزمان تحت راية الإسلام من صورة رائعة ، قوة السلطان وبسطة فى الأرض وحضارة زاهرة ، واستمتاع بطيبات العيش وزينة الحياة التى أخرج الله لعباده ، ونتوق إلى أن يكون لنا فى حياتنا الجديدة مثل هذه الصورة الحافلة بكل مظاهر النشاط والحياة والقوة والعزة .

تقدير تعداد المسلمين

نشرت مجلة «منار الإسلام» الإماراتية فى عددها الصادر فى جمادى الأولى ١٤١٠ هـ دراسة علمية موثقة للدكتور عادل طه بعنوان : «اختلاف المصادر الإسلامية والغربية فى تقدير تعداد المسلمين فى العالم» ومما جاء فيها :

«ازداد اهتمام الغرب فى الآونة الأخيرة بالعالم الإسلامى اهتماما واضحا وتم نشر المزيد من الأبحاث والدراسات الخاصة التى تبرز مدى القدرات البشرية والمزايا الاقتصادية والثقل السياسى الذى يمثله هذا العالم .

وربما يعود هذا الاهتمام إلى ما سمى بالصحوة الإسلامية والتى انتشرت مؤخرا بين شعوب الأمة الإسلامية فى أنحاء العالم وامتدت آثارها لتشمل انضمام أعداد متزايدة من المفكرين والمثقفين فى الغرب إلى قافلة الإسلام المباركة وتحول الكثير منهم إلى دعاة لهذا الدين الحنيف .

ومن الموضوعات التى اهتم بها الباحثون فى الغرب اهتماما كبيراً مسألة تعداد المسلمين فى العالم ، حيث تضاربت التقديرات المختلفة لهذا التعداد ، ويرجع ذلك إلى ندرة المعلومات والبيانات الإحصائية الخاصة بأعداد المسلمين فى عدد كبير من دول العالم الإسلامى حيث إن معظم تلك الدول تنتمى إلى مجموعة ما يسمى الدول النامية ، وكثير منها حديث الاستقلال ولم يأخذ بعد بأسلوب التعداد . وأصبحت مسألة عدد المسلمين فى العالم مسألة تقديرية بحتة تعتمد نتائجها على من يقومون بعملية التقدير نفسها وقد لوحظ أن المصادر الغربية بوجه عام تميل إلى التقليل من أعداد المسلمين فى دول العالم بصورة ملحوظة وذلك للتهوين من شأن المسلمين وحتى لا يظهروهم كقوة بشرية مؤثرة لها وزنها الفعال» .

أنباء وآراء

إعداد :

د . عبد العزيز عزت عبد الجليل

عبد المنعم فودة

صفوت عبد الجواد

قسم للدراسات الإسلامية بالجامعة الكاثوليكية بأمريكا

قبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الدعوة الموجهة لفضيلته من رئيس الجامعة الكاثوليكية ـ بالولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة افتتاح « قسم الدراسات الإسلامية » بالجامعة فى ذكرى مرور مائة عام على إنشاء الجامعة وذلك فى الفترة من ١٢/٩ إلى ١٩٨٩/١٢/١٦ .

وقد حضر حفل الافتتاح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وأعضاء المحكمة العليا وأعضاء مجلس الشيوخ ، إلى جانب العديد من الشخصيات المرموقة فى العالم ، وبلغ عدد الحضور حوالى الفى شخص . كما شارك فضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوى مفتى جمهورية مصر العربية فى هذه المناسبة .

والتقى فضيلة الإمام الأكبر بالرئيس الأمريكى « جورج بوش » الذى أشاد بالدور الذى يقوم به « الأزهر » فى خدمة الإنسانية وإحلال السلام فى العالم .

وقد عاد فضيلة الإمام الأكبر بسلامة الله إلى أرض الوطن فجر يوم السبت الموافق ١٧ من جمادى الأولى عام ١٤١٠ هـ . ١٦ من ديسمبر ١٩٨٩ .

افتتاح مركز تعليم اللغة الانجليزية بكلية أصول الدين بالقاهرة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال شهر جمادى الأولى ١٤١٠ هـ مركز تعليم « اللغة الانجليزية » بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة .

ويضم المركز ثلاثين طالباً متفوقاً من السنة الثالثة بالكلية ، يهدف المركز إلى تخريج فئة متميزة من الدعاة المجيدين للغة الانجليزية لسد حاجة المراكز الإسلامية بالخارج .

ومدة الدراسة بالمركز سنتان تشمل عشر دورات مكثفة .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته على أهمية تخريج دعاة قادرين على الدعوة إلى الإسلام باللغات الأجنبية حتى يمكن توصيل الدعوة إلى أهل هذه البلاد .

إشهار الإسلام

أشهر مائتان وخمسة يمثلون مختلف دول أوروبا وأمريكا، وافريقيا، وآسيا إسلامهم أمام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال عام ١٩٨٩ م.

وذلك بعد مناقشتهم، ومعرفة رغبتهم الصادقة فى اعتناق الدين الإسلامى.

وقد تم تزويدهم ببعض الكتب الإسلامية التى تتناول شرح مبادىء الإسلام وأركانه وذلك بلغاتهم الأصلية.

كما تم منحهم «شهادة إشهار إسلامهم» باللغتين العربية والانجليزية معتمدة بتوقيع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

من توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر..

تم إمداد سفارة جمهورية مصر العربية فى كوالالمبور - ماليزيا.

والسفارة المصرية فى كوناكرى - غينيا -
والسفارة المصرية فى جاكرتا - اندونيسيا.
والسفارة المصرية فى باماكو - مالى.

بأعداد من المصحف الشريف «طبع الأزهر الشريف».
ومجموعات من الكتب الدينية والثقافية.

وذلك خلال شهر نوفمبر ١٩٨٩ م. ربيع الآخر سنة ١٤١٠ هـ.

الدين الإسلامى دينا رسميا

أقرت «لجنة الحريات الدينية» بوزارة العدل الأسبانية اعتبار الدين الإسلامى ديناً رسمياً إلى جانب الديانات الأخرى.

والجدير بالذكر أن عدد المسلمين فى «أسبانيا» حوالى مائتى ألف نسمة.

«جريدة الشريعة - عمان - الأردن
اكتوبر ١٩٨٩»

أول جامعة إسلامية بالصين

أعلن فى العاصمة الصينية عن افتتاح أول جامعة إسلامية بها. يعيش فى الصين خمسة عشر مليوناً من المسلمين.

وهذه الجامعة التدريبية الثقافية تقدم دورات فى اللغة العربية مدتها عامان، كما تقدم دورات فى القانون واللغة الانجليزية بالإضافة إلى حلقات دراسية خاصة للمسلمين.

عن مجلة «التضامن الإسلامى».
إصدار وزارة الحج والأوقاف
بمكة المكرمة - نوفمبر ١٩٨٩

٣,٥ مليار دولار سنويا و ١٩٢ ألف مبشر لتحويل أفريقيا عن الإسلام

كشف تقرير أعدته «الجمعية الدولية للإسلام والعرب». عن عمليات التنصير التى تقوم بها جماعات مسيحية ويهودية مشبوهة مقرها أوروبا وأمريكا.

وقد ذكر التقرير أنه تم رصد ٣,٥ مليار دولار

←

أنباء وآراء

سنوياً وجيش من المبشرين يبلغ ١١٢ ألف مبشر لتنفيذ عمليات تستهدف تحويل قارة افريقيا كلها إلى قارة صليبية .

وذكر التقرير الخطير انه لتنفيذ ذلك المخطط يستخدمون أبشع الأساليب ، وذلك بإرهاق المسلمين اقتصادياً عن طريق إغراقهم بالديون واستخدام وسائل العصر من علوم وتقنيات لإشاعة الفوضى والانحلال الخلقى فى صفوفهم .

ترجمة القرآن الكريم

تمت حتى الآن ترجمة القرآن الكريم إلى مائة وأربع وعشرين لغة فى مختلف أنحاء العالم وهى جزء يسير من اللغات التى ينطق بها المسلمون المنتشرون فى أقطار الأرض .

وقد ظهرت أول ترجمة « لمعانى القرآن الكريم » فى القرن الثانى للهجرة . وتوالت بعدها الترجمات حتى أصبحت عديدة وبأقلام مختلفة فى ذات اللغة الواحدة ومعظمها كان يتم بأيد إسلامية أمينة ، ويتم النقل مباشرة عن اللغة العربية رغبة فى تبليغ رسالة الإسلام لشعوب العالم إلا أنه فى وقتنا الحالى ظهرت فى الأسواق ترجمات عديدة قام بها أفراد من غير المسلمين ممن لا يتقنون اللغة العربية وهذه الترجمات تنقصها الدقة والأمانة ، ولا ترضى عنها معظم الهيئات الإسلامية .

عن جريدة نداء الإسلام ـ إصدار فيينا ـ اكتوبر ٨٩ ومجلة التضامن الإسلامي بمكة المكرمة » .

٧٠٪ من لاجئى العالم مسلمون

أوضح إحصاء « للأمم المتحدة » أن ٧٠٪ من مجموع العدد العالمى للاجئين هم مسلمون يعيشون فى دول إسلامية .

وقال إن عدد اللاجئين فى مختلف دول العالم بلغ ١٣ مليون لاجىء منهم ٧٥٪ من النساء والأطفال .

وأشار الإحصاء إلى أن رعاية شئون اللاجئين فى العالم تحتاج إلى ٥٠٠ مليون دولار . وذكر التقرير أن اسهام الدول الإسلامية فى هذا المبلغ يمثل أقل من ١٪ .

ومما هو جدير بالذكر أن الزكاة على أموال المسلمين الأغنياء فى العالم تكفى لحل مشكلة اللاجئين المسلمين .

تدريس الدين الإسلامى

أصدرت حكومة « ماليزيا » قراراً بتدريس الدين الإسلامى فى جميع مدارسها تلبية لرغبة المسلمين « بماليزيا » لكى يتعلم النشء التربية الإسلامية .

كما تقرر دعم أنشطة المجلس الوطنى للشئون الإسلامية فى « ماليزيا » للقيام بمهامه فى الإشراف على الدعوة الإسلامية ..

استمرار مسلسل الاضطهاد البلغارى للإســــلام والمسلمين ببلغاريا

قامت الحكومة البلغارية مؤخراً بهدم ألف

مسجد وحرق آلاف المصاحف ضمن سلسلة اضطهاد المسلمين والإساءة للدين الإسلامي ببلغاريا .

جاء هذا في تصريح للسيد / عونى أوغلو زعيم مسلمي بلغاريا .

وناشد السيد / أوغلو الهيئات الإسلامية بمساعدة مسلمى بلغاريا .

مدرسة إسلامية

فى روسيا لتخريج الأئمة

تم افتتاح أول مدرسة إسلامية بمدينة « أوفا » بجمهورية روسيا الاتحادية لتخريج الأئمة والمؤذنين .

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أن المدرسة تلقى إقبالاً كبيراً من الطلبة السوفييت الذين سارعوا للالتحاق بها حيث يدرسون أصول ترتيل القرآن الكريم والفقه الإسلامي واللغتين العربية والانجليزية ..

« لحم الخنزير »

أكدت التقارير الصحية بأمريكا أن عدد الذين يموتون بسبب أكلهم للحم الخنزير يفوق بكثير الذين يموتون بسبب حوادث القتل أو الطرق أو أية حوادث أخرى .

حيث إن لحم الخنزير يحتوى على المواد الأميبية المسببة لكثير من الأمراض ، ومن أهمها مرض السرطان .

أول مسلم لعضوية البرلمان السوفيتى

تم ولأول مرة في تاريخ الجمهوريات السوفيتية ترشيح مسلم لعضوية البرلمان .

فقد رشحت جمهورية « كاجيسكتان » الشيخ أكبر قهاروف ممثل الإدارة الدينية للمسلمين الدخول فى حملة الانتخابات لمجالس النواب الجارية الآن .

مسجد هالتون تورنتو

اقامت لجنة مسجد « هالتون - تورنتو - بكندا » يوماً مفتوحاً للجالية المسلمة فى المنطقة وذلك للاطلاع على وضع المسجد والدعوة للتبرع له ، وقد أقيمت صلاة الظهر ولأول مرة فى المسجد يوم الأحد الموافق ١٩٨٩/٩/١٧ م .

عن رسالة كندا ، الصادرة من مكتب رابطة العالم الإسلامى بكندا

« إغلاق محلات الخمور »

ارتفع عدد المحافظات المصرية التى منعت الخمر إلى ١٢ محافظة من ٢٦ مجموع محافظات جمهورية مصر العربية .

أكد المحافظون أن قراراتهم جاءت استجابة لتوصيات المجالس الشعبية المحلية بمحافظاتهم ، وأعطيت فترة زمنية لأصحاب هذه المحلات لتغيير نشاطهم إلى ما يختارون من تجارة حلال ..

الفهـــرس

● إلى جولة جديدة
د . علي أحمد الخطيب ٥٢٩
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٥٣١
● لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
بوفد القساوسة الأمريكي ٥٣٤
● من نعم الله علينا
للأستاذ د . محمد عبد المنعم القيعي ٥٣٦
● الحمد لله والشكر لله
للأستاذ محمد صابر البرديسي ٥٤٠
● التابعـــون
لفضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب ٥٤٣
● الدين القيم والفكر المستنير
للأستاذ الدكتور السيد تقي الدين ٥٤٥
● الربا والوديعة المصرفية
للأستاذ الدكتور أحمد فهمي أبو سنة ٥٥٠
● وما توفيقي إلا بالله
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي ٥٥٤
● رؤية إسلامية للديمقراطيات الغربية
أ . ح د . فوزي محمد طايل ٥٥٨
● عبد الله بن عباس ترجمان القرآن
للأستاذ د . عبد العزيز غنيم ٥٦٤
● الإخلاص روح التقوى
للدكتور زكي مشعل ٥٦٩
● الفتاوى
للأستاذ علي حامد عبد الرحيم ٥٧٣
● من أعلام الأزهر
للمستشار محمد عزت الطهطاوي ٥٧٦
● من أعلام الثقافة الإسلامية في نيجيريا
للأستاذ سليمان موسى ٥٨١

باب العلوم الكونية
● المدخل الإسلامي للطب
عرض وتحليل أ . د
أحمد فؤاد باشا ٥٨٦
● الانشطار النووي
للأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن سلامة ٥٩١

باب الشعر والشعراء
إشراف د . حسن جاد
● أهلاً .. وسهلاً
للطالب عايض علوش ٥٩٦
● عائشة - رضي الله عنها
للشاعرة علية الجعار ٥٩٧
● صحوة العودة
للأستاذ رشاد محمد يوسف ٥٩٨
● من روائع الماضي
حرية الرأي في الإسلام
إعداد عبد الفتاح حسين الزيات ٥٩٩
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٠٣

باب اللغة والأدب والنقد
● كتاب الوحوش
للأستاذ أيمن محمد ميدان ٦٠٦
● على هامش النقد - التعقية
للأستاذ السيد حسن قرون ٦١٠
● مأساة الزعامة في حياة إمامي النحاة
للأستاذ د . عبد الرءوف محمد عثمان ٦١٣
● حول التأثير السلبي للدراما
للأستاذ عاطف شحاتة زهران ٦١٧
● من خير ما نشر
للأستاذ عادل رفاعي خفاجة
للأستاذ أحمد تقي الدين ٦٢٠
● أنباء وآراء
إعداد : د . عبد العزيز عزت عبد الجليل
الأستاذ عبد المنعم فودة
الأستاذ صفوت عبد الجواد ٦٢٤
● قسم الانجليزي
إعداد الدكتور أنس مصطفى النجار
● المقالة الثانية
بقلم : د . روبرت د . كران ٦٣٢
● المقالة الأولى
بقلم دكتور أنس مصطفى النجار ٦٣٨

The traditionalist path is the core and source of uinty in the Ummah throughout. There is no past except Islam and no present and future except Islam. They are clearly destined for growing leadership in this land. The evidence is all around us. No other except Muslim groups or combination of groups can form a real functioning Ummah of human community. But by all working together with the largest indigenous community, the only one created by Allah with no possible identity other than Islam, humanity shall have a common future.

the enemies of everything sacred in our society, not to protect religion from state control, but to protect the secular state against any moral influences from the concerned citizenry.

The fourth of the "daruriyat" essentials of the shari'ah is haqq al karama, which is the duty to promote the dignity of the person and of the moral community. In Islamic thought, freedom of religion and of thought and expression derive not from the principle of freedom itself but from the dignity inherent in the person, who has been endowed with the power to know, love, and submit to Allah. Freedom to pursue truth and worship Allah. The duty of haqq al karama is to facilitate the practice of these two highest functions of mankind.

The most fundamental area of Haq Al-Karamah is Haq Al-Ilm (the pursuit of knowledge). This right and duty of education, haqq Al'Ilm, the universal responsibility in Islam, must be our highest priority. All systems of education must therfore be optimized to develop the real purpose of education for the individual, and the community. The most fundamental purpose of education is to seek more knowledge of creation and its intricate wonders; thereby gaining solidity, and nearness to the Creator "Allah". this hierarchy of understanding knowledge and education, promotes the values of dignity, freedom and human power and integrity. It concentrates the supreme link between man and The Creator "Allah".

Our task, which is enlightened da'wa to the universal Islamic religion, requires unity among the Muslims. Unity requires, first a sense of a common past, which we have in the Sira of the Prophet and in the triumphs the companions. Second, a common sense of Values and of the Sacred, which we inherit from the Quran and Sunnah. Third, a common vision for the future, which we must built by a process of "tamkin al din", that is, empowering Islam by working together wherever we are to oppose the bad and promote the good.

Muslims communities all over the world have nothing to sustain them, except Allah. Their only home is the Quran. And their only culture is the Sunnah of the Prophet Muhammad. They can have no other with a nature or fitra created by Allah. They are like an open book with a future yet to be written. And the pen shall be wielded by the hand of Allah. There is power, insha'Allah, in their future, power to perfect and compolete the "traditionalist movement". From the lowest of the low, Allah raise people to help guide the destiny of the world.

me directly. Be my witness, O Allah, that I have conveyed Your Message to Your people".

The thrust of the message is responsibility including the responsibility to "reason well", and the responsibility is to Allah. In his last message, the Prophet talks about the equality of men and women as partners, about the requirement that a just economic system be based on private property, about honesty in science and in the pursuit of knowledge, and about everything people in the modern Western culture call "human rights". But there is a big difference in approach. The Prophet conveyed the overwhelmingly Quranic message that "rights" belong only to Allah. His creatures have responsibilities. Only when we live up to our responsibilities as individual moral persons and as members of moral communities can "human rights" ever be secured. Every generation should seek to understand the Message of the Quran better than the preceding generation did. Although the Prophet warned us that it would be increasingly difficult for later generations to follow the Message of Allah, this only underscores the need for us to understand it better than those before us.

Throughout history the great Islamic scholars protected the purity of Revelation by developing and applying Islamic thought as a cohesive body of principles based on the inner purpose of the Quran. The six accepted principles in orthodox Islam are the rights to life, community, freedom, dignity, education and private property. The responsibility of Muslims is to respect and apply these higher goals of Islam in order to perfect both themselves and the entire society. Each one of these six basic Islamic responsibilities provides guidance in addressing specific issues of conscience, which together form the Agenda of the Islamic Faith.

Muslims should address these issues by forming a "traditionalist" movement, based on the true recognition that all our basic rights and duties come not from collective man, elevated to the status of a false god; but from our Creator, who sustains each one of us indivdiually and who is the only source and purpose of our liberty, equality, brotherhood and existance.

We must address the major underlying cause of all our problems to the secular-humanist attack on religion under the guise of separating religion and state. The issue of "separation of religion and state" is used hypocritically by

THE TRADITIONALIST PATH

By : Dr. Robert Dickson Crane

Life is full of challenges and opportunities and our responsibility is to look at everything in life from these two aspects. The major challenge and opportunity of Muslims, gives us our major responsibility to perfect both ourselves and the larger community in which we live.

Our most elemental responsibility, of course, is to survive the dark ignorance (the jahiliya) surrounding us, and not disperse in the face of the howling winds of the spiritual and moral wasteland that threaten to overwhelm us. But, we can and must do much more than that, because whoever aims only to survive has already lost the battle. We should continue our efforts in building a dynamic Ummah, a united Islamic Community.

As we succeed in building an Islamic Community in today's human society, we should focus ever more on building this society functionaly into an Islamic community. It is primarily up to Allah how many become Muslims, but it is primarily up to us how many come to think and act according to Islamic precepts and concepts.

How do we find out that we can follow the Quranic injunction to compete with each other in doing good in the sight of Allah. We have the answer in the last message of the Prophet Muhammad, which he delivered partly at the Jebel Al Rahmah and partly in Mina to carry out his role in demonstrating the pattern and symbolism of the hajj revealed to him by Allah for the instruction of all Muslims until the end of the world. The Messenger of Allah declared: "Remember, one day you will appear before Allah and answer for your deeds. So, beware, and do not stray from the path of righteousness after I am gone. O People, no prophet or apostle will come after me and no new faith will be born. Reason well therefore, O People, and understand my words which I convey to you. I leave behind me two things, the Quran and my example, the Sunnah, and if you follow these you will not go astray. All those who listen to me shall pass on my words to others and those to others again, and may the last ones understand my words better than those who listen to

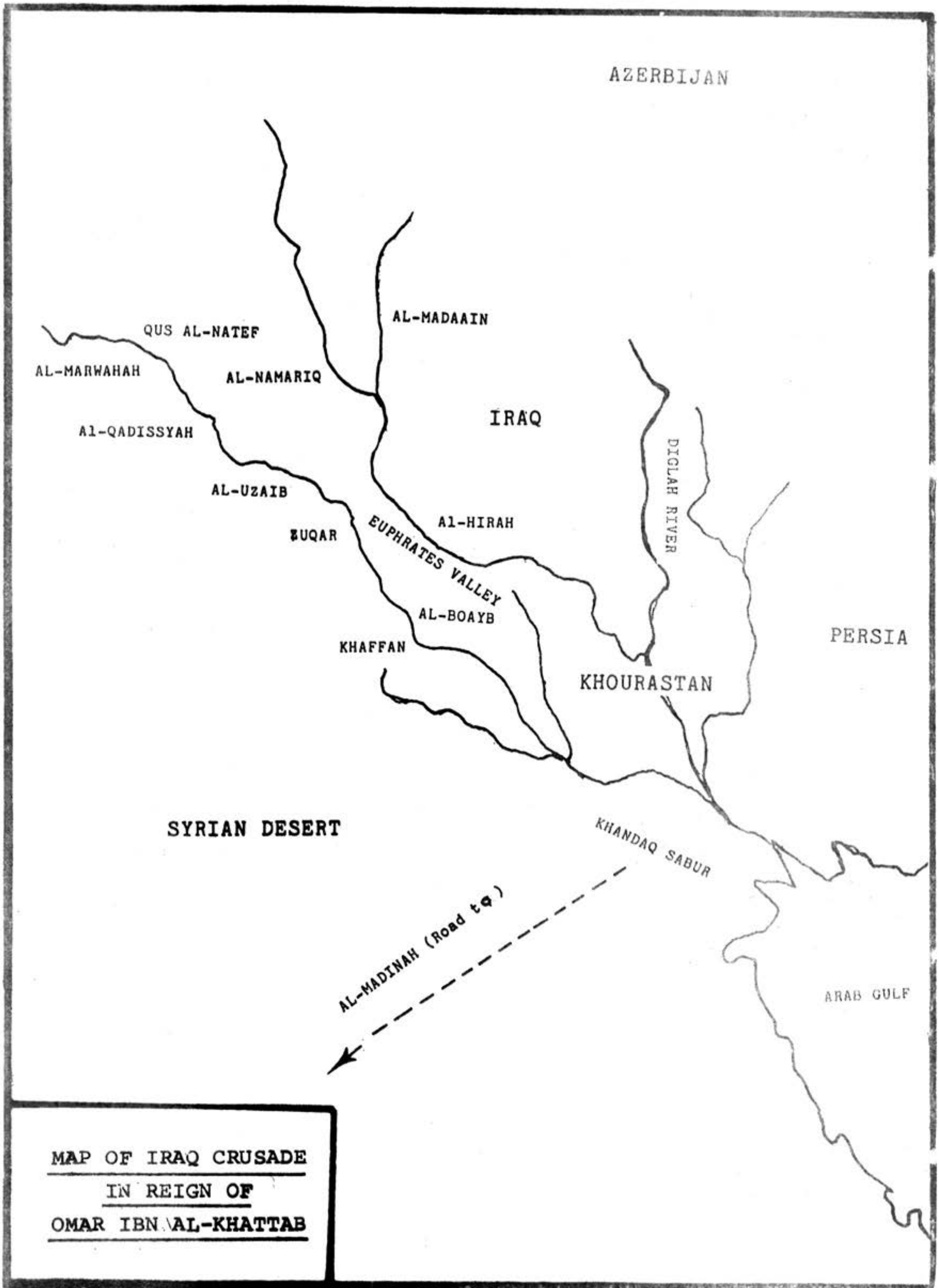

MAP OF IRAQ CRUSADE
IN REIGN OF
OMAR IBN AL-KHATTAB

locations, the health of the men, the ecology of the environment; the position, situation, strategy, numbers, command of the Persian forces. Omar ibn Al-Khattab involved his concern in every detail of what was of his people and his men. His orders to Saad always included the words "inform me by such discription to give me the vision of an eye observer" Omar wrote to Saad remarks of advice and strategy of battlecraft, when to wait and when to move, how to manipulate the efficiency of his forces to optimization. Omar also advised Saad to adhere to piety and obedience of the words of Allah. Saad ibn Abi Waqqas received the instructions of Omar with absolute respect, obedience and conviction.

At the head of twenty five thousand men, and expecting the arrival of eight thousand from Syria commanded by Hashem ibn Utbah, Saad moved from ZuQar heading north towards Al-Qadissyah. He organized his forces in battalions and contingents with bearers of banners and commanding officers. He nominated distinguished men to be at the head of the armies. The Muslim armies moved with great caution to reach Al-Uzaib where they stopped and remained meeting no encounter with Perisan forces. Saad ibn Abi Waqqas sent dispatches of his forces for reconnaissance, and the procurement of supplies. The Muslim armies were well settled at Al-Uzaib, the encampment was fortified, and the families of the warriors were to be left there, garissoned by a contigent of men headed by Ghaleb ibn Abd-Allah Al-Laithii.

Saad and his men remained at Al-Uzaib for few months resting and preparing his men, drawing plans, scouting the area around and watching for all Persian movements and formations. The bulk of the Muslim force moved from Al-Uzaib north to Al-Qadissyah. At that phase of events, the Muslim warriors were highly organized in full vigour of health, spirit and enthusiasm. Their zeal ardency and devotion to the cause was maximal. At Al-Qadisyah, Muslims watched and awaited the news of the Persians.

→

battle against the Muslims. Omar declared that "he will challenge the lords of the Persians with the lords of the Arabs". Omar wrote to Al-Muthana to remain at a distance from the Persians until reinforcements reached him. During the waiting period, Al Muthana died from an injury that he had suffered during the battle of Al-Jisre. Omar ibn Al-Khattab wrote to áll the Muslim tribes of the Peninsula requesting the immediate call to arms of all able warriors to rally to Al-Madinah to join the grand march to Iraq to face the collosals of Persian forces. The command of these forces deserved justified optimal choice and for that reason, Omar ibn Al-Khattab deliberated and discussed the matter with several men, companions of distinction and opinion. Finally, after much selective thinking, the choice was made in the person of Saad ibn Abi Waqqas from Bani Zuhrah from Quraysh. Saad was known for his courage, chivalry, gallantry, nobility and warcraft. He was companion to the Prophet since the very early days of Islam; and attended with the Prophet all the early Muslim encounters. Omar ibn Al-Khattab appointed Saad to command all the Muslim armies of the Iraq crusade. Omar advised Saad in matters related to leadership conduct and military strategy.

Saad ibn Abi Waqqas left Al-Madinah at the head of four thousand men, increasig in great numbers by those who followed him after his departure. The army in Iraq awaiting his arrival after the death of Al-Muthana was about eight thousand including those from the nomad Arab tribes of Iraq. Another eight thousand men were to arrive from Syria commanded by Hashem ibn Utbah to join the Muslim forces in Iraq under Saad ibn Abi Waqqas. The estimated total numbers of the Muslim forces mobilized by Omar ibn Al Khattab to comfront the enormously titanic Persian giant war machine, were approximately thirty five thousand men. This Muslim force included men of distinction and high rank among their tribes; there were men of gallantry and war strategy, men of wisdom and sagacity, men of oratory and diplomacy. That was the largest military assembly that was mobilized at any one time since the very start of the Iraq crusade. Saad ibn Abi Waqqas assembled the Muslim forces at ZuQar where he met with Al-Muthana's widow Salma, and brother Al-Manie. Saad was handed a personal document addressed by Al Muthana before his death. In this document, Al-Muthana advised Saad of the strategy most suitable for fighting the Persians, the nature of the territories, and the social psychology of the residents of the area.

Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah had given orders to Saad ibn Abi Waqqas to write to him daily of every detail in the life of Muslims, the geography and topography of their

The numbers of casualities particularly among the Persians was overwehlming. The extent of bloodshed carnage and extermination was consummate. The Muslim triumph at Al-Boayb avenged and vindicated the Muslim defeat at Al-Jisre.

This triumph established the certainty of Muslim presence in the territories of Iraq in the Euphrates Valley, south of Al-Qadissyah. Al-Muthana dispatched his contingents to ride west as the banks of the Diglah River, and as far north to reach the south neighbourhood of Al-Madaain. The whole region settled under Muslim domination, with Muslim headquarters at Al-Hirah. Persians, however, would not allow such presence to dominate, they must make preparations to retaliate and prevent any Muslim dominance in Iraq. The

Persians considered Iraq part of the Persian Empire with Al-Madaain as capital of Persian occupied Iraq. The Persian Muslim conflict had reached a situation where a settlement could have never been reached and compromise or reconciliation had no place. Hostilities had to remain till a final outcome of defeat or victory for either side. For the Persians, it was a matter of pride and glory for the long standing Persian Empire under the ruling House of the Sovereign Monarchy. The ostentatious pageantry of the Persian military strength and experience could not have under any conditions accepted a reconciliation with these adventuring bare-footed desert rats of the Arab and Muslim tribes as the Persians called them. For the Muslims, it was a crusade for the cause of Allah propelled by Belief and Faith, that every Muslim should herald and proclaim the message of Allah. The territory of Iraq was originally inhabited by Arab tribes, and had long been under Persian occupation. The Muslim tribes of the Arab Peninsula considered Iraq as a direct extention of their own land which was inhabited by brethern Arab nomad tribes even those of Christian faith. Under no condtions the Muslims in Iraq would have considered withdrawal from the territories they had occupied. The struggle and conflict was certain to continue to an ultimate defeat or victory to either side.

The Persian high command mobilized its forces once more; this time in the most optimal means of massiveness, mastery of equipment and leadership in the field of battle. The military high command had united under Rustum ibn Al-Farkhzad, the most reputed authority in Persians military staff at the time. The Persians were instructed to march in combat formation to confront the Muslim forces at Al-Qadissyah. At Al-Madinah, Omar ibn Al-Khattab received information from Al-Muthana that the Persians were preparing their military strength for a final exclusive offensive

and managed to cross to the west of the river again with the defeated remnants of the Muslims. Al-Muthana left the scene of the battle with haste, and harnessed his efforts to speed away with his men, from fear of being followed. He reached the southwest territories of Iraq neighbouring the desert expanse that leads into the Arab Peninsula. There, he remained silent to heal the wounds of his men, and recover from the distortions of defeat which the Muslims had suffered an account of the strategic mistake of Abu Ubayd by crossing the river to meet the Persians. That was the famous battle of Al-Jisre. Al-Muthana deliberated his situation and wrote to Omar ibn Al-Khattab the details of the events and requested support and reinforcements.

Al-Muthana ibn Harithah, the veteran of the Iraq crusade, the talented and experienced war professional, decided to hold his grounds and to turn the disgrace of defeat into honour of victory. He contacted the neighbouring Arab tribes, and rallyed them in massive mobilization. These tribes responded to Al-Muthana, and all joined him in great numbers. Among those tribes were the Christian tribes of Bani Al-Namre and Bani Taghleb. The forces of Al-Muthana became of considerable numbers, and he moved north west of the river to a position south of Al-Qadissyah as near as possible to the territories inhabited by the Arab tribes.

Omar ibn Al-Khattab was very concerned about the defeat at Al-Jisre, and personally consoled and reassured those who came to Al-Madinah. Omar ibn Al-Khattab recruited the tribes of Bani Bagilah, Bani Al-Azd, and Bani Kenanah to join Al-Muthana in Iraq. After the Muslim calamity at Al-Jisre, Omar was very determined to continue the Iraq crusade and to send tribal forces from all over the Peninsula to Iraq.

The Persians became aware of the throngs of Arab reinforcements and consolidating forces of Al-Muthana. In order to confront them, they asembled their forces to march against the Muslim and Arab tribes. Al-Muthana sent instructions to the Muslim tribes sent by Omar ibn Al-Khattab from Al-Madinah to meet him at Al-Boayb. At Al-Boayb, all the conglomerate Muslim and Arab forces assembled under the command of Al-Muthana. There at Al-Boayb, the battle between the Persian massive forces and the consortium of Arab and Muslim tribes commanded by Al-Muthana took place. After very fierce bitter fighting, the Persians thoroughly and exhaustively defeated. The battle of Al-Boayb was unprecedented in the history of the Muslim Persian conflict.

OMAR IBN AL- KHATTAB

The Iraq Crusade

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The Muslim forces commanded by Abu Ubayd Amre ibn Massoud Al-Thaqafi marched out of Al-Madinah heading for Al-Hirah in Iraq to strengthen the Muslim warriors of Al-Muthana ibn Harithah. Abu Ubayd left Al-Madinah with four thousand men, and few thousands from the tribes en route joined his forces. Abu Ubayd and Al-Muthana joined forces at Khaffan west of the river on the desert boundary where Al-Muthana had withdrawn from Al-Hirah to avoid any confrontation with the consolidating throngs of Persian forces.

The combined Muslims armies moved to face the Persian forces at Al-Namariq between Al-Hirah and Al-Qadissyah. The Muslim warriors defeated the Persian forces in several encounters; Abu Ubayd and Al-Muthana at the command of Muslim forces gained full domination of the territories of the Euphrates valley south of Al-Qadissyah. The Muslims once again established themselves at Al-Hirah. The Persian high command could not tolerate the presence of Muslims, and ordered that strong forces from Al-Madaain and elsewhere should gather to crush and annihilate all Muslim forces, and exterminate their existance from Iraq.

The Muslim forces under the command of Abu Ubayd crossed the river to the west and took positions at Al-Marwahah opposite Qus Al-Nataf. The Persian troops commanded by Bahman Jazwieh gathered east of the river at Qus Al-Nataf in all the pomposity and display of Persian military power, in massive numbers and mastery of equipment. Bahman Jazwieh gave Abu Ubayd the choice, either the Muslims would cross the river east to meet the Persians; or the Persians would cross the river west to meet the Muslims. Inspite of all advice given by his adjuvents, Abu Ubayd committed the mistake of his life. Abu Ubayd ordered his men to cross the river to meet the Persians. That was the fatal mistake that cost Abu Ubayd his life and the life of several thousand Muslims, the shame of defeat and total massacre of the Muslim warriors. Al-Muthana finally maneuvered a retreat with those who survived,

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART VI

JUMMADAH AL-AKHIRA 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

"The Iraqi Crusade"

By: Anas Moustafa El Naggar

2. The Traditionalist Path

By: Robert D. Crane.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam"

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION